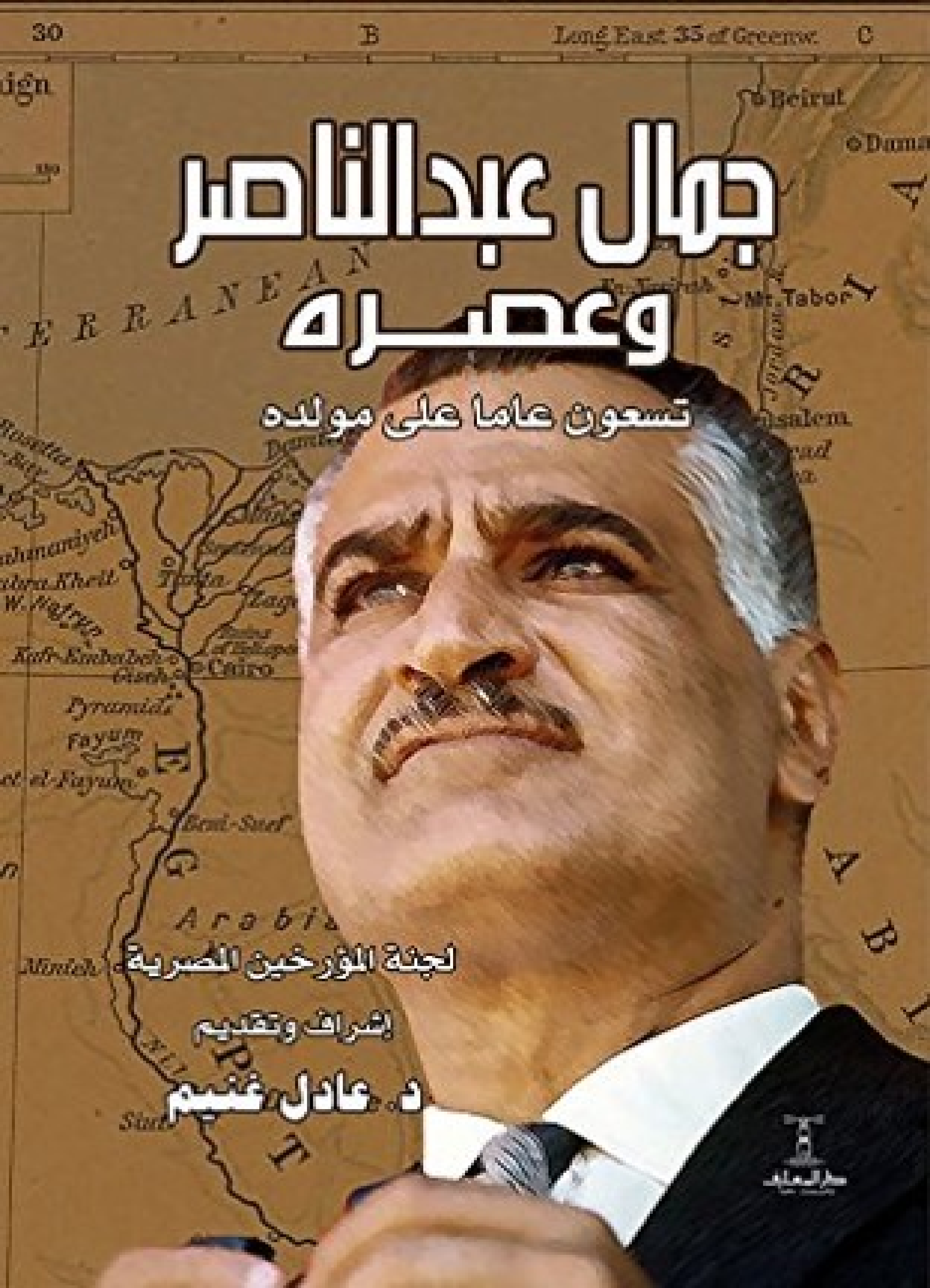

جمال عبدالناصر
وعصره
تسعون عاما على مولده
لجنة المؤرخين المصرية
إشراف وتقديم
د. عادل غنيم
30
B
Long. East 35 of Greenw.
C
Beirut
Mt. Tabor
Cairo
Pyramids
Fayum
Beni-Suef
Minieh

جمال عبد الناصر وعصره

تأليف

لجنة من المؤرخين المصريين

إشراف وتقديم

د. عادل غنيم



http://gate.dar-elmarf.com

تصميم الغلاف: محمد عطية

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر: دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع

E-mail: maaref@idsc.net.eg - هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩
www.gate.dar-elmarf.com

تقديم

يسرنى أن أقدم هذا الكتاب الذى يتضمن بحوثا ألقيت فى ندوة أقامتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بالاشتراك مع المجلس الأعلى للثقافة فى يناير عام ٢٠٠٨م بمناسبة مرور تسعين عاما على مولد جمال عبد الناصر بعنوان «جمال عبد الناصر وعصره من عام ١٩١٨م إلى عام ١٩٧٠م».

وجمال عبد الناصر شخصية من أهم الشخصيات فى تاريخنا الحديث والمعاصر، وهو شخصية قيادية من طراز فريد. وقد ساهم فى بناء مصر المعاصرة بإصلاحاته الاجتماعية والاقتصادية وقضائه على الإقطاع وسيطرة رأس المال على الحكم، وهو الذى تحقق على يديه جلاء الإنجليز عن مصر، وهو بطل الإنجازات الكبيرة مثل تأميم قناة السويس وبناء السد العالى، ومساندة حركات التحرير فى العالم، وإعادة بناء الجيش بعد حرب ١٩٦٧م، وحرب الاستنزاف التى كانت مقدمة لحرب ١٩٧٣م.

لكن جمال عبد الناصر من ناحية أخرى يتحمل مسئولية إخفاقين كبيرين حدثا فى عهده:

أولهما: هزيمة ١٩٦٧م التى مكنت إسرائيل من احتلال فلسطين جميعها إضافة إلى احتلال أجزاء من مصر وسوريا والأردن والتى مازالت الأمة العربية تعانى من توابع تلك الهزيمة حتى الآن.

ثانيهما: عدم إنجاز أحد أهداف ثورة ٢٣ يوليو وهو إقامة حياة ديمقراطية سليمة.

لذلك فقد حرصت الجمعية على إتاحة الفرصة لعرض ومناقشة كافة الأبحاث التى تتحدث عن وجهى العملة أى إيجابيات عصر عبد الناصر وسلبياته بما له وما عليه، كما حرصت الجمعية على إتاحة الفرصة لطبع جميع الأبحاث التى وردت للجمعية فى هذا الإطار، وهو ما تتطلبه الموضوعية والأمانة العلمية.

وقد كلف مجلس إدارة الجمعية الصديق الأستاذ الدكتور أحمد زكريا الشلق عضو مجلس الإدارة بالإشراف على طباعة هذا الكتاب، فله الشكر الجزيل على ما بذل من جهد فى ترتيب ومراجعة وإخراج هذا الكتاب.

ولعل هذه البحوث تسـهم فى تسـليط الضوء على تلك الشخصية التاريخية الهامة وفى تحليل وتفسـير بعض مـا حفل به عهده من أحـداث ومعارك عديدة، بحيث يسـتطيع المؤرخون فى النهاية أن يقيموا تلك الشخصية البارزة تقييما عادلا وموضوعيا.

وعلى الله التوفيق ومنه وحده العون والسداد،،،،،

المقطم فى أكتوبر ٢٠١٢ م

د.عادل غنيم

الوحدة الإفريقية فى فكر عبد الناصر

د. إبراهيم جلال أحمد
كلية الآداب – جامعة عين شمس

على الرغم من السياسات والمخططات التى بُذلت من أجل اجتثاث مصر من الجسد الإفريقى، والوقوف بالمرصاد أمام سياسة عبد الناصر الإفريقية ومحاولة القضاء عليها، إلا أنه لم يقف عاجزا أمامها بل تصدى لها بكل قوة، والأهم من ذلك أثبت أنها مجرد نظريات مغرضة ومزاعم كاذبة لا تصمد أمام الفحص الجاد للشواهد التاريخية التى أكدت شخصية مصر الإفريقية وعمق علاقاتها بإفريقيا على مر العصور.

ولم يكتف بذلك، بل إنه استطاع – بشهادة أغلب زعماء العالم بصفة عامة وإفريقيا على وجه الخصوص – أن يحتل مكان الصدارة بين قادة التحرير فى عصره، وأن يجسد آمال الشعوب المقهورة فى إفريقيا، ويعبر عن آلامها وآمالها وأمانيها، وأن يغرس فى نفوس الأفارقة مبادئ الحرية ويدعمها، وأن يرد الثقة والكرامة لشعوب إفريقيا التى قهرها الاستعمار وأطبق على أنفاسها قرونا طويلة، وأن يزرع فى كل إفريقى ذلك الإحساس بالعزة والكرامة والكبرياء والفخر، ولذا استحق أن يُلقب بـ «مفجر الثورة الإفريقية» وأن يتبوأ مقدمة صفوف الزعماء الأفارقة الذين دعموا مسيرة الوحدة الإفريقية. وحتى يحقق هدفه المنشود وهو ظهور فكرة الوحدة الإفريقية إلى النور ومن ثم تفعيلها ونجاحها، خاض معارك حامية الوطيس على كافة المستويات والأصعدة.

وفى هذه الدراسة يحاول الباحث الحديث عن الوحدة الإفريقية فى فكر عبد الناصر من خلال الحديث عن الدائرة الإفريقية فى فكره، ومقومات الوحدة الإفريقية من وجهة نظره، وجهوده الداعمة لتلك الوحدة.

أولا: الدائرة الإفريقية فى فكر عبد الناصر:

أكد عبد الناصر على أن سياسته الخاصة بدعم إفريقيا بصفة عامة ومسيرة الوحدة الإفريقية على وجه الخصوص، لم تكن نوعا من الترف والإنفاق البذخى مثلما تصور

البعض[١] خاصة وأنه منذ قيام ثورة يوليو أيقن ضرورة الاهتمام بالقارة الإفريقية وإدراجها ضمن الدوائر الثلاث الخاصة بالسياسة المصرية المصيرية وهى، العربية والإسلامية والإفريقية، وخير دليل على ذلك ما ذكره فى كتاب فلسفة الثورة، حينما تساءل عن إمكانية تجاهل وجود قارة إفريقيا شاء القدر لمصر أن يكون لها نصيب فيها، وشاء أيضا أن يكون فيها صراع مروع حول مستقبلها وهو صراع سوف يؤثر على مصر سواء أرادت أم لم ترد، وأضاف أن مصر لن تستطيع بحال من الأحوال - حتى لو أرادت - أن تقف بمعزل عما يدور بالقارة، من صراع دامٍ مخيف فى أعماق إفريقيا بين خمسة ملايين من البيض ومائتى مليون من الإفريقيين، والسبب فى ذلك، هو أنها فى إفريقيا التى يتطلع شعبها إلى مصر؛ التى تحرس الباب الشمالى للقارة، وتعدها إفريقيا بمثابة المحرك الرئيسى لسياستها بالعالم كله. ولذا فإنها لن تستطيع بحال من الأحوال أن تتخلى عن مسئوليتها فى المعاونة بكل ما تستطيع من أجل نشر الوعى والحضارة والتحرر حتى أعماق القارة؛ ويقصد أقصى مناطقها[٢]. ومن ذلك يتضح أنه أدخل على النظرية الجزئية لإفريقيا - بموجب الموقع الجغرافى والرؤية التاريخية - تعديلات جذرية فى المفهوم والمضمون، وأكثر من هذا، إدخاله هذه النظرية الجزئية ومفهومها فى داخل هذا الإطار القارى ومضمونه الثورى، جعله يتعايش وينمو بداخله، وظهر هذا واقعيا فى مسار علاقاته مع إفريقيا[٣].

وأشار كذلك إلى أن القارة الإفريقية على قدر كبير من الأهمية بالنسبة للسياسة المصرية، لذا كان لابد من دعمها. لأنه من خلالها، يبدأ الأمن القومى المصرى[٤] كما أنها تمثل مجالا استراتيجيا وحيويا بالنسبة لمصر[٥] خاصة إذا أدركنا أن النيل يستمد ماءه من قلبها[٦] وأنه لا توجد دولة مصب تعتمد فى معيشتها عليه مثل مصر[٧] إضافة إلى ذلك وجود مضيق باب المندب الذى قيل عنه أن من يسيطر عليه يمكنه السيطرة على الملاحة فى البحر الأحمر وقناة السويس[٨] وكذلك مواجهة التغلغل الإسرائيلى داخل القارة، حيث ظهرت أهداف إسرائيل فى إفريقيا فى العمل على إنهاء عزلتها والتأثير على الأمن المائى المصرى، وتهديد الملاحة فى البحر الأحمر وإضعاف التأييد الإفريقى للقضايا العربية، ودعم علاقاتها الاقتصادية مع إفريقيا، وتنفيذ السياسات الغربية فيها[٩] وإقامة علاقات دبلوماسية معها للاستفادة من أصواتها فى المجال الدولى[١٠] خاصة فى الوقت الذى اعتبرت فيه إفريقيا

أن قضية الصراع العربى الإسرائيلى خارج نطاق اهتماماتها وتشكل عبئا ثقيلا عليها[١١] والأخطر من ذلك أنها عدت إسرائيل نموذجا يجب الاحتذاء به[١٢] فكان اتجاه مصر نحو القارة فى إطار الصراع العربى الإسرائيلى، وهدفت من ذلك الدعم عزل إسرائيل، ومقاومة تسللها داخل القارة[١٣] لاستكمال حلقات الحصار الاقتصادى الذى فرضته الدول العربية عليها، وتأكيده على أن مصير حركة القومية العربية التى تجمع شعوب الأمة العربية، ترتبط عضويا بنضال القارة الإفريقية[١٤].

ثانيا ـ مقومات الوحدة الإفريقية:

١ ـ المقومات السياسية:

أ ـ القضاء على الاستعمار:

أشار عبد الناصر إلى أن الاستعمار فرض على القارة اسم القارة المظلمة، وحاول أن يطفئ أنوار الحرية وأنوار الأمل فى إفريقيا، وأن هذه القارة بما تحتويه من خيرات كانت بمثابة الحلم السعيد لبريطانيا الاستعمارية، فمن أجله صالحت فرنسا وحالفت بلجيكا، وصانعت إيطاليا و أسبانيا والبرتغال، وخاصمت ألمانيا، ثم جثمت بكل أثقالها على صدور الملايين من أهالى القارة الإفريقية، بين الكاب والقاهرة، وبين ساحل الذهب (غانا) على المحيط وشاطئ القناة على البحر الأحمر. ويتضح من ذلك بصورة جلية، حقيقة التشابك الرهيب والترابط المتين بين الدول الاستعمارية إذا اقتضت هذا مصالحها، وإذا تناقضت مصالحها تصارعت صراعا عنيفا. وقد أكد عبد الناصر أنه لا سبيل لخلاص هذه القارة الإفريقية التى مزقتها الأحقاد الاستعمارية والتهمتها نيرانها، سوى انتفاض هذا المارد الإفريقى واستيقاظه من ثباته العميق ونومته الثقيلة، وأن ينفض عن جسده الأغلال، ويُقسم على استخلاص أرضه المغتصبة واسترداد حريته، واستقلاله بخيرات بلاده، وليس لمن يعترض سبيله غير الموت الزؤام، ولن يتأتى ذلك إلا بتشابك وترابط جبهة الشعوب المكافحة ضد الاستعمار والقضاء عليه[١٥].

ب ـ مناهضة التفرقة العنصرية:

رأى عبد الناصر أن هناك مشكلة كبرى أثرت تأثيرا واضحا فى التكوين النفسى والاجتماعى للأفارقة، وقد أوجد هذه المشكلة الميراث الاستعمارى الثقيل الذى خيم على إفريقيا حتى زادها حدة وتعقيدا وكان يعنى بذلك مشكلة التفرقة العنصرية، تلك المشكلة

التى نظرت إلى كل ذى بشرة سوداء فى القارة الإفريقيـة، وبخاصة جنوب إفريقيا على أنه عبد، عليه كل واجبات العبد لسيده، أو لسادته، وليس له حق واحد من حقوق الوطنيين، لأن الوطنيــين هــم البيض. وعلــى الرغم من أن صاحب الوطن الحقيقى، هو هذا الشــعب الأســود المنبوذ وراء أســوار المدن الصناعية فى المعازل التى صنعها له البيض، فإن شــعب جنوب إفريقيا الفعلى عانى لونا من ألوان الاســتعمار والعنصرية لم يُكتب مثله على شعب غيره من شــعوب الأرض. وقيمة هذه الفقرة، أنها تربط التحرر من الاستعمار بإلغاء التفرقة العنصرية والقضاء عليها، إذ إن التنظيم الاقتصادى للوضع الاستعمارى كان السند القانونى والواقعــى والاقتصادى والسياســى للتفرقة العنصرية فى جنــوب إفريقيا، فمصر لا تهرب فكريــا من مواجهة الواقع، ولا تهرب إلى مشــروعات خياليــة أو مثالية أو أفكار منحرفة. إنها تواجه الحقيقة التى تســتلزم هدم البناء الاســتعمارى فتنهار كل نتائجه وآثاره، ولذا رأى عبد الناصر أن معركة التحرر من الاســتعمار هــى الميدان الحقيقى الفعلى للكفاح ضد التفرقة العنصرية[١٦].

جـ- مقاومة الصهيونيه والتسلل الإسرائيلى:

أشــار عبد الناصر إلى أن المشــكلة الأخــرى التى يجب التخلص منهــا واجتثاثها من جذورها لإقامة الوحدة الإفريقية هى الصهيونيه والمخططات الإســرائيلية فى إفريقيا، وقد تعــززت قناعته بخطر إســرائيل علــى المنطقة عقــب غاراتها على قطاع غــزة فى فبراير ١٩٥٥م، عقابــا علــى رفض مصر الانضمام للأحلاف الغربيــة[١٧] ومنذ ذلك التاريخ أصبح عبــد الناصر العدو الأول للاســتعمار والصهيونيه ومن ثم محاولــة جر مصر إلى حروب مع إسرائيل من أجل إيقاف المد الثورى المصرى[١٨] وكانت مهمة مصر عصيبة فى تلك المرحلة التى سُميت بمرحلة التغلغل والاقتحام الإسرائيلى لإفريقيا والتى ظهرت فى صورة زيارات واسعة قامت بها شخصيات إسرائيلية إلى ليبيريا وغانا ونيجيريا والسنغال وساحل العاج، وأدت جهودها إلى ازدياد شــعبية إســرائيل فى إفريقيا فأنشــأت فى ١٩٥٩م قنصلية فى السنغال وسفارة فى غينيا[١٩] ولذا دعمت مصر دورها فى مؤتمر الدار البيضاء عام ١٩٦١م، حينما لفت عبد الناصر الأنظار إلى أن الصهيونيه الدولية تعد من صور الاســتعمار الجديد، وأن تقديم إسرائيل المعونات للدول الإفريقية التى لا تستطيع العيش دون المعونات الأجنبية إنما كان يعنى أنها مجــرد وســيط للتغلغل الاســتعمارى[٢٠]، كما شــرح حقيقة إســرائيل

وأهمية الجمهورية العربية المتحدة كباب دفاع عن الحدود الشمالية الشرقية لإفريقيا التى يجب على دولها حمايتها[٢١] بعدما تنبهت هذه الدول للدور الذى تقوم به إسرائيل لخدمة الاستعمار الجديد[٢٢]. ونتيجة لهذه الجهود أعرب المؤتمر عن اهتمامه البالغ بالوضع الراهن فى فلسطين، وحذر من خطر التوتر الدولى على ذلك، وأصر على ضرورة حل هذه المشكلة حلا عادلا يتفق مع قرارات الأمم المتحدة وباندونج الخاصة بإعادة حقوق عرب فلسطين الكاملة[٢٣] ودعوة الدول الإفريقية إلى مقاومة هذه السياسة الجديدة التى استخدمها الاستعمار فى زرع قواعد له[٢٤] وقد وقفت الدول الاستعمارية بجانب إسرائيل فى تلك الآونة، وحتى تدعم سياستها وسياسة إسرائيل الصهيونيه حاولت قدر استطاعتها زيادة الصدع الإفريقى الموجود بين الدول المؤيدة لمناقشة المشكلة الفلسطينية والدول المعارضة، والعمل على عزل دول الدار البيضاء نهائيا وذلك من خلال مؤتمر منروفيا فى مايو ١٩٦١م، ومؤتمر لاجوس الذى عُقد فى لاجوس فى الفترة من ٢٥ إلى ٣٠ يناير ١٩٦٢م، وأيد ما اتخذه مؤتمر منروفيا بشأن المشكلة الفلسطينية، أى أن قراراته جاءت فى غير صالح الشعوب العربية[٢٥].

ولقد تضافرت عدة عوامل ساهمت فى دعم النشاط الإسرائيلى فى إفريقيا ومنها، تحكم الدول الغربية فى الجمعية العامة ومجلس الأمن والأمم المتحدة، وسيطرة الصهيونيه على أجهزة الإعلام المختلفة، وأن معظم الدول الإفريقية قد استغلت خلال هذه الفترة، وسعى الدول الإفريقية المستقلة حديثا إلى تثبيت استقلالها السياسى، وحرصها على العلاقة القائمة بينها وبين إسرائيل، واعتبار المشكلة الفلسطينية خارج نطاق قضايا القارة الإفريقية[٢٦]، وغياب الدبلوماسية العربية والإعلام العربى من بلدان القارة الإفريقية، بالإضافة إلى أن الفلسطينيين كانوا لا يزالون يضمدون جراحهم لينتقلوا إلى مرحلة التنظيم السياسى[٢٧] وأن أغلب هذه الدول الإفريقية غير العربية – إن لم تكن كلها – تجهل كل حقائق وتفاصيل القضية الفلسطينية منذ نشأتها فى الأمم المتحدة[٢٨]، نتيجة للسياسة الاستعمارية الصهيونيه التى أدت إلى غفلة حكومات الدول الإفريقية حديثة الاستقلال[٢٩]، إضافة إلى ذلك لعب إسرائيل على الوتر الحساس وهو استقلال الدول الإفريقية حديثا وحاجتها إلى التعاون والمساعدة وفى الوقت نفسه إيجاد أسواق لتصريف منتجاتها والخروج من الخناق الذى تضيقه عليها الدول العربية[٣٠] وصداقة عدد كبير من الدول الإفريقية

والزعماء الأفارقة لإسرائيل[٣١] والذين شعروا بأنهم يمكنهم قبول مساعدات من إسرائيل دون المساس بحريتهم السياسية[٣٢] وشعبها على المستوى الدولى، وإن وجدت هذه الإشارات فإنها لا تتعدى الحديث عن الجوانب الإنسانية للاجئين الفلسطينيين، وذلك بسبب تحكم الدول الغربية فى الجمعية العامة للأمم المتحدة. وسيطرة الصهيونيه العالمية على أجهزة الإعلام المختلفة، وضعف العلاقات العربية الإفريقية وعدم قدرتها على منافسة النشاط الإسرائيلى فى إفريقيا منافسة فعلية، وقد تمثل ذلك فى الضعف النسبى لمؤسسات السياسة الخارجية العربية وعدم تفهم الأولويات فى العمل العربى الإفريقى وضعف وسائل السياسة الخارجية العربية سواء أكانت اقتصادية أو اجتماعية أو إعلامية أو دبلوماسية[٣٣] ومع ذلك فلم يكن بمقدور مصر مجاراة إسرائيل، التى كانت تمتلك طاقات وإمكانات ضخمة وضعتها تحت تصرفها الدول الغربية وخاصة فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية بالاشتراك مع الصهيونيه العالمية[٣٤]. فقد ثبت أن ذلك جاء بدعم مكشوف وتأييد كامل ومساعدة مادية ومعنوية وعلمية وتقنية من الولايات المتحدة[٣٥] لتوسيع برامج إسرائيل فى إفريقيا[٣٦]. ودعمها فى الأمم المتحدة[٣٧] ومساندة طلبات اليهود مساندة فاعلة[٣٨] كما حذت بريطانيا نفس الحذو وسمحت لإسرائيل بإقامة أنشطة اقتصادية فى إفريقيا[٣٩] وأن اعتداء الاستعمار والصهيونيه يعتبر بالنسبة لها اعتداء على الثورة الإفريقية وحركة تصفية الاستعمار[٤٠] وجاءت الحرب لتكشف بجلاء زيف الادعاءات الإسرائيلية وتبرز الأطماع الصهيونيه على حقيقتها وأنها دولة توسعية إمبريالية عنصرية فكانت خطوة قطع العلاقات رد الفعل الطبيعى[٤١].

د- وحدة الكفاح المشترك:

أكد عبد الناصر، أنه لكى يتسنى للأفارقة القضاء على هذه المشكلات الثلاثة المترابطة – الاستعمار والعنصرية والصهيونيه – لابد أن ينظروا إلى أنفسهم على أنهم أخوة وشركاء كفاح، حتى يتسنى لهم القضاء على المشكلات التى يعانون منها ومن ثم السير نحو الوحدة الإفريقية، وخير دليل على إيمانه بهذا النهج أنه ذكر «وليعرف من شاء ومن لم يشأ، أن كل إفريقى أخ وجار، ولكل جار على جاره حق المعونة حتى يستغنى ويأمن ويتحرر، فالإفريقيون أخوة وجيران وهم يتساندون ويتضامنون ويتعاونون ضد الاستعمار الذى ينهب خيراتهم ويحطم أمنهم ويجثم على بلادهم، وأن سياسة مصر لا تنبعث أصلا عن عصبية

دينية أو عصبية جنسية أو مطامع تاريخية حضارية جغرافية. وتكمن أهمية هذه الفقرة فى أنها اعترفت اعترافا صريحا بحقائق الحياة الإفريقية، ففى إفريقيا أديان وأجناس ولغات مختلفة متعددة، ولكل منها مواريث عدوات وصداقات تاريخية، فإذا أرادت مصر أن تخطو خطوة ثورية نحو إفريقيا فى صورة مفهوم شامل وحدوى للقارة فيجب أن توضح بكل جلاء أين تضع وترتب كل علاقاتها مع مناطق القارة ودولها. وهذا واضح فمصر فى الإطار العام تقف مع الثورة ومع التقدم ومع كل إفريقى مهما كان لونه أو دينه أو جنسه أو لغته حتى يصل إلى تحقيق كامل لأهدافه الثورية، وأن مصر لن تتعامل مع الإفريقيين طبقا لنظرة دينية أو عنصرية أو جغرافية، كما أنها لن تستعمل أى علاقة خاصة مع دولة إفريقية أو شعب إفريقى سلاحا خاصا تستفيد منه أو تستغله، إنها رتبت موقفها ونظرتها فى الإطار العام ونسقت صلاتها الخاصة فى داخل هذا الإطار المبنى على المبادئ الإنسانية التقدمية المعاصرة[٤٢]».

هـ- عدم الانحياز والحياد الإيجابى:

أعلن عبد الناصر، أن إفريقيا التى قطعت شوطا كبيرا من كفاحها الوطنى السياسى من أجل الحصول على الاستقلال، وتريد الاتجاه نحو التطوير، وتشعر أن الزمن يسبقها وأنها على هذا الأساس مطالبة بجهود مضاعفة من أجل تحقيق أمانى شعوبها فى الرفاهية، والسياسة المستقلة غير المنحازة، هى طريقها الوحيد للحصول على وسائل العمل السريع، وأشار إلى أن عدم الانحياز هذا يعنى، عدم التورط فى سياسة التكتلات، وأنه يخفف من حدة أى صدام محتمل بين هذه الكتل، وأنها ليست تجارة فى الصراع بين الكتلتين، تستهدف الحصول على أكبر قدر من المزايا من كل منها، ولذا على إفريقيا أن تبذل قصارى جهدها لعدم التورط فى هذا الصراع ومحاولة إزالته، والتنبيه إلى مخاطره، والعمل إيجابيا على تلافيه، ولن يتأتى ذلك إلا بتعاونها ووحدتها[٤٣] كما أكد أن عدم الانحياز بالنسبة لإفريقيا ليست سلبية، تؤدى إلى أن تنأى بإفريقيا عن مشاكل العالم، ولكن يجب عليها أن تُلزم نفسها، بأن تصدر فى كل موقف تتخذها عن نظرة أمينة، لا يقيدها التزام مسبق إلا بالمبادئ التى ترتضيها الشعوب، فى أغلى وثيقة توصلت إليها بتضحياتها، وهى ميثاق الأمم المتحدة؛ ميثاق السلام القائم على العدل. وأشار أيضا، إلى أن عدم الانحياز ليس حيادا. فالحياد، تعبير يستخدم أثناء

الحـــروب فقـــط، أما عدم الانحياز، يعنى أنه ينبغى تقرير السياســة وفقا لما يُعتقد، لا وفقا لما يُرضى هذه الدول أو تلك، وإذا كانت هناك مشكلة، فإن الأفارقة يتخذون قرارا بشـــأنها، وفقا لفهمهم، وطبقـا لوعيهم لتفاصيلها، ولوجه الحـــق فيها، وهذا الوضع هو الذى ينبغى على الأفارقة أن يتخذوه حـيال المشــكلات، وأشـــار أيضا إلى أن عدم الانحياز، ليست حزبا باردة، فالتغييرات التى تطرأ على أوضاع الكتل الدولية لا تؤثر فى سياسة عدم الانحياز، وإنما يبقى لهذه السياسة تعبيرها عن ضمير الإنسانية الملتزم بميثاق الأمم المتحدة ســـواء كانت هناك كتلتان أو ثلاث أو أربع، فموقف عدم الانحياز بالنســـبة للأفارقة والعالم أجمع هو فى صورته النهائية، تجميع من أجل السلام القائم علـــى العدل، وهو صمـــام أمن العالم[٤٤] وأشـــار إلى أن الحياد الإيجابـــى لا يعنى عدم الإســـهام فى كل المواقف التى تتعلق بالحرب والســـلام بل هو المشـــاركة الحقيقية فى جميع قضايا الحرب والســـلام برأى حر نابع عن عقيدة وإيمان وناتج عن دراسة كاملة للموقف وللقضية[٤٥].

و- نزع السلاح والتصدى لسياسة الأحلاف والقواعد:

أشار عبد الناصر إلى أنه يجب على الأفارقة دعم سياسة نزع السلاح والتصدى لسياسة الأحلاف والقواعد، وذلك من خلال المشـــاركة فى ذلك بإزالة القواعد العســـكرية، ووقف التجـــارب على الأســـلحة النووية والتخلـــص من المخزون المكدس منهـــا فى مخازن الدول الكبرى ووضع نظام للرقابة يكفل الطمأنينة والأمن، وكذا المطالبة بتخفيض مســـتمر ودائم فى ميزانيات التســـليح، وعدم اســـتغلال الأراضى الإفريقية فى مثل هذه التجارب[٤٦] وهذا لن يتأتـــى إلا من خلال التصدى لسياســـة الأحلاف العســـكرية التى توجـــه أغراضها إلى الجبهات الداخلية لشعوب تتطلع إلى الثورة على أوضاعها التى يـرثى لها، وتحقق آمالها، أكثـــر منهـــا أدوات لمواجهة العـــدوان الخارجى، وكذا جرى اســـتغلال المعونات والتجارة وسياســـة التكتلات الاقتصادية الاحتكارية، لتكون ســـتارا للســـيطرة على موارد الشعوب الإفريقية، واستنزافها لصالح المستغلين، وعمد الاســـتعمار من خلال هذه السياسة إلى تقسيم أوصال الشـــعوب، وإقامة قواعد فيها، تمزق وحدة الأمة الواحدة، وتضع فى قلبها قاعدة للعدوان، تســـتعملها عنـــد الحاجة، ولجأت هذه الدول إلى اســـتخدام هذه القواعد، للتسلل البعيد المدى[٤٧].

ز ـ الاشتراكية العلمية:

أدرك عبد الناصر من تحليله لعناصر فشل أغلب الثورات ومنها ثورة ١٩١٩م أنها لم تهتم بالثورة الاجتماعية بجانب اهتمامها بإجلاء المستعمر، ولذلك فقد اعتبر الاشتراكية هى السمة الثانية لثورته، فإن كانت السمة الأولى هى الديمقراطية، فإن السمة الثانية هى الاشتراكية التى تترجم كون الثورة عملا تقدميا، واعتبر كلا منهما جناحا للحرية الحقيقية، واختار لمصر ولكافة الشعوب التى تجابه الاستعمار ومنها الإفريقية النظام الاشتراكى كطريق لتحقيق الحرية الاجتماعية تلك التى تضمن تحقيق الكفاية فى الإنتاج والعدالة فى التوزيع، وبالتالى ترفع من مستوى دخل قوى الشعب العاملة التى تقوم بالدفاع عن الثورة وتملى عليها مطالبها وأمانيها، وقد اتخذت مصر اشتراكيتها العلمية التى تريد تطبيقها فى إفريقيا لتشابه الظروف ووحدة الكفاح المشترك بعد تفكير طويل وبعد أن رأت أن الرأسمالية لم تحقق تقدمها إلا على حساب نهب ثروات مستعمراتها وتسخير سكان هذه المستعمرات فى إضافة مزيد من الأرباح إليها. وطالب بأن تكون اشتراكية إفريقيا العلمية – كما تطبقها مصر – من صميم بيئتها وليست اشتراكية مستوردة أو نظاما منقولا من دولة أخرى، تختلف عن الأسس والمبادئ التى لابد وأن تتلائم مع طبيعة المجتمع الإفريقى ودينه وتقاليده وعاداته[٤٨] وأشار إلى أن الاشتراكية المنشودة فى إفريقيا، ليست جمعية خيرية تنبع معاييرها من نزعة الإحسان لدى كل المتبرعين بجهدهم أو بمالهم فيها، وإنما هى فكر وسلوك علمى، ينبع من الحق السياسى والاقتصادى والاجتماعى، لكل إنسان حر يعيش ويعمل فوق تراب وطنه[٤٩].

حـ ـ الحرية السياسية والاجتماعية:

أشار عبد الناصر إلى ضرورة تنفيذ كل هذه السياسات والقضاء على هذه المشكلات حتى يستطيع الأفارقة السير قدما نحو الوحدة الإفريقية، فالحرية السياسية من وجهة نظره يجب أن تسبق الوحدة، لأن مطلب الحرية معناه لأى شعب، أنه يستطيع أن يُعلن رأيه ويُبدى مشيئته، ورأى كذلك، أن مطلب الحريةَ الاجتماعية، لابد أن يسبق ويتأكد، قبل أن يصبح أمل الوحدة قابلا للتحقيق، فمطلب الحرية الاجتماعية معناه لأى شعب أنه يستطيع أن يقرر لنفسه، وأن يسود على مصيره. وأضاف، أن الحرية

السياسية والحرية الاجتماعية مقدمات ضرورية للوحدة، وليس معنى هذا الانتظار حتى يتحقق ذلك كله تماما فى كل وطن، لكى نبدأ الحديث أو العمل من أجل الوحدة، فأهداف النضال متداخلة، تعطى لبعضها، وتأخذ من بعضها، وتعزز إحداها الأخرى، وتتعزز بها(٥٠).

ط ـ دبلوماسية المؤتمرات:

أكد عبد الناصر على ضرورة تفعيل دبلوماسية المؤتمرات والمشاركة فيها بجدية لأنها تمثل من وجهة نظره، أهم الوسائل الفاعلة لطرح وتفنيد المشكلات والقضايا الإفريقية المشتركة فى إطار محفل إفريقى رسمى يضم أكبر عدد من الأفارقة. وتعمل أيضا على إيجاد أهم السبل التى تؤدى إلى تفعيل الوحدة الإفريقية فى كافة المجالات(٥١).

٢ ـ المقومات الاقتصادية:

لم ينس عبد الناصر أهمية الجانب الاقتصادى ودوره فى إقامة الوحدة الاقتصادية، حيث أشار إلى أن الاستعمار عمل على استنزاف خيرات القارة الإفريقية وتسخير اقتصادياتها لخدمة أغراضه وتوجيه معظم ضرباته لتحطيم النظم الاقتصادية فى دولها النامية فهو يعرف تماما أنها نقطة الضعف فى الشعوب المستقلة حديثا والتى عانت منه الكثير(٥٢) ولذا على شعوب القارة الإفريقية أن تنتهج نهج مصر للحاق بركب التنمية الاقتصادية ولترفع من دخلها القومى ومستوى معيشتها رغم كل التحديات التى تواجهها. وتؤمن بأن التنمية هى لب الوجود والتحرير ولذا يجب أن تتم وفق أسلوب علمى. وتعمل كل ما فى وسعها من أجل القضاء على النظام الرأسمالى المجحف بحقوق العدالة الإنسانية، وتقيم على أنقاضه مجتمعا اشتراكيا يقوم هيكله على المساواة والإخاء الإنسانى. وإقامة نقابات عمالية تحقق للعمال والمهنيين مطالبهم وحقوقهم. وكذا إقامة قطاع عام قوى قادر على النهوض والوفاء بمستلزمات الخطة الاقتصادية فى طريق تحرير الثروة الوطنية من الاحتكار المحلى والأجنبى ومن ثم نقل ملكيتها إلى الشعب العامل. وإيمانا منه بأهمية الصناعة كعنصر حيوى فى التطوير، نادى بضرورة الاهتمام بالتصنيع من خلال توفير مطالب الإنتاج واحتياجات الاستهلاك، وأشار إلى ضرورة مواجهة التحديات التى تؤدى إلى وجود الهوة الكبيرة التى تفصل بين إفريقيا والدول المتقدمة

وهى ضرورة تجميع المدخرات الوطنية، واستثمار هذه المدخرات بطرق علمية سليمة، ووضع تخطيط شامل لعملية الإنتاج[٥٣] كما أكد على ضرورة التكامل والتبادل الاقتصادى بين الدول الإفريقية من خلال تبادل المنتجات والخبرات والبرامج والبنوك الاقتصادية المشتركة وإقامة الأسواق الإفريقية المشتركة وغيرها من المرافق الاقتصادية المشتركة. ورأى أن تحرير اقتصاديات الشعوب الإفريقية ودفعها فى الطريق السليم إلى الأهداف القومية من أجل رفاهية الإفريقيين يستلزم قيام تنيسق اقتصادى كامل وتعاون بناء يدعم التضامن السياسى الصادق ويزيد من فاعليات الإجماع الإفريقى على التخلص نهائيا من الاستعمار ومن النفوذ الاستعمارى[٥٤].

٣ ـ المقومات العلمية والثقافية:

أدرك عبد الناصر كذلك أن المعركة مع الاستعمار الجديد، والطريق نحو تحرر إفريقيا والتمهيد للوحدة الإفريقية، لن يكون باستخدام السلاح فقط بل يجب أن يكون من خلال العلم والثقافة، حيث ذكر فى مناسبات كثيرة أن العلم يمنح النضال الوطنى والإفريقى فرصة أعظم للانطلاق ويضمن القدرة على اللحاق بالدول التى سبقت إفريقيا فى هذا المضمار. وقال أيضا أن العلم هو السلاح الحقيقى للثورة، وأكد أهميته وضرورة التسلح به لتعويض أسباب التخلف فى الماضى وتحقيق النصر الكامل على الاستعمار والإمبريالية وذلك حينما قال «إن المعرفة ستكون فى العصر القادم هى القوة الحقيقية هى الحرية الحقيقية وأنتم تعرفون أننا من الناحية السياسية نقاوم احتكار المعرفة ولابد أنكم تتابعون الجهود التى نقوم بها فى الأمم المتحدة ومجالاتها بالاشتراك مع عدد من الدول الإفريقية وغيرها والتى تسير على طريقنا لتقاوم احتكار العلم. إن العلم يتقدم بسرعة مذهلة وعلينا أن نسارع إلى موكبه ونضع لأنفسنا مكانا فى موكبه» وأوصى عبد الناصر الأفارقة بوضع خطة للبحث العلمى كأساس للتقدم فى شتى الميادين. وعبر عن ذلك بقوله «إن الاستقلال العلمى والفنى والثقافى هو البعد الثالث للاستقلالين السياسى والاقتصادى» وأوصاهم كذلك بضرورة إحداث تطوير جذرى فى نظم التعليم. بكسر احتكار التعليم لفئة محدودة من الناس وذلك عن طريق مجانية التعليم ودراسة مناهج التعليم على أسس تتفق مع أخر تطورات العلم الحديث والتصدى للمناهج الاستعمارية التى تعمل على فقد الهوية الإفريقية. كما اهتم بالثقافة كأساس لتوجيه حركة الأمة إذا يتم عن طريقها ممارسة التسلل الفكرى المضاد للثورة

والوحـدة الإفريقية عن طريق تنظيم حملات لإيضاح الحقائق ووضع تخطيط لمكافحة أفكار الاسـتعمار، ووضع خطط تكفل نمو الثقافة الوطنيـة والإفريقية[٥٥] ومن أجل تنفيذ الوحدة الإفريقية، نادى بضرورة التقارب والتبادل الثقافى بين الأفارقة لما فى ذلك من فائدة جمة لهم. ويحدث ذلك من خلال التعارف والتزاور والدراسة بين هذه الدول، وذلك من شأنه أن يدعم الهوية الإفريقية ويساعد على إيجاد حلول لكثير من المشاكل العلمية والفنية والثقافية فى إفريقيا، خاصة وأن هذا العناق العلمى والثقافى بين الأفارقة، سـوف يؤدى إلى التأثير والتأثر واكتساب التجارب والخبرات العلمية والثقافية والتصدى لكافة المخططات الثقافية التـى يقوم بها الاسـتعمار للقضاء على الهوية الثقافيـة الإفريقية. كما ذكر، أنه يجب أن تلتقى ثقافات الشـعوب الإفريقية عند طابعها الإفريقى المميز لها لتكون بدورها فى خدمة العمل الإفريقى الموحد من أجل حياة أفضل[٥٦].

ثالثا ـ جهود عبد الناصر من أجل الوحدة:

ولـدت مصر إفريقية، وفرضت عليهـا الظروف أن تكون صاحبـة النصيب الأكبر فى عملية تحرير أخواتها وشـركائها الأفارقة والأخذ بيدهم[٥٧] ولم يكن ذلك من قبيل التعطف والمـن، بـل لأن مصر على حد قول عبـد الناصر فى إفريقيا، التى كانت مسـرحا لفوران عجيب مثير، حاول الرجل الأبيض الذى مثل عدة دول أوربية تقسـيم خريطتها، ولذا لن تسـتطيع بحال من الأحوال أن تقف مكتوفة الأيدى أمام الذى يجرى فى إفريقيا وتتصور أنه لا يمسها ولا يعنيها. فمساندة إفريقيا ككل هو البداية الأولى للوحدة الإفريقية الفعلية، ولذا رأى عبد الناصر مسئولية مصر فى معاونة الأفارقة بكل ما تستطيع من أجل استقلالها ومن ثم نشر النور والحضارة فى ربوعها وتنفيذ الوحدة الإفريقية[٥٨].

أ ـ تقرير المصير:

انطلاقـا من مبادئ ثورة يوليو، أكد عبد الناصر أن مصر ترفض مواريث العلاقات القديمة القائمـة على القهـر أو الغزو أو التبعية وتأخذ بمفهوم أننا فى إفريقيا ولنا معركة مشـتركة، تتمسـك وتؤمن إيمانا صادقا بحق تقرير المصير[٥٩] ولما كان السودان دائما بمثابة الصخرة التى تحطمت عليها كل المفاوضات التى جرت مع بريطانيا وحكومة الثورة، ولذا رأى ضرورة البدء بحل مشكلة السودان أولا وقبل كل شيء[٦٠] ولما لا وقد كان ينعت السودان بالشقيق الحبيب

نظـرا للصلات الوطيدة بينه وبين مصر[٦١] وقـد بادرت مصر فى أكتوبر عام ١٩٥٢م، بإصدار تصريح كشف عن الخير الحقيقى للسودانيين ولـتقطع دابر الدسائس الاستعمارية بصفة عامة والبريطانيـة على وجه الخصوص، وجاء فى هذا البيـان «أن مصر التى تؤمن بالحرية والتى تعتبر السيادة على بلادهم إلى يوم تقرير مصيرهم بأنفسهم[٦٢] وإذا ما قرر السودانيون مصيرهم فـى حرية تامة يُحترم قرارهم وأن مصر علـى الدوام ترحب بصداقتها فى أى صورة تختارها عند تقرير المصير وتعمل على التعاون معهم[٦٣]. وقد برهنت مصر بزعامة نجيب وعبد الناصر على صدق إخلاصها للسـودان بأن أعدت مذكرة فى ٣ نوفمبر من العام نفسـه بعثت بها إلى الحكومة البريطانية تبين فيها الوسائل الجدية التى تراها كفيلة بتمكين السودانيين من سيادة بلادهم وتهيئة الفرص الصالحة للحكم الذات[٦٤]. وجاء فى المذكرة ما يلى:

١ – تؤمن الحكومة المصرية إيمانا وطيدا بحق السودانيين فى تقرير مصيرهم وفى ممارستهم له ممارسة فعلية فى الوقت المناسب وبالضمانات اللازمة.

٢ – رغبة فى بلوغ هذا الهدف تبدأ على الفور فترة انتقال تستهدف غرضين:

(أ) تمكين السودانيين من ممارسة الحكم الذاتى بالكامل.

(ب) تهيئة الجو الحُر المناسب الذى لابد من توافره لتقرير المصير.

٣ – ولـما كانت فـترة الانتقال هى تمهيد لإنهاء الإدارة الثنائية إنهاء فعليا فإن هذه الفترة تعتـبر تصفية لهذه الإدارة وتُعلن الحكومة المصرية أن السـيادة على السـودان يبقى محتفظا بها للسودانيين إبان فترة الانتقال حتى يتم لهم تقرير المصير[٦٥].

وكفلت مصر بذلك كل حقوق السـودانيين فى الإشـراف التام على إدارة بلادهم وجعل كلمتهم هى العليا ثم أصرت على إبعاد كل الاستثناءات التى نص عليها القانون البريطانى المقترح والقضاء على الثغرات التى يمكن للاستعمار الدخول منها لعرقلة نمو السودان[٦٦].

وبحلول ١ يناير ١٩٥٣م، نجحت مصر فى عقد اتفاق بين الأحزاب السودانية وسجلته فى وثيقة من من أجل الاسـتعانة به فى مفاوضاتها مع إنجلترا. وفى ٢١ فبراير من العام نفسـه، انتهت مفاوضات مصر مـع إنجلترا وأبرمت اتفاقية السـودان التى كانت بمثابة صفحة جهاد مصرية لتحرير السـودان، واشـتملت على خمس عشرة مادة كلها تهدف إلى تمكين السـودانيين من سيادة بلادهم، وإبعاد البريطانيين عن المراكز التى يمكن أن تعرقل التطور السودانى إذ نصت الاتفاقية على منح السودانيين كافة الحريات والسلطات المطلقة

فى إدارة بلادهم خلال فترة الانتقال وشل سلطات الحاكم العام[٦٧]. وكانت المادة الخامسة مكسبا عظيما للسودانيين إذ اعترفت فيها إنجلترا بوحدة البلاد بعد أن جاهدت مرارا وتكرارا لفصل جنوب السودان عن شماله[٦٨].

وبالفعل كان لعبد الناصر دور مهم فى تنفيذ الاتفاقية وجلاء الجيوش الأجنبية عن البلاد دون تأخير والأكثر من ذلك، تفاوض مع إنجلترا على يوم الجلاء، وتم الاتفاق على ١٣ نوفمبر كآخر يوم لمغادرة قواتها أرض السودان. وفى ٨ يونيو ١٩٥٥م، بدأت المفاوضات بشأن تشكيل اللجنة الدولية التى تشرف على تقرير المصير فى السودان[٦٩] وبحلول ١٤ أغسطس ١٩٥٥م، جاء اقتراح مصر للجانب البريطانى حرصا منها على تجنيب السودان ويلات التسويف والمراوغة البريطانية، إحالة الخلاف حول تشكيل اللجنة إلى البرلمان السودانى. وعلى الرغم من قرار البرلمان إلا أن اللجنة لم تجتمع[٧٠].

وفى مجلس النواب يوم ٢٩ أغسطس من العام نفسه، قُدم اقتراح بأن يكون الاستفتاء الشعبى هو الوسيلة لتقرير مصير السودان. وبادرت الحكومة المصرية بإعلان موقفها ووافقت على قرار البرلمان السودانى، واعتبرت هذه إرادة البلاد وطلب عبد الناصر من إنجلترا الدخول فى مفاوضات لتعديل اتفاقية السودان مما يجعل الاستفتاء الشعبى المباشر الوسيلة لإعلان تقرير مصير السودان[٧١].

وهنا يجب أن ننوه عن مدى أهمية موقف عبد الناصر وهذه الاتفاقية، حيث إنها نقلت السودان من بلد مستعمر إلى بلد حر يخطو نحو الاستقلال عبر مرحلة انتقالية امتدت من ١٩٥٤م إلى نهاية ١٩٥٥م. وكانت تلك الفترة الانتقالية تحمل ملامح السودان المستقبل[٧٢] وبالفعل كان يوم الأحد أول يناير ١٩٥٦م اليوم الرسمى لمولد الجمهورية السودانية، ففى صباح هذا اليوم، توجه أعضاء مجلس السيادة إلى مجلس البرلمان وأقسموا القسم، وجاء هذا القسم إيذانا بانتهاء وظيفة الحاكم العام رسميا وبداية تولى السودانيين بأنفسهم أمر بلادهم. فأصبح السودان منذ ذلك اليوم جمهورية مستقلة ذات أعباء وواجبات، ولم تشعر دولة بسعادة كبرى لا تقل عن سعادة السودانيين باستقلالهم مثلما شعرت مصر[٧٣] وعندما غادرت مصر السودان، تركت أسلحة الجيش الثقيلة هدية لجيش السودان[٧٤]. وحتى يدلل عبد الناصر على سعادته بهذا الحدث العظيم، أرسل خطاب تهنئة إلى الشعب السوداني بهذا اليوم الخالد[٧٥] وهكذا فإن كان عبد الناصر لم يستطع تحقيق الوحدة مع السودان،

إلا أنه نجح فى طرد البريطانيين منه واكتساب صداقة الشعب السودانى[٧٦] وسارع فى عام ١٩٥٨م إلى الاعتراف رسميا بالنظام الجديد فى السودان والذى قام على أساس الثورة السودانية[٧٧].

ب ـ مساندة حركات التحرر الإفريقية:

كان لتأييد عبد الناصر الأثر الفعال فى استقلال المغرب وإعادة محمد الخامس إلى وطنه فى مارس ١٩٥٦م[٧٨] وإلى جانب ذلك أندب «فتحى الديب» لمقابلة ولى العهد الأمير «حسن» فى يونيو من العام نفسه، وقابله الحسن وأظهر إعجابه بعبد الناصر وأطرى على ثورة ١٩٥٢م ودعا لدعم العلاقات بين مصر ومراكش[٧٩] وتوثقت العلاقات. ففى شهر يونيه من العام نفسه، قدم وفد مغربى لمشاركة مصر فى احتفالات الجلاء والاستقلال المصرية وكان على رأس هذا الوفد ولى عهد المغرب وقائد جيشه «الحسن»[٨٠].

أما بالنسبة للدعم المصرى. فقد طالب عبد الناصر. بضرورة استقلال تونس وإنهاء الاحتلال الفرنسى، فاضطرت فرنسا فى عام ١٩٥٥م إلى الاعتراف بالحكم الذاتى[٨١] وحينما حدث الانقسام التونسى فى صفوف الحزب الدستورى الجديد، قام بمحاولة تقريب وجهات النظر بين الاثنين، مما أدى إلى ازدياد شعبيته لدى الشعب التونسى، كما اهتم بدعم القضية التونسية فى المحافل الدولية،. وفى خطاب له فى ٢٦ / ١١/ ١٩٥٨م ذكر «كانت تونس تكافح الاحتلال الفرنسى والاستعمار وكانت الجمهورية العربية المتحدة تجند كل ما يمكن أن تجنده فى سبيل خدمة قضية استقلال تونس.. ولا أريد أن أتكلم عن التفاصيل.. هذا وقت تاريخه مضى ولكنه معروف[٨٢]».

وعلى الرغم من قطع العلاقات السياسية بين مصر وتونس، لكنه لم يتخل عنها[٨٣] وقدم الإمدادات العسكرية لها؛ لصد القوات الفرنسية فى عدوانها على الشعب التونسى، كما طالب مجلس الأمن بجلاء القوات الفرنسية عن الأراضى التونسية وقام بتقديم دعم مادى حوالى ٢٠٠٠٠ جنيه لأسر ضحايا العدوان الفرنسى. وتم جلاء فرنسا فى ديسمبر ١٩٦٣م ودعته الحكومة التونسية لزيارة تونس، فكان الاستقبال الشعبى الحماسى تقديرا لموقف مصر التى كانت أسرع الدول التى اعترفت باستقلال تونس[٨٤].

كما كان لعبد الناصر دور كبير فى دعم الثورة الجزائرية[٨٥] حيث قدم لها العون السياسى والإعلامى والمادى والعسكرى[٨٦]. كما كان لعبد الناصر والصحافة المصرية دور كبير وفاعل

فى مساعدة القضية الجزائرية والتركيز على شرعية النضال الجزائرى والتنديد بأساليب الاستعمار وفضحه أمام العالم(٨٧). وكانت خطاباته، تحوى الكثير من التصريحات عن الثورة الجزائرية، حيث أشار إلى أن مصر بلا مواربة تؤيد حق تقرير المصير للجزائر وتدعو لاستقلالها وتقف وراء ثورتها(٨٨) ولم يتردد لحظة واحدة أمام فكرة التدخل المسلح معهم(٨٩) رغم تعرض مصر للعدوان الثلاثى عام ١٩٥٦م، بسبب مساعدات مصر للجزائر وإمداد الثوار بالسلاح(٩٠). لقد أعطى عبد الناصر أوامره عند اندلاع الثورة بصرف كميات من الأسلحة للثوار الجزائريين وتدريب الطلاب الجزائريين بالقاهرة بمعسكر كوبرى القبة(٩١). وعندما حضر فرحات عباس إلى القاهرة ومعه أحمد فرنسيس وعبد الرحمن كيوان وبرفقتهم أحمد بن بيلا، استقبلهم عبد الناصر فى أول أغسطس من العام نفسه، وأبلغ أعضاء الوفد الجزائرى بموافقته على اعتماد مليون وربع مليون جنيه للإنفاق على احتياجات الكفاح فى كافة المجالات. واستمر الدعم المصرى للجزائر خلال عامى ١٩٥٧م، ١٩٥٨م بالأسلحة وتدريب الفتيات على تعلم العربية وجمع التبرعات المالية(٩٢). وأكد عبد الناصر فى لقائه مع فرحات فى ٦ فبراير من العام نفسه، على أن المعونات مستمرة وسُلمت دفعة جديدة فى الرابع من مايو ١٩٥٩م (٩٣) ولم تقف مساندة ناصر لشعب الجزائر عند حد الاستقلال(٩٤) والدليل على ذلك أنه أرسل إليها قوات من الجيش المصرى فى نوفمبر ١٩٦٣م لمشاركة جيشها وشعبها فى حمايتها من المصادمات والتحرشات العسكرية المغربية على حدودها(٩٥). وفى ٤ مايو من العام نفسه، زار الجزائر، وأيد بن بيلا وتوافدت الجماهير لملاقاته. وأعدت السلطات الجزائرية الساحة الكبرى بالعاصمة ليلتقى فيها بالشعب الجزائرى الذى احتفى به بصورة طيبة(٩٦).

ودعما لثورة ليبيا ١٩٦٩م، نجده يأمر قائد أركانه بتهدئة حرب الاستنزاف على القناة وإرسال لواء مدرع ومدرعتين وبعض الغواصات إلى مرسى مطروح لصد أى محاولة تضرب الثورة الليبية وتحاول إعادة الملك إلى السلطة(٩٧). وهذا الإجراء يوضح لنا كيف كان حرصه على تلك الثورة الوليدة من أن يتم القضاء عليها فى مهدها تحت النفوذ المباشر لإحدى القوى العظمى نتيجة هذا الإخفاق.

وقد أوفد إلى ليبيا مع بدء الاتصال بين البلدين ممثلا لمصر فى ليبيا أمام الثورة هو «فتحى الديب» الذى كان خير معين لرجال الثورة الليبية. ورافقه عدد من أصحاب الخبرات المصرية فى كافة المجالات ومنهم الإعلامى «أمين بسيونى» ليقوم بالمعاونة فى إعادة الروح الطبيعية للإذاعة الليبية حتى يتم التخفيف من قلق المواطنين وتوترهم،

وفى المجال الدبلوماسى، طلبت ليبيا منه أن يساعدها عن طريق سفرائه فى معرفة نوايا الدول تجاه الثورة فى الوقت الذى انقطعت فيه الصلات مع السفارات الليبية[٩٨]. وقدم عبد الناصرالمشورة بنفسه لقائد الثورة عبر لقاءاتهما، حيث نصحه بعدم التعجل فى تأميم البترول أو إلغاء اتفاقيات القواعد العسكرية الأجنبية، وتأجيل فكرة الوحدة بين البلدين إلى حين، وتدعيما للثورة الليبية، جاءت زيارة عبد الناصر لليبيا والتى وصفها البعض بأن ليبيا خرجت كلها لاستقبال الرئيس عبد الناصر[٩٩].

وأعلن عبد الناصر مساندته للقوى الوطنية فى الصومال من أجل الاحتفاظ بمقومات الشخصية الصومالية بجذورها العربية الإسلامية ووحدة أراضيها، وبحلول عام ١٩٥٥م، أراد عبد الرشيد شرماركى، أن ينشئ جيشا ليصد به تحرشات إثيوبيا، وقام بجولة فى أوربا ولم ترد أى دولة مساندته، فأتى إلى مصر لمقابلة عبد الناصر، وقال عنها «كانت نقطة تحول فى تاريخنا، فقد قرر عبد الناصر أن يعطينا السلاح.. بل وقال إننا سوف نتقاسم ما نملك وكان عند كلمته»، وقامت علاقة وثيقة بين الجيش المصرى والجيش الصومالى منذ ذلك الحين، وحتى يدعم الصومال، سارع فى تلبية جميع المطالب التى طُلبت منه، ليسهم بفاعلية فى إعداد جيل من الشباب المثقف الواعى وتأهيله للاضطلاع بشئون البلاد، وكان كل ما يهمه آنذاك، هو أن يرى الصومال فى مكانة مرموقة فى هذا الركن المهم من قارة إفريقيا، وأن يصبح مصدر إشعاع النور والثقافة العربية الإسلامية بين شعوب تلك المنطقة[١٠٠]، وعلى أثر تحرر إقليمين عام ١٩٦٠م، قام الشعب الصومالى باحتفالات كبيرة، ومما هو جدير بالذكر، أن الدكتور «محمد حسن» مندوب الجمهورية العربية المتحدة بالمجلس الاستشارى، عندما سُئل فى اجتماع لجنة الوصايا بالأمم المتحدة لبحث موعد الاستقلال، قال «إن الصومال يستحق الاستقلال منذ خُلق أهله أحرارا ولا يمكن أن يستعبدهم أحد، وفى سبيل ذلك نضحى بكل غال وثمين دفاعا عن الصومال[١٠١].

وفى أكتوبر ١٩٦١م، أثناء زيارة الرئيس الصومالى بالقاهرة، نزل بمقر حكومة الجمهورية العربية المتحدة وأقام عبد الناصر مأدبة تكريما له، وتبادل الرئيسان وجهات النظر فى عدد من القضايا، ثم رافق عبد الناصر الرئيس الصومالى حتى مطار القاهرة[١٠٢].

ومما يدل على أهمية ثورة يوليو المصرية فى الفكر السياسى الصومالى، أنه عندما قامت الثورة الصومالية بقيادة «سياد برى»، أعلنت على لسان قائدها «إن ثورة الصومال ابنة شرعية ورشيدة ووفية لثورة ٢٣ يوليو وفكر عبد الناصر الثورى»[١٠٣].

كمــا كان موقــف عبد الناصر من قضية إريتريا واضحا منذ إعلان الكفاح المســلح حيث تضامــن مع هــذه القضية، وفتح مكتبا للإريتريين بالقاهــرة، وهيأ لهم هذا الوضع الجديد إعلان قيام جبهة تحرير إريتريا من القاهرة عام ١٩٦٠م(١٠٤).

أما بالنسبة لكينيا، عندما عُقد مؤتمر القمة الإفريقى الثانى بالقاهرة عام ١٩٦٤م، صرح عبد الناصر بأن مصر على اســتعداد للتعاون العســكرى مع كينيا وفى أثناء مغادرة كينياتا لمطــار القاهرة عائــدا، تحدث إلى عبد الناصــر، وصرح له أنه يريــد التخلص من القوات البريطانية الموجودة فى كينيا ويريد مساندة مصر لكينيا ومساعداتها فى بناء الجيش الكينى الوطنــى(١٠٥). وبالفعل كلف عبــد الناصر، «محمد فايق» بالســفر إلى نيروبى، وتم الاتفاق أثناء الزيارة على تدريب كتيبة مظلات وإرســال خبراء عسكريين مصريين لتدريب الجيش الكينــى بعد التخلص من الضباط الإنجليز، وإرســال أعداد مــن الضباط الكينيين للتدريب فى مصر،وحتى ندلل على أهمية مصر فى عهد عبد الناصر بالنســبة لكينيا وإفريقيا بصفة عامة، ما ذكره كينياتا فى حق عبد الناصر حينما قال «سنظل نذكر ناصر دائما أن مساندته لإفريقيا حررت الكثير من دولها»(١٠٦).

وحينما طلب الرئيس الأوغندى «ميلتون أوبوتى» مســاعدة مصر ضد ثوار الكونغو الذين نزحوا على الحدود الأوغندية بقيادة تشــومبى عام ١٩٦٥م، جاء قرار عبد الناصر بالموافقة على إرســال نصف ســرب من الطائــرات الميراج ١٧ تنقلها الطائــرات إلى أوغندا، وطلب معرفــة باقــى الترتيبات والتفاصيل، ولكن مضت مدة طويلــة لم يحدد أوبوتى تاريخا، ثم قام الســفير المصرى فى أوغندا بإبلاغ مصــر بأن العدوان على الحدود الأوغندية قد توقف تماما. ومما لا شك فيه، أن الاستجابة السريعة من جانب عبد لناصر، وتسريب أخبار هذه الاستجابة، كانت بمثابة السبب المباشر فى وقف العدوان على حدود أوغندا دون أن يرضخ أوبوتى لتهديدات تشومبى(١٠٧).

أما موزمبيق، فقد فتحت مصر مكتبا للاتحاد الديمقراطى الوطنى لموزمبيق، ونشط فى مصر ممثلو الحركات الوطنية الموزمبيقية سياسيا وإعلاميا، وأقاموا المؤتمرات وعقدوا الندوات واتصلوا بالهيئات السياسية والإعلام المصرى، وقامت مصر بتدريب جيش موزمبيق الوطنى(١٠٨).

أمــا النســبة لأنجولا، فقد اتخذ عبد الناصر موقفا متشــددا ضد الاســتعمار البرتغالى، واشترك مع دول أخرى فى تقديم مشروع قرار يدعو البرتغال إلى النظر بصفة عاجلة لاتخاذ

الإجراءات ضد أسلوب التعسف الذى تتبعه فى مستعمراتها وأهمها أنجولا، ونشرت جريدة الأهرام فى عام ١٩٦٣م مقالا تناول قيام مصر بتدريب نواة جيش أنجولا فى القاهرة. كما رأى عبد الناصر ضرورة دعم الكفاح المسلح للحركة الشعبية لتحرير أنجولا وفتح لها مكتبا بالقاهرة فى أوائل مارس ١٩٦٥م، كما استقبل زعيم الحركة «أوجستيو نيتو». واتبع تقليدا جديدا، حيث كان يدعو حركات التحرر لإرسال مندوبين عنها للتواجد فى الأمم المتحدة فى كل عام أو أن تتكفل مصر بسفرهم وإقامتهم، من أجل عرض قضاياهم. وكان هذا يضفى أهمية خاصة على وفد مصر؛ لأن وجودهم بجانب زعماء حركة التحرر يسهل لمصر فرصة التعبير بصدق عن أمانى الشعوب الإفريقية ومنها أنجولا[١٠٩].

وبالنسبة للكونغو ففى عام ١٩٦٠م، أيد عبد الناصر لومومبا فى أحقيته فى تمثيل الحكومة المركزية لجمهورية الكونغو[١١٠] وحشد أجهزة الدعاية لتوضح كافة أنواع الدعاية لما يقوم به عبد الناصر لمساعدة لومومبا فى الكونغو[١١١] وأدى ذلك بدوره إلى مساهمته فى رحيل الاستعمار البلجيكى، لكن الاستعمار عمد إلى إثارة الاضطرابات بمساندة الحكومة الانفصالية التى قام بها «تشومبى» ضد الحكومة الوطنية برئاسة لومومبا فى يونيه ١٩٦١م، ووقف عبد الناصر إلى جانب الشعب الكونغولى فى سبيل الاحتفاظ باستقلال بلاده والقضاء على هذه المؤامرة الاستعمارية[١١٢].

كما ظهر دعم عبد الناصر لبوروندى، حينما مدتها مصر بكمية من الأسلحة الصغيرة وعدد من الحاملات، وكان ذلك فى أعقاب إعلان الجمهورية فى بوروندى بعد الإطاحة بالنظام الملكى هناك. وبهذا كان عبد الناصر يشجعها، ومتنبها إلى خطورة سباق التسلح فى إفريقيا، ويعمل على احتواء المشاكل التى تنشأ بين هذه الدول[١١٣].

وبالنسبة لجمهورية وسط إفريقيا، حينما نادى زعماؤها بحل اتحاد وسط إفريقيا وراح زعيمهم «كاوندا» يجوب القارة بحثا عن مساندة لحركته، بادر عبد الناصر باستقباله واتفق معه على مقاومة الاتحاد الذى يُفرض على أهلها من الخارج[١١٤].

إذا تحدثنا عن علاقة عبد الناصر بغانا، فإن هذه العلاقة كان يغلب عليها الرغبة فى التعاون الصادق الصريح بينهما، فقد أرسلت مصر وفدها برئاسة وزير خارجيتها إلى مؤتمر أكرا الذى عُقد فى ١٥ أبريل ١٩٥٨م، وفى المقابل كانت مصر من أوائل البلدان التى زارها نكروما بمجرد إعلان استقلال غانا، فلقد زار نكروما مصر فى ١٥ يونيو ١٩٥٨م، وسعد عبد الناصر

كثيرا بهذه الزيارة، لأنه كان يعتبر نكروما ممثل الزعامة الوطنية التى كافحت من أجل استقلال بلادها فحصلت على هذا الاستقلال. وقال عبد الناصر عن كفاح غانا، إنه مثل تعتز به إفريقيا، وأن نكروما هو البطل القومى الذى كافح فى سبيل استقلال بلاده[١١٥].

أما عن سياسة عبد الناصر تجاه غينيا، فيجب أن نشير إلى أن العلاقة بين سيكوتورى وعبد الناصر، كانت طيبة للغاية، حيث يقول سيكوتورى عن عبد الناصر «إننا ندرك المسئولية الكبرى التى يتحملها الزعيم الوطنى «جمال عبد الناصر» كما نُقدر شجاعته وإصراره وذكاءه النبيل وخلقه المتين وبساطته وحكمته، تلك هى الصفات اللازمة لإقامة تنظيم كامل لإدارة العمل الثورى للشعب العربى الذى يتجه بكل ثبات وإدراك إلى مستقبل أحسن. إن القائد جمال عبد الناصر، استطاع بكفاحه وصبره وبساطته وإيمانه أن يغزو كل الميادين وأن يثبته إيمانه ومبادئه فى كل النفوس، فهو لم يتردد أن يقول وما يعتقد فى كل مجال دولى وغير دولى... إن جمال عبد الناصر زعيم عالمى»[١١٦].

وقد ساند عبد ناصر أيضا، استقلال نيجيريا، وأوفدت الجمهورية العربية المتحدة بعثة شرف وصداقة إلى نيجيريا لحضور الاحتفالات التى أقيمت فى لاجوس يوم ١٦ نوفمبر من العام نفسه بمناسبة تنصيب «إزيكيوى» حاكم عام لنيجيريا، وحمل «كمال السيد» رئيس بعثة الشرف رسائل شخصية لإزيكيوى والحاج «أبو بكر» وكذلك حمل إليهما دعوة لزيارة الجمهورية العربية المتحدة ووعدوا جميعا بتلبية الدعوة فى أقرب فرصة. وفى هذا المقام، قال كمال السيد «يشرفنى أن الرئيس عبد الناصر أرسلنى على رأس الوفد لأقدم لكم التهنئة بهذا المنصب العظيم راجيا لكم وللشعب النيجيرى كل نجاح وتقدم وازدهار وإننا نأمل أن تقوم بيننا علاقات اقتصادية وثقافية لتدعيم علاقات الصداقة بين البلدين «ورد إزيكيوى بأنه سعيد بوجودهم، وأنهم يتابعون أنباء الرئيس جمال عبد الناصر بكل اهتمام ونحن نكن له كل الاحترام والتقدير ونحن فخورون بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر من أجل تحرير الشعوب الإفريقية المستعمرة وأرجو أن تعبروا له عن حبنا وعن العلاقات الطيبة التى نأمل أن تقوم بين بلدينا وأن تتضافر جهودنا من أجل تحقيق حرية الشعوب الإفريقية[١١٧].

أما بالنسبة للنيجر فليس من شك فى أن زيارة الحاج «هامانى ديورى» رئيس النيجر دليل آخر على الرغبة الصادقة فى استجابة شعب النيجر للروابط التاريخية القديمة ودعمها بعد أن عزله الاستعمار الفرنسى سنوات طويلة عن بقية شعوب القارة وخاصة شعب الجمهورية

العربية المتحدة. وخلال هذه الزيارة ندد الرئيسان بالسياسة التى لا زالت تنتهجها الدول الاستعمارية وتأييدهما المطلق لكافة الشعوب المستعمرة التى تكافح من أجل حقوقها المشروعة[١١٨].

بالنسبة للكاميرون، فقد أيد عبد الناصر كفاح شعبه عند انعقاد مؤتمر تضامن الشعوب الإفريقية الأسيوية بالقاهرة عام ١٩٥٧م، وطالب بجلاء القوات الأجنبية عن أراضيه وتحقيق وحدة بلاده وعدم الاعتراف بالإجراءات الاستعمارية التى أدت إلى شطر الكاميرون إلى شرق وغرب، وكانت مصر من الدول التى وافقت على ضرورة عرض قضيته على الأمم المتحدة عن طريق وفد إفريقى، ووافقت مصر على إرسال وفد إفريقى إلى نيويورك لحضور الجلسات التى تعقدها الجمعية العامة للأمم المتحدة من ٢٠ فبراير من العام نفسه، وذلك من أجل قدرة الوفد الإفريقى على مناقشة مسألة الكاميرون. وفى الدورة الطارئة لمجلس تضامن الشعوب الإفريقية الأسيوية الذى عُقد يومى ٢١، ٢٢ يناير ١٩٦١م بالقاهرة، اتخذ المجلس القرارات التالية بشأن الكاميرون:

١ – يندد المجلس بتكوين مجموعة من البلاد الإفريقية تُعرف بالمجموعة الفرنسية لاستخدامها كأداة للتخريب والقمع ضد البلاد الإفريقية المستقلة وكعقبة فى طريق الوحدة والاستقلال الذين تتطلع إليهم الشعوب الإفريقية وخاصة الجزائر والكونغو والكاميرون.

٢ – يندد بمصادرة الحريات الديمقراطية فى بلاد المجموعة ويندد بالسياسة الفاشستية التى تنتهجها حكومة العملاء بالسنغال التى قامت بحل حزب الاستقلال الإفريقى وسجنت زعيمه «ماجمونت ديوب» ممثل حركة التضامن الإفريقى الآسيوى فى غرب إفريقيا[١١٩].

وإذا تحدثنا عن سياسة عبد الناصر تجاه جنوب غرب إفريقيا «ناميبيا»، نجد أنه وقف بالمرصاد لسياسة جنوب إفريقيا الرامية إلى ضم ناميبيا نهائيا،وكانت عصبة الأمم قد أوكلت لبريطانيا الانتداب عليه، ثم أوكلت بريطانيا إلى اتحاد جنوب إفريقيا هذا الأمر. ودعم عبد الناصر أيضا قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٦٦م بإنهاء انتداب جنوب إفريقيا عليها؛ لأنها أخفقت فى أداء واجبها المقدس فى تأمين رفاهية الشعب ماديا ومعنويا[١٢٠].

وأصبح مجلس الأمم المتحدة المكون من ٢٣١ عضوا هو المختص بإدارة الإقليم، واعترفت الجمعية العامة بمنظمة شعب جنوب غرب إفريقيا «سوابو» باعتبارها المثل الشرعى للشعب الناميبى. واعترف عبد الناصر بالمنظمة، وقد أعطتها الأمم المتحدة حق التمتع

بمركز مراقب دائم فى الجمعية العامة، وظل عبد الناصر يساند قضية شعب ناميبيا وحقوقه المشروعة فى بلاده واحتفلت مصر بيوم ناميبيا تدعيما لحقوق هذا الشعب الإفريقى[١٢١] وظل ناصر يساند نضال هذه الحركة حتى وفاته عام ١٩٧٠م[١٢٢].

جـ- مقاومة التفرقة العنصرية:

كان موقف عبد الناصر بارزا فى قضية روديسيا الجنوبية «زيمبابوى» ومحاولات الأقلية البيضاء السيطرة الكاملة على مقاليد الأمور فى البلاد وتوسيع نطاق القوانين العنصرية بها، فقد أثار مع بقية الدول الإفريقية والأسيوية الوضع فى روديسيا خلال مناقشات الجمعية العامة عن الاستعمار خاصة أثر إنشاء اتحاد روديسيا ونياسالاند عام ١٩٥٣م[١٢٣].

وفى مؤتمر القمة الإفريقى الثانى الذى عقد فى القاهرة من ١٧ – ٢١ يوليو ١٩٦٤م، أكد عبد الناصر فى كلمته مسئولية بريطانيا إزاء تدهور الموقف فى روديسيا وذلك لعدم اتخاذها الإجراءات الكفيلة بوقف سيطرة الأقلية البيضاء وعمل الترتيبات اللازمة لمنح شعب روديسيا الاستقلال تحت ظل حكم الأغلبية وفى حين انشغال إنجلترا باتخاذ إجراءات عنيفة فى عدن للقضاء على الوطنيين يستمر الحوار بينها وبين حكومة الأقلية فى روديسيا دون أن تتخذ بريطانيا إجراءات رادعة ضد هذه الحكومة، كما أشار إلى تحالف الأقلية فى روديسيا مع حكومة جنوب إفريقيا والبرتغال. ومع افتتاح دورة الانعقاد الثالث لمجلس الأمة فى ٢٥ نوفمبر ١٩٦٥م قال «إن مشكلة روديسيا ليست بعيدة عنا بل قد نكون نحن أقرب إلى إخواننا الإفريقيين إلى فهم طبيعتهم فهى فى صميم الأمر تكرار لمؤامرة إسرائيل، بمعنى أقلية غربية تدعى لنفسها – عنصريا – حقا فى وطن شعب آخر وتحت ظل الاستعمار تتقدم لتمسك بمفاتيح الثروة الوطنية والسلطة الفعلية ثم تفرض بالقوة سيطرتها إلى حد إعلان استقلال مزعوم، ويتظاهر الاستعمار بعدم الرضا مع أنه يملك فرصة التغيير ووسائله لكنه فى الواقع شريك فى نفس المخطط العدوانى ومهما يكن التنوع فى توزيع الأدوار هى مؤامرة إسرائيل بحذافيرها وملامحها البشعة تتكرر فى قلب القارة[١٢٤].

وذكر كذلك، أن الاستعمار يحاول أن يحقق فى قلب القارة الإفريقية ما تصورناه قد نجح من قبل فى تحقيقه فى فلسطين، يريد أن تتحكم أقلية أوربية لا تتعدى ٢٢٠٠٠ نسمة فيما يقرب من أربعة ملايين من المواطنين الإفريقيين أصحاب البلاد الحقيقيين ليصبحوا فى النهاية شعبا. لذلك كان طبيعيا أن تقف مصر من هذا المبدأ موقفا حاسما عن فهم ودراية بحقيقة المؤامرة ضد الشعب الروديسى وحقه فى بلاده[١٢٥].

كان رأى عبد الناصر الذى أعلنه فى كل مناسبة وفى كل مؤتمر من مؤتمرات القمة، أن الحكم العنصرى فى روديسيا هو:

١ - تدعيم للحلف العنصرى الذى يتمثل فى حكومات روديسيا وجنوب إفريقيا والبرتغال للوقوف فى وجه التيار التحررى القادم من شمال إفريقيا.

٢ - تهديد خطير للدول الإفريقية المجاورة المستقلة وإعاقة للحركات التحررية فى كل من موزمبيق وأنجولا.

٣ - إقامة نقاط ارتكاز للإمبريالية الغربية لتمكينها من استنزاف خيرات وموارد القارة الإفريقية.

٤ - وجه من أوجه الاستعمار فى إفريقيا يشبه كل الشبه الاستعمار الصهيونى فى فلسطين فى أسلوبه وطريقته وأهدافه.

ولذا فقد طالب، باتخاذ الوسائل الفاعلة لإنهاء حكم الأقلية العنصرية فى روديسيا قبل أن يستفحل الأمر وتصل القضية إلى درجة يصعب علاجها، ولفتت نظر الدول الإفريقية والدول الأخرى فى هيئة الأمم إلى الدروس المستوحاة من قضية فلسطين والتى تتمثل فصولها بنفس الطريقة وبنفس الأسلوب تقريبا فى قلب القارة الإفريقية، وكان موقف مصر من قضية روديسيا فى جميع أطوارها مبنيا على فهم كامل للقضية وإدراك نتائجها المحتملة[١٢٦].

وفى ١٧ ديسمبر من العام نفسه، قرر عبد الناصر قطع علاقاته السياسية ببريطانيا تنفيذا لقرار المجلس الوزارى لمنظمة الوحدة الإفريقية وتعبيرا عن احتجاجه بعدم قيام بريطانيا بالتزاماتها تجاه الشعب الإفريقى فى روديسيا، ومنعت مصر السفن التى تحمل بضائع من روديسيا أو إليها من المرور فى قناة السويس، مما اضطر روديسيا لاستخدام موانى «بيرا» و«لورانزو ماركيز» بالاتفاق مع البرتغال فى حركة التصدير والاستيراد[١٢٧].

وظل عبد الناصر يساند حق الشعب الروديسى فى أن يتمتع بخيرات بلاده وأن يقيم حكومة وطنية، وأن تلغى القوانين العنصرية والسياسية التى تتبعها حكومة الأقلية البيضاء، والأكثر من ذلك، عمل على التوفيق بين حزب الاتحاد الوطنى الإفريقى «زانو» وحزب اتحاد شعب زيمبابوى «زابو»[١٢٨].

ولا ننسى دور الإذاعة المصرية حيث قامت ببث إذاعة بلغة الزولو بدأت فى إرسالها عام ١٩٦٥م للمتحدثين بهذه اللغة فى جنوب إفريقيا وساعدت من خلالها الشعوب المكافحة فى سبيل حريتها[١٢٩]. وهكذا نظر عبد الناصر إلى هذه القضية على أنها مشكلة خطيرة

تهم الشعوب الإفريقية المتحررة كلها فيلزم أن تواجهها دول منظمة الوحدة الإفريقية بقوة وصلابة حتى تتحمل بريطانيا مسئوليتها والتزاماتها تجاه الشعب الإفريقي في روديسيا الذى سلمته لقمة سائغة للرأسماليين الجشعين ليستنزفوا خيراته وجهوده وحتى تتحمل دول العالم كلها الأعضاء فى هيئة الأمم ما تمليه عليها ميثاقها من تبعات تجاه هذا الوضع الخطير الذى يهدد السلام والأمن الدوليين[١٣٠].

أما بالنسبة لجنوب إفريقيا، فقد صور عبد الناصر الوضع فى جنوب إفريقيا بأنه أعقد المشاكل السياسية فى العالم، حيث قال عن هذا الوضع «إن شعب جنوب إفريقيا يعانى لونا من الاستعمار لم يُكتب مثله على شعب غيره من شعوب الأرض ولكنه قد استيقظ وأقسم أن يظفر بحريته ولابد أن يظفر بحريته، بلاد كان يعيش فيها أهلها كما يعيش أهل كل وطن فى وطنهم ثم اكتشف أوربى أفاق منذ قرون أن فى أرضهم خصبا وفى مناجمهم ذهبا فطمع فى غلة الأرض وفى ذهب المناجم، ودافع الوطنيون عن وطنهم بكل ما فى وسعهم من جهد حتى استسلموا». وأمام هذه الحقائق دافع عبد الناصر منذ الأيام الأولى للثورة عن حقيقة الأوضاع فى جنوب إفريقيا، جنة البيض وجحيم الملونين، حيث أعلن فى قوة وصراحة موقف مصر من هذه القضية حيث ذكر، أنه لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يُحكم ٢٠٠ مليون إفريقى عن طريق ٥ مليون.. ٢٠٠ مليون محرومون من حريتهم واستقلالهم ومن حقهم الحياة بل أكثر من يعانون من التفرقة العنصرية[١٣١].

ومنذ مؤتمر باندونج ١٩٥٥م، شدد عبد الناصر على ضرورة التنديد بسياسة التفرقة العنصرية، كما ظهر اهتمامه الواضح بشأن سياسة التفرقة العنصرية فى مؤتمر التضامن الأفرو آسيوى الذى عُقد خلال الفترة من ديسمبر ١٩٥٧م ويناير ١٩٥٨م، حيث أقنعت مصر الحضور بتبنى قرار ضد التفرقة العنصرية ومناشدة كل الدول للقيام بضغط للتأثير على حكومة جنوب إفريقيا لإلغاء التفرقة العنصرية، كما ظهر اهتمام مصر بمشكلة التفرقة العنصرية فى جنوب إفريقيا بصورة جلية فى مؤتمر أكرا عام ١٩٥٨م، حينما طالبت باعتبار التفرقة العنصرية فى جنوب أفريقيا تهديدا لاستقرار السلام، ودعت إلى ضرورة إصدار المؤتمر قرارا يدعو فيه حكومات العالم إلى الامتناع عن الاستمرار فى دعم اقتصاد جنوب إفريقيا[١٣٢]. كما وقف عبد الناصر بجانب حركة التحرر فيها، ومنح حق اللجوء السياسى للاجئين وأوت مصر الفارين من النظام العنصرى، فلجأ إليها العديد من المناضلين

الأفارقة منهم «ماكسيواني»، أحد زعماء المؤتمر الوطنى الإفريقى الذى لجأ إلى القاهرة عام ١٩٥٩م[١٣٣] وبعد مذبحة شاربفيل، التى اندلعت عام ١٩٦٠م، أعلنت مصر قطع علاقاتها الدبلوماسية مع جنوب إفريقيا كمبادرة مصرية لإقرار ما يجب أن يكون قائما بين دول القارة[١٣٤] واستقبلت فى عام ١٩٦١م «أوليفر تامبو» نائب رئيس المؤتمر الوطنى الإفريقى وثلاثة من أعضاء حزبه، ورئيس حزب المؤتمر الهندى لجنوب إفريقيا[١٣٥]. كما أنها افتتحت فى العام نفسه، مكتبا سياسيا بالقاهرة لكل من حزب مؤتمر الوطنى ومؤتمر الجامعة الإفريقية، بالإضافة إلى نفقات تنقلات الأعضاء، ومنح رواتب شهرية فى سبيل الدفاع عن قضايا بلادهم[١٣٦].

وبحلول ٢٣ ديسمبر ١٩٦٣م، أعلنت مصر المقاطعة الاقتصادية لجنوب إفريقيا وتأكد بذلك صدور القرار الجمهورى رقم ١٠٦٦ لسنة ١٩٦٤م بتأكيد المقاطعة الكاملة لجنوب إفريقيا، بالإضافة إلى ذلك مقاطعة جميع المؤتمرات التى تحضرها وفود من جنوب إفريقيا وإغلاق جميع الموانئ البحرية والجوية المصرية فى وجه سفن وطائرات جنوب إفريقيا[١٣٧]. وفى ٢٧ أبريل ١٩٦٤م، تقدمت مصر مع ٥٧ دولة إفريقية وآسيوية بطلب لعقد اجتماع طارئ لمجلس الأمن لبحث الموقف المتفجر فى جنوب إفريقيا، وأصدر المجلس قرار بإدانة حكومة جنوب إفريقيا لسياستها العنصرية[١٣٨] وفى عام ١٩٦٥م، أذاعت السكرتارية العامة للأمم المتحدة بيان أشارت فيه إلى أن ١٠٥ دولة من بينهم مصر اتخذت تدابير ضد حكومة جنوب إفريقيا العنصرية ومن هذه التدابير قطع العلاقات السياسية وإغلاق جميع الموانئ والمطارات فى وجه السفن والطائرات التابعة لجنوب إفريقيا، كما تناولت عقوبات اقتصادية مختلفة ومنع أى شخص يحمل جواز سفر لجنوب إفريقيا من دخول البلاد[١٣٩] كما اشتركت فى العام نفسه مع ٢٣ دولة فى تقديم مشروع الاتفاقية الدولية الخاصة بالقضاء على كافة أشكال التفرقة العنصرية وقعت مصر الاتفاقية فى ٢٢ سبتمبر ١٩٦٦م، وقد أصبحت الاتفاقية سارية المفعول فى مارس ١٩٦٩م، بعد أن اكتمل العدد القانونى للدول المنظمة لها[١٤٠].

د ـ مقاومة الصهيونيه والتسلل الإسرائيلى ونتائجها:

على الرغم من عدم مشاركة عبد الناصر بنفسه فى مؤتمر أكرا ١٩٥٨م، أكد وزير خارجية مصر رؤية عبد الناصر للوجود الإسرائيلى فى إفريقيا ومفادها، أن إسرائيل تعد بمثابة رأس جسر للاستعمار[١٤١] كما قدمت مصر فيه اقتراحا يدعو إلى ضرورة دمج إسرائيل

مـع جنـوب إفريقيا والبرتغال ووصفها بالعنصرية الإمبرياليـة[١٤٢] وقد عبر المؤتمر فى الفقرة رقم ٩ عن شديد قلقه بالنسبة لمشكلة فلسطين، وبحث إيجاد تسوية عادلة لها، وذلك عقب إلحـاح الدول العـربية وبصفة خاصة مصـر من أجـل إدراجها فى جدول أعمـال المؤتمر[١٤٣] كما دعم عبد الناصر دور مصر فى مؤتمر الدار البيضاء عام ١٩٦١م، حينما لفت الأنظار إلى أن الصهيونيه الدولية تعد صورة من صور الاسـتعمار الجديد، وأن تقديم إسـرائيل المعونات للدول الإفريقية التى لا تسـتطيع العيش دون المعونات الأجنبية إنما كان يعنى أنها مجـرد وسيـط للتغلغل الاستعمارى[١٤٤]. كما شرح حقيقة إسرائيل وأهمية الجمهورية العربية المتحدة كباب دفاع عن الحـدود الشـمالية الشـرقية لإفريقيا التى يجب علـى دولها حمايتها[١٤٥] بعدما تنبهت هذه الدول للدور الذى تقوم به إسرائيل لخدمة الاستعمار الجديد[١٤٦]. ونتيجة لهذه الجهود أعرب المؤتمر عن اهتمامه البالغ بالوضع الراهن فى فلسـطين، وحذر من خطر التوتر الدولى على ذلك، وأصر على ضرورة حل هذه المشكلة حلا عادلا يتفق مع قرارات الأمم المتحدة وباندونج الخـاصة بإعـادة حقـوق عرب فلسـطين الكاملة[١٤٧] ودعوة الدول الإفريقية إلى مقاومة هذه السياسـة الجديدة التى اسـتخدمها الاسـتعمار فى زرع قواعد له[١٤٨] ورأى عبد الناصر، أن من أهم أصداء هذا القرار أن إفريقيا قد فتحت عينها على حقيقة إسـرائيل وكشفت مستتر نواياها وأهدافها، فحاولت أن تشكك فى مدى تمسك غانا بقرار الدار البيضاء مما أدى إلى إعلان نكروما بأن قرار الدار البيضاء الذى يتعلق بإسـرائيل يمثل خطا أساسـيا فى سياسـة غانا[١٤٩] كما اسـتمرت جهوده فى دعم الفلسـطينيين، حينمـا عقدت بالقاهرة اجتمـاع وزراء خارجيـة دول قمة الدار البيضاء فى الخامس من مايو ١٩٦١م، وأسـفر ذلك عن صدور قرار وزراء الخارجية بتأييد الحقوق الشـرعية لعرب فلسطين، ورغبتهم فى تنفيذ القرارات الخاصة بفلسطين التى اتخذت فى مؤتمر الدار البيضاء[١٥٠]. ومما دل على أهمية دور عبد الناصر، ما أشار إليه دورو ثيام Doro Thiam، وزير خارجية السنغال الأسبق وفحواه أن الرئيـس العربى ويقصد بـه عبد الناصر قد عرض قضيته بمنتهـى البراعة وقوة التأثير، فقد ربط بين مشـكلة فلسـطين وبين الفكرة العامة المتعلقة بالدفاع عن القارة الإفريقية وتأمين سلامتها، وقد تركت حججه أثرا، إذ أن القرار المتعلق بفلسطين صدر بالإجماع ووقعته حتى تلك الدول الإفريقية التى كان لها حتى فترة انعقاد المؤتمر علاقات وطيدة مع إسرائيل[١٥١].

وفى مؤتمر أديس أبابا ١٩٦٣م تولى عبد الناصر رئاسة أول جلسة وأكد فيها نظريته التى تقدم بها فى مؤتمر الدار البيضاء[١٥٢] والتى اسـتندت إلى أرقام دقيقة أوضحت أن إسرائيل

وهى لا تستطيع العيش إلا فى ظل المساعدات الأجنبية، نراها مع ذلك تقدم مساعدات إلى بعض البلاد الإفريقية، فهى إذا مجرد وسيط للتغلغل الاستعمارى. غير أن مؤتمر أديس أبابا لم يسجل ذلك[١٥٣]، ورغم ذلك بذل عبد الناصر جهودا كبيرة لاستمالة الدول الإفريقية نحو المشكلة الفلسطينية داخل هذا المؤتمر، حتى احتلت مكانا فى جدول أعمال[١٥٤]. وعلى أية حال فقد حسم عبد الناصر هذه القضية عندما أشار إلى أن مشكلة إسرائيل التى تعد أهم المشكلات التى تواجه العالم العربى والإفريقى، لن تُطرح للمناقشة فى هذا الاجتماع، لأن العمل الإفريقى الحر سوف يكشف الحقيقة ويعريها من كل زيف أمام الضمير الأفريقى[١٥٥].

وحينما احتضنت القاهرة مؤتمر رؤساء الدول والحكومات الإفريقية من ١٧ - ٢١/٧/١٩٦٤م[١٥٦] أعلن عبد الناصر فى بدايته التصور العربى لذلك الصراع، مؤكدا على أهمية المشكلة الفلسطينية، مشيرا إلى أن إسرائيل طردت أصحاب البلد الأصليين وحولت الأغلبية منهم إلى لاجئين خارج حدود وطنهم، ودعا إلى ضرورة الفهم والتدقيق والدراسة، لأن ذلك هو المفتاح المهم إلى روح الوحدة الإفريقية[١٥٧] وأعلن فى نهاية المؤتمر، ثقته فى قيادات القارة وشعوبها[١٥٨] ونجحت الجهود المصرية فى منع اشتراك إسرائيل فى المؤتمرات الإفريقية سواء الرسمية منها أو الشعبية، تلك التى مكنت القيادات العربية من شرح القضية بكامل أبعادها وكشف حقيقة إسرائيل، وأسفرت هذه الجهود عن مقاطعة وزيرة خارجية إسرائيل عند زيارتها لنيجيريا عام ١٩٦٤م، ومقابلتها بمظاهرات عدائية، كذلك أدى التقارب المصرى مع الكونغو برازفيل إلى زيادة التعاون الاقتصادى والسياسى والفنى بين الكونغو والدول العربية وخاصة مصر والجزائر، مما ترتب عليه إلغاء الكونغو برازافيل للبروتوكول المعقود مع إسرائيل والاستعانة بالخبرات العربية[١٥٩].

ونتيجة لشعور عبد الناصر بمدى الخطورة التى يواجهها الموقف العربى والقارة الإفريقية، نجده فى مؤتمر القمة الإفريقى الذى عقد بالقاهرة فى ٤ أبريل ١٩٦٧م، يؤكد فى خطابه فى الجلسة الافتتاحية على المؤامرة الاستعمارية الرجعية ضد آمال وحقوق شعب الجنوب العربى المحتل الذى يخوض معركة بطولية من أشرف معارك الحرية[١٦٠].

ومنذ الاعتداء الإسرائيلى على مصر فى ٥ يونيو ١٩٦٧م، لجأت مصر إلى منظمة الوحدة الإفريقية وإصدار قرارات فاعلة لإرغام إسرائيل على الجلاء عن المناطق التى احتلتها

بالقــوة مــن أراضى مصر[١٦١]، حيث أبلغت الحكومة المصرية «زياللو بيكلى» ســكرتير عام المنظمة بوقوع العدوان، وطلبت منه إبلاغ المنظمة بذلك[١٦٢]. ونشــطت الدبلوماسية المصرية وتحركت لشــرح حقيقة العدوان وأبعاده للدول الإفريقية – على الرغم من المواقف الســلبية لكثير من هذه الدول –[١٦٣] إلا أن غينيا كانت أولى الدول التى قطعت علاقاتها بإســرائيل فى ٥ يونيو ١٩٦٧م، لأنها أدركت حقيقة هذا الصراع، ووقفت موقفا صريحا فى إدانتها لإسرائيل[١٦٤]. أما بقية الدول الإفريقية التى كانت تتبادل العلاقات الدبلوماسية مع حكومة تــل أبيب، فقد أبقت على هذه العلاقات[١٦٥]. غــير أن ذلك لا ينفى حقيقة وهى أن هــذا العام هو عام بداية انحدار الخط البيانى للعلاقات الأفرو إسرائيلية[١٦٦].

وقــد تم ذلك نتيجة لجهود عبد الناصر التى اســتندت علــى مجموعتين من المتغيرات أثرت ســلبا على العلاقات الإفريقية الإســرائيلية، وكانت المجموعة الأولى مرتبطة بتزايد اقتناع الأفارقة برسوخ الروابط العربية الإفريقية، وأنه من الصعب اجتثاثها، وأن مصالحهم مشــتركة فى أمور ومحددات كثيرة. أما المجموعة الثانية، فهى افتضاح دعاوى إســرائيل بأنهــا دولــة صديقة حليفة حريصــة على دول إفريقيــا، والتأكيد على أنهــا كانت وراء الحــركات الانفصالية فى إفريقيا. وأن مشــاركتها بمجموعات مــن المرتزقة لصالح جنوب إفريقيا، كانت دائمـا مصاحبة لضرب معاقل حركات التحرير الإفريقية[١٦٧].

وقد أثر وضوح هذه المفاهيم على مســيرة العلاقات الإســرائيلية الإفريقية، فلقد هدمت ادعاءات إســرائيل بأنهــا صديقة للأفارقة، كما أوضحت صــورة مصر بجلاء والتى حاول الاستعمــار وإسرائيل طمسها طوال سنوات طويلة[١٦٨].

وقــد ظهر من توجهــات ومواقف الــدول الإفريقية من العدوان الإســرائيلى على مصر فــى يونيــو ١٩٦٧م مجموعة من الاعتبارات. منها أن هذا العــدوان وقع على أراضى دولة إفريقية. وأن الســماح بوقوعه معناه أن باقــى دول القارة معرضــة لفرض الأمر الواقع، فى ظل المشــكلات التى خلفها الاستعمار، كما أن بعض الدول الإفريقية أيدت الموقف العربى على أســاس أن إسرائيل كانت هى البادئة بالعدوان إلى جانب تماديها فى سياسة الصلف واللامبالاة وتحدى الرأى العالمى والأمم المتحدة، وعرضت على الدول العربية إرســال بعــض قواتها للمحاربــة إلى جانبها، ومن هذه الدول الصومال وموريتانيا وغينيا – يشــير الباحث إلى أن هذه الدول عربية إفريقية وإفريقية إســلامية – كما دعم الرباط الدينى بين

الدول الإسلامية العربية والإفريقية. فضلا عن رباط عدم الانحياز، والرباط الاشتراكى الذى كان واضحا فى ذلك الوقت - وأبرز متزعميه عبد الناصر - فى العلاقات العربية الإفريقية. وكان من الطبيعى فى الوقت نفسه أن تقف حركات التحرير الإفريقية ضد العدوان الإسرائيلى على مصر، من منطلق أن تلك الحركات جزء من حركة التقدم والثورة العالمية. وأن اعتداء الاستعمار والصهيونيه يعتبر بالنسبة لها اعتداء على الثورة الإفريقية وحركة تصفية الاستعمار والوحدة الإفريقية[١٦٩].

وبدا التغيير واضحا فى موقف الدول الإفريقية - بفضل جهود عبد الناصر - خلال اجتماع مجلس وزراء المنظمة فى دورته العادية العاشرة بأديس أبابا فى الفترة من ٢٠ - ٢٤ فبراير ١٩٦٨م[١٧٠] الذى ألقى فيه رئيس وفد مصر بيانا تعرض فيه لأحداث الشرق الأوسط ولم يكن النزاع مدرجا فى جدول أعمال المؤتمر ولكن نوقش بعد ذلك[١٧١] حيث صدر قرار بشأن العدوان ضد الجمهورية العربية المتحدة. وجاء فيه إشارة إلى إعلان كينشاسا، وأن الجمهورية العربية المتحدة ضحية العدوان الصهيونى وأن أراضى مصر جزء لا يتجزأ من القارة الإفريقية، وتجديد تضامنه الفاعل مع الجمهورية العربية المتحدة، ولأول مرة يذكر أن المجلس يجدد تضامنه مع كل البلدان العربية المحتلة، كما جاء فيه مطالبة إسرائيل بالانسحاب الفورى دون قيد أو شرط من كل الأراضى العربية المحتلة، ومطالبة كل الدول الأعضاء فى المنظمة بتقديم دعمها السياسى والمادى والأدبى إلى كل البلدان التى وقعت ضحية نفس العدوان[١٧٢].

وقد أثار ذلك القرار الجماعى خيبة أمل بالغة الأثر فى الدوائر الإسرائيلية التى كانت تعتقد أن عددا من الدول الإفريقية التى تربطها علاقات طيبة بها سترفض الموافقة على قرار يطالب بانسحاب قوات إسرائيل من المناطق المحتلة فورا وبدون شروط. الأمر الذى دفع ببعض المسئولين فى إسرائيل إلى القول بإنه يجب أن يعاد النظر فى مبدأ المعونات التى تقدمها إسرائيل إلى كثير من الدول الإفريقية نتيجة لذلك القرار، لأنه مما لا شك فيه يعد تحولا تدريجيا لصالح الطرف العربى فى النزاع[١٧٣].

وفى اجتماع رؤساء دول وحكومات منظمة الوحدة الإفريقية فى دورته العادية الخامسة بالجزائر فى الفترة من ١٣ - ١٦ سبتمبر ١٩٦٨م أصدر المؤتمر أول قرار له فى هذه الدورة بشأن العدوان ضد الجمهورية العربية المتحدة. أكد فيه من جديد تأييده للجمهورية العربية المتحدة.

كمـا طالب بانسـحاب القوات الأجنبية مـن كل الأراضى العربية التـى أحتلت منذ ٥ يونيو ١٩٦٧م طبقا لقرار مجلس الأمن فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧م، ومطالبة كل دول المنظمة باسـتخدام نفوذها لضمان تحقيق هذا القرار كاملا[١٧٤].

ويلاحظ أن القرار صدر بعد تحرك مصرى وجزائرى فى أروقة المؤتمر وبعد خطاب وزير الخارجية المصرية، وأنه لأول مرة يشير القرار إلى الأراضى العربية المحتلة وليس الأراضى المصرية فقط [١٧٥].

كمـا أنه نتيجة للجهود العربية، وعبـد الناصر على وجه الخصوص، أدرجت القضية الفلسـطينية لأول مرة فى جدول أعمال مؤتمرات القمة الإفريقية كموضوع مستقل وذلك فى قمة أديس أبابا فى الفترة من ٦ - ١٠ سبتمبر عام ١٩٦٩م[١٧٦]، وأوضح رئيس الوفد المصرى الموقف العام والسائد فى الشرق الأوسط وبصفة خاصة الجمهورية العربية المتحدة الذى كان ينمو، ويعد من أهم الأحداث فى المنطقة. وأبدى المؤتمر اعتراضه على الاحتلال عن طريق القـوة والتأكيد على قرار مؤتمر ١٩٦٨م الذى عقد بالجزائر وإدانة سياسـة إسـرائيل التى لم تنسـحب رغم قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢[١٧٧]، كمـا أدان هذا العمل العدوانى، وأعلن تضامنه مع الجمهورية العربية المتحدة[١٧٨]. وقد أذيعت أنباء عن اعتداء إسرائيل على مصر أثناء اجتماع هذا المؤتمر ولذلك جاء قرار المؤتمر بتأثر رؤساء دول وحكومات إفريقيا بالعدوان على الأراضى المصرية وأعلن القرار شجب العدوان وأكد تضامنه مع مصر، واعتُبر هذا القرار بداية تحول مهم فى موقف منظمة الوحدة الإفريقية لصالح مصر والدول العربية[١٧٩].

ونجحـت مصر نتيجة لجهـود عبد الناصر، فى الحصول علـى موافقة منظمة الوحدة الإفريقية على منح منظمة التحرير الفلسـطينية صفة المراقب شـأنها فى ذلك شأن حركات التحرير الإفريقية. كما نجحت فى إدراج مشـكلة فلسـطين والشـرق الأوسط، على جدول أعمـال اجتماعات مجلـس الوزراء الإفريقى ومؤتمرات القمـة الإفريقية فى بندين دائمين. حيث أقنعت الدول الإفريقية - من أجل قبول ذلك الإدراج - بأن مصر الدولة العضو فى منظمة الوحدة الإفريقية قد احتُلت أراضيها (سـيناء) فى حرب ٦٧ بواسـطة دولة أجنبية من خارج القارة وكانت تعنى إسرائيل[١٨٠].

ونخلص من ذلك إلى أن هذا التحول كان نتيجة طبيعية لما قام به عبد الناصر من إبراز حقيقة الدور الإسـرائيلى داخل القـارة الإفريقية[١٨١].

وقد تميز عقد السبعينيات بظاهرة التقارب العربى الإفريقى الذى برز فى الموقف الإفريقى المساند للحق العربى فى صراعه مع إسرائيل. بقطع الدول الإفريقية تباعا علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل[١٨٢] الأمر الذى أدى إلى منح مصر مزيد من الاهتمام للقارة الإفريقية[١٨٣] والقيام بالكثير من الاتصالات مع الدول الإفريقية فى المناسبات المختلفة[١٨٤] كما ظهر التقارب العربى الإفريقى بجلاء خلال مؤتمر أديس أبابا عام ١٩٧٠م، والذى دعا إلى تنفيذ القرار رقم ٢٤٢ واستخدام نفوذ منظمة الوحدة الإفريقية لضمان تنفيذ القرار والتأكيد على القرارات التى اتُخذت فى مؤتمرى الجزائر ١٩٦٨م وأديس أبابا ١٩٦٩م، والتعبير عن تضامن المنظمة مع الجمهورية العربية المتحدة ومناشدة كل الدول الأعضاء بالوقوف بجانبها ودعم جهود الأمم المتحدة وحثها على تنفيذ القرار رقم ٢٤٢ بدون شرط ومطالبة الأعضاء باستخدام تأثيرهم لتنفيذ القرار[١٨٥].

هـ- المشاركة الفاعلة فى المؤتمرات الإفريقية:

شاركت مصر فى مؤتمر أكرا ١٩٥٨م، الذى عقد بدعوة من نكروما وحضرته ثمانى دول إفريقية، وهى إثيوبيا وليبيريا وغانا والسودان ومصر وليبيا وتونس والمغرب[١٨٦]، ومثل فيه الوفد المصرى الدكتور محمد فوزى؛ وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة[١٨٧] مؤكدا كلام عبد الناصر ومفاده، ضرورة السعى نحو العمل الإفريقى المشترك ورفض السياسة الاستعمارية التى تقسم إفريقيا إلى شمال وجنوب الصحراء، بيضاء وسوداء، زنجية وغير زنجية، عربية وغير عربية، إسلامية ومسيحية وغيرها[١٨٨] وعندما دعت ليبيريا لعقد مؤتمر منروفيا فى الفترة أغسطس عام ١٩٥٩م، لبت مصر دعوة حكومة ليبيريا، وأرسلت وفدا يمثلها شارك بفاعلية فى بحث المشكلات الإفريقية، وألقى حسين ذو الفقار صبرى؛ رئيس الوفد خطابا فى المؤتمر، من بين ما جاء فيه شكر حكومة ليبيريا، كما نقل إلى رئيسها توبمان وإلى حكومة ليبيريا تحيات عبد الناصر وتأييده القلبى لهذا المؤتمر، وتحيات الجمهورية العربية المتحدة وشعبها مقرونة بالتأييد، لفكرة الوحدة، وهكذا التقت الجمهورية العربية والدول العربية بليبيريا فى مؤتمر منروفيا[١٨٩].

كما تجلى الموقف المصرى الداعم للوحدة الإفريقية فى مؤتمر أديس أبابا الذى عقد فى يونيو ١٩٦٠م، من خلال كلمات عبد الناصر، حيث شدد على ضرورة السير قدما نحو تنفيذ ما جاء فى باندونج وأكرا ومنروفيا والدار البيضاء بشأن العمل الإفريقى الموحد،

الذى تستطيع القارة الإفريقية بمقتضاه إظهار الوحدة الإفريقية على مسرح الأحداث الدولية عمليا[١٩٠].

وفى مؤتمر الدار البيضاء ١٩٦١م، أكد عبد الناصر أن من أهم نتائجه، انهيار ألعوبة الاستعمار فى تقسيم القارة إلى إفريقيا عربية فى الشمال وإفريقيا سوداء فى الغرب والجنوب[١٩١]، وفى خطابه فى اجتماع اللجنة الاقتصادية لدول ميثاق الدار البيضاء، أكد، أنه من خلال هذا الميثاق، أمكن من الناحية السياسية، تحقيق تعاون كامل فى السياسة الخارجية لقوى الدار البيضاء، وتجلى هذا التعاون فى هيئة الأمم المتحدة وغيرها من المحافل الدولية، وفضلا عن الأثر الإيجابى الذى أحدثه هذا التعاون مباشرة فيما اهتم به من قضايا الحرية والسلام فلقد ساعد بطريق غير مباشر على تأكيد الشخصية الإفريقية، وتعزيز قدرة الحركات التحريرية فى إفريقيا، إذ أصبحت هذه الحركات الوطنية تعرف أن لها من دول الميثاق حليفا وسندا.ومن الناحية الاقتصادية، تم التوصل إلى اتفاقيات عديدة لها أهميتها ولها نتائجها دون شك. وفيها اتفاقيات إنشاء سوق إفريقية مشتركة، وإنشاء اتحاد إفريقى للمدفوعات، وبنك إفريقى، ومجلس للوحدة الاقتصادية، ومنظمة إفريقية للطيران المدنى، واتحاد إفريقى للبريد، بالإضافة إلى اتفاقيات التعاون الفنى والاقتصادى، والنقل البحرى، والمواصلات السلكية واللاسلكية.ومن الناحية الثقافية، وقعت دول الدار البيضاء اتفاقا ثقافيا بينها، كما وقعت معاهدة للتعاون الفنى والعلمى والإدارى. ومن الناحية العسكرية، شكلت دول الدار البيضاء هيئة أركان حرب إفريقية تتبع القيادة الإفريقية المشتركة العليا.

وقد دعم هذه الروابط الجماعية كلها، ما كان من اتجاه دول الدار البيضاء إلى توثيق التعاون الثنائى بينها، الأمر الذى أكد إصرارها على التمسك بالميثاق الذى وقعته فى يناير ١٩٦١م[١٩٢].

وفى مؤتمر أديس أبابا ١٩٦٣م، كان اتجاه عبد الناصر نحو الوحدة الإفريقية، هو السياسة العلمية والعملية، إذ لم يكن اهتمامه بالشكل النهائى للمنظمة الجديدة المزمع إنشاؤها، بقدر اهتمامه بوجوب تحقيق عمل إيجابى فعال قبل أن ينفض المؤتمر. وقد عبر فى كلمته عن فلسفة الجمهورية العربية المتحدة وسياساتها الخارجية وفلسفتها فى «وحدة الهدف قبل وحدة الصف» وقد عبر عن وجهة نظره بقوله «ما نحتاج إليه هو محركات

توليـد الطاقـة من آمالنا الضخمة ومن إمكانياتنا غير المحـدودة. وهنا حاجتنا إلى العقل المنظم والأعصاب المحركة» لتكن جامعة إفريقية. لتكن اجتماعات دورية لكل رؤساء إفريقيا وممثليها الشعبيين.. ليكن أى شئ.. شئ واحد لا تريده الجمهورية العربية المتحدة، هو أن نخرج من هنا بألفاظ حماسية أو بواجهات تنظيمية شكلية، ففى هذه الحالة نخدع أنفسنا ولا نخدع غيرنا.. وفى هذه الحالـة نسـىء إلى إفريقيا وإلى السـلام.. بل وفى هذه الحالة نكون قد ضيعنا ما نملكه بالفعل، وهو رؤية مشاكلنا واجتماع إرادتنا(١٩٣)، كما أكد أن مصر تعمل كل ما فى وسعها من أجل تخليص القارة الإفريقية من مشاكلها، وهذا الأمر هو الذى سيدعم الوحدة، فلا يمكن إقامة وحدة بدون حرية سياسية واقتصادية واجتماعية(١٩٤).

وأكـد عبـد الناصر أن مصر على اسـتعداد لبذل قصارى جهدهـا بأمانة وإخلاص فى سبيل التوصل إلى الصيغة التى تجعل للإرادة الإفريقية الحرة الواحدة عقلا منظما وأعصابا محركة، وبذلك يتحقق لإفريقيا كل أملها الإفريقى فى الحرية والكرامة بل يتحقق لها كل أملها الإنسانى فى السلام القائم على العدل(١٩٥).

وأكد إيمانه بالجامعة الإفريقية وأنها الرابطة الوثيقة بين الشعوب الإفريقية ومصالحها المشـتركة، ومن جهادها المشـترك من أجل اسـتعادة حقوقها المغتصبة وبناء مسـتقبلها المشترك، وأكد كذلك وجود الإرادة الإفريقية وضرورة تحريرها وتوحيدها، ولتنفيذ ذلك، يجـب أن يتوافر العمل المخلص ليتحقق لإفريقيا كل أملها الإفريقى فى الحرية والكرامة بل يتحقق لها كل أملها الإنسـانى فى السـلام القائم على العدل، وأشار فى هذه الرسالة إلى أنه إذا كانت الدول المستقلة المحتكرة قد أظهرت ترابطا واضحا فيما بينها للدفاع عن مصالحها ومطامعها، فعلى الشعوب المتطلعة للحرية التى تشترك فى وحدة المصير ووحدة المسـتقبل أن تترابط وتتعاون حتى تواجه ذلك الحلف الاسـتغلالى وتستطيع التخلص من آثـار الماضى ومن التخلف ومن التسـلط، وأنه لمن بواعث الأمـل، أن نرى جهودا تُبذل لتجميع الشعوب الإفريقية لتحقيق التعاون فيما بينها، وتنسيق جهودها من أجل حريتها ورخائها، وأن شعب مصر الذى يؤمن بجامعة إفريقيا تكون أساسا لتعاون الدول الإفريقية وتضامنهـا، كله ثقة فى أن يحقق اجتماع قادة إفريقيا المرتقب آمال شـعوب إفريقيا فى وحدتهـا ورخائها، وأعلن عبد الناصر كذلك، أن إرادة الحياة فى القارة الإفريقية أكدت قوتها وعمقها حين ارتضت الدعوة إلى الحرية بمحاولة استكشـاف الشخصية الإفريقية،

والانطلاق إلى العمل الإفريقى الواحد الذى عبر عن نفسه بميثاق الوحدة الإفريقية. ميثاق أديس أبابا، وكانت مثل هذه النتيجة تبدو مستحيلة منذ سنين قليلة نوعا من مغالبة المستحيل، وأكد أنه إذا كانت إفريقيا تتطلع إلى الوفاء بمسئولية المستقبل، فإن العمل الإفريقى وحده هو القادر على استخلاصها من آثار التخلف ودفعها إلى آفاق التقدم الحديثة. لكى تلحق بما فاتها قبل أن يزداد تخلفها قياسا إلى غيرها بسبب السرعة المتزايدة وخطى العلوم والتكنولوجيا، لهذا فإن القوى العاملة فى إفريقيا التى أدت دورها، وكانت بين الطلائع فى العمل من أجل التحرر الوطنى، مدعوة إلى استكمال دورها فى اجتياز المستقبل نحو التقدم الاقتصادى والاجتماعى.وإذا كانت شعوب إفريقيا قد أثبتت للعالم صلابتها وأصالتها فى معارك التحرير والاستقلال فإنها ستقابل معارك البناء والوحدة بنفس هذه العزيمة والتصميم حتى تحقق استقلالها الاقتصادى وتدعم استقلالها السياسى[١٩٦].

وفى مؤتمر رؤساء الدول والحكومات الإفريقية الذى عُقد بالقاهرة من ١٧ – ٢١/ ٧/ ١٩٦٤م وكان عبد الناصر يعمل فيه كل ما فى وسعه من أجل العمل العربى الإفريقى المشترك وتقارب الأفارقة من العرب[١٩٧] أعلن ضرورة التقارب العربى الإفريقى، لأن ذلك هو المفتاح المهم إلى روح الوحدة الإفريقية[١٩٨] وأعلن فى نهاية الأمر ثقته فى قيادات القارة وشعوبها[١٩٩]، وتأكد أيضا تشديد عبد الناصر على ضرورة العمل الإفريقى المشترك فى المؤتمر الإفريقى الذى عقد بأكرا عام ١٩٦٥م[٢٠٠] ومؤتمر أديس أبابا عام ١٩٦٦م[٢٠١].

وأشار عبد الناصر فى مؤتمر القاهرة ١٩٦٧م إلى أن مجرد التقاء الأفارقة فى غير تحرج أو تردد معناه رفضهم لكل أنواع المساومة والتشهير ومعناه الاستعداد لقبول مسئولية التحرك الإيجابى فى وقت يتجه فيه أعداء إفريقيا ويركزون جهودهم لحصر الأفارقة داخل مواقف التردد وتشتيت إمكانياتهم على مواقع الفرقة والعزلة وفوق ذلك فإن تطورات الأمور فى البلدان الإفريقية تعطى الأفارقة أملا متزايدا فى استعادة زمام المبادرة مرة أخرى فى إفريقيا[٢٠٢].

وفى اجتماع رؤساء دول وحكومات منظمة الوحدة الإفريقية فى دورته العادية الخامسة بالجزائر فى الفترة من ١٣ – ١٦ سبتمبر ١٩٦٨م، وفى خضم المعركة مع إسرائيل؟ لم ينس عبد الناصر الحديث عن الوحدة الإفريقية وضرورة دعمها[٢٠٣]، وأعلن ذلك أيضا فى قمة أديس أبابا فى الفترة من ٦ – ١٠ سبتمبر عام ١٩٦٩م[٢٠٤].

و ـ النشاط الاقتصادى المصرى فى إفريقيا:

أما على الجانب الاقتصادى، ففى بداية عام ١٩٥٩م، فقد دأبت مصر على إقامة علاقات اقتصادية مع كل الدول الإفريقية. وخير مثال على ذلك، على سبيل المثال لا الحصر، عُقد اتفاق تجارى بين مصر وغانا يسمح بتبادل إقامة المعارض فى أراضيهما من أجل تعريف تجار كل منهما بمنتجات الآخر ثم التعاون من أجل تقديم الخبراء الفنيين وتسهيل تبادل التجارة بينهما رسميا، تبادل المطاط والخشب والكاكاو من غانا مقابل الأقطان والمنسوجات والقطن من الجمهورية العربية المتحدة، وفى عام ١٩٦٠م، عُقد اتفاق طيران يسمح بإيجاد خط طيران مباشر بينهما من أجل تسهيل الاتصال وسرعته[٢٠٥].

كما قدمت مصر إلى غينيا قرض قيمته عشرة ملايين من الجنيهات وذلك بموجب اتفاقية أُبرمت بين البلدين تقوم مصر بمقتضاها بتنفيذ بعض المشروعات الإنشائية وتطهير ميناء كوناكرى فى حدود هذا القرض الذى تسدده غينيا بفائدة ٢,٥٪ على سبع سنوات. لكن غينيا لم تستخدم من هذا القرض إلا ما يزيد على نصفه قليلا، واستخدم معظمه فى تطهير ميناء كوناكرى، وقام بهذه المهمة هيئة قناة السويس بخبرائها وبالمعدات التى تمتلكها هذه الهيئة. ومما يستحق الذكر، هو أن هذا القرض جاء فى أعقاب ميثاق الدار البيضاء؛ الذى كان يجمع مصر بغينيا وثلاث دول أخرى هى مالى وغانا والمغرب، وكانت غينيا تتعرض لضغط اقتصادى تمارسه فرنسا منذ أن أعلنت غينيا استقلالها عن الجماعة الفرنسية، حيث كان ديجول مصمما على إسقاط حكم سيكوتورى بأى ثمن ليكون أمثولة أمام أى دولة من المجموعة الفرنسية تفكر فى الخروج عن الجماعة الفرنسية[٢٠٦].

وسعت مصر جاهدة إلى تعميق التعاون الاقتصادى مع دول القارة، من خلال عقد صفقات متكافئة أو محاولة المساعدة فى حل المشكلات الاقتصادية التى كانت تتعرض لها دول القارة وشعوبها آنذاك، فحينما عُقد مؤتمر الدار البيضاء فى ١٩٦١م، أكد عبد الناصر عزم مصر على مضاعفة الجهد لإقامة تعاون فعلى مع الدول الإفريقية فى المجال الاقتصادى، وحينما اجتمعت اللجنة الاقتصادية وحضرت وفود من مصر وغانا وغينيا ومالى والمغرب والجزائر وبحثت وسائل دعم وتحليل الاقتصاد الإفريقى من النفوذ الأجنبى باعتبار أن ذلك هو ركيزة الكفاح الإفريقى والحرية التى ينشدها الأفارقة، قدم وفد مصر فى هذا الاجتماع اقتراحات تهدف لإقامة وحدة اقتصادية بين الدول الأعضاء فى مختلف القطاعات والعمل

على تحقيق سياسة مشتركة لتخطيط وتنظيم وتنسيق استغلال الموارد الطبيعية للدول الأعضاء بقصد رفعة اقتصادياتها وتنميتها، وأدرك عبد الناصر أهمية الدور الذى يجب أن تقوم به مصر فى مجال التعاون الاقتصادى مع الدول الإفريقية، فأخذ يتضاعف نشاطها فى هذا المجال. حيث أقامت شركة النصر للتصدير والاستيراد شبكة واسعة لمد نشاطها لمختلف الدول الإفريقية ثم طورت مصر دورها الاقتصادى، لكنه توقف بعض الوقت نتيجة لظروف الحرب ضد إسرائيل، إلا أنها عادت لدورها الفاعل فى هذا المجال بشىء يدعو إلى الإعجاب[٢٠٧].

غير أن الواقع التاريخى قد أثبت الجهود التى بذلتها مصر حتى هذه الآونة ونعنى بها عام ١٩٦٧م من أجل دعم إفريقيا ومواجهة التغلغل الإسرائيلى عن طريق دعم حركات التحرر الإفريقية والتنبيه إلى خطورة النشاط الإسرائيلى. بل ومنازلته عن طريق توفير بعض احتياجات الدول الإفريقية[٢٠٨]، ففى المجال الاقتصادى والفنى الذى تولاه هيئات متخصصة وشركات أبرزها شركة النصر للتصدير والاستيراد والشركة العربية للتجارة الخارجية والشركة التجارية الاقتصادية، بدأ نشاط شركة النصر للتصدير والاستيراد منذ عام ١٩٦١م فى غربى القارة على أسس جديدة منظمة بعد أن كان الجهد الاقتصادى مع دول القارة لا يعدو كونه جهودا فردية مبعثرة وأقامت الشركة العديد من الفروع والمكاتب فى أهم المدن الإفريقية فأصبح للشركة ٢١ فرعا بحلول ١٩٧٠م[٢٠٩].

ز ـ النشاط العلمى والثقافى المصرى فى إفريقيا:

وفى المجال الفنى والثقافى، أظهر عبد الناصر خلال المؤتمرات الأفرو آسيوية التى عُقدت خلال الفترة الممتدة من ١٩٥٧م – ١٩٥٩م، ثقل مصر الثقافى والحضارى وخبرتها وقدرتها فى هذا المجال، وذلك حينما تعرضت هذه المؤتمرات إلى المشكلات الثقافية فى إفريقيا، وكان لمصر دورها الفاعل فى تحديد هذه المشكلات والتعريف بها بل ووضع حلول لها. وفى مؤتمر تضامن الشعوب الأفرو آسيوية الذى عُقد فى كوناكرى فى الفترة من ١١ – ١٥ أبريل ١٩٦٠م، حرصت مصر على تنمية علاقاتها بإفريقيا من خلال ارتباطها باتفاقيات ثقافية مع معظم دول القارة، ومنذ عام ١٩٦١م كانت هناك اتفاقيات ثقافية تربطها بكل من ليبيريا وغينيا والصومال ومالى، ثم عقدت اتفاقيات ثقافية أخرى فى الأعوام التى تلت هذا التاريخ مع السنغال وتوجو والكونغو برازافيل وسيراليون والكاميرون، ونصت هذه

الاتفاقيات فى خطوطها العريضة على تبادل المدرسين والأساتذة والمناهج الدراسية والمنح ونشر وترجمة المؤلفات ومبادلة الشهادات وتبادل المطبوعات العلمية والأدبية والثقافية والإذاعات والفرق الفنية والرياضية والمعارض. كما ارتبطت مصر باتفاقات للتعاون الثقافى والفنى وتبادل الخبراء مع تنزانيا ونيجيريا وداهومى وغانا وبوروندى وموريتانيا وإفريقيا الوسطى وغينيا بيساو وجامبيا، ودلت هذه الاتفاقات على إدراك مصر التام بضرورة تقوية العلاقات المصرية الإفريقية للوصول إلى وحدة إفريقيا أو الاقتراب منها، وقد ارتبطت وزارة الشباب باتفاقيات أخرى تتعلق بنشاط الشباب وتبادل الزيارات وغير ذلك من النشاطات المتعلقة بالشباب[٢١٠].

وفى أبريل ١٩٦٧م عقدت مصر مؤتمر وزراء الشئون الاجتماعية للدول الإفريقية وكانت تحرص على تنظيم دورات تدريبية قصيرة وطويلة الأجل فى ميادين الزراعة والتعاون والأبحاث الجيولوجية والطب بالإضافة إلى استقبال آلاف الطلاب الأفارقة فى جامعاتها ومعاهدها العلمية للدراسة وتقديم المنح الدراسية لهم.كما وجهت مصر جهازا إعلاميا متكاملا لدول القارة فى مجال الصحافة والإذاعة إذ وجهت عشرات البرامج الإذاعية باللغات الإفريقية لدول القارة من ضمن ٤٤ لغة عالمية تذيع بها جمهورية مصر العربية لشتى أنحاء العالم[٢١١].

واعتبرت مصر آنذاك فى مقدمة الدول التى أسهمت من خلال أبنائها فى أوجه النشاط المختلفة للدول الإفريقية عن طريق الإعارة، ففى إحصائية لعام ١٩٧٠م بلغ عدد المعارين المصريين إلى الدول الإفريقية ١١٠٠ معار منهم ٤٧٨ تكفلت مصر بنفقات إعارتهم ولم يقتصر نشاط هؤلاء على ناحية معينة فمنهم المدرسون والأطباء والخبراء فى الزراعة والاقتصاد والرى، وغير ذلك من مجالات الأنشطة المختلفة، كما قدمت مصر آنذاك منحا متعددة للدول الإفريقية بعضها دراسية وبعضها تدريبية وتحملت ميزانية مصر أعباء هذه المنح وتكاليفها[٢١٢] وتجدر الإشارة إلى أن تزايد أعداد الطلاب الأفارقة بالمدارس والمعاهد والجامعات المصرية يعد دليلا قاطعا على عمق الروابط المصرية الإفريقية، وتأكيد أهمية الدور والثقل المصرى على كافة المستويات الشعبية والعلمية والفنية لأبناء القارة[٢١٣].

جـ- الوحدة المصرية الليبية السودانية:

حينما زار عبد الناصر ليبيا فى ٢٦ ديسمبر عام ١٩٦٩م، كانت أهم نصائحه للقذافى، تأجيل فكرة الوحدة مع مصر[٢١٤] حتى تنتهى مشكلة القواعد الأمريكية البريطانية فى ليبيا.

وأنه من الأفضل التأجيل إلى ما بعد المعركة مع إسـرائيل، لأن ذلك سـوف يجتذب عداء الكثيرين ضد ليبيا ويزيد المخاطر من حولها سـواء داخل العالم العربى أو خارجه، إلا أن القذافـى كان يـرى ضـرورة الوحدة، لأنها القـدر التاريخى للعـرب والأفارقة. ولا يهمه العواقـب. وأنه إذا فشـلت تجربة الوحدة يجب تكرارها مـرات ومرات حتى الوصول إلى الهدف المنشود[٢١٥] وعندما حاول فى أبريل ١٩٧٠م إقناع عبد الناصر بإقامة وحدة مصرية ليبية. أصر على رفضها، لأن مشاكل الوحدة كثيرة جدا[٢١٦]، ورغم ذلك. أدى افتتان ليبيا بمصـر. إلى بدء هجوم شـرس من الصحف الغربية والأمريكيـة التى اتهمت مصر بمحاولة ممارسة نفوذها على الثورة الليبية[٢١٧] كما قام الجزائر وتونس بالتأكيد على أن ذلك يؤدى إلى سيطرة مصر على ليبيا[٢١٨].

وعلى الرغم من ذلك فإن القيادة السياسـية فى ليبيا والتى كانت تكن لعبد الناصر كل الحـب والاحـترام. والأكثر من ذلك كانت منبهرة بكاريزميتـه لم تعر اهتماما كبيرا لذلك القلـق. وأصرت على ضرورة تنفيذ الاتجاه الوحدوى بين الطرفين[٢١٩] خاصة وأن مسـألة الوحدة كانت الشـغل الشـاغل لقيادة الثورة الليبية آنذاك[٢٢٠] وكانت أول بوادر الوحدة، ميثاق طرابلس فى نوفمبر ١٩٧٠م بين مصر وليبيا والسودان[٢٢١] فكانت ليبيا بذلك أول دولة فى المغرب العربى تسعى للوحدة مع مصر، وأول دولة عربية بترولية تسعى إلى الوحدة مع دولـة عربية غير بتروليـة[٢٢٢]. وعلى النقيض من ذلك كانت الذاكرة المصرية تحوى ذكرى تجارب وحدوية فاشلة، أشهرها وحدتها مع سوريا[٢٢٣].

على الرغم من ذلك فقد كان للطرفين أيضا ما يدعوهما للتفكير فى مسألة الوحدة، حيث كانت أسباب كثيرة قد أدت إلى هذا الاتجاه الوحدوى.

فبالنسبة لليبيا، فقد عاش الليبيون تجربة بسيطة من أجل حدوث الوحدة بين مجموعة من الأقاليم، حيث تحولت المملكة الليبية فى ٢٧ أبريل عام ١٩٦٣م من اتحاد فيدرالى بين ثلاث ولايـات إلى مملكة موحدة مندمجة وظلت هذه التجربة نموذجا عالقا فى أذهان الليبيين[٢٢٤] ومن جانب آخر، لا نسـتطيع أن ننكر على التوجهات القيادية الشـابة للثورة حرصها على كسب ود مصر وعبد الناصر وطمأنته تجاه نواياهم من خلال هذا العرض الوحدوى، فمحاولة كسـب عبد الناصر إلى صف الثورة قد نجحت عندما قام القذافى باستشـارته فى العديد من الأمـور المتعلقة بإدارة البلاد وتنظيمهـا[٢٢٥] يضاف إلى ذلك إيمان أغلب أعضاء مجلس قيادة

الثورة بفكر عبد الناصر السياسى الذى كان من ضمن نهجه العربى، السعى نحو العمل الوحدوى العربى[٢٢٦] ولعل القذافى كان أكثر الأعضاء اعتناقا لأفكار عبد الناصر، حيث كان النموذج الناصرى بمثابة النموذج المفضل لديه، والمشكل لرؤيته السياسية آنذاك[٢٢٧].

كانت هذه الخطوة الوحدوية من جانب ليبيا - من وجهة نظر الباحث - بمثابة مكسب كبير للثورة الليبية التى تستطيع من خلالها، الحصول على الدعم المصرى ووقوف مصر بجانب الثورة والدفاع عنها، خاصة وأنه فى حالة نجاح الوحدة ستصبح ليبيا الثورة جزءا من مصر، والأكثر من ذلك، أن وقوف زعامة بحجم عبد الناصر محليا وعربيا ودوليا، إلى جانب زعماء هذه الثورة سوف يدعمهم ويقوى من نفوذهم أمام الليبيين والمجتمع الدولى، خاصة أنهم قد أزالو لتوهم حكم إدريس السنوسى.

ومن الأسباب أيضا: السعى للمشاركة فى المعركة ضد إسرائيل[٢٢٨] فبعد حدوث الثورة وضحت تلك الرغبة الوحدوية الفعلية عندما عرض القذافى على عبد الناصر فى أول لقاء بينهما فكرة توحيد القوات المسلحة بين البلدين، ومساعدة مصر عسكريا[٢٢٩].

ويتضح من ذلك أن الرغبة فى تنفيذ العمل الوحدوى بين مصر وليبيا من جانب القيادة الليبية، كانت من أجل مصلحة الثورة الليبية من ناحية، وتحقيق دوافع قومية عربية من ناحية أخرى.

أما بالنسبة لمصر، فكان عبد الناصر لا يزال يمارس السلطة فى مصر، وأولوياته قد تبدلت حيث أصبحت تعبئة الموارد العربية من أجل استعادة الأراضى العربية على رأس أولوياته[٢٣٠]. وهو ما يجعلنا نرجح أن اتجاهه للوحدة كان من أجل الاستفادة من موارد ليبيا خلال المعركة المقبلة. ويؤكد ذلك أنه عقب وعد القذافى لعبد الناصر بتقديم عدد لا بأس به من طائرات الميراج من أجل المعركة تبدلت لهجة عبد الناصر الخاصة بتأجيل الوحدة، إلى التدرج من أجل إتمامها[٢٣١] وعموما، فقد كان قيام ثورتى السودان وليبيا فى عام ١٩٦٩م دعما سياسيا لمصر، بل وعسكريا أيضا، وخير دليل على ذلك، أنه قد تم فيما بعد نقل الكلية الحربية إلى السودان، والكلية البحرية إلى ليبيا تأمينا لهما من الطيران الإسرائيلى وغاراته الجوية[٢٣٢].

أما عن الإجراءات الوحدوية، فقد بدأت بالاجتماع فى طرابلس بين ٢٥ - ٢٧ ديسمبر بين القذافى وعبد الناصر وجعفر نميرى، ثم التوقيع على ميثاق من أجل العمل المشترك

والسعى الوحدوى فى ٢٧ ديسمبر ١٩٦٩م والذى عبر عن تبنى ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢م لثورتى السودان وليبيا[٢٣٣] وقد عكس هذا الميثاق أهمية كبرى بالنسبة لمصر بعد حرب ٦٧. حيث كان يستوجب أن يكون هناك عمل استراتيجى فى المعركة العسكرية فى مواجهة إسرائيل، وإذا بثورة كل من السودان وليبيا تقدمان لمصر هذا العمق الاستراتيجى المطلوب. يضاف إلى ذلك استعداد القذافى والذى أعلن فيها شراء الأسلحة السوفيتية نيابة عن مصر[٢٣٤]. وأعقب ذلك فى يناير ١٩٧٠م، اجتماع وزراء خارجية الدول الثلاث لمناقشة الاتفاق الذى أعلن فى طرابلس[٢٣٥] وأشارت بعض المصادر الليبية إلى أن ليبيا كانت الأكثر حماسا بين الدول الثلاث، ودللت على ذلك بأنها أعلنت فى أول سبتمبر من العام نفسه، أنها كانت ترفض أساليب التضامن الممثل فى الاتفاقيات والمعاهدات بين الأمة الواحدة، ولكنها كانت ترفع شعار الوحدة العربية[٢٣٦].

أما عن نتائج العمل الوحدوى بالنسبة للجانبين الليبى والمصرى، فيتضح فيما يلى:

بالنسبة لليبيا، نجحت الثورة الليبية فى ربط نفسها - خصوصا القذافى - بقيادة تاريخية لها وزنها فى العالم العربى وهو عبد الناصر، وكان ذلك بمثابة حماية للثورة من أى محاولة ثورية مضادة، ورغم ذلك تعرضت الثورة لمحاولات انقلاب مضادة كان أشهرها فى يوليو ١٩٧٠م، ولكن تم القضاء عليها[٢٣٧]. كما يحسب للقيادة الليبية استضافة عبد الناصر بليبيا فى احتفالات لم يسبق لها مثيل، وهى التى تم فيها إعلان طرابلس فى ديسمبر ١٩٧٠م[٢٣٨] وفى هذه الاحتفالات، ألقى عبد الناصر خطبا عديدة كان فيها الكثير من التقريظ فى حق القذافى ورفاقه أعضاء مجلس قيادة الثورة كقوله «إن الله قد أعزكم بأن اختار لكم معمر القذافى قائدا عربيا»، وكذلك قوله فى نفس الخطاب «إن الله قد أعزكم بمعمر القذافى وأخوته أعضاء مجلس قيادة الثورة»[٢٣٩].

ومن المرجح أن هذه الخطب والعبارات الرنانة، قد رفعت من مكانة العناصر التى قامت بالثورة الليبية لكونها صادرة من زعيم عربى له شعبية كبيرة فى ليبيا والوطن العربى بأسره.

أما بالنسبة لمصر، فقد مثل هذا العمل الوحدوى محاولة لتجديد شباب الأمة، والعائد المباشر والنتيجة الأولى منه على مصر هو إحراز بعض المكاسب العسكرية التى قدمتها ليبيا وعلى رأسها صفقة طائرات الميراج التى عقدتها ليبيا مع فرنسا[٢٤٠].

علـى الرغم من ذلك بدأت تطفو على السـطح بوادر الخـلاف بين الطرفين. فقد أدت مشكلة العمالة المصرية فى ليبيا إلى بث دعاية مغرضة من الأمريكيين وعملائهم فى كل من ليبيا والسودان، حيث أشاعوا أن المصريين يقومون بالهجرة إلى ليبيا والسودان. على عكس مـا كان قائمـا - آنذاك - إذ كانت هجرة إلى مصر وليس منها. فكان يوجد فيها أكثر من نصف مليون سـودانى مقابل ثمانية عشـر ألف مصرى فقط كانوا موجودين بالسودان وذلك طبقا لإحصائيات السـودانيين أنفسـهم. والأغرب من ذلك أن ليبيا وقعت مع الجزائر فى نفس الشهر اتفاقية أقوى بكثير من الاتفاقية التى وقعتها مع كل من مصر والسودان إلا أن أحدا لم يتعرض لها آنذاك[٢٤١]. كما أن العلاقات الوطيدة التى ميزت العلاقة بين الاثنين، مـا لبثـت أن تبدلت من خلال وجهة نظـر الزعيمين المختلفة بشـأن بعض الموضوعات، وأهمهـا موقفهما من النظم الملكيـة وبعض الزعامات العربية، ومبـادرة روجرز[٢٤٢] حيث أصبـح عبـد الناصر آنذاك أكثـر هدوءا فى انفعالاتـه تجاه النظم الملكية التـى كان دائما يصفهـا بالرجعية، ومرجع ذلـك التغيير ما وجده من دعم مادى مـن بعض النظم الملكية لصـالح القضية العربية[٢٤٣]، ومن هنا كان الخلاف بين الاثنين. وهو ما ظهر فى تصرفات القذافى تجاه بعض الملوك العرب. والدليل على ذلك ما حدث فى أخر قمة حضرها وهى قمـة الرباط ١٩٧٠م حينما أعلن القذافى غضبـه وتهكمه على رئيـس الوزراء المغربى الذى كان يقبـل يـد الملك المغربى، غير مبال بأصول اللياقة والبروتوكولات. ومن المرجح أن هذا المشـهد الذى اعتبره نوعا من الرجعية ذكره بإدريس السنوسـى[٢٤٤]. وعقب هذا الموقف، قـام القذافى أثناء اجتماعه مـع القادة العرب بليبيا أثناء احتفـالات الجلاء بتوبيخ الملك حسـين ملـك الأردن، الذى رفض القذافى حضوره إلى القمـة. مما أثار غضب عبد الناصر ضده، فاضطر القذافى إلى الاعتذار له على هذا الأسـلوب وأصبح القذافى آنذاك يمثل عبئا على عبد الناصر بأسـلوبه هذا غير الدبلوماسى[٢٤٥]. ولم يقدر لها النجاح، لظروف داخلية وخارجية واختلافات أيديولوجية بين الزعماء الثلاثة وبخاصة عبد الناصر والقذافى، وكذا وفاة عبد الناصر قبل إتمام الوحدة. ورغم أن هذا العمل الوحدوى المشترك كان يغلب عليه الطابـع العربـى أكثر من الإفريقـى، إلا أنه حاول أن يضفى عليـه الطابع القومى العربى والإفريقـى من خـلال الصياغات التى جاءت فى ثنايا الإجـراءات الوحدوية والتى نادت بضرورة مساندة حركات التحرر الإفريقية ودعم العمل العربى الإفريقى. وذلك إن دل على شئ إنما يدل على بداية التقارب العربى الإفريقى.

خاتمـــة:

من خلال هذه الدراسة يمكن استنتاج النقاط التالية:

– إن رؤيـــة عبـــد الناصر للوحدة الإفريقية كانت تكمن فـــى وحدة الهدف والعمل قبل وحـــدة الصـــف، وأن ذلك من وجهة نظره بمثابة الركيزة الأساســية لإنجــاز فكر الوحدة الإفريقية ونجاحها، وأنه يجب دراسة التجارب الوحدوية دراسة جيدة والتروى والتمهل قبل إتمامها لأن ذلك ليس اتفاقا أو إطارا سياســيا، بل هو أبعد من ذلك وأعمق إنه عملية تاريخية كاملة سياســية، أيديولوجية، اقتصادية، ثقافية، اجتماعية، ونفســية، يضاف إلى ذلـك أنـــه اختلف فى رؤيته للتجمعات الإفريقية وللوحـــدة الإفريقية عن بعض الزعماء الأفارقـــة الذين فضـــل بعضهم الوحدة الشـــاملة – كنكروما وســيكتورى – والبعض الآخر الإقليمية الجزئية كبداية للشـــاملة – كســنجور وبوانيه ونيريرى – حيث رأى عبد الناصر أن الوحدة ليست تجمعا نظريا لدولتين أو أكثر أو لإقليم إفريقى معين أو لكل دول القارة، وإنمـــا الوحـــدة تكمن فى إخلاص أى دولة فى مد يد المســاعدة لدولة أو أكثر، أى أنه نظر إلى التكامـــل والمســـاندة الفعلية وليس التجمع النظرى غير الفاعـــل حتى وإن كان بين كل دول القارة، ورأى أن مصر تعمل كل ما فى وســعها من أجل تخليص القارة الإفريقية من مشاكلها، وهذا الأمر هو الذى سيدعم الوحدة، فلا يمكن إقامة وحدة بدون حرية سياسية واقتصادية واجتماعية.

– إن اهتمام عبد الناصر بإفريقيا ومساندتها لم يكن نوعا من الترف والإنفاق البذخى، لكنه يعد من أهم ثوابت سياســة مصر الخارجية، والتى رأت أنها تعيـش فى دوائر ثلاث وتتحرك خلالها، من بينها الدائرة الإفريقية، التى رأى عبد الناصر أن مصر لا تســتطيع بحـــال مـــن الأحوال أن تقف أمام الذى يـحدث فيها موقف المتفرج وتتصور أنه لا يمســـها ولا يعنيهـــا، خاصـــة وأن مصر جـــزء لا يتجزأ من القارة الإفريقيـــة، وأن وقوفها بجانب إفريقيا تمليه – بجانب الدوافع الإنســانية – ظروف ودوافع تاريخية وحضارية وسياســية واقتصادية وثقافية وأيديولوجية وغيرها.

– إدراك عبـــد الناصر بـــأن طريق الوحدة الإفريقية لن يكون ممهدا ومفترشـــا بالورود، بـــل إنه يواجه صعوبات ومشـــاكل جمة يجب القضاء عليهـــا واجتثاثها من جذورها حتى يشـــرع الأفارقة فى البدء فى بناء الوحدة الإفريقية، وأن هذه المشـــكلات والصعوبات تظهر

جلية فى وجود الأنظمة الاستعمارية والعنصرية والصهيونيه فى إفريقيا. وكذا المشكلات السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية التى تعانى منها القارة. واختلاف الأيديولوجيات داخل القارة حتى بين الأفارقة أنفسهم.

– تأكيد عبد الناصر على ضرورة انتهاج إفريقيا لبعض الخطوات حتى تمهد الطريق لسيرة الوحدة الإفريقية. وأبرزها. وحدة الكفاح المشترك. عدم الانحياز والحياد الإيجابى. الاشتراكية العلمية. الديمقراطية. الحرية السياسية والاجتماعية.

– إيمان عبد الناصر بأهمية المؤتمرات وضرورة تفعيل دبلوماسيتها والمشاركة فيها بجدية؛ لأنها أهم الوسائل الفاعلة لطرح القضايا والمشكلات الإفريقية المشتركة والسبيل نحو حلها والقضاء عليها.

– تأكيد عبد الناصر على أهمية الجانب الاقتصادى فى دعم مسيرة الوحدة الإفريقية. وأن التنمية هى لب الوجود والتحرير. وإلحاحه على ضرورة التكامل والتبادل الاقتصادى الذى يدعم التضامن السياسى الصادق ويزيد من فاعليات الإجماع الإفريقى على التخلص نهائيا من الاستعمار ومن النفوذ الاستعمارى.

– إدراك عبد الناصر بأهمية العلم والثقافة وضرورة التسلح بهما فى إفريقيا ووضع خطة للبحث العلمى فى إفريقيا كأساس للتقدم فى شتى الميادين. وأن الاستقلال العلمى والفنى والثقافى هو البعد الثالث للاستقلالين السياسى والاقتصادى.وطالب بوجوب أن تلتقى ثقافات الشعوب الإفريقية عند طابعها الإفريقى المميز لها لتكون بدورها فى خدمة العمل الإفريقى الموحد من أجل حياة أفضل.

– إن عبد الناصر رأى أن معركة إفريقيا بصفة عامة معركة واحدة. والأكثر من ذلك أن معركة آسيا وإفريقيا معركة واحدة أيضا. فكان بذلك من أوائل الزعماء الذين دعوا إلى التضامن الآسيوى الإفريقى. والأهم من ذلك أنه من أوائل من دعموا هذه الرؤية.

– تأكيد عبد الناصر على رفضه مواريث العلاقات القديمة القائمة على القهر أو الغزو أو التبعية. وإيمانه إيمانا صادقا بحق تقرير المصير.

– أن دعم عبد الناصر لحركات التحرر الإفريقية لم يقتصر فقط على مساعدة الدول العربية الإفريقية – كما زعم دعاة الاستعمار والصهيونيه والعنصرية. وإنما وصلت كما هو واضح من خلال الشواهد والوقائع التاريخية – إلى كافة أقاليم القارة الخمسة. ومن خلال ذلك.

وضـع اللبنات الأولى نحو رؤية إفريقيا فى مفهومها الشـامل الكلى الـذى يعلو على مفهوم الصورة الجزئية.

– إن التفرقـة العنصرية كانت من وجهة نظر عبد الناصر أعقد المشـكلات الاجتماعية والنفسية قاطبة، والأكثر من ذلك اعتبرها بمثابة تهديد لاستقرار السلام.

– إن عبـد الناصر اعتـبر الصهيونيه الدولية صورة من صور الاسـتعمار الجديد، وأن الوجود الإسرائيلى فى إفريقيا مجـرد وسيـط للتغلغل الاستعمارى فى القارة. وأنها لا تقدم أى شـئ للأفارقة بدافع إنسانى، وأنه يجب مساندة إفريقيا للعرب فى صراعهم المرير مع هذا الكيان الصهيونى. واسـتطاع عبد الناصر بالفعل بعد جهود مضنية إثناء أغلب الدول الإفريقية عن إسرائيل وتغيير وجهة نظر هذا الدول فى إسرائيل وفضح سياستها وحقيقتها الاستعمارية الصهيونيه العنصرية. ومن ثم تعاطف الدول الإفريقية مع العرب فى صراعهم مع إسـرائيل والاعـتراف بالحقوق العربية فى الأروقة والمحافـل الدولية والإفريقية بعدما كانت إفريقيا تنظر إلى الصراع العربى الإسرائيلى عامة والقضية الفلسطينية على أنها قضايا لا تتعلق بالقارة الإفريقية ولا تخصها.

– كانت مشـاركة عبد الناصر فى المؤتمرات الأفرو آسـيوية والأفريقية مشاركات فاعلة وخير دليل على ذلك اسـتضافة القاهرة للكثير من هذه المؤتمرات، وتأكيد إيمانه بأهميتها وأنها الرابطة الوثيقة بين الشـعوب الأسيوية والإفريقية بصفة عامة، والإفريقية على وجه الخصوص ومصالحها المشـتركة، ووضع خلالها أيضا تصوراته من أجل تفعيلها ونجاحها سواء فى المؤتمرات التى حضرها بشخصه أو لم يحضرها بنفسه.

– تأكيـد عبـد الناصر على أهمية التقارب العربى الإفريقى، والإشـارة إلى أن ذلك هـو المـفتاح المهـم إلى روح الوحـدة الإفـريقيـة.

– إن الدور الذى لعبه جمال عبد الناصر لدعم إفريقيا ووحدتها، أشـاد به أبرز زعماء العـالم وبخاصـة الأفارقة، وخير مثال على ذلك ما ذكره ديـورى هامانى رئيس جمهورية النيجر السابق عقب وفاة عبد الناصر حيث قال «سيظل اسمه رمزا للعمل من أجل الوحدة الإفريقية».

□□□

الهوامش

(١) خالد محمود الكومى: مصر وقضايا الجنوب الإفريقى نظرة على الأوضاع الراهنة ورؤية مستقبلية، تاريخ المصريين، العدد ٣٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٩م، ص٢٣.

(٢) يواقيم رزق مرقص: التوجه نحو إفريقيا، أربعون عاما على ثورة يوليو دراسة تاريخية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة ١٩٩٢م، ص ٢٥٤.

(٣) نفسه، ص ٢٥٣؛ عبد الملك عودة: فكرة الوحدة الإفريقية، القاهرة، د. ت، ص٩٠، ٩١.

(٤) محمود وهيب السيد: ثورة يوليو ووضوح الرؤية، فى ٢٣ يوليو نصف قرن من العطاء، مجلة النيل، العدد ٨٠، الهيئة العامة للاستعلامات، صيف ٢٠٠٢م، ص ٢٣، ٢٤.

(٥) زاهر رياض: مصر وإفريقيا، القاهرة ١٩٧٦م، ص٢٧٤، صبرى أبو المجد: ثورة إفريقيا: المكتبة العربية ٣، مطابع دار الكتاب العربى بمصر، ١٩٦٠م، ص ٢٥١.

(٦) جمال عبد الناصر: فلسفة الثورة، وزارة الإرشاد القومى، مصلحة الاستعلامات، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ٦٨.

(٧) عبد المنعم سعيد: التغير فى السياسة الخارجية بعد الهزيمة، فى حرب يونيه ١٩٦٧م بعد ٣٠ سنة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ص ١٦٣.

(٨) محمد رضا توفيق فودة: باب المندب والأمن العربى الإفريقى، العرب فى إفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٤٧٧.

(٩) ع.ع، أ.ش، ر.م: إسرائيل وإفريقيا: التقرير الاستراتيجى الإفريقى، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ومركز البحوث الإفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠١م، ٢٠٠٢م، ص ٣٥١، ٣٥٣.

(١٠) محمد كمال الدسوقى، عبد التواب عبد الرازق: الصهيونيه والنازية، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ١٩٧.

(١١) إبراهيم جلال أحمد: مصر وأفرقة القضية الفلسطينية. مجلة شئون الشرق الأوسط، العدد السادس عشر، جامعة عين شمس، أكتوبر ٢٠٠٥م، ص ٧١.

(١٢) نزيه نصيف ميخائيل: النظم السياسية فى إفريقيا. تطورها واتجاهها نحو الوحدة. دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ٢٠٠.

(١٣) ناصر أحمد أحمد مسلم: الدبلوماسية المصرية تجاه إفريقيا فى الفترة من ١٩٥٢م – ١٩٨٧م، ماجستير، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٤٧.

(١٤) جاد طه: ثورة ٢٣ يوليو بين النظرية والتطبيق، القاهرة، ١٩٦٩م – ١٩٧٠م، ص٢٣١؛ مجموعة خطب وتصريحات الرئيس جمال عبد الناصر. القسم الرابع. فبراير ١٩٦٢م – يونيه ١٩٦٤م، وزارة الإرشاد القومى. الهيئة العامة للاستعلامات. القاهرة، ص ٢٥٦.

(١٥) مجموعة خطب وتصريحات الرئيس جمال عبد الناصر. القسم الرابع. ص ٢٦، عبد الملك عودة: فكرة الوحدة الإفريقية. ص ٩٣.

(١٦) عبد الملك عودة: فكرة الوحدة الإفريقية. القاهرة، د. ت. ص ٩٥. ٩٦.

(١٧) وليد محمود عبد الناصر: أهداف السياسة المصرية الخارجية فى ٢٣ يوليو نصف قرن من العطاء، مجلة النيل، العدد ٨٠. الهيئة العامة للاستعلامات. صيف ٢٠٠٢م، ص ٤٣.

(١٨)عبد الله عبد الرازق: مصر وقضايا التحرر الوطنى والتنمية فى إفريقيا (الحقبة الناصرية)، فى مصر وإفريقيا مسيرة العلاقات فى عالم متغير، بحوث ومناقشات الندوة التى نظمها قسم النظم والسياسية والاقتصادية ٢٧ / ٥/ ١٩٩٦م، معهد البحوث والدراسات الإفريقية. جامعة القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٦٦.

(١٩) محبات إمام الشرابى: الوجود الإسرائيلى والعربى فى إفريقيا دراسة اقتصادية وسياسية. المكتبة الإفريقية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ٥٤.

(٢٠) نزيه نصيف ميخائيل: النظم السياسية فى إفريقيا، تطورها واتجاهها نحو الوحدة، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ١٧٥.

(٢١) محمود الشرقاوى: التسلل الإسرائيلى فى إفريقيا، القاهرة، د. ت، ص ٦٤ – ٩٦.

(٢٢) شوقى الجمل: التضامن الآسيوى الإفريقى وأثره فى القضايا العربية. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة. القاهرة، ١٩٦٤م، ص ٢٢٠.

(٢٣) حسن تحسين: منظمة الوحدة الإفريقية نشأتها وميثاقها، القاهرة، ١٩٧٦م ص ١٣.
(٢٤) كولين ليجوم: الجامعة الإفريقية، دليل سياسي موجز، ترجمة أحمد محمود سليمان، سلسلة دراسات إفريقية (٩) الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩، ص ١٨٥.
(٢٥) يواقيم رزق مرقص: التوجه نحو إفريقيا، أربعون عاما على ثورة ٢٣ يوليو دراسة تاريخية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، الأهرام، يوليو ١٩٩٢م، ص ٢٦٨؛ عبد الملك عودة: مشرفا، ص ١٩٧.
(٢٦) مدثر عبد الرحيم: نظرة إفريقيا للصراع العربى الإسرائيلى: فى العرب وإفريقيا، تحرير عبد الملك عودة، مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٣٩٦، ٣٩٧.
(٢٧) نفسه، ص ٣٩٧، ٣٩٨.
(٢٨) عبد الملك عودة: السياسة والحكم فى إفريقيا، القاهرة، ١٩٥٩م، ص ١٨.
(٢٩) محمود متولى،رأفت الشيخ: إفريقيا فى العلاقات الدولية،القاهرة، ١٩٧٥م، ص ٣٢٩.
(٣٠) عمر رشدى: الصهيونيه وربيبتها إسرائيل، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٢٤٣.
(٣١) إبراهيم جلال أحمد: مصر والصراع العربى الإسرائيلى فى إطار مؤتمرات القمة الإفريقية ١٩٥٨م – ١٩٧٣م، مجلة مصر الحديثة، العدد السادس، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٧، ص ١٤٧.
(٣٢) Smith Hempstone: The New Africa . London 1961 P.204.
(٣٣) محمد على العوينى: السياسة الخارجية الإسرائيلية فى إفريقيا، رسالة ماجستير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٧١م، ص ٢٧٥– ٢٨٠.
(٣٤) ويصا صالح: الحرب الصهيونيه والتوسعات الإقليمية، السياسة الدولية، العدد أكتوبر ١٩٧٦م، ص ١٥٣، ١٥٤.
(٣٥) خيرى حماد: أبعاد المعركة مع إسرائيل والاستعمار، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ٣٩.
(٣٦) على محمد على: إسرائيل قاعدة عدوانية، القاهرة، ب. ت، ص ٢٠.
(٣٧) جعفر عبد السلام: معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٨٥.

(٣٨) Reader Ballard: Middle East Oxford University. London. 1961. P. 26.

(٣٩) جـلال يحيى وآخرون: الحركة الصهيونيه والعالم العربى، الإسـكندرية، ١٩٧٤م، ص ١٠٩.

(٤٠) أحمد طه محمد: ثورة ٢٣ يوليو والدائرة الإفريقية. فى ٢٣ يوليو نصف قرن من العطاء، مجلة النيل، العدد ٨٠، الهيئة العامة للاستعلامات، صيف ٢٠٠٢م، ص ٢٣، ٢٤.

(٤١) عبد الله عبد الرازق: العرب والتوغل الإسرائيلى فى إفريقيا. العرب فى إفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٤٣٩، ٤٤٠.

(٤٢) عبد الملك عودة: فكرة الوحدة، ص ٩٥.

(٤٣) أمانة الاتحاد الاشـتراكى العربى ببنغازى: عبرة الماضى وملامح الحاضر والمسـتقبل فى فكر القائد الخالد جمال عبد الناصر، الجزء الثانى، ليبيا، د. ت، ص ١٨٦.

(٤٤) منـظمة الشـباب الاشـتراكى: عبد الناصر الفكر..والطريق، القاهرة، ٢٨ سـبتمبر، ١٩٧٢م، ص ٣٢٥ – ٣٢٦.

(٤٥) عبـد العظيم لاشـين: جمـال عبد الناصر ومحاربة الاسـتعمار القديـم والجديد فى جمال عبد الناصـر والقومية العربية والثورة الاجتماعية ومحاربة الاسـتعمار القديم والجديد، معهد تدريب ضباط الشرطة، القاهرة، ١٩٧١م، ص ٢٦٨.

(٤٦) أمانة الاتحاد الاشتراكى العربى ببنغازى: مرجع سابق، ص ١٧٣.

(٤٧) عبد العظيم لاشين: مرجع سابق، ص ٣٠٥.

(٤٨) نفسه، ص ٢٧٤، ٢٧٥.

(٤٩) منظمة الشباب الاشتراكى: مرجع سابق، ص ١٥٧.

(٥٠) عبد العظيم لاشين: مرجع سابق، ص ٢٤٤، ٢٤٦.

(٥١) إبراهيم جلال: مصر والصراع العربى الإسرائيلى، ص١٥٣.

(٥٢) مجموعة خطب وتصريحات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الرابع، فبراير ١٩٦٢م – يونيه ١٩٦٤م، ص ٢٦، ٩٧.

(٥٣) عبد العظيم لاشين: مرجع سابق، ص ٢٧٢، ٢٧٣.

(٥٤) نفسـه. ص٢٧٣؛ مجموعـة خطـب وتصريحـات الرئيـس جمال عبـد الناصر، القسم الرابع، فبراير ١٩٦٢م– يونيه ١٩٦٤م، ص ٤٣٨.

(٥٥) عبد العظيم لاشين: مرجع سابق، ص ٢٧٥، ٢٧٦.
(٥٦) مجموعة خطب وتصريحات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الرابع، فبراير ١٩٦٢م - يونيه ١٩٦٤م، ص ٣، ٤٣٨.
(٥٧) حسين مؤنس: مصر ورسالتها، ط ١، القاهرة ١٩٦٩م، ص ٢٩، ٥٣.
(٥٨) عبد الملك عودة: فكرة الوحدة، ص ٩١.
(٥٩) نفسه.
(٦٠) محمد خيرى طلعت: إفريقيا، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٩٧.
(٦١) عبد المجيد محمد عمارة: الإذاعات الإفريقية الموجهة من مصر، نشرة غير دورية للبحوث والوثائق المتخصصة، القاهرة، ب. ت، ص ٤.
(٦٢) شوقى عطا الله الجمل: الدور الإفريقى لثورة يوليو ١٩٥٢م، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٢٩ أمين هويدى: مع عبد الناصر، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٢٤٥؛ إبراهيم أحمد العدوى: يقظة السودان، القاهرة، ١٩٥٦م، ص ١٠٢.
(٦٣) عزت أحمد: طريقنا إلى النصر، القاهرة، ١٩٥٩م، ص ٣٤.
(٦٤) محمد أمين حسونة: جمهورية مصر العربية فى عامها الثانى، القاهرة، ١٩٥٥م، ص ٢؛ أحمد شلبى: موسوعة التاريخ الإسلامى، ص ٢٣١؛ إبراهيم أحمد العدوى: مرجع سابق، ص ١٣٧.
(٦٥) زاهر رياض: السودان المعاصر، ص٢١٩؛ إبراهيم أحمد العدوى: مرجع سابق، ص ١٣٧.
(٦٦) إبراهيم أحمد العدوى: مرجع سابق، ص ١٣٧.
(٦٧) حسين ذو الفقار: ثورة يوليو واتفاقية السودان، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ٢٧؛ محمد خيرى طلعت: إفريقيا، ص ٩٧؛ زاهر رياض: السودان المعاصر، ص ٢١٩؛ إبراهيم أحمد، يقظة السودان، ص ١٣٧.
(٦٨) إبراهيم أحمد العدوى: مرجع سابق، ص ١٣٨؛ شوقى عطا الله الجمل: الدور، ص ٣٠.
(٦٩) إبراهيم محمد أحمد: جمال عبد الناصر والقومية العربية، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٣٦٩.

(٧٠) إبراهيم أحمد العدوى: مرجع سابق، ص ١٥٠.

(٧١) زاهر رياض: السودان المعاصر، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ٢٨١.

(٧٢) محمد سعيد القدال: تاريخ السودان الحديث، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٣٦٤.

(٧٣) سيد مصطفى: جمال عبد الناصر ومحاربة الاستعمار القديم والجديد في جمال عبد الناصر والقومية العربية والثورة الاجتماعية ومحاربة الاستعمار القديم والجديد، معهد تدريب ضباط الشرطة، القاهرة، ١٩٧١م، ص ٤٠٠؛ ظاهر جاسم: إفريقيا ما وراء الصحراء من الاستعمار إلى الاستقلال، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ١٧٠.

(٧٤) فتحي الديب: عبد الناصر والمشرق العربي، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٩٨؛ سيد مصطفى: مرجع سابق، ص ٤٠٠.

(٧٥) إبراهيم أحمد العدوى: مرجع سابق، ص١٥٢؛ زاهر رياض: مرجع سابق، ص ٢٨٢.

(٧٦) فتحي الديب: عبد الناصر والمشرق العربي، القاهرة، ٢٠٠٠م. ص ٩٩.

(٧٧) محمد مصطفى صفوت: مصر المعاصرة وقيام الجمهورية العربية المتحدة، الإسكندرية، ١٩٥٩م، ص ٢٩٦.

(٧٨) عبد الله عبد الرازق: مصر وحركات التحرر الوطني في شمال إفريقيا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ١٨٣، ١٨٤؛

Amin Samir: The Maghreb in the Modern World, London, 1970, P.118.

(٧٩) علي إبراهيم عبده، مصر وإفريقيا، ص ٢١٧؛ عبد الله عبد الرازق: مصر وحركات التحرر، ص ١٨٦.

(٨٠) شوقي عطا الله الجمل: الدور، ص ٤٣.

(٨١) عبد الله عبد الرازق: مصر وحركات التحرر، ص ١٠٤؛ نفيسة سعد الدين عبد الخالق: التطور التاريخي للعلاقات المصرية الإفريقية ١٩٥٢م - ١٩٦٧م، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة ١٩٩٣م، ص ٥٢.

(٨٢) فتحي الديب: عبد الناصر وثورة الجزائر، ط ١، القاهرة ١٩٨٤م، ص ١٨٣؛ عبد الله عبد الرازق: مصر وحركات التحرر، ص ١٠٤. شوقي عطا الله الجمل: مرجع سابق، ص٤٣؛ سيد مصطفى: مرجع سابق، ص ٤٠١؛ منظمة الشباب الاشتراكي: مرجع سابق، ص ٢٦٥.

(٨٣) سـيد مصطفي: مرجع سابق. ص ٤٠١؛ زاهر رياض: مصر وإفريقيا، ط١، القاهرة ١٩٧٦م، ص ٢٧٣؛ نفيسة سعد الدين: مرجع سابق، ص ٥٢.

(٨٤) سيد مصطفي: مرجع سابق، ص٤٠١؛عبد الله عبد الرازق: مصر وحركات التحرر، ص ١٠٤.

(٨٥) عـودة عبـد الرحمن: مصر والحركة الوطنية في الجزائـر منذ الحرب العالمية الأولى حتى الاستقلال ١٩١٤م – ١٩٦٢م. رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ١٩٩١م، ص ٢٤٢؛ محمود متولى: ثورة الجزائر، القاهرة، د. ت. ص ١٠٦.

(٨٦) سيد مصطفي: مرجع سابق، ص ٤٠٦.

(٨٧) أحمد توفيق المدنى: هذه هى الجزائر، القاهرة، ١٩٥٦م، ص ٢٣٢؛ أحمد الخطيب: الثورة الجزائرية، بيروت، ١٩٥٨م، ص ١٢٣.

(٨٨) نفسه؛ أحمد الخطيب: الثورة الجزائرية، بيروت، ١٩٥٨م، ص ١٢٤.

(89) Bromberg . Serer: Les Rebelles Algeriens . Paris 1958. P.20.

(٩٠) محمود متولى: ثورة الجزائر،د. ت، ص ١٠٨.

(٩١) عبد الله عبد الرازق: مصر وحركات التحرر، ص ٥٦.

(٩٢) نفسه، ص ٥٨ – ٦٠؛ حمدى حافظ، محمود الشرقاوى: الجزائر، القاهرة، د. ت، ص ١٤٣.

(٩٣) عودة عبد الرحمن: مرجع سابق، ص ٢٥١.

(٩٤) أحمد صدقى الدجانى: عبد الناصر والثورة العربية، بيروت، ١٩٨٣م، ص ١٨٤.

(٩٥) سيد مصطفي: مرجع سابق، ص ٤٠٦؛ جاك دوماك، مارى لورو: جمال عبد الناصر، ترجمة، ريمون نشاطى، بيروت، ١٩٨٨م، ص ١٢٢.

(٩٦) فتحى الديب: مرجع سابق، ص ٦٠٢ – ٦١٢.

(٩٧) أحمد حمروش: قصة ثورة يوليو، خريف عبد الناصر، ج ٥، ط ٢، القاهرة ١٩٨٤م، ص ٢٤٩.

(٩٨) فتحى الديب: عبد الناصر وثورة ليبيا، ط١، القاهرة ١٩٨٦م، ص ٢١ – ٢٤.

(٩٩) محمـد حسـنين هيكل: حوارات مع القذافى، مجلة وجهـات نظر، العدد الرابع، مايو، ١٩٩٩م، ص ١٠.

(١٠٠) محمد عبد المنعم يونس: الصومال. القاهرة، ١٩٦٢م. ص ٢١٨.
(١٠١) محمد عبد الفتاح هنيدى: تاريخ الصومال، ط ١، القاهرة، ١٩٦١م. ص ٥١.
(١٠٢) آذن عبد الله: رئيس الجمهورية الصومالية. مقديشيو. ١٩٦٣م، ص ١٠٤، ١١٦.
(١٠٣) محمد فايق: عبد الناصر والثورة الإفريقية، بيروت ١٩٨٥م، ص ٩٢.
(١٠٤) عبد الله عبد الرازق: موسوعة التاريخ والسياسة فى إفريقيا. القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٨٣.
(١٠٥) محمد فايق: مرجع سابق، ص ٩٣، ٩٤.
(١٠٦) نفسه، ص ٩٥، ٩٦؛ إبراهيم العربى: عبد الناصر بين يدى التاريخ، القاهرة، ١٩٨٥م. ص ١٤٤.
(١٠٧) محمد فايق: مرجع سابق، ص ٩٤، ٩٥.
(١٠٨) زاهر رياض: مصر وإفريقيا، ص ٢٧٦.
(١٠٩) عبد الله عبد الرازق: مصر وقضايا التحرر الوطنى والتنمية فى إفريقيا. القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٥٧، ٥٨.
(١١٠) محمد كامل صديق: : جمال عبد الناصر، القاهرة ١٩٧٥م، ص ٣٥.
(١١١) أحمد أبو الفتح: جمال عبد الناصر، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٤٨٤.
(١١٢) شوقى الجمل: الدور، ص ٥١.
(١١٣) محمد فايق: مرجع سابق، ص ١٠٠.
(١١٤) محمود أبو العينين: مصر وتحرير إفريقيا، السياسة الدولية، العدد ١٤٩. يوليو ٢٠٠٢م، ص ٤١.
(١١٥) زاهر رياض: تاريخ غانا الحديثة، ط١، القاهرة، ١٩٦١م، ص ٣٢٠؛ مجموعة خطب وتصريحات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الثانى، فبراير ١٩٥٨م - يناير ١٩٦٠م، القاهرة، ص ١٣٢.
(١١٦) إبراهيم العربى: مرجع سابق، ص١١٩.
(١١٧) محمد إسماعيل: نيجيريا وداهومى، والكاميرون، ١٩٦١م، ص ١٠٤، ١٠٥
(١١٨) شوقى الجمل: الدور، ص ٧٤، ٧٥.
(١١٩) محمد اسماعيل. سيراليون وليبيريا. القاهرة، ١٩٦٣م، ص ١٢٢ - ١٢٥.

(١٢٠) شوقى الجمل: الدور، ص ٨٢.

(١٢١) نفسه، ص ٨٣، ٨٤؛ محمد خيرى طلعت: مرجع سابق، ص ١١٧.

(١٢٢) محمد فايق: مرجع سابق، ص ١٠٢.

(١٢٣) شوقى الجمل: مرجع سابق، ص ٧١؛ محمد خيرى طلعت: مرجع سابق، ص ١١٩.

(١٢٤) شوقى الجمل: قضية روديسيا بين الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الإفريقية. القاهرة ١٩٨٠. ص ١٥٧.

(١٢٥) نفسه، ص ١٥٨.

(١٢٦) نفسه.

(١٢٧) نفسه.

(١٢٨) شوقى الجمل: الدور، ص ٧٤.

(١٢٩) نفسه، ص٥٦؛ محمد خيرى طلعت: مرجع سابق، ص ١١٦.

(١٣٠) شوقى الجمل: قضية روديسيا، ص ١٥٨.

(١٣١) عبد الله بلال: تأملات فى الناصرية «ثورة إنسانية شاملة» ط١، القاهرة ١٩٧١م، ص٢٠٣.

(١٣٢) محمد خيرى طلعت: مرجع سابق، ص ١١٧.

(١٣٣) نفسه.

(١٣٤) شوقى الجمل: الدور، ص٧٧، على إبراهيم عبده: مصر وإفريقيا فى العصر الحديث، القاهرة ١٩٦٢م، ص ٢٠٤.

(١٣٥) محمد خيرى طلعت: مرجع سابق، ص ١١٧.

(١٣٦) على إبراهيم عبده: مرجع سابق، ص ٢٠٦.

(١٣٧) شوقى الجمل: الدور، ص ٧٧، ٧٨.

(١٣٨) محمد خيرى طلعت: مرجع سابق، ص ١١٧.

(١٣٩) حسن تحسين: الثورة فى عشر سنوات، القاهرة ١٩٦٢م، ص ٩؛ شوقى الجمل: الدور الإفريقى، ص، ٧٨.

(١٤٠) شوقى الجمل: الدور، ص ٧٧، ٧٨.

(١٤١) مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر. القسم الثانى فبراير ١٩٥٨م - يناير ١٩٦٠م، مصلحة الاستعلامات، القاهرة. ب. ت، ص ١٠٤.

(١٤٢) عبد الملك عودة: مشرفا. ص ١٩٧.

(١٤٣) صبرى أبو المجد: ثورة إفريقيا: المكتبة العربية ٣، مطابع دار الكتاب العربى بمصر، ١٩٦٠م، ص ٢٧٨.

(١٤٤) نزيه نصيف ميخائيل: مرجع سابق، ص ١٧٥.

(١٤٥) محمود الشرقاوى: مرجع سابق. ص ٦٤ - ٩٦.

(١٤٦) شوقى الجمل: التضامن، ص ٢٢٠.

(١٤٧) حسن تحسين: منظمة الوحدة الإفريقية نشأتها وميثاقها. القاهرة، ١٩٧٦م ص ١٣.

(١٤٨) كولين ليجوم: الجامعة الإفريقية، دليل سياسى موجز، ترجمة أحمد محمود سليمان، سلسلة دراسات إفريقية (٩) الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦، ص ١٨١ - ١٨٣.

(١٤٩) مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر. القسم الثالث فبراير ١٩٦٠م إلى يناير ١٩٦٢م - ١٩٦١م يجب أن يكون عام حماية الاستقلال. خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى مؤتمر أقطاب إفريقيا بالدار البيضاء بتاريخ ٧/١/١٩٦١م. مصلحة الاستعلامات، القاهرة. ب. ت، ص ٣٥٩؛ مقرارات الدار البيضاء: خطاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر. القى فى مجلس الأمة بتاريخ ٢٤/ ١/ ١٩٦١م، ص ٣٦١.

(١٥٠) كولين ليجوم: مرجع سابق، ص ١٨٥.

(١٥١) أحمد يوسف القرعى: سياسة مصر الخارجية تجاه تصفية الاستعمار البرتغالى والنظم العنصرية فى إفريقيا (١٩٥٢م - ١٩٦٧م)، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٧٨م، ص ٢١، ٢٢.

(١٥٢) بطرس بطرس غالى: الجمهورية العربية المتحدة. السياسية، الدولية، العدد ٥ يوليو ١٩٦٦م، ص ٤.

(١٥٣) بطرس بطرس غالى: منظمة الوحدة الإفريقية، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ٩٩.

(١٥٤) نفسه.

(١٥٥) مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر – القسم الرابع – فبراير ١٩٦٢م – إلى يونيه ١٩٦٤م. الخطاب التاريخى الذى ألقاه الرئيس جمال عبد الناصر فى مؤتمر القمة الإفريقى بأديس أبابا بتاريخ ٢٤ مايو سنة ١٩٦٣م؛ شوقى الجمل: الدور الإفريقى لثورة ٢٣ يوليو، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٤م،ص ٩٥، ٩٦.

(١٥٦) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى الجلسة الافتتاحية لمؤتمر القمة الإفريقى فى ١٧ يوليو ١٩٦٤، شبكة المعلومات الداخلية – الإنترنت، الهيئة العامة للاستعلامات.

(١٥٧) نفسه؛ فهد حبيب هناور: دور الدول العربية الإفريقية فى منظمة الوحدة الإفريقية ١٩٦٣م – ١٩٩٠م، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٦٧.

(١٥٨) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى الجلسة الافتتاحية لمؤتمر القمة الإفريقى فى ١٧ يوليو ١٩٦٤م.

(١٥٩) عواطف عبد الرحمن، حلمى شعراوى: إسرائيل وأفريقيا، ط٢، القاهرة ١٩٨٥م. ص ١٠٧، ١٠٨.

(١٦٠) محمد عبود الفرج: الموقف الإفريقى من القضية الفلسطينية بعد حرب أكتوبر، رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٨٣م، ص ٧٨.

(١٦١) يونان لبيب رزق: أثر حرب أكتوبر فى سياسة مصر الخارجية: بحوث ودراسات ندوة أكتوبر ٢٢ – ٢٣ أكتوبر ١٩٧٧م مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، القاهرة ١٩٧٧م، ص ١٨٢، ١٨٣، ١٨٨.

(١٦٢) أمين أسبر: إفريقيا والعرب، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٨٥.

(١٦٣) أحمد يوسف القرعى: الدائرة الإفريقية فى اهتمامات القيادة المصرية، فى مصر وإفريقيا مسيرة العلاقات فى عالم متغير، بحوث ومناقشات الندوة التى نظمها قسم النظم والسياسية والاقتصادية.٢٧ / ٥ / ١٩٩٦م، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٣١.

(١٦٤) فهد حبيب هناور: دور الدول العربية الإفريقية فى منظمة الوحدة الإفريقية ١٩٦٣ م – ١٩٩٠م، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٨١.

(١٦٥) محبات الشرابي: مرجع سابق، ص ١٨٤، ١٨٥

(١٦٦) فهد حبيب هناور: مرجع سابق، ص ٨١.

(١٦٧) نفسه، ص ٨٢.

(١٦٨) نفسه.

(١٦٩) أحمد طه محمد: ثورة ٢٣ يوليو والدائرة الإفريقية، فى ٢٣ يوليو نصف قرن من العطاء، مجلة النيل، العدد ٨٠، الهيئة العامة للاستعلامات، صيف ٢٠٠٢م، ص٢٣، ٢٤.

(١٧٠) فهد حبيب هناور: دور الدول العربية الإفريقية، ص ٨٢.

(١٧١) عادل سيد على عبد الرازق: دور مصر فى منظمة الوحدة الإفريقية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٣٠٥.

(١٧٢) فهد حبيب هناور: مرجع سابق، ص٨٢، عادل سيد على عبد الرازق: مرجع سابق، ص٣٠٥.

(١٧٣) عادل سيد على عبد الرازق: مرجع سابق، ص ٣٠٥.

(١٧٤) Organization of African Unity Secretariat: Resolutions Adopted by the Fifth Ordinary Session of the Assembly of Heads of State and Government Held in Algiers from 13 to 16 September 1968.
Colin ,Legum and John Drysdale: Africa Contemporary Record, Annual Survey and Documents , London , 1969 1970. P.C5.

(١٧٥) عبد الرحمن إسماعيل الصالحى: الدول العربية فى منظمة الوحدة الإفريقية، العرب فى إفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٨٧م.، ص ٤١٨، ٤٢٠.

(١٧٦) عادل سيد عبد الرازق: مرجع سابق، ص، ٣٠٧.

(١٧٧) Organization of African Unity Secretariat: Resolutions Adopted by the Sixth Ordinary Session of the Assembly of Heads of State and Government Held in Addis Ababa from 6 to 10 September 1969. Resolution on the situation in the United Arab Republic.

(١٧٨) Organization of African Unity Secretariat: Resolutions Adopted by the Sixth Ordinary Session of the Assembly of Heads of State and Government Held in Addis Ababa from 6 to 10 September 1969. Resolution of the Aggression of the Israeli Forces Against the U.A.R.

(١٧٩) عادل سيد عبد الرازق: مرجع سابق، ص ٣٠٧.

(١٨٠) أحمد طه محمد: مرجع سابق، ص ٢٤.

(١٨١) عادل سيد على عبد الرازق: مرجع سابق، ص ٣٠٧.

(١٨٢) نجوى أمين محمد الفوال: القضايا السياسية الإفريقية كما تناولتها صحيفة الأهرام منذ حرب أكتوبر ١٩٧٣م، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٨٣م، ص ح.

(١٨٣) فرهاد: السياسات الاقتصادية لمصر وإسرائيل تجاه إفريقيا ١٩٤٨م – ١٩٧٣م دراسة مقارنة رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٧٩م، ص ١٨٦.

(١٨٤) زاهر رياض: مصر وإفريقيا، ص ٢٩٧.

(١٨٥) Organization of African Unity Secretariat: Resolutions Adopted by the Sventh Ordinary Session of the Assembly of Heads of State and Government Held in Addis Ababa from 1to 3 September 1970.

(١٨٦) أحمد باسم أحمد بارود: منظمة التحرير الفلسطينية والدول الإفريقية جنوب الصحراء ١٩٦٤ – ١٩٨٨، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ٢٠٠٥، ص ١٦.

(١٨٧) عبد الرحمن الرافعى: ثورة يوليو، دار المعارف، ١٩٨٩م، ص ٣٥٨.

(١٨٨) مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الثانى فبراير ١٩٥٨م – يناير ١٩٦٠م، مصلحة الاستعلامات، القاهرة،ب. ت، ص ١٠٤.

(١٨٩) محمد اسماعيل: سيراليون، ص٢٤١ – ٢٥١.

(١٩٠) أحمد باسم أحمد بارود: مرجع سابق، ص ١٨.

(١٩١) مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الثالث فبراير ١٩٦٠م إلى يناير ١٩٦٢م. ١٩٦١م يجب أن يكون عام حماية الاستقلال، خطاب

السـيد الرئيس جمال عبـد الناصر فى مؤتمر أقطاب إفريقيا بالـدار البيضاء بتاريخ ٧ /١/١٩٦١م. مصلحة الاستعلامات، القاهرة، ب. ت، ص ٣٥٩.

(١٩٢) مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر ١٩٦٢م – ١٩٦٤ م ص ٩٦، ٩٧.

(١٩٣) بطرس غالى: مرجع السابق، ص٧٨؛ نزيه نصيف: مرجع السابق، ص١٧٠. ص ٣٦١.

(١٩٤) عبد العظيم لاشين: مرجع سابق، ص٢٤٤، ٢٤٦.

(١٩٥) مجموعـة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر ١٩٦٢م – ١٩٦٤م ص ٤٣٩.

(١٩٦) نفسه؛ ص ٣٤٣، ٤٨٦، ٤٨٧، ٦١٦.

(١٩٧) خطـاب الرئيس جمال عبد الناصر فى الجلسـة الافتتاحيـة لمؤتمر القمة الإفريقى فـى ١٧ يوليـو ١٩٦٤م، شـبكة المعلومـات الداخلية – الإنترنـت. الهيئة العامة للاستعلامات.

(١٩٨) نفسه؛ فهد حبيب هناور: مرجع سابق، ص ٦٧.

(١٩٩) خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى الجلسة الافتتاحية لمؤتمر القمة الإفريقى فى ١٧ يوليو ١٩٦٤م.

(٢٠٠) عادل سيد على عبد الرازق: مرجع سابق، ص ٢٩٩.

(٢٠١) سـعيد محمد خميس: علاقة إسرائيل بإفريقيا حتى ١٩٦٧م، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٩، ص ٦٢.

(٢٠٢) مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر ١٩٦٧م – ١٩٦٨م، ص ١٣٥.

(٢٠٣) Organization of African Unity Secretariat: Resolutions Adopted by the Fifth Ordinary Session of the Assembly of Heads of State and Government Held in Algiers from 13 to 16 September 1968. Colin .Legum and John Drysdale: Africa Contemporary Record , Annual Survey and Documents , London . 1969 .1970, P.C5.

(٢٠٤) عادل سيد عبد الرازق: مرجع سابق، ص، ٣٠٧.

(٢٠٥) زاهر رياض: تاريخ غانا الحديثة، القاهرة، ١٩٦١م، ص ٣١٤.

(٢٠٦) محمد فايق: مرجع سابق، ص ٨٢، ٨٣.

(٢٠٧) بطرس بطرس غالى: الدبلوماسية المصرية عام ١٩٨٨م، السياسة الدولية، العدد٩٥، يناير ١٩٨٩م، ص ٩.

(٢٠٨) زاهر رياض: مصر وإفريقيا، ص ٢٧٤.

(٢٠٩) محبات الشرابى: مرجع سابق، ص ١٦٠ - ١٦٣.

(٢١٠) شــوقى الجمل: دور مصر فى إفريقيا فى العصــر الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ٢٤٥ - ٢٤٧.

(٢١١) محبات الشرابى: مرجع سابق، ص ١٦٣.

(٢١٢) شوقى الجمل: دور مصر، ص ٢٤٥ - ٢٤٧.

(٢١٣) بطــرس بطــرس غــالى: الدبلوماســية المصرية عــام ١٩٨٨م، السياســة الدولية، العدد ٩٥، يناير ١٩٨٩م، ص ٩.

(٢١٤) محمد حسنين هيكل: مرجع سابق، ص ١٠.

(٢١٥) محمد عبد المؤمن: مرجع السابق، ص٣٧٧ - ٢٧٩.

(٢١٦) نفسه، ص ٣٧٩.

(٢١٧) فتحى الديب: مرجع سابق، ص ٢٢، ٦٤، ٦٦، ٢٥٣ - ٢٥٦.

(٢١٨) محمد عبد المؤمن: العلاقات المصرية الليبية ١٩٦٩م- ١٩٧٢م، فى العلاقات المصرية الليبيــة عــبر العصور ٦ - ٧ مايو ٢٠٠٨م، أعمال المؤتمر الدولى لقســم التاريخ فى إطار الاحتفالية بمئوية جامعة القاهرة، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، ٢٠٠٨، ص ٣٨٣ - ٣٨٥.

(٢١٩) فتحى الديب: عبد الناصر وثورة ليبيا، ص ٣٩، ١٨٦، ١٩٠ - ١٩٢.

(٢٢٠) عبــد القادر: العلاقــات المصرية الليبية بين عامى ١٩٦٩م - ١٩٧٩م فى العلاقات المصريــة الليبيــة عــبر العصور ٦ - ٧ مايــو ٢٠٠٨،، أعمال المؤتمر الدولى لقســم التاريخ فى إطار الاحتفالية بمئوية جامعة القاهرة، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، ٢٠٠٨م، ص ٤١١.

(٢٢١) فتحى الديب: عبد الناصر وثورة ليبيا، ص ٧٣ - ٧٦، ١٥١.

(٢٢٢) جمــال حمــدان: الجمهورية العربيــة الليبية، عالم الكتــب، القاهرة، ١٩٧٣م،

ص ٥٨، ١٨٨.

(٢٢٣) Colin. Legum (ed): Africa Contemporary Record. 1970 - 1971. P.79.

(٢٢٤) عبد الله عبد الرازق: موسوعة التاريخ والسياسة فى إفريقيا، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٥٠٧.

(٢٢٥) Rath. First: The Glusive Revolution. New York1975. PP. 113 114.

(٢٢٦) أحمد فارس: موروث الناصرية، مصر والعروبة وثورة يوليو. بيروت، ١٩٨٢م. ص ٢١١.

(٢٢٧) مجموعة من الباحثين «تحرير على الصاوى» : النخبة السياسية فى العالم العربى، أعمال المؤتمر الثالث للباحثين الشباب بالقاهرة، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٥٠.

(٢٢٨) هنرى حبيب: ليبيا بين الماضى والحاضر، ترجمة شاكر إبراهيم، الطبعة الأولى، المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان والمطابع، طرابلس، ١٩٨١م. ص ١٢٠٦.

(٢٢٩) محمد عبد المؤمن: مرجع سابق، ص ٣٨٢.

(٢٣٠) محمد السيد سليم: التحليل السياسى الناصرى. ط٢. بيروت، ١٩٨٧م. ص ٢٣٨.

(٢٣١) فتحى الديب: عبد الناصر وثورة ليبيا، ص ١٥١. ١٧٨.

(٢٣٢) محمود رياض: مذكرات محمود رياض: ج ٢. ص ٢١٣.

(٢٣٣) فتحى الديب: عبد الناصر وثورة ليبيا، ص ٧٣ - ٧٦. ١٥١.

(٢٣٤) عبد القادر إسماعيل: مرجع سابق. ص ٤١١.

(٢٣٥) Colin. Legum (ed): Op.Cit. 19701971-. P.80.

(٢٣٦) مجموعة من المؤلفين: ليبيا الثورة فى ٢٥ عام «١٩٦٩م - ١٩٩٤م» مصراته، ١٩٩٤م، ص ٧٩.

(٢٣٧) عبد الله عبد الرازق: مرجع سابق، ص ٥٠٨.

(٢٣٨) فتحى الديب: عبد الناصر وثورة ليبيا، ص ١٧٠؛ مجموعة من المؤلفين: ليبيا الثورة، ص ٣٥٠.

(٢٣٩) وثائق عبد الناصر، يناير ١٩٦٩م - ديسمبر ١٩٧٠م، ص ٢٣٥.

(٢٤٠) فتحى الديب: مرجع سابق. ص ٣٩، ١٨٦، ١٩٠ - ١٩٢.

(٢٤١) محمد عبد المؤمن: مرجع السابق، ص ٢٨٣ - ٢٨٥.

(٢٤٢) مبادرة روجرز: مبادرة أمريكية لحل أزمة الشرق الأوسط. سعت لانسحاب إسرائيل من الأراضى العربية التى احتُلت عام ١٩٦٧م، مقابل اعتراف عربى بحقها فى البقاء. مصر والعروبة وثورة يوليو، بيروت، ص ٣٥٠.

(٢٤٣) أنور السادات: البحث عن الذات، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ٢٢٤.

(٢٤٤) Ruth First: Op.Cit., P.228.

(٢٤٥) فتحى الديب: عبد الناصر وثورة ليبيا، ص ٢٨٥، ٢٩١؛ أنور السادات: مرجع سابق، ص ٢٢٤.

□□□

قائمة المصادر والمراجع

أولا – الوثائق:

أ ـ العربية:

– مجموعــة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القســم الأول ٢٣ يوليو ١٩٥٢م – ١٩٥٨م، الكتلة الآسيوية الإفريقية ألقيت فى مؤتمر باندونج يوم ١٩ أبريل سنة ١٩٥٥م، مصلحة الاستعلامات، القاهرة، ب. ت.

– مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الثانى فبراير ١٩٥٨م – يناير ١٩٦٠م، مصلحة الاستعلامات، القاهرة،ب. ت.

– مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الثلث فبراير ١٩٦٠م إلى يناير ١٩٦١م – ١٩٦٢م.

– مجموعــة خطب وتصريحــات الرئيس جمال عبــد الناصر، القســم الرابع، فبراير ١٩٦٢م – يونيه ١٩٦٤م، وزارة الإرشاد القومى، الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة.

– وثائــق عبــد الناصــر، خطب – أحاديــث – تصريحات. يناير١٩٦٧م – ديســمبر ١٩٦٨م، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام.

– وثائــق عبــد الناصر، خطب – أحاديــث – تصريحات. يناير ١٩٦٩م – ســبتمبر ١٩٧٠م، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام.

ب ـ الأجنبية:

- Colin ,Legum and John Drysdale: Africa Contemporary Record, Annual Survey and Documents , London , 1969 ,1970. 1970 -1971.

- Organization of African Unity Secretariat: Resolutions Adopted by the Fifth Ordinary Session of the Assembly of Heads of State and Government Held in Algiers from 13 to 16 September 1968.

- Organization of African Unity Secretariat: Resolutions Adopted by the Sixth Ordinary Session of the Assembly of Heads of State and Government Held in Addis Ababa from 6 to 10 September 1969.

- Organization of African Unity Secretariat: Resolutions Adopted by the Seventh Ordinary Session of the Assembly of Heads of State and Government Held in Addis Ababa from 1to 3 September 1970.

ثانيا - المراجع:

أ- العربية:

- إبراهيم أحمد العدوى: يقظة السودان، القاهرة، ١٩٥٦م.
- إبراهيم العربى: عبد الناصر بين يدى التاريخ، القاهرة، ١٩٨٥م.
- إبراهيم محمد أحمد: جمال عبد الناصر والقومية العربية، القاهرة، ١٩٧٠م.
- أحمد أبو الفتح: جمال عبد الناصر، القاهرة، ١٩٦٠م.
- أحمد توفيق المدنى: هذه هى الجزائر، القاهرة، ١٩٥٦م.
- أحمد الخطيب: الثورة الجزائرية، بيروت، ١٩٥٨م.
- أحمد حمروش: قصة ثورة يوليو، خريف عبد الناصر، ج ٥، ط ٢، القاهرة ١٩٨٤م.
- أحمد صدقى الدجانى: عبد الناصر والثورة العربية، بيروت، ١٩٨٣م.
- أحمد فارس: موروث الناصرية، مصر والعروبة وثورة يوليو، بيروت، ١٩٨٢م.
- آذن عبد الله: رئيس الجمهورية الصومالية، مقديشيو، ١٩٦٣م.
- أمانة الاتحاد الاشتراكى العربى ببنى غازى: عبرة الماضى وملامح الحاضر والمستقبل فى فكر القائد الخالد جمال عبد الناصر، الجزء الثانى، ليبيا، د. ت.
- أمين أسبر: أفريقيا والعرب، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٨٠م.
- أمين هويدى: مع عبد الناصر، القاهرة، ١٩٨٥م.
- أنور السادات: البحث عن الذات، القاهرة، ١٩٧٨م.
- بطرس بطرس غالى: منظمة الوحدة الإفريقية، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م.
- جاد طه: ثورة ٢٣ يوليو بين النظرية والتطبيق، القاهرة، ١٩٦٩م - ١٩٧٠م.
- جعفر عبد السلام: معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية، القاهرة، ١٩٨٠م.
- جلال يحيى وآخرون: الحركة الصهيونيه والعالم العربى، الإسكندرية، ١٩٧٤م.
- جمال حمدان: الجمهورية العربية الليبية، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٣م.
- جمال عبد الناصر: فلسفة الثورة، وزارة الإرشاد القومى، مصلحة الاستعلامات، القاهرة، ١٩٦٦م.

- حسن تحسين: الثورة فى عشر سنوات، القاهرة ١٩٦٢م.
- ....: منظمة الوحدة الإفريقية نشأتها وميثاقها، القاهرة، ١٩٧٦م.
- حسين ذو الفقار: ثورة يوليو واتفاقية السودان، القاهرة، ١٩٨٢م.
- حسين مؤنس: مصر ورسالتها، ط ١، القاهرة ١٩٦٩م.
- حمدى حافظ، محمود الشرقاوى: الجزائر، القاهرة، د. ت.
- خالد محمود الكومى: مصر وقضايا الجنوب الإفريقى نظرة على الأوضاع الراهنة ورؤية مستقبلية، تاريخ المصريين، العدد ٣٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٩م.
- خيرى حماد: أبعاد المعركة مع إسرائيل والاستعمار، القاهرة، ١٩٦٧م.
زاهر رياض: تاريخ غانا الحديثة، ط ١، القاهرة، ١٩٦١م.
- ....: السودان المعاصر، القاهرة،١٩٦٦م.
- ....: مصر وأفريقيا، القاهرة ١٩٧٦م.
- شوقى الجمل: التضامن الآسيوى الإفريقى وأثره فى القضايا العربية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٤م.
- ....: قضية روديسيا بين الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الإفريقية، القاهرة.
- ....: الدور الإفريقى لثورة يوليو ١٩٥٢م، القاهرة، ١٩٩٤م.
- صبرى أبو المجد: ثورة أفريقيا: المكتبة العربية ٣، مطابع دار الكتاب العربى بمصر، ١٩٦٠م.
- ظاهر جاسم: إفريقيا ما وراء الصحراء من الاستعمار إلى الاستقلال، القاهرة، ١٩٩٥.
- عبد الرحمن إسماعيل الصالحى: الدول العربية فى منظمة الوحدة الإفريقية، العرب فى إفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٨٧م.
- عبد الرحمن الرافعى: ثورة يوليو، دار المعارف، ١٩٨٩م.
- عبد العظيم لا شين، سيد مصطفى: جمال عبد الناصر ومحاربة الاستعمار القديم والجديد فى جمال عبد الناصر والقومية العربية والثورة الاجتماعية ومحاربة الاستعمار القديم والجديد، معهد تدريب ضباط الشرطة، القاهرة، ١٩٧١ م - عبد الله بلال: تأملات فى الناصرية «ثورة إنسانية شاملة» ط١، القاهرة ١٩٧١م.
- عبد الله عبد الرازق: مصر وحركات التحرر الوطنى فى شمال إفريقيا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م.

- ....: العـرب والتوغل الإســرائيلى فى إفريقيا، العرب فى إفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٨٧م.
- ....: مصـر وقضايا التحـرر الوطنى والتنمية فى إفريقيا، القاهرة، ١٩٩٦م.
- عبد الملك عودة: السياسة والحكم فى إفريقيا، القاهرة، ١٩٥٩م.
- ....: فكرة الوحدة الإفريقية، دار النهضة العربية، القاهرة، ب. ت.
- عبد المنعم سعيد: التغير فى السياسة الخارجية بعد الهزيمة، فى حرب يونيه ١٩٦٧م بعد ٣٠ سنة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ص ١٦٣.
- عزت أحمد: طريقنا إلى النصر، القاهرة، ١٩٥٩م.
- على إبراهيم عبده: مصر وإفريقيا فى العصر الحديث، القاهرة ١٩٦٢م.
- على محمد على: إسرائيل قاعدة عدوانية، القاهرة، ب. ت.
- عمر رشدى: الصهيونيه وربيبتها إسرائيل، القاهرة، ١٩٦٠م.
- عواطف عبد الرحمن، حلمى شعراوى: إسرائيل وإفريقيا، ط ٢، القاهرة ١٩٨٥م.
- فتحى الديب: عبد الناصر وثورة الجزائر، ط ١، القاهرة ١٩٨٤م.
- ....: عبد الناصر وثورة ليبيا، ط ١، القاهرة ١٩٨٦م.
- ....: عبد الناصر والمشرق العربى، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- مجموعة باحثين: الثورة الليبية فى عشرين عاما، الطبعة الأولى، طرابلس، ١٩٨٩م.
- مجموعـة مـن المؤلفين: ليبيـا الثورة فـى ٢٥ عـام «١٩٦٩م - ١٩٩٤م» مصراته، ١٩٩٤م، ص ٧٩.
- محيات إمام الشـرابى: الوجود الإسـرائيلى والعربى فى إفريقيا دراسـة اقتصادية وسياسية، المكتبة الإفريقية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م.
- محمد إسماعيل: نيجيرية وداهومى والكاميرون، القاهرة ١٩٦١م.
- ....: سيراليون وليبيريا، القاهرة، ١٩٦٣م.
- محمد السيد سليم: التحليل السياسى الناصرى، ط ٢، بيروت، ١٩٨٧م.
- محمد أمين حسونة: جمهورية مصر العربية فى عامها الثانى، القاهرة، ١٩٥٥م.
- محمد خيرى طلعت: إفريقيا، القاهرة، ١٩٩٦م.

- محمد سعيد القدال: تاريخ السودان الحديث، القاهرة، ١٩٩٣م.
- محمد عبد الفتاح هنيدى: تاريخ الصومال، ط ١، القاهرة، ١٩٦١م.
- محمد عبد المنعم يونس: الصومال، ط ١، القاهرة، ١٩٦٢م.
- محمد فايق: عبد الناصر والثورة الإفريقية، بيروت، ١٩٨٥م.
- محمد كامل صديق: : جمال عبد الناصر، القاهرة، ١٩٧٥م.
- محمد كمال الدسوقى، عبد التواب عبد الرازق: الصهيونيه والنازية، القاهرة، ١٩٦٨م.
- محمد مصطفى صفوت: مصر المعاصرة وقيام الجمهورية العربية المتحدة، الأسكندرية، ١٩٥٩م.
- محمود الشرقاوى: التسلل الإسرائيلى فى إفريقيا، القاهرة، د. ت.
- محمود متولى: ثورة الجزائر، القاهرة، د. ت.
- محمود متولى، رأفت الشيخ: إفريقيا فى العلاقات الدولية، القاهرة، ١٩٧٥م.
- مذكرات محمود رياض: ج ٢.
- مصر والعروبة وثورة يوليو، بيروت، ص ٣٥٠.
- منظمة الشباب الاشتراكى: عبد الناصر الفكر.. والطريق، القاهرة، ٢٨ سبتمبر، ١٩٧٢م.
- نزيه نصيف ميخائيل: النظم السياسية فى إفريقيا، تطورها واتجاهها نحو الوحدة، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م.
- يواقيم رزق مرقص: التوجه نحو إفريقيا، أربعون عاما على ثورة ٢٣ يوليو دراسة تاريخية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، الأهرام، يوليو ١٩٩٢م.

ب ـ المعربة:

- جاك دوماك، مارى لورو: جمال عبد الناصر، ترجمة، ريمون نشاطى، بيروت، ١٩٨٨م.
- كولين ليجوم: الجامعة الإفريقية، دليل سياسى موجز، ترجمة أحمد محمود سليمان، سلسلة دراسات إفريقية (٩) الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م.
- هنرى حبيب: ليبيا بين الماضى والحاضر، ترجمة شاكر إبراهيم، الطبعة الأولى، المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان والمطابع، طرابلس، ١٩٨١م.

المراجع الأجنبية:

جـ-الأجنبية:

- Amin Samir: The Maghreb in the Modern World . London. 1970.
- Bromberg . Serer: Les Rebelles Algeriens . Paris 1958.
- Reader Ballard: Middle East .Oxford University. London 1961.
- Rath . First: The Glusive Revolution .New York , 1975.
- Smith Hempstone: The New Africa . London .1961.

ثالثا - الدوريات:

- إبراهيم جلال أحمد: مصر والصراع العربي الإسرائيلي في إطار مؤتمرات القمة الإفريقية ١٩٥٨م - ١٩٧٣م، مجلة مصر الحديثة، العدد السادس، دارالكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- مصر وأفرقة القضية الفلسطينية، مجلة شئون الشرق الأوسط، العدد السادس عشر، جامعة عين شمس، أكتوبر ٢٠٠٥م.
- أحمد طه محمد: ثورة ٢٣ يوليو والدائرة الإفريقية. في ٢٣ يوليو نصف قرن من العطاء، مجلة النيل، العدد ٨٠، الهيئة العامة للاستعلامات، صيف ٢٠٠٢م.
- بطرس بطرس غالى: الجمهورية العربية المتحدة، السياسية، الدولية، العدد ٥ يوليو ١٩٦٦م.
-..................: الدبلوماسية المصرية عام ١٩٨٨م، السياسة الدولية، العدد ٩٥، يناير ١٩٨٩م.
- عبد المجيد محمد عمارة: الإذاعات الإفريقية الموجهة من مصر، نشرة غير دورية للبحوث والوثائق المتخصصة، القاهرة، ب. ت.
- محمد حسنين هيكل: حوارات مع القذافى، مجلة وجهات نظر، العدد الرابع، مايو، ١٩٩٩م.
- محمود أبو العينين: مصر وتحرير إفريقيا، السياسة الدولية، العدد ١٤٩، يوليو ٢٠٠٢م.

- محمـود وهيب السـيد: ثورة يوليو ووضـوح الرؤية، فى ٢٣ يوليـو نصف قرن من العطاء، مجلة النيل، العدد ٨٠، الهيئة العامة للاستعلامات، صيف ٢٠٠٢م.
- وليـد محمود عبد الناصر: أهداف السياسـة المصرية الخارجية فى ٢٣ يوليو نصف قرن من العطاء، مجلة النيل، العدد ٨٠، الهيئة العامة للاستعلامات، صيف ٢٠٠٢م.
- ويصا صالح: الحرب الصهيونيه والتوسعات الإقليمية، السياسة الدولية، العدد أكتوبر ١٩٧٦م.

رابعا - الرسائل العلمية:

- أحمد باسم أحمد بارود: منظمة التحرير الفلسطينية والدول الإفريقية جنوب الصحراء ١٩٦٤م- ١٩٨٨م، رسـالة ماجسـتير غير منشـورة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- أحمد يوسف القرعي: سياسة مصر الخارجية تجاه تصفية الاستعمار البرتغالى والنظم العنصرية فى إفريقيا (١٩٥٢م - ١٩٦٧م)، رسـالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٧٨م.
- سـعيد محمد خميس: علاقة إسـرائيل بإفريقيا حتى ١٩٦٧م، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٢م.
- عادل سيد على عبد الرازق: دور مصر فى منظمة الوحدة الإفريقية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٣.
- عـودة عبـد الرحمن: مصر والحركة الوطنية فى الجزائـر منذ الحرب العالمية الأزلى حتى الاستقلال ١٩١٤م - ١٩٦٢م، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ١٩٩١م.
- نفيسـة سـعد الدين عبد الخالق: التطور التاريخى للعلاقـات المصرية الإفريقية فى الفترة من ١٩٥٢م - ١٩٦٧م، ماجسـتير، معهد البحوث والدراسـات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٣م.
- فرهاد: السياسات الاقتصادية لمصر وإسرائيل تجاه إفريقيا ١٩٤٨م - ١٩٧٣م دراسة مقارنة رسـالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٧٩م.
- فهـد حبيـب هناور: دور الدول العربيـة الإفريقية فى منظمة الوحـدة الإفريقية

١٩٦٣م– ١٩٩٠م، رسالة ماجستير غير منشورة. معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٥م.

– محمد عبود الفرج: الموقف الإفريقي من القضية الفلسطينية بعد حرب أكتوبر، رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٨٣م.

– محمد على العوينى: السياسة الخارجية الإسرائيلية فى إفريقيا، رسالة ماجستير منشورة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٧١م.

– ناصر أحمد أحمد مسلم: الدبلوماسية المصرية تجاه أفريقيا فى الفترة من ١٩٥٢م – ١٩٨٧م، ماجستير، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٢م.

– نجوى أمين محمد الفوال: القضايا السياسية الإفريقية كما تناولتها صحيفة الأهرام منذ حرب أكتوبر ١٩٧٣م. رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٨٣م.

خامسا ـ التقارير والندوات والمؤتمرات:

– أحمد يوسف القرعى: الدائرة الإفريقية فى اهتمامات القيادة المصرية. فى مصر وإفريقيا مسيرة العلاقات فى عالم متغير، بحوث ومناقشات الندوة التى نظمها قسم النظم والسياسية والاقتصادية ٢٧ / ٥/ ١٩٩٦م، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٣١.

– ع. ع، أ. ش، ر. م: إسرائيل وأفريقيا: التقرير الاستراتيجى الإفريقى، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ومركز البحوث الإفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠١م، ٢٠٠٢م.

عبد الله عبد الرازق: مصر وقضايا التحرر الوطنى والتنمية فى إفريقيا (الحقبة الناصرية)، فى مصر وإفريقيا مسيرة العلاقات فى عالم متغير، بحوث ومناقشات الندوة التى نظمها قسم النظم والسياسية والاقتصادية ٢٧ / ٥/ ١٩٩٦م، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٦م.

– عبد القادر إسماعيل: العلاقات المصرية الليبية بين عامى ١٩٦٩م – ١٩٧٩م فى العلاقات المصرية الليبية عبر العصور ٦ – ٧ مايو ٢٠٠٨م. أعمال المؤتمر الدولى لقسم التاريخ فى إطار الاحتفالية بمئوية جامعة القاهرة، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، ٢٠٠٨م.

– مجموعة من الباحثين «تحرير على الصاوى»: النخبة السياسية فى العالم العربى. أعمال المؤتمر الثالث للباحثين الشباب بالقاهرة، القاهرة، ١٩٩٦م.
– محمد رضا توفيق فودة: باب المندب والأمن العربى الإفريقى. العرب فى إفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر. دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٨٧م.
– محمد عبد المؤمن: العلاقات المصرية الليبية ١٩٦٩م – ١٩٧٢م. فى العلاقات المصرية الليبية عبر العصور ٦ – ٧ مايو ٢٠٠٨م. أعمال المؤتمر الدولى لقسم التاريخ فى إطار الاحتفالية بمئوية جامعة القاهرة، جامعة القاهرة. معهد البحوث والدراسات الإفريقية، ٢٠٠٨م.
– مدثر عبد الرحيم: نظرة إفريقيا للصراع العربى الإسرائيلى: فى العرب وإفريقيا، تحرير عبد الملك عودة، مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربى. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. ١٩٨٤م.
– يونان لبيب رزق: أثر حرب أكتوبر فى سياسة مصر الخارجية: بحوث ودراسات ندوة أكتوبر ٢٢ – ٢٣ أكتوبر ١٩٧٧م. مركز بحوث الشرق الأوسط. جامعة عين شمس. القاهرة ١٩٧٧م.

سادسا – الموسوعات:

– أحمد شلبى: موسوعة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية. ط ٢، القاهرة، ١٩٨٣م.
– عبد الله عبد الرازق: موسوعة التاريخ والسياسة فى إفريقيا. القاهرة. ١٩٩٦م.

□□□

مصر ومشروع حلف الدفاع الإفريقى ١٩٥١م - ١٩٥٨م (دراسـة وثـائـقـيـة)

د. أحمد عبد الدايم محمد حسين
معهد البحوث والدراسات الإفريقية - جامعة القاهرة

يعد حلف الدفاع الإفريقى أحد المشـروعات الاسـتعمارية للدفاع عن إفريقيا، وقد ولد فى إطار مشـروع الدفاع عن الشـرق الأوسط منذ سـنة ١٩٤٧م. ورغم أنه عرض على مصر رسميا فى ١٢يوليو ١٩٥١م، أى قبل عرض مشـروع قيادة الشـرق الأوسـط بثلاثة أشهر، إلا إنه سار مع مسألة الدفاع عن الشرق الأوسط (حلف بغداد فيما بعد) صعودا وهبوطا، بل إنه عندما سـقط حلف بغداد لم تعد هنـاك حجة لطرحه من جديد، فقد كان تيار التحرر يجـرف معه أية إمكانية للمناداة به مرة أخرى. غير أن مشـروع حلف الدفاع الإفريقى لم يأخذ نصيبه من الدراسة والاهتمام – كبقية الأحلاف أو مشروعاتها المعروفة للجميع – فى الدراسـات التاريخية المصرية أو الأوربية، ورغم الصعوبة التى كانت ماثلة تماما فى ذهن الباحـث قبـل الحديث عن حلف تجاهلته تلك الدراسـات، الا أن رواية الوثائق المصرية عنه كانت دافعا ومحرضا أساسـيا لكتابة هذه الدراسة، والتى تقطع بضرورة عدم الاعتماد علـى الرواية المركزية الأوربية للأحداث الإفريقية كروايـة وحيدة لها، بل إن التدقيق فى الخطـط الاسـتعمارية المخالفة لوجهة نظـر حكومة اتحاد جنوب إفريقيا التى تحمسـت للحلـف ونـادت به، ليدلل على صدق الرواية المصرية، حتى أنه لم يعد هناك أى تخوف لـدى الباحث من إثارة تلك المسـألة التى انحصرت دهشـته فقط فـى تجاهلها. فالوثائق المصريـة ومتابعتهـا الدقيقة لهذا المشـروع – حينما دعيت مصر باعتبارهـا إحدى الدول الاسـتعمارية (تسيطر على السودان) للمشـاركة فيه، وحينما لم تدع اليه باعتبارها داعية للتحرر والاستقلال – تقف سندا وحجة رئيسية فى طرح هذه الدراسة، بحيث لم يتبق الا اختبار شـهادة الوثائق نفسـها وعما إذا كانت تمثل شهادة نفى أم شهادة للإثبات. لذا لم يكن من المتصور التعامل معها كشاهد متطوع يعترف بقول الحقيقة، بل جرى التعامل معها كأى شاهد آخر لا يُقبل على الحديث إلا بطرح الاسئلة والاستجواب. ومن هنا فإن الورقة

تطرح الوثائق المصرية باعتبارها شاهد الإثبات الحقيقى لكشف ملابسات مشروع حلف الدفاع الإفريقى. ولأنها جاءت من باب حرص الإدارة المصرية للحفاظ على استقلالها وأمنها الإقليمى فى ظل التغيرات العالمية (الحرب الباردة) وما تخللها من صعود وهبوط للقوى الاستعمارية عبر القارة الإفريقية.

اذا بواعث هذه الورقة قد تحددت فى أمرين: الأول. الاهتمام الكبير الذى أولته الوثائق المصرية لهذا المشروع. ليس فقط عبر مفوضياتها وسفاراتها فى إفريقيا. بل عبر مختلف هيئات تمثيلها الدبلوماسى فى أوربا وأمريكا وآسيا. الثانى. الشك فيما تضمنته الرؤية التقليدية فى الكتابات المصرية عن سياسة مصر الإفريقية. حيث تمحورت حول الفهم الظاهرى لما أورده عبد الناصر فى كتاب فلسفة الثورة. وحول الدعم المصرى لحركات التحرر الإفريقى. دون أن تحلل مضمون ما ورد وتختبر توقيته. أو تناقش لماذا نجحت مصر مع تلك الحركات؟ وبالتالى فإن البحث يستهدف أمورا ثلاثة: أولها. وجود استمرارية فى السياسة المصرية تجاة إفريقيا. ووجود ارتباط وثيق بين مشروع حلف الدفاع الإفريقى ومشروع الدفاع عن الشرق الأوسط (حلف بغداد فيما بعد). وأن متابعة الإدارة المصرية للمشروع الإفريقى كانت محاولة لفهم القارة الإفريقية والقوى التى تحركها. ثانيها. تسليط الضوء على الدور الذى لعبه العامل الإقليمى والدولى فى شغل مصر عن قضايا التنمية وتركيزها فى صيانة استقلالها طوال فترة البحث. ثالثها. تقديم جانب من صورة المشهد الأخير لسقوط الإمبراطورية البريطانية التى امتدت منذ القرن ١٧ وحتى منتصف القرن العشرين. لذا فإن البحث ينقسم إلى أربعة محاور. يختص المحور الأول بتقصى فكرة حلف الدفاع الإفريقى منذ نشأتها. وفى الثانى الموقف المصرى من مؤتمر نيروبى سنة ١٩٥١م. وفى الثالث ثورة يوليو والوعى بمشروع حلف الدفاع الإفريقى. وفى الرابع الموقف المصرى من المشروع بعد أن أصبح يستهدف عزل وتهميش وحصار الدور المصرى فى إفريقيا.

المحور الأول: نشأة فكرة حلف الدفاع الإفريقى:

إن أول ما يلفت النظر من خلال القراءة الأولية للوثائق المصرية عن مشروع هذا الحلف(١) هو الاستنتاج بأن إفريقيا كانت جزءا أصيلا من رقعة الشطرنج العالمية التى تجرى عليها منافسات الكتلتين الشرقية والغربية. وأنه من الطبيعى أن تفرض أو يُفرض عليها ما فُرض

على غيرها من مشروعات لأحلاف عسكرية. وأنه إذا كانت للقوى الغربية أهدافها ومصالحها التى تبرر دعوتها للتحالف فى الدفاع عن إفريقيا. لخوف الكتلة الغربية من امتداد النفوذ الشيوعى ومطامعها فى المحافظة على أسواقها ومصدر موادها الخام. كانت أيضا للقوى المحلية الإفريقية طموحاتها الخاصة لاستغلال تلك القوى فى مشروعاتها الإقليمية فى التوسع. ولو أن هذه الوثائق لم تقدم خلفية تاريخية لنشأة فكرته. لهذا كان لابد من البحث عن السياق الذى طرح فيه المشروع قبل أن يدخل فى إطار التنفيذ سنة ١٩٥١م. ولهذا كان لابد من طرح عدة تساؤلات أهمها. هل يمكن النظر لإفريقيا بعد الحرب العالمية الثانية باعتبارها بدعا بين مناطق العالم ؟ أم كانت - كغيرها - مركزا من مراكز الاستقطاب للأحلاف العسكرية؟ ومتى قدمت فكرة المشروع ولماذا؟ وما هى طبيعة القوى التى قدمته؟ وقد تبين لنا أن بذور الفكرة ظهرت عبر مسارين:

المسار الأول: ظهرت كفكرة خارجية ترتبط بالقوى الغربية. ومع أن تلك القوى لم تعتبر إفريقيا أبدا أرضا للمعركة بل هى مكان للإمداد وتقديم تسهيلات الدفاع وبناء القواعد العسكرية. إلا أنها لم تقترب من مسألة حلف الدفاع الإفريقى أو تبتعد عنه إلا بقدر ما يخدم نظرتها فى تسهيلات الدفاع. ويمكن القول بإن هناك أسبابا ثلاثة جعلت تلك القوى تجهر بطرح فكرة الدفاع الإفريقى: **أولها**، تخوف القوى الاستعمارية القديمة من النفوذ الروسى. خاصة أن إفريقيا كانت مستعمرة من قبلهم وليس من قبل الروس. وكان من الطبيعى أن يسعى الإفريقيون فى كفاحهم من أجل الاستقلال إلى طلب المساعدة والدعم من الاتحاد السوفيتى. **ثانيها**، ربط الدفاع الإفريقى بالدفاع عن الشرق الأوسط. فقد رأى بعض قادة حلف الناتو (تأسس سنة ١٩٤٩م) أن مسألة الاعتداء على إفريقيا مطروحة للنقاش. لكنها لم تزد عن كونها جزيرة إقليمية معزولة توفر القواعد العسكرية والبرية لتمتد منها إلى أرض المعركة الحقيقى فى الشرق الأوسط. لذا فإن القارة فى نظرهم هى أرض إمداد فقط[1]. ومن ثم كان الدفاع عن الشرق الأوسط له الأولوية الرئيسية فى نشأة فكرة الدفاع الإفريقى.

ثالثها. استكمال الثغرة التى نتجت على إثر تأسيس حلف الناتو. فعندما تأسس الحلف كانت نصوصه لا تقضى بتقديم المساعدة لأعضائه خارج أوربا. بمعنى أنه إذا هوجمت سفن فرنسا وإنجلترا فى المحيط الهندى - على سبيل المثال - فليس من حقهما الاستناد على معاهدة الأطلنطى. وبالتالى ظهرت مدى صعوبة الاحتفاظ بالمستعمرات

الإفريقية. لذا ترددت النغمة في إدخال إفريقيا في حلف الناتو وخططه[٢]. ومن ثم راحت تلك القوى تطرح فكرتها عبر مشروعين للدفاع عن إفريقيا هما المشروع البريطاني المتمثل في ضرورة مشاركة القوى الاستعمارية في إقامة حلف للدفاع الإفريقي يعضدها في تحمل مسئولية الدفاع عن الشرق الأوسط، والمشروع الأمريكي[ ] متمثلا في إقامة حزام إفريقي عرضي يمتد من إثيوبيا شرقا إلى ساحل الذهب غربا لمنع تسرب النفوذ السوفيتي لبقية أنحاء القارة.

وفيما يختص بالمشروع البريطاني للدفاع عن إفريقيا فقد ظهرت ملامحه بوضوح داخل منظومة الدفاع عن الشرق الأوسط. وكانت تحكمه أربع اعتبارات استراتيجية:

أولها. ضرورة الإبقاء على القوات الإنجليزية في مصر خشية حلول الروس إثر الفراغ العسكري إذا تم انسحابهما منها. وظلت بريطانيا تركز على أهمية الاحتفاظ بقاعدة السويس أكثر من اهتمامها بالقاعدة الليبية أو قاعدة شرق إفريقيا. لكن تكلفة الحفاظ عليها كانت كبيرة للمعارضة المصرية من ناحية، وللأزمة المالية التي كانت تعانيها بريطانيا بعد الحرب الثانية من ناحية أخرى، ومع ذلك جرى انسحاب عسكري تدريجي من عدد من القواعد في أواخر الأربعينيات، بل إن حكومة العمال تحدثت عن انسحاب من الشرق الأوسط إلى خط لوجوس- كينيا عبر وسط إفريقيا للحفاظ على إمبراطوريتها الإفريقية. إلا أن وقوف وزير خارجيتها (بيفن) مدافعا عن الشرق الأوسط، معتبرا الاحتفاظ به هو ضرورة لحماية إفريقيا. جعل من إفريقيا في شروط الدفاع دائما محيطا للشرق الأوسط. وبالتالي فإن الخطط البريطانية اعتبرت كلا المنطقتين كتلة واحدة[٣]. لذا فإن أي خطط دفاعية عن إفريقيا هي بالضرورة مرتبطة بالشرق الأوسط. ومن ثم تمثلت الأهمية القصوى في ربط مصر بأحد المشروعين (مشروع حلف الدفاع الإفريقي ومشروع قيادة الشرق الأوسط) لأن كلاهما يكمل الآخر في المنظور البريطاني، وكان من الطبيعي أن تسعى للدفاع عن كليهما لما تحظيان به من ثروات.

ثانيها. ارتباط فكرة الدفاع عن إفريقيا بمناقشة بريطانيا للدفاع الاستعماري في أواخر الأربعينيات، حيث تقرر بأن يتم تطوير القوات الاستعمارية المحلية الإفريقية بمساعدة الحكومة البريطانية، لتتحمل كل منطقة تأمين نفسها ودفاعها الإقليمي. حيث أصبحت هذه المستعمرات قادرة على التعامل مع المظاهرات دون طلب القوات البريطانية. ونوقشت

مسألة تعزيز الخطوط البرية القديمة عبر شرق ووسط إفريقيا فى ١٩٤٧م - ١٩٤٨م لتصبح مركزا للقوات القادمة من الهند(٤). وفى هذا الإطار يمكن أن نفهم مسألتين اختلفت حولهما الدراسات: الأولى. أن فكرة الاتحادات الإقليمية التى ظهرت فى إفريقيا فى أواخر الأربعينيات هى فكرة مفروضة من الخارج وليس هناك أية ميزة للحركات الوطنية الإفريقية فى طرحها. الثانية. أن التحول الذى حدث فى السياسة البريطانية سنة ١٩٤٧م، من فصل إلى دمج جنوب السودان بشماله، لم يحدث نتيجة للجهود المصرية فى السودان فى تلك الفترة. بل لأن الاستراتيجية العسكرية البريطانية بعد الحرب العالمية الثانية أدخلت إفريقيا فى منظومة الشرق الأوسط ككتله واحدة.

ثالثها، ارتباك الخطط الدفاعية البريطانية نتيجة استقلال الهند سنة ١٩٤٧م، فقد كانت الهند توفر ميزتين لبريطانيا يصعب تعويضهما بسهولة: الميزة الأولى، أنها القاعدة الأساسية التى تعتمد عليها ليس فى منطقة الشرق الأقصى فحسب بل فى منطقة الشرق الأوسط. لذا كان من الضرورى أن تبقى الهند فى الكمنولث البريطانى حتى لا يضعف مركز بريطانيا فى شمال المحيط الهندى، وبالتالى لا يمكنها الحفاظ على إمدادات البترول من الخليج الفارسى ولحاجتها كقاعدة إذا نشبت الحرب فى منطقة الشرق الأوسط. الميزة الثانية، أن الهنود كانوا يمثلون أربعة أخماس الجنود البريطانيين الموجودين فى شرق السويس أثناء الحرب العالمية الثانية. فنوقشت فى سنتى ١٩٤٦م - ١٩٤٧م مسألة سحب ٢٠٠٠٠ جندى هندى من المناطق التى تديرها بريطانيا، لذا لم يكن أمامها إلا بديلين، إما إحلال جنود من السكان المحليين. وإما تقديم قوات بريطانية ليس فقط فى الشرق الأوسط بل فى الشرق الأقصى، واعترفت اللجنة المشكلة من قبل وزارة الدفاع البريطانية سنة ١٩٤٩م بأن الخلل الذى حدث فى ترتيبات الدفاع كان نتيجة سحب الجنود الهنود من تلك المناطق(٥).

رابعها. جذب جنوب إفريقيا للدخول معها فى ترتيبات الدفاع عن الشرق الأوسط بعد أن أصبح - عقب استقلال الهند - القاعدة الرئيسية للبريطانيين، وبعد أن ألقيت مسئولية الدفاع عن تلك المنطقة فى حالة وقوع حرب عالمية ضمن مسئوليات الكمنولث البريطانى، على حين أُلقيت مهمة الدفاع عن المحيط الهادى والشرق الأقصى على الولايات المتحدة الأمريكية. وهذا ما جعل بريطانيا تقترب من أقطار الكمنولث البيضاء (كندا - استراليا - جنوب إفريقيا - نيوزيلندا) لتوظيف الشرق الأوسط كمنطقة عازلة للدفاع

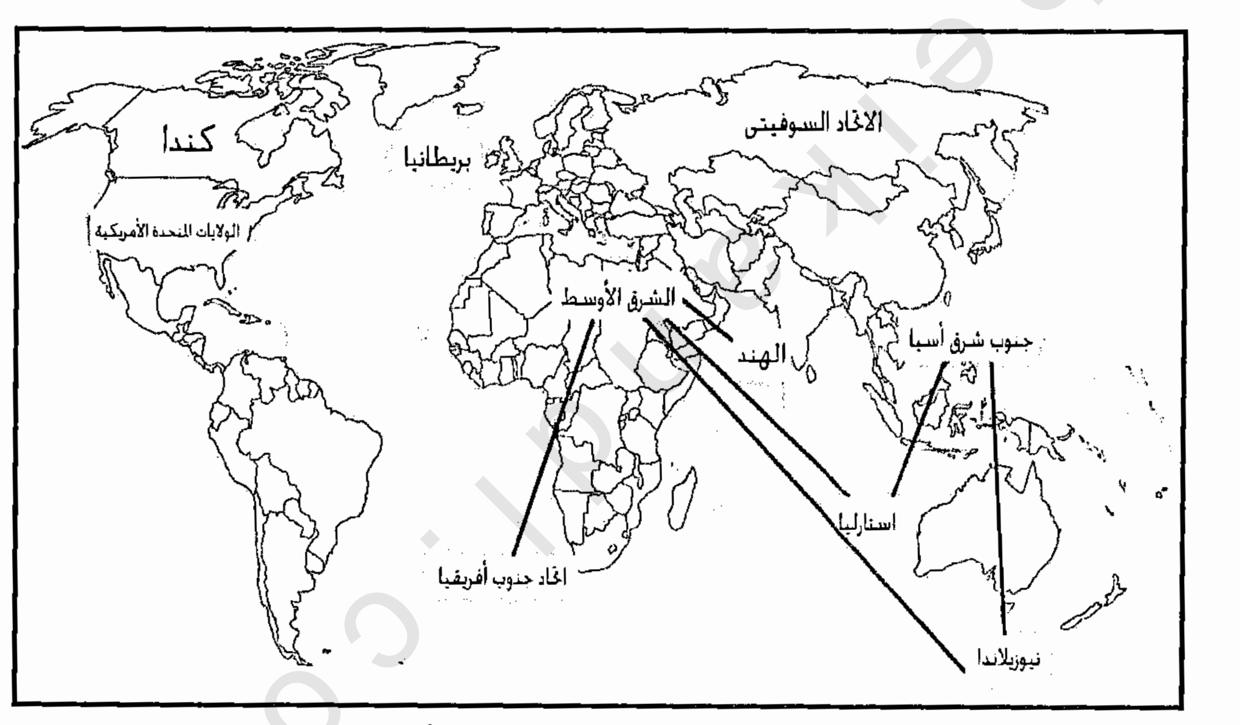
عن المستعمرات البريطانية فى إفريقيا. وأيضا لإمكانياته الاقتصادية من البترول والقطن. ولما لم يُسمح للهند وباكستان وسيلان (أعضاء الكمنولث الجدد) حضور مناقشات خطط دفاع الكمنولث. ومع ارتباط كندا بالدفاع عن شمال الأطلنطى وأوربا. وارتباط استراليا ونيوزيلندا بالدفاع عن منطقة جنوب شرق آسيا والملايو بفعل الحرب الكورية التى بدأت فى يونيو ١٩٥٠م. فقد فرضت الظروف بألا يكون هناك أى بديل آخر عن ضرورة جذب جنوب إفريقيا. فركزت بريطانيا على أهمية مشاركتها فى الدفاع عن تلك المنطقة منذ سنة ١٩٥١م (انظر الخريطة رقم ١) وفى نفس الوقت استهدفت أن يوفر لها غرب وشرق إفريقيا ما بين ٩ – ١٢ كتيبة عسكرية إفريقية فى حرب الشرق الأوسط[٦]. وهذا ما يفسر اشتراك الدولتين (جنوب إفريقيا وبريطانيا) فى الدعوة لأول مؤتمر لحلف الدفاع الإفريقى فى يوليو سنة ١٩٥١م.

المسار الثانى: ظهرت كفكرة داخلية ترتبط بالقوى المحلية ممثلة فى جنوب إفريقيا وإثيوبيا. أما جنوب إفريقيا فقد ارتبطت بالمشروع البريطانى – موضوع البحث – على حين أرتبطت إثيوبيا بالمشروع الأمريكى. وقد اختلفت نظرة جنوب إفريقيا عن نظرة القوى الغربية فى كونها تراه حلفا للدفاع عن إفريقيا فقط. وليس وسيلة – مثلما تراه بريطانيا – للدفاع عن الشرق الأوسط. وهذا يوضح بإن هناك اختلافا فى الرؤية بين كلا الدولتين. فكلاهما تسعى لجر الأخرى لتحقيق طموحاتها الخاصة. وهناك من المؤشرات ما يدلل على أن الفكرة هى فكرة إفريقية طرحتها جنوب إفريقيا كقوة محلية توافقت مع مخططات القوى الغربية فى تلك الفترة. بل يمكن القول بإن جنوب أفريقيا فى إفريقيا كتركيا فى الشرق الأوسط. كلاهما كانت له طموحاته الإقليمية جعلت الأولى تتزعم فكرة حلف الدفاع الإفريقى والثانية تتزعم فكرة حلف الدفاع عن الشرق الأوسط. ومن ثم توافقت مصالحهما مع مصالح تلك القوى فى كلا المنطقتين.

ويمكن حصر المؤشرات فى ثلاثة: **أولها**. أن جنوب إفريقيا هى الدولة الوحيدة التى استفادت من بريطانيا. فقد شعرت – لاشتراكها معها فى الحربين الأولى والثانية – أن بريطانيا لم تعد قوة دولية كسابق عهدها. وهذا ما يفسر تلك التغيرات المحلية فى بروز الحزب الوطنى وسقوط الحزب الاتحادى ورغبتها فى التعامل معاملة الند للند[٧].. فوجدت أن الظروف الدولية تقضى بضرورة إقامة حلف للدفاع الإفريقى بما يحقق لها طموحاتها فى التوسع والسيطرة اعتمادا على القوى الغربية لتسويغ مشروعيتها كقوة إقليمية فى إفريقيا.

خريطة رقم (١)

اتحاد جنوب إفريقيا فى مشروع الشرق الأوسط



خريطة من إعداد الباحث توضح المسار الذى نشأت فيه فكرة
حلف الدفاع الإفريقى

ثانيهـا. تأجيـل حكومة الحـزب الوطنى بقيـادة الدكتور مـالان منذ وصولهـا للحكم سـنة ١٩٤٨م لطموحاتها فى الانفصال عن بريطانيا وإعلان الجمهورية. وتفضيل التعاون معها فى الشـرق الأوسـط، وإعادة ترتيب أولوياتها فى منع انتشار الشيوعية فى إفريقيا. ثم رؤيتها بأنهـم كأوربيين مثلهم كالبريطانيين يعارضون تنامى القومية الأسـيوية - الإفريقية. لذا وجد الطرفـان أنهما يكملان بعضهما البعض. ولهذا اتفق وزير خارجية اتحاد جنوب إفريقيا ايرك لو مع أرنسـت بيفن وزير خارجية بريطانيا فى مؤتمر الكمنولث سـنة ١٩٤٨م على مشـاركة الاتحـاد فـى الدفاع عن إفريقيـا. ولم تكن دولته قـد فوضته بعد فى الحديـث عن أى دور عسـكرى خارج حـدود الاتحاد. ولهذا تحدث عن رغبة الاتحاد فـى ترتيب الدفاع الإقليمى عن إفريقيا وخطوط الكيب البحرية والمحيط الهندى[٨]. وهذا يتفق مع استراتيجية الأفريكانرز فى النظر لأمنهم القومى منذ أواخر الأربعينيات فى مقاومة المد الشـيوعى[٩]. ناهيك عن الدور الذى لعبه العامل الاقتصادى متمثلا فى رغبتهم فى ضمان اسـتيراد الأسواق الغربية لانتاجهم التعدينى. وضمان حصولهم على التكنولوجيا ورؤوس الأموال والمنتجات الصناعية[١٠]. وبالتالى فإن كل طرف - بريطانيا وجنوب إفريقيا - كان يسـعى للآخر. وهذا ما يفسـر بأن الاحتياج البريطانـى - وبالتالى البلجيكى والفرنسـى والبرتغالى فيما بعد - لجنوب إفريقيا فى ترتيبات الدفاع عن الشـرق الأوسـط، ربما هو الذى جعل أوربا تغض الطرف عن محاسبة حكومتها فى مسألة الأبارتهيد[ ]. وبالمقابل فإن حكومة الاتحاد راحت تؤمن إيمانا تاما بأن مصالحها تتوافق بالضرورة فى التحالف مع الدول الاستعمارية للحفاظ على مكانة الأوربيين فى إفريقيا.

ثالثهـا. بـروز رغبـة جنوب إفريقيـا فى الدفـاع عن إفريقيا أولا ثم الشـرق الأوسـط كمنطقـة حاجزة. فخلال مؤتمر رؤسـاء الكمنولـث فى إبريل ١٩٤٩م أخبر مـالان بريطانيا بضـرورة توسـيع الناتو لضم إفريقيـا أو على الأقل ربطه بنوع ما بالحلـف الدفاعى الإفريقى المقترح African Defense Pact، ورفضت بريطانيا ذلك لمعارضة وزارة المستعمرات والولايات المتحدة الأمريكية لهذه الفكرة نتيجة الشكوك فى دوافع جنوب إفريقيا. ومما يدلل على ذلك ما أخبر به أندرو كوهين Andrew Cohen رئيس قسـم إفريقيا فى وزارة المسـتعمرات زملاءه مـن وزارة الخارجية وعلاقـات الكمنولث، فى اجتماع خاص عقد فـى ٢١ إبريل ١٩٤٩م. بأن جنوب إفريقيا تحمل فى عقلها حلف وحيد للأوربيين من أجل إفريقيا. وأن هذا الحلف الإفريقى سـيكون ضد مصلحة بريطانيا فى تشجيع الحكم الذاتى للوطنيين. وبالتالى لابد من إثنائها عن الحلف الإفريقى وإقناعها بأن حدودها الحقيقية تقع فى الشـرق الأوسط. من هذا

يتضح أن بريطانيا كانت على دراية بأن الحلف الذى تطرحه جنوب إفريقيا هو حلف للقوى الأوربية فى إفريقيا، على حين كانت بريطانيا تشجع الحكم الذاتى فى مستعمراتها حتى تتخلص من تكاليف الدفاع الباهظة. وهذا ما يفسر مسايرة بريطانيا لاقتراح جنوب إفريقيا حتى تستفيد منها فى مشروع الشرق الأوسط.

وظهر هذا الأمر بوضوح فى مؤتمر كولمبو (سيلان فى يناير ١٩٥٠) حيث تحدث بيفن مع بايول ساير Paul Sauer وزير خارجية اتحاد جنوب إفريقيا الجديد فى إمكانية مشاركة الاتحاد فى الدفاع عن الشرق الأوسط. إلا أن ساير أجاب بأن الاتحاد سيحفظ النظام فى إفريقيا جنوب الصحراء خلال زمن الحرب. وشعر بأن هناك إذعانا قد حدث لاهتمامات الاتحاد حول الدفاع الإفريقى. لذا اقترح على وزارة الكمنولث عقد مؤتمر للقوى الاستعمارية المهتمة بالدفاع عن إفريقيا. وهذا ما يفسر موافقة جنوب إفريقيا فى يونيو ١٩٥٠م على إعداد القوات المحمولة (تتكون من قوات مدرعة و٩ فرق محاربة) للخدمة خارج الاتحاد. وقيل إن من مهامها الخدمة فى الشرق الأوسط لكن طيلة الوقت كان الدفاع عن إفريقيا له الأولوية الأولى فى نظر حكومة الوطنيين الأفريكانرز، حتى إذا كان هذا يعنى الانتشار للشرق الأوسط زمن الحرب[١٢].

وفى هذا السياق توصل الطرفان إلى صيغة توفيقية عبر دعوتهما المشتركة لمؤتمر نيروبى (كينيا) للدفاع عن إفريقيا، ليعقد فى ٢١ أغسطس ١٩٥١م[١٣]. لذا يتضح بأن فكرة حلف الدفاع الإفريقى هى فكرة محلية ولدت فى رحم مشروع الشرق الأوسط، ونادت بها قوى إقليمية إفريقية ممثلة فى اتحاد جنوب إفريقيا، وتحقق لها ما أرادت بموافقة بريطانيا على عقد مؤتمر نيروبى، الذى يعد بمثابة إعلان بقيام الحلف. ولكن الشكوك حول الهدف البريطانى من المؤتمر هى التى جعلت أحد كبار مسئولى دفاع الاتحاد يشكك فى الأول من يونيو ١٩٥١م بأن القوات التى سيتم تشكيلها سوف لا تستخدم فى إفريقيا بل ستستخدم فى الشرق الأوسط[١٤]. ومن ثم نخلص إلى نتيجة مؤداها بأنه لا يمكن القول بإن أى من المسارين قد فرض رأيه على الآخر. لكن المحصلة تمثلت فى نشأة فكرة حلف الدفاع الإفريقى وقد حملت معها منذ البداية قدرا كبيرا من الهواجس والشكوك لدى الطرفين (بريطانيا وجنوب إفريقيا) وخشية كل طرف من توظيف الآخر له. وإلى هنا لم تتطرق الوثائق المصرية إلى تناول تلك الخلفيات عن المشروع الذى عرض على مصر فى ١٢ يوليو ١٩٥١م، وهذا يعنى

بأن رواية الوثائق المصرية لم تبدأ إلا مع تاريخ العرض فقط. وهذا ما يفسر عدم وعى الإدارة المصرية بخلفياته. فرغم أنه مشـروع ولد فى رحم مشروع الشرق الأوسط إلا أن جهل الإدارة بـه قد انعكس فى رد فعلها حين عرض عليهـا، وأيضا فى تأخير إدراكها للتناقضات بين المشروعين حتى سنة ١٩٥٤م.

المحور الثانى: مصر ومؤتمر نيروبى:

لقد تحولت أفكار الدفاع المطروحة منذ أواخر أربعينيات القرن العشـرين إلى مشروعات على أرض الواقع منذ سـنة ١٩٥١م. فانعقاد مؤتمر نيروبى فى تلك السنة برعاية بريطانيا وجنوب إفريقيا جاء تتويجا لجهود الدولتين فى تحويل تلك الأفكار إلى حلف عسكرى بين الدول الاستعمارية. لكن تجلت فيه كل ملامح المنافسة بين المشروعين المحلى والخارجى. ومـع أن الوثائـق المصريـة لم ترصد كما ذكرنا الخلفيـات المتعلقة بمشـروع حلف الدفاع الإفريقى. إلا أنها قدمت لنا ملامح هذا الاختلاف - دون أن تعبر صراحة - عن الرؤيتين البريطانية والجنوب إفريقية وأغراضهما من وراء المؤتمر. وما يعنينا هنا هو الموقف المصرى مـن هذا المؤتمر الـذى دعيت اليه ؟ وكيف كانت نظرتها لأهدافه ؟ وهل ربطته بمشـروع الشرق الأوسط أم كان لها تصور آخر من وراءه؟

لا يمكن الادعاء بأن مصر فى سـنة ١٩٥١م كانت لديها استرتيجية خاصة - كجنوب إفريقيـا - للدفـاع عن إفريقيا، ولا كإثيوبيا التى كانت تسـعى لتكويـن إثيوبيا الكبرى، باعتبارهما الدولتين الوحيدتين اللتين اشـتركتا فى المؤتمر. فكل ما كان يعنيها هو مشروع واحد له شـقين «الاسـتقلال ووحدة وادى النيل». وربما كان الشـق الثانى - وحدة وادى النيل - هو الثغرة التى نفذت منها كل من بريطانيا وجنوب إفريقيا لدعوتها للمشاركة فى مؤتمر نيروبى. باعتبار أن لها أحلاما توسـعية فى القارة. ولم يكن هذا يعنى أن بريطانيا ستقدم تنازلا فى هذا الأمر. فكل ما كان يهمها هو توظيفه فى خدمة الهدف الأساسى لها وهو الدفاع عن الشـرق الأوسـط. وكان هناك شبه اتفاق فى نظرة تلك القوى بضرورة وجود مصر داخل منظومة الدفاع عن الشـرق الأوسـط أو منظومة الدفاع عن إفريقيا. فقد كانت هناك شـكوك لدى بعض أعضـاء الكمنولث البريطانى فى قدرة مصـر وبريطانيا فقط على الدفاع عن الشرق الأوسط ضد أى هجوم سوفيتى محتمل. لهذا تمت الاستعانة - كما عرفنا - بقـوات من الكمنولث البريطانى (نيوزيلندا واسـتراليا وجنوب إفريقيا) سـنة ١٩٤٩م.

لكن اقتصر الأمر فى مارس من نفس العام على جنوب إفريقيا، لاقتناعها بأهمية الدفاع عن مصر وقت الحرب. باعتبارها المكان الأوسط الذى يمكن أن تدخل منه القوات الروسية إلى إفريقيا (١٥). لذا شكلت مصر ركنا أساسيا بحكم موقعها فى كل المشروعات الدفاعية عن الشرق الأوسط وإفريقيا( ).

وفى هذا السياق يمكن أن نفهم لماذا قامت بريطانيا بتهيئة الاجواء المصرية للمجىء بحكومة الوفد كحكومة أغلبية سنة ١٩٥٠م. فرغم ما قيل بأن مجىء الوفد قد جاء من منطلق تحسين صورته التى تهاوت لدى الشعب المصرى منذ أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢م، ثم لاسترداد مكانته بعد القطيعة مع الحكم منذ سنة ١٩٤٤م. إلا أن موافقته على مناقشة مشروعات الدفاع المشترك – كما ظهر فى خطاب العرش سنة ١٩٥٠م، وفى خطاب محمد صلاح الدين (وزير الخارجية) لحث بريطانيا على بدء المفاوضات فى مارس من نفس العام – ليؤكد بأن مجىء الوفد كان لتأدية مهمة معينة ظهرت ملامحها فى السبب الرئيسى لفشل تلك المفاوضات. وهو إصرار بريطانيا على ضرورة إقرار مصر بالدفاع عن الشرق الأوسط(١٦). لذا لا يستغرب ربط الإدارة المصرية لمشروع الحلف الإفريقى. حسب ما فهمته من الدعوة الموجهه إليها لحضور مؤتمر نيروبى. بالترتيبات المطروحة فى الشرق الأوسط. وسيظهر هذا بوضوح حينما نستعرض الموقف المصرى من المؤتمر فيما بعد. وقبل الدخول فى التفاصيل نجد أن عدة أسئلة تطرح نفسها لزاما. وهى لماذا عُرضت على مصر مسألة الدفاع الإفريقى قبل عرض مشروع قيادة الشرق الأوسط رغم أن فكرتها هى الأسبق؟ وهل كان الحلف الإفريقى وسيلة غير مباشرة لإشراكها فى مشروع الشرق الأوسط؟ ولماذا رفضت الاشتراك فى كلا المشروعين؟ وهل كان لديها خيار آخر للدخول فى أحدهما؟.

وإذا نظرنا – من حيث الشكل – فى أولى الوثائق المصرية عن هذا المشروع نجد أنها وضعت تحت عنوان «حلف الدفاع الإفريقى» وكأنها تعلن تفهمها للمشروع الذى يهدف إليه مؤتمر نيروبى، إلا أن التسمية لا تدلل على معرفة سابقة به. لكن يمكن القول بإن خبرتها بمشروع الشرق الأوسط لم تقتصر على الفهم الظاهرى لهذا المشروع فقط، بل امتدت إلى المضمون أيضا. فبالنظر فى الدعوة الموجهه إليها والقوى الداعية للمؤتمر، نجد أن الدعوة قد جاءت موقعة من رالف سكرين ستيفنسون Ralph S. Stevenson (سفير المملكة المتحدة فى مصر) ونايس جوستى Nice Jooste (القائم بأعمال مفوضية

اتحـاد جنوب إفريقيا بالقاهـرة) تذكر بأن الحكومتين تتمنيان مشـاركة حكومة مصر فى المؤتمـر الخـاص بالتعاون للحفـاظ على أمن القـارة الإفريقية. وأنهمـا إذا رغبت المملكة المصرية فى المشـاركة فانهما ستكونان سعيدتين بهذه المشاركة بوفد لا يزيد عدده على ١٠ أفـراد (غير السـكرتارية والموظفين الآخرين) وأن المملكة المتحـدة تتمنى أن تأتى وفود من كافة المسـتعمرات البريطانية[١٧]. إذا، توقيع الدعوة فقط هو الذى يحمل اشـتراك الدولتين (جنـوب إفريقيا وبريطانيا) فى رعاية المؤتمر. لكن تفاصيل الدعوة التى لم تعتبر مصر قوة إقليمية يمكن الاعتماد عليها فى ترتيبات الدفاع. والنظر اليها - حسب ما تشير به نهاية الدعوة - كمستعمرة. واعتبار المؤتمر هو مؤتمر أمنى بما يعنى تحمل المزيد من أعباء الدفاع. كل هذا يعتبر كشـواهد جعلت الإدارة المصريـة لا ترى إلا أحد أطراف الدعوة - بريطانيا - دون أن ترى الطرف الآخر.

وازداد يقينهـا بالخطـاب الذى حوى الدعوة فى ١٢ يوليو ١٩٥١م والموجه إلى محمد صلاح الدين باشـا (وزير الخارجية). فقد كان مرسـلا من قبل السـفارة البريطانية بالإسكندرية يدعو لمشاركة مصر فى مؤتمر تسهيلات الدفاع الإفريقى African Defense Facilities Conference. والعمـل علـى تذليل الصعوبات التى تقابل عملية الدفاع عـن إفريقيا[١٨]. إلى هذا الحد فإن كل ما كان يعنى الإدارة المصرية هو تحديد الجهة الرئيسية التى وراء المؤتمر لتقدير موقفها تجاهه. ولا يعنيهـا مضمون الدعـوة. وما إذا كانت إحدى الدولتين الداعيتـين قد فرضت رؤيتها على الأخرى. ويبدو أن الإدارة المصرية لم تدرك الخلاف فى رؤية كلا الدولتين للدفاع عن إفريقيا إلا فيما بعد (سنة ١٩٥٤م). فالناظر للوثيقتين السابقتين يستخلص نتيجتين هامتين: أولهما، أن بريطانيا اسـتطاعت أن تفرض مسمى المؤتمر ليكون مؤتمرا لتسهيلات الدفاع وليس حلفا للدفاع كما تسعى جنوب إفريقيا أن يكون. بما يعنى أنها مازالت تنظر لإفريقيا كأرض إمداد. ثانيهما، أن قبـول جنوب إفريقيا لإقامة المؤتمر تحت هذا المسـمى يعد تتويجا لجهودها فى إعلان قيام الحلف من الناحية العملية، سواء غيرت بريطانيا المسمى أم لم تغير.

ويبدو أن الوثيقتين السـابقتين كانتا كفيلتـين فى نظر الإدارة المصرية لصياغة موقفها. فحتى الخطاب الذى أرسـله القائم بأعمال مفوضية مصر الملكية بجنوب إفريقيا (حسـين منصور). والذى يتحدث فيه بأن وكيل خارجية اتحاد جنوب إفريقيا قد أطلعه على نص الدعـوة الخاصة بمؤتمر نيروبى. كان قد وصـل للخارجية المصرية فى ١٤ يوليو ١٩٥١م. أى أنـه وصل متأخرا عن إمكانية أن يكون له تأثير فى صياغة الموقف المصرى من المؤتمر.

والسـؤال الذى يطرح نفسـه هل كان فى إمكان هذا الخطاب لو جاء قبل إعلان الموقف أن يحـدث تغيير أم لا ؟ فى تقديرى أنه بالرغم من أهمية الخطاب الذى يحمل رغبة جنوب إفريقيا فى التأكيد على «أن فكرة الدعوة لمؤتمر نيروبى جاءت من حكومة الاتحاد بمحض إرادتهـا وليـس بتحريك من أحد أو بتوجيه من أفـكاره. وأن المؤتمر جاء نظرا للالتزامات التى تعهدت بها جنوب إفريقيا للدفاع عن الشرق الأوسط إلا أن هذا لم يكن ليغير الموقف، خصوصـا وأن نهاية الخطاب تشـير بأن دعوة جنوب إفريقيـا للمؤتمر قد جاءت لتجنب تجارب الحرب الماضية، وبالتالى فإن الإدارة كانت لديها خبرة كافية بما جرى لمصر خلال تلك الحرب. هذا بالإضافة إلى أن تأكيد الخطاب على «أن مؤتمر وزراء دفاع الكمنولث فى لندن الذى انقضى أخيرا لم يتعرض فى البحث إلى موضوع العلاقات بين مصر وبريطانيا، وأن اختيار نيروبى جاء لأنها مكان وسط مناسب لمثل هذا الاجتماع. وأنه يفضل أن تمثل كل دولة بوزير واحد على الأقل»[19]. كل هذا سـيعنى أن القرارات التى سـتتخذ سـتكون ملزمة. وأن مصر فى هذه الحالة سـتتحمل اسـتقبال القوات القادمة من إفريقيا عبر كافة المناطـق التـى تحيط بمصر والسـودان، ثم متابعة تحركاتها عبر منطقة الشـرق الأوسـط.
ونخلص من ذلك بأن حكومة جنوب إفريقيا كانت تود إرسـال رسـالتين للإدارة المصرية: أولهـا، النصح بعدم ربط العلاقات المصرية البريطانية بالدعوة. وأنها هى المحركة للمؤتمر وليس بريطانيا حتى لا ترفض الحضور. ثانيها، إشعار الإدارة المصرية بأنها أصبحت القوة الوحيدة على المسرح الإفريقى وأن قواتها ستشترك فى الدفاع عن الشرق الأوسط. لكن يبدو أن رسـالتيها لم تدخلا أبدا فى حسـبان تلك الإدارة. فقد كانت المكاتبات الرسمية بدعوة مصر كلها قد جاءت من قبل السفارة البريطانية ولم تلعب مفوضية جنوب إفريقيا بالقاهرة دورا فى هذه المسـألة، وهذا يفسـر لنا الأسـباب التى بنت عليها مصر تقديرها للموقف. وأن مجرد علم الإدارة المصرية بأن بريطانيا تقف وراءه، كان كفيلا بمفرده لتبنى قرار عدم المشاركة ردا على التعنت البريطانى خلال عملية المفاوضات.

بـل إن الإدارة المصريـة لم تنتظر – كغيرها من إدارات الـدول الأخرى – البيان الذى نشـر فى كل من لندن وبريتوريا والذى تم إرسـاله لأحد مسئوليها أيضا عن طريق السفارة البريطانية بالإسـكندرية فى ١٥ يوليو ١٩٥١[20]. والذى حمل بعض تفاصيل المؤتمر حيث ذكر بأنه فى حالة تهديد أمن القارة الشمالى فمن الضرورى نقل الجنود والمهمات العسكرية على خطوط المواصلات بين الشرق الأوسط وجنوب إفريقيا. تجنبا للصعوبات التى ظهرت

خلال الحرب العالمية الثانية، وأنه من الضرورى لكلا الحكومتين اتخاذ خطوات لتسهيل المواصلات وقت الحرب بين الأراضى الواقعة فى الأجزاء الشرقية والوسطى من القارة أوالقريبة منها، لهذا قررتا عقد مؤتمر تحت عنوان «مؤتمر تسهيلات الدفاع الإفريقى» فى نيروبى ابتداء من ٢٠ أغسطس ١٩٥١م واقترحتا أن يغلب على جدول الأعمال موضوعات أكثرها ذات طبيعة فنية(٢١). إذا لم تنتظر الإدارة المصرية لتعرف هذه التفاصيل، التى كانت قطعا ستلقى عليها أعباء مالية مطلوبة لإعداد الطرق والسكك الحديدية من آخر حدود السودان فى قلب القارة الإفريقية إلى شمالها، لاستكمال ذلك الخلل الذى وقع خلال الحرب العالمية الثانية وهى التى عانت الأمرين خلالها، ومع ذلك فإن خشيتها من تحمل تلك التكاليف الباهظة لم تظهر فى الأسباب التى ساقتها فى عملية الرفض.

وإذا أخذنا فى الاعتبار كل ما سبق يمكن القول بإن الموقف المصرى من المؤتمر قد سار فى اتجاهين: **الاتجاه الأول رفض المشاركة.** فرغم أن قرار الرفض جاء سريعا إلا أن أسبابه ظلت لا تقطع فيها الإدارة المصرية برأى لمدة تقترب من الشهرين. فبالنسبة للرفض فبمجرد معرفة الإدارة المصرية الجهه التى تقف وراء المؤتمر اتجهت على الفور إلى رفض الدعوة التى تسلمتها فى ١٢ يوليو، وكان خبر الرفض قد أرسل ببرقية من لندن لإحدى الجرائد الإيطالية تعلن رفض مصر الاشتراك فى المحادثات التمهيدية لعقد مؤتمر نيروبى فنشرته فى ١٤ يوليو(٢٢). وهذا يعنى أن قرار الرفض قد تم يوم ١٣ يوليو، فردود فعل الصحافة العالمية صباح اليوم التالى تعنى أن الخبر سرب اليها فى اليوم السابق. الأمر الذى أثار ردود فعل دولية تنتقد هذا الرفض المتعجل. فقد ألقت الصحف الإيطالية باللوم على الحكومة المصرية لأن اعتذارها تسبب فى تأخير البيان الذى يتحدث عن تفاصيل المؤتمر(٢٣). إذا كان قرار الرفض سابقا حتى قبل وصول البيان بتفاصيل المؤتمر إلى الخارجية المصرية فى ١٥ يوليو ١٩٥١م.

ومن هذه الزاوية يمكن القول بإن حكومة الوفد قد تعجلت فى هذا الرفض دون التريث لدراسة الموقف وتقييم المشاركة من عدمها. أما من زاوية أخرى فنرى أنه لم يكن أمامها – فى ظل سعيها لتحسين سمعتها – إلا هذا الخيار فى ظل اجماع التنظيمات السياسية المصرية منذ أواخر الأربعينيات على عدم الدخول فى أى ترتيبات دفاعية مشتركة(٢٤) ونخلص من ذلك إلى أن التفاهم بين الإدارة المصرية والبريطانية قد وصل إلى طريق مسدود.

وأن حكومة الوفد لم يكن فى استطاعتها الدخول فى أى اتفاق يختص بأمور الدفاع، وبالتالى وضح تماما أنها تتجه نحو عدم التعاون بالمرة مع بريطانيا. وهذا ما يفسر رفضها اللاحق بنفس الصورة لمشروع قيادة الشرق الأوسط. ومن ثم يمكن الاستنتاج بأن الأحوال الداخلية لم تكن بمفردها هى المسئولة عن التغيير الثورى، بل إن القوى الغربية كانت مهيأة لتقبل هذا التغيير، بغض النظر عما إذا كان هذا التغيير فى صالح ما يسعون إليه أم لا.

ولتفصيل ما أجملناه علينا النظر فى الأسباب التى ساقتها الإدارة المصرية لرفض المشاركة فى مؤتمر نيروبى، وأن هناك ملحوظات أربع تحيط بهذا الرفض. **الملحوظة الأولى** القصد الواضح لدى الإدارة المصرية من تأخير إعلان أسبابها فى عدم المشاركة فى المؤتمر حتى الرابع من سبتمبر ١٩٥١م. ففى تقديرى أنها كانت تدرك أن رفضها سيلقى انتقادا دوليا، ومن ثم تركت المجال مفتوحا أمام مفوضياتها فى الخارج للاجتهاد فى تقديم مبررات لهذا الرفض. فخطاب القائم بالأعمال المصرى فى لشبونة يشير إلى أنه لم يتلق أية معلومات عن أسباب رفض المشاركة من وزاراته حتى موعد مقابلته مع سكرتير عام وزارة الخارجية البرتغالية مساء ١٧يوليو ١٩٥١م، فاجتهد من نفسه فى توضيح أسبابها، لذا نراه يعلق فى نهاية خطابه بضرورة إرسال نشرات دورية للسفارات توضح سياسة مصر الخارجية فى هذا الشأن وتزويدها بالمعلومات[٢٥]. وهو نفس ما طالب به القائم بأعمال المفوضية الملكية المصرية العامة ببريتوريا فى ١٠/ ٨/ ١٩٥١م حين طلب صورة من اعتذار الحكومة عن المشاركة فى المؤتمر[٢٦]. ويبدو أن هذا الاعتذار الذى طلبه لم يوضح أسباب الرفض، لذا نراه فى ٢٠/ ٨/ ١٩٥١م يطلب النسخة الإنجليزية من البيان الذى القاه وزير الخارجية بالبرلمان فى شهر أغسطس ١٩٥١م[٢٧].

الملحوظة الثانية أن الأسباب التى قيلت حول الرفض المصرى للمشاركة فى المؤتمر جاءت ردا على الانتقاد الدولى الذى تركز فى ثلاث مناطق تحديدا: هى جنوب إفريقيا وهى أحد أطراف الدعوة، والبرتغال وهى صاحبة مصلحة حقيقية فى إنشاء حلف دفاعى حفاظا على مستعمراتها المجاورة لجنوب إفريقيا، وإيطاليا وهى التى تعمل على كسب صداقة الولايات المتحدة الأمريكية، بحيث يبدو ظاهريا أن أمريكا ليس لها علاقة بهذا المؤتمر، لكن المتتبع لسلوك إيطاليا يدرك بأن ما يصدر عنها ما هو إلا إعادة صياغة للتصريحات الأمريكية[٢٨]. ومن ثم توفرت لدى مصر – عبر الدول الثلاث – آلية لتوصيل ما تود إرساله للقوى الغربية بشأن اعتراضها على سياسة بريطانيا.

الملحوظة الثالثة أن تفاصيل الرفض اختلفت باختلاف الدول الثلاث. ففى إيطاليا كما لاحظنا أن الخبر سرب لصحافتها من بريطانيا. من ثم فان ما نشرته الجرائد الإيطالية فى ١٤ يوليو بأن اعتذار مصر قد جاء بسبب توتر العلاقات بينها وبين بريطانيا بسبب قناة السويس[٢٩]. أو بسبب تشبث مصر بمطالبها القومية[٣٠]. يمكن النظر إليه فى إطار ما تود الإدارة البريطانية أن تروجه بحيث تهيأ الإدارة الإيطالية لإقناع مصر بأن هذه المطالب لا تتحقق إلا فى الاستجابة لمطالب الغرب. وهو الأمر الذى سيتضح تماما فيما بعد.

أما فى البرتغال فإن الأمر مختلف. فكان من الطبيعى أن تسعى إدارتها لمعرفة الأسباب بطريقتين: **الأولى**. استفسارها عبر سكرتيرعام خارجيتها من القائم بالأعمال المصرى فى لشبونة فى مساء ١٧يوليو ١٩٥١م. فأقنعه القائم بالأعمال المصرى بأن أسباب الرفض المصرى – مع الأخذ فى الاعتبار أنه لم يتلق معلومات من خارجيته – تنحصر فى أنها لن تقبل الاشتراك مع بريطانيا فى دراسة أى مشروع دفاعى كالذى يهدف إليه هذا المؤتمر. قبل أن تجاب مطالب مصر القومية كاملة غير منقوصة، وهى الجلاء التام عن مصر والسودان ووحدة وادى النيل تحت التاج المصرى. وأنه إذا استجابت بريطانيا فإن مصر ستغير موقفها لصالح الجميع حيث تكون مستعدة للتذاكر فى أى أمر من الأمور المتعلقة بالدفاع عن منطقة الشرق الأوسط وإفريقيا[٣١].

الثانية. ما نشرته صحافتها فى ١٨ يوليو ١٩٥١م نقلا عن برقية لأحد مراسليها فى القاهرة بأن مصر رفضت الدعوة لأن قبولها يعنى الاعتراف بمبدأ الدفاع المشترك وهو الأمر الذى ترفضه. ولأنها تعارض مشاركة السودان لعدم أهليته للحضور[٣٢]. ونخلص من ذلك بأن ما تردد فى البرتغال حتى ذلك التاريخ ينصب حول الربط بين مشروع الشرق الأوسط وبين الترتيبات الدفاعية التى سيناقشها المؤتمر. والتى تعنى موافقة غير مباشرة على مشروع الشرق الأوسط. والتركيز أيضا على القضية الوطنية المصرية ورفض انفصال السودان.

أما فى جنوب إفريقيا فقد كان مبرر الرفض المصرى الذى قدمته مفوضيتها الملكية هناك فى منتصف أغسطس ١٩٥١م قد اقتصر على عدم الاستجابة لأمانى مصر القومية[٣٣]. واعتراضها على القوات البريطانية الموجودة فى منطقة قناة السويس[٣٤]. إلى هذا الحد قد اجتهدت المفوضيات الثلاث فى صياغة الأسباب التى تراها من وجهة نظرها تتعلق بعدم المشاركة المصرية. ونخلص منها إلى أن المفوضيات الثلاث اتفقت على أن السبب

الرئيســى يكمن فى معارضة إنجلترا لاستقلال مصر ووحدة وادى النيل. وأن مفوضية مصر فى البرتغال تفردت بعملية الربط بين مشروع الشرق الأوسط وما يهدف اليه المؤتمر. وتلك الإضافــة لم تكــن من اجتهاد المفوضية نفســها، لكنها كانت ردا على مــا نقلته الصحف البرتغالية من ربط الإدارة المصرية بين المشروعين. إذا كانت الأطراف الثلاثة مصر والدولتان الداعيتان - بريطانيا وجنوب إفريقيا - كلها تربط بين المشــروعين، لكن لكل منهم فهمه الخاص للمؤتمر.

الملحوظــة الرابعــة أن المنشــور الدورى الذى أصدرتــه وزارة الخارجيــة المصرية فى ١٩٥١/٩/٤ لهيئــات تمثيلها السياســى فى الخارج تحيطها بالســبب الرئيســى لرفض المشاركة. وإن كان لا يختلف كثيرا عما اجتهدت فى توصيله المفوضيات الثلاث. إلا أنه وفر معينا لمزيد من الشــرح لأســباب الرفض. فخروج المنشور ليؤكد بأنه «لا يمكن للحكومة المصرية التعاون مع حكومة المملكة المتحدة فى دراسة المسائل ذات الصبغة العسكرية. طالما أن بريطانيا لم تجب المطالب القومية التى تتلخص فى الجلاء عن مصر والسودان ووحدتهما تحت التاج المصرى»[٣٥]. يشــير بوضوح إلى فهم الإدارة المصرية لغرض المؤتمر. وبأنه ما هو إلا وسيلة غير مباشرة لإدخالها فى ترتيبات الدفاع عن الشرق الأوسط.

وإذا أخذنا تلك الملحوظات فى الاعتبار لقلنا بأن قصد الإدارة المصرية من تأخير إصدار المنشــور الدورى حتى الرابع من ســبتمبر ١٩٥١م لم يكن الغرض منه إلا معرفة ملابســات المؤتمــر والقوى التى تقف خلفه وأين تتحرك. لهذا لم يكن صعبا على الإدارة المصرية لأن تدرك بأن سعى البرتغال لمعرفة أسباب الرفض المصرى بأنها لا تتعامل مع المؤتمر باعتبارها أحــد الدول المدعوة إليه. تســتوى فى هذا الأمر معها. بــل تتعامل كصاحبة مصلحة فى إنجاحه. بل يمكن القول بإنها استشــفت من خلال إصرار الإدارة البرتغالية على الإحاطة بكافة التفاصيل على أن هناك تنســيقا يجرى بينها وبــين جنوب إفريقيا وبريطانيا. وأن إصرار ســكرتير عــام خارجيتها الكونت دونوفار على تقديم موعــد مقابلته للقائم بالأعمال المصرى فى لشــبونة ليكون ظهر يوم ١٨ سبتمبر ١٩٥١م بعد أن كان مقررا له اليوم التالى، ودهشــته من تكراره الاستفســار - المرة الأولى كانت فى ١٧ يوليو - عن ســبب الرفض، وإشارته «بأن تقديم الموعد جاء لأنه سيتقابل بعده مع ممثلى كل من إنجلترا واتحاد جنوب إفريقيا»[٣٦]. كل هذا ليؤكد على التنســيق بين الدول الثلاث. ومن ثم لم يكن من الصعوبة

الإدراك بـأن البرتغـال كانت أحد الأركان الأسـاسـية للحلف الاسـتعمارى المقترح، وهو ما جعل تلك الإدارة تفتح ملفا خاصا باسـم هذا الحلف، تجمع فيه كل ما يتوفر لهيئاتها الدبلوماسية من معلومات.

واسـتغلال القائم بالأعمال المصرى للإدارة البرتغالية كوسـيط لتوصيل الرسـائل المراد إرسالها لبريطانيا يفسر لنا بأن الإدارة المصرية نجحت فى توظيف عملية عدم المشاركة فى الدعاية لقضيتها الوطنية. فقد اسـتغل تكرار الاستفسـار من قبل الإدارة البرتغالية فى ١٨ سـبتمبر ١٩٥١م، وراح يركز على سـت مسائل اعتبرها بمثابة الأسباب الرئيسية لاجتماع رأى الأمة على رفض المشـاركة فى مؤتمر نيروبى: **أولها**، أن قرار الحكومة المصرية بعدم التعاون مع الإنجليز فى دراسـة أى مشـروع من المشـروعات الدفاعية التى هدف المؤتمر لبحثها ما هو إلا وسـيلة من وسـائل الاحتجاج على عنت الإنجليز. **ثانيها**، أن استمرار التعنـت الإنجليزى ربما يدفع مصر للتعاون مع السـوفيت، وأنه فى مقدرة ٣٠ مليونا من المصريين والسـودانيين تؤيدهم الشعوب الإسـلامية أن يلحقوا الضرر بمشروعات الانجليز حيـال الخطر الشـيوعى، رغم اعترافه بأن البنـاء المصرى لا يتفق معهـم. **ثالثها**، إبراز أهميـة موافقـة مصر على أى ترتيبات دفاعية، فعلى حد تعبيره «بأن صداقة مصر كسـب له قيمة وأن فقدها خسـارة لها وزنها ثم لها ما بعدها» مذكرا باعتراف جهابزة المستعمرين البريطانيين بأن معاونة مصر لإنجلترا وحلفائها خلال الحرب الثانية بنَت بكثير ما تفرضه معاهدة ١٩٣٦م من التزامات فاقت تقديراتهم. **رابعها**، بطلان دعوة السـودان للمشـاركة فـى المؤتمـر ومخالفة ذلك لاتفاقية ١٩٣٦م. **خامسـها**، تاريخ الإنجليز الأسـود فى مصر ومخالفاتهـم المتعلقة بالجيش المصرى وإعداده بما يفتقـر إليه من معدات فى الوقت الذى تحابى فيه إسرائيل. **سادسها**، عدم صحة رفض مصر المطلق لفكرة الدفاع المشترك لتلافى الخطر الشـيوعى المشترك، وربط ذلك بالاستقلال التام والسـيادة الكاملة[٣٧]. ونخلص من ذلك بأن الجديد الذى أضيف لأسـباب الرفض بعد إعلان المنشـور الدورى هو طرح مسألة التسليح، وإمكانية التعامل مع الروس بما يخدم المصالح الوطنية، إضافة لما قالت به النشرة السـرية للإدارة السياسـية بوزارة الخارجية فيما بعد (١٧ نوفمبر ١٩٥١م) بأن مصر سعت من خلال رفض المشاركة فى مؤتمر نيروبى إلى ضمان الحياد فى الحرب المقبلة[٣٨]. فرغم أن الإضافة الأخيرة يمكن فهمها فى ضوء الجدل الذى أثير حول الرفض المصرى لمشروع قيادة الشرق الأوسط إلا أن هذا يدل على ربط الإدارة المصرية لكلا المشروعين بعضهما البعض. ومن ثم فإن القضايا الجديدة، ورغم أنها كانت مثار تساؤلات كثيرة فيما بعد، إلا أن إثارتها من

قبل الحكومة المصرية فى هذا التوقيت ليدلل على أن الاتجاهات الجديدة للإدارة بعد قيام ثورة يوليو كانت بذورها قد نثرت من قبل.

ويلاحظ مما سبق أن كل أسباب الرفض تنصب على بريطانيا وأن جنوب إفريقيا لم تدخل بأى حال من الأحوال فى الحسابات المصرية خلال تقديرها للموقف. ويبدو أن الإدارة المصرية لم تقدر طموحاتها التقدير اللازم. فلم يصدر على لسان مسئول مصرى أو عبر النشرات الدبلوماسية أن أشير بأنها كانت سببا فى عدم المشاركة فى المؤتمر. لذا فإن ما أشارت إليه إحدى النشرات التى تصدرها سفارة الهند بلاهاى فى أغسطس ١٩٥٢م على لسان الدكتور شولتز المؤرخ فى الشئون الجنوب إفريقية «بأن هناك صعوبة فى انضمام مصر لأى حلف تكون فيه جنوب إفريقيا بسبب انتهاجها سياسة التفرقة العنصرية ومعارضة ذلك مع قيم مصر المسلمة»[٣٩] يشير بوضوح إلى أن هدف جنوب إفريقيا من المؤتمر كان إقامة حلف للدفاع الإفريقى. وأن هذا القول ما هو إلا محاولة لإبراز دورها على المستوى الدولى، وأنه رغم ما فيه من صواب بعدم إمكانية اجتماع مصر المسلمة مع جنوب إفريقيا العنصرية، إلا أن صدوره فى هولندا - البلد الأم لحكومة الافريكانرز[ ] ليقطع بأن هذا التفسير يعبر عن رؤية جنوب إفريقيا وأنها قد سربت بطريقة ما للسفارة الهندية.

وثمة نتيجتان يمكن أن نخلص إليهما: **النتيجة الأولى**، رغم الإقرار بأن الرفض المصرى لحضور المؤتمر قد جاء متعجلا. وأنه لم يتخذ نتيجة دراسات وتقديرات للموقف، ورغم أنه رفض سياسى أكثر منه عسكرى لعدم استشارة وزارة الدفاع فيه. ورغم أهمية المؤتمر لكونه يعقد للمرة الأولى مؤتمر من هذا النوع فى تاريخ إفريقيا، وأن هذه الأهمية كانت تقضى بضرورة الاستفادة من المسائل التى سيطرحها والإطلاع على الترتيبات العسكرية التى تدبر فى إفريقيا، إلا أن هذا كله يمكن تبريره بوجاهة الأسباب التى استعرضناها من قبل فى عملية الرفض.

النتيجة الثانية، الوعى الذى تشكل لدى الإدارة المصرية بأهمية مصر فى أية استراتيجية دولية تخص الشرق الأوسط وإفريقيا، والذى سيترجم فيما بعد فى متابعتها للترتيبات العسكرية التى تتم من قبل القوى المحلية والغربية فى كلا المنطقتين، وأن هذا الأمر قد أعطى لها ميزة أكبر ورؤية أوضح عن زميلاتها العربيات فى قيادة العالمين العربى والإفريقى فيما بعد، بل إن الرفض السريع لمشروع نيروبى ثم تقييمه - كما سنعرف فى الاتجاه الثانى - ربما يكون هو السبب الرئيسى لاتخاذ نفس القرار بعدم المشاركة فى مشروع قيادة الشرق الأوسط بعد ثلاثة أشهر من قرار مؤتمر نيروبى. وهذا يدلل على أن الخبرة

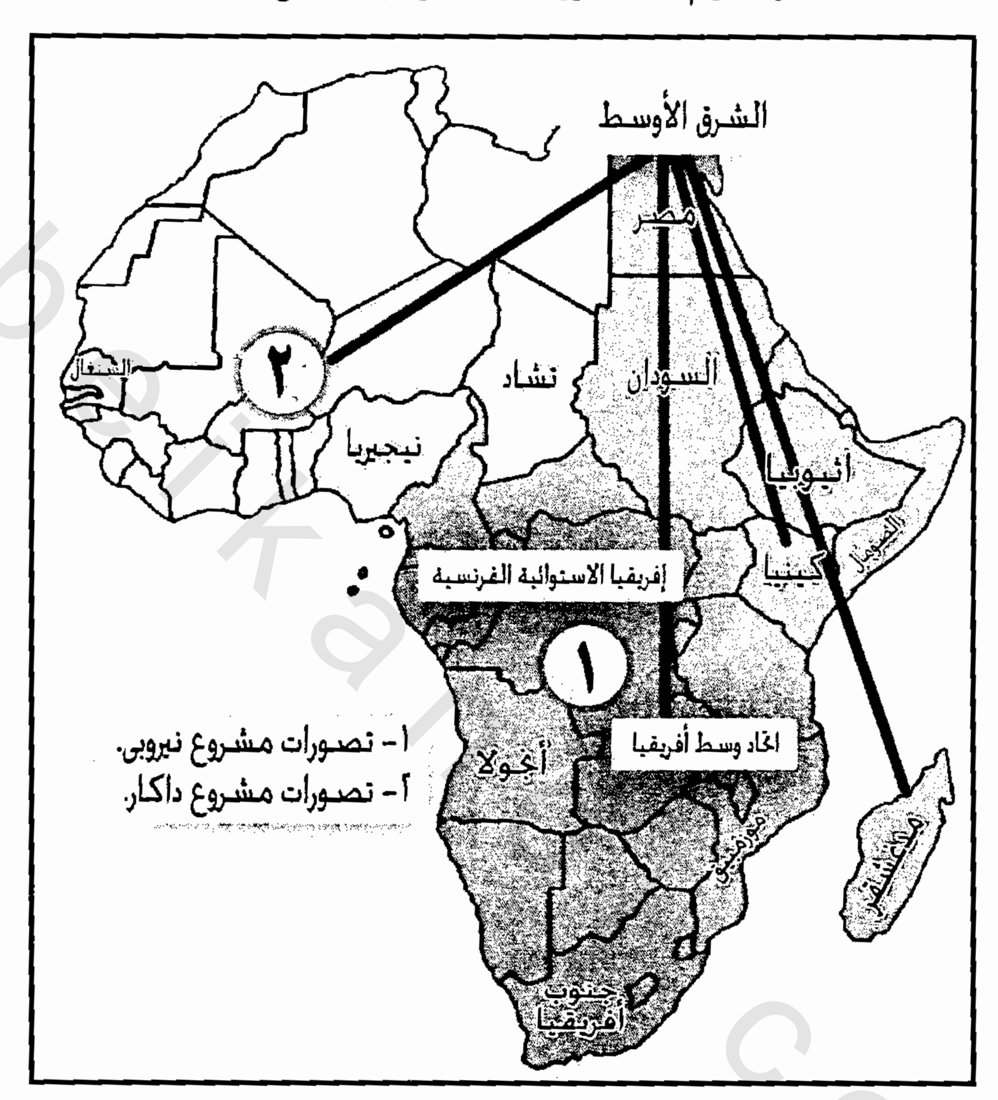
التى تكتسب فى أحد المشروعين يتم توظيفها والاستفادة منها فى مقارعة المشروع الآخر.

الاتجاه الثانى متابعة اصداء المؤتمر ونتائجه. فقد راحت الخارجية المصرية تتقصى عبر هيئاتها الدبلوماسـية أخبار المؤتمر ونتائجه عن طريقـين: **الطريق الأول،** هو متابعة أعمالـه، حيث تابعت أمر الدعوات التى أرسـلت من قبـل الدولتين الداعيتين لحكومات بلجيكا وإثيوبيا وفرنسـا وإيطاليا والبرتغال، وعلمت بدعوتهما للولايات المتحدة الأمريكية للحضور كمراقب[٤٠]. وبالتالى تأكدت من عدم توجيه الدعوة إلى السودان للمشاركة، وعدت ذلك بأنه جاء نتيجة لرفضها للمشـاركة، ولاحظت أيضا بـأن جنوب إفريقيا وإثيوبيا هما الدولتـان الوحيدتان من إفريقيا اللتان حضرتا المؤتمر. وهذا ما جعل الإدارة المصرية تعطى أهمية خاصة لتلك الدولتين وتتابعهما باعتبار أنهما أصبحا جزءا من المشروع الغربى.

ثـم راحت تتقصى المعلومات عن المؤتمر خاصة أنها حينما اتخذت قرار الرفض لم يكن لديها علم بالتفاصيل، فعلمت عبر سـفيرها فى روما، وبعد مقابلته لمدير الإدارة السياسـية بـوزارة الخارجية الإيطالية – فى ٥ أغسـطس ١٩٥١م، بأنه يهدف إلى تيسـير وسـائل المواصلات والإمدادات الخاصة بالقوات العسكرية فى شرق إفريقيا ووسطها، وأنه لا ينتظر أن يسفر عن أى نتائج حاسمة اللهم إلا أنه سيكون أداة اتصال بين مندوبى الدول المختلفة الممثلين فيه وتبادل المصالح المشـتركة بينها. وما يعنينا هنا ما أشـار إليه كتاب المفوضية، وهو أن المعلومات التى حصلت عليها من الخارجية الإيطالية هى نفس ما وردت فى بيان المتحدث بلسان الخارجية الأمريكية بواشنطن فى أواخر يوليو ١٩٥١م[٤١]. وهذا يعنى أنها فهمت بأن إيطاليا ما هى إلا أداة للسياسة الأمريكية وهذا الأمر سيتضح فى تقارير لاحقة.

ويبدو أن تلك التفاصيل كانت لا تشـبع رغبـة الإدارة المصرية فراحت تتقصى المزيد، فاستطاعت أن تتحصل على أجندة المؤتمر كاملة، واتضح بأنها تدور حول محاور فى غاية الأهمية، حول حركة الخدمة والزى العسكرى وانتقال الجنود والتسهيلات والطرق والنقل الـبرى والبحرى والجوى وأسـلوب حماية المحطـات[٤٢]. وتلك التفاصيـل التى رصدتها الوثائـق المصرية قد أكدت عليها إحدى الدراسـات الأجنبية، حـين قالت بأن الخلاف البريطانـى العميـق مع مصر – بخلاف أزمة إيران – كان أحد الأسـباب الرئيسـية لعقد المؤتمـر، وأن أجندة مناقشـاته ارتبطت بالعـدوان القادم من الشـمال فراحت تبحث عن السـبيل لإيجاد تسهيلات بين الأقاليم لنقل القوات من جنوب إفريقيا إلى الشرق الأوسط، ومن ثم ركزت على المسائل الفنية والاستراتيجية وناقشت مسائل هبوط الطائرات وإقلاعها، والإمداد والتعاون فى الاتصالات[٤٣]. انظر الخريطة رقم (٢).

خريطة رقم (٢): تصورات كل من مؤتمرى نيروبى وداكار



خريطة من إعداد الباحث

تترجم ما ورد فى الوثائق المصرية بشأن هذين المشروعين

وكان مـن الطبيعي بأن تسـتثير دعوة إيطاليا لحضور المؤتمـر فضول الإدارة المصرية عن أهمية المسـائل التى سـتطرح على بساط البحث. فعلمت عبر سفيرها بروما من مدير الإدارة السياسـية بوزارة الخارجيـة الإيطالية بأن إيطاليا علمت بأمـر الدعوة وأغراض المؤتمر عن طريـق وزير دفاع جنوب إفريقيا خلال مروره بإيطاليا لحضور مؤتمر الكمنولث. وعلمت أن سـبب دعوة إيطاليا هو حصولها على مركز دفاعى فى القارة الإفريقية بسـبب وجود قوات حربية لها فى الصومال حسب قرار مجلس الوصاية التابع للامم المتحدة الذى خول لها إبقاء ما يلزم من قوات خلال فترة الانتقال[٤٤]. وهذا يعنى أن جنوب إفريقيا قد اجتهدت فى أمر الدعـوة للمؤتمر بما يؤدى إلى تجميع كافة الدول الاسـتعماريـة عبر القارة الإفريقية. وهذا ما جعل الإدارة المصرية تعطى أهمية لمتابعة أمر هذا المشروع عبر مفوضيتها فى بريتوريا.

الطريق الثانى. هو فتـح قنوات اتصال بالدول المشـتركة لتقييم عدم المشـاركة. حيث علمت عبر وزيرها المفوض فى إيطاليا بأن كل ما يعنيها هو الاسـتفادة من توطيد العلاقات القائمة على تبادل المصالح المشتركة[٤٥]. لذا وجهت إيطاليا اللوم لمصر لعدم حضور المؤتمر. بل حاولت تصدير فلسـفتها لـلإدارة المصرية محاولة إقناعها بضـرورة التفاهم مع الغرب لتكسب قضيتها الوطنية. فها هو السينيور بروزاسكا رئيس الوفد الإيطالى فى مؤتمر نيروبى يتحدث إلى سـفير مصر فى روما فى بداية ديسـمبر ١٩٥١م بأن عدم اشـتراك مصر فى هذا الاجتماع عرقل وصول المؤتمر إلى نتائج فعلية. وأنه كان فرصة طيبة لعرض القضية المصرية بإظهارها اسـتعدادا للتعاون مع الغرب فتكسـب مصر عطف أمريكا التى لها رأى مسـموع فـى المشـاكل الدولية. وذكر أنه مع تقديـره لأمانى مصر القومية فإنه يعتقد أن الوسـيلة لتحقيقها هى التفاهم والرغبة فى التعاون مع الكتلة الغربية. بل عاب عليها أنها لم تقتد بإيطاليا التى كان لها رأى مخالف لأمريكا فى مسألة إريتريا. ولكنها أظهرت رغبتها فى التعاون وحضور الاجتماعات مع تمسـكها بمطالبها فكان الحل الذى أقرته الهيئة انتصارا لوجهة نظرها[٤٦]. ويمكن القول بأن الإدارة المصرية اسـتفادت من هذا الأمر فى مسـألتين: الأولى. أن إدراكهـا للتوافق الإيطالى – الأمريكى جعلها تسـتفيد مـن هذا الأمر فى الملف الصومـالى وتحسـن إدارته فيما بعـد[٠]. الثانية. اطلاعها بأن هذا التوافـق لم يفد إيطاليا بخصوص المسـألة الإريترية. جعلها تحسن التعامل مع مشروعى الحلف والحزام الإفريقى فيمـا بعد. فقد اتضح بـأن ضم إريتريا لإثيوبيا فى تلك اللحظة كان لحاجة اسـتراتيجية غربية. بحيث تكون لإثيوبيا سـواحل على البحر الأحمر تدخل فى الترتيبات العسـكرية

الغربية' '. وهذا ما يدلل على أن استمرار المتابعة لهذا الملف قد وفر للإدارة مزيدا من الفهم بالقارة الإفريقية.

أمـا جنوب إفريقيا فقد علمت بأنها أبدت أسـفها وخيبة أملها لعدم مشـاركة مصر. فتحدث وزير دفاعها أرازموس للقائم بالأعمال المصرى (حسـين منصور) بمناسـبة تأليف وفد اتحاد جنوب إفريقيا إلى المؤتمر فأبدى أسفه لاعتذار مصر عن الاشتراك. خصوصا وأن حكومـة الاتحاد هى صاحبة الفكرة فى ضرورة انعقاده اسـتعدادا لما قد يتطور اليه الموقف الـدولى. وحينما أجابه القائم بالأعمال بأن الرفض لعدم الاسـتجابة لمطالب مصر القومية. قـال إنـه يقدر ذلك خصوصا وأنه وزير دفاع فى حكومـة وطنية لها هى الأخرى مثل هذه المواقف من بريطانيا. أما وكيل خارجية الاتحاد فورسـيث Forsyth فقد أعرب عن خيبة أمل حكومته لعدم اشـتراك مصر فى المؤتمر المذكور، وأورد سـببين لهذا الامر: أولهما. أن دولته كانت تعلق أهمية كبيرة على الدور المصرى، وأن اشـتراك مصر والبرتغال – للموقع الجغرافـى الـذى تنفرد به مصر ولأهمية لورنزو ماركيز بإفريقيا الشـرقية البرتغالية – فى مشروعها المقترح يأتى فى المرتبة الأولى فى حالة نشوب الحرب. ثانيهما، أن اشتراك مصر لا يتعارض مع سياسة الحكومة المصرية وموقفها من بريطانيا، فقرارات هذا المؤتمر لا توضع موضـع التنفيـذ إلا فى وقت الحـرب، الأمر الذى لا يتعارض مع وجهـة النظر المصرية. ولكن إجابة القائم بالأعمال بتعذر التعاون مع بريطانيا سـواء وقت الحرب أو السـلم[٤٧]. تدلـل على أن اتجـاه الحكومة نحو التعاون مع بريطانيا قد أخذ يشـق طريقه فى أروقة السياسـة الخارجية المصرية. ونستنتج مما سبق أمورا ثلاثة: أولها. أن مصر كانت تشكل أولوية خاصة لدى جنوب إفريقيا فى مشروعها المقترح للدفاع عن إفريقيا، وهذا ما يفسر تلك المواقـف التـى اتخذتها جنوب إفريقيا تجاه مصر فيما بعد. ثانيها، أن هناك اختلاف فى المشـروع الوطنى الخاص بمصر (الاستقلال ووحدة وادى النيل) وجنوب إفريقيا (الاستقلال عن الكمنولث وإعلان الجمهورية) جعل الأخيرة تؤجل مشروعها الوطنى. فجنوب إفريقيا تَدعُـو للمؤتمـر وعينها على الدفاع الإقليمى والحصول على قاعدة سـيمونزتاون، فى حين تُدعَى مصر لتحمل نفقات ما يتفق عليه بشأن ترتيبات الدفاع. ثالثها، لا يمكن المقارنة بين الدولتين لأن دخول جنوب إفريقيا فى أى مشروع دفاعى من باب قوة عسكرية واقتصادية عكس مصر التى تدخل بشروط الاحتلال.

أما خطاب القائم بأعمال مفوضية مصر الملكية بلشبونة فيشير إلى أربعة أمور تتعلق بهذا الاتجـاه: أولها، المقالات غـير الودية التى ظهرت منذ رفض مصر الاشـتراك فى المؤتمر وطلب المفوضية عدم نشر الأنباء والمقالات المغرضة ضد مصر والاستجابة لطلبها فى عدم نشر أى مقالات تسـىء إليها. ثانيها، تعاطـف الخارجية البرتغالية مع مطالب مصر الوطنية. ثالثهـا، اعتراف الخارجية البرتغالية بأنه لا يمكن القيـام بأى عمل إيجابى نافع للدفاع عن الشرق الأوسط عامة وعن شرق إفريقيا وشمالها دون اشترك مصر فى ذلك الدفاع راضية مرضية. رابعها، استفسار القائم بالأعمال لسكرتير الخارجية البرتغالية عما جرى فى مؤتمر نيروبـى يدلل على إدراك مصر لأهميتها فى أى خطط دفاعية، فقال مسـتنطقا إياه «ليس الأمر سوء تقدير من مصر بل قد تكون الحكومة البرتغالية قد لمسته بنفسها فى المؤتمر. إذ إننى أعرف أن عدم اشـتراك مصر كان له أثره العميق فى ميوعة المناقشـات وحصرها فى نطاق الفروض والاحتمالات» وقد أجاب بعد أن فكر لحظة «الواقع أن هذا المؤتمر لم يفعل شيئا يستحق الذكر»[٤٨]. إذا، واضح أن مصر فهمت بأنها هى حلقة الوصل بين المشروعين. لذا ركزت على الدوائر الثلاث التى خرجت منها الانتقادات لموقفها.

والشـىء الملفت للنظر هو عدم تعليق الإدارة البريطانية على هذا الرفض رغم ما أشـرنا إليه سـابقا من أنها كانت تعرف بأن سياسـتها هى السـبب الأساسـى للرفض المصرى. وربما يكون هذا هو الطعم لإثارة جنوب إفريقيا للاطلاع معها بمشـروع الشرق الأوسط. بأن ادعـت موافقتها على الحلف الإفريقى موحية بأن الرفض المصرى هو وحده الذى تسـبب فـى عدم قيام الحلف، وهذا يظهـر فى التصرفات الجنوب إفريقية اللاحقة للمؤتمر. الأمر الآخـر أن الرفض المصـرى يعنى أنه لم يعد لدى بريطانيا أى قـدرة على تحريك الأمور، وهـذا ما يدلـل على أنه فى إمكان القوى الضعيفة أن تفرض علـى القوى الكبرى أمرا إذا اسـتخدمت أوراقهـا جيدا؛ فحالة عـدم تعاون الإدارة المصرية وعـدم إبدائها أى قدر من المناورة السياسية بالحضور ثم رفض ما يطرح من مشروعات، هو ما جعل بريطانيا لا تتدخل فى طرح مشروعها الأساسى لقيادة الشرق الأوسط. وهو الأمر نفسه الذى ربما يجيب على الاستغراب من موقف بريطانيا بعدم التعليق على الرفض المصرى.

فقد عرض مشروع قيادة الشرق الأوسط على مصر فى ١٣ أكتوبر ١٩٥١م بحيث ابتعدت بريطانيا[*] عن تقديم المشـروع حتى لا يقابل مثلما قوبل به مشـروع الحلف الإفريقى من رفـض. فإحـدى الوثائق تشـير إلى أن تركيا هى التى تقدمت بمشـروع الرباعية (تركيا – أمريكا – بريطانيا – فرنسا) إلى مصر والدول العربية لتكون قناة السويس قاعدة الدفاع عن

الشـــرق الأوســـط[٤٩]. ووثيقة أخرى تطرح بأن أمريكا هى التى تقدمت بمذكرة الرباعية فى ١٤ أكتوبر ١٩٥١م. وعززت دول الرباعية مذكرتها بطلبات تقدمت بها حكومات استراليا ونيوزيلنـــدا واتحاد جنوب إفريقيـــا للانضمام إلى القيادة المقترحة[٥٠]. وقوبل هذا المشـــروع بالرفـــض بحجة عـــدم دعوة مصر لحضور المؤتمـــر الخاص بالرباعية[٥١]. لكـــن من المتابعة السابقة لمؤتمر نيروبى تسقط هذه الحجة لأنها دعيت إلى مشروع الحلف الإفريقى ورفضته.

والنتيجـــة التى انتهت بكلا المشـــروعين اثر الرفض المصرى تدلـــل على الارتباط الكبير بينهما. ففى الوقت الذى ســـقط فيه مشروع الحلف الإفريقى كما ذكرنا من قبل. لم يسقط مشـــروع قيادة الشرق الأوســـط. لأنه حسب رؤية جنوب إفريقيا هو المشروع الأساسى الذى بدونه لا يمكن لمشـــروع الحلف الإفريقى أن يتم. ويمكن ملاحظـة ذلك بوضوح فى ســـلوك جنوب إفريقيا تجاه مشـــروع الشـــرق الأوسط. فقد أصدرت وزارة خارجيتها فى ١٢ نوفمبر ١٩٥١م بيانا تؤيد فيه تأســـيس قيادة الشرق الأوســـط Middle East Command وبأنها ســـتقدم المســـاعدة فى الدفاع عن الشرق الأوســـط والقارة الإفريقية ضد أى عدوان شيوعى. بحيث تضطلع فى زمن الحرب بأن ترسل القوات الأرضية والجوية إلى هناك دون الرجوع إلى البرلمان فى هذه المسألة. وأنها تقبل عضوية الدفاع عن الشرق الأوسط[٥٢]. بحيث وافقت على إرســـال فرقتين عســـكريتين فى زمن الحرب وقوات تقدر بـ ٢٧٠٠٠ عسكرى. بل إن بعض القوات ذهبت واســـتقرت بالفعل فى مالطة وقبرص[٥٣]. لذا يمكن القول بإن بريطانيا نجحت فى توظيف جنوب إفريقيا لتتبنى مشـــروع الشرق الأوسط بعد أن كانت تلهث فى الحصول على تلك الموافقة من قبل. يؤيد هذا ما جاء على لســـان رئيس حكومتها فى مايو ١٩٥٢م. بـــأن حـــل أى خلاف بين مصـــر وبريطانيا يكون فى الإشـــراف الدولى على قناة الســـويس. وهذا يعنى ضرورة قبولها مشروع قيادة الشـــرق الأوسط. ومع ذلك تشير إحدى الوثائق إلى أن ما يعنى جنوب أفريقيا من ذلك هو توظيفها لمشروعها فى إنشاء حلف الدفاع الإفريقى. وظهر هذا بوضوح فى عدم موافقتها على سياســـة بريطانيا الإفريقية التى تقضى بضم المستعمرات إلى الكمنولث البريطانى[٥٤]. لأن هذا يضرب فى صميم مشروعها الإفريقى الذى يستهدف تحالف الدول الاستعمارية للحفاظ على مكانة الأوربيين فى إفريقيا.

المحور الثالث: ثورة يوليو والوعى بمشروع حلف الدفاع الإفريقى:

كمـــا عرفنا من قبل بأن أولى خطوات تنفيذ مشـــروع حلـــف الدفاع الإفريقى قد اتخذت قبل قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م بعام. وأن الرفض المصرى هو الذى تسبب فى عدم تحقيق

الأهــداف المرجوة من قبل الدولتين الداعيتين لمؤتمــر نيروبى. ولفهم تعامل الثورة مع هذا المشــروع لابد من معرفة مدى اقتراب الثورة من مشروع الحلف والتعرف عليه، ثم إدراكها للتباين بين مشروعى الدفاع عن إفريقيا (الخارجى والمحلى).

أولا: التعرف إلى مشروع حلف الدفاع الإفريقي:

لا يمكــن القــول بــإن الإدارة المصرية فى عهد الثــورة قد بدأت فــى التعامل مع هذا المشروع من فراغ. فلا شك أنها وجدت ملفا خاصا بأمر هذا المشروع - تحت مسمى مؤتمر نيروبــى - موجــودا لديها فى القســم الإفريقي التابع لوزارة الخارجية. مما شــكل لدى مســئوليها وســيلة للتعرف من خلاله إلى الأهداف الاستعمارية فى القارة. ولا شك أنهم - باعتبارهم كحركة ضباط أحرار وكفصيل فى الحركة الوطنية المصرية - كانوا قد سمعوا بأمر هذا المشروع من قبل. فمنشوراتهم التى عبرت عن رفضها للترتيبات العسكرية البريطانية. وتلــك التــى خرجت تثنى على حكومة الوفد لإلغائها معاهــدة ١٩٣٦م ورفضها للأحلاف العســكرية والدفاع المشترك[٥٥] تدلل على ذلك. إذا كان هناك ملف موجود وموقف مسجل عبر أوراق زعاماتها، لكن الســؤال الذى يطرح نفســه هل غيرت الثورة المصرية موقفها بعد وصولها للحكم، خاصة أنه كان عليها أن تتعامل مع مسألة الرفض المطلق لأى مشروعات عســكرية يهــدف إليها الغرب؟ يبدو أن الثــورة والقوى الغربية لم يتعجــلا نقطة الصدام الســابقة مع حكومة الوفد بعرض أى من الترتيبات العســكرية المطروحة من قبل. كذلك فعلت جنوب إفريقيا. وهذا ما أعطى قيادة الثورة فى شهورها الأولى فى الحكم وقتا للتعرف إلى الملــف الإفريقي. فســعوا للتعرف أكثر إلى القوى المحركــة فى القارة. فانحصر الجهد المصــرى فى البداية على أمرين هما توفير المعلومات والعلاقات الثقافية مع القارة. وهذا ما يفســر ما نشــرته الأهرام بعد أيام قلائل من قيام الثورة بأن وزارة الخارجية تعمل على نشر نفــوذ مصر الثقافى فــى إفريقيا، ليس فقط فى الصومال وليبيا وليبيريا بل مدت نشــاطها بالتعاون مع الأزهر لإيفاد بعثات للجنوب وللغرب الإفريقي وإثيوبيا وغيرها[٥٦]. وفى إطار السعى لمعرفة القوى المحركة يأتى ما نشرته الأهرام فى نهاية اكتوبر ١٩٥٢ تحت عنوان «تحول الحرب الباردة لإفريقيا» ليصب فى هذا الســياق. فقد أشــارت إلى ان الشيوعية لم تقتصر على اتحاد جنوب إفريقيا وشمال إفريقيا الفرنسى، بل إنها امتدت إلى كينيا ونطاق شمال روديسيا، وأن عدد النشرات الشيوعية فى أوغندا قد ازداد بتأثير المفوضية السوفيتية فى أديس أبابا، وأن الاتحاد السوفيتى قد أتاح منحا دراسية لطلاب المستعمرات البريطانية

الإفريقيين منذ مطلع ١٩٥٢م[٥٧]. إذا اختلف الأمر لدى القيادة الجديدة. فقد كانت القوى الغربية في الفترة ما قبل ١٩٥٢م تستأثر بكل إفريقيا. ولم يكن هناك نفوذ للسوفييت بالصورة التى أصبح عليها فى نهاية تلك السنة. وهذا ما يدلل على أن الثورة لم تكن هى البوابة التى نفذ منها السوفييت لإفريقيا. وهذا الأمر مهم لأن المشروعات التى طرحت فيما بعد لحصار الدور المصرى اتخذت من ذلك السبب مطية لتنفيذ هذا الحصار.

وإذا كانت مصر قد أقفلت موضوع مشروع الحلف الإفريقى برفضها الحضور لمؤتمر نيروبى. إلا أن إصرار جنوب إفريقيا على فتحه - عبر تحولها للاهتمام بمسألة الدفاع عن الشرق الأوسط - أبقى الاهتمام المصرى به قائما. خصوصا وأن وزير دفاع جنوب إفريقيا تعددت زيارته للقاهرة فى الشهور الأولى للثورة. ففى ١٢ نوفمبر ١٩٥٢م جاء إلى القاهرة وقابل الرئيس محمد نجيب فى زيارة مجاملة. لذلك لم يتحدث معه لا فى مسألة الحلف ولا فى مسألة الدفاع عن الشرق الأوسط. لكنه تحدث مع السفير البريطانى وكبار القواد البريطانيين فى قاعدة السويس عن الإضرابات الحادثة فى جنوب إفريقيا وكينيا[٥٨]. وفى يناير ١٩٥٣م مر أرازموس بمصر بعد رحلته إلى كوريا وأمضى ليلة فى «فايد» وتحدث عن إرسال ضباط اتصال إلى مركز القيادة البريطانية فى الشرق الأوسط وأن جنوب إفريقيا ستوفى بالتزاماتها[٥٩]. بل إن ما أشارت إليه مجلة آخر ساعة فى ٤ فبراير ١٩٥٣م بأن حديثا حول المصاعب التى تواجه مشروع الشرق الأوسط سيكون بين العسكريين البريطانيين والعسكريين فى جنوب إفريقيا فى ٧ فبراير ١٩٥٣م[٦٠]. ليدلل على التنسيق الكامل بين بريطانيا وجنوب إفريقيا فى مشروع الشرق الأوسط. ربما سعيا لابقاء مشروعها فى إقامة حلفها الاستعمارى قائما. لذا كان مطلوبا من الإدارة التى تمسك بهذا الملف متابعة تحركات العسكريين فى كلا البلدين. وهذا ما يفسر أن بداية الاهتمام الفعلى لمشروع الحلف الإفريقى قد بدأت سنة ١٩٥٣م وأن ملف نيروبى قد تمت دراسته للاستفاده منه فى فهم الترتيبات العسكرية المشتركة بين جنوب إفريقيا وبريطانيا.

وفى هذا الإطار تابعت إدارة إفريقيا بالخارجية المصرية زيارة وزير دفاع جنوب إفريقيا فى أغسطس١٩٥٣م لحضور مؤتمر رؤساء أركان حرب دول الكمنولث ومحاولته لإقرار مشروع الدفاع عن إفريقيا. والذى تحول إلى الدفاع عن الساحل الشرقى لإفريقيا ضد خطر الهند. لهذا طلبت الإدارة من مفوضية مصر ببريتوريا وسفارة مصر بلندن تقارير عن هذا الأمر[٦١]. لكن يبدو أن الموقف المصرى من المشروعين - الشرق الأوسط والدفاع الإفريقى- هو مصدر

حملة التشـويه التى شنتها حكومة جنوب إفريقيا على مصر سنة ١٩٥٣م[٦٢]. ويمكن تفسير هذه الحملة فى إطار ما رفضه عبد الناصر لمشـروع جون فوستر دالاس وزير خارجية أمريكا والمقدم تحت اسم منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط Middle East Defense Organization (المعروف اختصارا باسم «ميدو MEDO)، واعتراضه على الاشتراك فى أية أحلاف مع أية دولة أجنبية[٦٣]. ويدلل على ذلك ما أشـار إليه خطاب مفوضية مصر ببريتوريا فى ٤ يناير ١٩٥٤م بأن سـكان جنوب إفريقيا الناطقين بالإنجليزية هـم الذين كانوا ينادون طوال عام ١٩٥٣م بوجوب إنشاء قاعدة دفاع فى منطقة الشرق الأوسط، وأن نوابهم البرلمانيين هم الذين قدموا عدة استجوابات فى الدورة البرلمانية فى نفس العام ليطمئنوا على موقف الحكومة من هذه المسألة، وأن زعيم المعارضة ستراوس كان على رأس المؤيدين للاشتراك فى قيادة الشرق الأوسـط بحجة الدفاع عن المنطقة للحفاظ على الأمن العالمى. ويبدو أن تعليق المفوضية «بأن هـذا الامر يتعارض مع ما تراه مصر بأنها هـى أقدر – باعتبارها صاحبة هذا الحق – على تقرير وسـائل الدفاع عن أراضيها»[٦٤]. وأيضا تلك الاسـتفزازات التى كان يرددها مالان فى ذلك العام من أن مصر ما هى إلا محطة لإفريقيا gateway to Africa[٦٥]. قد كان لها تأثير فى مضمون المقالات التى كان يكتبها عبد الناصر فى مجلة آخر سـاعة فى نفس السـنة، والتى صيغت فيما بعد فى كتاب فلسـفة الثورة الذى صدر سـنة ١٩٥٤م، فواضح تأثير تلك التقارير فى صياغته لأول خطاب سياسى له بشأن سياسة مصر الإفريقية، وبأن الرجل كان على دراية بها حتى قبل أن يصبح على رأس الحكم.

وفـى هذا الإطار ينبغى إعادة النظر فى تلـك الكتابات التى تروج بأن الاهتمام المصرى بإفريقيا قد نشأ فقط بسبب إحساس عبد الناصر بتنفيذ الدور التاريخى والجغرافى كحامى للبوابة الشمالية لإفريقيا[٦٦]. دون أن تختبر وتناقش السياق العام الذى صاحب هذا التوجه وجذوره، فإحساس مصر بخطورة تدخل جنوب إفريقيا فى مشروع الشرق الأوسط وتحالفها مع الغرب لإبقاء سـيطرة الأوربيين على إفريقيا، كل هذا يقول بوجود علاقة بين مشـروع حلـف الدفـاع الإفريقى وتلك الخطـوط التى رسمها عبد الناصر فى كتاب فلسـفة الثورة. ومـع أن تلـك الفقرات التى كتبها عن توجهه لإفريقيا قد اقتبسـت فى عشـرات الكتب والدراسات، إلا أن تفسيرها قد انحصر فى اتجاهين: أحدهما، يراه قدرا تاريخيا. والآخر، يراه توجها توسـعيا. وكلاهما فى تقديرى إما وقع رهينة التأويل الظاهرى لتلك الفقرات، وإما خضع لتأثير الدعايات الاستعمارية[٠].

فـاذا ما تصورنـا أن عبد الناصر لم يكن على دراية بالتقارير الواردة عن المشـروعات العسـكرية التى سبق أن ذكرناها بين بريطانيا وجنوبا إفريقيا فسوف نقع أسرى التفسير الظاهـرى للخطـاب. أمـا إذا اختبرنا الخطاب فـى ضوء اطلاعـه - باعتباره المحرك لأمور الدولة - على تلك التقارير التى ترسـلها هيئات التمثيل الدبلوماسـى فى الخارج، والمحولة من وزارة الخارجية - لرئاسـة مجلس الوزراء المصرى ورئاسـة الجمهورية[٦٧]. فسوف نستخلص قراءة مختلفة. بحيث يمكننا القول بإن معرفته بأن القوى الأوربية فى جنوب إفريقيا هى التى تقف خلف هذا المشروع، ودرايته بالتحالف الذى تبغيه مع قوى الاستعمار الأخرى، قد انعكس بوضوح فى رسائل ثلاث قصدها فى مضمون الفقرات التى خـص بها إفريقيا: فالرسـالة الأولى، نفهم منها أن هنـاك تفاعلا قد حدث بين مضمون ما طرحه مالان بأن مصر هى محطة الشـيوعية للنفوذ لإفريقيا، وبين ما كتبه عبد الناصر فى ذلك الوقت «ولسوف تظل شعوب القارة تتطلع إلينا نحن الذين نحرس الباب الشمالى للقارة..»[٦٨]. وكأنها جاءت ردا على تلك الافتراءات التى يدعيها مالان. فإذا كان مالان قد اعتبر مصر معبرا لإفريقيا فإن عبد الناصر اعتبرها الحارس وأن الشعوب الإفريقية هى التى ترى مصر كذلك. وهذا ما يفسـر قلق الدول الاسـتعمارية من مضمون الفقرات التى طُرحت فى فلسـفة الثورة، فقد فهموا بأن سياسته ستقود إلى تحريض الشعوب الإفريقية ضـد بقائهـم فى إفريقيا. وهذا ما دعا القوى الاسـتعمارية لإعادة التفكير مرة أخرى فى الترتيبات العسكرية عبر القارة.

ورسالته الثانية فيما ذكره «بأننا لا نستطيع بحال من الأحوال - حتى لو أردنا - أن نقف بمعزل عن الصراع الدامى المخيف الذى يدور اليوم فى أعماق إفريقيا بين خمسـة ملايين من البيـض ومائتى مليون من الإفريقيـين»[٦٩]. تصب فى إعلان انحيازه التام صراحة للإفريقيين ليقدم نفسـه باعتباره القوى المحلية الحقيقية التى تقف ضد المشـروع الجنوب إفريقى الذى بالأسـاس هو مشـروع للحفاظ على مصالح الأوربيين فى إفريقيا. وهذا ما يمكن تلمسه بوضوح فى رسـالته الثالثة حين قال «المؤكد إن إفريقيا الآن مسـرح لفوران عجيب مثير، وأن الرجل الأبيض الذى يمثل عدة دول أوربية يحاول الآن إعادة تقسـيم خريطتها، ولا نسـتطيع بحال مـن الأحوال أن نقف أمام الذى يجرى فى إفريقيا ونتصور أنه لا يمسـنا ولا يعنينا»[٧٠]. هذا بالإضافة إلى أنه إذا ما أعدنا قراءة الخطاب فى ظل المشروعين الفرنسى - البريطانى والمشروع الجنوب إفريقى سنة ١٩٥٤م لقلنا بالقطع بأن الفهم الذى توفر لعبد الناصر لم ينتج عن أفكار كان يحلم بها، بل إن المصلحة المصرية هى التى فرضت عليه هذا التوجه الجديد نحو إفريقيا.

ثانيا: إدراك الثورة للتباين بين مشروعى الدفاع الإفريقى (الخارجى والداخلى):

استطاعت الإدارة المصرية أن تتعرف خلال عام ١٩٥٤ إلى الاختلاف بين المشروعين الخارجى والداخلى من خلال التقارير الواردة اليها عن مؤتمر داكار وحلف الدفاع الإفريقى الذى اعيدت صياغته تحت مسمى حلف المحيط الهندى.

وفيما يتعلق بمؤتمر داكار، يمكن القول بإنه حتى سنة ١٩٥٤م لم تكن الإدارة المصرية تفرق بين المشروعين الداخلى والخارجى للدفاع عن إفريقيا، بدليل أن كل التقارير التى أشرنا اليها من قبل تربط بين التنسيق البريطانى - الجنوب إفريقى فى الشرق الأوسط. بل إن الملف الذى تحتفظ به الخارجية المصرية عن مؤتمر داكار جاء تحت عنوان «المؤتمر الخاص بإنشاء حلف للدفاع الإفريقى»، مع أن المعلومات الواردة فيه تشير إلى أنه مشروع مناهض لحلف الدفاع الإفريقى. ورغم هذا فإن أهمية التقارير التى وردت للإدارة المصرية حول هذا المؤتمر قد وفرت لها أداة للتعرف إلى الاختلاف بين المشروعين. فرغم أن مصر لم تُدْعَ إلى هذا المؤتمر إلا أن اهتمامها به جاء فى سياق اهتمامها بالمشروعات العسكرية الأوربية فى إفريقيا، وفى إطار رغبتها فى معرفة الخطوط الهامة التى تمس مصر والسودان[٧١]. خصوصا أن على حدودهما تقع منطقة تشاد المتشعبة الطرق البرية - إلى ليبيا شمالا والسودان شرقا ونيجيريا غربا - والتى كانت محورا للبحث فى مؤتمر داكار لأهميتها الاستراتيجية فى الدفاع عن قلب القارة الإفريقية. وتسهيل نقل الجنود إلى الشرق الأوسط[٧٢]. (انظر الخريطة رقم ٢) إذا ما نوقش فى المؤتمر ليس ببعيد عن تلك الترتيبات التى تحاول الإدارة البريطانية فرضها على مصر باعتبارها مركزا لتجميع القوات القادمة من شتى المناطق الإفريقية.

ورغم أن التقارير المصرية اعتبرته المؤتمر الثانى فى سبيل الدفاع عن إفريقيا فى إشارة واضحة لاطلاعها بملف نيروبى، إلا إنها فرقت بين هدفيهما. فقد أشارت تقاريرها بأن مؤتمر داكار قد أقيم فى مارس ١٩٥٤م تحت رعاية فرنسا والمملكة المتحدة، وحضرته كل من بلجيكا والبرتغال واتحاد جنوب إفريقيا وليبيريا، وكذلك وجهت الدعوة للولايات المتحدة الأمريكية واتحاد وسط إفريقيا للحضور كمراقبين، وأن قصده كان دراسة سبل المواصلات العسكرية على اختلافها برية وبحرية وجوية[٧٣] وأنه ضم ما يقرب من مائة فنى لدراسة مشروع تنظيم مشترك للنقل والمواصلات الاستراتيجية فى منطقة غرب إفريقيا

جنوب الصحراء. لكن فهم الإدارة المصرية للاختلاف بين هدف المؤتمرين جاء عبر خطاب سفارتها في لندن وإشارته بأن حماس مندوبي بلجيكا والبرتغال للمؤتمر لم يكن كسابقه. فقد أعلنوا أنهم يحضرون كفنيين وليس لديهم أي تفويض من حكوماتهم[٧٤]. وهو نفس ما أشار إليه خطاب مفوضية بريتوريا بأن جنوب إفريقيا لم تتشجع للمؤتمر. إلا أنه أضاف تفسيرا مهما أوضح كثيرا من الغموض لدى الإدارة المصرية لعدم تشجع الدول الثلاث لمؤتمر داكار. حيث أشار بأن عدم تشجع جنوب إفريقيا ناتج من أنها - حسب رأى مالان - لا تريد الزج بالإفريقيين في حرب تخص الغرب. وقد علقت مفوضية جنوب إفريقيا على ذلك «أن ما يخفيه مالان بهذا الرأى هو عدم رغبته في إعطاء الفرصة لتسليحهم أو مرانهم على شئون القتال حتى لا يقلبون ظهر المجن»[٧٥]. وهذا ما يدلل على ارتباط كل من بلجيكا والبرتغال بالمشروع الجنوب إفريقى الذى يدعو إلى حلف استعمارى. وعدم الارتباط بما يصدر عن مؤتمر داكار من قرارات تشجع على الحكم الذاتي. ونستخلص من ذلك أن الإدارة المصرية لأول مرة تدرك ذلك الخلاف الواضح بين أهداف المشروعين. من هنا راحت تتعرف إلى نقاط الخلاف بين القوى الاستعمارية. فرغبة جنوب إفريقيا في الحلف الإفريقى الأبيض. تدعمها البرتغال وبلجيكا. لا تشجع ما تهدف إليه كل من فرنسا وإنجلترا من تجنيد الإفريقين للدفاع عن إفريقيا. وما يهمنا في هذا المقام بأن عدم اهتمام الإدارة المصرية بخلفية المشروعات العسكرية قد أخر إدراكها لهذا الاختلاف حتى سنة ١٩٥٤م. لكن ما أضافته الوثائق المصرية بأن القوى الغربية - ممثلة في إنجلترا وفرنسا - مازالت تنظر لإفريقيا كأرض إمداد للشرق الأوسط، وتناول تلك الوثائق لمشروع داكار يشير بوضوح إلى سعى تلك القوى للتخلص من تكاليف الدفاع عن إفريقيا. وما جاء في تقرير رئيس قسم إفريقيا بالخارجية بأن البنك الدولى للإنشاء والتعمير قد منح إفريقيا الغربية الفرنسية مبلغ ٧،٥٠٠،٠٠٠ دولار لإصلاح السكك وشراء ٣٥ قاطرة ديزل و ٣٤ آلة بخارية. وتحليله بأن ثمة رابطة بين عقد القرض والبرنامج الضخم في إصلاح السكك الحديدية بغرب إفريقيا وقرارات مؤتمر داكار التي كانت جل أعماله تدور حول بحث مشاكل المواصلات وطرق الاتصال العسكرية بين مناطق هذا الجزء من إفريقيا[٧٦]. ليقطع دون شك مدى ما وصلت إليه تلك الإدارة من فهم وحسن تقدير للموقف. بل نستخلص في ضوء تقديرات تلك الإدارة وتحليلاتها لهذا المشروع نتيجتين: **الأولى**. ضرورة إعادة النظر في مصطلح تنمية

المستعمرات في سياقه التاريخي، وبأن الهدف الرئيسي منه كان خدمة الأهداف العسكرية أكثر منه التعاطف مع المستعمرات. وهذا ما يجعلنا نتشكك في أن تركيز خطط التنمية التي جرت بعد الاستقلال على إنشاء السكك الحديدية والطرق يمكن القول بإنها قد ارتبطت بالحرب الباردة وخطط الدفاع الإفريقي المتفق عليها منذ منتصف الخمسينيات، والتي تخلت عنها الدول الكبرى لتكلفتها الكبيرة فتحملتها الحكومات الوطنية، بل شكلت في بعض الدول أكثر من نصف ميزانية الإنفاق مما أثر على برامج التنمية في القطاعات الأخرى وأوقع غالبيتها في فخ المديونيه. وبالتالي فإن الدراسة تفيد أن طرح الاستقلال لم يكن في الغالب مرتبطا بنجاحات حققتها الوطنية الإفريقية، بل ناتجا من المعوقات داخل الدول المستعمرة نفسها.

الثانية، أن استبعاد دعوة مصر وإثيوبيا لهذا المؤتمر قد جاء بحجة سابق دعوتهما في المؤتمر المختص بمناقشة مسائل الدفاع الخاصة بشرق إفريقيا، وتسقط هذه الحجة بدعوة جنوب إفريقيا، فعدم توجية الدعوة كان مقصودا به مصر لأن إثيوبيا دخلت في مشروع الحزام الإفريقي. أما جنوب إفريقيا فقد أصبح التعامل معها على أنها صاحبة فكرة الدفاع عن إفريقيا وأنه لابد من استشارتها وحضورها. وأن هدف بريطانيا من إشراك اتحاد وسط إفريقيا لمساعدة القوات القادمة من غرب إفريقيا للشرق الأوسط وقت الحرب، باعتباره الجناح الرابع للتعزيزات البريطانية التي تأتي من إفريقيا زمن الحرب للشرق الأوسط[٧٧]. يدلل على نية بريطانيا في التخلص من الأعباء التي تصر عليها جنوب إفريقيا بالحلف الإفريقي، وأن اتحاد وسط إفريقيا يعد بديلا عن تدخل بريطانيا المباشر. ويتضح من ذلك بأن الشرق الأوسط ومصر لها أهمية كبيرة في عقل المخططين، وبالتالي يقتضي لإنجاح هذا الأمر ضرورة موافقتها على خطط الدفاع عن الشرق الأوسط لأن كل الترتيبات الدفاعية في كافة أنحاء إفريقيا قد تم الاتفاق عليها بالفعل عبر المؤتمرين السابقين.

أما فيما يتعلق بمشروع حلف الدفاع الإفريقي فقد تأكدت الإدارة المصرية بأن هذا المشروع اقتصر على جنوب إفريقيا بدعم من البرتغال وبلجيكا، تلك الدول التي كرهت قرارات مؤتمر داكار، وأدركت بأن هناك اختلافا بين المشروعين اللذين يتجاذبان القوى الاستعمارية في إفريقيا، وتأكدت بأن الأحداث المصرية هي التي فرضت نفسها بضرورة المناداة بمشروع الحلف الإفريقي من جديد لعزوف إنجلترا وفرنسا عنه بعد الترتيبات التي

وضعت خلال مؤتمرى نيروبى وداكار. وتقرير رئيس قسم إفريقيا بالخارجية المصرية يشير بوضوح إلى أنه تمت إعادة صياغة مشروع الحلف الإفريقى تحت مسمى «حلف المحيط الهندى»، وذكر بأنه عبارة عن منظمة دفاعية كان الدكتور مالان قد نادى بها قبل اعتزاله الحكم[ ] لصد خطر الشيوعية - أسوة بحلف الأطلنطى - وخطر الهند الذى تتعرض له جنوب إفريقيا عن طريق المحيط الهندى. وقال بإن الأحداث المصرية كان لها الدور الأساسى فى بلورة هذا الاتجاه. فبعد توقيع اتفاقية الجلاء عن قاعدة السويس سنة ١٩٥٤م - التى تعتبرها جنوب إفريقيا نقطة الدفاع الأولى لإفريقيا - رأى مالان ضرورة التفكير فى إنشاء هذه المنظمة الدفاعية على أن تكون تابعة لحلف الأطلنطى، وأطلق على مشروعه اسم حلف المحيط الهندى Indian Ocean Pact. وتقدم وزير الدفاع الجنوب إفريقى بعرضه على بريطانيا، وطالب بأن تدعو الدول ذوات المصالح فى إفريقيا (الدول الاستعمارية) لعقد مؤتمر لبحث النقاط الخاصة بهذا الحلف واستكمال ما اتفق عليه فى مؤتمرى - نيروبى وداكار[٧٨]. وهذا يدلل بأن عدم تشجع جنوب إفريقيا لمشروع مؤتمر داكار لا يعنى أنها لم تحاول الاستفادة من بريطانيا وفرنسا إلى أقصى مدى ممكن لتنفيذ فلسفتها الخاصة بالدفاع عن إفريقيا، اعتمادا بأن أطرافا أخرى تقف إلى جانبها فى هذا الاتجاه (بلجيكا والبرتغال).

ويأتى اعتراف مالان بأن خطط الدفاع عن إفريقيا تغيرت بسبب توقيع اتفاقية الجلاء[٧٩]. ليؤكد بأن استمرار الدعوة للحلف ظل مرتبطا بالأحداث المصرية، فرغم أن جنوب إفريقيا قد أيدت الاتفاقية، إلا أنها ربطت ذلك بقبول مصر لترتيبات الدفاع عن الشرق الأوسط[٨٠]. لذا يمكن القول بإن إعادة صياغة الحلف الإفريقى تحت هذا المسمى الجديد بعد توقيع اتفاقية الجلاء ما هو إلا محاولة من قبل جنوب إفريقيا لإقناع نفسها بأن مصر لم تعد مصدرا للخطر طالما قبلت بتسهيلات الدفاع وقت الحرب، ولهذا وجهت نظرها إلى الخطر الهندى محاولة تجميع الصفوف الاستعمارية ناحية الشرق وليس الشمال.

ويتضح صدق الرواية المصرية لتلك التطورات ما قالت به إحدى الدراسات، بإن بريطانيا رغم أنها هى التى وقعت اتفاقية الجلاء إلا أنها ظلت تعمل على ربط جنوب إفريقيا بالدفاع عن الشرق الأوسط، وهذا يعنى أنها تشك فى نوايا عبد الناصر، لكنها فشلت فى صيف ١٩٥٤م فى محاولة اقناع أرازموس بأن الدفاع الحقيقى لجنوب إفريقيا يقع فى الشرق الأوسط وأن المعاهدة الإنجليزية المصرية والحلف التركى الباكستانى تعد بمثابة تطورات إيجابية

فى هذه المنطقة. حيث تشدد وزير الدفاع الجنوب إفريقى فى أن إفريقيا جنوب الصحراء هى محل أهتمامه الأول. وأن غرضه الرئيسى صد هجوم الشيوعية القادم من جنوب شرق آسيا. وأنه من الضرورى لبريطانيا أن تدرس منظمة الدفاع الإفريقى African - Defense Organization. إلا أن وزارة المستعمرات البريطانية أعترضت على المشروع على أرضية أن تفكير جنوب إفريقيا يهدف فقط إلى اتحاد القوى الاستعمارية فى إفريقيا[٨١].

وما أشـارت إليه إحدى الوثائق المصرية لانتقاد الـرأى العام الجنوب إفريقى للتناقض الـذى وقعت فيه حكومة الاتحاد من تحول معارضتهـا لجلاء الإنجليز عن مصر إلى تأييد تام له. وما ذكرته عن انتقاد الصحف للتعاون الذى ينشـده مالان مع الدول الغربية التى تتفق معه فى الرأى وتجمعه بها مصلحة واحدة فى الجزء الغربى من المحيط الهندى. من أن فكرة مالان بعقد ميثاق حلف المحيط الهندى سيصيبها ما أصاب فكرته السابقة بإنشاء حلف الدفاع الإفريقى[٨٢]. كل ذلك يصب فى أن الإدارة المصرية أصبحت فى عام ١٩٥٤م على دراية بتلك التناقضات بين الدول الاسـتعمارية فى القارة الإفريقية. وأنها أدركت أن مشروع الحلف الدفاع الإفريقى هو مشروع خاص بجنوب إفريقيا تسعى للتعاون مع الغرب بغية الحصول على قبولهم بتنفيذه.

واذا كانت مشـاكل هنود جنوب إفريقيا سـببا فى توتر العلاقـات بين الهند وجنوب إفريقيا ومن ثم سـعى الأخيرة لتكوين حلف المحيط الهندى خشـية امتداد الشيوعية منها لإفريقيا. إلا أن هناك سـببا رئيسـيا وراء السـعى لتكوين هذا الحلف. يتمثل فيما قدمته الهنـد من دعم لمفاوضات الجـلاء بين مصر وبريطانيا. وهى عـين المفاوضات التى كانت تراهـا جنوب إفريقيا بأنها تمثل خضوعا لمصـر. وأيضا لتحريضـها لمصر بعدم الدخول فى مشـروع قيادة الشـرق الأوسـط[٨٣]. وهذا ما يفسـر بأن فكرة حلف المحيط الهندى كانت فكرة مؤقتة سـرعان ما عادت جنوب إفريقيا إلى مشـروعها الأساسـى لإقامة حلف للدفاع الإفريقى. وهذا ما يشـير إليه خطاب مفوضية بريتوريا من أن نتائج مفاوضات الجلاء بين مصـر وبريطانيا كان لها الدور الأهم فى العودة لمشـروع الحلف الإفريقى وعدم التفكير مرة ثانية فى حلف المحيط الهندى. حيث يشير إلى خطاب مالان فى مجلس النواب فى بداية مايو ١٩٥٤م تعليقا على اتفاقية الجلاء. فبعد أن حدد بأن هناك إفريقيتين أحدهما شمال الصحراء وأخرى جنوب الصحراء. وأن مصالح الاتحاد ترتبط مباشرة فى جنوب الصحراء.

وبأن مصالحـه فـى مصر بألا تكون مفتاحا للدول المعتدية لإفريقيا، وأن هذه المصالح ترتبط بالمحافظة على معاهدة ١٩٣٦م التى تقضى ببقاء القوات الإنجليزية هناك، ورؤيته بضرورة تدويل قناة السـويس كمنفذ بحرى عالمى. ختم خطابه بأنه لايمكن تنفيذ ذلك إلا بإنشـاء حلـف للدفـاع الإفريقى جنوب الصحراء[٨٤]. إذاً كان لابد لـلإدارة المصرية بأن تعى بأن هذا المشـروع قد بدأ يرتبط ارتباطا شبه كامل بما يجرى على أراضيها. وهذا يفسر الانتقاد الذى وجهته المفوضية المصرية ببريتوريا لموقف جنوب إفريقيا المحرض لبريطانيا للاحتفاظ بقاعدة السويس. حيث ذكرت بأن الحق الأول لدول المنطقة فى الدفاع عن أراضيها وليس لأى دولـة كائنة من كانت أن تتحكم فى أمور هذا الدفاع[٨٥]. وما انتهى إليه تحليل إدارة إفريقيا بعدم إمكانية نجاح ذلك المشـروع الدفاعى بسبب انتهاج الدولة الداعية له لسياسة التفرقة العنصرية. وأنه بدون اشـتراك أهالى القارة الأصليين فى الزود عنها لن يكون هناك نظام للدفاع على الوجه المرغوب[٨٦]. يدلل على حسن قراءة للموقف. وهذا ما يؤكد على أن الإدارة المصرية لم تدخل إلى القارة الإفريقية من فراغ. بل كان هناك تحليل وحسـن قراءة للقوى المحلية والغربية عبر القارة. وأن ملف مشـروع حلف الدفاع الإفريقى هو الذى وفر لها هذا الإدراك وفهم الاختلافات بين القوى المهيمنة على شئون تلك القارة.

وكان هذا الفهم لطبيعة الاختلاف بين المشـروعين هو المحرض على بداية التعامل مع الملـف الإفريقى منذ سـنة ١٩٥٤م، بحيث دعت الإدارة المصريـة إلى عدة اجتماعات فى القاهـرة حضرهـا ممثلين من أوغندا ونيجيريا وممثلين لحركة المـاو ماو فى كينيا. بحيث لم يقتصر التأثير المصرى على مناطق شمال إفريقيا بل امتد لغرب وشـرق إفريقيا. وخلال هـذه الاجتماعات اقترح عقد اجتمـاع يحضرة قادة حركة التحرر الإفريقى على مسـتوى القارة للتنسـيق وتقديم التسـهيلات التى تدفع فى اتجاه مقاومة القوى الاسـتعمارية. بل ركز عبد الناصر على تكوين جبهة لمقاومة الاسـتعمار من إفريقيا وآسيا والشرق الأوسط[٨٧]. ومن هنا يمكن القول بإن تنفيد تلك التوجهات الإفريقية قد بنيت على فهم ودراسة وتقييم للموقف، ولم تبدأ كما تصور البعض بمجرد خاطر ورد فى ذهن عبد الناصر. ونستدل على ذلك من الوثائق. حيث تشـير إلى تحول نظرة جنوب إفريقيا إلى مصر، من دولة تسـعى للاسـتعانة بها فيما قبل الثورة، باعتبارها قوة تسـعى للتوسـع، إلى قوة منافسـة تناهض الاستعمار وتدعم التحرر[٨٨]. وبالتالى فإن كل هذه المخاوف من قبل قوى الاستعمار من مصر

قـد أضفت مزيدا من القبول الإفريقى للدور المصرى حيث كانت إفريقيا مهيأة لكل الأفكار التى تسعى للتحرر. من ثم وجدت فى مصر ضالتها المنشودة.

المحور الرابع: موقف مصر من مشروع حلف الدفاع الإفريقى (١٩٥٥ ـ ١٩٥٨) :

اتضـح فيما اسـتعرضناه من قبل بـأن مرحلة التعرف إلى مشـروع الحلـف ثم إدراك الاختلاف بينه وبين اسـتراتيجية القوى الغربية ممثلة فى بريطانيا وفرنسـا قد ألمت بها الإدارة المصرية. لذا كان عليها متابعة المسـتجدات والتطورات التى لحقت بهذا المشـروع بصفـة خاصـة. ولم تكن هذه المتابعة قد اقتصرت على التحول مـن مرحلة التأطير لمرحلة صياغة سياسـة مصرية تجاه إفريقيا فحسـب، بل إن الظروف الدولية والمحلية هى التى فرضت عليها أمر هذه المتابعة. فقد كانت سـنة ١٩٥٥م سـنة فاصلة فى الحياة السياسية المصرية بما حفلت به من أحداث كانت لها انعكاساتها فى تنظيم الجهاز الإدارى المصرى المتابع لهذا الملف. وفى تحليلاته للقوى المرشـحة للاشـتراك فـى الحلف، ومن ثم تغير النظرة تجاهه بعد حرب السويس.

أولا: أحداث سنة ١٩٥٥ وإعادة طرح مشروع حلف الدفاع الإفريقى:

إذا حاولنـا فهم الموقف المصرى من إعادة طرح هذا المشـروع فى تلك السـنة لقلنا بإنه تركـز فى توجهين: **التوجه الأول**، هو فهم الارتباط بين الأحداث المصرية وتجدد المناداة بالمشروع، وكما عرفنا بأن المشروع قد تحددت معالمه بالدفاع عن إفريقيا جنوب الصحراء. لـذا فإن تجدد رغبـة جنوب إفريقيا فى إقامـة هذا الحلف قد اسـتمرت تدور حول هذا التحديد، متماشـية مع سياسـة الغرب فى إقامة الحزام الشـمالى Northern tier ووثائق الإدارة المصريـة تشـير بوضوح إلى هذا الأمر. فإحدى الوثائـق قطعت بأن ترحيب جنوب إفريقيـا لانضمام العراق للحلف التركى الباكسـتانى سـنة ١٩٥٥م هو الذى جعلها تجهر بضروة إنشاء حلف إفريقيا جنوبى الصحراء، كجزء من الحلقة التى تسعى جنوب إفريقيا لتكميلهـا بهدف رئيسـى هو «التمكـين للأوربيين فى هذه القارة»[٨٩]. وأخرى تشـير بأن انضمام بريطانيا لتركيا والعراق فى ٣٠ مارس ١٩٥٥م وتكوين ما عرف باسم حلف بغداد، كان هو الدافع الأكبر للجهر بهذا المشـروع كنقطة دفاع ثانية فى ظهير الحزام الشـمالى، لكنها تقر بأن تيار الحياد المنبعث من مصر والهند، والذى تبلور فى مؤتمر باندونج إبريل

١٩٥٥م، هو الذى منع إمكانية استمرار جنوب إفريقيا فى الدعوة لإنشاء هذا الحلف، خاصة أن الإدارة المصرية راحت تنبذ فكرة التنظيمات الدفاعية التى ترمى إلى خدمة الدول الكبرى لما لها من آثار بعيدة المدى فى مستقبل الدفاع عن الشرق الأوسط[٩٠] وذلك حسب ما قرره مؤتمر باندونج من الكف عن استعمال الترتيبات الموضوعة من أجل الدفاع الجماعى لخدمة المصالح الخاصة لأى دولة من الدول الكبرى[٩١]. لذا يمكننا أن نخلص من ذلك بنتائج ثلاث: الأولى، التأثير الكبير والمهم لمؤتمر باندونج فى رفع مكانة مصر عالميا مما أعطى لمعارضتها فى تكوين الأحلاف صوتا مسموعا عبر دول العالم، وأن الانزعاج الذى حدث لجنوب إفريقيا بسبب الرفض المصرى لحلف بغداد يشير إلى ذلك. الثانية، أن عودة جنوب إفريقيا لتسويق مشروعها يرتبط ارتباطا مباشرا بتطور مشروع الشرق الأوسط لحلف بغداد، وأن خبرتها بالصلة بين المشروعين جعلها تدرك بسقوط حجة الغرب فى المماطلة بشأن مشروعها الإفريقى. الثالثة، تحول المشروع الإفريقى إلى مشروع تطويقى ضد القوى الرافضة – ممثلة فى مصر – للدخول فى الأحلاف.

ويبدو أن مذكرة قسم أوربا بالخارجية المصرية فى ١٤ مارس ١٩٥٥م أدركت – فى ظل المحاولات الأمريكية والبريطانية لضم بلاد الشرق العربى لتكملة حلقات الحزام الشمالى – باستمرار التباين بين المشروع الغربى والجنوب إفريقى، فأمريكا وبريطانيا تسعيان إلى إقامة منظمة للدفاع عن إفريقيا ترتكز إما على مصر وإما على إثيوبيا وليبيا، وتركزان على ضم مصر إلى تلك المنظمة لموقعها الجغرافى وإمكانياتها وطول مواصلاتها، لذا اقترحت المذكرة الاستفسار عن طريق هيئات التمثيل فى الخارج عن اتجاه الدول ذات المصلحة فى هذا الشأن، وجمع المعلومات من مختلف المصادر حتى يمكن تحديد موقف مصر قبل أن تواجه بسياسة متفق عليها. وحددت المذكرة الدول ذات المصلحة بإنجلترا، جنوب إفريقيا، إثيوبيا، إيطاليا، بلجيكا، البرتغال، الولايات المتحدة، استراليا وليبيا، ولم تستبعد الهند لما لها من مصالح فى وسط إفريقيا[٩٢]. وبالتالى فإن الطرح باقامة منظمة دفاعية وليس حلفا قد جاء عن طريق القوى الغربية، وهذا يعنى استمرارها فى النظر لإفريقيا على أنها ليست أرضا للمعركة، بقدر ما هى مركز للإمداد والتموين.

بالمقابل فإن خطاب سفارة مصر بلندن يشير إلى وقوف جنوب إفريقيا ضد فكرة المنظمة الدفاعية، فمتابعة جنوب إفريقيا لما يحدث فى الشرق الأوسط ومصر – حسب ما أشير إليه

فـى مجلس العموم البريطانى فى ٤ إبريل ١٩٥٥م بأنها الدولة الوحيدة من دول الكمنولث التـى تهتم بالمنطقة - جعلها تنافس - وربما تحسـد - مصـر على مكانتها فى أى تنظيم دفاعى. من ثم راحت تؤلب ضد فكرة المنظمة وتدعو إلى الحلف[٩٣]. بل إن إحدى الوثائق طرحـت بـأن حكومة الاتحاد أصبحت تنظر لمصر نظرة المنافسـة وأنها تهتم فقط بشـئون إفريقيا جنوبى الصحراء. واعترفت عن كره بأن شئون إفريقيا شمال الصحراء من حق مصر وحدها، كأكبر دولة فى الشرق الأوسط والراعية الأولى لشعوب هذه المنطقة[٩٤]. وهذا ما يفسر انزعاجهـا من البيـان الذى ألقاه عبد الناصر رئيس وزراء مصر عن علاقة مصر بالسـودان «بأن مصر والسـودان قادران حقا على بسط نفوذهما على القارة الإفريقية بأكملها ودعا فيه إلى الاتحاد بين البلدين من أجل اسـتئصال الجذور الاستعمارية ورد الحريات إلى الشعوب الإفريقيـة» فقد انزعج رئيس الوزراء سـتريدوم فى بداية مايـو ١٩٥٥م من هذا الخطاب. ومن اقتراب موعد الانسـحاب النهائى من القناة. لذا راحت جنوب إفريقيا تلح فى إنشاء حلف للدفاع الإفريقى من الدول ذات المصلحة (بريطانيا - البرتغال - فرنسا - بلجيكا). واعتـبر بعضهم أن خطاب عبد الناصر دعوة لاسـتعمار السـودان. وآخرون اعتبروه دعوة مصرية لبعث مجدها القديم وإعادة ما كان للعرب من عزة. بل إن ستريدوم علق على مؤتمر باندونج «بأنه صورة غير حسنة للدول الأوربية فى إفريقيا. وأنه لايعمل على إشاعة السلم العالمى وإرسـاء قواعد الأمن الدولية كما صرح بذلك الداعون اليه» ورأيه أنه دعوة للتخلص من النفوذ الأوربى فى آسيا وإفريقيا[٩٥]. إذا تجتمع كل هذه الأسباب لتعطى جنوب إفريقيا الحـق فى التحريض على عبد الناصر والمناداة بوجوب بتكتل الدول ذوات المصلحة للدفاع عن إفريقيا جنوب الصحراء.

التوجه الثانى متابعة التحركات الجنوب إفريقية لإنشاء الحلف وأثرها على مصر. فقد كانت الخارجية المصرية تتابع تحركات أرازموس ونشاطاته مع حلف الأطلنطى ومع فرنسا وبريطانيا فى تلك السـنة لتنظيم الدفاع عن القارة الإفريقية. بل إن مجلس الوزراء المصرى كان يهتـم بهذا المشـروع اهتماما بالغا[٩٦]. لذا فقد كان لديهـا علم بالمباحثات التى أجراها أرازموس مع وزير الدفاع البريطانى فى لندن فى يونيو ١٩٥٥م وتشدده فى الربط بين مشروع دفاع إفريقيا بالدفاع عن الشـرق الأوسـط[٩٧]. ولديها علم أيضـا بزيارته لأمريكا فى نوفمبر ١٩٥٥م لإقناعهـا بالضغط على الحكومة البريطانية لإنشـاء منظمـة دفاعية والتوقيع على

ميثاق دفاعـي عن إفريقيا تكون غايته مد حزام دفاعـي في جنوب القارة يكون مع الحزام الشـمالي دائرة تطوق الشـرق الأوسـط داخلها[٩٨]. وبالتالي تأكـدت الإدارة المصرية على أن المشـروع في شكله الأخير يهدف إلى تطويق الشرق الأوسط، وأن سعي وزير الدفاع الجنوب إفريقي للتنسيق مع الولايات المتحدة يتسق مع المشروع الأمريكي في الحزام الإفريقي.

إذا، هناك من المبررات ما جعل الإدارة المصرية تتابع كافة الأمور المتعلقة بهذا المشروع. ونظرا لمعرفتها بالتناقض بينه وبين المشروع البريطاني. فقد كانت على علم - عبر سفارتها في لندن - بفشـل مسـاعي جنوب إفريقيا لتنفيذ مشروعها. لمعارضة الحكومة البريطانية للحلف الدفاعي الذي تنادي به. فقد كانت تعتقد أن الترتيبات القائمة، والاتفاقات طويلة المدى بين الولايات المتحدة وإثيوبيا لإنشاء قواعد برية وبحرية وجوية، وتدابير الدفاع التي تتخذهـا حكومة الكونغو، فضلا عن ميثاق حلف شمال الأطلنطي لا تعطي الحجة لجنوب إفريقيـا بأن تدعي بأن مداخل إفريقيا غير مدافع عنها[٩٩]. ومن ثم فإنها لا تجد مبررا في إنشاء حلف إفريقيا جنوب الصحراء.

وهذا لايعني أن هذه المحاولة كانت هي النهاية لمشروع حلف الدفاع الإفريقي. فما تقول به إحدى الدراسـات من أن جهود جنوب إفريقيا لإنشـاء الحلف الإفريقي لم تذهب هباء، بحيث نجحت على الأقل في إقامة حلف عسـكري عـبر منطقة الجنوب الإفريقي، حين نصت اتفاقية سـيمونزتاون الموقعة بينها وبين بريطانيا سنة ١٩٥٥م، على أن تأمين منطقة الجنـوب الإفريقي ضد أي عدوان يقع عليهـا، لا يقتصر على إفريقيا ولكن عبر كل الطرق التي تؤدي لإفريقيا خصوصا في الشـرق الأوسـط، وأن المملكة المتحدة تشـارك بقواتها في الدفاع عن إفريقيا، مقابل أن يقوم الاتحاد ببناء قوات تستخدم خارج الاتحاد ضد العدوان الخارجي[١٠٠]. كل ذلك نجد له أثرا في الوثائق المصرية، فطلب الإدارة المصرية من سفارتها في لندن في أغسطس ١٩٥٥م بموافاتها بنسخة من الاتفاقية، وإعداد بحث تكميلي عن دور الحكومة البريطانية في إحباط مسـاعي الاتحاد لإنشـاء حلف دفاعي، يدلل على اهتمامها بهاتين المسـألتين تحديدا، لتعلقهما بمشروعات حكومة جنوب إفريقيا وخططها في القارة الإفريقيـة[١٠١]. ومع أن وثائـق الإدارة المصرية تتفق مع القول بـإن الإتفاقية قد جاءت في إطار سعي بريطانيا لإعادة جنوب إفريقيا للشرق الأوسط لعدم قدرتها على توفير التعزيزات الناقصـة لحلف بغـداد، إلا أنها تختلف مع القول بإن عدم اهتمام الدولتين بتنفيذ الشـق

الخاص بالمساعدة المتبادلة بينهما فى إفريقيا والشرق الأوسط قد مثل فصل الختام فى حث جنوب إفريقيا أن تلعب دورا خارج إفريقيا، وأيضا تختلف مع القول بإنها كانت آخر محاولة بريطانية للتعاون الدفاعى عن الإمبراطورية الاستعمارية الكبيرة[١٠٢]. وبإن فكرة حلف الدفاع الإفريقى المتعدد قد ماتت بعد عقد اتفاقية سيمونزتاون[١٠٣]. حيث يمكن القول بإن تقدير الإدارة المصرية كان صائبا فى أن قيام حلف بغداد وتوقيع اتفاقية سيمونزتاون لم يؤد بجنوب إفريقيا لأن تتخلى عن مشروعها فى إنشاء حلف الدفاع الإفريقى، بل إن مذكرة الإدارة السياسية بالخارجية المصرية التى تطرح فيها بأن تزعم اتحاد جنوب إفريقيا لإنشاء حلف الدفاع الإفريقى فى الفترة من ١٩٥١م – ١٩٥٥م قد عمل على تحفيز دول أوربا وأمريكا للاهتمام بتمثيلها الدبلوماسى فى البلد الذى نشأت فيه فكرة الحلف، واقتراحها برفع التمثيل المصرى إلى سفارة ليتساوى مع تمثيل الدول الأخرى[١٠٤]. يدلل على ارتفاع مكانة جنوب إفريقيا، فحصولها على قاعدة سيمونزتاون يعد المشهد الثانى – بعد اتفاقية الجلاء التى مثلت انحسارا لبريطانيا فى الشرق الأوسط – من مشاهد الفصل الأخير لسقوط الامبراطورية البريطانية، وبالتالى الشلل الذى أصاب يد بريطانيا فى أهم منطقتين – بعد فقد الهند – الشرق الأوسط والجنوب الإفريقى. والاستنتاج السابق عبر الوثائق المصرية قالته إحدى الدراسات لكن بطريقة مختلفة، حين قالت بإن تحول بريطانيا للاهتمام بأوربا وبالأسلحة الذرية قد جاء لأنها لم تنساق وراء رغبة جنوب إفريقيا فى وجوب التضحية بسياستها الإفريقية – المتمثلة فى دعم الحكم الذاتى – للحصول على تعزيزاتها فى الشرق الأوسط[١٠٥]. وهذا ما يفسر بقاء الاهتمام المصرى قائما بالمشروع الجنوب إفريقى، وقد لعبت مفوضية مصر ببريتوريا، باعتبارها الأداة العربية الوحيدة فى منطقة الجنوب الإفريقى، دورا مهما فى متابعة هذا المشروع وعلاقته بمشروعات الشرق الأوسط والأحلاف الغربية الأخرى. لذا استطاعت من خلالها أن تصل لفهم مميز لسياسات القوى المحلية والغربية تجاه مسألة الأحلاف وتعاون القوى الاستعمارية، لم يتوفر لغيرها من الدول العربية، ومن ثم أمكنها جمع الدول العربية لمناهضة تلك الأحلاف.

ومن ثم شكلت الوثائق المصرية مصدرا مهما فى معرفة أن مشروع حلف الدفاع الإفريقى لم يمت، وإن كان قد حدث تطوير لأهدافه، بحيث لم تعد مقتصرة على صد الخطر الشيوعى ومساعدة بريطانيا فى الشرق الأوسط فحسب، بل ليصبح أحد أهم أهدافه مقاومة النفوذ المصرى لإفريقيا، فتشير إحدى الوثائق إلى ما نشرته جريدة الراند ديلى ميل

Rand Daily Mail الجنـوب إفريقية فى ١٩٥٥/١٠/٣١م وطرحها للتعاون بين جنوب إفريقيا وإسـرائيل كقوتين وحيدتين يمكن للغرب أن يعتمد عليهما فى مناهضة ما ترمى إليـه مصر فى القضاء على النفوذ الأوربى فى القـارة الإفريقية. خصوصا وأنهما متفقتان فـى ضرورة المحافظة على بقـاء الحضارة الأوربية فى إفريقيـا[١٠٦]. وهذا يدلل على أن مصر بدأت تشـكل مصدرا لتهديد المشـروعات الغربية فى إفريقيا منذ تلك السنة، وأنها استفادت من دراسة تلك التقارير الواردة عن هذا المشروع، فى أنها تحولت للهجوم ضد القوى الاستعمارية فى نفس السنة التى اشتد فيها الحصار والتضييق عليها.

بل إن الوثائق المصرية تقطع بأن إحياء جنوب إفريقيا لهذا المشروع قد ارتبط بالخطورة التى أصبحت تمثلها مصر برفضها للمشروعات الغربية. فانزعاج جنوب إفريقيا من صفقة الأسـلحة التشـيكية، برز بوضوح فى حديث رئيس وزراء جنوب إفريقيا (سـتريدوم) فى ١١ نوفمـبر ١٩٥٥م مع القائم بالأعمال المصرى هنـاك. وتحذيره من دخول مصر فى فلك الكتلة الشـرقية[١٠٧]. وفى تقليلها لأهمية صدى انضمـام إيران للحلف العراقى التركى فى جنـوب إفريقيا – حسـب خطاب مفوضيـة بريتوريا فى ١٥ نوفمـبر ١٩٥٥م – أرجعت ذلك لعدم اشـتراك مصر وباقى الدول العربيـة، وبأن هذا الانضمام لن يؤتى الثمرة المرجوة للمصالح الغربية ضد الكتلة الشيوعية. ومع أن انضمام إيران إليه قد حفز الأوساط الرسمية للعـودة للمطالبة بتكوين حلف دفاعى إفريقى ليكمل الدائرة التى تعمل على مناهضة خطر الشـيوعية. إلا أنها استندت على سببين رئيسـيين لإنشاء ذلك الحلف: أولهما، أن بعد مصـر والدول العربية سـيجعل هذا الحلف لا أهمية له. ثانيهمـا، أن مقابلة مصر والدول العربيـة لمولد هذا الحلف بتكوين أحلاف دفاعية ثنائية بين بعضها البعض، واسـتعانتها بدول الكتلة الشرقية فى مد هذه الأحلاف بحاجتها من السلاح. سيقلل من نتائج الحلف المذكور. وهذان السـببان ظهرت ملامحهما عبر الصحف. فإحداها نشـرت خريطة لدول حلـف بغداد (تركيا والعراق وإيران وباكسـتان) واسـتعرضت الاتفاقيات الثنائية الدفاعية بين مصر وسـوريا والسعودية. وأخرى قالت بأن روسيا تنشط فى إفريقيا عن طريق العرب بالمقابل إسـرائيل دولة صغيرة فى الشـرق الأوسـط[١٠٨]. وبتحليل تلك الوثائق نخلص إلى نتيجة هامة تتمثل فى أن جنوب إفريقيا هى التى أصبحت توظف مسـألة الشـرق الأوسط لخدمـة مشـروعها الإفريقى. متخذة من قـوى الرفض العربية بزعامـة مصر ذريعة لطرح مشروعها الدفاعى كمشروع تطويقى مكمل لما تم إنجازه فى الشرق الأوسط.

ثانيا: الإدارة المصرية والقوى المرشحة للمشاركة فى المشروع:

إذا كان التوجهان اللذان اتبعتهما الإدارة المصرية طوال سنة ١٩٥٥م قد أفلحا فى اطلاعها على بعض نقاط الضعف فى الاستراتيجية الدفاعية البريطانية عن إفريقيا، إلا أن الإجراءات التى اتبعتها تلك الإدارة سنة ١٩٥٦م تؤكد بأنها استغلت المشروع كمحاولة لفهم مدخلات القارة الإفريقية ومخرجاتها وطبيعة القوة المحركة لأحداثها. لهذا كان من الطبيعى أن تستهل ذلك العام بإحداث تغييرات فى الهيكل الادارى الذى يمسك بملف هذا المشروع.

ويمكن القول بإن تجدد عرض المشروع وما أقر به رئيس قسم إفريقيا (سعيد لطفى الغمراوى) فى ٢١ يوليو ١٩٥٥م عبر تقريره (٦ صفحات وخمسة ملاحق) عن «تطور فكرة الدفاع عن إفريقيا»[١٠٩]. كان يستوجب إحداث هذا التغيير. فقد كانت المرحلة تتطلب ضرورة إنشاء اللجنة المصرية العليا للإشراف على الشئون الإفريقية – ألفت فى يناير ١٩٥٦م – ومن ثم حدث تغيير فى مسمى الإدارة التابعة لوزارة الخارجية فتحولت من إدارة إفريقيا إلى إدارة الشئون الإفريقية. ليكون ضمن خططها تحرير إفريقيا عسكريا وتكوين وحدة دفاعية فى مواجهة التحالفات الكبرى الموجودة فى العالم، بل إن إيلاء الحكومة المصرية أهمية للنواحى العسكرية فى إفريقيا يظهر فى اختيار موظفى تلك الإدارة. فقد كان غالبيتهم من الضباط العسكريين. ويظهر أيضا فى اختيار الجنرال طه فتح الدين مديرا لها فى يوليو ١٩٥٦م[١١٠]. ويمكن ملاحظة عمل تلك الإدارة بوضوح تقصيها للقوى المرشحة للمشاركة فى المشروع.

فقد كان لدى الإدارة فهما مسبقا عن أهم شريك تسعى جنوب إفريقيا دائما للارتباط به فى مشروعها ألا وهو بريطانيا، ولما كانت المرحلة السابقة قد وفرت معرفة بنقاط ضعف الاستراتيجية البريطانية فى الدفاع عن إفريقيا. لذا نجحت الإدارة المصرية فى إبطال مفعول أهم قاعدتين عسكريتين لبريطانيا فى المنطقة (قبرص وليبيا) وتأمين جهة الغرب والشمال. فطلبت من السوفييت تقديم إعانات اقتصادية فى صورة مشروعات إنتاجية وهبات غذائية إلى ليبيا لإفشال جهود القوى الغربية فى ضمها لحلف بغداد[١١١]. بل قامت الإدارة باستغلال البيان الذى أصدرته الحكومة الليبية بعدم استخدام القواعد العسكرية الموجودة فى أراضيها فى تحريض اليونانيين والقبارصة منذ إبريل ١٩٥٦م بإصدار

بيان ينص على عدم سماح الشعب القبرصي باستخدام بريطانيا لقاعدتها فى قبرص ضد الشعوب العربية[112]. وكان تركيز الإدارة فى إبطال مفعول القواعد العسكرية البريطانية لاطلاعها بأن بريطانيا ترتكز على قاعدتين مهمتين (قبرص وشرق إفريقيا) إذا حدث تأثير لمصالح الأوربيين فى إفريقيا والشرق الأوسط، وكانت الحسابات البريطانية فى حماية مصالحها عقب الانسحاب من قاعدة السويس مبنية على التنسيق بين قاعدتى قبرص وشرق إفريقيا[113]. وهذا يعنى أن مصالحها فى مصر محمية عبر هاتين القاعدتين، وهذا ما يفسر اتجاه الإدارة لإبطال مفعول قاعدة قبرص، مما يعنى أنه لم يتبق لدى بريطانيا إلا قاعدة شرق إفريقيا يمكن أن تؤثر منها على المصالح المصرية.

ومع أن الإدارة المصرية كانت على علم بطرح وزير الدفاع البريطانى لفكرة عقد مؤتمر نيروبى آخر فى عام ١٩٥٦م، وتسميته للدول التى تحضره بريطانيا وفرنسا والبرتغال وليبيريا وجنوب إفريقيا واتحاد وسط إفريقيا ونيجيريا وربما تمثل ساحل الذهب، إلا أن عدم تفائل وزير الدفاع أرازموس بأن تكون الغلبة للعناصر المحلية فى القوات، وتلقيه تقارير من لندن والقاهرة تنتقد مستقبل حديث الدفاع الإفريقى، جعل الإدارة - فى تقديرى - على ثقة بعدم إمكانية التنسيق بين الطرفين، وهذا ما يفسر رفض أرازموس للفكرة وانحيازه للمشروع الجنوب إفريقى، بل إن استقباله لبعثة برتغالية لتنظيم تجهيزات إقامة شبكة ردار دفاعية للجنوب الإفريقى[114]، ليشير بوضوح إلى أن أهم شريك رصدته تلك الوثائق تمثل فى البرتغال، لذا كان عليها أن تبحث فى الأسباب التى دفعتها لقبول مشروع حلف الدفاع الإفريقى، فقدمت لنا إحدى الوثائق مبررين لهذا القبول: الأول، أن انتشار الأفكار الوطنية داخل المستعمرات البرتغالية جعل من فكرة الحلف حلا ناجعا للاحتفاظ بتلك المستعمرات. الثانى، تأييد جنوب إفريقيا للبرتغال بشأن مستعمرة «جوا» فى نزاعها مع الهند[115].

وبالتالى فإن مشروع الحلف طرح نفسه بقوة على الإدارة المصرية خشية التنسيق مع أطراف أخرى لتنفيذ هذا المشروع، لكن التقارير الواردة كانت تؤكد استمرار تلك الأزمة التى تعانيها جنوب إفريقيا فى عدم تأييد القوى الغربية الكبرى لهذا المشروع، وما نشرته جريدة الديلى تلجراف فى ٤/ ٤/ ١٩٥٦م تحت عنوان «جنوب إفريقيا تبحث عن شريك للدفاع» يصب فى هذا الاتجاه، فرغم أن وزير دفاع جنوب إفريقيا دعا لضرورة الدفاع عن إفريقيا متخذا من مصر - كما هى العادة - مطية لعرض المشروع، حيث نبه على أنها

أصبحت منذ انهيار وحدة وادى النيل وأحداث الشمال الإفريقى مستعدة للدخول فى الكتلة الشرقية[١١٦]. ورغم أن مذكرة مفوضية بريتوريا فى ٢٣/ ٦/ ١٩٥٦م تشير بوضوح بأن موضوع الدفاع الإفريقى يهم مصر. وبأن «جنوب إفريقيا ترى بأن جلاء القوات البريطانية عن الأراضى المصرية أضعف موقف الغرب فى إفريقيا. وأنها تخشى من توثق العلاقات بين مصر وكتلة الدول الشرقية وما يترتب عليه من تسرب الدعاية الشيوعية إلى إفريقيا». إلا أنها قالت بإن المشروع يأتى فى سياق تأييد جنوب إفريقيا لسياسة الأحلاف الغربية، ودللت على ذلك بطلبها من إنجلترا وأمريكا الاشتراك فى أحلاف مماثلة عن القارة الإفريقية كتعويض عن جلاء القوات البريطانية عن القناة[١١٧]. إذا كانت أهم عقبة تواجه هذا المشروع هو إيجاد شريك قوى.

وفى هذا السياق يمكن أن نفهم استطلاع الإدارة المصرية لرأى القوى المرشحة للمشاركة فيه. فمذكرة سفارة مصر بدلهى فى ١١/ ٧/ ١٩٥٦م تشير إلى حديث السفير مصرى هناك مع ممثلى الدول ذوات المصالح فى إفريقيا (بريطانيا - فرنسا - البرتغال - بلجيكا) وخلاصته بأن هناك اهتماما من جانبها بالحركات الاستقلالية الإفريقية وموقف مصر تجاهها. وأنها ليست بغافلة عن نشاط مصر فى هذا الصدد. وفى نفس الوقت ليست راضية عن هذا النشاط. وأنها بصدد تنسيق جهودها لمقاومته لأنها تعتبر إفريقيا مجالها الحيوى. لذا اقترح السفير «بأن المصلحة المصرية فى الوقت الحاضر تقتضى أن يكون نشاطنا فى المستعمرات الغربية فى إفريقيا نشاطا خفيا وبطيئا وحذرا. وأنى مقتنع بأن سياستنا الخارجية - حتى نتمكن من إعادة بناء بلادنا فى الداخل وتصفية نزاعنا مع اسرائيل وتبين ما ستنتهى إليه الموقف بين الكتلتين الشرقية والغربية - يجب أن تقوم على المهادنة والملاينة وتصفية إشكالاتنا الدولية»[١١٨]. ونخلص من هذا إلى نتيجتين: الأولى، أن الشركاء المرشحين لمشروع جنوب إفريقيا لا يهمهم إقامة الحلف بقدر ما يهمهم نشاط مصر مع حركات التحرر ومن المحتمل أن ذلك النشاط كان أحد أسباب حرب السويس. الثانية. أن تحذير السفارة يدلل على أن إمكانية التنسيق بين الدول ذوات المصالح كانت موجودة وأنها تصب فى صالح جنوب إفريقيا لإقامة الحلف.

وقدمت لنا الوثائق المصرية مادة مهمة فى اعتبار الإدارة للمشروع بأنه موجه إلى مصر. فكشفت لنا ذلك التنسيق الذى كان يجرى بين القوى الاستعمارية وبين الولايات المتحدة

الأمريكية. فعلى سبيل المثال كان ما نشرته جريدة الأهرام تحت عنوان «مؤتمر للدفاع عن إفريقيا» موضوعا سبق لوزارة الخارجية أن طلبت فى ٢٣/ ٧/ ١٩٥٦م بأن تقوم مفوضية بريتوريا بدراسته وتوضيح مدى علاقته باتجاهات الاستعمار الغربى فى إفريقيا وفكرة الحزام الإفريقى[١١٩].

ومن المعروف أن فكرة الحزام كانت موجهة لمحاصرة مصر من الجنوب، لهذا فإن ما طرحته إحدى الوثائق من تشجيع الولايات المتحدة لجنوب إفريقيا لتأسيس حلف دفاعى عن الجنوب الإفريقى بعد أن تم لإنجلترا عقد حلف بغداد، ثم سعيها لتأسيس قاعدة لها فى الجنوب بعد جلاء القوات البريطانية عن قاعدة القناة، اعتبرته طريقا مؤديا إلى تكوين جبهة قوية ضد الحركات الوطنية الإفريقية عامة وضد مصر بوجه خاص، وأن هذا موجه لتقويض النفوذ المصرى فى شمال القارة. وأعتبرت أن هذا سيدعم جنوب إفريقيا لأن تكون لها المكانة الأولى فى القارة باعتبارها مركزا لأكبر عدد من المستوطنيين الأوربيين[١٢٠]. لذا كان من الطبيعى أن تهتم مصر بألا ينجح الطرفان فى هذا المسعى لأن تكوينه موجه لمصر باعتباره داعما لحلف بغداد.

وهذا ما يفسر اهتمام الإدارة المصرية بموافقة الدول ذوات المصالح على الاشتراك فى مؤتمر يعقد خصيصا لتأسيس حلف الدفاع الإفريقى ليكون قنطرة بين حلف بغداد وحلف جنوبى شرقى آسيا. لذا تمت الموافقة فى ٢٤/ ٧/ ١٩٥٦ على أن تقوم الهيئة الدبلوماسية المصرية فى جنوب إفريقيا بمراقبة انعقاد المؤتمر وتوافى إدارة الشئون الإفريقية بقراراته، لما قد يكون فى ذلك من فائدة عند رسم سياسة مصر فى قارة إفريقيا ومعرفة ما تحيط بهذه المنطقة من تيارات[١٢١]. إلا أن أحداث السويس كان لها رأى آخر فى تأجيل هذا المشروع، ومن ثم يمكننا القول بإن الإدارة المصرية حتى ذلك الوقت كانت على دراية تامة بتوافق البرتغال مع المشروع وبالتأييد الأمريكى له والابتعاد البريطانى عنه.

ثالثاً: مصر ومشروع حلف الدفاع الإفريقى بعد حرب السويس:

يبدو أن أزمة السويس كان لها تأثير كبير على مشروع الحلف، وقد ظهر هذا فى توجهات جنوب إفريقيا التى ابتعدت قليلا عن مشروعها الإفريقى فراحت تسعى لتأليف حلف جنوب الأطلنطى (الساتو SATO) كتحالف عسكرى سياسى للدفاع عن العقيدة المسيحية يضم الدول الغربية والارجنتين والبرازيل والارجواى، واستخدم أرازموس Erasmus

فزاعة اتحاد الوطنيين مع الشيوعية والهند والعرب تحت قيادة عبد الناصر للمطالبة بتكوين هذا الحلف[١٢٢]. إلا أن أمريكا لم تستجب لتلك الدعوة بسبب رفض زنوجها الدخول في تنظيم دفاع مباشر مع حكومة تحرض على الأبارتهيد. وكان التفكير في عقد حلف للدفاع عن جنوب المحيط الأطلنطي قد أرتبط بقارة أمريكا اللاتينية وترددت إشاعات وتقارير كثيرة سنة ١٩٥٦م عن هذا الحلف وشكلت لجنة بالفعل في شهر يوليو من تلك السنة لدراسة ترتيبات الدفاع في تلك المنطقة[١٢٣].

وتشير مذكرة مدير الإدارة الإفريقية للوكيل المساعد للشئون السياسية في ١٥/ ٨/ ١٩٥٦م بأن الموقف الروسي من أزمة السويس وانحياز شعوب القارة لمصر في تلك الأزمة، وتأكيد الإدارة المصرية على استمرار سياستها في نبذ الأحلاف ومحاربة الاستعمار من ناحية[١٢٤]. ثم الدعم الذي قدمته مصر للحركة الوطنية الإفريقية نكاية لموقف جنوب إفريقيا خلال حرب السويس من ناحية أخرى[١٢٥]. أدى لأن ينشأ لدى حكومة الأفريكانرز العداء لعبد الناصر خلال تلك الأزمة، فقد رأت ضرورة كسره حتى لا يشجع الوطنيين الإفريقيين. وبالتالي تنكسر هيبة الغرب وجنوب إفريقيا في القارة الإفريقية وهذا الأمر يتضح تماما في اهتمام صحافة جنوب إفريقيا بتلك القضية خلال أزمة السويس ١٩٥٦م[١٢٦]. ومن ثم رأتها فرصة سانحة لتجدد عرض مشروعها، وهذا ما يفسر ذلك العبء الكبير الذي ألقى على مفوضية بريتوريا في متابعة تطورات الحلف خلال تلك الفترة[١٢٧].

وفي هذا الإطار تأتي أهمية تقدير إدارة الشئون الإفريقية في مذكرتها المؤرخة في ٢٣/ ٩/ ١٩٥٦م تحت عنوان «سعي اتحاد جنوب إفريقيا لتكوين حلف دفاعي عن جنوب إفريقيا»، في الإشارة إلى تحول الموقف البريطاني باتجاه تأييد الحلف. وأرجعت ذلك إلى عدة أسباب تتعلق جميعها ببريطانيا. ويأتي على رأسها تأميم شركة قناة السويس بعد فشل الدول الكبرى في السيطرة على هذا الممر الحيوي، إضافة لما لمسته إنجلترا من اتجاه معظم دول الشرق الأوسط إلى الكتلة الشرقية. وللإضرابات العمالية في قبرص ومطالبة حكومة سيلان بجلاء القوات البريطانية منها. إلا أن تحليلها انتهى إلى استحالة الاستمرار في هذا التأييد. وأوردت عدة أسباب منها الاختلاف الذي سينشأ بين الدولتين حول الزعامة. فجنوب إفريقيا لن ترضى بديلا عن تزعمها للحلف وتحقيق ما ترمي اليه وهو أحد أمرين. إما تكوين وحدة اقتصادية بين المستعمرات البريطانية في شرق وجنوب إفريقيا. وإما تكوين

اتحاد يبدأ من خط الاستواء لجنوب القارة، وأن بريطانيا لن تقبل بزعامتها للحلف بسبب مطالبتها بالمحميات ولنداداتها بالجمهورية والخروج من الكمنولث، وانتهت إلى القول «بإن الفكرة لن يكتب لها النجاح إلا إذا حظيت بتأييد أمريكا، ولو تم ذلك لأدى لتكوين جبهة قوية ضد الحركات التحررية في إفريقيا، لكن هناك صعوبة لدعم أمريكا لهذا الأمر»[١٢٨].

ونستخلص من تحليل المذكرة أمرين: أولهما، أن تقدير الموقف من جانب الإدارة المصرية عن صعوبة التأييد الكامل من جانب بريطانيا وأمريكا قد أكدت على صحته الوقائع التاريخية فلم تنجح جنوب إفريقيا في تكوينه. ثانيها، أن الاهتمام المصرى بمسألة المحميات البريطانية في الجنوب الإفريقى قد جاء في هذا الإطار كوسيلة من وسائل الضغط على جنوب إفريقيا يمكن استخدامها في الأمم المتحدة.

ولم يكن هذا هو السبب الرئيسى. فقد أضافت لنا مناقشات مؤتمر حلف الأطلنطى المنعقد بباريس من ١٠ - ١٤ ديسمبر ١٩٥٦م حول ضرورة استكمال القوات اللازمة للدفاع الغربى، والعجز الواضح داخل أوربا نفسها. فما بالك بالشرق الأوسط بوابة تسرب النفوذ السوفيتى[١٢٩]. ناهيك عن أن تلك المناقشات أوضحت ضعف مركز فرنسا وإنجلترا أمام الولايات المتحدة، فأيقنتا أن أمريكا تحاول أن تحل محلهما في مستعمراتهما الإفريقية فسعت كلاهما لإنقاذها[١٣٠]. إذا، إمكانية أن تشترك بريطانيا في الحلف الإفريقى كانت مستحيلة، فهناك صعوبة في المشاركة في أوربا والشرق الأوسط ثم في إفريقيا.

لهذا لم تقتصر جنوب إفريقيا على ما وافقت عليه الولايات المتحدة قبل حرب السويس على إقامة حلف دفاعى يختص بمنطقة الجنوب الإفريقى فقط، بل إن الحاكم العام لجنوب إفريقيا لم يتوان عن طرح مسألة حلف للدفاع الإفريقى جنوب الصحراء[١٣١]. وبالطبع فإن هذا الطرح يأتى في سياق ما تحدثت به مجلة الجيش في مارس ١٩٥٧م عن الأهمية التى تمثلها إفريقيا في سياسة الغرب الدفاعية. فمواردها مطلوبة للمجهود الحربى وعمقها لازم للدفاع في أية حرب ذرية قادمة، ومساحاتها الواسعة مع قلة سكانها يسمح بإخفاء أى صناعات حربية تقام عليها. وخلصت المجلة إلى أهمية مصر وجنوب إفريقيا في تلك السياسة الدفاعية وخططها[١٣٢]. وهذا ما يفسر التنسيق الذى تم خلال زيارة نيكسون للعديد من الدول الإفريقية في مارس ١٩٥٧م، وصدور نشرات في تلك الدول الإفريقية موجهه ضد عبد الناصر ومصر، لتبرز وقوف السعودية والعراق ومراكش ضده،

وتدعو لمشـروع أيزنهاور[١٣٣]. ويمكن القول بإن جنوب إفريقيا اسـتفادت من تغير موازيين القـوى بعد حرب السـويس وبالأخص بعد اعتبار الولايات المتحـدة أن بريطانيا أصبحت عاجزة عن الدفاع عن الشـرق الأوسـط بعد حرب السـويس وأنه لابد لها من شغل الفراغ العسـكرى – عبر طرح مشـروع أيزنهاور فى مارس ١٩٥٧م – قبل أن ينتهزه السـوفييت للسـيطرة على المنطقة. وهذا ما يفسـر الهجوم الذى قوبل به مشروع أيزنهاور فيما بعد فى المؤتمر الإفريقى الآسيوى الذى عقد بالقاهرة ١٩٥٧م والذى اعتبره كحلف بغداد[١٣٤].

وكان الحديـث قد تجدد فى يوليو ١٩٥٧م حول حلف بين بريطانيا وفرنسـا وجنوب إفريقيا والبرتغال للدفاع عن الجنوب الإفريقى. واقترح بأن يتولى الأميرال الفرنسى مارياني مسئولية القائد العام لمنطقة المحيط الهندى، وأن هذا الحلف سيربط الطريق البحرى حول إفريقيا جنوب الصحراء بمدغشـقر والساحل الشرقى للاتحاد. وتمتد المنطقة الاستراتيجية شـرقى جزيرة مدغشقر لتتصل بمنطقة الأسـطول البريطانى فى جزر الهند الشرقية، ورغم فتور بريطانيا عن المشـاركة فيه إلا أنها رأت الزج باتحاد وسـط إفريقيا لتتحقق مشاركتها غير المباشـرة فى الحلف المقترح[١٣٥]. وإمكانية تعضيد بريطانيا للحلف الإفريقى قد نشأت عندمـا أدركت عدم إمـكان اعتمادها على قاعدتها فى قـبرص. فأولت أهمية كبيرة لميناء ممبسـة ونيروبى لإنشـاء قواعد بحرية وجوية وذلك لقربها من الشـرق الأوسـط والمناطق البريطانية فى الباسيفيك. لذا رأت رد الحزام الإفريقى إلى جنوب القارة نفسها[١٣٦]. وكان الخطر الشـيوعى يمثل الدافع الأول لتقدم جنوب إفريقيا بمشـروع ذلك الحلف الذى يبدأ بخط دفاعى من الحبشة شرقا ويمتد عبر القارة غربا إلى حوض الكونغو[١٣٧].

وقدمـت لنا الوثائق المصرية معلومات هامة عن المعوقات التى ظهرت أمام قيام الحلف بعد حرب السـويس وتتمثل فى فتور بريطانيا عنـه لاهتماها بالحرب الذرية وعدم إنهاك نفسـها فى الإنفاق على القواعد الثابتة. ثم وصول السـلاح السـوفيتى لكثير من البلدان، وأيضـا لصعوبة عقد اجتماع من الدول ذوات المصالح لانشـغال بريطانيا وفرنسـا بالحرب ونتائجهـا[١٣٨]. ورغم تقرب جنـوب إفريقيا من الولايات المتحدة إلا أنها شـعرت بخيبة الأمل من جراء رفض بريطانيا للمشـروع. وعبرت فى سـبتمبر ١٩٥٧م بأن عدم اشتراكها فـى محادثـات الدفاع الإفريقى لن يؤدى إلى نتيجة مرضيـة[١٣٩]. لهذا يمكن أن نفهم بأن إصرار جنوب إفريقيا فى نفس الشـهر على أن يكون الحديث حول حلف الدفاع الإفريقى مقصورا على بريطانيا وفرنسا وبلجيكا والبرتغال فقط. وأن زيارات وزير الدفاع لتلك الدول

تدلـل على ذلك، مع طرح جنوب إفريقيا لقبول مســاهمة الولايات المتحدة واتحاد وســط إفريقيا. بل إن طرحها للحلف سنة ١٩٥٧م كان يتسق مع إمكانية تحقيقه بسبب التوغل الشيوعى، واضطرار بريطانيا إن آجلا أو عاجلا للتخلى عن قاعدتها فى قبرص ونقلها إلى كينيا، ولطيب العلاقات بين الاتحاد والبرتغال وبلجيكا وفرنســا. ولتســلم الاتحاد لقاعدة ســيمونزتاون فى إبريل ١٩٥٧م. إلا أن فتور بريطانيا واتجاهها للتخفيف من عبء الدفاع وتصفيــة قواعدها، واعتقادها بأن قبولها للاشــتراك مع دولــة عنصرية فى حلف قد يضر بعلاقتها مع الشعوب الإفريقية، قد أدى إلى فشل فكرة عقد الاجتماع[١٤٠].

ولم تكــن سياســة الاتحاد العنصرية هى الســبب الوحيد لفشــل فكرة إنشــاء الحلف الإفريقــى، فرغم قيام الاتحاد بتخويف بريطانيا من الخطر الشــيوعى، إلا أن مســئوليها رفضوا فكرة إقامة فرع لحلف الأطلنطى فى جنوب إفريقيا حتى لا يتسبب فى القضاء على حلف بغداد، وأيضا لعلمهم أن اتســاع دائرة حلــف الأطلنطى فى صالح الولايات المتحدة الأمريكية وحدها، وتخشى إنجلترا أن يتحول الاتحاد لمنطقة نفوذ أمريكية[١٤١].

وكان من الطبيعى أن يشــكل مؤتمر الشــعوب الإفريقية الآسيوية الذى عقد بالقاهرة فى الفترة من ٢٦ ديسمبر ١٩٥٧م - ١ يناير ١٩٥٨م ضغطا من جنوب إفريقيا باتجاه الإسراع فى تكوين الحلف خصوصا أنه استنكر الأحلاف والمواثيق العسكرية والسياسية التى تخلق مناطق نفوذ واســتنكر إقامة القواعد العسكرية، بل راح يضرب التحالف البرتغالى الجنوب إفريقى عندما أيد مطالب الهند فى جزيرة جوا وراح يطالب باستقلال المحميات واستنكر التفرقة العنصرية وطالب بإزالة القواعد البريطانية التى تقع بالقرب من اليمن[١٤٢]. وبالتالى فإن المؤتمر كان يضرب فى صميم إمكانية عقد تحالف مُركزا على الدول الأساســية الثلاث المرشحة فى نجاح عملية إنشاء الحلف فى مقترحه الرئيسى وهى البرتغال وجنوب إفريقيا وبريطانيا.

لهذا كان من الطبيعى أن يســبب هذا المؤتمر قلقا لجنوب إفريقيا، فراحت على لســان وزيــر دفاعها أرازموس فى افتتاح مهرجان الطيران المدنى بمدينة الكيب ١٨ يناير ١٩٥٨م تلفت نظر القوى الغربية إلى خطورة التوغل الســوفيتى القادم من الشمال عبر مؤتمر تضامن الشــعوب الإفريقية، وأن مواجهة هذا الخطر قبل أن يستفحل أمره تستوجب إنشاء حلف الدفاع الإفريقى جنوب الصحراء[١٤٣]. وهذا ما يفســر اســتغلال إســرائيل فى مايو ١٩٥٨م لصحف جنوب إفريقيا لتشــن خلالها هجوما على سياســة مصر فى إفريقيا، فقد نشــرت

الرائد ديلى ميل على سبيل المثال حديثا مع وزير خارجية اسرائيل تحت عنوان «عبد الناصر خطر يهدد إفريقيا والشرق الأوسط» اعتبرت فيه أن عبد الناصر وقواته يعدان خطرا وتهديدا لأمن القارة الإفريقية والشرق الأوسط. وتحذر كل الدول الإفريقية الجديدة من نفوذه[١٤٤].

وقبـل أن تتقدم جنـوب إفريقيا خطوة لتنفيذ مشـروعها الدفاعـي، كان مؤتمر الدول الإفريقية المسـتقلة الأول الذى عقد بأكرا (غانا) فى الفترة من ١٥ – ٢٢ إبريل ١٩٥٨م قد أصدر قرارا بالامتناع عن اسـتعمال أنظمة الدفاع المشترك لخدمة الأغراض الخاصة لإحدى الـدول الكبرى وامتناع جميع الدول عن الضغط علـى الدول الأخرى[١٤٥]. لهذا لم يكن من المكـن فى ظل بداية الانفراط لعقد الدول الاسـتعمارية أن تلقى الدعوة لإقامة هذا الحلف قبولا. وآخر وثيقة تعنينا فى هذا المشـروع تدلل دلالة واضحة على هذا الأمر. فهى تشـير إلى أن محادثات جرت فى الفترة من ٢/ ٦ إلى ٥/ ٦/ ١٩٥٨م بين أخصائيين بحريين من بريطانيا واتحاد جنوب إفريقيا وفرنسا وبلجيكا والبرتغال لبحث شئون الدفاع عن السواحل الجنوبية للقارة الإفريقية وأن نتيجتها كانت غير مرضية. ومن ثم فإن قراءة المشـروع عبر الوثائق تدلل على أن القوات المسـلحة المصرية كانت على علم بكل التطورات التى لحقت أمر هذا الحلف الذى لم تتح القوى الغربية للاتحاد فرصة تكوينه[١٤٦].

لهذا يمكن القول بإنه بالرغم من أن القوى المحلية لم تستطع أن تغالب القوى الغربية فى فرض رؤيتها حينما علمت بأن هذا الأمر يصب فى غير مصالحها، إلا أن ما يعنينا هنا أن الإدارة المصرية كانت على دراية بكل تطورات الحلف، وأن تقديراتها الصائبة بشـأنه قد وفر لها فرصة العمل بنجاح مع حركات التحرر الإفريقى، وأن هذا الدعم لم يكن تفضلا أو أموالا زائدة تنفقها مصر لدعم تلك الحركات، بل كانت تأتى فى سياق مقاومة الأحلاف العسكرية التى عملت على عزل مصر عقابا لها لعدم اشتراكها فى تلك الأحلاف.

خاتمـة:

لقد قدمت الدراسـة رؤية جديدة حول المدخل المصرى للقارة الإفريقية فى خمسـينيات القرن العشـرين، فقد كانت متابعة الإدارة المصرية وتحليلاتها الجيدة لمشـروع حلف الدفاع الإفريقى طوال الفترة ١٩٥١م – ١٩٥٨م قد وفر لها دراية وخبرة كبيرة بتلك التناقضات بين القـوى الدولية والإقليمية المحركة لأحداثها، ومن ثم كان من الطبيعى أن تسـتفيد من نقاط الضعف التى برزت لها، والتى تمثلت فى قلق الغرب من الشـيوعية، والتنافس بين القوى المحليـة والغربية، والمصاعب المالية لكل من فرنسـا وبريطانيـا، والاختلافات حول الحكم

الذاتى ومصالح الأوربيين، فكل ذلك كان أوراقا فى يد الإدارة المصرية استغلتها فى الحفاظ علي أمنها الأقليمى وفى التعرف إلى المدخل الحقيقى للقارة، فوجدته متمحورا حول ضرورة الأخذ بيد حركات التحرر الإفريقية، وهو ما يفسر ذلك النجاح الكبير المتحقق فى هذا المدخل تحديدا منذ أواخر الخمسينيات.

كما قدمت الدراسة قراءة جديدة لمشروع الدفاع عن الشرق الأوسط (حلف بغداد فيما بعد)، فقد أضافت بعدا كان غائبا عن الدراسات التاريخية المصرية، وهو الارتباط الوثيق بين مشروع الدفاع عن الشرق الأوسط ومشروع حلف الدفاع الإفريقى. لذا تطرح الدراسة بوجوب إعادة النظر فى قراءة حلف بغداد من جديد. فى ضوء الوثائق التى أكدت على التنسيق الكامل بين المشروعين. فقد ثبت أن طرح أحدهما كان يستتبع طرح الآخر. ومن ثم فإن سقوط أحدهما قد استتبع بالضرورة سقوط الآخر، فبمجرد سقوط حلف بغداد ١٩٥٨م لم يعد هناك محلا لطرح المشروع الإفريقى من جديد. ولا تبالغ الدراسة إن قالت إن هناك امتدادا لتلك الاستراتيجية العسكرية بين المنطقتين – منطقة الشرق الأوسط وتلك التى كان يطلق عليها مناطق الكمنولث (استراليا – جنوب إفريقيا – نيوزيلندا) – إلى الآن، وأنها تظهر بوضوح فى خطوط الإمداد والتموين المفتوحة بينهما عبر المحيط الهندى.

وأثبتت أن تأجيل حكومة الوطنيين لإعلان الجمهورية فى جنوب إفريقيا يرتبط بشكل اساسى ببقاء مشروع الحلف قائما، وحينما لم تعد للفكرة قيمة – بانفراط الرابطة الاستعمارية مع بداية استقلال الدول الإفريقية – تخلت عنها، بل ظهر بوضوح أن السنة التى تخلت فيها عن المشروع (سنة ١٩٥٨م) قد شهدت تجدد مشروعها الجمهورى القديم، والذى تحقق بالانسحاب من الكمنولث البريطانى سنة ١٩٦١م.

وأثبتت أيضا أن بعض المصطلحات التى تردد ذكرها فى عقد الخمسينيات، كمصطلح تنمية المستعمرات، وتكوين اتحادات إقليمية، والحكم الذاتى، لا يمكن النظر اليها باعتبارها إنجازا يمكن نسبته للحركة الوطنية الإفريقية فقط، بل لابد من التركيز على ظروف الدول الاستعمارية نفسها، وبالتالى فإن الدراسة تربط بين فشل سياسة التنمية فى الدول الإفريقية بعد الاستقلال بتلك المشروعات الدفاعية قبله.

ثم اثبتت أخيرا أن اتجاه السياسة المصرية نحو إفريقيا فى منتصف خمسينيات القرن العشرين لم يكن وليد اللحظة، وأن إرهاصة هذا الاتجاه كانت موجودة قبل قيام ثورة يوليو، فقد ثبت بأن هناك استمرارية للسياسة المصرية فى الملف الإفريقى، مع الإقرار

بحــدوث قفــزات كبيرة تمت فيما بعد، وبالتالى فإن الدراســة تقدح فى تلك الأخطاء التى وقعــت فيها مجمل الدراســات المصرية حول ضبط تاريخ نشــأة تلك السياســة. فقد راح بعضهــا يربطهــا بكتابة عبد الناصر لفلســفة الثورة ســنة ١٩٥٤م. وبعضهــا ذهب بأنها نشأت سنة ١٩٥٦م بتنظيم العمل داخل إدارة الشئون الإفريقية. وبعضها الآخر رأى بأنها ســنة ١٩٥٧م باعتبارها بداية التفاعل الحقيقى بين الطرفين. ومع ذلك فلم توجد جميعها تفسيرا لهذا الانحياز لأى من هذه التواريخ السابقة.

□□□

الهوامش

(٥) هناك ثلاث ملفات رئيسية للخارجية المصرية (سرى جديد) تناولت هذا الموضوع وهى كالآتى: ملف ١ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٤ ج ١ بعنوان «المؤتمر الخاص بإنشاء حلف للدفاع الإفريقى داكار مارس ١٩٥٤م» وهو من أكبر الملفات (٣٩٤ ورقة) ورغم أن عنوانه يقول بإنه يختص بسنة ١٩٥٤ إلا أن الأوراق داخله حتى سنة ١٩٥٨م، مما يدلل على استمرار هذا الملف مفتوحا حتى نهاية مشروع الحلف الإفريقى. وملف ٢ رقم ٤/١٤٢/٢٤ج٢ بعنوان «المؤتمر الخاص بإنشاء حلف للدفاع الإفريقى» وهو ٦٠ ورقة. وملف ٦ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٠ بعنوان «مؤتمر نيروبى»، ناهيك عن ملفات ووثائق الأخرى لم يكن الحلف موضوعها الرئيسى لكنها تطرقت إليه، وسيظهر كل هذا عبر هوامش البحث.

(١) Coker Christopher:- The Western Alliance and Africa 1949 - 1981, African Affairs , Vol.81, (Jul.1982) No.324, PP.321.322.

(٢) فعبر القارة ككل لم تدخل إلا الجزائر فى خطط الدفاع العسكرية، حيث كانت داخلة ضمن فرنسا فى اتفاقية الناتو، ولم تسمح بريطانيا لاتحاد جنوب إفريقيا بالاشتراك فى الحلف سنة ١٩٥٠م، لأنها لا تريد إعطاءه دورا فيه باعتباره تابعا لها، للمزيد انظر، Coker Christopher:- Op.Cit.,,PP.319,320.

(*) سيكون موضوع الحزام الإفريقى موضوعا لورقة أخرى، أما فى هذه الورقة فسوف نركز على المشروع البريطانى - الجنوب إفريقى.

(٣) Deverux David:- Britian . The Commonwealth and Defense of The Middle East (1948 - 1956), Journal of Contemporary History ,Studies on War, Vol.24, (Apr.1989) No.2,PP.329,330.

(٤) Deverux David:- Op.Cit.,P.330.

(٥) Singh Anita Inder:-Keeping Indian in The Commonwealth:British Political and Military Aims 1947 - 1949 , Journal of Contemporary History , Vol.20, (Jul.1985) No.3,PP.472,473.

(٦) Deverux David:- Op.Cit.,PP.327 - 340.

(٧) D.O.35105325/3135/: About The Present Politics Trends. 71947/6/ and D.O.35105325 /3135/: About Record of Conversation of The Secretary of State with General Smuts .14 June 1948 . and D.O.353139// xc105325: About Note on General Election Result.

(٨) Deverux David:- Op.Cit. PP.333.334. and D.O.35105325/3135/:- About Record of Conversation of The Secretary of State with General Smuts .14 June 1948.

(٩) Robert M.Price:- Pretoria Southern African Strategy. African Affairs. Vol.83.No.330 (Jan.1983) P.11.

(١٠) Robert M.Price:- Security versus Growth International Factor in South Africa Policy. Annals of American Academy of Political and Social Science. Vol.489. International Affairs in Africa. (Jan.1987)P.104.

(*) سياسة الأبارتهيد هي تلك السياسة التي دخل بها الحزب الوطني المتطهر انتخابات ١٩٤٨ وحاز بها على حكم جنوب إفريقيا، وهي تستهدف فرض العنصرية فرضا كاملا في كافة المجالات. وتحقيق التنمية المستقلة لكل العناصر على حدة. واعتبار جنوب إفريقيا أرضا للبيض وأن الأفريكانرز هم سادتها. للمزيد انظر، السيد فليفل:- علاقات مصر بجنوب إفريقيا. أكاديمية ناصر العسكرية العليا. مركز الدراسات الاستراتيجية. ديسمبر ١٩٩٣. ص ٣٧.

(١١) Deverux David:- Op.Cit..P.334.

(١٢) Deverux David:- Op.Cit. P.335.

(١٣) Conference on African Defense. International Organization. Vol.5. No.4. (Nov.1951). P.811.

(١٤) Deverux David:- Op.Cit..P.336.

(١٥) Deverux David:- Op.Cit. PP.332.334.

(*) كانت مصر مفتاحا للدفاع وللهجوم لكل المعسكرات المتنافسة. فالكتلتان الشرقية والغربية تضعانها في قلب خططهما، بل إن إيطاليا وضعتها في مشروعها لخلق كتلة

ثالثة ضمن كتلة عربية وإسلامية بين الأنجلوساكسون والشيوعيين لتكون عامل توازن بين الكتلتين سنة ١٩٥٠م. للمزيد انظر. خطاب السفير محمد عبد العزيز بمفوضية مصر بروما إلى حضرة صاحب المعالى وزير الخارجية بخصوص حديث مع سعادة السكرتير الدعائى لوزارة الخارجية الإيطالية. فى ١٦ يونيو ١٩٥٠م. ملف ٧ محفظة ٢٠٥. سرى جديد. خارجية. ص ٥.

(١٦) حيث بدأت المفاوضات فى مارس ١٩٥٠م واستمرت حتى سبتمبر ١٩٥١م. للمزيد انظر. عبد الرؤوف أحمد عمرو:- تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية ١٩٣٩م-١٩٥٧م. سلسلة تاريخ المصريين. العدد ٤٦. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٩١م. ص ١٢١- ١٢٨.

(١٧) حلف الدفاع الإفريقى. ملف ٦ رقم ٢٠/١٤٢/٤ مؤتمر نيروبى. فيلم ٣٨. محفظة ٧٩. سرى جديد. خارجية.

(١٨) Dispatch 119115/9//G From Mohammed Salah EL-dean 12th July 1951 ملف ٦ رقم ٢٠/١٤٢/٤ مؤتمر نيروبى. فيلم ٣٨. محفظة ٧٩. سرى جديد. خارجية.

(١٩) خطاب من القائم بأعمال مفوضية مصر ببريتوريا حسين منصور إلى حضرة صاحب السعادة وكيل وزارة الخارجية بشأن مؤتمر نيروبى وتسهيلات الدفاع عن إفريقيا. ١٤ يوليو ١٩٥١م ،ملف ٦ رقم ٢٠/١٤٢/٤ مؤتمر نيروبى. فيلم ٣٨. محفظة ٧٩. سرى جديد. خارجية.

(٢٠) رسالة من بورغوس Burroughs بسفارة بريطانيا بالإسكندرية إلى أحمد المسيرى باشا. فى ١٥ يوليو ١٩٥١م. ملف ٦ رقم ٢٠/١٤٢/٤ مؤتمر نيروبى. فيلم ٣٨. محفظة ٧٩. سرى جديد. خارجية.

(٢١) وأهم الدول التى ستدخل فى هذا التنسيق جنوب إفريقيا - مصر - الحبشة - روديسيا الجنوبية - السودان - الصومال الفرنسى - إفريقيا الاستوائية الفرنسية - مدغشقر - أنجولا - موزمبيق - الكونغو البلجيكى - أوغندا - زنجبار - الصومال الإيطالى. للمزيد انظر. تقرير رئيس قسم إفريقيا سعيد لطفى الغمراوى عن تطور فكرة الدفاع عن إفريقيا. ٢١ يوليو ١٩٥٥م. ملف ٦ رقم ٤/ ٢٠/١٤٢ مؤتمر نيروبى. فيلم ٣٨. محفظة ٧٩. سرى جديد. خارجية. ص ١. ٢.

(٢٢) خطاب من سفير مصر بمفوضية مصر بروما محمد عبد العزيز بدر إلى حضرة صاحب المعالى وزير الخارجية، ملف ٦ رقم ٢٠/١٤٢/٤ مؤتمر نيروبى. فيلم ٣٨، محفظة ٧٩، سرى جديد. خارجية، ص ٢.

(٢٣) تقرير رئيس قسم إفريقيا سعيد لطفى الغمراوى عن تطور فكرة الدفاع عن إفريقيا:- التقرير السابق، ص ٢.

(٢٤) على بركات: - ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م «محاولة بناء نظرية»، فى محمد صابر عرب ورؤوف عباس حامد: - خمسون عاما على ثورة يوليو ١٩٥٢م. أبحاث الندوة الدولية التى عقدت فى الفترة من ٢٠ - ٢٢ يوليو ٢٠٠٢م. مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٢١٠، ٢١١.

(٢٥) خطاب من وكيل الخارجية للقائم بأعمال مفوضية مصر ببريتوريا. أغسطس ١٩٥١، ملف ٦ رقم ٢٠/١٤٢/٤ مؤتمر نيروبى، فيلم ٣٨، محفظة ٧٩، سرى جديد، خارجية.

(٢٦) خطاب من القائم بأعمال مفوضية مصر الملكية ببريتوريا إلى صاحب السعادة وكيل وزارة الخارجية، فى٢٠/٨/١٩٥١م، ملف ٦ رقم ٢٠/١٤٢/٤ مؤتمر نيروبى، فيلم ٣٨، محفظة ٧٩، سرى جديد، خارجية.

(٢٧) نفسه.

(٢٨) خطاب من سفير مصر بمفوضية مصر بروما محمد عبد العزيز بدر إلى حضرة صاحب المعالى وزير الخارجية، فى ٥ أغسطس ١٩٥١م، ملف ٦ رقم ٢٠/١٤٢/٤ مؤتمر نيروبى، فيلم ٣٨، محفظة ٧٩، سرى جديد، خارجية، ص ١.

(٢٩) تقرير رئيس قسم إفريقيا سعيد لطفى الغمراوى عن تطور فكرة الدفاع عن إفريقيا:- التقرير السابق، ص ٢.

(٣٠) خطاب من سفير مصر بمفوضية مصر بروما محمد عبد العزيز بدر:- الخطاب السابق، ص ٢.

(٣١) خطاب من القائم بأعمال مفوضية مصر الملكية بلشبونة بشأن مؤتمر نيروبى، فى ١٩/٧/١٩٥١م، ملف ٦ رقم ٢٠/١٤٢/٤ مؤتمر نيروبى، فيلم ٣٨، محفظة ٧٩، سرى جديد، خارجية، ص ١.

(٣٢) نفسه. ص ١، ٢.

(٣٣) خطـــاب من القائم بأعمال المفوضية المصرية العامة ببريتوريا حســين منصور لحضرة صاحب المعالى وزير الخارجية بشأن: وفد جنوب إفريقيا إلى مؤتمر نيروبى وحديث مـــع رئيــس وبعض أعضاء الوفد. فـــى ١٥/ ٨/ ١٩٥١م. ملف ٦ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٠ مؤتمر نيروبى. فيلم ٣٨. محفظة ٧٩. سرى جديد. خارجية.

(٣٤) Conference on African Defense. International Organization. Vol.5 .No.4. (Nov.1951). P. 811.

(٣٥) منشـــور دورى موقع مـــن قبل وكيل الخارجية فـــى ٤/ ٩/ ١٩٥١م لهيئات التمثيل الدبلوماســـى بالخارج. ملف ٦ رقم ٢٠/١٤٢/٤ مؤتمـــر نيروبى. فيلم ٣٨. محفظة ٧٩. سرى جديد. خارجية.

(٣٦) خطاب من القائم بأعمال مفوضية مصر الملكية بلشـــبونة بشـــأن موقف مصر من مؤتمر نيروبى إلى صاحب السعادة وكيل وزارة الخارجية فى ١٩سبتمبر ١٩٥١م، ملف ٦ رقم ٤/١٤٢/ ٢٠ مؤتمر نيروبى. فيلم ٣٨. محفظة ٧٩. سرى جديد. خارجية. ص ١.

(٣٧) خطـــاب من القائم بأعمال مفوضية مصر الملكية بلشـــبونة :- الخطاب الســـابق. ص ١ - ٤.

(٣٨) مواد النشرة السرية رقم ١٢ المؤرخة فى ١٤ نوفمبر ١٩٥١م، ملف ١ رقم ٤٦/ ٤٠/ ٣ النشـــرة الســـرية ابتداء من ١/ ١/ ١٩٥٠م. محفظة ٢٧٨ (كود أرشيفى ٢٧٧) سرى جديد. خارجية. ص ١٢.

(٣٩) خطاب من الوزير المفوض بمفوضية مصر بلاهاى محمد عصمت إلى حضرة وكيل وزارة الخارجية بخصوص منظمة الدفاع عن الشـــرق الأوســـط. فى ١٨ أغسطس ١٩٥٢م. ملف ٢ رقم ٢٨/٢٦/٣٨ الشـــرق الأوســـط «المقترحات الرباعية» محفظة ٢٤٥. سرى جديد. خارجية.

(*) يشـــكل الافريكانـــرز ٦٠٪ من بيـــض جنوب إفريقيـــا وهم من أبنـــاء الهولنديين الأول والهيجونوت الفرنسيين والألمان. للمزيد انظر. أحمد عبد الدايم محمد حسين :- التعليم والعنصريـــة فى جنـــوب إفريقيا فى الفترة من ١٩٤٨م - ١٩٧٦م. رســـالة ماجســـتير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية. جامعة القاهرة، ٢٠٠١م،ص ٩.

(٤٠) حلف الدفاع عن الإفريقى. ملف ٦ رقم ٢٠/١٤٢/٤ مؤتمر نيروبى. فيلم ٣٨. محفظة ٧٩. سرى جديد. خارجية.

(٤١) فقد أوضح بأن الغرض الأساسى من مؤتمر نيروبى هو استعراض أحدث الوسائل لضمان تأمين المواصلات الحربية وما يلزمها من المؤن فى المناطق الواقعة فى شرق وأواسط إفريقيا وأنه سيتيح الفرصة لإيجاد صلات تعارف بين المندوبين والمسئولين لتنسيق نظام الدفاع عن القارة الإفريقية. للمزيد أنظر. خطاب السفير محمد عبد العزيز:- الخطاب السابق. ص ١، ٢.

(٤٢) Agenda. Conference Defense Facilities in Africa

ملف ٦ رقم ٢٠/١٤٢/٤ مؤتمر نيروبى. فيلم ٣٨. محفظة ٧٩. سرى جديد. خارجية.

(٤٣) Deverux David:- Op.Cit..PP.335.336.

(٤٤) خطاب من سفير مصر بمفوضية مصر بروما محمد عبد العزيز بدر:- الخطاب السابق. ص ١.

(٤٥) تقرير رئيس قسم إفريقيا سعيد لطفى الغمراوى عن تطور فكرة الدفاع عن إفريقيا:- التقرير السابق. ص ٣.

(٤٦) النشرة السرية رقم ١٣ المؤرخة فى ٤ ديسمبر ١٩٥١م. ملف ١ رقم ٤٦/ ٤٠/ ٣ النشرة السرية ابتداء من ١/ ١/ ١٩٥٠م. محفظة ٢٧٨ (كود أرشيفى ٢٧٧) سرى جديد. خارجية. ص ١٢.

(*) للمزيد انظر محفظة ٧٧. فيلم ٤٩ الصومال. أرشيف البلدان. خارجية.

(**) فالموافقة الأمريكية على وجهة نظر إيطاليا تبين أنها موافقة خادعة. حيث طرحت فكرة الاتحاد بين إريتريا وإثيوبيا من قبل دول أخرى تأتمر بأمرها. للمزيد انظر. طاهر إبراهيم فداب:- حركة تحرير إريتريا ومسيرتها التاريخية (فى الفترة ما بين ١٩٥٨م إلى ١٩٦٧م) كتاب وثائقى. مطابع الشروق. القاهرة. ١٩٩٤م. ص ١٦ - ٢٥. وكذلك ملف ٣ ج ١ رقم ٤٦/ ٤٠/ ٣٠. محفظة ٢٧٨ (كود أرشيفى ٢٧٧) سرى جديد. خارجية.

(٤٧) خطاب من القائم بأعمال المفوضية المصرية العامة ببريتوريا حسين منصور لحضرة صاحب المعالى وزير الخارجية بشأن: وفد جنوب إفريقيا إلى مؤتمر نيروبى وحديث مع رئيس وبعض أعضاء الوفد. فى ١٥/ ٨/ ١٩٥١م. ملف ٦ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٠ مؤتمر نيروبى. فيلم ٣٨. محفظة ٧٩. سرى جديد. خارجية.

(٤٨) خطاب من القائم بأعمال مفوضية مصر الملكية بلشبونة بشأن موقف مصر من مؤتمر نيروبى إلى صاحب السعادة وكيل وزارة الخارجية فى ١٩سبتمبر ١٩٥١م. ملف ٦ رقم ٤/١٤٢/ ٢٠ مؤتمر نيروبى، فيلم ٣٨، محفظة ٧٩، سرى جديد، خارجية، ص ٣، ٤.

(*) حدثت تغييرات حيث عادت حكومة المحافظين تحت قيادة تشرشل فى أكتوبر ١٩٥١ فحل إيدن فى وزارة تشرشل محل بيفن فى وزارة اتلى فى وزارة العمال.

(٤٩) تقرير عن تركيا والعالم العربى مرفوع من الدكتور محمود سامى حافظ سكرتير ثانى بسفارة مصر بأثينا. ٢٢ مارس ١٩٥٤م،ملف ١ رقم ٢٠٧/٧/ ج ٣ السفارة المصرية فى أثينا، تقارير سياسية. محفظة ٦٣١ (كود أرشيفى ٦٣٠) سرى جديد، خارجية. ص ١١.

(٥٠) تقرير سفارة مصر ببيروت عن اتجاهات الولايات المتحدة وبريطانيا فى صدد مشكلة الدفاع عن الشرق الأوسط، فى ٨ سبتمبر ١٩٥٥م، ملف ٢رقم ٣٨/ ٢٧/ ٢٨ ملف الشرق الأوسط «المقترحات الرباعية»، محفظة ٢٤٥، سرى جديد، خارجية، ص ٢.

(٥١) وفى هذا الإطار عبر سفير مصر فى واشنطن كامل عبد الرحيم بأن مصر لم تستشر فى الأمر قبل تقديم المقترحات إليها ولم تدع للاشتراك فى تقديم الاقتراحات مع الدول الأربع. للمزيد انظر عبد الرؤف أحمد عمرو:- المرجع السابق، ص ١٤٩.

(٥٢) Union Accepts Membership of Middle East Command، ملف٢، فيلم ٥٤ بريتوريا، محفظة ٨٤، أرشيف البلدان، خارجية.

(٥٣) فى بداية سنة ١٩٥٢م تم إنشاء منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط وانضمت لها جنوب إفريقيا واستراليا ونيوزيلندا وأصبح مقر القيادة جزيرة قبرص، للمزيد انظر Deverux David :- Op.Cit.,PP.337,338.

(٥٤) خطاب من القائم بالأعمال حسين منصور بمفوضية بريتوريا إلى السيد وكيل الخارجية بشأن الحالة الدولية والخلاف بين مصر وإنجلترا، فى ٢٣/ ٥/ ١٩٥٢م. ملف ٢، فيلم ٥٤ بريتوريا، محفظة ٨٤، أرشيف البلدان، خارجية، ص ١، ٢.

(٥٥) حمادة حسنى أحمد محمد:- التنظيمات السياسية لثورة يوليو ١٩٥٢م (١٩٥٣م - ١٩٦١م)، سلسلة تاريخ المصريين، العدد ٢٢٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م،ص ٥٢، ٥٣.

(٥٦) نفوذ مصر بإفريقيا، الأهرام ٢٧/ ٧/ ١٩٥٢م .

(٥٧) تحـول الحرب الباردة إلى إفريقيا. انتشـار الشـيوعية إلى خط الاسـتواء. الأهرام. ٢٦/ ١٠/ ١٩٥٢م.

(٥٨) مرور وزير الدفاع فى جنوب إفريقيا بالقاهرة. الأهرام فى ١٣/ ١١/ ١٩٥٢م. ص ٧.

(٥٩) خطـاب مـن القائم بأعمـال المفوضية المصرية ببريتوريا حسـين منصـور إلى حضرة وكيـل وزارة الخارجية بخصوص جنوب إفريقيا وقيادة الشـرق الأوسـط. فى ١٥/ ١/ ١٩٥٣م. ملف ٢ رقم ٣٨/ ٢٦/ ٢٨ الشرق الأوسط «المقترحات الرباعية» محفظة ٢٤٥. سرى جديد. خارجية.

(٦٠) قاعدة جوية فى جنوب إفريقيا للدفاع عن الشرق الأوسط. آخر ساعة. العدد ٩٥٤. فى ٤ فباير ١٩٥٣م. ص ٣.

(٦١) ملف ٢. فيلم ٥٤. محفظة ٨٤ بريتوريا. أرشيف بلدان. خارجية.

(٦٢) وهـذا ما أشـارت إليه أحد تقاريـر المفوضية المصرية ببريتوريا فـى نوفمبر ١٩٥٣م بـأن الحملة مبعثهـا تقاريرمفوضية جنوب إفريقيا فى القاهـرة. ذاكرة بأنها تتلقى معلوماتهـا من ذوى الأغراض السـيئة. لذا نصحت بإصدار نشـرة إخبارية لإطلاع الهيئـات السياسـية الأجنبية فى مصـر على الحقائق حتـى لا تخضع لأى دعاية مغرضة. انظر. خطاب مفوضية مصر ببريتوريا إلى السـيد السـفير وكيل الخارجية فى ١١/ ١١/ ١٩٥٣م. ملف ٣. فيلم ٥٤ بريتوريا. محفظة ٨٤. أرشـيف البلدان. خارجية.

(٦٣) عاصم الدسـوقى: الشـرق الأوسط الكبير.. مشروع اسـتعمارى متجدد لقطع تواصل العـرب. فى عبادة كحيلة (محرر) مصر والوطـن العربى.. تواصل أم انقطاع. ندوة الجمعية المصرية للدراسـات التاريخية فى إبريل ٢٠٠٦م. مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية. كلية الاداب. جامعة القاهرة ٢٠٠٨م. ص ٢٩.

(٦٤) خطـاب مفوضية مصر ببريتوريا إلى السـيد وكيل الخارجية عـن زعيم المعارضة فى اتحـاد جنوب إفريقيا. فى ١٩٥٤/١/٤م. ملف ١ رقـم ١٦٣/٤٣/٦٠ مكرر. طلب معلومات عن شخصيات بارزة فى الخارج. محفظة ٣٣٥. سرى جديد. خارجية.

(٦٥) Lawrie Gordon: – Op.Cit..P.727.

(٦٦) Abgunrim .Olayiwola:- The Arab And The Southern African

Problem. International Affairs (Royal Institution of International Affairs1944). Vol. 60. No.1. (Winter 19831984-) .P. 97.

(*) فمجمل الكتابات السياسية فى تلك الفترة رأته خيرا محضا. إلا إن كثيرا من الكتابات الغربية اعتبرته مشروعا ناصريا للتوسع والوصاية على إفريقيا يستوى فى هذا مع الغرب، وأن مصر تحاول أن تحل محل بريطانيا فى إفريقيا. انظر

Fabunmi L.A.:- The Sudan in Anglo -Egyptian Relation .A case Study in .Power Politics 1800 - 1956 Longmans.London.1960.PP.324.325

(٦٧) للمزيد عن المراسلات بين السيد وكيل الخارجية وبين مجلس الوزراء للشئون السياسية ورئاسة الجمهورية انظر. ملف ٦ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٠ مؤتمر نيروبى. فيلم ٣٨، محفظة ٧٩. سرى جديد. خارجية.

(٦٨) جمال عبد الناصر: فلسفة الثورة، مصلحة الاستعلامات. دار مطابع الشعب، ص ٦٨.

(٦٩) جمال عبد الناصر: فلسفة الثورة. مصلحة الاستعلامات. دار مطابع الشعب، ص ٦٨.

(٧٠) جمال عبد الناصر: فلسفة الثورة، هيئة الاستعلامات، وزارة الثقافة والاعلام، ص ٨٢.

(٧١) خطاب من سفير مصر بلندن إلى السيد وكيل الخارجية بشأن مؤتمر داكار لتنظيم الدفاع عن غرب إفريقيا، فى ٢٦ إبريل ١٩٥٤م. ملف ١، فيلم ٣٨، محفظة ٨٠، سرى جديد، خارجية. ص ٢، ٣.

(٧٢) تقرير إدارة الشئون الإفريقية عن إفريقيا الاستوائية الفرنسية، ١٩٥٧/١/١٧م. ملف ٣/ ج ١ رقم ٤٦/ ٤٠/ ٣، محفظة ٢٧٨ (رقم المحفظة فى الكود الأرشيفى فى مشروع ميكنة الوثائق تحت الإنشاء ٢٧٧) سرى جديد، خارجية. ص ١٠.

(٧٣) تقرير رئيس قسم إفريقيا سعيد لطفى الغمراوى عن تطور فكرة الدفاع عن إفريقيا:- التقرير السابق، ص ٣، ٤.

(٧٤) خطاب عادل فاضل الملحق بسفارة مصر بباريس إلى سفير مصر بلندن عن مؤتمر داكار، ١٦ إبريل ١٩٥٤م، ملف١ رقم ٢٤/١٤٢/٤ ج١، المؤتمر الخاص بإنشاء حلف للدفاع الإفريقى داكار مارس ١٩٥٤م، فيلم ٣٨، محفظة ٨٠، سرى جديد، خارجية، ص ١.

(٧٥) خطاب القائم بأعمال مفوضية جمهورية مصر ببريتوريا محمد سامى إلى وكيل الخارجية بشأن موقف حكومة جنوب إفريقيا من مؤتمر داكار وإنشاء حلف دفاعى إفريقى. ملف١ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٤ ج ١. المؤتمر الخاص بإنشاء حلف للدفاع الإفريقى داكار مارس ١٩٥٤م، فيلم ٣٨، محفظة ٨٠، سرى جديد، خارجية، ص ٢.

(٧٦) تقرير رئيس قسم إفريقيا سعيد لطفى الغمراوى عن تطور فكرة الدفاع عن إفريقيا:- التقرير السابق. ص ٣ - ٥.

(٧٧) Deverux David:- Op.Cit..P.340.

(*) استقال مالان فى ٣٠ نوفمبر ١٩٥٤م عن عمر يناهز ٨٠ سنة، وتولى بعده ستريجدوم الذى ظل فى الحكم حتى وفاته فى ٢٤ أغسطس ١٩٥٨م. للمزيد انظر. أحمد عبد الدايم محمد حسين:- المرجع السابق. ص ١٠٩، ١١٥.

(٧٨) تقرير رئيس قسم إفريقيا سعيد لطفى الغمراوى عن تطور فكرة الدفاع عن إفريقيا:- التقرير السابق. ص ٤ - ٦.

(٧٩) تقرير مفوضية جمهورية مصر ببريتوريا عن زيارة وزير الدفاع فى اتحاد جنوب إفريقيا لبريطانيا فى ١٨ أغسطس ١٩٥٤م. ملف ٢. فيلم ٥٤ بريتوريا. محفظة ٨٤، أرشيف البلدان، خارجية، ص ١.

(٨٠) تقرير عن تصريح الدكتور مالان عن الاتفاق المصرى البريطانى والدفاع عن الشرق الأوسط مرفوع للسيد السفير وكيل الخارجية فى ٤ أغسطس ١٩٥٤م من مفوضية مصر ببريتوريا. ملف ٢. فيلم ٥٤ بريتوريا. محفظة ٨٤. أرشيف البلدان. خارجية، ص ١.

(٨١) Deverux David:- Op.Cit..P.341.

(٨٢) خطاب من القائم بالأعمال حسين منصور بمفوضية بريتوريا إلى السيد وكيل الخارجية بشأن الحالة الدولية والخلاف بين مصر وإنجلترا. فى ٢٣/ ٥/ ١٩٥٢م. ملف ٢، فيلم ٥٤ بريتوريا، محفظة ٨٤، أرشيف البلدان. خارجية. ص ٢، ٣.

(٨٣) Fabunmi L.A.:- Op.Cit..PP309.310.319.322.

(٨٤) خطاب مفوضية مصر ببريتوريا إلى السيد السفير وكيل الخارجية بشأن خطاب الدكتور مالان فى مجلس النواب عن قناة السويس والدفاع عنها فى ٨ مايو ١٩٥٤م. ملف ٣. فيلم ٥٤ بريتوريا. محفظة ٨٤. أرشيف البلدان. خارجية. ص ١، ٢.

(٨٥) خطاب من القائم بأعمال مفوضية مصر ببريتوريا إلى السيد وكيل الخارجية عن زعيم المعارضة فى اتحاد جنوب إفريقيا. فى ٤/ ١/ ١٩٥٤م، ملف١. رقم ٦٠/ ٤٣/ ١٦٣ مكرر. طلب معلومات عن شخصيات بارزة فى الخارج. محفظة ٣٣٥. سرى جديد. خارجية.

(٨٦) تقرير رئيس قسم إفريقيا سعيد لطفى الغمراوى عن تطور فكرة الدفاع عن إفريقيا:- التقرير السابق. ص ٦.

(٨٧) EL - Khawas M. Mohamed :- Africa and The Middle East Crisis. Issue. Journal of Opinion Vol.5. (Spring.1975) No.1.P.33.

(٨٨) مذكرة إدارة الشئون السياسة بشأن التمثيل الدبلوماسى فى اتحاد جنوب إفريقيا واقتراح المفوضية المصرية رفعه إلى سفارة. ملف ٣، فيلم ٥٤ بريتوريا. محفظة ٨٤. أرشيف البلدان. خارجية، ص ١، ٢.

(٨٩) والحلقة هى حلف شمال الأطنطى وحلف جنوب شرق آسيا فى الشرق الأقصى وحلف بغداد فى الشرق الأدنى وحلف إفريقيا فى الجنوب. للمزيد انظر. خطاب من القائم بالأعمال بمفوضية بريتوريا إلى السيد وكيل الخارجية الدائم. فى ١٥/ ٥/ ١٩٥٦م، ملف ٣. فيلم ٥٤ بريتوريا، محفظة ٨٤. أرشيف البلدان. خارجية.

(٩٠) تقرير سفارة مصر ببيروت عن اتجاهات الولايات المتحدة وبريطانيا فى صدد مشكلة الدفاع عن الشرق الأوسط فى ٨ سبتمبر ١٩٥٥م. ملف ٢ رقم ٣٨/ ٢٧/ ٢٨ ملف الشرق الأوسط «المقترحات الرباعية». محفظة ٢٤٥، سرى جديد، خارجية، ص ٢، ١١.

(٩١) كولين ليجوم:- الجامعة الإفريقية دليل سياسى موجز. ترجمة أحمد محمود سليمان، مراجعة عبد الملك عودة. الدار المصرية للتاليف والترجمة. سلسلة دراسات إفريقية. العدد ٩، مطابع سجل العرب. القاهرة. ١٩٦٦م. ص ٢١٦.

(٩٢) مذكرة رئيس قسم أوربا محمود معبد فى ١٤ مارس ١٩٥٥م. ملف ١، فيلم ٣٨، محفظة ٨٠. سرى جديد، خارجية.

(٩٣) خطاب سفارة مصر بلندن للسيد وكيل الخارجية عن مناقشة الاتفاقية الخاصة بانضمام بريطانيا إلى الميثاق التركى العراقى بمجلس العموم البريطانى فى ١٣/ ٤/ ١٩٥٥م. ملف ١ رقم ٣٨/ ٢٧/ ١٧ ج٢ الاتفاقيات التركية العراقية. محفظة ٢٤٩ (كود ٢٤٨). سرى جديد، خارجية.

(٩٤) خطاب من القائم بأعمال مفوضية بريتوريا محمد سامى إلى السيد وكيل الخارجية بشأن التمثيل الدبلوماسى فى اتحاد جنوب إفريقيا، فى ٢٠/ ٩/ ١٩٥٥م، ملف ٣، فيلم ٥٤ بريتوريا، محفظة ٨٣، أرشيف البلدان، خارجية، ص ٢.

(٩٥) خطاب مفوضية مصر ببريتوريا بشأن: تحليل لبيان رئيس الوزراء فى المجلس النيابى عن سياسة حكومته الداخلية والخارجية وموقفها من التطورات العالمية الأخيرة، فى ٢٧ مايو ١٩٥٥م، ملف ٣، فيلم ٥٤ بريتوريا، محفظة ٨٤، أرشيف البلدان، خارجية، ص ٢ - ٤.

(٩٦) خطاب من قائد جناح على صبرى مدير مكتب رئيس مجلس الوزراء للشئون السياسية إلى السيد وكيل الخارجية فى ١/ ٧/ ١٩٥٥م، ملف ٦ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٠ مؤتمر نيروبى، فيلم ٣٨، محفظة ٧٩، سرى جديد، خارجية.

(٩٧) خطاب من وكيل الخارجية إلى السيد رئيس مجلس الوزراء للشئون السياسية، فى ١٥/ ٨/ ١٩٥٥م، ملف ٦ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٠ مؤتمر نيروبى، فيلم ٣٨، محفظة ٧٩، سرى جديد، خارجية.

(٩٨) خطاب من الوكيل المساعد للشئون السياسية لوزير الحربية والبحرية، فى ٣ يناير ١٩٥٦م، ملف ١، فيلم ٣٨، محفظة ٨٠، سرى جديد، خارجية، انظر الخريطة رقم٢.

(٩٩) خطاب سفارة مصر بلندن إلى السيد وكيل الخارجية الدائم (إدارة الشئون السياسية) عن السياسة الدفاعية لحكومة اتحاد جنوب إفريقيا (وجهة النظر البريطانية) فى ٣٠/ ٩/ ١٩٥٥م، ملف ١، فيلم ٣٨، محفظة ٨٠، سرى جديد، خارجية، ص ٤.

(١٠٠) Lawrie Gordon: - Op.Cit. P.727.

(١٠١) خطاب من قائد جناح على صبرى مدير مكتب رئيس مجلس الوزراء (للشئون السياسية) إلى السيد وكيل الخارجية، فى ١٦ أغسطس ١٩٥٥م، ملف ١، فيلم ٣٨، محفظة ٨٠، سرى جديد، خارجية.

(١٠٢) Deverux David: - Op.Cit., PP.341 - 342.

(١٠٣) Lawrie Gordon: - Op.Cit. PP.709.710.. للمزيد انظر، ملف ١، فيلم ٣٨، محفظة ٨٠، سرى جديد، خارجية.

(١٠٤) مذكرة إدارة الشئون السياسة بشأن التمثيل الدبلوماسي في اتحاد جنوب إفريقيا واقتراح المفوضية المصرية رفعه إلى سفارة، ملف ٣، فيلم ٥٤ بريتوريا، محفظة ٨٤، أرشيف البلدان، خارجية، ص ١، ٢.

(١٠٥) Deverux David:- Op.Cit..PP.342 - 343.

(١٠٦) خطاب مفوضية بريتوريا إلى السيد وكيل الخارجية في ١٣/ ١١/ ١٩٥٥م، ملف ٣، فيلم ٥٤ بريتوريا، محفظة ٨٤، أرشيف البلدان، خارجية.

(١٠٧) عقدت صفقة الأسلحة في ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥م، خطاب القائم بالأعمال محمد سامي بمفوضية بريتوريا عن حديث رئيس وزراء اتحاد جنوب إفريقيا معه عن نزاع مصر وإسرائيل وصفقة الأسلحة التشيكية في ١٢ نوفمبر ١٩٥٥م إلى السيد وكيل الخارجية، ملف ٣، فيلم ٥٤ بريتوريا، محفظة ٨٤، أرشيف البلدان، خارجية.

(١٠٨) خطاب مفوضية مصر ببريتوريا للسيد وكيل الخارجية عن صدى انضمام إيران إلى الحلف العراقي التركي في الأوساط الرسمية في الاتحاد في ١٥ نوفمبر ١٩٥٥م، ملف ٢ رقم ٣٨/ ٢٧/ ١٧ ج٣، محفظة ٢٤٩ (كود ٢٤٨)، سري جديد، خارجية.

(١٠٩) تقرير رئيس قسم إفريقيا سعيد لطفي الغمراوي عن تطور فكرة الدفاع عن إفريقيا:- التقرير السابق، ص ٦.

(١١٠) Ismael Tareq Y: The United Arab Republic in Africa. Canadian Journal of African Studies. Vol. 2. No. 2. (Autumn. 1968). PP. 178. 185.

(١١١) خطاب السفير أحمد حسن بسفارة مصر بليبيا إلى السيد السفير وكيل وزارة الخارجية عن معاهدة الصداقة الليبية التركية في ٣ يناير ١٩٥٦م، ملف ٢ رقم ٣٨/٢٧/١٧ ج ٣ الاتفاقات التركية - العراقية، محفظة ٢٤٩ (كود أرشيفي ٢٤٨)، سري جديد، خارجية.

(١١٢) مذكرة إدارة الأبحاث بشأن الإيعاز للهيئات الوطنية اليونانية والقبرصية لإصدار بيان ينص على عدم السماح باستخدام القواعد البريطانية ضد الشعوب العربية، ١٤/٤/١٩٥٦م، ملف ٢ رقم ٢٠٧/ ٧/ ١ ج ٤ التقارير السرية للسفارة المصرية في أثينا، محفظة ٦٣١ (كود أرشيفي ٦٣٠) سري جديد، خارجية.

(١١٣) وهذا ما سيضاعف مشاكل إفريقيا الناهضة لذا عارض توم مبويا قائد وفد كينيا الإفريقي في لندن سنة ١٩٥٧م تأسيس قاعدة عسكرية في كينيا، للمزيد انظر، Fabunmi L.A.:- Op.Cit..PP.322.323.

(١١٤) Colven Ian :– Op.Cit.

(١١٥) خطـاب مـن الوزيـر المفوض ببريتوريا إلى السـيد السـفير وكيـل الخارجية فى ٣/ ٨ /١٩٥٧م، ملف ٢، فيلم ٣٨، محفظة ٨٠، سرى جديد، خارجية.

(١١٦) Colven Ian :– South Africa Seeks Defense Partner. The Daily Telegraph. 4 /4 /1956 .

ملـف ٢ رقـم ٢٢٥/ ٧ التقارير السياسـية للسـفارة المصرية بأديس أبابـا عن إثيوبيا ١٩٥٦م، فيلم ٥٠ أديس أبابا، محفظة ٧٩، أرشيف البلدان، خارجية.

(١١٧) مذكرة مفوضية مصر ببريتوريا عن سـفر رئيس وزراء اتحاد جنوب إفريقيا إلى لندن لحضور اجتماع مؤتمر الكمنولث الذى سـيعقد فى ٢٧/ ٦/ ١٩٥٦م، ملف ٣، فيلم ٥٤ بريتوريا، محفظة ٨٤، أرشيف البلدان، خارجية، ص ١، ٢.

(١١٨) مذكرة سفارة مصر بالهند فى شأن اقتراح رئيس وزراء جنوب إفريقيا تكوين حلف دفاعـى بين بريطانيا وبلجيكا والبرتغال وفرنسـا وبلاده، فـى ١١/ ٧/ ١٩٥٦م، ملف ١، فيلم ٣٨، محفظة ٨٠، سرى جديد، خارجية، ص ١، ٢.

(١١٩) خطاب من الوزير المفوض ببريتوريا إلى السـيد السـفير وكيل الخارجية الدائم، فى ١٩٥٦/٧/٢٣م، ملف ١، فيلم ٣٨، محفظة ٨٠، سرى جديد، خارجية.

(١٢٠) مذكرة أنور فريد السكرتير الأول بمفوضية جمهورية مصر ببريتوريا عن زيارة جورج الـن لاتحاد جنوب إفريقيا ومسـالة حلف الدفاع المقـترح، فى ٢٣/ ٧/ ١٩٥٦م، ملف ١، فيلم ٣٨، محفظة ٨٠، سرى جديد، خارجية، ص ٢، ٣.

(١٢١) مذكرة مرفوعة للسيد مدير إدارة الشئون الإفريقية، فى ٢٤/ ٧/ ١٩٥٦م، ملف ١، فيلم ٣٨، محفظة ٨٠، سرى جديد، خارجية.

(١٢٢) Abgunrim .Olayiwola :– Op.Cit. P.99.

(١٢٣) Hurrell Andrew: – The Politics of South Atlantic Security: A Survey of Proposals for a South Atlantic Treaty Organization International Affairs (Royal Institution of International Affairs1944). Vol.60 No.1 (Spring 1983)P.181.

(١٢٤) مذكرة مدير إدارة الشـئون الإفريقية للعرض على السـيد الوكيل المسـاعد للشـئون

السياسـية، فى ٢٣/ ٧/ ١٩٥٦م، ملف ١، فيلم ٣٨، محفظة ٨٠، سـرى جديد، خارجية، ص ٢.

(١٢٥) السيد فليفل :- المرجع السابق، ص ٤٥.

(١٢٦) Abgunrim Olayiwola.- Op.Cit. P.98.

(١٢٧) خطـاب مـن الوزيـر المفـوض ببريتوريا إلى وكيـل الخارجية الدائم بشـأن مؤتمر إفريقـى لعقـد حلف على غـرار حلف الأطلنطى، فـى ٢١/ ٨/ ١٩٥٦م، ملف ١ رقم ٤/١٤٢/ ٢٤ ج ١، المؤتمر الخاص بإنشـاء حلف للدفاع الإفريقى داكار مارس ١٩٥٤م، فيلم ٣٨، محفظة ٨٠، سرى جديد، خارجية، ص ٢.

(١٢٨) مذكرة مدير إدارة الشئون الإفريقية بشأن سعى اتحاد جنوب إفريقيا لتكوين حلف دفاعـى عن جنوب إفريقيا، فى ١٩٥٦/٩/٢٣م، ملف ٢، فيلم ٣٨، محفظة ٨٠، سرى جديد، خارجية، ص ٢، ٣.

(١٢٩) فكل ما نجح فيه الحلف هو توفير ١٥ فرقة فقط للدفاع عن خط يمتد من البلطيق شمالا إلى جبـال الألـب جنوبا، مع إنه قدر لها ألا تقل عن ٣٠ فرقة، خطاب من سـفارة جمهورية مصر بروما إلى السيد وكيل الخارجية فى ١٨ ديسمبر ١٩٥٦م، ملف ١ رقم ٣٨/ ٢٦/ ٢٥ ج٣ حلف شمال الأطلنطى، محفظة ٩٢٤، سرى جديد، خارجية.

(١٣٠) خطاب من سـفارة جمهورية مصر بموسـكو إلى السيد وكيل الخارجية عن أغراض حلـف الأطلنطى كما تبين للاتحاد السـوفيتى فى ٣٠/ ١٢/ ١٩٥٦م، ملف ١ رقم ٣٨/ ٢٦/ ٢٥ ج ٣ حلف شمال الأطلنطى، محفظة٩ ٢٤، سرى جديد، خارجية.

(١٣١) خطاب من مفوضية بريتوريا إلى السيد وكيل الخارجية بشأن افتتاح الدورة الخامسة للبرلمان الحادى عشر لاتحاد جنوب إفريقيا، فى ١٩٥٧/١/٢٥م،ملف ٧، فيلم ٥٤ بريتوريا، محفظة ٨٤، أرشيف البلدان، خارجية، ص ١، ٦.

(١٣٢) النشرة الثقافية المصرية، العدد الثانى، إبريل مايو يونيو ١٩٥٧م، جمهورية مصر، وزارة التربية والتعليم، الإدارة العامة للثقافة، مطبعة مخيمر، ص ٤٤٦، ٤٤٧.

(١٣٣) الملخـص ٦٨ مـن ٢٢ مـارس إلى ٢٤ إبريل ١٩٥٧ مرسـل من قائـد جناح عصام الدين محمود خليل مساعد مدير المخابرات الحربية للقوات الجوية إلى مدير إدارة الشـئون الإفريقيـة، فى ٢٠/ ٣/ ١٩٥٧م، ملف رقم ٤١ سـرى لعـام ١٩٥٧/٥٦م

ج ٦ ملخصات تقارير المخابرات الجوية. محفظة٩٢٨ (كود أرشيفى ٧٣٣) سرى جديد. خارجية. ص ٢٤، ٢٦، ٥١ – ٥٦.

(١٣٤) كانت خطة المشروع هى تقديم مساعدات اقتصادية وعسكرية للدول العربية قبلتها ليبيا ولبنان والعراق ورفضها عبد الناصر. للمزيد انظر. عبد الرؤوف أحمد عمرو: – المرجع السابق. ص ٤٤٠ – ٤٥٠.

(١٣٥) مذكرة مفوضية جمهورية مصر ببريتوريا للسيد السفير وكيل الخارجية. فى ٢٢/ ٧/ ١٩٥٧م. ملف ٢ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٤ ج ٥. المؤتمر الخاص بإنشاء حلف للدفاع الإفريقى. فيلم ٣٨. محفظة ٨٠. سرى جديد. خارجية.

(١٣٦) مذكرة مدير إدارة الشئون الإفريقية للسيد الوكيل المساعد للشئون السياسية. فى ٢٤/ ٦/ ١٩٥٧م. ملف ٢ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٤ ج ٥. المؤتمر الخاص بإنشاء حلف للدفاع الإفريقى. فيلم ٣٨. محفظة ٨٠. سرى جديد. خارجية.

(١٣٧) مذكرة من مدير إدارة الشئون الإفريقية إلى السيد الوكيل المساعد للشئون السياسية فى ١٥/ ٨/ ١٩٥٧م. ملف ٢. فيلم ٣٨. محفظة ٨٠. سرى جديد. خارجية. ص ٢.

(١٣٨) تقرير القائم بأعمال مفوضية جمهورية مصر ببريتوريا أحمد توفيق خليل فى سبتمبر ١٩٥٧. ملف ٢ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٤ ج ٥. المؤتمر الخاص بإنشاء حلف للدفاع الإفريقى. فيلم ٣٨. محفظة ٨٠. سرى جديد. خارجية. ص ١، ٢.

(١٣٩) خطاب مفوضية جمهورية مصر ببريتوريا إلى السيد السفير وكيل الخارجية بشأن محادثات بين اتحاد جنوب إفريقيا والمملكة المتحدة حول شئون الدفاع عن القارة فى ٢٦/ ٩/ ١٩٥٧م. ملف ٢ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٤ ج ٥. المؤتمر الخاص بإنشاء حلف للدفاع الإفريقى. فيلم ٣٨. محفظة ٨٠. سرى جديد. خارجية.

(١٤٠) تقرير القائم بأعمال مفوضية جمهورية مصر ببريتوريا أحمد توفيق خليل فى سبتمبر ١٩٥٧. ملف ٢ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٤ ج ٥. المؤتمر الخاص بإنشاء حلف للدفاع الإفريقى. فيلم ٣٨. محفظة ٨٠. سرى جديد. خارجية. ص ٤، ٥.

(١٤١) خطاب سكرتير ثالث سفارة مصر بموسكو نبيل الدسوقى إلى السيد السفير وكيل الخارجية بشأن تداعيات إقامة كتلة عسكرية فى إفريقيا. فى ٢٧/ ٩/ ١٩٥٧م. ملف ٢ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٤ ج ٥. المؤتمر الخاص بإنشاء حلف للدفاع الإفريقى. فيلم ٣٨. محفظة ٨٠. سرى جديد. خارجية.

(١٤٢) مؤتمر الشعوب الإفريقية الآسيوية ٢٦ ديسمبر ١٩٥٧م - ١ يناير ١٩٥٨م، الكتاب الخاص بالكلمات الافتتاحية والقرارات والكلمات الختامية، السكرتارية الدائمة لتضامن الشعوب الإفريقية الآسيوية، ص ٢٨ - ٣٤.

(١٤٣) خطاب من الوزير المفوض صالح محمود بمفوضية جمهورية مصر ببريتوريا إلى السيد السفير وكيل الخارجية (الإدارة الإفريقية)، فى ١٨/ ١/ ١٩٥٨م، ملف ٢ رقم ٤/١٤٢/ ٢٤ ج ٥، المؤتمر الخاص بإنشاء حلف للدفاع الإفريقى، فيلم ٣٨، محفظة ٨٠، سرى جديد، خارجية.

(١٤٤) خطاب مفوضية الجمهورية العربية المتحدة ببريتوريا إلى السيد السفير وكيل الخارجية فى ٢٢/ ٥/ ١٩٥٨م، ملف ٧، فيلم ٥٤ بريتوريا، محفظة ٨٣، أرشيف البلدان، خارجية.

(١٤٥) كولين ليجوم:- الجامعة الإفريقية دليل سياسى موجز، ترجمة أحمد محمود سليمان، مراجعة عبد الملك عودة، الدار المصرية للتاليف والترجمة، سلسلة دراسات إفريقية، العدد ٩، مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ٢١٩.

(١٤٦) خطاب من الوزير المفوض صالح محمود بمفوضية جمهورية مصر ببريتوريا إلى السيد وكيل الخارجية، فى ٧/ ٦/ ١٩٥٨م، ملف ٢ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٤ ج ٥، المؤتمر الخاص بإنشاء حلف للدفاع الإفريقى، فيلم ٣٨، محفظة ٨٠، سرى جديد، خارجية.

□□□

مصادر ومراجع البحث

أولا ـ الوثائق غير المنشورة:

أ ـ الوثائق العربية:

– خطاب السفير محمد عبد العزيز بمفوضية مصر بروما إلى حضرة صاحب المعالى وزير الخارجية بخصوص حديث مع سعادة السكرتير الدعائى لوزارة الخارجية الإيطالية، فى ١٦ يونيو ١٩٥٠م، ملف ٧ محفظة ٢٠٥، سرى جديد، خارجية.

– حلف الدفاع الإفريقى، ملف ٦ رقم ٤/ ١٤٢ /٢٠ مؤتمر نيروبى، فيلم ٣٨، محفظة ٧٩، سرى جديد، خارجية.

– خطاب من القائم بأعمال مفوضية مصر ببريتوريا حسين منصور إلى حضرة صاحب السعادة وكيل وزارة الخارجية بشأن مؤتمر نيروبى وتسهيلات الدفاع عن إفريقيا، ١٤ يوليو ١٩٥١م، ملف ٦ رقم ٢٠/١٤٢/٤ مؤتمر نيروبى، فيلم ٣٨، محفظة ٧٩، سرى جديد، خارجية.

– رسالة من بورغوس Burroughs بسفارة بريطانيا بالإسكندرية إلى أحمد المسيرى باشا، فى ١٥ يوليو ١٩٥١م، ملف ٦ رقم ٢٠/١٤٢/٤ مؤتمر نيروبى، فيلم ٣٨، محفظة ٧٩، سرى جديد، خارجية.

– خطاب من سفير مصر بمفوضية مصر بروما محمد عبد العزيز بدر إلى حضرة صاحب المعالى وزير الخارجية، ملف ٦ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٠ مؤتمر نيروبى، فيلم ٣٨، محفظة ٧٩، سرى جديد، خارجية.

– خطاب من وكيل الخارجية للقائم بأعمال مفوضية مصر ببريتوريا، أغسطس ١٩٥١م، ملف ٦ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٠ مؤتمر نيروبى، فيلم ٣٨، محفظة ٧٩، سرى جديد، خارجية.

– خطاب من القائم بأعمال مفوضية مصر الملكية ببريتوريا إلى صاحب السعادة وكيل وزارة الخارجية، فى ٢٠/ ٨/ ١٩٥١م، ملف ٦ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٠ مؤتمر نيروبى، فيلم ٣٨، محفظة ٧٩، سرى جديد، خارجية.

– خطاب من سفير مصر بمفوضية مصر بروما محمد عبد العزيز بدر إلى حضرة صاحب المعالى وزير الخارجية، فى ٥ أغسطس ١٩٥١م، ملف ٦ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٠ مؤتمر نيروبى، فيلم ٣٨، محفظة ٧٩، سرى جديد، خارجية.

- خطاب من القائم بأعمال مفوضية مصر الملكية بلشبونة بشأن مؤتمر نيروبى. فى ١٩/ ٧/ ١٩٥١م. ملف ٦ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٠ مؤتمر نيروبى. فيلم ٣٨. محفظة ٧٩. سرى جديد. خارجية.

- خطاب من القائم بأعمال المفوضية المصرية العامة ببريتوريا حسين منصور لحضرة صاحب المعالى وزير الخارجية بشأن: وفد جنوب إفريقيا إلى مؤتمر نيروبى وحديث مع رئيس وبعض اعضاء الوفد. فى ١٥/ ٨/ ١٩٥١م. ملف ٦ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٠ مؤتمر نيروبى. فيلم ٣٨. محفظة ٧٩. سرى جديد. خارجية.

- منشور دورى موقع من قبل وكيل الخارجية فى ٤/ ٩/ ١٩٥١م لهيئات التمثيل الدبلوماسى بالخارج. ملف ٦ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٠ مؤتمر نيروبى. فيلم ٣٨. محفظة ٧٩. سرى جديد. خارجية.

- خطاب من القائم بأعمال مفوضية مصر الملكية بلشبونة بشأن موقف مصر من مؤتمر نيروبى إلى صاحب السعادة وكيل وزارة الخارجية فى ١٩سبتمبر ١٩٥١م. ملف ٦ رقم ٤/١٤٢/ ٢٠ مؤتمر نيروبى. فيلم ٣٨. محفظة ٧٩. سرى جديد. خارجية.

- مواد النشرة السرية رقم ١٢ المؤرخة فى ١٤ نوفمبر ١٩٥١. ملف ١ رقم ٤٦/ ٤٠/ ٣ النشرة السرية ابتداء من ١/ ١/ ١٩٥٠م. محفظة ٢٧٨ (كود أرشيفى ٢٧٧) سرى جديد. خارجية.

- النشرة السرية رقم ١٣ المؤرخة فى ٤ ديسمبر ١٩٥١. ملف ١ رقم ٤٦/ ٤٠/ ٣ النشرة السرية ابتداء من ١/ ١/ ١٩٥٠م. محفظة ٢٧٨ (كود أرشيفى ٢٧٧) سرى جديد. خارجية.

- ملف ٣ ج١ رقم ٤٦/ ٤٠/ ٣٠. محفظة ٢٧٨ (كود أرشيفى ٢٧٧) سرى جديد. خارجية.

- خطاب من القائم بأعمال المفوضية المصرية العامة ببريتوريا حسين منصور لحضرة صاحب المعالى وزير الخارجية بشأن: وفد جنوب إفريقيا إلى مؤتمر نيروبى وحديث مع رئيس وبعض أعضاء الوفد. فى ١٥/ ٨/ ١٩٥١م. ملف ٦ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٠ مؤتمر نيروبى. فيلم ٣٨. محفظة ٧٩. سرى جديد. خارجية.

- خطاب من القائم بالأعمال حسين منصور بمفوضية بريتوريا إلى السيد وكيل الخارجية بشأن الحالة الدولية والخلاف بين مصر وإنجلترا. فى ٢٣/ ٥/ ١٩٥٢م. ملف ٢. فيلم ٥٤ بريتوريا. محفظة ٨٤. أرشيف البلدان. خارجية.

- خطاب من القائم بالأعمال حسين منصور بمفوضية بريتوريا إلى السيد وكيل الخارجية بشأن الحالة الدولية والخلاف بين مصر وإنجلترا، فى ٢٣/ ٥/ ١٩٥٢م، ملف ٢، فيلم ٥٤ بريتوريا، محفظة ٨٤، أرشيف البلدان، خارجية.

- خطاب من الوزير المفوض بمفوضية مصر بلاهاى محمد عصمت إلى حضرة وكيل وزارة الخارجية بخصوص منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط، فى ١٨ أغسطس ١٩٥٢م، ملف ٢ رقم ٣٨/ ٢٦/ ٢٨ الشرق الأوسط «المقترحات الرباعية «محفظة ٢٤٥، سرى جديد، خارجية.

- خطاب من القائم بأعمال المفوضية المصرية ببريتوريا حسين منصور إلى حضرة وكيل وزارة الخارجية بخصوص جنوب إفريقيا وقيادة الشرق الأوسط، فى ١٥/ ١/ ١٩٥٣م، ملف ٢ رقم ٣٨/ ٢٦/ ٢٨ الشرق الأوسط «المقترحات الرباعية» محفظة ٢٤٥، سرى جديد، خارجية.

- ملف ٢، فيلم ٥٤، محفظة ٨٤ بريتوريا، أرشيف بلدان، خارجية.

- خطاب مفوضية مصر ببريتوريا إلى السيد السفير وكيل الخارجية فى ١١/ ١١/ ١٩٥٣م، ملف ٣، فيلم ٥٤ بريتوريا، محفظة ٨٤، أرشيف البلدان، خارجية.

- خطاب مفوضية مصر ببريتوريا إلى السيد وكيل الخارجية عن زعيم المعارضة فى اتحاد جنوب إفريقيا، فى ٤/ ١/ ١٩٥٤م، ملف ١ رقم ٦٠/ ٤٣/ ١٦٣ مكرر، طلب معلومات عن شخصيات بارزة فى الخارج، محفظة ٣٣٥، سرى جديد، خارجية.

- ملف ٦ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٠ مؤتمر نيروبى، فيلم ٣٨، محفظة ٧٩، سرى جديد، خارجية.

- خطاب من سفير مصر بلندن إلى السيد وكيل الخارجية بشأن مؤتمر داكار لتنظيم الدفاع عن غرب إفريقيا، فى ٢٦ إبريل ١٩٥٤م، ملف ١، فيلم ٣٨، محفظة ٨٠، سرى جديد، خارجية

- خطاب عادل فاضل الملحق بسفارة مصر بباريس إلى سفير مصر بلندن عن مؤتمر داكار، ١٦ إبريل ١٩٥٤م، ملف١ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٤ ج ١، المؤتمر الخاص بإنشاء حلف للدفاع الإفريقى داكار مارس ١٩٥٤م، فيلم ٣٨، محفظة ٨٠، سرى جديد، خارجية.

- خطاب القائم بأعمال مفوضية جمهورية مصر ببريتوريا محمد سامى إلى وكيل الخارجية بشأن موقف حكومة جنوب إفريقيا من مؤتمر داكار وإنشاء حلف دفاعى إفريقى.

ملف ١ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٤ ج١. المؤتمر الخاص بإنشاء حلف للدفاع الإفريقى داكار مارس ١٩٥٤، فيلم ٣٨، محفظة ٨٠. سرى جديد. خارجية.

– تقرير مفوضية جمهورية مصر ببريتوريا عن زيارة وزير الدفاع فى اتحاد جنوب إفريقيا لبريطانيا فى ١٨ أغسطس ١٩٥٤م. ملف ٢. فيلم ٥٤ بريتوريا، محفظة ٨٤، أرشيف البلدان. خارجية.

– تقرير عن تصريح الدكتور مالان عن الاتفاق المصرى البريطانى والدفاع عن الشرق الأوسط مرفوع للسيد السفير وكيل الخارجية فى ٤ أغسطس ١٩٥٤م من مفوضية مصر ببريتوريا. ملف ٢. فيلم ٥٤ بريتوريا. محفظة ٨٤، أرشيف البلدان. خارجية.

– خطاب مفوضية مصر ببريتوريا إلى السيد السفير وكيل الخارجية بشأن خطاب الدكتور مالان فى مجلس النواب عن قناة السويس والدفاع عنها فى ٨ مايو ١٩٥٤م. ملف ٣. فيلم ٥٤ بريتوريا. محفظة ٨٤، أرشيف البلدان. خارجية.

– خطاب من القائم بأعمال مفوضية مصر ببريتوريا إلى السيد وكيل الخارجية عن زعيم المعارضة فى اتحاد جنوب إفريقيا. فى ٤/ ١/ ١٩٥٤م. ملف ١ رقم ٦٠/ ٤٣/ ١٦٣ مكرر. طلب معلومات عن شخصيات بارزة فى الخارج. محفظة ٣٣٥. سرى جديد. خارجية.

– تقرير عن تركيا والعالم العربى مرفوع من الدكتور محمود سامى حافظ سكرتير ثانى بسفارة مصر بأثينا. ٢٢ مارس ١٩٥٤م. ملف ١ رقم ٢٠٧/ ٧/ ج ٣ السفارة المصرية فى أثينا. تقارير سياسية. محفظة ٦٣١ (كود أرشيفى ٦٣٠) سرى جديد. خارجية.

– تقرير سفارة مصر ببيروت عن اتجاهات الولايات المتحدة وبريطانيا فى صدد مشكلة الدفاع عن الشرق الوسط. فى ٨ سبتمبر ١٩٥٥م. ملف ٢ رقم ٣٨/ ٢٧/ ٢٨ ملف الشرق الأوسط «المقترحات الرباعية». محفظة ٢٤٥. سرى جديد. خارجية.

– مذكرة إدارة الشئون السياسة بشأن التمثيل الدبلوماسى فى اتحاد جنوب إفريقيا واقتراح المفوضية المصرية رفعه إلى سفارة. ملف ٣. فيلم ٥٤ بريتوريا. محفظة ٨٤. أرشيف البلدان. خارجية.

– تقرير سفارة مصر ببيروت عن اتجاهات الولايات المتحدة وبريطانيا فى صدد مشكلة الدفاع عن الشرق الوسط فى ٨ سبتمبر ١٩٥٥م.ملف ٢رقم ٣٨/ ٢٧ / ٢٨ ملف الشرق الأوسط «المقترحات الرباعية». محفظة ٢٤٥. سرى جديد. خارجية.

– مذكرة رئيس قسم أوربا محمود معبد فى ١٤ مارس ١٩٥٥م. ملف ١. فيلم ٣٨. محفظة ٨٠. سرى جديد. خارجية.

– خطاب سفارة مصر بلندن للسيد وكيل الخارجية عن مناقشة الاتفاقية الخاصة بانضمام بريطانيا إلى الميثاق التركى العراقى بمجلس العموم البريطانى فى ١٣/ ٤/ ١٩٥٥م. ملف ١ رقم ٣٨/٢٧/١٧ ج ٢ الاتفاقيات التركية العراقية. محفظة ٢٤٩ (كود ٢٤٨). سرى جديد. خارجية.

– تقرير رئيس قسم إفريقيا سعيد لطفى الغمراوى عن تطور فكرة الدفاع عن إفريقيا. ٢١ يوليو ١٩٥٥م. ملف ٦ رقم ٤/١٤٢/ ٢٠ مؤتمر نيروبى. فيلم ٣٨. محفظة ٧٩. سرى جديد. خارجية.

– خطاب من القائم بأعمال مفوضية بريتوريا محمد سامى إلى السيد وكيل الخارجية بشأن التمثيل الدبلوماسى فى اتحاد جنوب إفريقيا. فى ٢٠ /٩/ ١٩٥٥م. ملف ٣. فيلم ٥٤ بريتوريا. محفظة ٨٣. أرشيف البلدان. خارجية.

– خطاب مفوضية مصر ببريتوريا بشأن تحليل لبيان رئيس الوزراء فى المجلس النيابى عن سياسة حكومته الداخلية والخارجية وموقفها من التطورات العالمية الأخيرة. فى ٢٧ مايو ١٩٥٥م. ملف ٣. فيلم ٥٤ بريتوريا. محفظة ٨٤. أرشيف البلدان. خارجية.

– خطاب من قائد جناح على صبرى مدير مكتب رئيس مجلس الوزراء للشئون السياسية إلى السيد وكيل الخارجية فى ١/ ٧/ ١٩٥٥م. ملف ٦ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٠ مؤتمر نيروبى. فيلم ٣٨. محفظة ٧٩. سرى جديد. خارجية.

– خطاب من وكيل الخارجية إلى السيد رئيس مجلس الوزراء للشئون السياسية. فى ١٥/ ٨/ ١٩٥٥م. ملف ٦ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٠ مؤتمر نيروبى. فيلم ٣٨. محفظة ٧٩. سرى جديد. خارجية.

– خطاب سفارة مصر بلندن إلى السيد وكيل الخارجية الدائم (إدارة الشئون السياسية) عن السياسة الدفاعية لحكومة اتحاد جنوب إفريقيا (وجهة النظر البريطانية) فى ٣٠ / ٩/ ١٩٥٥م. ملف ١. فيلم ٣٨. محفظة ٨٠. سرى جديد. خارجية.

– خطاب من قائد جناح على صبرى مدير مكتب رئيس مجلس الوزراء (للشئون السياسية) إلى السيد وكيل الخارجية. فى ١٦ أغسطس ١٩٥٥م. ملف ١. فيلم ٣٨. محفظة ٨٠. سرى جديد. خارجية.

- ملف ١. فيلم ٣٨. محفظة ٨٠. سرى جديد. خارجية.

- مذكرة إدارة الشئون السياسة بشأن التمثيل الدبلوماسى فى اتحاد جنوب إفريقيا واقتراح المفوضية المصرية رفعه إلى سفارة. ملف ٣. فيلم ٥٤ بريتوريا. محفظة ٨٤. أرشيف البلدان. خارجية.

- خطاب مفوضية بريتوريا إلى السيد وكيل الخارجية فى ١٣ /١١ /١٩٥٥م. ملف ٣. فيلم ٥٤ بريتوريا. محفظة ٨٤. أرشيف البلدان. خارجية.

- خطاب القائم بالأعمال محمد سامى بمفوضية بريتوريا عن حديث رئيس وزراء اتحاد جنوب إفريقيا معه عن نزاع مصر وإسرائيل وصفقة الأسلحة التشيكية فى ١٢ نوفمبر ١٩٥٥م إلى السيد وكيل الخارجية. ملف ٣. فيلم ٥٤ بريتوريا. محفظة ٨٤. أرشيف البلدان. خارجية.

- خطاب مفوضية مصر ببريتوريا إلى السيد وكيل الخارجية عن صدى انضمام إيران إلى الحلف العراقى التركى فى الأوساط الرسمية فى الاتحاد فى ١٥ نوفمبر ١٩٥٥م. ملف ٢ رقم ٣٨/ ٢٧/ ١٧ ج ٣. محفظة ٢٤٩ (كود ٢٤٨). سرى جديد. خارجية.

- خطاب من الوكيل المساعد للشئون السياسية لوزير الحربية والبحرية. فى ٣ يناير ١٩٥٦م. ملف ١. فيلم ٣٨. محفظة ٨٠. سرى جديد. خارجية.

- خطاب السفير أحمد حسن بسفارة مصر بليبيا إلى السيد السفير وكيل وزارة الخارجية عن معاهدة الصداقة الليبية التركية فى ٣ يناير ١٩٥٦م. ملف٢ رقم ٣٨/٢٧/١٧ ج ٣ الاتفاقات التركية - العراقية. محفظة ٢٤٩ (كود أرشيفى ٢٤٨). سرى جديد. خارجية.

- مذكرة إدارة الأبحاث بشأن الإيعاز للهيئات الوطنية اليونانية والقبرصية لإصدار بيان ينص على عدم السماح باستخدام القواعد البريطانية ضد الشعوب العربية. ١٤/ ٤/١٩٥٦. ملف ٢ رقم ٢٠٧/٧/١ ج ٤ التقارير السرية للسفارة المصرية فى أثينا. محفظة ٦٣١ (كود أرشيفى ٦٣٠) سرى جديد. خارجية.

- خطاب من القائم بالأعمال بمفوضية بريتوريا إلى السيد وكيل الخارجية الدائم. فى ١٥/ ٥/ ١٩٥٦. ملف ٣. فيلم ٥٤ بريتوريا. محفظة ٨٤. أرشيف البلدان. خارجية.

- مذكرة مفوضية مصر ببريتوريا عن سفر رئيس وزراء اتحاد جنوب إفريقيا إلى لندن لحضور اجتماع مؤتمر الكمنولث الذى سيعقد فى ٢٧/ ٦/ ١٩٥٦م. ملف ٣. فيلم ٥٤ بريتوريا. محفظة ٨٤. أرشيف البلدان. خارجية.

– مذكرة سفارة مصر بالهند فى شأن اقتراح رئيس وزراء جنوب إفريقيا تكوين حلف دفاعى بين بريطانيا وبلجيكا والبرتغال وفرنسا وبلاده. فى ١١/ ٧/ ١٩٥٦م. ملف ١. فيلم ٣٨. محفظة ٨٠. سرى جديد. خارجية.

– خطاب من الوزير المفوض ببريتوريا إلى السيد السفير وكيل الخارجية الدائم. فى ٢٣/ ٧/ ١٩٥٦. ملف ١. فيلم ٣٨. محفظة ٨٠. سرى جديد. خارجية.

– مذكرة أنور فريد السكرتير الأول بمفوضية جمهورية مصر ببريتوريا عن زيارة جورج ألن لاتحاد جنوب إفريقيا ومسالة حلف الدفاع المقترح. فى ٢٣/٧ / ١٩٥٦م. ملف ١. فيلم ٣٨. محفظة ٨٠. سرى جديد. خارجية.

– مذكرة مرفوعة للسيد مدير إدارة الشئون الإفريقية. فى ٢٤/ ٧/ ١٩٥٦م. ملف ١. فيلم ٣٨. محفظة ٨٠. سرى جديد. خارجية.

– مذكرة مدير إدارة الشئون الإفريقية للعرض على السيد الوكيل المساعد للشئون السياسية. فى ٢٣/ ٧/ ١٩٥٦م. ملف ١. فيلم ٣٨. محفظة ٨٠. سرى جديد. خارجية

– خطاب من الوزير المفوض ببريتوريا إلى وكيل الخارجية الدائم بشأن مؤتمر إفريقى لعقد حلف على غرار حلف الأطلنطى. فى ٢١/ ٨/ ١٩٥٦م. ملف ١ رقم ٤/١٤٢/ ٢٤ ج ١. المؤتمر الخاص بإنشاء حلف للدفاع الإفريقى داكار مارس ١٩٥٤م. فيلم ٣٨. محفظة ٨٠. سرى جديد. خارجية.

– مذكرة مدير إدارة الشئون الإفريقية بشأن سعى اتحاد جنوب إفريقيا لتكوين حلف دفاعى عن جنوب إفريقيا. فى ٢٣/ ٩/ ١٩٥٦م. ملف ٢. فيلم ٣٨. محفظة ٨٠. سرى جديد. خارجية.

– خطاب من سفارة جمهورية مصر بروما إلى السيد وكيل الخارجية فى ١٨ ديسمبر ١٩٥٦م. ملف ١ رقم ٣٨/ ٢٦/ ٢٥ ج ٣ حلف شمال الأطلنطى. محفظة ٩ ٢٤. سرى جديد. خارجية.

– خطاب من سفارة جمهورية مصر بموسكو إلى السيد وكيل الخارجية عن أغراض حلف الأطلنطى كما تبين للاتحاد السوفيتى فى ٣٠/ ١٢/ ١٩٥٦م. ملف ١ رقم ٣٨/ ٢٦/ ٢٥ ج ٣ حلف شمال الأطلنطى. محفظة٩ ٢٤. سرى جديد. خارجية.

– خطاب من مفوضية بريتوريا إلى السيد وكيل الخارجية بشأن افتتاح الدورة الخامسة للبرلمان الحادى عشر لاتحاد جنوب إفريقيا. فى ٢٥/ ١/ ١٩٥٧م. ملف ٧. فيلم ٥٤ بريتوريا. محفظة ٨٤. أرشيف البلدان. خارجية.

– الملخص ٦٨ من ٢٢ مارس إلى ٢٤ إبريل ١٩٥٧م مرسل من قائد جناح عصام الدين محمود خليل مساعد مدير المخابرات الحربية للقوات الجوية إلى مدير إدارة الشئون الإفريقية، في ٢٠/ ٣/ ١٩٥٧م، ملف رقم ٤١ سرى لعام ٥٦/ ١٩٥٧م ج ٦ ملخصات تقارير المخابرات الجوية، محفظة ٩٢٨ (كود أرشيفى ٧٣٣) سرى جديد، خارجية.

– تقرير إدارة الشئون الإفريقية عن إفريقيا الاستوائية الفرنسية، ١٧/ ١/ ١٩٥٧م، ملف ٣/ج ١ رقم ٤٦/ ٤٠/ ٣، محفظة ٢٧٨ (رقم المحفظة فى الكود الأرشيفى فى مشروع ميكنة الوثائق تحت الإنشاء ٢٧٧) سرى جديد، خارجية.

– خطاب من الوزير المفوض ببريتوريا إلى السيد السفير وكيل الخارجية فى ٣/ ٨/ ١٩٥٧م، ملف ٢، فيلم ٣٨، محفظة ٨٠، سرى جديد، خارجية.

– مذكرة مفوضية جمهورية مصر ببريتوريا إلى السيد السفير وكيل الخارجية، فى ٢٢/ ٧/ ١٩٥٧م، ملف ٢ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٤ ج ٥، المؤتمر الخاص بإنشاء حلف للدفاع الإفريقى، فيلم ٣٨، محفظة ٨٠، سرى جديد، خارجية.

– مذكرة مدير إدارة الشئون الإفريقية للسيد الوكيل المساعد للشئون السياسية، فى ٢٤/ ٦/ ١٩٥٧م، ملف ٢ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٤ ج ٥، المؤتمر الخاص بإنشاء حلف للدفاع الإفريقى، فيلم ٣٨، محفظة ٨٠، سرى جديد، خارجية.

– مذكرة من مدير إدارة الشئون الإفريقية إلى السيد الوكيل المساعد للشئون السياسية فى ١٥/ ٨/ ١٩٥٧م، ملف ٢، فيلم ٣٨، محفظة ٨٠، سرى جديد، خارجية.

– تقرير القائم بأعمال مفوضية جمهورية مصر ببريتوريا أحمد توفيق خليل فى سبتمبر ١٩٥٧، ملف ٢ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٤ ج ٥، المؤتمر الخاص بإنشاء حلف للدفاع الإفريقى، فيلم ٣٨، محفظة ٨٠، سرى جديد، خارجية.

– خطاب مفوضية جمهورية مصر ببريتوريا إلى السيد السفير وكيل الخارجية بشأن محادثات بين اتحاد جنوب إفريقيا والمملكة المتحدة حول شئون الدفاع عن القارة فى ٢٦/ ٩/ ١٩٥٧م، ملف ٢ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٤ ج ٥، المؤتمر الخاص بإنشاء حلف للدفاع الإفريقى، فيلم ٣٨، محفظة ٨٠، سرى جديد، خارجية.

– تقرير القائم بأعمال مفوضية جمهورية مصر ببريتوريا أحمد توفيق خليل فى سبتمبر ١٩٥٧م، ملف ٢ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٤ ج ٥، المؤتمر الخاص بإنشاء حلف للدفاع الإفريقى، فيلم ٣٨، محفظة ٨٠، سرى جديد، خارجية.

- خطاب سكرتير ثالث سفارة مصر بموسكو نبيل الدسوقي إلى السيد السفير وكيل الخارجية بشأن تداعيات إقامة كتلة عسكرية في إفريقيا. في ٢٧/ ٩/ ١٩٥٧م. ملف ٢ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٤ ج ٥. المؤتمر الخاص بإنشاء حلف للدفاع الإفريقي. فيلم ٣٨، محفظة ٨٠، سرى جديد، خارجية.

- خطاب من الوزير المفوض صالح محمود بمفوضية جمهورية مصر ببريتوريا إلى السيد السفير وكيل الخارجية (الإدارة الإفريقية). في ١٨/ ١/ ١٩٥٨م. ملف ٢ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٤ ج ٥. المؤتمر الخاص بإنشاء حلف للدفاع الإفريقي. فيلم ٣٨، محفظة ٨٠. سرى جديد. خارجية.

- خطاب مفوضية الجمهورية العربية المتحدة ببريتوريا إلى السيد السفير وكيل الخارجية في ٢٢/ ٥/ ١٩٥٨م. ملف ٧، فيلم ٥٤ بريتوريا. محفظة ٨٣. أرشيف البلدان. خارجية.

- خطاب من الوزير المفوض صالح محمود بمفوضية جمهورية مصر ببريتوريا إلى السيد وكيل الخارجية. في ٧/ ٦/ ١٩٥٨م. ملف ٢ رقم ٤/ ١٤٢/ ٢٤ ج ٥. المؤتمر الخاص بإنشاء حلف للدفاع الإفريقي. فيلم ٣٨. محفظة ٨٠. سرى جديد. خارجية.

ب- الوثائق الأجنبية:

- D.O.35105325/3135/:-About The Present Politics Trends 71947/6/.

- D.O.35105325/3135/:- About Record of Conversation of The Secretary of State with General Smuts 14 June 1948.

- D.O.353139//xc105325:- About Note on General Election Result.

- Dispatch 119115/9//G From Mohammed Salah EL-dean 12th July 1951

- ملف ٦ رقم ٤/١٤٢/٢٠ مؤتمر نيروبي. فيلم ٣٨. محفظة ٧٩. سرى جديد. خارجية.

- Agenda Conference Defense Facilities in Africa.

- ملف ٦ رقم ٤/١٤٢/٢٠ مؤتمر نيروبي. فيلم ٣٨. محفظة ٧٩. سرى جديد. خارجية.

- Union Accepts Membership of Middle East Command

- ملف ٢. فيلم ٥٤ بريتوريا. محفظة ٨٤. أرشيف البلدان. خارجية.

- Colven Ian :- South Africa Seeks Defense Partner. The Daily Telegraph. 4/ 4 /1956.

- ملف ٢ رقم ٧/٢٢٥ التقارير السياسية للسفارة المصرية بأديس أبابا عن إثيوبيا ١٩٥٦م. فيلم ٥٠ أديس أبابا. محفظة ٧٩. أرشيف البلدان. خارجية.

ثانيا ـ الوثائق المنشورة:

- جمال عبد الناصر:- فلسفة الثورة. مصلحة الاستعلامات. دار مطابع الشعب.
- جمال عبد الناصر:- فلسفة الثورة. هيئة الاستعلامات. وزارة الثقافة والإعلام.
- مؤتمر الشعوب الإفريقية الآسيوية ٢٦ ديسمبر ١٩٥٧م - ١ يناير ١٩٥٨م. الكتاب الخاص بالكلمات الافتتاحية والقرارات والكلمات الختامية. السكرتارية الدائمة لتضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية.
- النشرة الثقافية المصرية. العدد الثانى. إبريل مايو يونيو ١٩٥٧م. جمهورية مصر. وزارة التربية والتعليم. الإدارة العامة للثقافة. مطبعة مخيمر.

ثالثا ـ المراجع العربية والمعربة:

- حمادة حسنى أحمد محمد:- التنظيمات السياسية لثورة يوليو ١٩٥٢م (١٩٥٣م - ١٩٦١م). سلسلة تاريخ المصريين. العدد ٢٢٠. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. ٢٠٠٢.
- طاهر ابراهيم فداب:- حركة تحرير إريتريا ومسيرتها التاريخية (فى الفترة ما بين ١٩٥٨م إلى ١٩٦٧م) كتاب وثائقى. مطابع الشروق. القاهرة. ١٩٩٤م.
- عبد الرؤوف أحمد عمرو:- تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية ١٩٣٩م-١٩٥٧م. سلسلة تاريخ المصريين. العدد ٤٦. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٩١م.
- كولين ليجوم:- الجامعة الإفريقية دليل سياسى موجز. ترجمة أحمد محمود سليمان. مراجعة عبد الملك عودة. الدار المصرية للتاليف والترجمة. سلسلة دراسات إفريقية. العدد ٩. مطابع سجل العرب. القاهرة. ١٩٦٦م.

رابعا ـ المراجع الأجنبية:

- Fabunmi L.A. :- The Sudan in Anglo -Egyptian Relation. A case Study in Power Politics 1800- 1956 . Longmans. London. 1960.

خامسا ـ الدوريات العربية:

– السيد فليفل :– علاقات مصر بجنوب إفريقيا، أكاديمية ناصر العسكرية العليا، مركز الدراسات الاستراتيجية، ديسمبر ١٩٩٣م.

– تحـول الحرب الباردة إلى إفريقيا. انتشـار الشـيوعية إلى خط الاسـتواء، الأهرام، ٢٦/ ١٠/ ١٩٥٢م.

– عاصم الدسـوقي :– الشرق الأوسط الكبير.. مشـروع استعمارى متجدد لقطع تواصل العرب، فى عبادة كحيلة (محرر) مصر والوطن العربى.. تواصل أم انقطاع، ندوة الجمعية المصرية للدراسـات التاريخية فـى إبريل ٢٠٠٦م، مطبوعات مركز البحوث والدراسـات الاجتماعية، كلية الاداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٨م.

– على بركات :– ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م «محاولة بناء نظرية»، فى محمد صابر عرب ورؤوف عباس حامد :– خمسـون عامـا على ثورة يوليو ١٩٥٢م، أبحـاث الندوة الدولية التـى عقدت فـى الفترة من ٢٠ – ٢٢ يوليو ٢٠٠٢م، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٣م.

– قاعدة جوية فى جنوب إفريقيا للدفاع عن الشرق الأوسط، آخر ساعة، العدد ٩٥٤، فى ٤ فبراير ١٩٥٣م.

– مرور وزير الدفاع فى جنوب إفريقيا بالقاهرة، الأهرام فى ١٣/ ١١/ ١٩٥٢م.

– نفوذ مصر بإفريقيا، الأهرام ٢٧/ ٧ /١٩٥٢م.

سادسا ـ الدوريات الانجليزية:ـ

– Abgunrim .Olayiwola :– The Arab And The Southern African Problem. International Affairs (Royal Institution of International Affairs1944). Vol.60,No.1. (Winter 1983 – 1984).

– Coker Christopher :– The Western Alliance and Africa 1949 – 1981 . African Affairs . Vol.81. (Jul.1982) No.324.

– Conference on African Defense. International Organization. Vol.5 No.4. (Nov.1951).

– Deverux David :– Britian , The Commonwealth and Defense of The

Middle East (1948 - 1956). Journal of Contemporary History Studies on War. Vol.24. (Apr.1989) No.2.

- EL-Khawas M. Mohamed:- Africa and The Middle East Crisis , Issue. Journal of Opinion Vol.5. (Spring.1975) No.1.

- Hurrell Andrew: - The Politics of South Atlantic Security: A Survey of Proposals for a South Atlantic Treaty Organization International Affairs (Royal Institution of International Affairs1944). Vol.60 No.1. (Spring 1983).

- Ismael Tareq Y:- The United Arab Republic in Africa. Canadian Journal of African Studies . Vol.2.No.2. (Autumn 1968).

- Robert M.Price:- Pretoria Southern African Strategy. African Affairs. Vol.83.No.330 (Jan.1983).

- Robert M.Price:- Security versus Growth International Factor in South Africa Policy. Annals of American Academy of Political and Social Science. Vol.489. International Affairs in Africa (Jan.1987).

- Singh Anita Inder:-Keeping Indian in The Commonwealth: British Political and Military Aims 1947 - 1949. Journal of Contemporary History . Vol.20. (Jul.1985) No.3.

سابعا ـ الرسائل العلمية:

- أحمد عبد الدايم محمد حسين: التعليم والعنصرية فى جنوب إفريقيا فى الفترة من ١٩٤٨ - ١٩٧٦، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠١م.

□□□

القيادة.. وآليات العمل الإفريقى فى الفترة الناصرية

حلمى شعراوى

مدير مركز البحوث العربية والإفريقية

– ١ –

لا تنشأ أية إدارة جديدة، لمجتمع ما، من فراغ، مهما اتخذت شكلا انقلابيا أو ثوريا. فهى فى جدل عضوى بالتأكيد مع المرحلة الاجتماعية السابقة، تأخذ منها وتسقط، وتنمى، حتى تنطلق إلى آفاقها الجديدة. وقد كان هذا شأن ثورة يوليو الوطنية ١٩٥٢م. ويشكل توجه «يوليو» الإفريقى على وجه الخصوص معظم ملامح «يوليو» الوطنية، بل وتشكل مواقفها فى هذا المجال أكثر توجهاتها «ثورية». ولذا فإن نسق إدارة هذا المجال يتخذ أهمية خاصة فى تقديرى، لأنه مازال حتى الآن هو الذى يشار إليه فى قياس معظم الدلالات عن مدى «التزام مصر» الوطنى أو الثورى تجاه العالم الخارجى، بقدر ما بقى السؤال عن حضورنا أو غيابنا فى الساحة الإفريقية، ولا ينفى هذا حيوية العلاقة وعضويتها أيضا بالنسبة للفضاءات الأخرى (عربية وغيرها).

ولابد أن يقوم نسق إدارة المجال على خيارات معينة تحكمها التحولات السائدة. وقد سادت فى أوائل عقد الخمسينيات صياغات عن «المجال الحيوى» و«الدور الحضارى أو السياسى» كتعبيرات موروثة من تطورات السياسة الدولية بعد الحرب الثانية، مثلما سادت بعد ذلك صياغات «الزعامة» و«الريادة» بين القوى الجديدة التى برزت فى العالم الثالث خاصة.

وإذا ما تجاوزنا هذا التفرد «المثالى» لحالة يوليو، كما يصيغه البعض، فى مجال كان لمصر فيه لفترة طويلة أشكال من التعبير لا تغفلها عين، فإننا يمكننا أن نقول أن منطلقات يوليو الوطنية، كانت تتفاعل مع مقدمات أعقبت الحرب الثانية على وجه الخصوص نتيجة فورة الحركة الوطنية والديمقراطية فى تلك الفترة. ولم تكن «حرب فلسطين»

وحدهـا، هى مصدر هذا التفاعل، كمـا يبدو للبعض أيضا. وإنما كان هناك تهديد التطلع الأمريكـى المبكـر تجاه المنطقة. والذى طرح نفسـه فى محاولة جـر مصر إلى حرب كوريا ورفضت. أو إلحاقها بالبيان الثلاثي للقوى الغربية الكبرى ١٩٥٠م ورفضته كذلك لارتباطه بتحالفات الحرب الباردة فى إطار الأحلاف العسكرية والسياسية التى واجهتها مصر طوال الخمسينيات. ومن ثم صارت دائرة التحرر الوطنى ومواجهة الاستعمار الجديد هى المنطلق الأول لأية صياغة وطنية وقومية فى تلك الفترة.

سـوف لا أعود هنا إلى ما سـبق أن كتبته أو عبرت عنه فى مناسبات تتعلق بالرد على البعض بشأن محاصرة مفهوم يوليو التحررى فى فكرة الدوائر الثلاث وترتيبها وفق أولويات «العربـى» - «الإفريقى» - «الإسـلامى». لأن وقائع تعامل يوليـو مع العالم الخارجى كما أشرت قد حكمتها منذ البداية دائرة التحرر الوطنى العالمية الأوسع من هذا الترتيب عمليا ونظريا. والتى شاءت الظروف - مع تطلع يوليو الأساسى للتخلص من الاستعمار البريطانى المباشر - أن تنطلق فى إطار عقيدة التحرر الوطنى إلى الدائرة الوطنية الإفريقية قبل غيرها. ليـس بمعنـى تراتبية هذا الاتجاه أو ذاك ولكن بمعنى ضرورات الموقف الذى فرض نفسـه لاستكمال عملية التحرر الوطنى الشامل.

وقـد لعبـت الآلية البراجماتية دورهـا فى دفع «يوليو» أكثر من مـرة إلى إعادة ترتيب أوراقهـا إزاء الاعتبارات العملية. بحيث بدا ذلك «خيارا» مرة أو توجها سياسـيا للإدارة الجديدة مرة أخرى. لأن القيادة هنا لم تقم بالتعبير عن نفسـها بخيار أيديولوجى نظرى محـدد. بقدر ما كان خيارهـا الوطنى هو «الأيديولوجية» التـى لا ينقصها التعبير. وهى تواجه عمليات الاستعمار الجديد. وتبلور إمبريالية ما بعد الحرب الثانية.

ولـذا يمكـن القول إن ثورة يوليو لم تتبنى منهج «تصدير الثورة» كما يصور البعض بقدر ما هو تحالف وطنى ضد الاستعمار.

وعندما سـألت محمد فايق فى حوارات مطولة معه - لم تنشـر بعد - عما كان يقرأه جمال عبد الناصر ويتعلمه هو وزملاؤه فى كلية الأركان قبل الثورة أكد ما نشر فى دراسات عدة عن عبد الناصر من إحاطته واهتمامه بدراسـات الشـرق الأوسط والاستراتيجيات التى تصـاغ حولـه. هنا يمكـن المقارنة فى تلك الفترة مع كثافة وضع السـودان الأساسـى فى الصياغة الوطنية عند «الوفد». كما كانت العلاقة الاشتراكية أساسا عند الشيوعيين. بينما

انخرطت التيارات الإسلامية فى موجة العداء للشيوعية الدولية وانعكس ذلك بالطبع على علاقة الضباط الوطنيين بهذه القوى من جهة وعلى صياغة المفاهيم السياسية – حتى بقدر براجماتيتها – عن العالم الخارجى من جهة أخرى، لتجعل دائرة التحرر الوطنى هى صاحبة الأولوية وليست صياغة الدوائر الثلاث المعهودة.

ومن هنا تبرز قيمة «العمل الإفريقى»، وموقعه عند قيادة يوليو. بل وتبرز مكانة «مكتب الشئون الإفريقية» بين «مكاتب الرئاسة» المعروفة. وهنا أيضًا يفرض الواقع براجماتية الحركة، ونوعية الأيديولوجيا الوطنية. فالواقع المباشر المحيط بمصر معبأ بقضية السودان، وأزمة الصومال وإريتريا فى الأمم المتحدة، والعنف الفرنسى فى شمال إفريقيا، والمستوطنون البيض فى أنحاء مختلفة من القارة؛ فضلا عن وجود الجاليات العربية وآثار التاريخ العربى والإسلامى فى شرق وغرب القارة ولذا أصبحت الخيارات الوطنية البراجماتية تفرض نفسها على الموقف. ويذكر مثلا كيف كانت كتابات حول «الإمبراطورية المصرية» فى إفريقيا، أو «مصر ورسالتها»، هى الخلفية المحتملة، وراء تفكير شباب هذه المرحلة – جمال عبد الناصر وغيره – فى اتجاه إفريقيا، وإن شغلته هواجس أبعد من ذلك فسوف تمتد من مشروعات «هرتزل» فى مطلع القرن العشرين لمد مياه النيل إلى العريش، أو الأطماع الصهيونيه فى منطقة حوض النيل نفسه (أوغندا كمستوطنة) أو مدى ضمان اتفاقية مياه النيل ١٩٢٩م لتوفير المياه لمصر، وتأسيس مبدأ العمل مع الإنجليز فى تنظيم وصول هذه المياه من المستعمرات البريطانية (مشروع خزان أوين فى أوغندا وتنفيذه عام ١٩٥٤م/ ١٩٥٥م).

ولن نتردد هنا فى القول أن ذلك كله كان مرتبطا بفكر البرجوازية الزراعية فى مصر الذى اقتصر على الرغبة فى حماية مصادر المياه، وهو الفكر نفسه الذى حكم برامج بعض الأحزاب السياسية المصرية حتى ذلك الوقت ولفترة طويلة بعدها، بل وحكمت آثاره أفكار البرجوازية والطبقة الوسطى فى مصر عن إفريقيا والأمن القومى لمصر لعدة عقود.

– ٢ –

إذا فقد كان دخول مصر عالم التحرر الوطنى، نقلة إلى عالم جديد، تجاوز هموم مصر القطرية مع الاحتلال البريطانى، وحتى محيطها القطرى بشأن مياه النيل، وبدت ملامح السياسة الاستعمارية حول الشرق الأوسط تمثل القلق الأساسى عند القائد الجديد،

وخطـة التنمية الجديدة المطروحـة عليه بحيث باتت مصدر التطلعات الجديدة لمشـروع الدولة الوطنية وآليات عملها.

فرضت التطلعات الوطنية الجديدة التحرك على أكثر من جبهة فى وقت واحد تقريبا مع اعتماد أسلوب التفاوض والتلويح بالقوة فى نفس الوقت، بل وأتاحت ظروف موجة التحرر العالمية وسـندها الاشتراكى فرصة جديدة لآلية الضغط على مناطق الوجع الاستعمارية، ثم الانتماء للعالم الجديد للتحرر الوطنى ودخوله من أوسع أبوابه فى «باندونج».

أ – كان التفاوض يجرى بشـأن جلاء الإنجليـز عن مصر. وإمكانيات بقاء وحدة مصر والسـودان، لكـن كان هنـاك أيضا مبدأ حق تقرير المصير للشـعب السـودانى، بل وكان فى الأدراج وفى اللجان الوطنية بمصر دراسـات لمبدأ آخر عن حق الشـعوب فى ثرواتها (قناة السويس – مشروع السد العالى..). وارتبط التفاوض بالتلويح باستعمال العنف الوطنى المضاد للعنف الاسـتعمارى من خلال العمل الفدائى فى منطقة قناة السـويس. وتكشـف دراسـات أخرى تفاصيـل هذه الآلية، لكن ما يهمنى هنا الإشـارة التى سـجلتها خلال حواراتـى مع محمـد فايق عن التلويح بالقوة نفسـها ضد الاسـتعمار البريطانى فى كينيا وأوغندا (دعم ثورة الماوماو.. إذاعة السـواحيلية والتجرينيـة من القاهرة!). وكان لابد من التسليم باستقلال السودان، وتأكيد الوجود المصرى فى الصومال فى نفس الوقت. كما بدأت بريطانيا تقلق على مصالحها فى شـرق إفريقيا مثل قلق الولايات المتحدة على قواعدها فى إثيوبيـا. ومعنى ذلك أن مبدأ التحرر الوطنى شـد قيادة يوليو منذ اللحظات الأولى، وعلى الأرض الإفريقية أساسـا؛ وبآلية المواجهة السـاخنة. فى الوقت نفسـه تصاعد هذا الحس الوطنـى ليمتـد إلى الجزائر ثم إلى الكونغو، ثم إلى الجنـوب العربى، وهذه جميعا مباحث أساسية لاهتمام الباحث العربى والإفريقى على السواء.

ب – انتقل اهتمام الثورة المصرية سريعا إلى إدراك بعد الانتماء إلى عالم التحرر الوطنى الواسـع مع انعقاد مؤتمر باندونج الآسـيوى الإفريقى– أبريل ١٩٥٥م. ولن ننسـى أن هذا المؤتمـر كان حكوميا، بل وكانـت الغلبة العددية فيه لحكومات محافظة، كما كانت مصر فيه ضمن أربع دول مسـتقلة فقط من إفريقيا، ومع ذلك فإن صوت التحرر الوطنى بدأ هو فى الغالب بوجود إندونيسـيا والهند والصين، وعلو صوت المبادئ الآسـيوية للاسـتقلال والحياد (البانشاتشـيلا).. إلخ وهنا حدث ما سمى «اكتشـاف آسيا» فى مصر، واكتشاف

الآسيويين لقيادة عبد الناصر الشابة. ومع اكتشاف عبد الناصر نفسه لآسيا، انتبه لقيمة تمثيله لإفريقيا هناك وأهمية مضاعفة وزنها السياسى عبر العمل الإفريقى. لعل ذلك هو الذى جعله يصدر فى يناير ١٩٥٦م مذكرة تخطيطية للسياسة الإفريقية بحيث تكون تحت إشراف مركزى لزكريا محيى الدين عضو مجلس قيادة الثورة مع شخصيات مسئولة أخرى فى ذلك الوقت مثل عبد المنعم القيسونى. وكان محمد فايق يعمل منذ كلفه عبد الناصر من أوائل ١٩٥٣م مع زكريا محيى الدين لبناء المخابرات العامة فى مواجهة إسرائيل أساسا.

ولم يكن العمل الإفريقى فى انتظار هذه الترتيبات الرسمية، لأن أحداث السودان من جهة ومقتل كمال الدين صلاح ممثلها فى لجنة الوصاية الدولية بالصومال عام ١٩٥٤م من جهة أخرى كان قد دفع التحرك الإفريقى لمصر مبكرا. وقد رأينا كيف تأسست برامج الإذاعات الموجهة لإفريقيا مع بدء المفاوضات مع الإنجليز حول السودان (ولم تغب عنها قضايا مياه النيل نفسها) كما جرى تعبئة شباب إفريقيا فى الأزهر، والانتباه لتحركات الأمريكيين عبر إثيوبيا فى السودان فشدت مصر لقضية إريتريا بدورها من وجهة نظر وطنية خلافا للموقف الدبلوماسى بشأنها فى الأمم المتحدة عام ١٩٥١م.

إلى هنا ويبقى فى الثقافة السياسية تساؤل عما إذا كان للبعد الأيديولوجى (فكرة تصدير الثورة) أم الضرورات العملية فى إطار التحرير الوطنى هى التى كانت تحرك الواقع السياسى المصرى تجاه إفريقيا فى بدء انطلاق ثورة يوليو نحو الخارج؟ وعما إذا كان الواقع الثقافى والتربوى والإعلامى يساير هذه الحاجات العملية والأيديولوجية لتلك الفترة؟

– ٣ –

قد يساعد على الإجابة عن التساؤلات السابقة، اكتشاف مصر يوليو لحجم العداوات الكامنة ضدها فى أكثر من موقع فى فترة قليلة بين ١٩٥٤م/ ١٩٥٦م. فالعداء الإسرائيلى وقع عسكريا على الحدود المصرية، والعداء الاستعمارى وقع بمقتل كمال الدين صلاح فى الصومال والعداء الإمبريالى وقع بموقف أمريكا من مصر فى البنك الدولى بل وتسمية القوى التقدمية فى باندونج بما يشبه صفات «الدول المارقة» فى مطلع القرن الواحد والعشرين. لكن ذلك لم يوقف حركة القيادة المصرية عن التحرك فى الاتجاه الإفريقى – مثل غيره – لمواجهة هذه العداوات المتنوعة لتعويق تطلعاتها المستقبلية.

وتعـددت المحطات التـي يجب أن نتوقف عندها في قياس قوة العمل الإفريقي ومدى انتبـاه القيادة نفسـها له كآلية لمصدر قوتها الدوليـة. ويمكن أن نرصد- بدون تفاصيل عن التحرك نفسه - عدة محطات رئيسية في هذا الصدد:

- فقد أعقب انعقاد «باندونج» الحكومي في إندونيسـيا تحرك الهند نفسـها نحو مصر للتعاون في عقد مؤتمر كبير للشعوب الإفريقية والآسيوية، وفي القاهرة بالتحديد. وجاءت وفـود هنديـة لعبد الناصر (عقب العـدوان الثلاثي ١٩٥٦م) لترتيب عقـد هذا المؤتمر بعد انسـحاب المعتدين ١٩٥٧م. فانعقد مؤتمر تضامن الشعوب الإفريقية الآسيوية في السادس والعشرين من ديسمبر ١٩٥٧م حتى أول يناير ١٩٥٨م.

- وكانت المحطة الثانية هي بداية اسـتضافة مصـر لممثلي حركات التحرير الإفريقية من بين من حضروا مؤتمر القاهرة. ويلفت النظر هنا بداية المواجهة المباشـرة مع الاستعمار الفرنسـي الذي كانت المعركة المسلحة ضده في الجزائر. وامتدت إلى جانب حضور تمثيل الثورة الجزائرية في القاهرة إلى تمثيـل شـعوب المستعمرات الفرنسية (حزب اتحاد شعب الكامـيرون UPC)، وبالمثل كان الأمر بالنسـبة للمسـتعمرات البريطانية خاصة المحيطة بحـوض النيل: الاتحاد الوطني - (الكانو KANU من كينيا - المؤتمر الوطني UNC من أوغنـدا) بل وامتـد العمل ضد النظام العنصري في جنوبـي إفريقيا (حزب المؤتمر الوطني الإفريقي ANC وحزب اتحاد شعب زيمبابوي ZAPU) كما امتد إلى منطقة النفوذ الأمريكي المباشرة في إثيوبيا باستضافة قيادات حركة التحرر الإريترية.

كانـت الرابطة الإفريقية بالزمالك رمزا مصريا للتحرر الوطني، سـواء من داخل المبنى أو بتعـاون إداراتهـا مـع ممثلي التحرر الوطنـي الإفريقي الذي امتـد إلى تمثيل الصومال وزنجبار وإريتريا وتشـاد والسـنغال ثم الكونغـو. بما وصل إلى منتصف السـبعينيات إلى حـوالي ٢٥ حركة تحرير شـهدت القاهـرة تمثيلها، وتفاعلها مع شـعوبها عبر الإذاعات والطلاب من جهة (بيت شرق إفريقيا بمنشية البكري)، وتفاعلها مع العالم عبر الاتصالات بالدبلوماسيين والهيئات الدولية من جهة أخرى. وكانت ثورة «الماوماو» لفترة وثورة الجزائر لفـترة أخـرى والثورة في الكونغو وأزمتها بقيادة لومومبا لفترة من السـتينيات ثم مواجهة الاسـتعمار الاستيطاني في جنوب إفريقيا وروديسـيا وناميبيا لفترة رابعة هي أهم أحداث الستينيات، ولم تخبو مع انتكاسه ١٩٦٧م بقدر ما ظلت عقب ذلك وحتى السبعينيات بدعم

ثورة الكفاح المسلح فى المستعمرات البرتغالية بقيادة كابرال (غينيا بيساو) ونيتو (أنجولا) وموندلانى (موزمبيق).

– وثمــة محطة أخــرى يتوقف عندها المراقب للعمل الإفريقــى، قد تختلف نوعيا فى عمليــة التحــرر الوطنى وهى قيام منظمــة الوحدة الإفريقية ١٩٦٣م. وثمة دراســة أخرى ضرورية لأبعاد هذا الحدث لكننا لابد أن نســجل عنه. ارتباطه بفتور العمل الشــعبى من جهة (توقف مؤتمرات الشعوب الإفريقية) وظهور محاور التنافس بين دول التحرر الوطنى من جهة أخرى (غانا – الجزائر – مصر – تنزانيا..) ولكنه شــهد أيضا قوة حضور وتأثير مجموعة التحرر المنافســة هذه وســط الأغلبية المحافظة (بدأت بثــلاث وثلاثين دولة فى منظمة الوحدة الإفريقية ١٩٦٣م) بل وحضور مادى ثورى بتبنى لجنة تحرير المســتعمرات فى دار الســلام ومدها بالســلاح للعمل المسلح وخاصة فى المســتعمرات البرتغالية. وهو ما التزمت بدعمه ثورة يوليو والجزائر مع تنزانيا على نطاق واسع.

– أدت هذه التفاعلات الساخنة مع قضايا القارة إلى أن يلهث «العمل الإفريقى وآلياته» فى مصر للاســتجابة لهذه التفاعلات، ولم يكن غياب الثقافة السياســية الواسعة الخاصة بهذا المجال، أو ضعف العمل الشــعبى المنظم، كما لم تكن نكســة ١٩٦٧م نفسها بعوامل كــف لهذه الانطلاقة. وفى تقديرى أن «مؤســـة العمل» حول هــذه القضايا برغم مركزية القيادة تركت بصمتها واضحة على تاريخه... وألفت النظر هنا إلى أن تعدد «مراكز القوى» بين هذه الآليات، بل وتنافســها وحتى صراعاتهــا أحيانا كان مصدر «غنى» وليس مصدر إضعــاف كما يتصور البعــض، مثلما أن تعدد مراكز القوى فى الدولة يمكن أن يكون مصدر تعبير ديمقراطى وليس مصدرا دائما للفساد!

– ٤ –

لــو اخترنا فترة ١٩٥٨م/ ١٩٦٠م وأحداثها منطلقا للتعرف إلى المعالم المؤســسية للعمل الإفريقى فى مصر إزاء تبلور بعضها بشكل بارز نسبيا فسوف نجد الآتى:

١ – تبلــور عمل مكتب الشــئون الإفريقية برئاســة الجمهورية عــام ١٩٦٠م بناء على وضــوح تخصيص محمد فايق لهذا العمل، وبصلة مباشــرة بجمال عبد الناصر الذى أبدى اهتمامه الخاص بدوره بهذا المجال، برغم القرار السابق بمسئولية زكريا محيى الدين وفق

قــرار ١٩٥٦م. وقد أصبح محمد فايق مركز الاتصال الرئيســى فى كافة مجالات الشـئون الإفريقية تعاونه الأقسام المعنية بمجلس الدفاع الوطنى، برغم نفوذ المخابرات العامة عليها، كما تخدمــه صلة المكتب والمجلس بالرابطة الإفريقية. ولابد أن نلاحظ هنا إننا لا نتعرض لدور وزارة الخارجية والذى خفت فى هذا المجال إلى حد كبير بعد تركيز العمل الإفريقى فى الرئاسة بقيادة محمد فايق ومعاونيه.

٢ – اعتمــاد مبدأ تمثيل حركات التحرير الإفريقيــة فى مقر الرابطة الإفريقية وحولها بالزمالك بحيث كان يقبل تمثيل أكثر من حركة واحدة من البلد الواحد، وكان بعض أعضاء مكتب الحركة يمثلونها أيضا فى سكرتارية التضامن الإفريقى الآسيوى. وقد بلغ عدد هذه الحركات الممثلة خلال الســتينيات حوالى ٢٥ حركة تحرير وطنية إفريقية من ثمانية عشر بلدا إفريقيا خلافا لحكومة الجزائر المؤقتة (فى المنفى قبل التحرير).

٣ – كانت كثافة هذا التمثيل قائمة فى إطار الرابطة الإفريقية نفسها وهى التى كانت الجمعية الأهلية التى حملت نفس الاسم منذ أسســها محمد عبد العزيز إسحاق ومجموعة من الأســاتذة والصحفيــين والباحثين المصريين منذ أوائــل ١٩٥٦م وبعد عودة بعضهم من الســودان. وهى التى أســست بالفعل العمل الإفريقى الشـعبى والثقافى فى مصر فى تلك الفترة حيث غاب ذلك كثيرا عن القطاعات ذات الصلة الأصلية به. وضمت الرابطة نشاطا طلابيا واســعا من أبناء الشـعوب الإفريقية الذين كان معظمهم يدرس بالأزهر بأعداد كبيرة وخاصة من الصومال وتشاد ونيجيريا والسنغال وإريتريا وموريتانيا فضلا عن السودان شماله وجنوبه وأبناء الشــمال الإفريقى العربى الذين وصل عددهم فى القاهرة فى تلك الفترة أكثر من عشــرين ألف طالب يــدرس معظمهم بالمجان ويتقاضى عدد منهم منحا دراســية (فى حدود عشرة جنيهات..).

٤ – فــى إطار الرابطة الإفريقية أيضا صدرت مجلــة «نهضة إفريقية» فى عام ١٩٥٨م وبقيت تعبيرا قويا عن الحضور الإفريقى فى مصر لمدة عقد من الزمان على الأقل بعون من وزارة الإرشــاد القومى (الثقافة والإعلام فيما بعد). وفى هذا الإطار نشــط الجانب السياسى الوطنــى، مــع الطلابى، مع الثقافى بما جعل الرابطة الإفريقية تبدو كيانا إفريقيا فى رأى البعض لكن هؤلاء أيضا لاحظوا أن ذلك لم يرتبط بثقافة سياسية عامة فى المجتمع مبلورة هذا الترابط الذى عبرت عنه منطقة الزمالك!. وقد كان لى شــرف الانضمام لهذه «الرابطة»

منــذ أوائل ١٩٥٦م، مما ربطني بقيادات حركات التحرير، وقيادات الطلاب الأفارقة في مصر، حيث عملت كمنســق لمكاتب حركات التحرير في علاقتها «بأجهزة الحكومة» من جهــة بل وأشــرفت فترة على «بيت شــرق إفريقيا» الذي ضم الطــلاب الموفدين على منح دراســية من هــذه المنطقة لمدة عامين تقريبــا ١٩٥٨م - ١٩٦٠م حــين تم إلحاقي بجهاز الرئاسة ١٩٦٠م مع الاستمرار في هذا العمل التحريري والثقافي في الرابطة الإفريقية بصفتي الرسمية لمدة عقد ونصف من الزمان، ومن خارج السلطة لعقد آخر.

٥ - ومثلما خفت دور وزارة الخارجية لفترة من الخمســينيات والســتينيات، اختفى دور مؤســســات شــعبية كان يمكن أن تعطي البعد الإفريقي مكانة أكبر في الثقافة السياسة المصريــة. ولا شــك أن اختفــاء أدوار بحجــم الراحل فؤاد جلال لموقعــه في مجلس الأمة أو الاتحاد القومي وبعض من التفوا حوله من الشخصيات العامة (عبده سلام...) كان تعبيرا أكيدا عن ضعف دور هذه المؤســســات في القرار السياســي والثقافة الشــعبية بشكل واضح (ســواء فــي مصر وفي دول التحرر الوطني المماثلة.. غانــا..) حيث لم نلحظ أي تطور في دور التنظيمات السياســية في هذا المجال إلا لماما بينما كانت تنمو عملية التثقيف الموجه عموما وخاصة في الاتحاد الاشــتراكي ومنظمة الشــباب طوال أعوام النهوض الإفريقي في الســتينيات. ولا يمكن التحفظ على هذا الحكم إلا بإبراز دور «الاتحاد العام للعمال» بقيادة الراحل أحمد فهيم. والذي دفعه ليس قوة وضعه في القرار السياســي بمصر بقدر قوة علاقته باتحادات إفريقية وقيادات عمالية ذات وزن في سياســة بلادها مثل «تيتجا» (في غانا)، وصديق (في المغرب)، والشــفيع أحمد الشــيخ في السودان، وتوم مبويا في كينيا، وكاواوا في تنزانيا.. إلخ.

٦ - وفي غياب التنظيم السياســي المسئول عن الصلة بحركات التحرر الإفريقية والتطور السياســي في القارة ظلت علاقة هذه الحركات بمجموعة شــخصيات فعالة في المجتمع مثلما قلنا عن فؤاد جلال وأحمد فهيم كما نشطت بأشكال مختلفة في إطار منظمة التضامن حيث برز اسم يوسف السباعي بدوره.

٧ - عبر العمل على المســتوى الإســلامي والمســيحي عما أسميناه ببراجماتية يوليو، وتمثل ذلك في التعبيرات الثقافية التي بلغت حد الســذاجة والملل عن دور الأزهر ومكانته في إفريقيا، أو رسالة نشر الإسلام والعروبة في إفريقيا كمهام تاريخية «لمصر» وليس يوليو

نفسـها وهذا ما أدى إلى استياء زعماء الاستقلال الجدد من هذا الوضع وتحفظ بعضهم عند عبد الناصر. كذلك الحال عند الإشـارة لعلاقة الكنيسة المتميزة مع الكنيسة «الحبشية» فى إثيوبيا، والتى أدى تزايد الحديث عنها بهذا الشكل أيضا إلى قرار الإمبراطور هيلا سلاسى بقطع هذه العلاقة وإعلان استقلال الكنيسة الإثيوبية فى منتصف الستينيات.

أشـير هنـا لهذا الوضع تعبيرا عـن التوجهات البراجماتية، اسـتمرارا لما قلته عن أن يوليو لم تقصد «تصدير الثورة» أو فكرها الثورى، بقدر ما كانت تريد اسـتثمار هذه القوى الدينية المخلصة لها نتيجة العلاقة بالأزهر، والرغبة الملحة لمواجهة الاسـتعمار الإنجليزى أو الفرنسـى أو النفوذ الأمريكى. ولذا كان ثمة تقدير خاص ومتبادل من قبل عبد الناصر مع «سـيردونا سوكوتو» فى نيجيريا وقيادتها الدينية الإقطاعية المعروفة بمحافظتها وتقليديتها الشـديدة داخليـا، ولكن عبد الناصـر كان يريد دعمها ضد الإنجليـز بعد ١٩٥٦م. كذلك الحـال مـع التيجانية فى السـنغال وغرب إفريقيـا عموما. كما كان الحـال كذلك تجاه الجاليات العربية ومسلمى شرق إفريقيا (حالة زنجبار). وقد قفزت شخصية من العسكريين المحيطين بالرئاسـة مثل الصاغ توفيق عويضة على المسـألة الإسـلامية مع إنشاء المجلس الأعلى الإسـلامى الذى بدا متحكما فى دور الأزهر والطلبة الوافدين للدراسـة فيه، وأدى ذلك لتحكمه فى مدينة البعوث الإسـلامية وترويج المصحـف المرتل بين القيادات الدينية المسيسـة فى آسيا وإفريقيا دون أى توجه خاص بثورة يوليو أو حتى تحت شعار «محاربة الاسـتعمار»، وإنما كان ترويجا لاسـم مصر فى العالم الثالث، والذى سـاد فعلا بمختلف الشـعارات، ولم يكـن الأزهريون فى البـلاد الإفريقية – وحتى فى تجربـة الجزائر بعد استقلالها – إلا عناصر محافظة، وكامنة فى أحضان القوى المحافظة فى هذا البلد أو ذاك بما كان موضع شكوى «القوى التقدمية» أو التحريرية حسب تعبيرات ذلك العصر!

وللإنصاف فقد كان هناك فى هذا الإطار قطاع آخر شهير هو قطاع «الوافدين» فى وزارة التعليـم (العام مرة والعالى مرات)! وكان اسـم الصاغ عبد العزيز ياسـين ذا معنى فى هذا الموقع بدوره لمعالجة مشـاكل الوافدين والمنح الدراسـية فى القطاع «المدنى» هذا الذى تطور من عدد محدود فى المدارس العامة والجامعات – نتيجة غلبة الأزهريين لفترة – حتى بلغ بضعة آلاف فى المدارس العامة والجامعات، بعد انتباه القيادة والشـؤون الإفريقية لطلبات الدول الإفريقية من المتعلمين تعليما حديثا حيث الجدوى أكثر من التعليم الدينى، كما أنه

لا ينكر وضع اللغة العربية المأزوم مع الاستقلال بلغة رسمية هى الإنجليزية أو الفرنسية. وبلغت استجابة عبد الناصر وحساسيته لهذه المشكلة إلى حد التوجيه بإنشاء «معهد فنى عالى» يضم مختلف مجالات التعليم الفنى ويعلم بالإنجليزية. كما وجه بزيادة المنح الدراسية «للأفارقة» فى كليات تدرس بالإنجليزية (الطب - الهندسة) وإدخال التعليم لهم بهذه اللغات فى كليات الزراعة والعلوم السياسية. وذلك مساعدة للدول الإفريقية حديثة الاستقلال فى عملية التنمية الحديثة.

٨ - يقترن بالحديث عن مجال التعليم، حديث ضرورى عن مجال البحث العلمى والصحافة والإعلام كأداة من أدوات تنمية اهتمام المجتمع وربطه بالقضايا الإفريقية التى تحظى لدى قيادة الدولة بهذا الاهتمام البارز. والحق أن ذلك لم يتحقق بشكل مناسب فى فترة الستينيات كما كان متوقعا، ذلك أن معهد الدراسات الإفريقية الذى ورد اسمه كحلم من أحلام «قائد الثورة» فى أول تعبير مكتوب له عن «فلسفة الثورة»، بل ودون أن تذكر بين أحلامه مؤسسة أخرى بهذا التخصيص. هذا المعهد الذى تحول من الدراسات السودانية إلى الإفريقية عام ١٩٥٨م، لم يتطور استجابة لهذه التسمية بالشكل الذى توقعناه جميعا طوال الستينيات، بل وإلى وقت قريب فى التسعينيات، بقى تحت تأثير ونفوذ المدرسة الجغرافية، والتاريخية، فى أحسن الأحوال أو مدرسة الأنثروبولوجيا الكولونيالية، فلم يقدم للدولة الثائرة الحديثة تراثا يذكر إلا منذ عهد قريب. وبقيت الكتابات البحثية الأكثر تسييسا خارج هذا المعهد المهم سواء فى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بقيادة د. عبدالملك عودة، أو من قبل بعض الصحفيين فى مؤسسات الأهرام والجمهورية. ومع قيام مصلحة الاستعلامات بجهد فى ترجمة بعض الكتب «الأوربية» عن إفريقيا، إلا إنها كانت تعتمد تلخيصات الكتب أكثر من النصوص الأصلية، كما لم تحرص على كتب ذات توجه مناسب، فضلا عن توزيعها المحدود فى الدوائر المسئولة لأغلب مطبوعاتها.

كانت سيطرة «النزعة الإعلامية» عن الدور المصرى، والمبالغات الصحفية المتصاعدة، سلبا على المكون الثقافى فى مصر لمعرفة إفريقيا معرفة حقيقية. ومع غياب دور التنظيم الشعبى نفسه ومؤسساته فى عملية التثقيف، ظلت «مواقف الزعيم وخطبه» هى مصدر الإحساس الأساسى بمصر الإفريقية، وذلك فى المناسبات الوطنية العامة وليس فى التكوين القومى للمواطن.

٩ - مثــل «الفعــل الاقتصادى» دورا هاما فى علاقات مصــر الإفريقية، لم يجد تقديره جيدا. وكانت الحملة الدائمة على «شركة النصر للاستيراد والتصدير» مصدرا للحد من أثر هذا الفعل، مع أنها المؤسسة التى ارتبطت بمعنى دور «قطاع الدولة» الاقتصادى أو «القطاع العــام» أو «رأسمالية الدولة» حســب موقع الناطق بهذه المســميات. وكانت فعالية «المقدم محمد غانم» فى هذا القطاع لا تقل عن قيمة اسم المهندس «محمود يونس» فى قناة السويس أو «صدقى سليمان» فى السد العالى. وقد كان «لشركة النصر» أكثر من عشرين مكتبا تجاريا فى أنحاء القارة، كما ارتبطت بتجارة واســعة مع نيجيريا وساحل العاج فى غرب إفريقيا إلى زامبيا وكينيا فى شــرقها. لم يبق منهم الآن إلا ما يشــبه «الدكاكين» للتجارة الخاصة هنا وهناك.

وقد ارتبط «بمشــروع شــركة النصر» وجود أساس لأســطول تجارى يدور حول القارة، ومشــروعات استثمار فى مبانى بســاحل العاج ومالى، وأعمال الإنشاءات فى نيجيريا بعد حــرب بيافــرا، أو فى التجارة التبادلية من النحاس والدخان فى زامبيا وغيرها. كان نفوذ مصر الاقتصادى هو المهدد للمســاعدات الإســرائيلية، أو احتياطى الاستقلال السياسى فى بــلاد مثــل غينيا والصومال. وقد وفــرت حرية الحركة لرجل مثــل «محمد غانم» صلات وثيقة بالسياســيين ورجالات الدولة ربما كانت ســبب نشــاط دوائر معادية لنشاط الشركة ضد سمعتها فى هذا الإطار، لأن ما ارتبط بهذه الإســاءات من سمعة تدخلات عبد الناصر الانقلابيــة، لم يكــن واقعيا، إزاء موقفنا الــذى صار معتدلا إلى حد كبــير لحماية منظمة الوحدة الإفريقية والعمل فى إطارها. ولذا لم يبق مجال للتدخل فى بلاد مستقلة إلا ما كان معروفــا عــن صلتنا بمعارضة النظام فى الكاميرون، وشــائعات الإعلام الفرنســى والمصالح الفرنســية عن نشاط عبد الناصر المضاد لفرنسا فى «مستعمراتها» بسبب الموقف المصرى مع الثورة الجزائرية.

١٠ - كان ثمة آلية أخرى غير الفعل الاقتصادى، مساوقة للعمل السياسى والاقتصادى على الســواء. وهى «العمل الدبلوماسى» والعســكرى فى آن عبر منظمة الوحدة الإفريقية! وقد كان المؤتمر الأول لهذه المنظمة بالقاهرة يوليو ١٩٦٤م (بعد المؤتمر التأسيسى فى أديس أبابا ١٩٦٣م) ذا أهمية بالغة ودلالة على تأثير القيادة المصرية فى العمل الإفريقى الشامل. ففى هذا المؤتمر ومن قبله فى أديس أبابا اســتطاع عبد الناصر أن يكون الشــخصية الموازنة

لمسألة الوحدة الإفريقية تحت اسم «الدول الإفريقية المتحدة» التى سعى لها نكروما وتحداها نيريرى وهيلا سلاسى والفرانكفونيون. واتفق فى النهاية على اسم وطابع منظمة الوحدة الإفريقية. كما شهد مؤتمر القاهرة مشكلة الحدود. وكانت مستغلة ضد نكروما نفسه مع التوجو وغيرها وضد الصومال بالطبع، ناهيك عن الجزائر والمغرب، ومصر والسودان.. إلخ. وفى مؤتمر القاهرة تم التوازن بين كافة الأطراف ليستقر نص التسليم بالحدود الاستعمارية الموروثة لحظة الاستقلال.. لتتوقف صراعات الحدود المدمرة فى القارة حتى الآن، برغم غضبة الصوماليين التى أوقفها تقديسهم لعبد الناصر شخصيا. أما القضية الثالثة المهمة، فهى إقرار القمة الإفريقية لدور «لجنة تحرير المستعمرات» فى تدريب كوادر حركات التحرر من معسكرات لها فى دار السلام بتنزانيا. وبدا العمل العسكرى ضد دولة مثل البرتغال ونظام عنصرى فى جنوب إفريقيا «شرعيا» من داخل منظمة الوحدة الإفريقية وحتى أقرته الأمم المتحدة عام ١٩٧٢م فى جينيف. وكان السلاح المصرى والمدربون المصريون يتحركون فى دار السلام بحرية مساعدة لحركات التحرير على أرض دولة إفريقية بمساعد مصرى لرئيسها هو الدكتور محمد سامى.

– ٥ –

ماذا يبقى من هذه الفترة؟ التاريخ لا يتوقف، ولا يتكرر بالطبع، ولذا يمكن دائما إلقاء بعض الملاحظات أو الاستنتاجات الختامية، ولو بعناوينها فقط، لأنى لا أقدم هنا دراسة وإنما قدمت معايشة أو شهادة تصلح للتأمل والبحث. كما أنى أتصور أن أخبارا كثيرة لابد خضبت آلاف الصفحات عن تفاصيل هذه الفترة، لذلك فليدعنى القارئ أدفع به إلى بعض هذه العناوين التى يتوجب عليه البحث فيها، ليعرف كيف تفاعلت هذه الظواهر والآليات فى بناء صورة مصر فى تلك الفترة.

– لابد أن القارئ قد بنى صورة «لدبلوماسية الزعامة» التى حركت أجهزة الدولة. قد تبدو مثالية عند البعض، لكنها تؤكد المعنى الشامل للهيمنة المعنوية والفكرية تعبيرا عن مشروع طموح يغرى بالمثالية، وقد قفز مشروع الدولة الوطنية الجديد فى أقل من عقدين ليجعل من «مستعمرة مصر» ذات صورة مهيمنة على مستوى قارات ثلاث تغلى بالأحداث. لكن لابد للباحث أن يكتشف كيف تؤدى «دبلوماسية الزعامة»، إلى نقص الشفافية –

ما دمنا نتحدث عن الآليات -، وما يتطلبه ذلك من بحث في الوعي الجماعي الذى كان سائدا وأثره في توجيه الإدارة ومختلف الأجهزة. وقد أثر التناقل الشفاهي للتوجيهات بالضرورة إلى افتقادنا لكثير من الوثائق الآن.. خاصة مع افتقاد الروح المحركة بنفس القدر. ذلك أن دبلوماسية الزعامة - تجاه إفريقيا على الأقل - تحركت من نبع الأحداث الكبرى.

«والدور» وليس من مجرد ضخامة وضع الزعيم أو حاكميته. هنا كان أثر باندونج ١٩٥٥م، ومؤتمر الشعوب الإفريقية الآسيوية ١٩٥٨م - ومؤتمر ومجموعة الدار البيضاء ١٩٦٠م وأحداث الكونغو ٦٠ - ١٩٦٤م، وقيام منظمة الوحدة الإفريقية، ثم أحداث بيافرا...

- أظن أن موضوع الموقف من إسرائيل كان نموذجا لأثر «هيمنة الزعامة الناصرية» في الحالة الجماعية الإفريقية، بأكثر مما كان أثرا لسلوك البيروقراطية المصرية أو حتى جهد الدبلوماسيين، ومعظمهم - في تلك الفترة - من أهل الثقة بأكثر من كونهم من ذوى الخبرة.. كانت قرارات «اعتبار إسرائيل رأس جسر للاستعمار»، «وأداة الاستعمار الجديد» عام ١٩٦١م على مستوى مؤتمرات للحكومات والشعوب في عام واحد أكبر من أن يكون نتاج جهد دبلوماسي أو ثقل لمنظمات شعبية، لكنها في نفس الوقت كانت بالتأكيد نتاج ثقل.. مصر الجديدة، ذات أقل من عقد من التحركات الثقيلة...

- كذلك كان الحال في التصدى للسياسات الغربية، وهى تتصارع حول نفسها مع الزحف الأمريكي بعد الحرب الثانية. وبنفس الأهمية كان التوازن الذى تم في حرب الصراع الصيني السوفيتي. وأشهد أننا - وكنت متابعا لحركة التحرر الوطني وممثليها - تعاملنا مع هذا الصراع - بكل ثقله، بل وصغائره أحيانا - ليكون دعما لحركة التحرر الوطني، حيث كان يمكن أن يكون معطلا، وكان ذلك صارخا في حالات أنجولا وموزمبيق والكونغو وزيمبابوى، بما لا تتحمل هذه المساحة تفاصيله. لذا أرجو من القارئ ألا يظن أنى أغفلتها. لم ننس أيضا مسألة التعاون العربي على المستوى الإفريقي إلا إن المسألة كانت تتعلق بالأدوار المصرية المباشرة ودور الزعامة كما قلنا رئيسيا أكثر من قيامها على أجهزة. كان المشرق العربي غافلا عن تراثه مع شرقي إفريقيا، أو الجاليات العربية في غربي القارة، وكان الخليج العربي خاوى الوفاض، أما عرب شمال القارة، فكانت حركتهم بين صراعات المغرب الثنائية مع الجزائر، أو بناء الأخيرة لصورتها الباحثة عن الاختلاف مع صورة القاهرة.. ومن زاوية مفهوم «العالم ثالثية» أكثر منه العمل العربي الإفريقي..

- وفى الختام، سيظل القارئ يسأل عن وثائق هذه المرحلة، وليس عندى إلا الدعاء بأن يسامح الله الرئيس السادات وإدارته، فقد أدت هيمنة الزعامة الجديدة إلى إلغاء المكاتب المتخصصة برئاسة الجمهورية لأنه «مش عاوز دوشة دماغ» حسب ما تناقله كثيرون. وباستبعاد هذه «الدوشة»، ألقى بوثائق مثل هذه المكاتب إلى مصائر لا نعرفها.. لكن التاريخ لا يمكن نفيه بسهولة. فالمخربون والاستعماريون وحدهم أغرقوا مكتبات. وأحرقوا وثائق بحيث لم يظهر لها أثر.. لكن مصر لم تصل لهذه الحالة. ولابد من أن يتواصل التاريخ.

□□□

الصراعات والحروب التى فرضت على عبد الناصر

لواء أ. ح متقاعد
حمدى محمد ذكى الشعراوى

قد يكون صعبا اقتلاع ما زرع فى العقول بحرفية أجهزة المخابرات المتخصصة فى الحرب النفسية والإعلام المعادى، التى استهدفت تقزيم انتصارات مصر لترسخ فى الأذهان الانهزامية واليأس، وعدم القدرة أو عدم وجود القادرين لتأخذ مصر دورها ومركزها الذى تستحقه. وللأسف انطبع ذلك فى كثير من الأذهان والعقول لاكتفائها بالاستماع لما يشاع دون بحث عن الحقيقة، خاصة مع صمتنا كمسئولين أو حجبنا الحقيقة لأسباب أمنية أو سياسية. لكن دم الشهداء الأبطال والأعضاء المبتورة من المصابين، بل والمقتلعة من أجساد أسرانا الذين استخدموا كبنوك أعضاء لمن يدفع[1]، تستصرخنا لذكر الأحداث بموضوعية دون تحيز أو تهويل أو تهوين. فالحقيقة البحتة، تكلل تاريخنا وطنا وشعبا وجيشا بأكاليل شرف قتال قوى باغية طاغية، وتشعرنا بالفخر وبقدرتنا على النهوض المشرف من جميع الكبوات وتحقيق انتصارات لا تخطر ببال أحد.

لماذا قامت الطليعة المسلحة بالثورة وما البيئة التى حتمت قيامها؟

كان عبد الناصر وصحبه، نبتا طبيعيا ونتاجا حتميا لظروف الوطن ومشاكل المجتمع، والتحديات المفروضة على أبنائه بالوضع المتردى، سياسيا، واجتماعيا، واقتصاديا، وتقنيا. وكانت مادتا التاريخ والدين تدرسان بلا عنصرية أو تطرف، مبرزين البطولات والقدوة الشجاعة، فى واقع يسيطر عليه سياسيون استغلوا الشعب و تناسوا مصالحه. فخضعوا للقصر والحاشية والإقطاع وتماهوا مع المستعمر، والرأسمالية المستغلة وتابعيها، واكتفوا بصراع مع المستعمر بالكلام والمفاوضات وأخمدوا جهاد أبناء الوطن المخلصين - والحركات الوطنية قبل الثورة - وأهدروه. فلا يمكن التنكر للحركات الوطنية قبل الثورة، فلها أعمالها الفدائية وسقط لها شهداء أبطال، وكانت هناك مقاومة لم يكتب لها النجاح.

فلم يقصر الشعب إنما يرجع الأمر للقيادات السياسية التى أجهضت بشائر الانتصار لقصورها فى الاستعداد لخوض المعارك وإدراك طبيعة الصراع بين دولة صغرى فى مواجهة دولة عظمى[٢].

رأى عبد الناصر وصحبه ذلك، ورأوا ثقافة التحدى والمقاومة الشائعة بين الشباب، والتى برزت فى حصار الفالوجا حين رفض قائدها «الأميرالاى سيد طه» الانسحاب المهين كاقتراح «جنرال جلوب باشا قائد جيش الأردن. فطرد مندوبه وقبل القتال فى حصار لشعوره[٣] وثقته بروح جنوده. وكذلك حين قام البكباشى جمال عبد الناصر بهجوم مضاد فورى وهو فى الحصار واسترد عراق المنشية من العدو. فقد كان ذلك لرسوخ عقيدة التحدى فى جنوده ككل المصريين[٤]. واخترق الحصار ضباط شجعان مثل «بكباشى» زكريا محيى الدين والصاغ معروف الحضرى والصاغ صلاح سالم لتوصيل المعلومات وللإمداد ورغبة فى دعم استمرار صمود إخوانهم ودعم إرادتهم وعدم انكسارها تحت القصف المدفعى والجوى والحرب النفسية المكثفة[٥].

لقد تردت أحوال مصر حتى إن الملحق الثقافى الأمريكى أرسل لدولته منذ ١٩٤٩م محذرا بقيام ثورة شعبية.

ولم ينتبه أحد للروح القتالية المتحدية لدى الشعب وجيشه. ولم يتفهموا معنى القلاقل التى سادت مصر، بينما كان شباب مصر والضباط يبحثون عن حلول لمعضلات الوطن. فقد اهتم القصر بتأمين نظامه فغير فى الأشهر الستة السابقة للثورة خمس وزارات. كانت الأولى حكومة للأغلبية. لكنها تماهت مع القصر والحاشية بفسادهم، ومع الرأسمالية بجشعها ومع الإقطاع باستبداده. فرفعت أسعار بعض السلع الشعبية، وفشلت بعد ١٩ شهرا من التفاوض مع الإنجليز فى تحقيق الجلاء. ولما شعرت بشدة غضب الشعب، وتوقعت غدر الملك، ألغت معاهدة ١٩٣٦م واتفاقية السودان دون استعداد للتبعات[٦]. وهددت بالاستقالة إن رفض الملك التصديق على ذلك، فاستعادت شعبيتها. لكن تضاربت تصرفاتها، فكلفت الشرطة بمقاومة الإنجليز. وأمرتها من جانب آخر بالقبض على الفدائيين[٧]، ومنعت الفريق عزيز المصرى وصالح باشا حرب والضباط من تدريب أو إنشاء كتائب الفدائيين، أو جمع التبرعات لشراء السلاح وعتاد الفدائيين.

قام الإنجليز بتنفيذ ثلاث عشرة مجزرة ضد أهالى مدن القناة ابتداء من يوم ١٦ أكتوبر ١٩٥١م مما دعا ستة عشر سياسيا منهم رئيس وزراء ووزراء سابقين وأعضاء مجلس الشيوخ لتوجيه رسالة للملك يوم ١٨ أكتوبر ١٩٥١م ينددون فيها بفساد القصر والحاشية والحكومة

التـي عجزت عـن تحقيق الجلاء، وعرضت البلاد للإفلاس السياسـي والمـالى والأخلاقى، وأهدرت الاقتصاد، حتى حرم الفقير من قوت يومه، وحذروا من أن لصبر الشـعب حدودا، ومن فتنة لا تصيبن الذين ظلموا خاصة[٨]. فعلق الضباط الأحرار على ذلك بمنشـور أشـار إلى أن الاسـتعمار هو السـبب. وتصاعدت مجازر الإنجليز بإبادة كفر عبده فى ٨ ديسمبر١٩٥١م بقوة «من ٢٥٠ دبابة – ٥٠٠ مدرعة – ١٠٠٠٠ جندى»[٩] وانتهت بمجزرة الإسماعيلية حيث استشـهد خمسون، وجرح ثمانون، وأسر ٧٥٠ شـرطيا يوم ٢٥ يناير١٩٥٢م[١٠]. ثم أحرقت القاهرة، والملك يحتفل بوليده بين كبار ضباط الجيش والشرطة[١١]. «فأقال الملك حكومة الوفد وكلف على ماهر باشـا بتشكيل الوزارة[١٢]» فهدأت الأمور مع الإنجليز بإخماد الكفاح المسلح والقبـض علـى رجاله. وأرضى الملك بإيقـاف المظاهرات ومظاهرات الطلبـة ضده، وبانتظام الشـرطة. وأرضى الشعب بخفض أسـعار ١٦ سلعة شـعبية التى رفعتها حكومة الوفد وأمر بزيادة إنتاج سـلع أخرى، وزيادة المقررات التموينية للبطاقة، وأمر بمنح بطاقة تموينية لمن لا بطاقة لديه، ومنع تصدير بعض السـلع لخفض سعرها وقرر استيراد بعض السلع الشعبية دون وسيط متحديا الرأسمالية المسيطرة، فأسقطت وزارته فى أول مارس ١٩٥٢م بعد أن كان قد تقابل هو ونجيب الهلالى بمندوب وزير الخارجية الأمريكى «دين أتشيسـون»، واسـتمعا لقوله بأن اسـتقرار مصـر يكون بتخليص القصر من الحاشـية، وتطهـير الأداة الحكومية، ومحاكمة اللصوص السياسـيين وغيرهم، وتنفيذ برنامج إصلاح اجتماعى حتى تضغط أمريكا على بريطانيا للجلاء عن مصر «أى التطهير قبل التحرير» لبقاء النظام الملكى المهترئ السهل السيطرة عليه[١٣]. وبدأ الهلالى حكومته بتنفيذ نصيحة المندوب الأمريكى بالتطهير الحكومى، بينما كان الوفد المُقال يغازل الملك، حيث اسـتصدر وزير أوقافه الوفدى المُقـال بالتواطؤ مع رئيس نقابة الأشراف، إعلان نسبة الملك فاروق للسلالة النبوية الشريفة بالشهرة والتواتر عن أمه الملكة نازلى التى كان الملك قد سحب لقب الملكية منها لما شاب سمعتها[١٤]. وواصلت حكومة الهلالى التطهير الحكومى، وخشـيت حاشـية الملك أن تحاسـب وتطهر وخشـيت الرأسماليـة على مندوبيها وعملائها، فعرض أحمد عبود باشـا «أكبر رأسمالى مصرى» مليون جنيه على رجال الحاشـية «عدلى أندراوس، وكريم ثابت» رشـوة لإسـقاط الحكومة، وعلم الهلالى بذلك فاستقال[١٥]. وزاد النفاق للملك فصار شعار الجيش الله الملك الوطن بعد أن كان الله الوطن الملك[١٦]، وسـواء كان ذلك باسـتبداد واسـتعلاء منه أو نفاق له فقد كان ذلك أمرا

مهينا لقيمة الوطن والمواطن والوطنية. وأتت حكومة حسـين سـرى، وأرادت إرضاء الجيش فرفـض وبدلهـا الملك بـوزارة نجيب الهلالى الثانية التى تعين فيها حسـين شـيرين وزيرا للحربيـة، وبرغـم دماثة خلقه فلم يكن من خريجى الكلية الحربية بل منحه الملك رتبة قائ مقـام لكونـه صهره. فصار وزيرا للحربية مع قائد عام غـير مؤهل. وجيش تتحكم فيه بعثة عسكرية بريطانية تخفض مستواه وتمنع الصناعات العسكرية(١٧). وجنود من الطبقة الدنيا من المجتمع غير القادرة على سـداد عشـرين جنيها للإعفاء من الجندية. فصار الجيش موصوما بتبعيته للملك وليس للوطن فلهذا وللظروف السابقة قامت الثورة.

قيام ثورة يوليو والتحديات المفروضة عليها:

قامت الثورة فى الظروف السابقة ولم يكن عبد الناصر وصحبه تجار سياسة وفوضويين كتقرير السـفارة البريطانية لرئاسـتها فور قيام الثورة. ولم يكونوا من فئة «عبده مشـتاق» للمنصـب. فقـد كانوا ضباطا أكفـاء محترمين لهم سمعتهم. فعبـد الحكيم عامر. وصلاح سـالم. وكمال الدين حسـين تمت ترقيتهم لرتب أعلى اسـتثنائيا(١٨) لشجاعتهم. وعرف عن عبد اللطيف البغدادى وحسـن إبراهيم تخطيطهما لضرب الصهاينة ١٩٤٨م دون أوامر واللجوء لسـوريا مضحين بأنفسـهم وعائلاتهم(١٩) بينما كان عبد الناصر الذى لحقه زكريا محيـى الدين مقاتلين أكفاء بالفالوجا. لقد احتكوا جميعا بالتيارات والتوجهات السياسـة السائدة. وشعروا بحاجة الوطن لحتمية التحرك وقيادة طليعته المسلحة للأمور وإلا فالفوضى.

لقـد قامت الثورة عن اقتنـاع عام. وبقيامها جابهت تحديات ومعارك وحروب فرضت نفسـها على عبد الناصر كمسـئول حتى نهاية حياته. وتحتمت المواجهة وإرادة التحدى الوطنى. للإحساس بالمسئولية من أجل حياة أفضل للشعب، وحرة للوطن. وقد تم التصدى لأعداء مصر والأمة العربية، وذلك لوعى وثقافة عبد الناصر وصحبه.

لقد اسـتهدفت الثورة التغيير للأفضل كهدف شـعبى. واعترض المسـتفيدون من تردى وخلـل الأوضـاع الاقتصادية والاجتماعيـة والمتحالفون مع الاسـتعمار والقصـر والإقطاع والرأسماليـة المسـتغلة «ومعظمهم أجانب». وقد لاحظ عبد الناصـر اكتفاء المؤيدين بالتأييد تصفيقـا وتهليلا(٢٠). فأحس بشـعورهم بالدونية الاجتماعية والحاجة المادية لما يعطيه لهم الإقطـاع والرأسمالية والقصر. الذين يتحكمون فى الأرزاق ويسـتقوون بالإنجليز ويوجهون الناس بالأمر لما يريدون فقرر عبد الناصر:

١ – تحقيق المساواة بين البشر برفع قيمة الإنسان: فألغى الألقاب ونشط جماعات تطهير الجهاز الإدارى والحكومى وخلص الشعب من القصر والحاشية وأتباعهم ومن الفاسدين.

٢ – الإصلاح الاجتماعى وتذويب الفوارق: بإلغاء الإقطاع وتحديد الملكية الزراعية. مع تعويض من سحبت أرضه بأربعين ضعف الضريبة السنوية كما كان الثمن سائدا فى ذلك الوقت.

٣ – السيطرة على رأس المال والاحتكار: فنادى بالتمصير لتعلو القبضة المصرية على رأس المال وتديره بعدالة لصالح مصر ولدفع النشاط الاقتصادى لما يخدم مصر والإنسان المصرى وليس قصره على الاستثمار الزراعى والعقارى والبورصة، دون تصنيع حتى لا نبنى الدولة العصرية، وتظل مصر سوقا تستنزف بالاستيراد الذى يسيطر على معظمه الأجانب. ولمنع سيطرة رأس المال على الدولة ولإصلاح الأحوال الاقتصادية قام بالآتى:

١ – فى شهر يوليو ٥٢ صرفت المرتبات للموظفين بعد سحب قيمتها من دفتر توفير المواطنين فعالج مقدمات إفلاس الدولة «عجز ٢٥ مليون جنيه من الميزانية بتجميع ٣٩ مليون جنيه من الشركات»[٢١] لدعم الخزانة ورفع عائدها. فمثلا تفاوضت الثورة مع شركة قناة السويس لرفع عائد مصر من ٣٠٠ ألف جنيه سنويا منذ معاهدة ١٩٣٦م إلى ٧٪ من عائد الشركة السنوى «بلغ ٢,٢ مليون جنيه حتى ١٩٥٦م»[٢٢]، وتعيين أربعة أعضاء مصريين بمجلس إدارة الشركة بدلا من عضوين فقط. وتسلل رجال إلى الشركة خلسة وحصلوا على المعلومات الكاملة عنها (إدارة وشئون إدارية ومالية، وشئون أفراد، والشئون الفنية وأمورالصيانة والملاحة والمعاملات الدولية) لتكون مصر على دراية كافية بخفايا الشركة انتظارا للوقت المناسب لإدارتها والسيطرة عليها.

٢ – دبرت الدولة ٤٠ مليون جنيه لإنشاء مجلسى الإنتاج والخدمات لبدء التنمية.

٣ – رفعت الدولة الحد الأدنى للأجور من ٢,٥ قرش إلى ٢٥ قرشا يوميا.

وبدأت الدولة التخطيط لإعادة تنظيم وتسليح الجيش وتدريبه ورفع مستواه.

ولم تكن هذه الخطوات السابقة مستحدثة فقد سبق المطالبة بها قبل الثورة من الشعب ومناضليه.

١ – فقد كانت المساواة بين البشر والتخلص من تحكم الإنسان فى أخيه الإنسان مطلبا عالميا وشعبيا متصاعدا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.

٢ – ولم تبتدع الثورة الإصلاح الاجتماعى والقضاء على فساد الإقطاع: ففى يوم ١٧ مايو ١٩٤٤م طالب ونستون تشرشل الملك فاروق خلال لقائهما بمنزل السفير البريطانى

بالقاهرة بأن يأخذ من الباشوات الأغنياء ويعطى الفلاحين الفقراء[٢٣]. وفى ١٩٤٥م أيضا طالب محمد خطاب عضو مجلس الشيوخ بتحديد الملكية بمئة فدان[٢٤]. ونادى عبد الرحمن البيلى وزير مالية إسماعيل صدقى بتوزيع أراضى الدولة على الفلاحين. ونادى إسماعيل صدقى نفسه فى ١٦ أبريل ١٩٤٦م بنشر الملكيات الصغيرة ضمن تصوره للعدالة الاجتماعية[٢٥]. وطالب مريت غالى وإبراهيم بيومى مدكور بالإصلاح الاجتماعى[٢٦]. وفى ١٦ أكتوبر ١٩٥١م طالب المفكر خالد محمد خالد الفدائيين فى القناة بتغيير اتجاه سلاحهم، للقضاء على الترف والخيانة بالإصلاح الزراعى وتحديد الملكية والإصلاح الاجتماعى[٢٧]. وهو نفس ما طالب به سيد جلال وعلى الشيشينى أعضاء مجلس النواب ١٩٤٧م[٢٨]. كما طالب بتحديد الملكية الزراعية إبراهيم شكرى من حزب مصر الفتاة ويس سراج الدين من حزب الوفد ومندوب وزير خارجية أمريكا كما سبقت الإشارة. فكانت استجابة عبد الناصر فى ٩ سبتمبر ١٩٥٢م استجابة مشفقة بالإقطاع بتحديد الملكية بـ ٢٠٠ فدان بدلا من ٥٠ فدانا استجابة للمطلب الوطنى وقد حشد هذا التقريب بين الطبقات، «كأحد المطالب الاجتماعية للمشروع الوطنى قبل الثورة» تأييدا جماهيريا لخطوات الثورة فاستمرت فى تحقيق أهدافها الستة المعلنة ورفع عبد الناصر عن حق شعار ارفع رأسك يا أخى فقد مضى عهد الاستعباد.

٣ – وكان القضاء على أجنحة الاستعمار مطلبا وطنيا أيضا قبل الثورة (**الملك والسياسيون الفاسدون والإقطاع المستبد والرأسمالية المستغلة**) حيث يسيطرون على قوت الشعب وصوته فى الانتخابات. بتعاون وثيق مع الأجانب ويحجبون فائض عائداتهم للترف والاستهلاك السفيه دون استخدامه فى التصنيع أو ما يعود على المجتمع بالفائدة.

معركة الجلاء (المعركة الأولى لعبد الناصر):

كان عبد الناصر وصحبه قد عايشوا جميع التيارات السياسية السائدة فى مصر ومروا بتنظيماتها وفهموا فكرها فى تحقيق الجلاء، وتجنب عبد الناصر كل الأخطاء السابقة وانتهى إلى المبادىء الآتية:

١ – تجريم الاتصال بالإنجليز ومنع المزايدات التى تضعف المفاوض المصرى.

٢ – أثار العزة الشخصية للإنسان المصرى بتدريبه علانية على السلاح والمفرقعات والأعمال

الفدائية وتوعيته معنويا، وتعبئته بالمسئولية الوطنية، والثقة فيه، فوزع السلاح على الفدائيين والحرس الوطنى.

٣- نادى قائلا: «على الاستعمار أن يضع عصاه على كتفه ويرحل أو يقاتل حتى الموت». واضعا تحت بصره القوى الداخلية والخارجية الرافضة للجلاء «كأصدقاء الإنجليز، وأعداء الثورة، وإسرائيل».

٤ – حرك الفدائيين لمهاجمة جنود الإنجليز ومعسكراتهم، وخطف عملائهم لمحاكمتهم فصار الإنجليز يتحركون أزواجا أو فى مجموعات وهم يربطون السلاح على أجسادهم وصاروا يدافعون عن معسكراتهم وتقيدت تحركاتهم واستدعت بريطانيا دعما للقاعدة.

٥ – ليتأكد عبد الناصر من توحد الشعب خلفه، واستعداده وقدراته على مواجهة الإنجليز، وأيضا ليختبر حدود استخدام بريطانيا للقوة، وارتكاب المجازر، ونسف القرى (كفر عبده بالسويس) كما حدث بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦م. تم خطف الطيار ريجدن ومجموعة معه، فوجه سفير بريطانيا احتجاجا رفضته[٢٩] مصر واستنفرت بريطانيا قواتها، فرفعت مصر استعداد الجيش والحرس الوطنى، وتمت تعبئة إعلامية، فظهر الشعب مستنفرا متحديا، ثم ظهر الطيار فى اليوم التالى فى مؤتمر صحفى بقبرص يعلن أنه اختطف هو وزملاؤه من أفراد لا يعرفهم، واحتجزوا فى منزل لا يعرفه، ولا يعرف كيف وصل لقبرص. فأثارت القضية التسلية بكفاءة إدارة العملية ورمزيتها، وتأكد عبد الناصر من إمكانية استقوائه بالجيش والشعب والحرس الوطنى، وتأكد من تغير الأسلوب البريطانى لشعورهم بتغير الشعب والحكومة.

٦ – برع عبد الناصر فى حرمانه الإنجليز مبكرا من ورقة الضغط التى استخدموها ١٧ أكتوبر ١٩٥١م باحتلال كوبرى الفردان، وعزل قوات سيناء كبيرة الحجم، مع وجود قوات إسرائيل على الحدود. فدرس وحسب وجهز وقرر خفض قوات سيناء إلى الحد القادر على صد العدو على الحدود[٣٠] حتى تعبر قواتنا الرئيسية القناة، فتحتشد وتوجه ضربة للعدو فى وسط سيناء وتتابعه فى فلسطين وبذلك تتمركز القوة الرئيسية غرب القناة للعمل مع الشعب والحرس الوطنى لرفع قوة المجهود الرئيسى (ضد الإنجلين)، وهى قادرة بالحساب على الاندفاع لوسط سيناء حسب المخطط، ولقد نفذ التخطيط بسرية ودقة، فاجأت الإنجليز بتمام تنفيذها دون أن يشعروا[٣١].

٧ – طالب عبد الناصر الإنجليز بالمفاوضات مستندا إلى أربعة أعمال:

أ – حرب نفسية ضد جنود القاعدة البريطانية: بشائعات وإذاعة موجهة ومنشورات وضعت على أسرة نومهم. وتابعت الإذاعة أحوالهم، والتأثير فيهم للتخويف من الخطر الذى يتهددهم. وأرسلت المنشورات لأهالى الجنود وللسياسيين فى بريطانيا تبين الخطر على أبنائهم، وبلغ التأثير غياب الكثيرين بعد إجازتهم. وتمرد فرقة الموريشان البريطانية يوم ٢٦ مايو ١٩٥٤م فرحلت فى ٢٨ مايو ١٩٥٤م حتى لا ينتشر العصيان وأحس البريطانيون بفقد قيمة القاعدة وناقش ذلك السياسيون فى مجلس العموم[٣٢].

ب – حصار القاعدة ومنع إمدادها والتعامل معها: فلا توريد للاحتياجات ولا عمال للعمل فاضطرت القاعدة لاستجلاب العمال والاحتياجات من خارج مصر حتى تشحن وتفرغ السفن وتسير القطارات، وكانت تلك تكلفة مادية غير محتملة. وحظر مرور أى احتياجات للقاعدة من شرق رأس البر شمالا حتى الكيلومتر ١٢ شرق القاهرة جنوبا حتى اضطر سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا لمخاطبة مصر قائلا: «إنه من المفيد بدء التفاوض مع مصر[٣٣].

جـ – الحرب الفدائية ضد القاعدة: بالاعتداء على الجنود وخطف سلاحهم وتدمير سياراتهم ومعسكراتهم ومخازنهم. فانشغلت القوات البريطانية بالدفاع عن نفسها ومعسكراتها.

د – حملة إعلامية ذكية: قادها عبد الناصر بتصريحات موضوعية ردت بذكاء على الحرب النفسية والإعلامية البريطانية فأجهضتها. فمثلا فى ١٧ مارس ١٩٥٣م أعلن عبد الناصر أن الثوار سيتركون الحكم ليقودوا الشعب فى حرب فدائية، تهدم فيها المعبد على رءوسنا ورءوس من معنا إذا لم تنسحب بريطانيا[٣٤]. وفى ٢٢ مارس ١٩٥٣م عشية المفاوضات قال عبد الناصر بعقلانية «قد لا نستطيع هزيمة بريطانيا ولكننا سنجعل مركز بريطانيا فى مصر عديم الفائدة لها ولحلفائها[٣٥].

وفى يوم ٢٣ مارس ١٩٥٣م بدأت المفاوضات وتعثرت ٦ مايو ١٩٥٣م لتزداد حرب «نفسية وإعلامية وفدائية وحصار اقتصادى» فطلبت بريطانيا استئناف المفاوضات. وفى ٢٠ نوفمبر ١٩٥٣م أعلن عبد الناصر أننا نستعد للتحرير منذ بدء الثورة فالحرية بالقتال وليس بالهتاف، ولقد جهزنا ثلاثين ألف فدائى، وكل عجم عود خصمه ومستعد للقتال[٣٦].

وفى ١٨ يونيه ١٩٥٤م رتب لقاء قمة مع تيتو وسوكارنو ليبرز وجود أصدقاء لنا فى العالم لهم وزن كرئيسى يوغوسلافيا وإندونيسيا. وفى ٢٢/ ٦ / ١٩٥٤م أضرب جميع

العاملين بالقناة وتوقفت الحياة بالمعسكرات[٣٧]. وفى ٢٤/ ٦/ ١٩٥٤م أعلن عبد الناصر أنه مقتنع برحيل الاستعمار كرها أو طوعا فلم يعد أمامه إلا أن يعد عصاه حتى يحملها على كتفه ويرحل.

وفى ٢٥/٦/ ١٩٥٤م اضطرت القيادة البريطانية للانتقال إلى قبرص وفى ٢٧/ ٦/ ١٩٥٤م بدأت القوات البريطانية فى هدم مخازن ومستودعات الأدبية فى السويس. وفى ١١/٧، ٢٦/ ٧، ١٤/ ٨، ٢٣/ ٩، ٢٣/ ١٢/ ١٩٥٤م افتتح عبد الناصر مصانع للأسلحة والذخائر.

وفى ٢٧ / ٧ / ١٩٥٤م وقعت اتفاقية الجلاء بالأحرف الأولى للجلاء فى عشرين شهرا. وفى ١٣ / ٦ / ١٩٥٦م خرج آخر جندى بريطانى من مبنى البحرية فى بورسعيد. وفى ١٨/ ٦ / ١٩٥٦م رفع عبد الناصر علم مصر على مبنى البحرية ببورسعيد ليصير عيدا للجلاء تحقيقا لأمل الشعب وتتويجا لتوحده وتوعيته وتعبئته وتدريبه وتسليحه وإطلاق يده لضرب الإنجليز آمنا من حكومته، فانقاد لتخطيط وأداء عبد الناصر وصحبه ورجاله.

وفى ٢٧ / ٧ / ١٩٥٤م أذاع عبد الناصر بيانا كرم فيه جهود الزعماء: أحمد عرابى، ومصطفى كامل، ومحمد فريد، وسعد زغلول، مشيدا بجهد الشعب ومن تسلم منهم راية الجهاد معلنا الوفاء لمن سبقوه بقلب شعب ووفاء جيل غير محتكر الجهاد لنفسه وهو فى قمة انتصاره[٣٨]. وهنا أتساءل برغم تضحيات الشعب المتوالية لماذا لم يتحقق الجلاء من قبل وأرجع لمقولة أمين هويدى الذى يقول: لم يكن تقصيرا من الشعب الذى ضحى – ومازال – دون تردد، إنما يرجع الأمر للقيادات السياسية التى تزعمت هذه الحركات، فأجهضت بشائر الانتصار التى لاحت فى الأفق، لقصور فى الاستعداد أو لخوض المعارك ولقصور فى إدراك طبيعة الصراع بين دولة صغرى فى مواجهة دولة كبرى[٣٩].

– وإذا كانت اتفاقية الجلاء تنص على التفاوض لعودة بريطانيا للقاعدة إذا هددت تركيا أو إحدى دول الجامعة العربية خلال سبع سنوات فإن التفاوض مرهون بموافقة مصر وليس كالبقاء بشكل دائم لثمانين ألف جندى بريطانى يؤثرون فى مجرى الحياة بمصر. لهذا فحين قابل عبد الناصر وفد ضباط كلية أركان الحرب للتهنئة بالاتفاقية علق مبتسما على هذا الشرط بقوله: «ولكن الأيام بيننا». وقد أشاع البعض بأن موعد الجلاء كان محددا فى معاهدة ١٩٣٦ والحقيقة إنه لم يحدد فى تلك المعاهدة موعدا للجلاء[٤٠].

وتحققت صيحة عبد الناصر «على الاستعمار أن يضع عصاه على كتفه ويرحل أو يقاتل حتى الموت» وتحقق أمل كل الوطنيين قبل الثورة بتحقق الهدف الأول للثورة.

تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثى:

تأميم القناة:

خطـط عبد الناصر ليكون تأميم شـركة قناة السـويس بعد جـلاء الإنجليز وفى ظرف مناسب يحشد استنفار وتضحية الشعب من أجل التأميم. وقد كان يرى الشركة دولة داخل الدولة، وذراع للاستعمار فى مصر، يتجسس على شؤونها، ويهتبل ثرواتها، ويعمل لصالح أعدائهـا، ابتداء من خداع عرابـى، ثم لصالح بريطانيا وحلفائها خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية، ثم لصالح إنجلترا وإسرائيل خلال حرب ١٩٤٨م. فضلا عن رصدها للشأن الداخلى المصرى والتأثير فى مساره ضد مصلحة مصر.

كانت خلفية اسـتعادة القناة فى ضمير عبد الناصر وكل الحركات الوطنية المصرية ما قبل الثورة. ففى ١٧ نوفمبر ١٩٥٢م تم استدعاء الدكتور مصطفى الحفناوى الحاصل على الدكتوراه فى القانون من السـوربون فى ٥ يونيه ١٩٥١م عن قناة السـويس ومشـكلاتها المعاصرة، وكان بذكائه قد اسـترد المرسوم الأصلى لإنشاء شـركة قناة السويس ١٨٥٤م كشركة مساهمة مصرية مما فضح تزوير الشـركة لمرسوم إنشائها كشركة عالمية مقرها باريس ١٨٥٦م. وقد تمت دعوته ليحاضر فى نادى الضباط، عن شـركة قناة السـويس. فألهـب بمحاضرته حماس الحاضرين فوقف الرئيس محمد نجيب مطالبا الحضور بالوقوف والقسـم خلفه باسـترداد القناة[41]، ولما كانت قناة السويس إحدى عثرات مفاوضات الجلاء استدعى الزعيم جمال عبد الناصر فى ربيع ١٩٥٤م الدكتور الحفناوى نفسـه «صاحب دار مكافحة الاسـتعمار للنشر ومجلة قناة السويس ومحامى أى مصرى ضد شـركة القناة وأكثر مهاجمى الشـركة بالصحف». وطلب منه إيقاف نشاطه لتأثيره فى المفاوضات لخشية الإنجليز أن تأخذ الثورة بموقفه من التأميم بعد المفاوضات فاسـتجاب الرجل وانتقل لمزرعته فى أدفينا حتى تم الجـلاء وقامت أمريكا وبريطانيا والبنك الدولى بسـحب تمويل مشروع السـد العالى بطريقة تسيء لمصر وكان عبد الناصر فى مؤتمر عدم الانحياز فى بريونى، فرآها الفرصة المناسـبة للرد المكافئ بتأميم شـركة قناة السـويس. وفور عودته يوم ٢٤ يوليو ١٩٥٦م أمر باستدعاء الدكتور الحفناوى فورا فأحضره حكمدار الإسكندرية من منزله مقبوضا عليه وبملابسه المنزلية. واعتذر له الرئيس عن طريقة استدعائه، وأجرى معه جلسـة عن قناة السويس حتى صلاة الفجر وبعد الصلاة فاجأه بأنه استدعاه ليصوغ قرار تأميم شركة قناة السويس وطلب منه الاختفاء بمنزله بالقاهرة حيث إن الجميع يعتقدون أنه مقبوض

عليه، حتى يستمع لعبد الناصر وهو يردد «اسم ديليسبس» فى خطابه يوم ٢٦/ ٧/ ١٩٥٦م فيتحرك للمقر الرئيسى لشركة القناة القريب من منزله وستكون الشرطة فى انتظاره ليستولى على المقر[٤٢] ويغلقه تحقيقا لأمنيته ووفاء لجهده. وما أن سمع الدكتور اسم ديليسبس فى خطاب عبد الناصر حتى اندفع لمقر الشركة يقتحمها وحده، حيث تأخرت الشرطة، وطلب من الكونت دى جراييه أن يسلمه مفاتيح المقر ويغادره هو والموظفون فوصفه دى جراييه بالجنون فرد عليه إننا قد أممنا الشركة، وكانت الشرطة قد لحقته فتم الاستيلاء على المقر فى توقيت واحد مع باقى مقار الشركة فى بورسعيد والإسماعيلية والسويس، لتدار الشركة بأكفأ مما كانت[٤٣]، حتى بعد سحب المرشدين ١٥/ ٩/ ١٩٥٦م. واشتعل حماس كل مصر استعدادا للتضحية وإحساسا بالفخر بينما فزعت بريطانيا وفرنسا لحرمانهم من السيطرة على القناة واهتبال عائدها والتجسس وتحليل ومراقبة تحركات تجارة العالم، وبينما قلقت الدول المستخدمة للقناة خوفا من تعطل مصالحها، شعرت الدول النامية وحركات التحرر فى العالم بالفخر والأمل فى انتصار الشعوب الصغيرة واستعادتها لثروتها المنهوبة.

حرب العدوان الثلاثى:

لم تكن ضربة التأميم أولى ضربات عبد الناصر للاستعمار فقد سبقها الجلاء وكسر احتكار السلاح، ومنع انضمام العرب للأحلاف والتكتلات السياسية، وقيامه بالمشاركة فى إنشاء مجموعة عدم الانحياز، علاوة على تدمير البنية الاستعمارية داخل مصر. وكان عبد الناصر مدركا لقَدَرِ مصر الموقع والموضع، والدور، والمستهدفة دائما من كل إمبراطوريات التاريخ كأهم دول العالم طبقا لقول نابليون ودالاس[٤٤]. ولأنها الطريق الأسرع والأقصر والأرخص إلى ثروات الشرق التى كانت اللبان والبخور والتوابل حتى أصبح الشرق الأوسط نفسه، الهدف ببتروله، وصندوق ثروته الذى يتضخم يوميا بعائداته، وبالسوق الأكثر سفاهة فى العالم، بالبذخ وشراء ما لا يستهلك وما لا يحتاج إليه.

وكشف عبد الناصر وفهم أساليب الاستعمار مع مصر، إما باحتلالها أو شرائها أو تحييدها أو عزلها عن محيطها العربى لتحجيمها. فواجه ذلك بالاتصال بالحركات الثورية فى العالم بالتأييد والتوعية والتعبئة والتدريب والاحتضان، وبالإعلام والتأييد المادى والسلاح المحدود، ليفتح بذلك أبواب الصراع على الاستعمار، ويشتت جهده ويخففه عن مصر. وكذلك خالف عبد الناصر البند الرابع من اتفاقيه الجلاء الذى أراد ربط

مصر بطريق غير مباشر بالاستراتيجية الغربية[٤٥]، وصمد للحصار الاقتصادى، والتجويع وللإغراء الفرنسى «بالتسليح والتأييد السياسى وشراء القطن الذى رفضته بريطانيا وبسعر مغر. كما صمد للابتزاز الأمريكى للصلح مع إسرائيل، أو للكف عن مساعدة مستعمرات بريطانيا وفرنسا[٤٦].

وتوقع عبد الناصر المواجهة، وأخذ التهديد البريطانى الفرنسى جديا وان لم يتصور انحطاط بريطانيا لدرجة التواطؤ مع إسرائيل. فأكد خطة الدفاع عن حدودنا مع فلسطين المحتلة واستعد لمواجهة الغزو تجاه إسرائيل من ناحية الإسكندرية والقناة. وببدء إسرائيل الهجوم ٢٩/ ١٠/ ١٩٥٦م، وإعلان بريطانيا عدم نيتها استغلال الصراع فى المنطقة حرك القوات الرئيسية لعبور القناة دون تعطيلها لإدارة المعركة مع إسرائيل طبقا للتخطيط الموضوع، يؤمنها ستة كتائب حتى تفتح[٤٧]. فلما صدر الإنذار الفرنسى البريطانى وافتضح التآمر تغيرت استراتيجيته أخذا بالأسبقيات، فكلفت الكتائب الستة بالعمل كمؤخرة للقوة الرئيسية التى ستعبر القناة غربا لتدافع عن مثلث بورسعيد – السويس – القاهرة وتأمين عودتها على أن تنسحب الكتائب بنظام بعد ذلك بـ ٣٦ ساعة. وقامت القوات الجوية بضرب قواعد إسرائيل الجوية وتدمير ٤٠٪ منها على الأرض حتى قال ديان يوم ٣٠/ ١١ «السبب ما لم يكن فى الجو أى طائرة إسرائيلية أثناء الهجوم الجوى المصرى»[٤٨]. وقامت البحرية ببطولات خارقة ضد العدو المتفوق، فى حيفا وأمام الإسكندرية، والبرلس وخليج العقبة، وقرب السويس. بينما تحطمت الهجمات الإسرائيلية برغم معونة الطيران الفرنسى وعجزت عن اقتحام أى موقع مصرى فى سيناء إلا بعد إخلائه وكانت ملاحمها مثار الإعجاب.

ولم تدخل القوات الإسرائيلية غزة إلا خلف القوات الفرنسية والبريطانية والموقع الوحيد الذى دخلته إسرائيل وبه قوات مصرية كان شرم الشيخ الذى قاتل قائدها وسيطر حتى نفدت ذخيرته وأمرته القيادة العامة بإشارة يوم ٥ نوفمبر «أقدر فيك وجنودك البطولة والإقدام.. ستكون مثالا للتضحية فى سبيل الواجب إذا لم يمكنك الاستمرار حتى أول ضوء فإننى آمرك أن تسلم وتخلص من جميع الأسلحة حتى البنادق والطبنجات بإلقائها فى البحر وتدمير المنشآت».

ومع ذلك استمر الموقع يقاتل ٢٤ ساعة أخرى ودفع القائد بالمرضى والمصابين والمدنيين فى مراكب صيد للسعودية وكذلك السفينة الحربية رشيد بنجاح لميناء شرم الوجه السعودى[٤٩] وكان قد رفض الانسحاب بعد الـ ٣٦ ساعة المحددة.

كانت معركة مصر شـريفة وشـرعية وقانونية ضد غزو وتواطـؤ همجي حقير غير مبرر شرعا أو قانونا حتى للشعب البريطاني الذى ألقى البيض والطماطم على أيدن وهو يغادر مقر الوزارة فى حراسـة البوليس، بينما عبد الناصر يسير فى سيارة مكشوفة، أثناء غارة جوية على القاهرة، يحوطه حماس وتأييد الجماهير الملتهب فى شارع الأزهر وجامع الأزهر.

الموقف الدولى:

الولايـات المتحـدة كانت تعلم تماما بالحرب وبمشـاركة طيران حلـف الأطلنطى بها وتدعم إسـرائيل وتشارك الغزاة[٥٠] فى الهدف وتختلف فى الأسلوب[٥١]. وكانت تستطيع منع الغزو ولكنها هيأت الظروف له بتدبير ثورة المجر وبولندا لشغل السوفيت ومنعهم من التدخل. وفى نفس الوقت تركت فرنسا وبريطانيا تتورطان وتستنزفان حتى ترثهما[٥٢] **لذلك** فانه من السـذاجة الظن بعدم معرفه أمريكا بالإعداد للغزو أو عدم رضاها عنه بالعمل ضده حيث أخلت قوات الغزو فى مسـئوليتها على الجبهة السـوفيتية وأمدت طيران بريطانيا وفرنسـا بمواتير للعمل فى الجو الحار وبخزانات وقود إضافية لزيادة مدى عمل الطائرات لتصل إلى العمق المصرى.

الدول العربية: إنحازت جميع الشعوب لمصر تأييدا لها بينما انحازت بعض الحكومات كالعراق ولبنان للغزاة ضد إرادة شعوبها التى أعلنت رغبتها فى التطوع لمساندة مصر.

الاتحاد السـوفيتى: متـورط فى أزمة المجر وبولندا التـى حركتهما الولايات المتحدة لشـغله عن الشـرق الأوسـط. وتردد فى تأييد قوى لمصر حتى يرى صمودها واتجاه الرأى العالمى. فقدم إنذاره الشهير بعد تأكده من رفض العالم والشعوب للمؤامرة. وصمود الشعب المصرى وجيشـه واسـتحالة انتصار الغزاة، وذلك بعد ثمانية أيام من الغزو حتى يحسـن صورتـه أمام العالم ولا يتخلى عن دوره[٥٣] بعد اكتشـاف مقاومة الشـعب المصرى ورفض شعوب العالم للعدوان والتآمر.

جمهورية مصر: برغم تأجيل عبد الناصر المواجهة مع إسرائيل – حتى يستكمل مشروعه الوطنى – إلا فى حالة الدفاع عن النفس وبمخطط مدروس لضرب الغزو الإسرائيلى إذا حدث. وفعلا نفذت القوات الخطة فور بدء الهجوم حتى صدر إنذار فرنسا وبريطانيا فرفضه عبد الناصر علانية فى الجامع الأزهر بقوله: «حنحارب ولن نستسـلم» فاستنفر الشعب نفسه وتدافع نحو مـدن القنـاة ليحيلها لقلاع حصينة يصعب الهجـوم عليها. وقاتل أهالى بورسـعيد الغزو منذ

اللحظة الأولى. وبرغم انخداعهم بالدبابات البريطانية على أنها سوفيتية لرفعها أعلام بعضها أحمر. وحدوث المجزرة بميدان المنشية. وهم يحيون من ظنوهم سوفييت، اشتعلت المقاومة، فغمرت بورسعيد المنشورات «أنا جندى بريطانى، حافظ على حياتى وتضمن لك بريطانيا ٢٠٠ جنيه إسترلينى»، وسمعوا القوات الفرنسية تصرخ أثناء الإنزال «مسلم والحمد لله». وسخروا من الدوريات البريطانية الليلية. بتحريك دمى جنود عبر الشوارع ليطلق عليها البريطانيون النيران بينما النساء يزغردن سخرية. وساهم الأطفال فى السخرية بتقليد الدوريات البريطانية أو تركيب ذيول ورق لجنودها. وتسيير حمير وخنازير مكتوب عليها إيدن. بينما ضربت دوريات الصاعقة معسكر دبابات الإنجليز بالشاطئ وخطفوا هم والفدائيون المصريون الضباط والجنود الإنجليز مثل «مورهاوس. وويليامز»[٥٤] فقد نجحت التعبئة النفسية للمصريين لأن تدفع شابا كأحمد هلال للقفز من الدور الأول ليرشق سكينا فى جسد رقيب بريطانى ويقتله حين كان يمر أسفل منزله تلقائيا. ودفعت الشاب محمد عسيران لتحدى ذكاء قائد مخابرات البريطانيين من بورسعيد، وليقترب منه برغيف خبز يتظاهر بأكله وبداخله قنبلة ليقتل ويليامز بها. كما دفعت الشباب أحمد هلال ومحمد حمد الله وطاهر مسعد أن يشيروا للسائق على زنجير وحسين عثمان فيخطفوا الضابط الصلف مورهاوس فى تاكسى زنجير ويخفونه فى صندوق فى مدخل منزل. ولما أخذ الإنجليز يحاصرون المنطقة ويفتشون المنازل ويعلمون ما تم تفتيشه وضع شاب علامة التفتيش على المنزل الذى به مورهاوس. وأكملت بطولة الفدائيين بطولة الصاعقة والطيارين الانتحاريين، وبطولة القوة التى عطلت طابور دبابات بقيادة برجادير بتلر الجنرال البريطانى المتجه إلى جنوب بورسعيد وأنزلت بالطابور خسائر فارتد إلى بورسعيد وأطفئت الأنوار لدخول الجرحى حتى لا يشاهد أهالى بورسعيد فشلهم وخسائرهم.

وانتهز ايزنهاور إهانة البريطانيين والفرنسيين. وفشل التقدم جنوب بورسعيد يوم ٦ نوفمبر[٥٥] وقيام عناصر انتحارية من القوات الجوية بضرب شاطئ الإنزال ببورسعيد[٥٦] حتى لا يحصلوا على المعلومات عن التحصينات فى مدن القناة واستحالة انتصار الغزو فضغط لخروج بريطانيا وفرنسا. بينما أبقى إسرائيل فى سيناء خمسة أشهر للاستعداد للمعركة القادمة وأصر على وجود قوات دولية فى شرم الشيخ لاستبعاد وجود قوات مصرية بها بذريعة عدم الاحتكاك بالإسرائيليين. ولإقناع مصر لذلك قال يحق للقوات المصرية العودة لشرم الشيخ وقتما تشاء مصر. كما أعلن دالاس وزير خارجية أمريكا بأن خليج العقبة مياه إقليمية مصرية. وفى تآمر مع إسرائيل منحها أيزنهاور ضمانا سريا بالمرور فى الخليج إذا مارست مصر حقها وأغلقته. ولم يعلن هذا الضمان إلا خلال أزمة ١٩٦٧م[٥٧]

ولولا تمسك عبد الناصر بعدم فتح القناة إلا بعد خروج آخر إسرائيلى من مصر ولولا شعور أيزنهاور باستعادة تسليح وتنظيم الجيش المصرى وتدريبه على القتال مما قد يدفعه للصدام المسلح مع إسرائيل فتضطر أمريكا للتدخل. لما طالب إسرائيل بالانسحاب من سيناء. ولعلنا بهذا نكتشف أن أيزنهاور لم يكن عادلا ولا أخلاقيا. إنما مستغلا لظروف بريطانيا وفرنسا وفشلهما لوراثتهما. ورافعا لدور إسرائيل من عميل إلى وكيل ترعى خمس دخل أمريكا واستثماراتها فى العالم أى من المنطقة[٥٨]. وقد خلف عدم تحقيق أهداف أمريكا من العدوان الثلاثى بؤرة توتر فى خليج العقبة تشعلها أمريكا وقتما تشاء. كما ينتقص من نصر عبد الناصر «فيكون كمن استرد سيناء بتنازلات» مما يسيء له حيث إن الحقائق غير معلنة.

الشعوب العربية والعالمية:

حفز الصمود المصرى غير المتوقع بخلاف تصور السياسيين البريطانيين[٥٩] إعجابا واستنفارا عربيا شعبيا للتطوع لجانب مصر. فبينما ضغط الجيش الأردنى والسورى للمشاركة فى الحرب قام رجال الجيش السورى بتدمير محطات ضخ البترول وتم تفجير بعض أنابيب البترول فى الكويت. وهاجم العراقيون المنشآت البريطانية وتم إحراق أكبر معسكر بريطانى فى الخليج. ونشطت جمعية عمر المختار وضباط ليبيا وشيوخها لمنع استخدام القوات البريطانية لقاعدة «العظم» ضد مصر وطالب الملك السنوسى نفسه بذلك وتواردت الأخبار بحركات تطوع لمساندة مصر. وتوقف القتال وفشل ٣٨ لواء، ٧٥٠ دبابة، ٢٥١٠ مدافع، ٨٧ قطعة بحرية مقاتلة، ١٣٤ سفينة معاونة، ١١٢ سرب طائرات مقاتلة وقاذفة (منها ١٩ سرب نقل، ٥ أسراب إمداد جوى واتصال) فى غزو مصر[٦٠].

المنظمات الدولية:

ساندت جميع المنظمات الدولية مصر وكان الدافع صمود مصر شعبا وحكومة وإدارة الصراع الفذة لعبد الناصر واحترام العالم له ولأنها مقاومة ضد جبروت المتآمرين.

شهادات العدو عن العدوان الثلاثى:

فى ٧/ ١١/ ١٩٥٦م قال بن جوريون فى الكنيست لم نكن نعرف أن الجيش المصرى بهذه القوة والكفاءة، حاربوا بشجاعة وعند انسحابهم خسرنا ٧٠ مركبة (نصف جنزير) وبذلنا أكبر جهد فى التاريخ اليهودى. وكانت أيامنا أيام فزع وذعر أمام هول الجيش المصرى[٦١]. بينما قالت إذاعة إسرائيل يوم ١١/ ١١/ ١٩٥٦م بعد ضرب كل مطاراتنا

وقواعدنا الجوية (ولم يفصح عن خسائر ٤٠ ٪ من طائراتهم) فلولا طيران الحلفاء والدول التي لها مصلحة في ضرب مصر لما استطعنا أن ننجو من مخالب الطيران المصرى[٦٢] وأعلنوا خسائر طيرانهم بنسبة ٥ : ١ لمصر وطائراتهم بنسبة ٣ : ١ لمصر[٦٣]. ولعل بطولة موقع شرم الشيخ دفعت بن جورين للرد على ديان حين أبلغه باحتلال الموقع «هل تستطيع إعلان ذلك في الكنيست وذلك لكثرة الخسائر». وعلق بن جوريون قائلا: «لقد سقط لنا ضحايا غالية من الصعب تعويضها»[٦٤]. ولا تسمح المساحة بعرض المزيد من الشهادات ونختتم الحرب على كل من قال:

– تشدق البعض بالقول – إن العدوان الثلاثي كان انتصارا سياسيا وهزيمة عسكرية. دون تدقيق وترويجا ببغائيا لأقوال حرب نفسية وإعلامية معادية أو لتصفية حسابات ولو رجعوا إلى:

هدف الحروب وهو: تدمير قوة العدو البشرية العسكرية وأسلحته ومصادر نيرانه وقدراته الإدارية والاقتصادية، وكسر تماسكه الاجتماعي، وفرض الإرادة عليه. فإن هذا لم يتحقق للأعداء فلم تكسر إرادتنا. أما القول بأننا لم ننتصر فلم ندمر قوتهم العسكرية فإن الدول الثلاث أيضا لم تدمر قدرتنا العسكرية بل تحولت بريطانيا وفرنسا لدول من الدرجة الثانية، وتحول العالم من متعدد القطبية إلى ثنائي القطبية. وصارت أمور المنطقة تبحث مع واشنطن وموسكو والقاهرة. ولم تحتل مصر أو مدن القناة أو يستولى على شركة القناة أو قاعدة القناة ولم يسقط عبد الناصر. إنما سقط إيدن وجي موليبه، وعادت القاعدة لمصر. وغنمنا منشآتها ومخزوناتها وورشها وخلصت لنا القناة فبدلا من أن كانت تدر سنويا ٧٪ من عائدها «٢،٢ مليون» كان عائد مصر في شهر يونيه ١٩٥٧م بعد افتتاحها «٢٤.٥ مليون إسترليني»، وأفرجت أمريكا وبريطانيا وفرنسا عن «١١٠ مليون إسترليني» مجمدة لنا. ومصرت مصر تسعة مصارف بريطانية وفرنسية برأسمال قدره «٢ مليون إسترليني»، كما مصرت خمسين شركة تأمين أجنبية رأسمالها «٥٠ مليون إسترليني»، وتخلصنا من السيطرة الأجنبية على الاقتصاد لينشط في الصناعة والأعمال التجارية والإدارية والمالية[٦٥].

لقد كشفنا ورأينا فشل إسرائيل في اقتحام أي موقع مصرى في الكونتيلا، والقسيمة، ونخل، وممر متلا، وفشل اقتحام دير البلح وخان يونس حتى ١٤/ ١١ ودخلت قوات إسرائيل خلف قوة فرنسية وبريطانية إلى غزة حيث مارسوا السرقة والوحشية والقتل بدم بارد لـ ١٤٠ نفسا في خان يونس، و ١٠٣ بمعسكر رفح يوم ١٢/ ١١ طبقا لمعلومات هيئة الإغاثة المحدودة المعلومات[٦٦].

حرب اليمن:

لم يحقق العدوان الثلاثى ما رغبته أمريكا من إسقاط لعبد الناصر وتقزيم لدور مصر. برغم معاونتها غير المعلنة للعدوان بإشعال ثورة المجر ولقلاقل بولندا لإبعاد السوفيت عن التأثير فى الغزو. وكذلك بإغماضها العين عن استخدام طيران وأسلحة حلف الأطلنطى فى الغزو. فقبلت نتائج العدوان لتخطط لتحقيق أهدافها كفكر أيزنهاور. بحصر وعصر وخنق وعزل مصر ليسقط عبد الناصر[٦٧] لعجزه أمام شعبه عن تحقيق أهدافه. ولعجز مصر على أخذ دورها وتحقيق طموحاتها. فيسقط غير مبكى عليه فلا هو شهيد معركة رمز أو بطل مقاومه فيصبح أسطورة. وإنما تنتهى فترته وفكرته ونموذجه.

وعلى هذا جهزت أمريكا للشقاق العربى. فأبرزت زعامة سعودية للمنافسة وخوفت جميع الزعامات العربية من إمبراطورية ناصرية باسم القومية العربية تقضى على جميع الزعامات العربية فأثارت الشك والعداوة. حتى حدث الانفصال مع سوريا ٢٨ سبتمبر ١٩٦١م وأعقبه «مؤتمر شتورا» احتشادا ضد مصر. وفجأه حدثت ثورة اليمن ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م كشوكة فى جنب حكام الجزيرة العربية من الملوك والأمراء. وللقاعدة الأمريكية فى الظهران وللبريطانية فى عدن فاعترف عبد الناصر بالثورة وأيدها ودعمها بقوات مصرية (٢٠٠٠ جندى) بينما عارضتها الملكيات رفضا للوجود المصرى بشدة. واعترف بها الرئيس الأمريكى جون كيندى فى ١٩ ديسمبر ١٩٦٢م[٦٨]. فأعلن عبد الناصر فى ٢٣ ديسمبر ١٩٦٢م فى بورسعيد قرار عودة القوات من اليمن وكان قد استشهد منهم ١٣٦ منهم ١١ ضابطا[٦٩]» وذلك قبل مضى ثلاثة أشهر على ثورة اليمن وفعلا عادت معظم القوات فى مايو ١٩٦٣م[٧٠] بعد إحلال قوات يمنية محل المصرية تم تدريبها.

وقد أراد عبد الناصر طى صفحة اليمن وإعادة لم الشمل العربى. ولكن الدول الملكية لم ترحب بالقرار. وفجأة استدعى المشير السلال قائد الثورة اليمنية الدكتور البيضانى. «فى وجود اللواء أنور القاضى قائد القوات المصرية باليمن» وأبلغه بتبليغ القائد المصرى عن سقوط المواقع التى تتركها القوات المصرية للقوات اليمنية فى يد أعداء الثورة. ونفى الدكتور البيضانى حدوث ذلك لاتصاله قبل لحظات واطمئنانه على جميع المواقع التى استبدلت بقوات يمنية. فأبلغه المشير السلال «نأخذ بمعلومات القائد المصرى» وتوقف تغيير القوات المصرية كطلب اللواء القاضى والسلال. ويفسر الدكتور البيضانى ذلك بأن القائد المصرى

كان ينفذ أوامر المشـير عبد الحكيم عامر المعترض على سـحب القوات المصرية لرغبته فى ميدان يغطى على مسئوليته عن الانفصال مع سوريا وكذلك لاعتراض السوفيت على سحب القوات المصرية من اليمن ولإبلاغ الزعيم السـوفييتى خروشـوف ذلك للمشير ووعده بمبلغ عشـرين مليون دولار لمصر مسـاهمة فـى تكاليف بقاء القوات المصريـة باليمن بل وتهديد السـوفيت بقطع المعونة العسـكرية والاقتصادية عن مصر فى حالة سحب القوات المصرية من اليمن[٧١].

وقد كشف الدكتور رءوف عباس فى مجلة الهلال يونيه ٢٠٠١م عن الوثيقة البريطانية الأولى المفـرج عنهـا من بين ثلاث وثائق، عن طلب تركيـا لاجتماع وزراء حلف الأطلنطى فى شـتاء عام ١٩٦٤م لتصفية جمال عبد الناصر للمتاعب التى يثيرها للغرب فى المنطقة، ولزيادة نفوذه برغم ضربة الانفصال عن سـوريا، وكذلك لنفوذه العسكرى الاستراتيجى فى اليمن، وسيطرته على قناة السويس والبحر الأحمر ولاقترابه من منابع البترول. مما يمكنه من إلحاق الضرر بالمصالح الغربية خاصة مع علاقته بالسوفيت. كما أن البعض كالسعودية والأردن وليبيا يخشى زعامته، كذلك لا ينكر خطره على مصالح الغرب فى إفريقيا وتأثيره فـى عدن والخليج وجنوب الجزيـرة. واقترحت تركيا فى هذا الاجتمـاع تحويل الوجود المصرى فى اليمن لمسـتنقع يسـتنزف قـدرات مصر العسـكرية والاقتصادية حتى يصعب خروجها منه. وترى الوقت مناسـبا لضرب عبد الناصر لسـوء علاقاته الحالية، بالعراق وسـوريا. واقترحت تركيا إعداد إسـرائيل لتقوم بضربه فى الوقت الملائم لها. واستنكرت اليونان اتهام عبد الناصر بالتحيز للسوفيت لحرصه على استقلال بلاده، وأن تجاوزه للخط الأحمر بالوجود فى اليمن مؤقت كما أنه عنصر استقرار بالمنطقة. وعارضت إيطاليا التقرير لتوازن علاقات عبد الناصر بين الغرب والسـوفييت. ورأت فرنسـا فى تقرير تركيا مبالغة. وتشاورت أمريكا مع أصدقائها فى المنطقه لتصفية عبد الناصر وأيدته بريطانيا، وشاه إيران والسـعودية، والأردن، وإسرائيل وبدأ التنفيذ[٧٢]. وأنشئ مركزا لتجميع المرتزقة فى لندن (٥٠٠٠ مرتزقة)[٧٣]. وشـاركت باقى الدول المؤيدة لمشـروع التصفية فى التكاليف والتسليح والنقل والاسـتفزاز الإعلامى وتأليب القبائل اليمنية ضد الثورة بالمال. واسـتدعى الرئيس الأمريكى جونسون ليفى أشكول «رئيس وزراء إسرائيل» وأعلمه بتغيير سياسة تسليح أمريكا للمنطقة وأنها ستسلح إسرائيل بثلاثة أضعاف ما لدى مصر وسوريا والأردن ولبنان، وأعلمه بالدور المطلوب من إسـرائيل. وبدأ أشكول استفزازه لكل العرب بإعلانه «إننا دولة صغيرة

نريد التوسع لاستيعاب كل يهود العالم حتى ولو لم يهاجروا لإسرائيل». وبدأ تحويل مياه نهر الأردن. فدعا عبد الناصر لمؤتمر قمة للملوك والرؤساء العرب. فسمع ضجيجا بلا طحن وتهجم على مصر ومحاولة توريطها، بدلا من التخطيط الجمعى لمواجهة إسرائيل. وأعلن عبد الناصر أنه غير مستعد للدخول فى معركة تجرنا إليها إسرائيل. واستمر استفزاز الإعلام العربى لمصر والعمل ضدها فى اليمن. وأمام رفض عبد الناصر قبول الانهزام أمام العدائيات فى اليمن، زاد حجم القوات إلى ٧٠ ألف حتى سيطرت على اليمن. وشرع[٧٤] دبلوماسيا لإعاده القوات من اليمن وتخفيضها بالاتفاق مع السعودية ولكنها عطلت الاتفاق ليتم تنفيذ مخطط ضرب مصر فى معركة ١٩٦٧م.

ولقد زايد البعض جهلا أو بقصد لنسبة أسباب هزيمة معركة ١٩٦٧م للوجود المصرى فى اليمن الذى تسبب فى زيادة الإنفاق لزيادة حجم القوات وقتها. ولتوضيح ذلك نقول إن جملة تكلفة هذا الوجود باليمن بلغت ٩٠ مليون جنيه[٧٥] بمعدل ١,٢٥٠ مليون ريال يمنى شهريا، ٧٥٠ ألف جنيه شهريا، ٥,٣٥٠ مليون جنيه حسابيا سنويا[٧٦] وثبت صمود الاقتصاد المصرى. ففى أول مايو ١٩٦٧م أعلن عبد الناصر رصد ألف مليون جنيه للزراعة منها ٤٠٠ مليون جنيه للسد العالى وكذلك رصد ألف مليون جنيه أخرى للتصنيع. وأدرج فى ميزانية ١٩٦٥م إنشاء فرقة مدرعة وفرقة ميكانيكية للجيش. ولما لم تظهر الفرقتين انتظر الرئيس عودة المشير من باكستان ١٩٦٧م ليسأله عن الفرقتين لحساسية العلاقة بينهما[٧٧].

أما الادعاء ببيع ذهب مصر لتمويل حرب اليمن. فيقول على نجم «رئيس البنك المركزى» إن مجلس الوزراء قرر بيع ما قيمته ١٠ مليون دولار ذهبا (لاحظ قيمة الدولار المتدنية بالنسبة للجنيه المصرى وقتها) وذلك لإيقاف أمريكا بيع القمح لمصر بتسهيلات فاضطرت مصر لشرائه من السوق العالمي وصدق عبد الناصر على قرار مجلس الوزراء بالبيع قائلا إن كنوز الدنيا لا تساوى شيئا أمام جوع مواطن مصرى[٧٨]. وأما بالنسبة لقول البعض إن حجم القوات باليمن كان سببا فى الهزيمة. فقد اشتعلت الحرب وباليمن ستة ألوية مشاة، ومجموعة صاعقة، وثلاث كتائب مدفعيه فقط[٧٩] بينما حشد فى سيناء يوم ٤ يونيه ١٩٦٧م «أربع فرق مشاة، ٤ لواءات مشاة مستقل. وفرقة مدرعة. ٤ لواءات مدرع مستقل، ٥ لواءات مدفعية، وكتيبتان صواريخ رئاسة عامة. و٣ كتائب هاوون رئاسة عامة. وكتيبتا استطلاع مدرع، و ٣ كتائب صاعقة علاوة على وحدات الحرس الوطنى والمهندسين العسكريين. وكانت هذه القوات أكبر من احتياجات الخطة الدفاعية عن سيناء. لكن كانت الهزيمة لأسباب أخرى[٨٠].

معركة ١٩٦٧م:

عقب الهزيمة كثر الإلحاح على عقولنا حتى قلنا هزمنا في حرب. بينما هي بجميع المقاييس معركة ولم تكن معركة فاصله يبنى الحكم على نتائجها وإذا نظر البعض لآثارها بهلع مستجيبا للحرب النفسية والمتشفية ضدنا فإن ذلك لانهزاميتهم لفقدهم التماسك وقدرة الصمود. فلم يتحدوا الهزيمة ويستنفروا إمكاناتهم بل قنعوا بالرضوخ والعويل ولكن بعد صمود دام ثلاث سنوات مجيدة فهم لم يكونوا مثل تشرشل حين انهار الجيش البريطاني في معركة دانكرك وخسر ١٢٠ ألف مقاتل ودخل المستشفيات النفسية ٤٠ ألف مقاتل فقال عنهم تشرشل لقد كسبنا اليوم ٤٠ ألف مقاتل.. إذا كنا خسرنا معركة فلم نخسر الحرب. وليس لدى ما أعدكم سوى العرق والدم والدموع. وقرر تقييد الاستهلاك حتى المياه لاستخدامها في الإطفاء. وصمد البريطانيون. وزرعت الحدائق بالخضر والفاكهة فقط دون ورود. وقامت البريطانيات بتربية الدواجن في المنازل. فقد كان يصرف للبالغ (خمسة أثمان) بيضة. وموس حلاقة شهريا. ويصرف للطفل إصبع موز إسبوعيا. وتبرع الناس بالذهب وخواتم الزواج وحلل الالومنيوم فانتصروا بعد ٦ سنوات. وكذلك نحن. فحين خسرنا معركة ٦٧. قال عبد الناصر الاستراتيجي والسياسي العبقرى أيضا «إذا كنا خسرنا معركة فلم نخسر الحرب. إن ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة». ولم يعد الناس بحياة كئيبة كما وعد تشرشل شعبه. فكانت حياتنا طبيعية مع ضيق محتمل. واستكمل المشروعات الاستراتيجية في توقيتاتها. وأوجد بدائل لعائداتنا التي توقفت عقب المعركة مثل خط سوميد لنقل البترول بين السويس وغرب الإسكندرية كبديل لعبور ناقلات البترول للقناة وأدار حرب استنزاف متدرجة ناجحة ضد العدو وتراكم إعداد الشعب والجيش والدولة لمعركة التحرير دون انهيار. ولا نعني بذلك نفي الأخطاء أو تهوين الأمور أو التقليل من الهزيمة التي تغلبنا على صدمتها التي نفذتها إسرائيل وأمريكا استكمالا لخطتهما وحلفائها منذ ثورة يوليو[٨١] فقد مهدوا الجو العالمي والإقليمي لضرب مصر والعرب[٨٢]. وأشاعوا خطر إزالة إسرائيل الصغيرة وإلقائها في البحر. تبريرا لعدوانها ولجلب الدعم والمتطوعين والتبرعات والسلاح. فعمي بصر العالم وبصيرته عن غارات إسرائيل وتهديد قادتها. باحتلال سوريا وإسقاط نظامها. وتدفق المتطوعون وتفوقت إسرائيل بالسلاح كما ونوعا وتقنية. وكانت إسرائيل تجدد شباب قيادتها كل أربع سنوات كدولة للجيش تعد للتوسع بالعدوان[٨٣]. بدعم غربي أمريكي- صهيوني. أما عربيا فقد أبلغونا الفتنة والتشرذم

وتركيز الجهد الإعلامي للإساءة واستفزاز مصر وتحميلها وزر احتلال فلسطين وتجريمها للتورط فى حرب ليست من صنعها وليست صاحبة توقيتها.

وقام العرب بتهديدات لإسرائيل لا يقدرون على تنفيذها. استغلها الغرب إعلاميا ضدنا[٨٤] وكان موقف السوفييت مع مصر غير مكافئ لموقف أمريكا بالنسبة لإسرائيل تسليحا، بل إنه بعد إشعاله المنطقة بتبليغه بالحشود أمام سوريا لم يتابع المعلومات لمصر فظهر إما كمخدوع مثلنا أو متواطئ.

الجوار التركى والإيرانى مساعدا لإسرائيل ومضادا للقومية العربية:

فى مصر كانت استراتيجية عبد الناصر دفاعية ليتفرغ لتحقيق مشروعه التنموى لبناء كيان سياسى اقتصادى اجتماعى عسكرى قوى أولا. وكان يواجه المشاكل مع خصوم الثورة بينما نجحت جوقة من المنافقين أحاطت بالمشير عامر لتحدث انفصاما بينه وبين القيادة السياسية مستغلة ذلك لصالحها، دون متابعة للخطر المتربص المتنامى على الحدود ليزيد فجوة القوة لصالحه كعدو وعدوانى توسعى لا يؤمن جانبه لحظة.

بدأت الغزوة لمصر. وجيشها تقوده قيادة لم تتغير من ١٩٥٣م وترفض تغيير معاونيها منذ ١٩٥٦م. ووصلت الأمور ليصبح المشير نائب القائد الأعلى ونائب رئيس الجمهورية فصارت كل السلطة فى يده والقوة فى يده فاستقوى بشلة من كبار القادة ومجموعة من الضباط الصغار، استغلوه وضيعوه بعد أن وجهوه للهزيمة. وعين المشير وزيرا للحربية لمعاونته فاستخدم المباحث الجنائية وغيرها للتسلط على قطاعات من المجتمع المصرى والمعارضة بذريعة حماية النظام الثورى، فاتبعوا أساليب أحدثت شرخا فى المجتمع المصرى ومارس أسلوبا فى القوات المسلحة جعل الولاء معيارا للمناصب والسلطة. وانحرفت القوات المسلحة عن واجبها الأساسى وانشغلت بالسياسة اليومية والمسائل العامة بينما تركت وظيفتها السياسة العليا، والاستراتيجية العليا. وقد تشارك أحيانا فى السياسة العامة كعمل قومى[٨٥]. وقد أثر كل ما سبق فى الانضباط والتدريب والتفرغ ورفع الكفاءة القتالية وتجهيز مسرح العمليات، وتكوين وتدريب الاحتياط، ومتابعة التطور التسليحى والإعداد القتالى للعدو. وبرغم تكليف المشير معاونيه والقادة بالاهتمام بالتدريب والاستعداد القتالى، لكثرة مشاغله التى عطلته عن متابعتهم حتى إنه لم يزر الجبهة منذ ١٩٦٢م حتى ١٩٦٧م سوى ثلاث مرات[٨٦]. فإن من اعتمد عليهم خذلوه بالفهلوة والتضليل. فلم يعدوا

احتياطى مدرب أو قوات عاملة كاملة التدريب. وضللوه بأن عمليات اليمن «وهى عمليات أمنيــة تقريبا» هى تدريب بالذخيرة الحية كأعلى مراحــل التدريب. وصوروا له العروض السنوية العسكرية كمظهر للقوة حقيقى فى خداع للنفس. ولم يعدوا مسرح العمليات الدائم بالقوات والتجهيزات الهندسية المفترضة كحد أدنى تتطور بتطور قدرات العدو واحتمالات عملياته[٨٧]. وصارت القوات البحرية والجوية جزرا منعزلة وليســت أســلحة مشتركة ولا يعفى ذلك المشــير من مســئولية القيادة. وبســبب العناصر الأمنية فى الجيش لم يتصاعد التدريب للمســتوى التعبوى والاســتراتيجى. حتى لا توضع هذه العناصر تحت الاختبار وينكشــف عدم كفاءتهم. وبرغم إيفاد المشــير هذه العناصر فى فرق دراســية وبعثات لرفع مستواهم، فإن كثيرا منهم وجد الأمن يحقق نفوذا ومناصب أكثر. وتضخم أولئك «الأمنيون» ومن حول المشير ذاته فى مواجهة الرئيس، وبرز ذلك فى أن سياسة الدولة ١٩٦٧م كانت دفاعية فبرزت فى توجيهات المشير للقوات تعليمات تعرضية حذر منها الرئيس[٨٨] وبرغم تحذيــره بزيــادة احتمالات الحــرب أيام ٢٥/ ٥، ٢٩/ ٥ بنســبة ٨٠ ٪ حتى ٢/ ٦/ ٦٧ بأنهــا بنســبة ١٠٠٪ ولن تتعدى يوم ٥ يونيه. فلــم يؤخذ تحذيره ولو من باب الأحوط. بل ولعدم الاقتناع، أمر المشــير بنشــر تقرير مخابراتى يوم ٢/ ٦ بأن إسرائيل لن تفكر فى الإقدام على الحرب لموقف العرب. وذلك على نطاق واسع. كما طار المشير فى اليوم الذى حــدده الرئيس للحرب وفى وداعه قــادة وبرفقته قادة وينتظره ٢٨ قائدا تاركين وحداتهم فى لحظات الخطر المحذر منها. فبدأت الحرب وهو فى الجو للمرور على القوات ولم يكن ذلك إلا استعلاء على معلومات الرئيس[٨٩] وتخطيا للوضع والدور وحدود السلطة السياسية والعسكرية بالدولة.

أمريكا وتجهيز إسرائيل لمعركة ١٩٦٧م:

منذ يوم ٥/ ١/ ١٩٥٧م خططت أمريكا لخدمة المخطط الاستعمارى الأمريكى فى المنطقة حيــث أكد ذلك أيزنهــاور بطلبه يومها من الكونجرس «حق اســتخدام القوات المســلحة الأمريكية فى الشــرق الأوســط دون تصريح من مجلس النواب كما ينص الدستور». وقامت المعركة وضربت أمريكا بيد إسرائيل التى جهزتها خلال حرب اليمن، فعلاوة على دعمها إسرائيل المادى بـ ٣٦ مليار دولار من ١٩٤٨م حتى ١٩٦٨م[٩٠] عاونتها بالآتى:

١ - أمدتها CIA بالفنيين والمواد المسروقة من مفاعلات أمريكية لتشغيل مفاعلها النووى[٩١].

٢ – أمدتها بقيمة «٤٠ مليون دولا» بـ ٢٥٠ دبابة. ١١٠ قاذفة مقاتلة وكلفت ألمانيا بدعمها بقطع بحرية، ودبابات. وطائرات. ومدفعية بما قيمته ١٠٠ مليون دولار «طبعا بسعر رمزى».

٣ – وفى سنة ١٩٦٦م أمدتها بـ ٨٠ إلى ١٠٠ طائرة جديدة.

٤ – أمدتها فى ١٩٦٦م أيضا بما قيمته ١١٠٠ مليون دولار أسلحة لم يكشف عنها.

٥ – للتمهيد للمعركة يسرت المخابرات الأمريكية لإسرائيل الحصول على الخطة البريطانية الجوية للعدوان الثلاث ١٩٥٦م[٩٢] علاوة على كشف بأسماء ١٤٠ طيارا متطوعا جاهزا للعمل فى إسرائيل من أمريكا، وجنوب إفريقيا وأوربا[٩٣].

٦ – من ميزانية الـ CIA أعطيت إسرائيل ثلاثة أسراب سكاى هوك، ودبرت لها سربين ميراج. ٦٢ دبابة ليوبارد (ألمانية الصنع) من هولندا. كما دبرت لها ٧٢ ثم ١١٠ ثم ٤١ طيارا على التوالى[٩٤].

٧ – وحين علم جونسون بوجود غازات سامة لدى مصر أرسل لإسرائيل ٢٠ ألف قناع واقى مباشرة وبضغط على ألمانيا لإرسال أقنعة أيضا.

٨ – تم اختبار وتخطيط خطة عدوان ١٩٦٧م على الحاسبات الإلكترونية للبحرية الفرنسية فى طولون باتفاق مع وزير الدفاع الفرنسى دون علم الرئيس ديجول[٩٥].

٩ – فى ٢٨ / ٥ / ١٩٦٧م أعلن جونسون تزويد إسرائيل بالبترول وقال لليفى أشكول لا تبددوا أموالكم بشراء السلاح فالأسطول السادس موجود بجانبكم[٩٦] وذلك بعد طلب عبد الناصر من المؤيدين لغلق الخليج بأن يطلبوا من شاه إيران عدم إمداد إسرائيل بالبترول تجنبا للحرب.

١٠ – فى ٣ يونيو أصدر جونسون أمرا رئاسيا بقيام قاعدة رامشتاين بألمانيا الغربية بدفع طائرات «رف – ٤س» لاستطلاع كل ما هو ثابت ومتحرك فى سيناء، انطلاقا من بئر السبع وحصلت كل طائرة على خمسمائة قدم صور سينمائية وهى تحمل العلامات الإسرائيلية.

١١ – شكل الرئيس الأمريكى مجموعة إدارة الأزمات (مستشار الأمن القومى، ووزيرا الدفاع والخارجية، ورئيس وكالة المخابرات المركزية)، وكان يحضر جلساتها بنفسه عند اللزوم خدمة لإسرائيل[٩٧].

١٢ – كان أخطر ما زودت به إسرائيل أجهزة فك الشفرة والتنصت واعتراض الرسائل وإعادة صياغتها للتضليل. فكشفت إسرائيل المعلومات والخطط وضللوا الرسائل للأردن فضربها الطيران الإسرائيلى والرسالة تقول إنه مصرى. وسحبت سوريا جيشها من الجولان اعتمادا على رسالة مضللة وصلتها من مصر بأن الأردن يؤمن جانب سوريا بمعاركة الناجحة بينما الرسالة تقول إن الموقف الأردنى سيىء[٩٨].

١٣ – عاونت أمريكا بالتضليل على مستوى رئيس جمهوريتها لمعاونة إسرائيل ففى ٢٣/ ٥/ ١٩٦٧م أرسل جونسون خطابا حارا لعبد الناصر بدعوة حارة للسلام. واقترح إرسال نائبه لمصر واستعداده للقاء نائب الرئيس المصرى يوم ٥ يونيه طالبا التعهد بعدم البدء بالعدوان. وتعهد بمنع إسرائيل من بدء العدوان مع امتناع مصر عن الاعتراض على تحويل قضية مضيق العقبة إلى محكمه العدل الدولية. وكذلك طالب بعدم بدء العدوان بواسطة سفيره وسفير الاتحاد السوفيتى ويوثانت سكرتير عام الأمم المتحدة. ولم يتشدد عبد الناصر بل طالب يوثانت بتنفيذ ما كان متبعا على المضيق يوم ٢٩/ ١٠/ ١٩٥٦م مستشهدا بإعلان دالاس وزير الخارجية الأمريكى سنة ٥٧ بأن خليج العقبة مياه إقليمية مصرية وكان خداع الرئيس الأمريكى مماثلا لخداع يوم ٢٩/ ١٠/ ١٩٥٦م[٩٩] الذى تحدد للقاء وزراء خارجية مصر وفرنسا وإنجلترا لحل الاحتقان القائم مع نية المخادعة.

ولرغبة عبد الناصر الصادقة فى السلام طالب فى خطابه يوم ٢٣/ ٥/ ١٩٦٧م العرب المتحمسين لغلق الخليج بأن يطالبوا صديقهم شاه إيران بعدم إمداد إسرائيل بالوقود عبر الخليج تجنبا للحرب.

وطالب السوفييت بتحذير أمريكا للضغط على إسرائيل لتجنب الحرب. فهم «السوفيت» الذين أثاروا المنطقة ببلاغاتهم عن حشود إسرائيل فى مواجهة سوريا. وأيضا فى اجتماع الهيئة العليا للاتحاد الاشتراكى ٣١/ ٥/ ١٩٦٧م قال إنه يمكنه وهو أمر صعب سيتحمله أن يغطى بالعمل السياسى حل الأزمة إذا كانت القوات المسلحة غير جاهزة[١٠٠]. وطالب وزير الخارجية بالبحث عن وسائل دبلوماسية لذلك. ورد المشير بأن القوات المصرية لها خططها الدفاعية والتعرضية وفى ٢٧/ ٥/ ١٩٦٧م قال للمشير عامر إن القيام بالضربة الأولى سيستعدى العالم ويبرر للأسطول السادس العمل ضدنا وهو ما لا نستطيع تحمله. وإن هدفى من إدارة

الأزمة أن نخرج منها بسلام. وطالب بإلغاء الأمر الإنذارى للعمليات التعرضية[١٠١] بينما كان المشير ووزير الدفاع وراء تصعيد الأحداث بمقولة غلق خليج العقبة فجنودهم لا يتحملون رؤية السفن الإسرائيلية وهى تمر فى الخليج وهما لا يستطيعان شد اللجام[١٠٢]. وكانت إسرائيل تجنى ثمرة تضليلها وبكائياتها واستضعاف نفسها، وتضخيم تسليحنا المنتظر منذ ١٢/ ١١/ ١٩٦٥م بإبلاغها الأمريكيين بتدفق السلاح السوفيتى لمصر برغم الأزمات بينهما ليصل الجيش المصرى فى سنة ٦٧/ ١٩٦٨م إلى: ١٩٠٠ دبابة قتال، ٢٥٠ مقاتلة، ٧٠ قاذفة. ٥٠ هليكوبتر، ٥ بطاريات صواريخ أرض جو، إمكانية تصنيع ٥٠٠ صاروخ قاهر ٦٠٠ كم، ٤٠٠ صاروخ ظافر ٣٨٠ كم لضرب التجمعات السكانية، ويمكن تجهيزها برءوس كيماوية علاوة على تصنيع مصر لذخائر كيماوية، وقنابل غاز. والوصول للسلاح النووى بمفاعلات ٧٥ - ٢٠٠ ميجا واط، والتسلح بعشر مدمرات، ١٣ غواصة ١٢ لنشا مسلحا بالصواريخ. كان مخطط الاستضعاف واستثارة أمريكا لمزيد من السلاح واضحا[١٠٣] وتسلحت إسرائيل ورفعت قواتها من ٤٠ ألفا إلى ٢٥٠ ألفا ومن لواء مدرع، واثنين ألوية ميكانيكية إلى ٧ لواءات مدرع، ٢٤ لواء ميكانيكيا وحشدت ٦٠٠ طيار، ٣٧٦ طائرة. لتبدأ ضربة لمصر باتفاق أمريكى لتكشف فيها عبد الناصر فتهزمه أمريكا، وتهزم جيشه، وتقزم مصر بالوصول إلى العريش، رأس محمد. فإما يتنحى عبد الناصر أو يغتال، أو يحدث انقلاب ضده وبالمفاجأة لا يسقط فى مقاومة فيصير أسطورة أو يقتل فى حرب فيصبح شهيدا ويتحقق المخطط الاستعمارى الأمريكى للمنطقة. وتجاوزت إسرائيل ما خطط لها وحققت فوق ما تمنت أمريكا مع كل أخطائها حتى ضربها للسفينة الأمريكية ليبرتى عن عمد.

الضربة الجوية:

وتمت الضربة الجوية المحذر منها والمنذر بتوقيتها والمنبه بأسلوب مواجهتها، فلا يعنى إطلاقا قبول الضربة الأولى، السماح لطيران العدو باختراق حدودها، وضرب طياراتنا على الأرض والقيادات كانت إما فى حالة توديع أو استقبال نائب القائد الأعلى ومن معه.

وبينما تم إهمال احتلال قوة إسرائيلية لطارة أم بسيس «أبوعجيله» فى الساعة ٤٣٠ ووصول البلاغ للقاهرة بذلك ساعة ٧٠٠ يوم ٥/ ٦/ ١٩٦٧م[١٠٤] تدفقت المعلومات غير[١٠٥] الدقيقة من مسئولين أمنيين غير مؤهلين أو مختصين إلى القيادة العامة مباشرة فى تسابق بتهويل قوة العدو وبانهيار القوات ليضعوا القائد العام فى ظروف نفسية للمفاجأة مسئولا عن

الأرواح التى تقتل بكثرة والقوات التى تنسحب فى فوضى أمام عدو ضخم خارق. ولا يعفى هذا قادة كبار «كان الولاء وليست الكفاءة مقياس وظائفهم من عدم التحقق من المعلومات التى أجبرت المشير إنسانيا لإصدار أمر الانسحاب غير المبرر بينما لم تؤدى القوات دورها أو تخوض معاركها. أما الأمر فتلقاه الأمنيون غير المسئولين أو المؤهلين أيضا ليبلغوه للقوات مفتوحا وعن طريق أفراد الشرطة العسكرية الذين اعتبروا الانسحاب قرارا واجب التنفيذ بسرعة فسادت المعلومات الكاذبة مع أن المحقق أن الذين انسحبوا فور الضربة وهو أمر طبيعى كان المدنيون العزل من عمال المناجم والمحاجر والطرق والبترول وشركات البترول والموظفين والعاملين من غير أهالى سيناء. وكذلك جنود الاحتياط المستدعين الذين لم ينضموا على وحداتهم أو الذين دفعوا لوحدات تحت الإنشاء، بدون قيادات أو سلاح ومعدات فى الوقت والأسلوب الخطأ.

أما باقى القوات والوحدات فقد كانت متماسكة حسب أوضاعها وكان الهيكل العام للقوات المسلحة سليما لم يتأثر بالخسائر المحدودة[١٠٦]. وأدى قرار الانسحاب غير المبرر واقعيا أو علميا خلال ٢٤ ساعة لحدوث الارتباك والفوضى والخسائر والهزيمة. ففنيا وعلميا، كانت القوات قادرة على قتال معاركها بخسائر أقل بدون الانسحاب، وبدون الطيران حتى يستعوض. وكان ذلك رأى كثيرين[١٠٧]. فمنذ متى حقق الطيران الاستيلاء على الأرض، وحتى لو تغلغلت قوات العدو وهاجمت قواتنا فذلك سيحد من نشاط العدو الجوى ولعل علم الفريق مرتجى قائد الجبهة بقرار الانسحاب من نقيب شرطة عسكرية والقوات المنسحبة يوضح الخلل الذى أصاب أسلوب عمل القيادة[١٠٨].

– خسرنا المعركة بينما نجحت أمريكا وشركات البترول وإسرائيل فى مخططاتها وتوسعت إسرائيل فى الأراضى المحتلة لتدبيرهم المحكم. ولمخالفتنا لسياسة واستراتيجية الدولة، حيث تغيرت خططنا أربع مرات خلال ٢٠ يوما للتحضير للمعركة. فارتبكت وأرهقت القيادات والقوات والمعدات[١٠٩].

– بالاستفادة من قيمة الرأى العالمى فى حرب ١٩٥٦م، خدعت أمريكا وإسرائيل وضللتا العالم، بتواطؤ وسيطرة إعلامية وتلفزيونيه وصحفية لدول غربية وعربية واستقطاب لمثقفين عالميين. لقد شبهوا عبد الناصر بهتلر، والعرب بمن سيسرق اليهود الذين أحالوا تراب فلسطين لذهب وسيلقونهم فى البحر[١١٠].

– لم يـؤد فهمنا للواقع العالمى والأمريكى لسـلوك مضاد مكافـئ لعيوب فينا، وإهمال فـى إعدادنـا وتجهيزنا، وقصور فى إدارتنا للمعركة فنجحـت المؤامرات التى دبرت لنا، والكمائن التى استدرجنا لها بخداع أو انخداع أو تواطؤ الحليف، وتآمر الأخ والصديق[١١١]. وهـذه هـى طبيعة أمور الخصوم والأعـداء وغير المخلصين فلا نلوم إلا أنفسـنا. فلم نجهز للمواجهة بالاتفاق فكرا وبالتنسيق لتحقيق التوازن والتفوق فى السلاح والتدريب والاستعداد القتالى بمسـرح عمليات مجهز لاحتمالات العدائيات المحتملة وبالخطط المناسبة. فخسرنا ٨٥٪ من المعدات، ١٥٪ من القوات، وبأمر انسحاب غير مبرر ضاعت سيناء دون أن تقاتل القوات البرية الضخمة وتأخذ فرصتها فى القتال عدا البطولات[١١٢].

الحرب النفسية المضادة والحقيقة:

تعرضنا لحرب نفسية وإعلامية متشفية ومضادة وموجهة للشعب والجيش، بأن هزيمتنا قدر وقائم لعشـرات السـنين. وتشـدق البعض بأن ديان على التليفون ينتظر ليسـمع من عبد الناصر الاستسـلام بينما ديان نفسه لم يسـمع إلا طلقات النيران من القوات المنسحبة لغرب القناة التى أفاق معظمها وتماسـك ليمنع الاقتراب من القناة. كما سمع ديان انطلاق ٣٠ طيـارا مصريا فى عملية فدائية يعترضون طائراته مع الدفاع الجوى[١١٣] الذى فك قيده فأسـقطوا يوم ٥ يونيه نفسـه ٥٠ طائرة ويوم ٦ يونيه ١٥ طائرة أى ٦٥ طائرة تعادل ١٥٪ من الطيران الإسـرائيلى[١١٤] واستشهد من الأبطال ١٢ طيارا. وقاتلت لواءات مدرعة ومشاة بوسـط سيناء حتى يوم ٩/ ٨ دون غطاء جوى مع خسائر. وطارد اللواء الأول مدرع وكتيبة دبابات اللواء الأول مشـاة قوة إسـرائيلية داخل أرض فلسـطين المحتلة لـ ٥٥ كم شـرق الكونتـلا[١١٥] وعطلـت قوة من مئة جندى على طريق مثلث القنطرة تقدم العدو ١٨ سـاعة وأكد العقيد الإسـرائيلى شموئيل جونيه بكتابة (٣٠ ساعة فى حرب أكتوبر) ترجمة هيئة الاستعلامات فقدت إسرائيل ٢٠٪ من طيرانها و١٥٪ من الطيارين فى معركة ٥ يونيه لقد حدثت بطولات عتم عليها ضباب الهزيمة برغم استحقاقها ورجالها للتمجيد.

وأخيرا يخطئ من يقول بهزيمتنا أمام إسـرائيل وحدها، فقد حاربنا معها إدارة الحرب الأمريكية بكامل سلاحها وعتادها وأجهزتها الإلكترونية وعناصر استطلاعها ومخابرتها[١١٦]، بل والمسـاعدة فى التخطيـط والإدارة بمجموعة إدارة أزمات فـى البيت الأبيض يضم وزير الدفاع ورئيس وكالة المخابرات المركزية الأمريكية[١١٧] والرئيس الأمريكى نفسه أحيانا.

التنحى:

وتنحى عبد الناصر مساء ٩/ ٦/ ١٩٦٧م فتفجرت أصوات الشبابيك والأبواب التى تصفق وأصوات الجماهير التى ترعد، رافضة الهزيمة، رافضة تنحى عبد الناصر. وخرج العرب جميعا بنفس الحمية بل خرجت السيدات السعوديات عاريات الرأس هارعات إلى الكعبة والمسجد النبوى صارخات مع الجميع بالدعاء لمصر رافضات الهزيمة. وتولى الشعب فى مصر القيادة، وأمر عبد الناصر بالبقاء. وفوضه وحده بالسلطة والقيادة، بذكاء وفطنة من يعرف المسئول عن الهزيمة برغم قول عبد الناصر بمسئوليته عما حدث. وهلل الخصوم وتشفى الأعداء والانهزاميون لكنهم أفاقوا حين فهموا أنها هزيمتهم أنفسهم، فابتلعوا أحقادهم.

وكان أكبر تعبير مبهر لذكاء وفطنة الشعب العربى التلقائى استقبال أهلنا فى السودان لعبد الناصر مما بهر العالم. وقطعت دول الاتحاد السوفيتى عدا بولندا وكل آسيا وإفريقيا عدا «بتسوانا وسويزى لاند ومالاوى» العلاقات بإسرائيل، ونادت كل زعامات العالم المحترمة عبد الناصر بالعدول عن التنحى. وأسرعت الجزائر بالمساندة بأربعين مقاتلة وبإيقاف خطة التنمية فى الجزائر لحساب دعم مصر، وبذل الزعيم هوارى بو مدين بعد زيارته لمصر ١١/ ٦/ ٦٧ جهدا محترما مع الزعماء السوفييت يليق بثوريته[١١٨]. وحين أراد السفير السوفيتى تذكير الرئيس يوم ٨/ ٦/ ١٩٦٧م بأنه مدعو لاحتفالات العيد الخمسين للثورة السوفيتية كفرصة للقاء القادة السوفيت، رد عليه عبد الناصر «إنه فى وضع لا يسمح له بالتفكير فى الأعياد ولديه فى كل قرية مأتما»[١١٩]، ولما قال له إنه يمكنه تقديم مطالبه فى اللقاء رد الزعيم إنه فى بلادنا حين تصيب أحد مصيبة يأتى الناس إليه فأتى قادة السوفيت لمصر.

وإذا لقد آمن الشعب وتوحد مع الجيش والحكومة بفكرة عبد الناصر «بأننا خسرنا معركة وستستمر حرب لاسترداد ما أخذ بالقوة»، وأعطى عبد الناصر جهده ووقته مقسما ٨٥٪ للقوات المسلحة، ١٥٪ لتموين الشعب[١٢٠]، فلم تتوقف النيران يوميا برا أو بحرا أو جوا فى إغارات لم يتحملها العدو لخسائرها بينما تحملنا ردود فعله حتى غير الأخلاقية منها مثل قيامه بضرب المدنيين فلم يتفتت تماسكنا. وتدخلت هيئة الأمم المتحدة وأمريكا حتى مبادرة روجرز توقفت النيران ٨/ ٨/ ١٩٧٠م.

حرب الاستنزاف:

من ٥/ ٦/ ١٩٦٧م لم تتوقف النيران برغم صدور الأوامر بضبط النفس وعدم إطلاق النار إلا دفاعا عن النفس. وكانت مهمة القادة صعبة لمنع الضباط والجنود من إطلاق النيران حين

يرون العدو لإحساسهم بالغضب لهزيمة لحقتهم دون أن يحاربوا. فقد كان كرباج هزيمة مهينة يلهب كل الظهور نظير نصر رخيص يتباهى به العدو دون جهد كبير.. وحدثت مخالفات للأوامر كثيرة ولكن الأمر السائد كان هو الالتزام بضبط النفس والنيران حتى يتم إعادة تنظيم الدفاع وإعادة التسليح والتدريب وبهذا لم تستطع إسرائيل بانتصارها إسكات الإنسان المصرى أو فرض الإرادة عليه. وكان إيقاف النيران ساعة.. ٢٢ يوم ١٠/ ٦ وتمت مخالفته صباحا حيث لم يتحمل أحد الجنود رؤية إسرائيلى ينزل لمياه القناة فأطلق عليه الرصاص وقتله.

عين عبد الناصر الفريق فوزى لقيادة القوات المسلحة وكلفه يوم ١١/ ٦/ ٦٧ بما يأتى:

١ – التركيز على الحرفية العسكرية للضباط والجنود كواجب أساسى، وعدم الانحراف لممارسة الهيمنة السياسية، وممارسة النفوذ كمركز قوة، بذريعة تأمين النظام.

٢ – التركيز على أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة كمفهوم وعقيدة، وأنه سيتم الضغط على إسرائيل سياسيا لإيجاد الوقت لاستعدادنا القتالى وإظهار إسرائيل كدولة توسعية، وإقناع العالم والسوفييت أننا لسنا دعاة حرب، وإنما نريد استرداد الحق والسيادة.

٣ – إقناع السوفييت بأن الجندى المصرى قادر على استيعاب السلاح والمعدات الإلكترونية، وسنعتمد على صداقتهم فليس لدينا غيرهم. ويجب إشعارهم بالاشتراك فى الهزيمة ليدعمونا.

وكانت فكرة عبد الناصر: أنه طالما رفض الشعب الهزيمة، فعلى القيادة السياسية والعسكرية أن تستعد لتحرير الأرض بالقوة. فإسرائيل سيركبها الغرور لحصولها على نصر أكبر من قدرتها، وستحتاج لدعم سياسى ومعنوى لتهضم ما أكلته، وهو أكبر من طاقتها، ومن الضرورى الدخول معها فى صراع سياسى وعسكرى حسب قدراتنا وستقوم هى بالفعل ونحن برد الفعل ولكن ذلك لن يستمر طويلا حتى نبدأ نحن بالفعل وننتظر منها رد الفعل.

قرار عبد الناصر: وأننى أقرر أن الزمن اللازم لقوتنا لتقدر على الدخول فى معركة التحرير هو ثلاث سنوات ولا يصح أن يزيد على أربع[١٢١].

القرارات التنفيذية والتنظيمية: أصدر الرئيس قرارات جمهورية لتحديد مسئوليات الدفاع عن الوطن بتحديد سلطة رئيس الجمهورية، ووزير الدفاع، وهيئة الأركان العامة، والمجلس الأعلى للقوات المسلحة، ومجالس الحرب للأفرع الرئيسية للقوات، وتشكيل تحديد مهام مجلس الدفاع الوطنى، وتشكيل منظمات ومهام الدفاع الشعبى بما يحقق

جماعيــة القيادة السياســية والعســكرية والاقتصادية للدولة وتحديد المســئوليات بوضوح بحيث: لا ينفرد أحد بقرار يمس الدولة[١٢٢].

وتحدد فى مواجهة العدو ثلاث مراحل:

١ - **مرحلــة الصمــود:** من ٦/ ٦٧ حتى ٨/ ١٩٦٨م لاســتعادة الكفاءة والثقة والتســليح والتنظيم وللتشبث بالأرض وإحداث خسائر مزعجة بالعدو لإزالة زهو النصر الرخيص الــذى حصــل عليه. وليعلم أننا لم نخضع أو نستســلم. وعلينا بالعمليات الصغيرة أن نزعجه ونســتعيد ثقتنا القتالية. ولقد نفذت هذه المرحلة محدثة خســائر للعدو بمعدل عشر قتلى شهريا وتلاها مرحلة الدفاع النشط.

٢ - **مرحلة الردع:** ٩ / ٨ / ٦٨ حتى آخر فبراير ١٩٦٩م لردع العدو باســتباقات طويلة نوعا تقيد تحركاته لكثرة خســائره. فيضطر ليزيد حجم قواته فيشــعر بخطر وتكلفة بقائه فى سيناء وقد استمر قصفه بالمدفعية ثمانين يوما متصلة وكانت خسائره أربعين قتيلا شهريا مع تدمير مواقع خط بارليف.

٣ - **حرب الاســتنزاف والتحدى:** من ١/ ٣/ ٦٩ حتى ٨/ ٨/ ١٩٧٠م لاســتنزاف قوته المادية والعســكرية وتدمير وشــم خط بارليــف الحصينة بالدبابــات الثقيلة وإحداث الخســائر الكبيرة بالإغارات والكمائن والعمل فى عمقــه التعبوى وبالصيد الحر فلجأ لاستخدام قواته الجوية ضد الأهداف المدنية فصمدنا بخسائر لم تتناسب مع خسائره حيــث. فقــد نصف بحريته. و٢٠٪ مــن قواته الجوية علاوة على التكلفة البشــرية والمادية والعســكرية لبقائه فى سيناء التى لم يحتملها. فطلب التدخل لإيقاف النيران حتى جولة الســفير يارنج ثم بمبادرة روجرز. حتى يتم حل النزاع على أساس القرار ٢٤٢ وذلك بعد فشل وساطة شاوسيسكو رومانيا وهيلاسيلاسى إثيوبيا ومقترح ديجول للدول الأربع العظمى وخمس مبادرات رسمية آخرها مبادرة روجرز.

- **وقبل عبد الناصر مبادرة روجرز للأسباب الآتية:**

١ - فقبولها إسرائيليا هو اعتراف بهزيمتها وثأر لمعركة ٦٧.

٢ - وفرصة لتتم الملحمة الأســطورية قبــل إيقاف النيران «باحتلال كتائب صواريخ الدفاع الجــوى لمواقعهــا ودشمها». وقــد تمت فى زمن يتســابق مع إيقــاف النيران بجهد معجز لعمال وشــركات المقاولات المصرية والمهندســين. فاحتلتها القوات قبل ســاعة

يوم ٨/٨/ ٧٠ لتسيطر الصواريخ وتحمى ١٧ كم شرق القناة، وتحمى عبور القناة.

٣ – لمراجعة واستعداد القوات لاستئناف الحرب ومراجعة التخطيط للعبور على ضوء الدروس فى التدريب والعمليات.

٤– لتكون استراحة محارب قبل استئناف القتال وفرصة لوصول كبارى العبور والتدريب عليها (تحتاج شهرين).

٥– لقد كان عبد الناصر يعلم أن أمريكا وإسرائيل لن يفيا بوعودهما بحل القضية وهذا يفيدنا لتمهيد الرأى العالمى فقد أعطينا الفرصة للسلام وللشعب الإسرائيلى الذى ذاق طعم الاستنزاف والحرب بعد نصر رخيص عاش فى وهمه، وقال عنها وايزمان: «إنها الحرب الأولى التى هزمنا فيها. وقالوا إنها الحرب المنسية». واعتراف ديان بخسارة ٣٣٠ مليون دولار لإنشاء خط بارليف، ٣٨٠ مليون دولار لإصلاحه. وفى يوم ١٧/ ٨/ ٧٠ فى كلية الأركان الإسرائيلية اعترف بتكلفة الحرب من يونيه إلى مبادرة روجرز بـ ١٣٦٢ مليون ليره بخلاف ٧٧٠ مليون دولار أسلحة وذخيرة، واعترف بفقد ٤٠ طيارا، ٨٥ طائرة، ٧ زوارق بحرية، ومدمرة.. أى نصف بحرية إسرائيل، وبمقتل ٨٢٧، وجرح وأسر ٣١٤١، وتدمير ١١٩ مجنزرة، ٧٢ دبابة، ٨١ مدفعا وبسقوط ١٧ طائرة، وإصابة ٣٧ طائرة وأسر ٧ طيارين فى أسبوع تساقط الطائرات. كما خسروا طائرة معمل إلكترونى عليها ١٢ عالما[١٢٣] ولم يعترف ديان بإغراقنا الغواصة داكار ولا بتدميرنا للحفار كبت ننج فى أبيدجان بساحل العاج لذلك علق هيرمن أيلتس القائم بأعمال السفارة الأمريكية بالقاهرة إن تقديراتكم لخسائر إسرائيل متدنية جدا.

الاستعداد لحرب التحرير فور معركة ٦٧ فى حياة عبد الناصر:

أولا: بتوعية الشعب وتعبئته للتخلص من خسائر معركة ٦٧ المادية والمعنوية..

١ – بتجنيد ١,٢ مليون جندى، ودخول المؤهلات كرمز لمشاركة الشعب جميعه.

٢ – تجنيد مليون شاب عسكرى: دفاع شعبى – دفاع إقليمى – حرس وطنى – قوات تأمين الأهداف والمرافق الحيوية.

٣ – تدريب وتجهيز أطقم للنجدة – الإنقاذ – الإسعاف – الإخلاء – الإطفاء.

ثانيا: التجهيز الهندسى لتأمين القوات والمعدات والأسلحة ضمن خطة إعداد مسرح العمليات[١٢٤] كما يأتى:

– إقامة ٢٠ مليون متر مكعب ساتر ترابى غرب القناة وأعلى من خط بارليف لحماية القوات والتحركات غرب القناة (عشر أمثال هرم خوفو) لتأمين قواتنا المدافعة ثم للانطلاق.

– إقامة ٢٠ مليون متر مربع أتربة لتأمين دشم الدفاع الجوى والطائرات (عشر أمثال هرم خوفو).

– إقامة ١.٦٠٠ مليون متر مربع خرسانة مسلحة، ١،٤٠٠ مليون م٣ خرسانة عادة للدشم (ثلاثة أمثال هرم خوفو).

– إقامة ٨٠٠٠ كم مدقات لمناورة القوات بالجبهة (تساوى المسافة من القاهرة إلى طرابلس).

– إقامة ٢٠٠٠ كم طرق أسفلت لخدمة التحركات والإمداد والإخلاء (عشر أمثال طريق مصر بورسعيد).

– إقامة ٤٠٠ مخاضة على الترعة الحلوة غرب القناة للاقتراب للقناة فى تشكيلات الفتح

– إقامة ٦٧ مسطبة لتأمين أماكن المعابر والكبارى، ولم تستخدم أثناء الاستنزاف للخداع فعلق العدو عليها بقوله إن المصريين يهوون ضياع جهدهم فى بناء الأهرامات.

بالإضافة لإنشاءات أخرى كثيرة لإعداد مسرح العمليات ولإعانة مدن القناة وإمدادها بالمياه.

ثالثا: إعداد الدولة للحرب:

١ – بتوعية الشعب لتحمل خسائر الحرب ومخاطرها: فتفهم الشعب وقبل التحدى وبينما حرصت الدولة على توفير احتياجات الشعب فلم يحدث التضيق عليه كما حدث فى بريطانيا خلال سنوات الحرب العالمية الثانية وظهر معدن الشعب بالإقبال على الكليات والمعاهد العسكرية والانخراط فى التنظيمات الشعبية شبه العسكرية، كالحرس الوطنى وخلافه. وصمد الشعب فى الفترة الحرجة حين ضرب العمق فلم ينقلب على الحكومة أو الجيش حين ضربت الأهداف المدنية بل تماسك معهم وتحدى بشموخ ووعى التفوق الجوى الإسرائيلى حتى تساقطت طائراته.

٢ – إعادة تدريب القوات – الذى استمر برغم توقف القتال لمدة ١٠٥٠٠ ساعة قبل حرب ٧٣ – للفرد.

٣ – تم توفير الحاجات الاقتصادية للشعب والحاجات الخاصة بالمصانع والإنتاج وأجهزة القطاع العام والقوات المسلحة. ونجح عبد الناصر والحكومة فى استمرار التنمية والاقتصاد ولو بمعدلات أبطأ واستمر ذلك حتى حرب ٧٣.

٤ – استكمال المشروعات الكبرى: السد العالى ومجمع الحديد والصلب، وإنشاء خط سوميد لنقل البترول من السويس للإسكندرية لتعويض تعطل ضخه ونقله عبر القناة، وأنشئت هيئة التصنيع الحربى. وبدأ إنشاء مجمع الألومنيوم وتخطيط مجمع الفوسفات وتمت جميعها خلال حكم عبد الناصر.

٥ – تحملت الدولة عبء إعاشة ومرتبات ١.٢ مليون جندى ومليون شبه عسكرى وتهجير مدن القنال بمصانعها. والإعانة الاجتماعية لمليون ونصف مهجر من مدن القناة. ومع ذلك وبعد مرور ست سنوات وحرب أكتوبر ٧٣ فإنه فى ديسمبر ٧٤ أعلن البنك الدولى أن إجمالى مديونيات مصر العسكرية والمدنية «٢.٨ مليار دولار» وكان الدولار يساوى ٦٥ قرشا وقتها[١٢٥].

وقد تضمن إعداد الدولة للحرب زيادة جميع أجهزة الخدمات لمواجهة الخسائر والاستهلاك الزائد والطوارئ. فتم توفير التموين، والغذاء، والوقود للشعب والمصانع، وتأمين الترع والجسور والقناطر والسدود ومحطات الكهرباء وتوفير بدائل لها. وكذلك تأمين تشغيل وسلامة السكك الحديدية، والموانئ، والمطارات، والمستشفيات، والمخزون الاحتياطى العسكرى والمدنى والأهداف الحيوية والتجمعات البشرية، وتأمين مدن القناة وإمدادها وتخزين احتياجاتها من المياه[١٢٦].

رابعا: النشاط الدبلوماسى المعادى والصمود والإجراءات المصرية:

تعرضت مصر لضغط نفسى لتخضع للقرارات الدبلوماسية المطلوب فرضها ومن ذلك:

١ – أعلن قادة إسرائيل[١٢٧] بعد معركة ٦٧ أنها الحرب التى أنهت كل الحروب باستقرار الوضع لإسرائيل.

٢ – أعلن جونسون فى ١١/ ٦/ ٦٧ أن على الدول العربية أن تبتلع شعاراتها عن القومية العربية وتنكفئ على نفسها وتقبل الحياة فى ظل تفوق إسرائيلى. تحت إشراف أمريكى وتنفذ ما تمليه إسرائيل.

٣ – وجهت أمريكا فى ٢/ ٢/ ٧٠ إنذارا لمصر لإيقاف إطلاق النيران بدون شروط[١٢٨] وتحملت مصر أعباء خسائر عمليات «العصا الغليظة أو السماوات المفتوحة» كفكرة كيسنجر لاستخدام واستغلال الطيران المتفوق لضرب الجيش فى الجبهة وللضرب فى العمق لإثارة الشعب ضد الجيش والحكم. فخاب أمله فى قيمة التفوق الكمى والتقنى للطيران الإسرائيلى وتساقطه حين يحاول الاقتراب من القناة أو العمق باستمرار تحملنا

للخسائر حتى استعاد طيراننا كفاءته وتحركت الصواريخ سام ٣ للقناة وأصبحت إسرائيل غير قادرة على تحمل تعبئة ٥٠٪ من وعاء احتياطى الجيش، ١٠٠٪ للطيران والخسائر البشرية وانخفاض التنمية من ١١٪ إلى ٨،٥٪ وبعد فشل أربع محاولات لتسوية سلمية نظرا لصمود الجبهة الداخلية ولتحقيق التوازن مع الطيران الإسرائيلى وتساقطه حين يحاول الاقتراب من القناة أو العمق.

٤ - وجه عبد الناصر فى ١/ ٥/ ٧٠ خطابا مفتوحا للرئيس الأمريكى جاء فيه «هناك لحظات فاصلة قادمة فى العلاقات العربية الأمريكية. فإما أن تكرس القطيعة إلى الأبد، وإما أن تكون هناك بداية أخرى حادة ومحددة.. إن تصميمنا على تحرير أرضنا هو الحق الشرعي الأول لأى أمة تحترم كرامتها.. أتوجه بهذا إلى الرئيس نيكسون، لأن اللحظة دقيقة، والموقف بالغ الخطورة».

٥ - وفهم نيكسون وقرأ الواقع. فاتجه للحل الدبلوماسى خوفا على اهتزاز أمن إسرائيل بعمل مصرى أو عربى جماعي فكانت مبادرة روجرز الثانية ١٩/ ٦/ ٧٠ وقبلت مصر عبد الناصر المبادرة كما سبق ذكره لنستعد للحرب بعد ٩٠ يوما وحدد يوم ٧/ ١١/ ٧٠ لبدء العمليات[١٢٩] وتحدد للعبور مارس أو أبريل ٧١ حتى خط المضايق كمرحلة أولى. وكان العالم كله يقبل باحترام صمودنا ووجهة نظرنا.

خاتمة:

أتم عبد الناصر والشعب والجيش والحكومة الاستعداد للقتال وأخذت مصر بثأرها من هزيمة معركة ٦٧ وسمع عبد الناصر بأذنيه قول آبا إيبان بتآكل الطيران الإسرائيلى[١٣٠]. ولكن لم يكن له فى العمر بقية ليقرأ قول عيزرا وايزمان «إن حرب الاستنزاف انتهت وأصبح للمصريين ثلاث سنوات للعمل بحرية. ومن الجنون القول إننا كسبنا حرب الاستنزاف وبالعكس كان المصريون هم المستفيدون منها». وقال «إنها الحرب الأولى التى خسرناها»[١٣١].

لقد كان انتصارنا فى حرب الاستنزاف خاتمة عبد الناصر التى أفناها بإخلاص من أجل مصر.

شكر ورجاء:

أدين بالفضل لكل من أخذت عنهم واستندت إلى كتاباتهم. وتحتم الأمانة والوطنية أن أتمنى على السادة: وزراء: الدفاع. والتربية والتعليم، التعليم العالى، والثقافة. والإعلام

بوطنيتهم، وثقافتهم أن يأمروا بنشر الكتب التالية عن هذه المرحلة كحد أدنى قبل أن تندثر، وبثمن زهيد وذلك لدقتها، وحرفيتها العالمية، وأمانة رصدها التاريخى فالتاريخ يعاقب من يهمله. فرغم مشقة حصولى على بعض هذه الكتب، فقد سعدت لعودة الروح لى فى مواجهة سيل الضلال، والأباطيل التى تدس فى آذان وأذهان المصريين بحرفية خبراء الحرب النفسية والإعلام المضاد العلمى لعقول أجيالنا القادمة لترسخ فيها اليأس والانهزامية واللامبالاة. وأتمنى أن تكون هذه المجموعة من الكتب كحد أدنى عهدة شخصية لكل ضابط ودبلوماسى وتربوى ومعلم وإعلامى، وكل مركز ثقافى أو تعليمى أو مكتبة ليعرف أين كانت مصر فى تلك المرحلة وإلى أين وصلت، وإلى أين يجب أن تكون بجهد أبنائها الحاليين والقادمين.

والكتب هى بترتيب أحداثها كما يأتى: «وبياناتها أمام عنوان كل كتاب فى الهوامش.

١ – الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥م – ١٩٥٢م.

٢ – أسرار حرب ١٩٤٨م.

٣ – حق الدم.

٤ – مقدمات ثورة يوليو.

٥ – فلسفه الثورة.

٦ – حروب عبد الناصر.

٧ – حرب ٦٧ أسرار وخبايا.

٨ – مجموعه كتب حرب الثلاثين عاما.

٩ – حرب الثلاث سنوات.

١٠ – الإعداد لمعركة التحرير.

١١ – العمليات الحربية بفلسطين سنه ١٩٤٨م.

١٢ – حرب الاستنزاف

١٣ – كتاب لواء محمد كمال عبد الحميد عن حرب ٥٦

ولكل مسئول بشخصه أتقدم بخالص التمنيات وأجزل الشكر..

□□□

الهوامــش

(١) محمد بسـيوني: حق الـدم، ط١، القاهرة: المركز العربى للصحافة والنشـر (مجد)، ٢٠٠١م، ص ٧١.

(٢) أمين هويدى، حروب عبد الناصر، ط ٣، القاهرة، دار الموقف العربى يوليو ١٩٧٧م، ص ٣٢؛ عبـد الرحمـن الرافعى: مقدمات ثورة يوليو، ط ٤، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م، ص ١١٩.

(٣) فيصل عبد المنعم: أسرار حرب ٤٨، ط ١، القاهرة، دار الهنا، ١٩٧٠م، ص ٥٤١.

(٤) القيادة العامة للقوات المسـلحة: العمليات الحربية بفلسـطين سنة ١٩٤٨م، القاهرة، ق مسلحة ١٩٦٤م، ص ٣٠١.

(٥) فيصل: مرجع سـبق ذكره، ص ٥٣٥؛ انظر أيضا: جمال عبد الناصر: فلسـفة الثورة القاهرة، دار مطابع الشعب، ص ١٢.

(٦) الرافعى: مرجع سبق ذكره، ص ٣٣.

(٧) نفسه ص ٦٥.

(٨) نفسه ص ٢١٢، ٢١٥.

(٩) نفسه ص ٧٧ — ٨٠.

(١٠) نفسه ص ١٠٢ — ١٠٢.

(١١) نفسه ص ١٢٧ — ١٣٢.

(١٢) نفسه، ص ١٤٧.

(١٣) طـارق البشـرى: الحركة السياسـية فى مصـر ١٩٤٥م — ١٩٥٢م، ط ٢، القاهرة، دار الشروق ١٩٨٣م، ص ٥٦٧.

(١٤) الرافعى: المرجع السابق، ص ١٤٢.

(١٥) البشرى: المرجع السابق، ص ٥٣٧.

(١٦) الرافعى: المرجع السابق، ص ١٩٢.

(١٧) نفسه: ص ١٧٢.

(١٨) عبد الناصر: مرجع سبق ذكره، ص ٢٣.
(١٩) نفسه: ص ٥٦.
(٢٠) نفسه: ص ١٩.
(٢١) الرافعي: المرجع السابق، ص ١٧٣.
(٢٢) أمين هويدى: حرب ٦٧ أسرار وخبايا، ط ١، المكتب المصرى الحديث، القاهرة ٢٠٠٦، ص ٣٢.
(٢٣) مذكرات لورد كليرن، ج ٢، سلسلة تاريخ المصريين، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٥م، ص ٢٣٦.
(٢٤) الرافعي: المرجع السابق، ص ١٧٩.
(٢٥) محمد حسنين هيكل: سنوات الغليان، الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة ١٩٨٨م، ص ١١٤.
(٢٦) البشرى: المرجع السابق، ص ١٨٤.
(٢٧) نفسه: ص ٣٨٢ - ٤٩٣.
(٢٨) نفسه: ص ١٠٩٤.
(٢٩) محمد حسنين هيكل: ملفات السويس، القاهرة للنشر ١٩٩٢م، ص ٢٧٥.
(٣٠) الرافعي: المرجع السابق، ص ٥٨.
(٣١) هويدى: مرجع سبق ذكره (حروب عبد الناص)، ص ٢٢.
(٣٢) هويدى: المرجع نفسه، ص ٢٦.
(٣٣) نفسه: ص ٢٨.
(٣٤) نفسه: ص١٦.
(٣٥) نفسه: ص ١٧.
(٣٦) نفسه: ص ٢٣.
(٣٧) نفسه: ص ٢٨.
(٣٨) نفسه: ص ٣١.
(٣٩) نفسه: ص ٣٢.
(٤٠) نفسه: ص٣١.

(٤١) محمــود مراد: حرب الســويس. الهيئة المصرية العامة للكتــاب. القاهرة ٢٠٠٦م، ص ٩٩.

(٤٢) نفسه: ص ٩٧ – ١٠٣.

(٤٣) هيكل: ملفات السويس، مرجع سبق ذكره، ص ٥٤٠.

(٤٤) نفسه: ص ٢٥٥.

(٤٥) لطيفة سالم: أزمة السويس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة (تاريخ المصريين). القاهرة ١٩٩٥م، ص ١٥.

(٤٦) هيكل: سنوات الغليان، مرجع سبق ذكره، ص ١٧٧.

(٤٧) هيكل: ملفات السويس، مرجع سبق ذكره، ص ٥٣٠ – ٥٧١.

(٤٨) مراد: المرجع السابق، ص ١٣٦.

(٤٩) نفسه: ص ١٧٧ – ١٧٨.

(٥٠) هيكل: ملفات السويس، مرجع سبق ذكره، ص ٤٣.

(٥١) نفسه: ص ٤٧٧ – ٥٤٠.

(٥٢) هيكل: سنوات الغليان، مرجع سبق ذكره، ص ١٦٥، ٥٤١.

(٥٣) هيكل: سنوات الغليان، مرجع سبق ذكره، ص ٢٥٩.

(٥٤) هيكل، ملفات السويس، مرجع سبق ذكره، ص ٥٧٩.

(٥٥) مراد: المرجع السابق، ص ١٨٨.

(٥٦) نفسه: ص ١٨٦.

(٥٧) محمــد حســنين هيكل: الانفجار، الأهرام للترجمــة، القاهرة ١٩٩٠م، ص ٤٦٢ – ٥٣٢ – ٥٣٣.

(٥٨) جاك كويار: حرب الأيام الســتة إلى حرب الســاعات الستة، الوطن العربى. لبنان ١٩٧٣م، ص ١٢٨.

(٥٩) هيكل: ملفات السويس مرجع سبق ذكره، ص ٥٤٥.

(٦٠) مراد: المرجع السابق، ص ١٩٢.

(٦١) كمال عبد الحميد: المرجع السابق، ص ١٠٧ – ١٣٢.

(٦٢) نفسه: ص ١٠٩.

(٦٣) نفسه ص ١١٠.

(٦٤) نفسه ص ١٣٢.

(٦٥) هويدى: حرب ٦٧، مرجع سبق ذكره، ص ٣٢.

(٦٦) عبد الحميد: المرجع السابق. ص ١١٨.

(٦٧) هيكل: ملفات السويس، مرجع سبق ذكره، ص ٥٧٦ - ٥٧٧.

(٦٨) عبد الرحمن البيضانى: مصر وثورة اليمن، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٣م، ص ١٠٨.

(٦٩) عبد الرحمن البيضانى: أوجاع اليمن، ج٣، (د.ن)، القاهرة ٢٠٠٤م، ص ٦٦٨.

(٧٠) المرجع نفسه: ص ٦٦٨.

(٧١) المرجع نفسه: ص ٦٦٧؛ البيضانى، مصر وثورة اليمن، مرجع سبق ذكره. ص ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦.

(٧٢) رءوف عباس: مجلة الهلال، القاهرة، عدد يونيه، ٢٠٠١م، دار الهلال. ص ١٧ - ٢١.

(٧٣) عادل حمودة: الديمقراطية ولعبة الكلاب البوليسية، الفرسان. القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٢٣.

(٧٤) هويدى: حرب ٦٧، مرجع سبق ذكره. ص ٥١.

(٧٥) محمد فوزى: حرب الثلاث سنوات، ط٣، دار المستقبل العربى، القاهرة ١٩٨٣م، ص ٢٦.

(٧٦) هويدى: حرب ٦٧ أسرار، مرجع سبق ذكره. ص ٥١.

(٧٧) هيكل: الانفجار، مرجع سبق ذكره، ص ٣٦٨ - ٣٦٩.

(٧٨) حمودة: المرجع السابق، ص ٢٠.

(٧٩) هويدى: حرب ٦٧ أسرار. مرجع سبق ذكره. ص ٥١.

(٨٠) نفسه: ص ٥١.

(٨١) نفسه: ص ١٧.

(٨٢) كويار: المرجع السابق، ص ٧٤.

(٨٣) هويدى: حرب ٦٧ أسرار، مرجع سبق ذكره، ص ٣٨.

(٨٤) كويار: المرجع السابق، ص ٧٢ - ٧٥.

(٨٥) فوزى: حرب الثلاث سنوات، مرجع سبق ذكره، ص ٣٥ - ٤٣.

(٨٦) نفسه: ص ٤٨ - ٤٩.

(٨٧) نفسه: ص ٦١.

(٨٨) محمود عزمى: موسوعة القرن العشرين حرب ١٩٦٧م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٧م، ص ٨٣.

(٨٩) نفسه: ص ٨٨. انظر أيضا: فوزى: حرب الثلاث سنوات، مرجع سبق ذكره، ص ١٢٨.

(٩٠) كويار: المرجع السابق، ص ١٣٠.

(٩١) انتونى بيرسون: مؤامرة الصمت، هيئة الاستعلامات المصرية، سلسلة كتب مترجمة (رقم٧٣٤)، القاهرة ١٩٨٧م، ص ٣٢. انظر أيضا: هيكل: الانفجار، مرجع سبق ذكره، ص ٣٤٢، ٤٩٨.

(٩٢) نفسه: ص٧١٣ - ٤٩٨.

(٩٣) نفسه: ص ٤٩٩.

(٩٤) هيكل: الانفجار، مرجع سبق ذكره، ص ٦٤٥.

(٩٥) كويار: المرجع السابق، ص ٨ - ٩٩.

(٩٦) نفسه: ص ١٣٦.

(٩٧) هيكل: الانفجار، مرجع سبق ذكره، ص ٦٧٥.

(٩٨) بيرسون: المرجع السابق، ص ٣٦ - ٣٧ - ١١٠ - ١٣٩.

(٩٩) هيكل: الانفجار، مرجع سبق ذكره، ص ٥٤٨.

(١٠٠) نفسه: ص ٥١٥.

(١٠١) نفسه: ص ٥٧٤.

(١٠٢) هويدى: حرب ٦٧ أسرار، مرجع سبق ذكره، ص ٦٢.

(١٠٣) نفسه: ص ٢٩.

(١٠٤) هويدى: حرب ٦٧ أسرار، مرجع سبق ذكره، ص ٥١.

(١٠٥) فوزى: حرب الثلاث سنوات، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٢.

(١٠٦) هويدى: حرب ٦٧، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٧.

(١٠٧) فوزى: حرب الثلاث سنوات، مرجع سبق ذكره، ص ٥٦.

(١٠٨) نفسه: ص ١٥٣.

(١٠٩) نفسه: ص ١١١.

(١١٠) كويار: المرجع السابق، ص ٧٠ - ٧٣.

(١١١) هيكل: الانفجار، مرجع سبق ذكره، ص ٧٥٥ - ٧٥٦.

(١١٢) فوزى: حرب الثلاث سنوات، مرجع سبق ذكره، ص ١٥٧.

(١١٣) نفسه ص ١٤٠.

(١١٤) ل/ يحيى فؤاد: حرب ١٩٦٧م، (د. ن). القاهرة ١٩٧٧م، ص ٢٤.

(١١٥) فوزى: حرب الثلاث سنوات، مرجع سبق ذكره، ص ١٤٧.

(١١٦) هيكل: الانفجار، ص ٧٧٥.

(١١٧) نفسه: ص ٦٧٥.

(١١٨) هيكل: الانفجار، ص ٧٧٨ - ٧٨١.

(١١٩) هيكل، الانفجار، ص ٧٥٤؛ نشره مركز راماتان الثقافى، الاقتصاد فى ملحمة أكتوبر، نشرة خاصة عدد (١١٥) ٢٠٠١م، ص ٣.

(١٢٠) نفسه.

(١٢١) فوزى: حرب الثلاث سنوات، مرجع سبق ذكره، ص ١٨٨ - ١٩٠.

(١٢٢) فوزى: الإعداد لمعركة التحرير، دار المستقبل العربى، القاهرة ١٩٩٩م، ص ٨٩ - ٩٢، أنظر أيضا: زكريا حسين: العرب إلى أين، المكتب المصرى الحديث للطباعة، القاهرة ١٩٩٦م، ص ١٥٤ - ١٥٥.

(١٢٣) هيئة البحوث العسكرية المصرية: حرب الاستنزاف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٨م، ص ١٧١، ١٧٣.

(١٢٤) فوزى: الإعداد لمعركة التحرير، مرجع سبق ذكره، ص ٨١ - ٨٥.

(١٢٥) نشرة مركز راماتان الثقافى: مرجع سبق ذكره، ص ٣ - ٧.

(١٢٦) فوزى: الإعداد لمعركة التحرير، مرجع سبق ذكره، ص ٨٠.

(١٢٧) نفسه: ص ٣١.

(١٢٨) فوزى: الإعداد لمعركة التحرير، مرجع سبق ذكره، ص ٢٤٩.

(١٢٩) نفسه: ص ١٤٢ - ١٥٢.

(١٣٠) هيئة البحوث العسكرية: مرجع سبق ذكره، ص ١٥٥.

(١٣١) نفسه: ص ١٧٩.

□□□

عبد الناصر والأزمة الكردية

د. رجائى فايد

تعتبر المشكلة الكردية من أعقد المشاكل على الإطلاق لأنها مشكلة تعود إلى سنوات طويلة مضت كما أنها مشكلة تتداخل فيها عدة دول: تركيا - إيران - العراق - سوريا.. وكل دولة من هذه الدول تتعارض مصالحها مع مصالح الدول الأخرى وفى إطار ذلك تستخدم بعضها الورقة الكردية للنيل من الدولة الأخرى حتى تتحقق مصالحها لدى تلك الدولة. ومن أشهر الأمثلة على ذلك استخدام إيران الشاه للورقة الكردية فى العراق كى تحقق مطالبها فى اقتسام السيادة على شط العرب إلى أن تحقق لها ذلك فى اتفاقية الجزائر فى ٦ مارس ١٩٧٥م.

وما يهمنا هنا الحالة الكردية العراقية.. فلقد تعاملت كافة النظم والحكومات العراقية مع هذه المشكلة بعدم كياسة، ذلك أن المشكلة كانت فى بدايتها مجرد مطالب كردية عادلة من أجل إعمار المنطقة ورصد المخصصات المالية لها أسوة بباقى مناطق العراق. وتطورت تلك المطالب مع رفض الحكومات المتعاقبة للمطالب الكردية أو إصدار البيانات التى لا تنفذ على أرض الواقع حتى أصبحت هذه المشكلة تهدد الأمن القومى العربى بأسره. ومن هنا ومع اقتراب المشكلة من الرئيس جمال عبد الناصر كان له رأيا بشأنها أزعم أن هذا الرأى لو كان قد أخذ به ونفذ لكانت تلك المسألة قد وجدت طريقها للحل وبالتالى لتجنب العراق ما تعرض له من كوارث أثرت فينا جميعا..

كان رأى عبد الناصر يتلخص فى ضرورة حصول الأكراد على حقوقهم دون أن يؤثر ذلك فى وحدة وسلامة الأراضى العراقية.. فكان من رأيه أن حكما إداريا موسعا للأكراد أو حكما ذاتيا يعتبر حلا معقولا وعقلانيا لهذه المسألة.

وفى ضوء هذا الموقف نجد أن البرلمان الكردستانى فى عام ٢٠٠٠ م يكرم عددا من الشخصيات المهمة الذين يرى أكراد العراق أنهم تفهموا عدالة قضيتهم وكان فى مقدمة هذه الأسماء الرئيس جمال عبد الناصر. فماذا قدم عبد الناصر لأكراد العراق حتى يتم

تكريـم اسمه بعد وفاتـه بثلاثين عاما؟ ولنحاول أن نقرأ أحـداث التاريخ بحثا عن إجابة لهذا السؤال..

لقد حاولت الحركة الكردية منذ النصف الثانى من خمسـينيات القرن العشـرين تلمس أى طريق يوصلها إلى عبد الناصر..

وكانـت البداية فى عـام ١٩٥٧م حين التقى وفد كردى ضم جلال طلبانى فى العاصمة السورية دمشق بالعقيد عبد الحميد السراج وهم يعلمون إنه قريب من عبد الناصر وطرح عليه الوفد فكرة العمل المشترك وترتيب لقاء بين الرئيس عبد الناصر والملا مصطفى البارزانى فى موسـكو عند زيارة الرئيس لها من أجل الاتفاق فيمـا بينهما على العلاقة المصرية الكردية والأوضـاع فـى العراق.. هذا ما طرحوه على العقيد السـراج.. والمقصود بالوضع فى العراق حكم نورى السـعيد وحلف بغـداد والمواجهة المصرية له. بعدها بأيـام التقى الوفد بكمال الدين رفعت الذى كان فى زيارة لدمشـق وجددوا طلبهم بشـأن ترتيب اللقاء فى موسـكو وأضافوا إلى هذا الطلب طلبا آخر وهو فتح إذاعة كردية من القاهرة لتكون أول إذاعة كردية فى التاريخ تنطلق من القاهرة. وبالفعل قامت السـلطات المصرية بتخصيص عدة سـاعات يوميا من الإذاعة المصرية باللغة الكردية لتصبح تلك الإذاعة من العلامات المهمة فى تاريخ الحركـة الكردية. ومن الأمـور الجديرة بالذكر أن تركيا احتجت لدى السـلطات المصرية على هذه الإذاعة وكان رد السـلطات المصرية فى صورة سـؤال: هل توجد فى تركيا أقلية كردية؟.. وكانت الإجابة التركية وفق نظرية الحكم الطورانية الشـوفونية التى تنكر وجود أقليات غير تركية على الأرض التركية.. هنا كان الرد المصرى الحاسم طالما لا يوجد أكراد لديكم فلماذا الاحتجاج؟

وظـل أكراد العـراق فى محاولتهم للاقتراب من عبد الناصر فأرسـلوا إليه برقية تهنئة بمناسبة توقيع ميثاق الوحدة بين مصر وسوريا.

وبعـد قيـام ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨م فـى العراق وسمح قادتها للمـلا مصطفى البارزانى بالعودة إلى العراق بعد أن ظل منفيا اختياريا فى الاتحاد السوفيتى منذ أن هرب إليها مع رفاقـه عـام ١٩٤٧م بعد انهيار جمهورية مها باد فى إيـران مطاردا من جيوش أربع دول هـى إيـران وتركيا والعراق وبريطانيا. وفى طريق عودتـه التقى فى القاهرة بالرئيس جمال عبد الناصر وتعتبر الصورة التى تسجل هذا اللقاء من أشهر الصور المنتشرة فى المدن الكردية

كما يعتبر هذا اللقاء من العلامات البارزة فى تاريخ الحركة الكردية.. وعن هذا اللقاء يقول الملا مصطفى البارزانى وكما جاء فى كتاب «البارزانى والحركة التحررية الكردية» لمسعود البارزانى (فى هذا اللقاء ثمن دور الرئيس عبد الناصر فى الدفاع عن بورسعيد مع أبناء الشعب المصرى ضد العدوان الثلاثى). وكان البارزانى ساعة وقوع العدوان الثلاثى على مصر فى منفاه فى الاتحاد السوفيتى، وما أن علم بالعدوان حتى أسرع إلى السفارة المصرية فى موسكو وسجل تطوعه مع رفاقه من أجل صد العدوان. ويستطرد البارزانى قائلا: «وطرحت على الرئيس عبد الناصر مشكلتنا وطلباتنا واستمع إلى باهتمام».. وبعد انتهاء اللقاء أجيب البارزانى إلى طلبه لزيارة مدينة بورسعيد للاطلاع على آثار العدوان.

وبرغم حجم ما كان يحمله عبد الناصر من مشاكل وهموم وتطلعات لأبناء بلده إلا إنه بدأ يهتم بهذه المشكلة مدركا خطورة تداعياتها على الأمن القومى العربى. وإذا تأملنا بعض المواقف المرتبطة بهذه المشكلة لتبين لنا كم كانت لمصر مكانة إقليمية ودولية بارزة يحسب لها ألف حساب.

ففى أوائل عام ١٩٦٣م وكان حزب البعث العربى الاشتراكى مشاركا فى السلطة فى العراق قبل أن ينفرد بها عبد السلام عارف فى أواخر هذا العام، طرح وفد من الحركة الكردية على السلطات الرسمية العراقية فى حينها مطلبهم بالحكم الذاتى وكان رد على صالح السعدى أمين عام حزب البعث حينئذ «إن عبد الناصر سيكسر رقبتنا إذا وافقنا على الحكم الذاتى.. إن البعثيين قسموا العراق لذا توجبت موافقة عبد الناصر أولا على ذلك». (راجع: مجلة الوسط ١٩٩٨/١٢/٧م).. أما أحمد حسن البكر فقد رد بدوره «إننا مستعدون لنحكم الحكم الذاتى ولكن هل سيسكت عبد الناصر من دون استغلالها ضدنا». وتقرر بعد هذه المواجهة بين الحركة الكردية والسلطات الرسمية والحزبية العراقية أن يرافق جلال طلبانى وفؤاد عارف الوفد الرسمى والشعبى العراقى المسافر للقاهرة بمناسبة احتفالات الوحدة وذكرى قيام الجمهورية العربية المتحدة فى ٢٦ فبراير/ شباط ١٩٦٣م. وعند وصول الوفد للقاهرة طلب جلال طلبانى وفؤاد عارف من المسئولين المصريين ترتيب لقاء منفرد لهما مع الرئيس جمال عبد الناصر الذى ما إن وصلته الرغبة الكردية حتى قام من جانبه باستطلاع رأى بقية أعضاء الوفد العراقى فكان الجواب «أنهم ليسوا موافقين فقط بل طلبوا من الرئيس أن يستمع إليهم بنفس الطريقة التى تستمع فيها إلينا بصدرك الرحب المعروف»

(راجع : د.على كريم سعيد. عراق ٨ شباط من حوار المفاهيم إلى حوار الدم). وبالفعل تم اللقاء وعنه يقول جلال طلباني «بدأت حديثى بما يلي: سمعت يا سيادة الرئيس هذه النكتة الذى يرددها الشعب المصرى.. النكتة تقول: إن الرئيس كان يمر بسيارته فى أحد شوارع القاهرة فرأى إعلانا على واجهة إحدى دور السينما يقول «ثورة على السفينة بونتي» فاستدعى وزير الإرشاد وأمره أن يصدر بيانا يقول فيه إن الجمهورية العربية المتحدة تقف بكل قواها مع هذه الثورة وإن أى اعتداء عليها هو اعتداء على الجمهورية العربية المتحدة ولن تسمح به.. وهذه النكتة أطلقها الشعب المصرى الذكى اللماح» هكذا قال الطلبانى «لأنه يعلم أن سيادتكم تؤيدون كافة الثورات التى تقوم ضد الطغيان والظلم..

وبالفعل يا سيادة الرئيس جمهوريتكم هكذا واسمح لى يا سيادة الرئيس أن أقول إذا كانت الجمهورية العربية المتحدة تؤيد كافة الثورات فى كافة أنحاء العالم فمن باب أولى أن تؤيد ثورة شعب شقيق على أرض شقيقة وهو شعب شارك الشعب العربى فى الضراء ولم يشاركه فى السراء. ويستطرد الطلبانى قائلا: «ضحك الرئيس عبد الناصر وقال لى «هذه طريقة جيدة لبدء الحوار».. ويستكمل الطلبانى سرده لأحداث اللقاء فيقول «تكلمت عن مفهومنا للوحدة العربية ووحدة العراق وشرحت له مفهومنا للحكم الذاتى وتولدت لدى قناعة بأن عبد الناصر أخذ انطباعا جيدا. وأتذكر أن الرئيس قال «لا يوجد لدينا نحن القوميين حلولا جاهزة للقضية القومية مثل الشيوعيين.. فالشيوعى عندما تسأله عن القضية القومية يستل كتابا من مكتبته أو يرجع إلى ستالين ويقول إن حلنا للقضية القومية هكذا.. لذا سندرس قضيتكم وسنواصل الحوار معكم فيما بعد»..

بعد ذلك عقد الرئيس لقاء مع أعضاء الوفد العراقى وكلهم من قيادات حزب البعث العربى الاشتراكى ومن رموز الخط القومى فى العراق وأبلغهم ضرورة التعامل معهما.. أى الطلبانى وعارف مع الملا مصطفى البارزانى «بنفس طويل وحكمة وبعد نظر».. ويقول الطلبانى والعهد على «إن عبد الناصر أرسل خطابا لأحد معاونيه يقول فيه لقد قال لى الأكراد إنهم لا يثقون فى أى وعد من الحكومة العراقية إلا إذا ضمنت شخصيا تطبيق هذه الوعود».

بعد فترة بدأت مفاوضات الاتحاد الثلاثى (مصر - العراق - سوريا) وخلالها قدم الطلبانى وكان عضوا فى الوفد العراقى مذكرة بتصور الأكراد عن هذا الاتحاد ومكانة الأكراد

فيـــه وجـــاء في المذكرة «إذا كنتم تريدون إقامة اتحـــاد جمهوريات فإن مطلبنا أن يكون لنا حكمنا الذاتى.. أما إذا كنتم تريدونها جمهورية عربية واحدة فنحن نريد لو تصبح المنطقة الكردية إقليما رابعا». ويقول السياســـى والمفكر القومى جمال الأتاسى «لقد ظل عبد الناصر مع كل ما وقع من تقلبات فى مواقف الآخرين حريصا على أن يظل العراق متماسكا موحدا وظل يسعى بكل إيجابية ليكون هناك وفاق عربى كردى».

وأثناء إعدادى لهذا البحث اتصلت بالأستاذ أمين هويدى أمد الله فى عمره لأننى أعلم من خلال حوار ســابق معه إنه كان قريبا من هذه المســألة عندما كان يشغل منصب السفير المصرى فى بغداد وحاورته فى بعض الأمور التى كان طرفا فيها.. فذكر لى أنه التقى بالملا مصطفى البارزانى عدة مرات ونقل رســائل متبادلــة بينه وبين الرئيس عبد الناصر.. وقال لى إن رأى عبــد الناصــر فى حل هذه المســألة يكمن فى حكم إدارى موســع أو حكم ذاتى وكلفنى بأن أمد الأكراد بقانون الحكم المحلى المصرى للاسترشــاد به.. وفعلت ذلك. وقال أيضــا ذهبت مع أســرتى لعدة أيــام فى جبال المنطقة وبالذات فى منطقة سرســنك بدعوة مــن الحكومة العراقيــة وكانت الأمور فى المنطقة وجبالها بالذات غير مســتقرة وغير آمنة خصوصا للأجنبى.. وجاء إلى الأســتاذ هويدى ليلا بعض أفراد البيشــمركه وقالوا له: أنت فى مأمن ولا تخش شــيئا لأنك الآن فى حمايتنا ولست فى حماية الحكومة العراقية فأنت رجل عبد الناصر.

□□□

الاتجاهات القومية والوحدوية فى المناهج المدرسية المصرية فى عهد جمال عبد الناصر يوليو ١٩٥٢م - سبتمبر ١٩٧٠م

د. زكى البحيرى
كلية التربية جامعة المنصورة

مقــدمة:

الدراسة التى نقدمها حول «الاتجاهات القومية والوحدوية فى المناهج المدرسية المصرية فــى عهد ثــورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م» تحاول أن تضع أيدينا على المؤثــرات الثقافية للمناهج المدرسية التى ساعدت فى تشكيل البعد القومى للشخصية المصرية والعربية خلال الفترة من بدايات الخمســينيات وحتى النصف الأول من ســبعينيات القرن العشرين. كما تحاول أن ترشدنا إلى مقدار التغير، وربما التشويه، الذى أصاب مناهجنا المدرسية فى مصر - كما فى معظم البلدان العربية الأخرى - بســبب السياســة التى فرضت على نظمنا التعليمية خدمة لعملية تطبيع أو سلام مع عدو - إسرائيل - لا يتراجع عن عدوانه علينا، بل ويزداد هذا العدوان قوة وعنفا. ويتغير لونا وصورة فى مواجهتنا يوما بعد يوم، وتطمح هذه الدراسة فى نفس الوقت إلى التنبيه على ضرورة إعادة تشــكيل اتجاهات قومية ووحدوية عربية جديدة ما أحوج شعوبنا العربية إليها فى عالم التكتلات والوحدات الكبرى فى عصر العولمة.

وقد وقعت تغييرات واسعة - بهدف التطبيع مع إسرائيل - فى مناهج المدارس المصرية تحت مســمى براق هــو «تطوير المناهج» فى مركز سمى بهذا الاســم، ســاهمت الولايات المتحــدة فى إنشــائه وتمويله،.ويرى كثيرون أن ما حــدث ويحدث من تغيير فى مناهجنا المدرســية الثقافية بشــكل دائم وبالذات فــى (اللغة العربية والتاريــخ والجغرافيا والتربية القومية) هو المســئول عن ســيادة حالة التشويه والتجهيل لدى أبنائنا - خاصة مع دخول الكثير من المدارس الأجنبية ومدارس اللغات فى منظومتنا التعليمية بما تدرسه لطلابها من مناهــج ومقررات أجنبية - مما ينم عن نجاح المخططات الأجنبية لاختراق المنطقة العربية

وبلدانها، بينما يقبع حكامنا العرب على كراسى الحكم فى حالة من التغيب، غير قادرين على إدراك مغزى تلك المخططات «الصهيو - أمريكية» التى تُطبخ فى مراكز صناعة القرار والسياسة الموجهة ضدنا. والتى تطلع علينا كل يوم بشكل جديد «مرة بسياسة التطبيع»، وأخرى بـ«سياسة خريطة الطريق»، وثالثة بـ«سياسة الشرق الأوسط الكبير»، ورابعة بـ«سياسة الفوضى الخلاقة»، وخامسة بـ«مفاوضات أنا بوليس»، وسادسة بـ«المحكمة الجنائية الدولية».. إلخ، وهذه السياسات هدفها استهلاك السنين والعقود، واستنزاف طاقة البشر، وتتويه الحكومات والشعوب العربية، وإشغالها وإدخالها فى حالة دائمة من اليأس وعدم الثقة، مع توالى السياسات الموجهة لنا - وعدم قدرتنا على الفعل - التى تأتى وتزول ليحل محلها سياسات بديلة، تقوم بنفس الدور لإشغال العرب، أو تهديدهم أو إعاقتهم عن إحداث أى تطور أو تنمية أو نهضة. ناهيك عن أن يكونوا قوة يعمل لها حساب، وإذا كان حكامنا غائبين بسبب انشغالهم بمصالحهم الخاصة، فإن شبابنا الذى كان دائما قادرا على الفعل والحركة والتأثير فى السياسة الوطنية - خاصة فى المدارس والجامعات - هو الآخر مستبعد من سياق الأحداث السياسية، حتى أصيب معظمه بحالة من الصمم أو العمى أو اليأس.

والحقيقة أن شبابنا قد تم استبعاده أو استبعد هو نفسه من أية معادلة لصنع قرار يخص بلادنا لأن الحكام جعلوا من أنفسهم أوصياء على الشباب وعلى الشعوب، وكأنها لم تشب عن الطوق بعد، ولذلك اهتزت السفينة فى وسط اليم، وأصبحت تتراوح بين الغرق أو البقاء كرقم ضمن الأرقام المحسوبة أو غير المحسوبة فى سياسات عالم اليوم. والواقع أن استبعاد شبابنا من معادلة صنع سياسات هذا الوطن يرجع فى جانب كبير منه إلى حالة التشويه التى أصابت مناهجنا الدراسية المقررة على الأجيال الجديدة، لأنها مناهج ومقررات لا تحقق الوعى ولا تعطى الإحساس بالمسئولية تجاه الوطن، فالوعى هو الذى يصنع العقل والإرادة. وافتقاد الشعوب للإرادة هو مقدمة لضياعها، ولكن الواعين من أبناء هذا الوطن - وهم للأسف قلة - يحاولون أن يعملوا ما فى وسعهم خشية أن تسقط المنطقة، وتضيع بلادنا المصرية والعربية فى وسط الظروف والتحديات المتوالية.

الجذور التاريخية للقومية العربية:

ورد فى إحدى المقررات المدرسية المصرية خلال عهد ثورة يوليو أن القومية العربية هى «الرباط القوى الذى يجمع بين أبناء الأمة العربية منذ مئات السنين، وهذا الرباط

أو الشعور القومي هو الذى يجعل العرب يشعرون بالانتماء لعروبتهم. والولاء لوطنهم العربى الكبير - الذى يشكل رقعة فسيحة من الأرض متصلة دون انقطاع. باستثناء الكيان الصهيوني - الممتد من الخليج العربى شرقا حتى المحيط الأطلنطى غربا، والذى تزيد مساحته عن مساحة قارة أوروبا مجتمعة. ولذا كان من السهل وجود الترابط بين عناصر هذا الوطن منذ أقدم العصور. فلا يكاد يحس الفرد فى هذا الوطن أنه انتقل إلى أرض غير أرضه أو وطن غير وطنه حين يسافر إليه أو يرحل للعمل فيه»[1].

والقومية العربية من أقدم القوميات فى العالم. وقد تحقق وجودها مع استقرار العناصر العربية وانتشارها. وتدعمت بظهور الإسلام. وقويت معالمها مع ازدهار الدولة العربية الإسلامية فى الفترة من القرن السابع وحتى القرن التاسع الميلادى. وحديثا ظهرت أهمية البعد القومى لدى الشعوب العربية فى ظروف الاحتلال الأجنبي، وخلال فترة الكفاح الوطنى لهذه الشعوب من أجل الاستقلال فى العصور الحديثة. وأدى الوعى بالقومية العربية إلى التطلع لتحقيق الوحدة العربية فى مواجهة الكيان الصهيونى. وسط عالم التكتلات الدولية الكبرى[2].

ولقد اهتمت المقررات المدرسية المصرية فى عهد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م بالبعد القومى العربى اهتماما كبيرا. وتحدثت معظمها عن «أهم مقومات القومية العربية كوحدة الأرض، والبيئة العربية الممتدة، ووحدة الأعراق، ووحدة اللغة التى تمثل روح الأمة ورباطها الفكرى والثقافي، ووحدة التاريخ التى تؤدى إلى وحدة المشاعر ووحدة الآلام والأمال والمصير، والمصالح المشتركة. وهذه العناصر تضافرت فى خلق الكيان الذاتى الواحد الذى يوجد الانسجام بين أبناء هذه المنطقة من العالم وشعورهم بأنهم أبناء أمة واحدة»[3].

ولقد وردت المقولات السابقة فى كتاب الصف الثالث الإعدادى للتربية القومية الصادر فى عام ١٩٧٠م وعنوانه «التلميذ ووطنه العربى». وهى مقولات تعكس البعد القومى مأخوذة من الميثاق الوطنى فى عهد ثورة يوليو - كان جمال عبد الناصر يتغنى بها حين يلقى خطبه الوطنية الرنانة شوقا إلى وحدة الصف العربى - ومنها أيضا نقرأ أنه «يكفى أن الأمة العربية تمتلك وحدة اللغة التى تصنع وحدة الفكر والعقل. ويكفى أن الأمة العربية تملك وحدة التاريخ التى تصنع وحدة الضمير والوجدان، ويكفى أن الأمة العربية تملك وحدة الأمل التى تصنع وحدة المستقبل والمصير، وهذه الأمة لم تعد فى حاجة إلى أن تثبت حقيقة الوحدة بين شعوبها...»[4].

وخلال النصف الأول من سبعينيات القرن العشرين كانت الوحدة بين بعض الدول العربية فى إفريقيا – مصر والسودان وليبيا – مطروحة على المستوى السياسى، ربما كمدخل لوحدة عربية شاملة، وتجاوبت المناهج المدرسية المصرية مع هذه التطلعات القومية. وفى محاولة لتكريس ذلك الاتجاه الوحدوى يذكر نفس مقرر القومية العربية المشار إليه «أنك عندما تزور دار الآثار المصرية بالقاهرة تشاهد كثيرا من قطع الأثاث مثل الكراسى والآسرة والصناديق، وقد صنعها أجدادنا القدماء من الخشب وكسوها بقشرة من الذهب، وطعموها بسن الفيل والأبنوس، وبلادنا (مصر)، كما تعلم، بها قليل من الذهب، ولا يعيش فيها الفيل، ولا ينمو فيها شجر الأبنوس فمن أين جاء أجدادنا بالذهب وسن الفيل، وخشب الأبنوس؟ إنهم كانوا يحضرون تلك المواد من بلاد السودان التى تجاور مصر من الجنوب، فكانت السفن تسير فى النيل من مصر إلى السودان جنوبا، ومن السودان إلى مصر شمالا كما كانت قوافل الحمير تسير فى طريق الصحراء وتربط بين القطرين الشقيقين».

وقد حكم ملوك مصر القدماء السودان وأقاموا المعابد والتماثيل فى بلاد النوبة، ولا تزال بقاياها موجودة حتى اليوم، وكان الجيش المصرى القديم يضم رجالا من النوبيين يعملون مع المصريين تحت علم واحد ويدافعون عن مصر. كذلك تمكن أحد أبناء النوبة من حكم بلاد مصر ويدعى «بغنخى»، حيث كان ملكا رحيما يجرى فى عروقه دم الفراعنة، وقد حكم مصر هو وخلفاؤه ما يقرب من مائة عام وقد وصف «بغنخى» أحداث حملته على مصر وما وقع فيها، وهذا الوصف محفوظ حتى اليوم بدار الآثار المصرية بالقاهرة.

ويستطرد نفس المقرر الدراسى فى حديثه الذى يكرس فكرة الوحدة العربية بقوله «كانت ليبيا فى العصر القديم كالسودان تربطها بمصر علاقات قوية، فهى تجاور بلادنا من جهة الغرب وكان الليبيون يهاجرون إلى مصر لخصوبة أراضيها، وقد استقر كثير من الليبيين بمصر وابتاع رؤساؤهم المزارع الواسعة بها وقوى نفوذهم فيها، واستطاع أحدهم واسمه «شيشنق» أن يتولى حكم مصر، فقام بتشييد المعابد فى الأقصر وخضعت له بلاد النوبة».

وقد استخدم حكام مصر القدماء بعض أبناء ليبيا كبحارة فى الأسطول المصرى وكحراس للحصون المصرية، وكان الجيش المصرى يضم رجالا من المصريين والنوبيين والليبيين، تحت علم واحد يحاربون الأعداء الذين كانوا يهددون البلاد من جهة الشرق، كذلك فإن العلاقات التاريخية بين مصر وبلاد الشام ووادى الرافدين والجزيرة العربية لها كثير من الشواهد وعديد من الآثار[٥].

وورد فى كتاب التربية القومية للصف الثالث الثانوى للعام الدراسى ١٩٧٤ «أن الحضارة العربية ذات خصائص معينة فهى حضارة إنسانية يظهر فيها الجانب الفكرى والروحى بجوار الجوانب المادية، وهى بذلك تختلف عن الحضارة اليونانية ذات الطابع الفلسفى، وتختلف عن الحضارة الرومانية التى يغلب عليها الطابع المادى والحربى. وكانت حضارتنا تهتم بالقانون والنظام».

ويورد نفس كتاب القومية العربية المشار إليه أن «الحضارة العربية حضارة عالمية وغير عنصرية أو متعصبة. تدعو للمساواة، وطلب العلم والتفكير ولها تأثيراتها فى العلوم الإنسانية المختلفة كالحساب والفلك والكيمياء والفيزياء والطب والتاريخ وعلم الاجتماع... إلخ. وظهر من بين علماء العرب من علموا الإنسانية وزادوا من علمها وفلسفتها مثل البيرونى، وابن سينا، وابن الهيثم، وجابر بن حيان، والخوارزمى، وابن رشد، وابن خلدون... إلخ»[٦].

ويورد نفس المقرر «أن بعض المستشرقين قد حاول إبان فترة الاستعمار الأوربى -الاحتلالى- للوطن العربى وصم العرب بكل الصفات التى تحط من قدرهم فى نظر الشعوب الأخرى، منها أنهم لم يسهموا فى تاريخ الحضارة بأى دور، بل كانوا عالة على الشعوب الأخرى، وكان هدفهم من ذلك نفى صفة الأمة، وإلغاء ميزة المساهمة والعطاء للعرب فى التاريخ والعلم الإنسانيين، وتثبيط همم الشعوب العربية وصرفها عن الشعور بالكيان العربى الواحد، لكى يصبحوا لقمة سائغة للاستعمار الأوربى».

وجدير بالذكر أن فريقا آخر من علماء أوربا تعمق فى دراسة تاريخ العرب وحضارتهم، وانتهى إلى إنهم أسهموا بحظ وافر فى الحضارة التى تسود العالم المتمدين الآن، وإن حضارتهم قد تميزت بخصائص تجعل منها حضارة مستقلة عما سبقها من حضارات. كما أنها تختلف عن الحضارات اللاحقة لها.

وأورد نفس مقرر التربية القومية للثانوية العامة لعام ١٩٧٤م «أنه فى محاولات الباحثين للوقوف على الأصول التى نبتت منها الحضارة العربية أكدوا أن الإسلام قد زودها بعناصر جديدة، وبطاقات خلاقة، وصبغها بصبغة إسلامية واضحة للعيان. ولكنها بالطبع تأثرت بالحضارات التى كانت سائدة فى العالم قبل الإسلام».

وفى هذا الصدد يرد فريق من الباحثين بعض أصول الحضارة العربية الإسلامية إلى الحضارة السامية التى كانت تسود الوطن العربى قبل مجئ الإسلام، «وهنا أصبحت فكرة

العروبة تعنى الاشتراك فى الحضارة العربية، مما يظهر أن وصف الحضارة التى أقامها العرب بأنها عربية يرجع إلى أن اللغة العربية كانت لغتها، ووصفها بأنها إسلامية يرجع إلى أن روح الإسلام وفلسفته هى التى مدتها بأهم مقوماتها»(٧).

ويرصد ذات المقرر كذلك أن الحضارة والتوحد القومى العربى الذى شكلته العصور الذهبية لانتشار الإسلام بدأت فى التراجع بسبب حالة الضعف التى عمت أنحاء الوطن العربى الإسلامى، والخلافة الإسلامية بسبب حياة الرفاهية التى بدأ يعيشها الحكام مع تكالبهم على السلطة، وقد أدى كل ذلك إلى انفصال الدولة الأموية التى كانت قائمة فى الأندلس عن دولة الخلافة المتمركزة فى بغداد، ثم قامت الدولة الفاطمية فى شمال إفريقيا، وجاءت الغزوات الصليبية إلى بلاد الشام، واستمر الصراع بين الصليبيين والعرب المسلمين حتى موقعة حطين ١١٨٧م وما بعدها، ثم سقوط عاصمة الخلافة الإسلامية للدولة العباسية فى بغداد تحت هجمات التتار الرهيبة سنة ١٢٥٨م، وزيادة تشرزم الوطن العربى وتجزيئه إلى دويلات، ثم سقوط الدولة العربية الإسلامية فى الأندلس ١٤٩٢م، وقيام دولتى إسبانيا والبرتغال كدولتين قوميتين مسيحيتين حلا محل العرب، ثم قيام هاتين الدولتين الأوربيتين بحركة استكشافية استعمارية واسعة النطاق فى مناطق مختلفة من العالمين القديم والجديد، وهجومهما على البلدان العربية فى شمال إفريقيا، وجنوب الوطن العربى فى المحيط الهندى مما هدد الكيان العربى الإسلامى، ومهد للتدخل العثمانى فى الصراع الدائر فى المنطقة العربية فى بدايات القرن السادس عشر، وجعل كل البلدان العربية ما عدا مراكش ضمن الولايات العثمانية.

ويستمر ذات المقرر فى عرضه أن العالم العربى خضع لحكم الأتراك العثمانيين «الذين عملوا على إبقائه فى عزلة تامة عن التطورات الفكرية والسياسية التى انتشرت فى أوربا، بل عمد الأتراك إلى قتل روح التفكير فانصرف الناس عن العلوم الطبيعية والرياضيات والعلوم الطبية وغيرها واكتفوا بالعلوم الدينية التى انتشرت فيها الخرافات.. إلخ، وساء فهم الناس للدين، ويرجع اهتمام الأتراك بمظاهر الدين إلى أنهم لم يكونوا أهل حضارة بل كانوا أهل حرب فعجزوا عن إذكاء روح الحضارة العربية»(٨).

ويسترسل نفس الكتاب فى الحديث عن إرهاصات ظهور القومية العربية فى العصر الحديث حين ذكر أنه «بالرغم من حالة الركود التى أصابت الحضارة العربية لفترة

مـن الزمن إلا أن العرب سـرعان مـا نهضوا للدفاع عن كيانهم وعـن تراثهم وحضارتهم. ومع بدايات القرن التاسـع عشـر بدأت إرهاصات اليقظة الفكريـة والاتجاهات القومية. التـى ظهرت فى أشـكال وبلدان مختلفة. فى شـكل حركات إصلاحيـة دينية كرد فعل للهجمة الاستعمارية على عالمنا العربى والإسلامى. كالحركة الوهابية فى الجزيرة العربية. والحركة السنوسـية فى شمال إفريقيا. والحركة المهدية فى السودان. كما ظهرت النهضة فـى صورة رد فعـل للتأثر بالحضارة الغربية كما بدت مع مجىء الحملة الفرنسـية. ومع اتصـال المفكرين والباحثين فى مصر فـى عصر محمد على بالحضارة الأوربية حينما ذهبوا فى بعثات إلى فرنسـا بالذات. كذلك ساهمت مدارس الإرساليات الأجنبية فى بلاد الشام فـى إحياء الـتراث العربى. وتنمية الشـعور بالكيان العربى. والمناداة بالحرية والمسـاواة والديمقراطية. ولقد ساعدت كل هذه العوامل على إحيـاء الفكـر القومى للعرب[9].

وتحدث كتاب التربية الوطنية للصف التاسـع الابتدائى لعـام ١٩٥٩م (يعادل الثالث الإعدادى حاليا) عن القومية قائلا «اسـتيقظت الأمة العربية فى العصر الحديث بعد طول هجعـة لإعادة مجد العروبـة الخالد وعزها العريق التالد. وبعث الدولة العربية المتحدة من جديد. لذلك توصل العرب بعد الحرب العالمية الأولى إلى فكرة تكوين دول مسـتقلة بفضل نهضتهم القومية وجهادهم المسـتمر فى سـبيل الحرية والاسـتقلال والسيادة. وأخذوا بعد ذلك يفكرون فى توثيق الصلات بين هذه الدول والتعاون لصيانة استقلالها ليعيدوا إلى الأمة العربية وحدتها»[10].

ولـما كانـت ثورة ٢٣ يوليـو ١٩٥٢م بزعامة جمال عبد الناصـر ذات اتجاهات قومية خالصة لقيت الدعوة لتحقيق القومية العربية تأييدا قويا من قادة الثورة باعتبار أن القومية هـى السـبيل لتحقيق هـدف جماهير الأمة العربية فى وحدتها الشـاملة مـن الخليج إلى المحيط. وتحقيق هذه الوحدة لن يتم إلا بتحرير الوطن العربى كله من الاستعمار وأعوانه. ولهذا ساندت مصر الثورة الحركات التحررية فى ربوع الوطن العربى[11].

وأعلنت مصر فى صراحة ووضوح أنها سند لكل شعب عربى ولكل ثورة عربية تحررية ضد الاسـتعمار والرجعية. ولم تتردد تلك الثورة فى دعم الثورات العربية الأخرى بقواتها المسـلحة. فتوجهت القوات المصرية إلى سـورية والجزائر والعراق واليمن. ولم تبخل بأى جهد أو مال أو أرواح فى سبيل المبادئ التى تؤمن بها.

وسياسة مصر لبعث القومية العربية لم تصادف - بالطبع - قبولا لدى الاستعمار فشن حملات قوية ضد مصر، واستخدم كل سلاح ممكن لضرب الثورة المصرية والقضاء عليها. ويتضح ذلك من رفض الدول الغربية تزويد مصر بالسلاح، ومن القيام بالعدوان الثلاثى عام ١٩٥٦م، ومن العدوان الإسرائيلى عام ١٩٦٧م على مصر والبلاد العربية بتأييد من الدول الغربية، ويتضح أيضا من محاولات الحصار الاقتصادى، ومن محاولات صنع التحالفات والمناورات ضد مصر(١٢).

وحول القومية العربية أورد المقرر القومى للصف الثانى الإعدادى لعام ١٩٥٩م أنك إذا تصفحت تاريخ الدول العربية خلال القرن الحالى فإنك تجدها ترتبط بوحدة الكفاح ضد الاستعمار فكل الشعوب العربية تقريبا ناضلت من أجل الحصول على الاستقلال. وقد استطاع بعضها أن يحصل على استقلاله، فنال الشعب المصرى والعراقى والأردنى والسودانى استقلالهم بعد كفاح طويل ضد الاستعمار البريطانى، وقد ثار السوريون واللبنانيون وأهل تونس والمغرب ضد الاستعمار الفرنسى حتى نالوا استقلالهم كذلك، ولازال الشعب الفلسطينى يكافح ضد العصابات الصهيونيه المغتصبة حتى الآن»(١٣).

وجاء فى كتاب القومية العربية للصف الثالث الإعدادى لعام ١٩٥٩م المعنون «المواطن العربى والعالم» أن «الاستعمار لم يقف عند حد الاحتلال السياسى والعسكرى للشعوب العربية واستغلالها اقتصاديا، وإنما عمد إلى تفتيت وحدة هذه الشعوب وبعثرتها وإثارة الفتن فيما بينها، وتقسيمها إلى شيع ودول مصطنعة، حتى لا تتوحد جهودها، أو تتلاقى أمالها، ولكى تتحطم قوميتها وتتلاشى حضارتها»(١٤).

وكانت عوامل الوحدة العربية أقوى من قوى الاستعمار المفرقة، فكان من الطبيعى أن يعمل الشعب العربى على إعادة وحدته، وقد ظهر ذلك جليا عندما ظهرت فكرة جامعة تضم الدول العربية باعتبارها خطوة نحو الوحدة الشاملة، فاستجاب لها رؤساء الحكومات العربية المستقلة(١٥).

وقد سجل كتاب التربية الوطنية للصف التاسع (يعادل الصف الثالث الإعدادى حاليا) لعام ١٩٥٥م بخصوص قيام الجامعة العربية أنه «بعد المشاورات السياسية بين حكومات الوطن العربى، وهى سورية ولبنان والأردن والعراق واليمن والمملكة العربية السعودية ورئيس الوزارة المصرية تم الاتفاق على أن توجه الحكومة المصرية الدعوة لعقد لجنة تحضيرية من

ممثلـى الدول العربية السـبع تمهيدا لعقد مؤتمر عربى عـام تخرج فيه للعالم هيئة إقليمية جديدة لتحقيق مبادئ وأهداف عامة تتصل بمصير الشـعوب العربية ومسـتقبل حياتها، وتأخـذ مقامها الخطـير فى المجتمع الدولى إلى جانب ما يماثلهـا من الهيئات والمنظمات الدولية القائمة». وبعد اجتماعات طويلة تشـكلت جامعة الدول العربية بموجب بروتوكول تم التوقيع عليه بتاريخ ٧ أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٤٤م فى مدينة الإسكندرية من قبل الدول العربية المستقلة»[١٦].

وحول دور المسـتعمر فى إضعـاف روح الوحدة العربية يرد فى مقرر التاريخ المدرسـى للصف الثالث الإعدادى ما نصه «أدرك المسـتعمرون، من خلال استعراضهم لتاريخ العرب وكفاحهم، أن وحدة العرب هى سر انتصارهم. ولذلك عملوا على اقتسام الدول العربية فيما بينهم، وهدم الأسس التى تقوم عليها الروح القومية، بإضعافها حربيا، وقصر التعليم على أقل عدد ممكن من السكان، وتحقير كل ماهو عربى»[١٧].

وفـى نفس الاتجاه ورد فى كتاب القومية للصف الثالث الإعدادى لعام ١٩٥٩م المعنون «المواطن العربى والعالم»، والمشـار إليه آنفا، «أن الاسـتعمار عندما اضطر للرحيل بعد أن تحقق الاستقلال لمعظم البلاد العربية عاد مرة أخرى فى أشكال جديدة، فمرة يريد أن يجر البلاد العربية إلى أحلافه وتكتلاته، ومرة يعرض عليها مشروعات للتعاون ظاهرها التعاون وباطنها بسط سيطرته الاقتصادية»[١٨].

وحاول الاسـتعمار – خلال الخمسـينيات من القرن العشرين – عن طريق تبنيه لحلف بغـداد أن يباعـد بين العراق وبين دوره القومى مع بقية البلـدان العربية. وظل ينجح فى دسائسه فترة من الوقت بسبب تعاون بعض حكام العراق، ولكن الشعب العراقى قام بثورته فى ١٤ يوليو عام ١٩٥٨م، فقضى على أعوان الاستعمار فى بغداد ممن كانوا يحاولون إيقاع الفرقة بين العراق وغيره من البلاد العربية»[١٩].

وحـول الدور المصرى فى تحقيـق الوحدة العربية عمليا يذكر كتـاب القومية للصف الثالث الإعدادى عام ١٩٥٩م فى موضوع بعنوان «الوحدة العربية ومقوماتها»، «أن المدارس المصريـة قـد التحق بها عدد كبير من أبنـاء العرب الذين وفدوا إليهـا من كل مكان وهم يتمتعون بجو علمى مألوف إذ إن النظم التعليمية فى بلداننا العربية تقريبا واحدة وعلاقتنا بهم وثيقة»[٢٠].

ومما لا شك فيه أن المناهج المدرسية خلال فترة الخمسينيات والستينيات والنصف الأول من السبعينيات كانت، وكما هو واضح من عرض بعض محتوياتها، تركز على فكرة إقامة وحدة سياسية للبلدان العربية كبديل عن تفتت الدول العربية وتشرزمها. فالوطن العربى الذى هو الآن مقطع ومجزء إلى ما يزيد على عشرين دولة مدعو لأن يلم أطرافه فى دولة واحدة على أسس اقتصادية واجتماعية وسياسية[21].

واهتمت بعض كتب التربية القومية فى مصر بتاريخ زعيم القومية العربية جمال عبد الناصر فكتاب الصف الرابع الابتدائى لعام ١٩٧١م يذكر أن جمال عبد الناصر ولد فى ١٥ يناير ١٩١٨م لأسرة بسيطة، وكان والده موظفا فى مصلحة البريد، حيث تنقل الطفل مع أبيه فى كثير من بلاد القطر المصرى، فعاش مع أبناء الفلاحين ومع أبناء الأحياء الشعبية، وعندما بلغ الثامنة من عمره أرسله أبوه إلى عمه فى القاهرة ليتعلم فى إحدى مدارسها، وقد فقد والدته فى وقت مبكر من العمر.. وأثناء دراسته بالمرحلة الثانوية تفتحت عيناه على شئون البلاد السياسية فاشترك فى مظاهرات الطلبة ضد الحكومة، تلك المظاهرات التى أسكتها الإنجليز بالرصاص. وفى نوفمبر ١٩٣٥م قاد مظاهرة طلابية أخرى ضد الإنجليز فأصيب بجرح فى جبهته، والتحق بعد ذلك بالكلية الحربية، وتخرج فيها سنة ١٩٣٨م وعمل ضابطا بالجيش. وبدأ مع زملائه الضباط المخلصين للوطن فى تكوين تنظيم سرى هو الضباط الأحرار لتخليص الوطن من الاستعمار والفساد. واشترك فى حرب فلسطين ١٩٤٨م فازداد إيمانا بضرورة الثورة، وفى ٢٣ يوليو ١٩٥٢م قاد عبد الناصر الثورة ضد الأسرة المالكة – فى مصر وضد الاستعمار الإنجليزى» حيث كان وطنيا مصريا وقوميا عربيا شجاعا بل إنه يعتبر نبى القومية العربية فى العصر الحديث[22].

دور ثورة ٢٣ يوليو فى حركة تحرير البلدان العربية:

إن التطبيق العملى للاتجاهات القومية لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م يظهر بأجلى معانيه فى دورها الداعم لحركة التحرير الوطنى فى البلدان العربية، ومن أهم المواقف التى أوردتها المقررات المدرسية المصرية فى هذا الصدد نجد:

أولا: استقلال السودان:

كان فى مقدمة أهداف ثورة ٢٣ يوليو «التوصل إلى حل لمسألة السودان التى كان الإنجليز يعتبرونها سلاحا يهاجمون به ساسة مصر، ويصورنها كمشكلة لا حل لها،

وكانت الثورة تؤمن أنه يجب حل هذه المشكلة قبل الوصول لحل نهائى للمسألة المصرية، وأنه يجب أن يتم الاعتراف للسودان بحق تقرير مصيره».

وقد اهتمت المناهج الدراسية المصرية للتاريخ بهذه القضية. فهذا كتاب الصف الثالث الإعدادى. تاريخ العرب الحديث لسنة ١٩٦٠م يذكر أن ثورة يوليو توصلت إلى عقد اتفاقية السودان فى ١٢ فبراير ١٩٥٣م مع الإنجليز فمكنت من حل المشكلة السودانية حلا نهائيا ونصت هذه الاتفاقية على أن:

١ – يُمنح السودان فترة انتقال مدتها ثلاث سنوات يتوفر فيها للسودانيين الحكم الذاتى الكامل ليتسنى لهم حق تقرير مصيرهم فى جو محايد.

٢ – تعتبر هذه الفترة تصفية للإدارة الثنائية (الإنجليزية والمصرية).

٣ – يمارس الحاكم العام (الإنجيزى) للسودان السلطة الدستورية تعاونه لجنة خماسية تسمى لجنة الحاكم العام وتتشكل من خمسة أعضاء (اثنان من السودانيين ومصرى وإنجليزى وباكستانى).

٤ – تشكل لجنة مختلطة للانتخابات من سبعة (ثلاثة من السودان ومصرى وإنجليزى وأمريكى ويرأسها شخص هندى) تكون مهمتها الإشراف على الانتخابات وضمان حريتها.

٥ – تنسحب القوات العسكرية البريطانية والمصرية من السودان خلال ثلاثة أشهر من تاريخ إصدار البرلمان السودانى قراره برغبته فى الشروع فى اتخاذ التدابيرلتقريرالمصير.

وقد «وضعت الاتفاقية موضع التنفيذ وجرت انتخابات عامة حرة فى جميع أنحاء السودان أسفرت عن تشكيل حكومة وطنية، وقام على رأس الدولة مجلس سيادة ريثما يتم وضع دستور للبلاد وانتخاب رئيس لها، وقد أعلن البرلمان السودانى رغبته فى الاستقلال التام. ورحبت حكومة الثورة فى مصر بهذه الرغبة وما كاد يعلن استقلال جمهورية السودان الجديدة فى أول يناير سنة ١٩٥٦م حتى بادرت مصر إلى الاعتراف بها. فكانت أول دولة فى العالم تعترف بالسودان الشقيق المستقل»[٢٣].

ثانيا: حركة تحرير الجزائر:

احتلت فرنسا الجزائر فى سنة ١٨٣٠م. وجعلتها مستعمرة فرنسية، وعملت منذ احتلالها للجزائر على تضييع عروبة هذا البلد فمنحت المهاجرين الأوربيين حق التجنس بالجنسية الفرنسية، حتى يصبح الفرنسيون أغلبيه فى البلاد.

ويذكر مقرر التاريخ للشـهادة الثانوية لعام ١٩٧٤م «أن فرنســا شجعت على نشر اللغة والثقافـة الفرنسـية. وقاومت اللغة العربيـة. وأغرت عددا كبيرا من شـباب الجزائر إلى الهجرة للعمل فى فرنســا، حتى ينســوا قوميتهم العربية، ولكن الجزائريين برغم هذا كله ظلوا طوال هذه السـنين متمسـكين بقوميتهم. ويتطلعون إلى الحرية والاسـتقلال. فقاوموا الاسـتعمار الفرنسـى، منذ نزل فى بلادهم. وخلد الأمير عبد القادر الجزائرى اسمه على صفحات التاريخ وظل يحارب الفرنسـيين نحو ١٧ سـنة حربا عنيفة حتى نفاه الفرنسيون خـارج الجزائر. ولكن روح المقاومة الوطنية لم تهدأ. وانفجرت مرة أخرى بزعامة المقرانى واستشهد فيها نحو ستين ألف جزائرى عام ١٨٧١م».

واشـتدت إجراءات السـلطات الفرنسـية لقمع الحركة الوطنية، واستخدمت مختلف أسـاليب البطش. وكانت الحركة الوطنية فى الجزائر تتأثر بما يصلها من أنباء الحركات الوطنية فى البلاد العربية الأخرى، فتأسست الجمعيات والأحزاب. لبث الوعى فى نفوس أهل الجزائر، وتنبيه الناس للتشـبث بقوميتهم. ومقاومة أسـاليب الاسـتعمار الفرنسى. وقـد ظن الجزائريون أن فرنسـا بعد أن قاسـت ما قاسـته من هزيمـة وإذلال فى الحرب العالمية الثانية تستجيب لمطالبهم العادلة، فخرجوا فى مظاهرات سلمية. وهاجمهم الجنود الفرنسيون وفتكوا بالكثيرين منهم.

ولم يجد الجزائريون بدا من أن يحملوا السلاح دفاعا عن قوميتهم، فتألف جيش التحرير الجزائرى وحارب الفرنسيين حربا عنيفة، وكتب الأبطال الجزائريون بتضحياتهم - ومنهم جميلـة بـو حريد وغيرها - صفحات خالدة فى تاريخ الشـعوب المناضلة من أجل تحقيق حريتها واستقلالها.

وتورد المقررات المدرسية أنه قد شكل الزعماء الجزائريون حكومة وطنية مؤقتة للجزائر مقرها القاهرة. فاضطرت فرنسـا لأول مرة للاعتراف بحق الجزائريين فى تقرير مصيرهم، فأعلـن ديجول رئيس الجمهورية الفرنسـية ١٩٥٩م «اسـتعداد حكومته لإجراء اسـتفتاء يقرر فيه الجزائريون مصير بلادهم إما باسـتقلال الجزائر اسـتقلالا تاما أو باستقلالها فى اتحاد مع فرنسـا، أو بانضمامها كليا إلى فرنسـا، على أن يجرى هذا الاسـتفتاء فى ظل الإدارة والاحتلال الفرنسى. وقد ردت الحكومة الجزائرية المؤقتة على مقترحات ديجول، فرحبت باعتراف فرنسـا للمرة الأولى بحق الجزائريين فى تقرير مصيرهم. ولكنها رفضت

إجراء الاستفتاء فى ظل الاحتلال الفرنسى. ونوهت بأنها هى الهيئة الوطنية التى يحق لها أن تتكلم باسم الجزائر. وأبدت استعدادها للدخول فى مباحثات سياسية وعسكرية مع الحكومة الفرنسية»[٢٥].

واستمرت حرب التحرير قائمة، وبذل الجزائريون تضحيات غالية لتحقيق استقلالهم ولم تجد فرنسا بدا من المفاوضة، فجرت فى «ايفيان» بسويسرا مفاوضات مع الجزائريين انتهت بتوقيع اتفاقية وقف إطلاق النار فى ١٩ مارس ١٩٦٢م بعد سنوات من الجهاد المرير. وبهذا الاتفاق صدرت أول وثيقة رسمية تعترف فيها فرنسا بحق الشعب الجزائرى فى تقرير مصيره، وفى يوليو سنة ١٩٦٢م تم إجراء استفتاء تقرير المصير، وأعلن شعب الجزائر تمسكه بالاستقلال التام، ومن ثم بدأت عملية بناء الدولة الجزائرية التى أخذت مكانها بين دول العالم المستقلة، وقُبلت عضوا بالأمم المتحدة، وأصبح لها دورها فى تحقيق واستكمال التحرير العربى»[٢٦].

ثالثا: ثورة ١٤ يولية (تموز) ١٩٥٨م فى العراق:

يذكر مقرر التاريخ للصف الثالث الإعدادى لعام ١٩٥٩م أن «العراق كان منذ أن احتله الإنجليز أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م - ١٩١٨م) معقلا للرجعية والاستعمار. فقد خلق فيه الإنجليز طبقة من الحكام الرجعيين ممن يمالئون الاستعمار ويخدمون سياسته، كما خلقوا طائفة من السياسيين الذين ربطوا كيانهم وكيان بلادهم بالاستعمار البريطانى، وربطوا اقتصاد العراق بالاقتصاد البريطانى، ثم أدخلوا العراق فى دائرة السياسة البريطانية، وفى حلف بغداد. وكان هذا أول عامل فى الخلاف الذى قام بين مصر والعراق قبل ثورته عام ١٩٥٨م، فقد نادت مصر بأن الدفاع عن البلاد العربية لا ينبغى أن يقوم به غير العرب أنفسهم، وأن قوة العرب ومواردهم لا يجب أن تسخر إلا لخدمة مصالح العرب وحدهم، وأن ميثاق الضمان الجماعى أو الدفاع المشترك الذى عقد بين العرب فى داخل نطاق جامعة الدول العربية ينبغى أن يكون الأداة التى تحقق للعرب التعاون السياسى والعسكرى والاقتصادى الذى يحقق الدفاع عن مصالحهم، وأن على العرب أن يتشبثوا بسياسة الحياد الإيجابى وعدم الانحياز، ولكن العراق - قبل الثورة - مضى فى الدفاع عن مصالح حلف بغداد، بل أخذ يسعى لجر الدول العربية الأخرى للدخول فى هذا الحلف».

واشتد سخط الشعب العراقى على تلك السياسة الجائرة، فنهض الجيش العراقى- متجاوبا مع الشعب فى ١٤ يولية ١٩٥٨م - بإنقاذ العراق من براثن الرجعية والاستعمار،

فسقطت الأسرة المالكة والحكومة القائمة، وأعدم الشعب الملك وولى عهده وبعض الأمراء والسياسيين من أعوان الاستعمار، وعلى رأسهم نورى السعيد الذى كان يمثل سياسة العهد البائد، وأعلنوا العراق «جمهورية عربية»، وشكلوا حكومة وطنية برئاسة اللواء عبد الكريم قاسم.

وقابل العرب أبناء الثورة العراقية بأعظم مظاهرات الابتهاج، ورحبوا بعودة العراق إلى الأسرة العربية متعاونا مع سائر أعضائها. فإن هدف الثورة العراقية التخلص من جميع الأوضاع الفاسدة التى كانت تسود العراق قبل الثورة، كالقواعد العسكرية البريطانية والارتباط بتحالف أبدى مع بريطانيا والاشتراك فى حلف بغداد، وبدأ يعمل العراق منسجما مع سائر الدول العربية الشقيقة فى ظل القومية العربية لخدمة مصالح العرب وحدهم بالتحول إلى سياسة الحياد الإيجابى وعدم الانحياز.

وكما ورد فى المقرر الدراسى المشار إليه آنفا لعام ١٩٥٩م «أعلن الرئيس جمال عبد الناصر فى قوة وعزم أن أى اعتداء على العراق الشقيق تعده الجمهورية العربية المتحدة اعتداء عليها، تهب لصده بكل قوة تمتلكها، وأعلن أنه يضع تحت تصرف الحكومة العراقية جميع موارد الجمهورية العربية المتحدة وإمكاناتها وقوتها العسكرية دون قيد أو شرط وأرسلت مصر عددا من الطائرات، وكميات من الأسلحة إلى العراق تدعيما لقوتها العسكرية فى مواجهة أى عدوان»[٢٧].

رابعا: مصر والثورة اليمنية عام ١٩٦٢م:

كان الإمام أحمد يحكم اليمن حُكما رجعيا استبداديا، عزل القطر الشقيق عن العالم والحضارة تماما، فعاش الشعب اليمنى عيشة متخلفة، فلما مات وجاء بعده ابنه الإمام البدر كان الشعب اليمنى يرجو أن يتحرر لكنه أعلن تمسكه بسياسة والده، ففوجئ بثورة الجيش فى سبتمبر ١٩٦٢م بقيادة الزعيم عبد الله السلال الذى أعلن انتهاء الملكية، وإعلان النظام الجمهورى اليمنى لأول مرة فى تاريخه، فبادرت قيادة الثورة المصرية للاعتراف بالثورة اليمنية، ولما تعددت الجهات التى تحارب الثورة اليمنية وهى الرجعية والاستعمار، قدمت مصر لليمن مساعدات لا حد لها منها:

١ – عقد معاهدة دفاع مشترك أرسلت بمقتضاها القوات المصرية المسلحة البرية والبحرية والجوية إلى اليمن.

٢ – اشتبكت القوات المصرية فى معارك حامية مع أعداء الثورة اليمنية وقدمت مصر أرواح أبنائها فى سبيل دعم الثورة.
٣ – ساهمت مصر فى إعادة بناء اليمن. وأنشأت عشرات المرافق المهمة ودور الحكومة لأول مرة فى تاريخ اليمن.
٤ – أوفدت مئات الخبراء والمدرسين للإسهام فى نشر التعليم وتوفير الرعاية الصحية والاجتماعية للمواطنين.
٥ – ساعدت اليمن فى بناء جيش وطنى قوى مدرب ومسلح بأحدث الأسلحة.
٦ – وقفت مصر إلى جانب اليمن فى المحافل الدولية حتى تم اعتراف دول العالم والأمم المتحدة بالثورة اليمنية، وأهدافها المتطلعة للحرية والتقدم[٢٨].

خامسا: مصر وثورة الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ م فى ليبيا:

ورد فى مقرر دراسى مصرى أن تحرير ليبيا من الحكم الإيطالى سنة ١٩٤٣م جاء بعده تقسيمها إلى مناطق نفوذ ثلاث هى: برقة وطرابلس وقد وضعت تحت الحكم العسكرى البريطانى وفزان – فى الداخل بالقرب من الحدود الجزائرية – وضعت تحت الحكم العسكرى الفرنسى.

وخشى الليبيون والعرب جميعا على مستقبل ليبيا وسط التيارات الدولية المختلفة، و«تركزت آمال الليبيين على اختلاف أحزابهم فى غاية واحدة هى استقلال بلادهم والمحافظة على وحدتها، وأخيرا تحققت لهم هذه الغاية السياسية على عدة مراحل. ففى أول يونيه ١٩٤٩م أعلن الأمير إدريس المهدى السنوسى استقلال برقة، ولكنه كان استقلالا ناقصا، حيث احتفظت إنجلترا بالشئون الخارجية للإمارة وشئون الدفاع عنها، وعُين مستشارون من الإنجليز فى مختلف الوزارات، خلال الفترة الانتقالية، وبعد انتهاء تلك الفترة احتفظت ليبيا بوحدتها، فتأسست المملكة الليبية المتحدة، ونودى بالأمير محمد إدريس السنوسى ملكا عليها فى ديسمبر ١٩٥١م».

«غير أن الأوضاع الأخيرة فى ليبيا فى ظل الملكية لم تكن تسير مع الاتجاه القومى العربى فقد كانت تخضع اقتصاديا وعسكريا وسياسيا للسيطرة الأجنبية المتمثلة فى كل من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، حيث كان لهما قواعد عسكرية فى الأراضى الليبية، كما كان هناك تواطؤ بين العناصر المحلية الحاكمة وبين السيطرة والاحتكارات

الأجنبيــة حتى تشــترك بنصيب فى النهــب المنظم والمتاح للثروة الليبيـــة، وفرض العزلة الكاملة التى ضربتها الرجعية والاســتعمار على الشــعب الليبى حتى يبتعد عن جيرانه من الشعوب العربية».

لــكل هذه الأســباب مجتمعة قامت الثورة فى ليبيا فى أول ســبتمبر ١٩٦٩م برئاســة العقيــد معمر القذافى وألغــت الملكية وأعلن قيام الجمهورية العربيـــة الليبية. وبالرغم من نظام الأمن الحديدى الذى وضع لضمان إحكام السيطرة على الشعب الليبى نجحت الثورة نجاحا كبيرا.

وســارت «الثورة منذ قيامها وفق مصالح الشعب الليبى وأزالت العزلة التى كانت قائمة بين الشــعب الليبى وأشــقائه العرب، والتزمــت بالخط العربى الصحيح وبدأت تشــترك بإيجابية فى مشــكلات النضال العربى. وكذلك اتجهت مباشــرة نحو تصفية الاســتعمار نهائيــا فى ليبيا فأعلنــت إلى كل من بريطانيا وأمريكا رغبتها فـــى ضرورة تصفية القواعد العسكرية فى ليبيا واستجابت لذلك الدولتان ودارت المفاوضات وتم الجلاء عن هذه القواعد قبل الموعد المحدد وهو ٣٠ يونيه ١٩٧٠م»[٢٩].

سادسا: دور مصر فى حركة الكفاح الوطنى فى اليمن الجنوبى:

كانت بريطانيا - كما أوردت المقررات المدرســية - قد تمكنت من الســيطرة على اليمن الجنوبــى غــير أنه بعد الحرب العالمية الثانية بدأ الحال يتبدل وأخذ النفوذ البريطانى فى هذه المناطق يعانى من أزمات حادة جاءت من مصدرين:

الأول: رفــض اليمن الاعتراف بمركز بريطانيا واســتعمارها لتلــك الأنحاء التى يعدها اليمنيون جزءا من بلادهم.

الثانى: ظهور الوعى القومى بين أهالى تلك البلاد نتيجة لانتشار التعليم وزيادة الاتصال بالبلاد العربية الأخرى وقيام الثورة فى اليمن ضد حكم الإمام وإعلان الجمهورية.

ولقد بدأت المقاومة ضد الاســتعمار البريطانى حين أعلن مشروع اتحاد المحميات الذى فرضته إنجلترا فى هذه البقعة محاولة منها فى إخفاء نواياها الاستعمارية التى كانت ترمى إلى اســتمرار بقائها هناك. ولقد قوبلت المقاومة بمختلف وسائل القمع والإرهاب مما ساعد على اشــتدادها فتحولت إلى ثورة عاتية بلغ من حدتها أن اشــتركت فى قمعها الطائرات دون جدوى. ولقد كان لقيام الجمهورية فى اليمن ووجود جيش الجمهورية العربية المتحدة

هناك أثر مهم فى تقدم الكفاح نحو غايته المنشـودة إذ ساعدت الجمهورية العربية المتحدة الثـورة ودعمتها بجميع وسـائل الدعم المادى والمعنوى. وحـين رأت إنجلترا عدم جدوى الأسـاليب الإرهابية التى استخدمتها ضد السـكان أعلنت عن رغبتها فى الجلاء الذى تم فعلا فى ٣٠ نوفمبر سـنة ١٩٦٧م وفى هذا التاريخ قامت جمهورية جنوب اليمن الشـعبية (جمهورية اليمن الديمقراطية الشـعبية) - التى انضمت إلى بقية اليمن فى دولة واحدة - عضوا جديدا فى المجتمع الدولى حيث أصبحت عضوا فى الأمم المتحدة وعضوا فى جامعة الدول العربية[٣٠].

سابعا: مشكلة فلسطين والصراع العربى الصهيونى:

لم تحظ قضية عربية بالاهتمام والدارسة والعرض فى المقررات المدرسية المصرية فى عهد الثورة كما حظيت بها «القضية الفلسـطينية». وتـكاد تكون هذه القضية هى قضية مصر. وعبد الناصر الأولى بعد قضايا التطوير الداخلى للبلاد بل وربما كانت تسبق فى الأهمية أى تنمية وتطور داخل مصر ذاتها. لأن اغتصاب أرض فلسطين هو مقدمة لمشروعات صهيونيه لاغتصاب كل أراضى العرب. فاليهود جاءوا بمشروع استيطانى مرتبط بالمصالح الاستعمارية لكل البلاد الغربية وخاصة إنجلترا والولايات المتحدة وفرنسا.

ولقـد ادعـى اليهود أن فلسـطين هى أرضهم. وأن اليهود هم فى الأسـاس من نسـل «يعقوب» الذى يسـمى «إسرائيل» ولذا عُرفوا باسم بنى إسرائيل. «وأنهم هاجروا من قديم الزمان إلى مصر. أيام يوسف الصديق بن يعقوب. وظلوا بها حتى طردهم المصريون منها. فاستقروا فى صحراء سيناء. ثم قصدوا فلسطين. فتولى عليهم ملوك. منهم سليمان الحكيم. ثم قضى على دولتهم ملوك بابل وآشور والرومان. فتفرقوا فى الأرض».

وعاش اليهود - كما جاء فى كتاب التاريخ الحديث للوطن العربى الكبيرللصف الثالث الإعـدادى لعـام ١٩٦٥م - «منعزلين عن أبناء الأمم التى آوتهم. ولحبهم الشـديد للمال. سـعوا للحصول عليه بكافة الوسـائل حتى تكدسـت لديهم الأموال. ولما كانت من صفات اليهود الغدر والدناءة. كانوا موضع اضطهاد جميع الدول التى أقاموا فيها. وكثيرا ما قامت المذابح للتخلص منهم. وقد أحسـن المسـلمون معاملتهم. فى مختلـف العصور. وشملوهم بسـماحتهم. وتركوهم يتاجرون. ويمتلكون العقـارات. وعينوا بعضهم فى وظائف عالية. وبينمـا اليهود فـى البلاد العربية يلقون هذه المعاملة. كان إخوانهم فى إسـبانيا وإنجلترا يضطهدون ويطردون خارج البلاد»[٣١].

ويذكـر نفس المقرر أنه «في أواخر القرن الماضي، اتجهت أنظار اليهود إلى فلسـطين، وهاجرت بعض الأسـر اليهودية إليها، وأقامت بها بتشـجيع من الإنجليز. ولكن كانت الهجرة إلى فلسـطين في مجموعات قليلة، لم تحقق أطماع اليهود. فقاموا بعقد مؤتمر في بال بسويسـرا عام ١٨٩٨م وضعوا فيه خطة كاملة لتأسـيس وطن قومي لهم في فلسطين، وأنشـأوا «الجمعيـة الصهيونيه» وجعلوا مـن أهدافها[٣٢] العمل على جعل فلسـطين وطنا قوميا لليهود. ولما كانت فلسـطين يومئذ تابعة للدولـة العثمانية فقد عرضت إنجلترا على اليهود أن يجعلوا من أوغندا وطنا قوميا لهم، ولكنهم تمسكوا بفلسطين. وطلبوا من السلطان العثماني يومئذ أن يسـمح لهم رسميا بتحقق أمنيتهم، ولكنه رفض خشـية إثارة المشكلات في الوطن العربي».

ولما قامت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م – ١٩١٨م) سـعى اليهود للحصول على وعد بلفور سـنة ١٩١٧م، وقامت سياسـة بريطانيا في فلسـطين على إباحة الهجرة لليهود، وبعد أن كان عدد اليهود لا يتجاوز ١٠٪ من سـكان فلسـطين بلغ عددهم سـنة ١٩٣٩م حوالي ٣٥٪، ويسر الإنجليز لهم شراء الأراضي، وصرحوا لهم بإنشاء الجمعيات السياسية والمنظمات العسكرية، وجعلوا اللغة العبرية لغة رسمية إلى جانب العربية والإنجليزية[٣٣].

ولما تولت إنجلترا مسـئولية الانتداب على فلسـطين فتحت باب الهجرة لليهود على مصراعيـه فتدفقـوا عليها من كل بلاد العالم. وأنشـأوا «الوكالة اليهودية» لتنظيم شـئون الأمـن القومي والهجرة ومعاونة المهاجرين على شـراء الأراضي. وقامـت الوكالة بمعاونة «صندوق الأمة اليهودي» بإنشاء المؤسسات الاجتماعية والتعليمية لليهود في فلسطين، كما شجعت على قيام منظمات إرهابية تعمل ضد العرب[٣٤].

وقـد ورد في منهج تاريخ العرب الحديث والمعاصر للصف الثالث الثانوي لعام ١٩٧٧م بخصوص هذه القضية ما نصه «تم فتح أبواب فلسطين لهجرة اليهود حتى يصبحوا أكثرية واسـعة. ولكي ينتقـل بعض من أجود الأراضـي وأخصبها إلى اليهود لينشـئوا لهم فيها مستعمرات زراعية تمهيدا لتحويل فلسطين إلى وطن قومي لليهود.

وقد احتج عرب فلسطين وشاطرتهم سائر الدول العربية على هذه السياسة الغاشمة دون جدوى فقامت المظاهرات والإضرابات وتحولت إلى ثورة عارمة. وعملت الحكومة البريطانية على تهدئة الحالة. فأرسـلت لجانا للتحقيق ودراسـة الأوضاع القائمة. وفي أثناء الحرب

العالميــة الثانية وثق الصهاينة صلاتهم بالدول الكبرى المتحالفة مع بريطانيا، وكونوا بعض الفرق العسكرية لمساعدة قوات الحلفاء. واكتسبت هذه القوات خبرة بالأمور العسكرية حتى تكونت منها بعد الحرب العصابات المســلحة التى عملت على الاســتئثار بفلسطين وإنشاء دولة إسرائيل».

ويسترســل نفس المقرر فى حديثه عن تطور المشــكلة الفلسطينية فيذكر «أنه فى أعقاب الحــرب العالمية الثانية تضخمت المشــكلة بســبب هجرة أعداد كبيرة مــن اليهود نتيجة للدعاية الواسـعة عــن اضطهاد الحكومة النازية فى ألمانيا لليهــود، حتى إذا انتهت هذه الحــرب عام ١٩٤٥م بانتصار إنجلترا وحلفائها وفــى مقدمتهم الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الســوفيتى دخل فــى القضية عامل جديد هو تأييد الولايــات المتحدة الأمريكية لخطة تهجير عدد كبير من يهود أوربا إلى فلســطين، لا يقل عن ١٥٠ ألف يهودى دفعة واحدة، دون مراعاة لمصالح العرب أو قدرة هذه البلاد على استيعاب ذلك العدد الكبير من المهاجرين. وهكذا نزلت بالعرب هذه الكارثة. وفى آواخر الحرب العالمية الثانية تم تكوين جامعة الدول العربية فى مارس ١٩٤٥م. وكانت قضية فلســطين منذ تأسيس الجامعة هى الشــغل الشــاغل لدول هذه الجامعة، وقد قررت اللجنة التأسيسية للجامعة منذ البداية أن فلســطين ركن مهم من أركان البلاد العربية، وأن حقوق العرب لا يمكن المســاس بها، كما رأت تلــك اللجنــة أن التعهدات التى ارتبطت بها بريطانيا تقتضى وقف الهجرة اليهودية والمحافظة على الأراضى العربية، للوصول إلى اســتقلال فلســطين باعتبار ذلك من حقوق العرب الثابتة».

وعملــت الحكومة البريطانية على اســتغلال الاهتمام الذى تبديــه الحكومة الأمريكية لقضية فلســطين، فسعت إلى إشراكها معها فى حل القضية، وقررت تشكيل لجنة تحقيق مشتركة إنجليزية أمريكية لبحث مشكلة اليهود، وتدبير حل للمشكلة الفلسطينية. وبدأت اللجنة عملها فى الوقت الذى تجددت فيه الاضطرابات فى فلسطين وزاد خطر اليهود بعد أن أفادتهم الحرب فى تسليح قواتهم وتدريبها.

وســلمت اللجنة الإنجليزية الأمريكية المشــتركة بأن فلســطين وحدها لا تســتطيع أن تحل مشــكلة هجرة اليهود من ضحايا الاضطهــاد النازى، «ومع ذلك أوصت بهجرة مائة ألف يهودى جدد إلى فلســطين، كما أشــارت بأن تسير الهجرة بأسرع ما يمكن أن تسمح

بــه الأحوال. بل ذكرت في تقريرها أن دخول فلســطين حق مشــروع لكل يهودى ينوى الهجرة إليهـا. أما عن المستقبل فإن فلسطين لا ينبغى أن تتحول إلى دولة يهودية ولا دولة عربية. فإن هذا من شــأنه قيام اضطرابات وحرب أهلية قد تهدد الســلام العالمى. لذلك أوصت اللجنة بأن تســتمر فلســطين تحت الانتداب البريطانى حتى توضع تحت وصاية الأمم المتحدة. وزادت اللجنة إمعانا فى إرضاء اليهود فأوصت بإلغاء القوانين التى تحد من حريــة بيع الأراضى لليهود». وكان من الطبيعى أن يرفض العرب هذه التوصيات. بل إن اليهود رفضوها أيضا على الرغم من تحيزها الواضح لهم.

ويواصــل نفــس مقرر الثانوية العامة للتاريخ لعــام ١٩٧٧م حديثه فيذكر أنه «فى حين كان العرب فى فلســطين منقســمين على أنفسهم إلى أحزاب وشــيع نظم اليهود صفوفهم، وقاموا عام ١٩٤٥ – ١٩٤٦م بأعمال إرهابية عنيفة فى فلسطين، كنسف السكك الحديدية، وتدمير الجســور وبث الألغــام ونهب المعســكرات البريطانية، ومحاولــة اغتيال المندوب الســامى البريطانــى واغتيال وزير الدولــة البريطانى فى القاهرة فعــلا على يد جماعة من الإرهابيين اليهود».

وقامــت الحكومة البريطانية – حســب نفس منهج التاريــخ المذكور – بمحاولة أخرى للبحث عن حل للقضية الفلسطينية فدعت العرب واليهود إلى مؤتمر فى لندن ولكنه انفض دون الوصــول إلى اتفاق. فأعلنت بريطانيا يأســها من القضيــة، وقدمتها إلى الأمم المتحدة للفصــل فيهــا. فخصصت بعض جلســاتها فى أبريــل – مايو ١٩٤٧م للنظر فى مشــكلة فلسطين. وقررت تعيين لجنة فرعية خاصة من ممثلى إحدى عشرة دولة محايدة للتحقيق فــى القضية، وبعد زيارات ودراســات طويلــة، قدمت هذه اللجنة توصياتها «بأن تقســم فلسطين إلى ثلاثة أقسام: دولة عربية، ودولة يهودية، ومنطقة دولية تشمل القدس والأماكن الدينية المقدســة، على أن تمنح هاتان الدولتان الاســتقلال بعد فترة انتقال مدتها عامان، توضعان أثناءهما تحت وصاية الأمم المتحدة».

وطال الجدل فى جلسات الأمم المتحدة حول توصيات اللجنة الفرعية واشتدت التيارات المتعارضــة. وكافح ممثلو العرب كفاحا مريرا للاحتفاظ بوحدة فلســطين وعروبتها. ولكن الضغط الأمريكى أثبت قوته ففاز قرار تقســيم فلسطين بأغلبية الأصوات، وقررت بريطانيا إلغاء انتدابها على فلسطين والانسحاب منها فى ١٤ مايو ١٩٤٨م.

وكان اليهـود علـى أتم الاسـتعداد لإدارة المناطـق التى تحتلها قواتهـم فما أن نفذت بريطانيا قرارها، وأعلنت انتهاء الانتداب على فلسطين وسحبت قواتها منها، حتى أعلنت العصابات الصهيونيه من تل أبيب إنشاء دولة إسرائيل فى ١٥ مايو عام ١٩٤٨م، وكانت حكومة الولايات المتحدة أسـبق الدول إلى الاعتراف بالدولة الوليدة وتلتها فى ذلك حكومة الاتحاد السوفيتى.

وكمـا جاء فـى كتاب التاريخ الحديث والمعاصر للصف الثالـث الثانوى لعام ١٩٧٧م، «أصبح العرب فى فلسـطين تحت رحمة البطـش الصهيونى دون حكومة ترعاهم أو جيش نظامى يدافع عنهم، فلم تجد الدول العربية بدا من التدخل العسكرى فى فلسطين. لإنقاذ أهلها من بطش العصابات اليهودية المسلحة، ولمساعدة إخوانهم العرب على إقامة حكومة وطنية موحدة لفلسطين. وبدأت الجيوش العربية حرب فلسطين ١٩٤٨م دون سابق استعداد جدى مما أظهر نقصا فاحشا فى التسليح والتنظيم. وعلى الرغم من عجز العرب عن إنشاء قيادة عسكرية موحدة لتنسيق العمليات الحربية، ووقوع الحكومات العربية إذ ذاك تحت ضغـط الـدول الكبرى وخاصة الولايـات المتحدة الأمريكية فقد أحـرزت الجيوش العربية انتصـارات رائعة على أرض فلسـطين، إذ تقدمت القـوات المصرية من العريش زاحفة فى اتجاهين: الأول إزاء الساحل الفلسطينى حتى وصلت إلى أسدود، على بعد ٣٠ ميلا جنوب تل أبيب، والثانى فى الداخل عبر الأراضى العربية نحو بير سـبع والخليل وبيت لحم، حتى أشرفت القوات المصرية على الضواحى الجنوبية لمدينة القدس، وتقدم الجيش العراقى فاحتل طولكرم، على بعد أميال من السـاحل، كما أن الحكومة العراقية أقدمت على عمل خطير كان له أثر بالغ برغم ما تحملته من خسـارة، وهو قطع الزيت العراقى عن أنابيب البترول الممتدة إلى حيفا. أما الجيش السورى فقد أبدى بسالة فى المعارك التى خاضها فى المنطقة الشـمالية من فلسـطين. واقتصر نشاط الجيش الأردنى على احتلال المنطقة العربية الواقعـة غربى نهر الأردن التى خص قرار التقسـيم العـرب بها، كما أنه دافع عن القدس القديمة، وحاصر حى اليهود فى المدينة الجديدة حصارا عنيفا».

ويذكر نفس المقرر المشـار إليه بقوله «أنه لم تمض أيام ثلاثة على بدء القتال حتى قدم مندوب حكومة الولايات المتحدة فى مجلس الأمن اقتراحا بوقف القتال فى فلسـطين وفى يوم ١٩ مايو ١٩٤٨م تقرر وقف القتال شهرا واحدا، على أن يحرم خلاله على كلا الفريقين

جلب الأسلحة والمحاربين إلى فلسطين. وعُهد إلى «الكونت فولك برنادوت» الوسيط الدولى فى فلسطين بالإشراف على تطبيق الهدنة ويعاونه فى ذلك عدد من المراقبين الدوليين. وقد أعطيت لليهود فرصة لتنظيم قواتهم وجلب الأسلحة اللازمة خاصة الطيران والمدفعية الثقيلة والمدرعات فى الوقت الذى بقى فيه العرب على حالهم. من فقر فى السلاح والمعدات، وعدم التنسيق فى خططهم العسكرية والسياسية. فضلا عن بث جو من التضليل بين الأوساط الشعبية العربية تصل إلى حد تضليل الرأى العام العربى. وصرفه عن إدراك الموقف على حقيقته».

و«بعد الهدنة تجدد القتال. ولكنه لم يدم أكثر من عشرة أيام. إذ تدخل مجلس الأمن ثانية وأوقف القتال، وفرض الهدنة مرة ثانية فى ١٨ يوليه، وكسب اليهود خلال أيام القتال العشرة مزيدا من أرض فلسطين تصل إلى ثلاثة أضعاف ما أخذوه فى الجولة الأولى، وقد لقى الوسيط الدولى برنادوت عنتا كبيرا فى المحافظة على الهدنة واتهمه الصهاينة المتطرفون بممالأة العرب، وشنوا عليه حملة أدت إلى اغتياله بالقدس بيد جماعة من غلاة الصهاينة».

ويعرض ذات المقرر التاريخى أن اليهود عزموا على القيام بعمل حاسم للاستيلاء على ما بقى من أرض فلسطين متحدين فى ذلك مجلس الأمن وقراراته بفرض الهدنة وقد أدرك اليهود أن الجبهة المصرية أكثر جبهات القتال مناعة، فعزموا على القيام بعمل عسكرى حاسم لخرق هذه الجبهة، وتحقيق انتصار سريع لهم فيها بالاستيلاء على منطقة النقب جنوبى فلسطين. وظهر تفوق اليهود فى سلاح الطيران. فتقدم زحفهم صوب غزة فى أكتوبر ١٩٤٨م، وحاصروا قوة مصرية فى الفالوجا لثلاثة أشهر، وفى ديسمبر ١٩٤٨م اندفعت قوات يهودية إلى يمين القوات المصرية فى طريق السيارات الممتد من بير سبع حتى قناة السويس وتوغلت داخل حدود مصر فى سيناء.

وتوغل اليهود داخل لبنان. واحتلوا قرى لبنانية، واندفعوا صوب العقبة، وساحل البحر الأحمر، وأقاموا ميناء إيلات هناك، واستطاعوا الاحتفاظ بما احتلوه من أرض وهكذا تسنى لهم احتلال فلسطين كلها إلا منطقتين فقط هما:

١ - قطاع غزة وأداره حاكم من قبل مصر ويعاونه مجلس تشريعى من أهل فلسطين.

٢ - الضفة الغربية وكانت تحتلها القوات الأردنية.

أما «القدس فقد ظلت مقسمة بين اليهود والعرب. فكان للجانب الأردني المدينة القديمة وتقع فيها الأماكن المسيحية المقدسة، ولليهود المدينة الجديدة وتفصل بينهما أسلاك شائكة. وقد قررت الأمم المتحدة في ديسمبر سنة ١٩٤٨م. تدويل القدس وقبلت الدول العربية هذا القرار. كحل يحول دون ابتلاع إسرائيل لها ولكن كلا من الأردن وإسرائيل رفضتا قرار التدويل. بل لقد تحدته إسرائيل فأعلنت القدس عاصمة للدولة. ونقلت إليها دور حكومتها واستقبلت فيها بعض سفراء الدول الأجنبية».

مشكلة اللاجئين الفلسطينيين:

ورد في إحدى المقررات المدرسية «أن الأمم المتحدة أصدرت في ديسمبر ١٩٤٨م قرارا «يقضي بدعوة إسرائيل للسماح بعودة اللاجئين العرب إلى بلادهم إن شاءوا أو تعوضهم عن أملاكهم التي فقدوها. وقد قُدر عددهم بنحو ٧٥٧,٠٠٠ لاجئ فلسطيني فضلا عن عدد كبير من الذين ظلوا في قراهم. ولكن خطوط الهدنة فصلت بينهم وبين مزارعهم وبساتينهم التي كانوا يعيشون على دخلها. وقد شُكلت لجنة دولية لإغاثة اللاجئين قامت بجهود مشكورة. ولا تزال إسرائيل ترفض الخضوع لقرار إعادة اللاجئين أو تعويضهم. ولا يزال اللاجئون يعانون الحرمان والتشرد»[٣٥].

وعاش اللاجئون الفلسطينيون في عدة بلدان عربية مطرودين من أرضهم في الأردن وسوريا ومصر ولبنان والعراق والكويت والمملكة العربية السعودية وليبيا وتونس واليمن فضلا عمن هاجروا إلى دول أوربا والولايات المتحدة الأمريكية. وعاش هؤلاء في تلك البلدان في حالة من العوز والحرمان. وقد أثارت مشكلة هؤلاء اللاجئين مشاعر العالم. فتمت مناقشتها في الجمعية العامة للأمم المتحدة أكثر من مرة. فصدرت القرارات بضرورة عودتهم إلى ديارهم بفلسطين. على أن يتم تعويضهم عما خسروه من أملاك وأراض وبيوت. ولكن إسرائيل رفضت تنفيذ قرارات الأمم المتحدة[٣٦].

وهكذا قامت دولة إسرائيل واعترفت بها معظم الدول. كما جاء بمقرر التاريخ الحديث للثانوية العامة في أواخر السبعينيات من القرن الماضي. «في الوقت الذى عجزت فيه دول العالم عن تنفيذ قرارات الأمم المتحدة الخاصة بعودة اللاجئين العرب. واستطاعت إسرائيل – بفضل تأييد الدول الكبرى لها. والمساعدات المالية والعسكرية الضخمة التي تلقتها وبفضل قوة دعايتها. وما شاع في صفوف العرب أنذاك من ضعف وتخاذل وانشقاق – أن

توطد أقدامها فى هذا الجزء من الشـرق الأوسـط قلب العالم العربى. فأصبحت أهم عناصر الاضطراب فى هذه المنطقة من العالم»[٣٧].

ويذكـر مقرر الصف التاسـع الابتدائى لعام ١٩٥٥م فى الأخـلاق والتربية الوطنية «أن الوجـود الصهيونى هو وجود سـرطانى جاء ليغتصب الأرض ويمـزق الأمة العربية كلها. ولذلـك يجب أن يقف العـرب صفا واحدا ضد هذا الوجود الذى يعتبر تدعيمه وقوته عمل مخصـوم من القوة والوجود العربيين ليس فى فلسـطين فقط بـل فى المنطقة العربية كلها. خاصة أن اليهود يستخدمون – وسوف يستخدمون – رؤوس أموالهم الضخمة المتراكمة فى جميع أنحاء العالم فى إنشـاء مسـتعمرات جديدة ليس فقط فى فلسطين بل فى كل البلاد العربيـة التى حولها. لذلك فالغزو اليهودى لا يشـبه أى غزو آخـر. بل هو أخطر أنواع الغـزو والاسـتعمار الذى عرفه العرب – وحتى العالم – فـى تاريخهم. والواقع أن أهداف الصهيونيـه لن تتحقق إلا إذا سـيطرت إسـرائيل على البلدان العربيـة فى جميع نواحى الحياة، فى العمل والإنتاج»[٣٨].

إن قراءة حقيقية لواقع الأحداث فى التاريخ المعاصر فى المنطقة العربية وفلسطين يكشف لنا بسـهولة أن اليهـود قد خططوا ونفذوا ما أرادوا تحقيقه، وهنا نلاحظ أن مشـروع إقامة الدولـة العبرية «إسـرائيل» قـد مر بأربع مراحل هـى: أولا: مرحلة المشـروع الصهيونى: بـين عامـى ١٨٩٨ – ١٩١٧م، ثانيـا: مرحلة تحقيـق الوعد والتغلغـل الصهيونى وإقامة الدولـة أى مرحلـة العودة إلى أرض الميعاد – حسـب تصور اليهـود الصهاينة – بين عامى ١٩١٧ – ١٩٤٨م، ثالثا: مرحلة الهجوم المنظم، والاسـتيطان الواسـع وتوسيع كيان الوطن القومـى، وإقامـة الدولة الصهيونية المتقدمـة بين عامـى ١٩٤٨ – ١٩٦٧م، رابعا: مرحلة اخـتراق بلدان العالم العربى بلدا بعد الآخر بطريقة أو بأخرى، أى مرحلة من النيل للفرات وهـذه الفترة تمتد من عام – ١٩٧٨م وقتما تم عقد معاهدة كامب ديفيد حتى الوقت الحالى، وليس بالضرورة أن تتم تلك المرحلة عن طريق احتلال إسرائيل للبلدان العربية، بل يمكن أن تتم عن طريق اختراق تلك البلدان والتعامل معها وإنشاء المشروعات والشركات فى داخلها، واسـتغلال الطاقة البشـرية العربية – خاصة المصرية – لمصلحة السـادة اليهود، والمنتفعين معهم من الدول الغربية المؤيدة لهم، ولمصلحة القوى العربية التى تتلاقى مصالحها مع مصالح اليهود والأمريكان، من أجل تحقيق مصالحها الخاصة حتى ولو على حسـاب مستقبل تلك

الشعوب العربية. والسؤال المهم الذى يطرح نفسه علينا بعد ذلك هو وماذا نحن فاعلون فى مواجهة تلك المخططات التى تستهدف وجودنا؟ ثم ما هو شكل المقررات والمناهج المدرسية التى يجب أن نقررها على تلاميذنا وطلابنا فى مدارسنا المصرية وحتى العربية لكى ننجح فى توعية شبابنا ضد المخططات الصيونيه والغربية؟.

مقرراتنا المدرسية بعد قيام ثورة يوليو ومواجهة سياسة الأحلاف:

لكشف مآرب وأهداف حلف الأطلنطى الذى تنضم إليه دول الكتلة الغربية بقيادة الولايات المتحدة وبريطانيا جاء فى كتاب التربية القومية وعنوانه «المواطن العربى والعالم» للصف الثالث الإعدادى لعام ١٩٥٩م، «لقد أعلنت الدول المشتركة فى حلف الأطلنطى أن الغرض منه تعزيز الدفاع عن البلاد المنتمية إليه، وتدعيم السلام العالمى ولكن الواقع يكذب ذلك. فهو حلف يهدد السلام ويضعف الأمم. فالاستعدادات العسكرية له ذات طابع هجومى. والجهاز العسكرى والمقادير الهائلة من الأسحلة والمدافع والدبابات والطائرات الحربية التى سلمتها الولايات المتحدة الأمريكية إلى دول هذا الحلف لا يمكن أن يتصور أحد أنها وسيلة للدفاع فقط بل إنها وسيلة للهجوم. وقد استعملت فعلا للهجوم على شعوب عدة».

وعلى ذلك لم يكن حلف الأطلنطى سوى وسيلة من وسائل التطويق. ولتحقيق مزيد من التطويق اتجهت الدول الغربية لإنشاء حلف آخر فى منطقة الشرق الأوسط هو حلف بغداد، والسؤال الطبيعى الذى يفرض نفسه علينا هو تطويق لمن؟، و«قد قيل إنه تطويق للاتحاد السوفيتى، ولكنه أيضا تطويق لمصر وللدول العربية المعادية للغرب. ولم توافق الجمهورية المصرية والجمهورية السورية وقتذاك على حلف بغداد، وكذلك معظم دول الجامعة العربية التى التزمت بسياسة الحياد الإيجابى وعدم الانحياز. وهذا لم يمنع من استجابة بعض حكومات الشرق الأوسط لنداء المستعمرين: فتم تكوين الحلف التركى العراقى من البداية فى ٢٤ فبراير عام ١٩٥٥م – بتوجيه غربى وانضمت إليه بريطانيا وباكستان وإيران ثم أصبحت الولايات المتحدة مراقبة فيه».

وورد بنفس المقرر المدرسى للتاريخ (الثانوى العام سنة ١٩٧٧م) أنه «إذا كان حلف الأطلنطى وسيلة لتطويق الكتلة الشرقية بقيادة الاتحاد السوفيتى. فإنه كان أيضا وسيلة لتثبيت أقدام الاستعمار فى البلاد العربية، وإليك أمثلة لاستغلاله ضد الشعوب العربية:

١ – لما يئس الاستعمار من الضغط على الشعب العربى فى كل من سورية ومصر للدخول فى حلف بغداد. ظن أنه يستطيع أن ينجح فى الضغط على شعب الأردن. فعبأ حلف بغداد كل قواه وانقض على الأردن فى ديسمبر عام ١٩٥٥م. ولكن الشعب العربى فى الأردن واجه الموقف ودافع عن حقه فى الحرية. ورفض أن يدفعه الاستعمار للدخول فى حلف بغداد. ولكن دسائس المستعمرين نجحت فى إحداث انقلاب فى الحكم نتج عنه إسقاط الحكومة الوطنية فى الأردن. وتعطيل المجلس النيابى. وإقامة حكومة متفاهمة مع القوى الغربية مستعدة للانضمام لحلف بغداد.

٢ – وعندما حدث العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦م قامت كل الشعوب العربية والمتحررة لمساعدتها ضد العدوان. أما دول حلف بغداد فقد قامت بدور مختلف فضح أهداف هذا الحلف. فكانت قاذفات القنابل البريطانية تُزود بالوقود من مطارات العراق لترمى بقنابلها الشعب العربى فى مصر، متحدية فى ذلك شعور الشعب العراقى الذى يكن لإخوانه فى جميع البلاد العربية كل حب ووفاء. ولم يجن الحكام الخونة سوى سخط شعب العراق. الذى لم ينام له جفن حتى قام بثورته المباركة فى ١٤ يوليه عام ١٩٥٨م فأطاح بالطغاة والطغيان»[٣٩].

العدوان الثلاثى على مصر ١٩٥٦م:

مضت حكومة الثورة المصرية فى دعم القوات المسلحة وتقوية الجهاز العسكرى، وتحقيق الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية. حتى إذا أقدمت إسرائيل على خرق الهدنة بينها وبين مصر فى قطاع غزة واجهت مقاومة عنيفة من جانب القوات المصرية. وسعت حكومة الثورة لتزويد القوات المصرية بما يلزمها من الأسلحة الحديثة فلما رفضت الدول الغربية تزويد مصر بحاجاتها من السلاح أعلنت حكومة الثورة المصرية أنها عقدت اتفاقا مع حكومة الاتحاد السوفيتى ١٩٥٥م لتزويدها بالسلاح. وبذلك كسرت مصر – لأول مرة – احتكار السلاح الذى كانت تمارسه دول الغرب. وكان هذا العمل الذى قامت به مصر من أهم العوامل فى قيام الدولتين الاستعماريتين الكبيرتين إنجلترا وفرنسا ومعهما إسرائيل لشن العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦م.

وقد «ساعد وجود السلاح حكومة الثورة فى مصر على تقديم المساعدات العسكرية والاقتصادية الفعالة لنصرة الثورة التى قامت عام ١٩٥٤م لتحرير الجزائر من

الاستعمار الفرنسي. الأمر الذى أغضب فرنسا وجعلها تصر على ضرورة ضرب الثورة المصرية فكانت إحدى دول العدوان الثلاثي. وكانت حكومة الثورة فى الوقت نفسه تعمل على رفع مستوى المعيشة فى مصر بتذويب الفوارق بين الطبقات فوضعت لذلك مشروعات عدة فى مقدمتها بناء السد العالى فى أسوان لتخزين كميات من المياه لاستخدامها فى زراعة مساحات كبيرة من الأراضى. وتحويل مساحات أخرى للرى الدائم. وتوليد الطاقة الكهربية. ولما كانت موارد مصر وحدها لا تكفى للقيام بهذا المشروع لجأت إلى البنك الدولى للإنشاء والتعمير الذى أبدى استعداده أول الأمر لمساعدة مصر ماليا ثم أحجم عن ذلك بتأثير الضغط الأمريكى. فردت حكومة الثورة على ذلك بتأميم شركة قناة السويس. لاستخدام مواردها فى بناء السد العالى. كما عقدت اتفاقا مع حكومة الاتحاد السوفيتى لتقديم المساعدات المالية والفنية اللازمة لإتمام المشروع[٤٠]. وهذا جعل الحكومة البريطانية تثير عدة مشكلات ضد الحكومة المصرية. وتدعو ٢٢ دولة إلى مؤتمر عقد فى لندن يوم ١٦ أغسطس عام ١٩٥٦م لبحث مشروع يهدف إلى إنشاء «هيئة دولية» لإدارة قناة السويس. والتدخل فى شئون مصر.

الموقف المصرى فى مواجهة التحرك البريطانى عقب التأميم:

كان موقف مصر واضحا. إذ أعلنت على لسان رئيسها قبل انعقاد مؤتمر لندن المشار إليه «أنها ترفض الاشتراك فيه. لأنه يهدف إلى تدويل قناة السويس. وسلب حقوق مصر. ولأنه ينعقد وسط التهديدات العسكرية لكل من فرنسا وإنجلترا. وقناة السويس قناة مصرية تجرى فى أرض مصرية. وحفرت بأموال وسواعد مصرية»[٤١].

ودفع ذلك الموقف المصرى الحاسم فى مواجهة الأطماع البريطانية والفرنسية والصهيونيه الدول الثلاث إلى شن حرب عدوانية على مصر. كما ورد فى مقررات التاريخ المدرسى. «فقامت بتوجيه حملات برية وبحرية وجوية مشتركة للإغارة على سيناء ومنطقة القناة. واستولت القوات الإنجليزية والفرنسية على بورسعيد. ولكن المقاومة الشعبية القوية أعجزت القوات المعتدية عن التقدم إلى الإسماعيلية. أما إسرائيل فقد احتلت قواتها معظم سيناء. وآثرت القيادة المصرية أن تسحب قواتها من سيناء حتى تحتفظ بها سليمة لرد العدوان على منطقة القناة. ولم يحقق العدوان أهدافه بفضل تعاون جيش مصر وشعبها وصلابة قيادتها ومساندة الشعوب العربية. وموقف الأمم المتحدة التى نددت بالعدوان على مصر.

وموقف الاتحاد السوفيتي الذى هدد الدول المعادية. فى الوقت الذى أعلنت فيه حكومة الولايات المتحدة الأمريكية رفضها استخدام القوة لتسوية النزاع. لكل هذا اضطرت الدول المعتدية إلى سحب قواتها بعد أن وافقت مصر على قرار الأمم المتحدة بوجود قوة طوارئ دولية على الحدود الفاصلة بين مصر وإسرائيل[42].

وقد بين كتاب تاريخ العرب الحديث والمعاصر من العصر العثمانى وحتى الوقت الحاضر، للمرحلة الإعدادية لعام ١٩٦٠م، مدى التضامن العربى. حيث «تضامنت الشعوب العربية مع مصر وأضربت إضرابا عاما إبان العدوان الثلاثى عليها. فقد دمر المواطنون فى سوريا أنابيب البترول المارة بأراضيهم التى تحمل البترول إلى الدول الغربية فى ٢ نوفمبر سنة ١٩٥٦م. وضحت سوريا بالموارد المالية التى كانت تدخل خزانتها لتعلن تضامنها مع مصر. وفى نفس الوقت رفض العمال العرب فى كثير من الموانى العربية التعاون مع السفن البريطانية والفرنسية. كما رفضوا القيام بعمليات الشحن والتفريغ لها. ودمر العمال العرب فى ليبيا أحد المطارات البريطانية العسكرية هناك»[43].

وأورد مقرر التاريخ المدرسى للثانوية العامة عام ١٩٧٧م. «أن إسرائيل قامت بتدعيم قدراتها العسكرية والاقتصادية مستعينة بالمساعدات الغربية. وكانت تدرك أن قوة مصر هى الصخرة التى لابد من التغلب عليها لتحقيق أطماعها التوسعية فى المنطقة العربية المتاخمة لها. وفى عام ١٩٦٧م ونتيجة لظروف إقليمية أدت إلى سخونة الوضع السياسى والعسكرى بين مصر وإسرائيل، أعلنت الحكومة المصرية إغلاق خليج العقبة فى وجه الملاحة الإسرائيلية. وذلك إحكاما للحصار الاقتصادى ضد إسرائيل. وأعلنت مصر أنها إزاء التهديد الإسرائيلى المسلح تقف إلى جانب سوريا ضد أى عدوان عليها. وتطور الموقف ووجهت إسرائيل أقوى ضرباتها إلى مصر. حيث قامت قواتها الجوية فى الخامس من يونيو ١٩٦٧م بغارات مفاجئة على المطارات المصرية. وأنزلت ضربة ساحقة بالسلاح الجوى المصرى، واحتلت كل سيناء. التى انسحبت منها القوات المصرية منهزمة».

و«اندفعت القوات الإسرائيلية نحو الجبهة السورية. واستولت على الجولان المنيعة. ثم استولت على مدينة القدس العربية وعلى الضفة الغربية لنهر الأردن. ولم تكتف إسرائيل بالاستيلاء على فلسطين كلها. بل استولت على مناطق من الأراضى المصرية والسورية والأردنية».

وذكر نفس المقرر المشار إليه آنفا «أن الدول العربية أدركت أن الخطر الإسرائيلى أصبح يهددها بشكل يعرضها لنكبة كبرى إن لم يتم دعم دول المواجهة مع إسرائيل مما جعل البلاد العربية تقرر التكاتف العربى ضد العدوان الإسرائيلى. وتقديم الدعم المالى لدول المواجهة».

وسعى مجلس الأمن للتدخل وإيجاد حل للمشكلة، وبعد مداولات طويلة أصدر قراره الشهير رقم ٢٤٢ فى نوفمبر ١٩٦٧م الذى يقضى بانسحاب إسرائيل من الأراضى العربية التى احتلتها فى حرب ١٩٦٧م. وبعدم استخدام القوة لتسوية أى نزاع وتعيين وسيط دولى للعمل على تسوية النزاع العربى الإسرائيلى والمحافظة على حقوق اللاجئين العرب»[٤٤].

وعقد رؤساء وملوك الدول العربية مؤتمرا فى الخرطوم فى الفترة من ٢٩ أغسطس إلى أول سبتمبر ١٩٦٧م فأصدر هذا المؤتمر القرارات الآتية:

١ - لا مفاوضات ولا صلح ولا اعتراف بإسرائيل.

٢ - وحدة الصف العربى ووحدة العمل الجماعى.

٣ - تضافر جميع الجهود لإزالة آثار العدوان الصهيونى الاستعمارى.

٤ - توحيد جهود العرب جميعا فى العمل السياسى على الصعيد الدولى والدبلوماسى.

٥ - استئناف ضخ البترول باعتباره طاقة عربية إيجابية لخدمة الأهداف العربية.

٦ - إنشاء صندوق الادخار الاقتصادى والاجتماعى العربى طبقا لتوصية مؤتمر وزراء المال والاقتصاد والنفط الذى انعقد فى بغداد.

٧ - اتخاذ الخطوات اللازمة لدعم الإعداد العسكرى لمواجهة كافة احتمالات الموقف

٨ - سرعة تصفية القواعد الأجنبية فى الدول العربية.

٩ - قررت المملكة السعودية والكويت وليبيا دفع مبالغ سنوية إلى الدول العربية التى أصيبت بالعدوان. ويستمر الدفع إلى حين إزالة آثار العدوان.

وازداد الموقف خطورة يوما بعد يوم نتيجة تعنت إسرائيل، ورفضها. وعلى الرغم من أن الحكومة المصرية أعلنت موافقتها على هذا القرار فقد فشلت جميع الجهود التى بذلت لتحقيق الانسحاب الإسرائيلى من الأراضى العربية بل إن إسرائيل مضت فى إقامة المستعمرات لليهود فى بعض الأراضى العربية التى احتلتها وفى ضم الضفة الغربية لنهر الأردن إليها. وهكذا وقفت إسرائيل حجر عثرة دون تنفيذ قرار مجلس الأمن. وكان على

مصر أن تعمل جاهدة على إعادة بناء قواتها العسكرية بمعونه الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية. وقد نجحت فى ذلك إلى حد كبير فأعادت تنظيم جيشها وزادت أعداده وعتاده ودعمته بالأسلحة الحديثة المتطورة خاصة فى مجال الطيران والدفاع الجوى والصواريخ المضادة للدبابات. وأثبتت القوات المصرية فاعليتها القتالية خلال حرب الاستنزاف فى عامى ١٩٦٨م حتى ١٩٦٩م.

وعملت القيادة المصرية على دعم الموقف العربى وتصفية الخلافات التى كانت قائمة بين بعض الحكومات العربية خاصة الخلافات بين المقاومة الفلسطينية وحكومة الأردن. وظل الخطر الإسرائيلى يهدد كل العرب ويعارض الحقوق الشرعية لعرب فلسطين[٤٥].

ثورة يوليو والسعى للوحدة العربية:

منذ أمد بعيد والعرب - كما رصدت المقررات المدرسية - يسعون لتوحيد وطنهم وجمع شمل أمتهم ولكن المصاعب كانت تتأتى من المستعمرين حتى تحررت سورية ومصر «فأتيح لهما تقرير مصيرهما فسارعت الجمهوريتان إلى الوحدة الكاملة فى ظل جمهورية عربية متحدة - كما سبق أن نوهنا - وكانت نقطة الانطلاق الأولى فى هذا المضمار قرار مجلس النواب السورى بالإجماع باقتراح وحدة كل من سورية ومصر معا فى جمهورية عربية متحدة، وتم الاتفاق مبدئيا على الوحدة فى أول فبراير سنة ١٩٥٨م. وفى٢١ فبراير سنة ١٩٥٨م تم الاستفتاء على وحدة مصر وسوريا»[٤٦].

وهكذا نشأت فى الشرق العربى دولة كبرى قال عنها الرئيس جمال عبد الناصر إنها «ليست دخيلة فيه ولا غاصبة.. ليست عادية عليه ولا مستعدية، دولة تحمى ولا تهدد، تصون ولا تبدد، تقوى ولا تضعف، توحد ولا تفرق، تسالم ولا تفرط، تشد أزر الصديق ترد كيد العدو، لا تتحزب ولا تتعصب، ولا تنحرف ولا تنحاز، تؤكد العدل وتدعم السلام وتوفر الرخاء لها ولمن حولها من البشر جميعا».

و«أوجس الاستعمار والصهيونيه خيفة من قيام الجمهورية العربية المتحدة بإقليميها، ولذلك دبر المؤمرات ضدها، فتآمر الإقطاعيون والرأسماليون فى سوريا على حكومة الوحدة. وفى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٦١م تمكن أعداء الوحدة من القيام بحركة انفصالية رخيصة عزلت سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة، وقد رحب الاستعمار وإسرائيل بهذه الحركة الانفصالية ولكن شعب سوريا الواعى قاومها منذ أيامها الأولى، ولم تعرف سوريا الاستقرار

حتى قام فيها حكم وقف ضد التدخلات الأجنبية. واتبع سياسة التفاهم والتنسيق مع الدول العربية الأخرى خاصة مصر[٤٨].

ولما أعلن ميلاد الجمهورية العربية المتحدة بادرت المملكة المتوكلية اليمنية إلى إبداء رغبتها فى الانضمام إلى الجمهورية الوليدة فى اتحاد فدرالى ودارت مباحثات بين الرئيس جمال عبد الناصر أول رئيس للجمهورية العربية وبين الأمير سيف الإسلام البدر نيابة عن والده جلالة الملك أحمد ملك اليمن وقد انتهت هذه الاتصالات بإعلان ميلاد الدولة العربية المتحدة فى ٨ مارس سنة ١٩٥٨م وكانت تتكون من الجمهورية العربية المتحدة والمملكة المتوكلية اليمنية. ومن ترغب من الدول العربية الانضمام إلى الاتحاد الذى يختلف عن الوحدة بين مصر وسوريا «فالاتحاد يعنى احتفاظ كل دولة تنضم إليه بشخصيتها الدولية ونظام الحكم فيها أما الوحدة فمعناها الاندماج التام فى دولة واحدة».

قيام ميثاق طرابلس:

كان من أثر تلاحم مبادئ ثورة ٢٥ مايو فى السودان، وثورة الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩م فى ليبيا، كما ورد فى المقررات المدرسية. مع ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م فى مصر. أن تقاربت الدول الثلاث واتجهت معا نحو الحرية والاشتراكية والوحدة. وإلى مجابهة خطر الصهيونيه والاستعمار.

وفى ٢٠ ديسمبر عُقد مؤتمر القمة العربى لتحقيق الأمال المعقودة عليه. فاجتمع الرؤساء الثلاثة: جمال عبد الناصر، وجعفر نميرى. ومعمر القذافى فى طرابلس وأعلنوا فى ٢٧ ديسمبر ١٩٦٩م ميثاق طرابلس بين مصر وليبيا والسودان. لإقامة الوحدة بين الدول الثلاث على أساس:

١ – إقامة جبهة عربية ثورية ضد العدو الغاضب.

٢ – توسيع جبهتنا المقاتلة فى وجه العدو.

٣ – الدعم المادى للثورة الفلسطينية.

٤ – مساندة الحق المشروع لعرب فلسطين فى استعادة حقوقهم.

٥ – وضع أسس التعاون والتكامل فى كافة المجالات.

وانضمت سوريا بعد ذلك لهذا الاتحاد فى ٢٧ – ١١ – ١٩٧٠م. على أساس أن يكون ذلك نواة لوحدة عربية شاملة[٤٩].

قيام اتحاد الجمهوريات العربية:

وفـى تجربـة وحدوية عربية أخـرى أعلن فى ١٧ أبريـل ١٩٧١م فى مدينة بنى غـازى عـن قيام الاتحاد بين مصر وليبيا وسـوريا - كما ورد فـى كتاب تاريخ الوطن العربى الحديث والمعاصر للصف الثالث الإعدادى عام ١٩٧٣م - وتحددت أهداف هذا الاتحاد فيما يلى:

١ - أن يكون الاتحاد نواة لوحدة عربية أشمل.

٢ - أن يكون نواة تسـتقطب النضال الوحدوى للجماهير العربية، ويكون سـبيلها لتحقيق هدفها فى معركة التحرير.

و «قد قرر رؤسـاء الدول الثلاث الاتحاد على أساس أن الباب مفتوح للانضمام للاتحاد أمام كل دولة عربية متحررة تؤمن بالوحدة العربية، وتعمل من أجل إقامة المجتمع العربى الواحد، وللاتحاد علم واحد، وشـعار واحد، ونشيد واحد، وعاصمة واحدة، ونظام الحكم ديمقراطى اشتراكى».

وفـى محاولـة مـن المؤرخين لتقييـم أهميـة تلاحم الثـورات العربية فـى مواجهة حركة الاسـتعمار الغربى والصهيونى خلال السـبعينيات، يذكـرون فى بعض مقررات المدارس المصرية:

١ - إن تلاحـم الثورات الثـلاث فيه قوة للعرب، خاصة وأن هذه الثورات يجمعها وحدة الفكر، ووحدة المصير.

٢ - أصبحت هذه الثورات بتلاحمها تمثل نواة صلبة يمكن أن تتجمع حولها باقى الدول العربيـة، لأن ترابط الدول العربية وتضامنها ووحدتها أمام الخطر المشـترك، هو خير حافظ لحقوق الأمة العربية كلها.

٣ - أن انضمام سوريا إلى القوى الثورية فى العالم العربى، أعطى الشعب العربى مزيدا من القوة والصلابة فى مواجهة العدوان الصهيونى.

٤ - أن تلاحم هذه الثورات أدى إلى وجود إرادة سياسية موحدة، مما يساعد على تحقيق وحدة العمل العربى، ومواجهة مخططات العدو.

٥ - أنه تتوفر لدى دول ميثاق طرابلس، إمكانيات اقتصادية هائلة لها أثرها المباشـر فى الصمود، وفى استمرار المعركة، والضغط السياسى لصالح العرب(٥٠).

الاتجاهات القومية والوحدوية العربية فى أدب المدارس المصرية:

من الواضح أنه كان للمناهج المدرسية فى مصر فى عهد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م أثرها الواضح فى تشكيل الوعى القومى لدى الشباب المصرى - والعربى - خاصة فى مناهج الدراسات الاجتماعية وفى مقدمتها التاريخ، والتربية الوطنية، ومناهج اللغة العربية. ولذلك بعد استعراضنا لبعض مقررات الدراسات الاجتماعية ودورها فى تشكيل الاتجاهات القومية والوحدوية لدى طلاب مدارسنا، سوف نعرض لأهمية مناهج اللغة العربية فى مقررات هذه المدارس من خلال موضوعات القراءة والأدب من شعر ونثر وخلافه. وأثرها فى تشكيل الاتجاهات القومية فى عهد ثورة يوليو وحتى قيام حرب أكتوبر وما تلاها من زخم قومى عربى كبير.

وتورد إحدى مقررات القراءة المدرسية لموضوع يتناول قصص عظماء العرب والمسلمين وقد تم عرض الموضوع فى شكل حوار يدور بين أب وأبنائه الذين هم تلاميذ فى المدارس الابتدائية. حيث يفتتح هذا الأب الحديث عن هؤلاء العظماء بسيدنا محمد «صلى الله عليه وسلم» الذى دعا لعبادة الله الواحد الأحد. فيقول: «محمد الذى جاء بالهداية والحق. محمد الذى وحد قبائل شبه الجزيرة العربية. محمد الذى قبيل وفاته كان العرب - بعد أن آمنوا وتوحدوا - فى سبيلهم للخروج إلى خارج جزيرة العرب لنشر الدعوة التى عمت جزءا كبيرا من بلاد آسيا وإفريقيا وحتى أوربا».

ثم يتحدث الوالد لأولاده عن سيدنا عمر بن الخطاب الذى عمل على توطيد كلمة المسلمين بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم). و«الذى فى عهده انتشر الإسلام فى العراق والشام ومصر». ثم انتقل الوالد فى حديثه عن خالد بن الوليد فقال: «إنه من أعظم قادة الإسلام والتاريخ. كان جنديا شجاعا لا يخشى الموت». ويحفز الوالد أولاده للفداء والتضحية فى سبيل الحق والوطن فيقول «من يقتل فى سبيل الله والوطن فهو شهيد».

ويقول الوالد إن صلاح الدين الأيوبى كان قائد الجيوش الإسلامية فى موقعة حطين تلك الموقعة التى أدت إلى جلاء الجيوش الصليبية وعودة بلاد الشام وبيت المقدس إلى أصحابه العرب. مما أدى إلى رجوع ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا وقائد الجيوش الصليبية إلى بلاده مهزوما. ثم ينتقل حديث الوالد عن البطل أحمد عرابى الذى قاد الثورة العرابية ووقف فى وجه الخديو وأعلن أمامه أن شعب مصر ليس تراثا ولا عقار يتوارثه الحكام.

وواجـه الاحتلال البريطاني عنـد دخوله بلادنا في حدود ما كانـت لديه من قوة. ولكن الإنجليز الذين كانت إمبراطوريتهم لا تغيب عنها الشـمس. وقوتهم لا يقدر عليها جيش عرابي بأسلحته المتواضعة احتلوا مصر عام ١٨٨٢م.

ويحكـي الوالد لأولاده بعد ذلك عن بطل مصري وعربـي آخر هو مصطفى كامل الذي وهب نفسـه فداء لقضية اسـتقلال الوطن. ونـدد بالاحتلال البريطاني. واسـتغل حادثة دنشواي في التنديد به. وأسس الحزب الوطني ١٩٠٧م. ويتحدث الوالد عن زعماء آخرين كسـعد زغلول زعيم ثورة ١٩١٩م في مصر. ثم سعيد العاصي من أبناء سوريا. الذي جاهد ضد المسـتعمرين الفرنسـيين في بلاد الشام. ودافع عن شـعب فلسطين عام ١٩٣٦م ودوخ الإنجليز. ومات شهيدا من أجل أن يعيد للعروبة حقها ولفلسطين أرضها السليبة.

ويتطرق حديث الوالد إلى البطل العربي السوري يوسف العظمة. الذي كان وزيرا للدفاع في سوريا عقب الحرب العالمية الأولى. وتقابل بجيشه الوطني السوري مع الجيش الفرنسي في موقعة «ميسلون». وأعطى الفرنسيين درسا لا ينسى في الوطنية والكفاح من أجل حرية واستقلال بلاده. حيث ظل يناضل حتى مات شهيدا في أرض المعركة.

وأخيرا تحدث الوالد عن شـكري القواتلي المواطن الأول في الجمهورية العربية المتحدة الذي وقف في مواجهة سياسة التتريك العثمانية. وجاهد ضد الفرنسيين حتى الاستقلال. ونادى بالوحدة العربية بين العرب وكون مع جمال عبد الناصر الجمهورية العربية المتحدة. وترك رئاسـة الجمـهورية العربية المتحـدة لناصر مصمما على إنكار ذاته[٥١].

ويـورد كتـاب النصوص الأدبية الجديدة للصف الثالث الإعـدادي عام ١٩٦٨م قصيدة لأمير الشـعراء أحمد شـوقي. بعنوان «يا شـباب العرب». ينصح فيها الشـباب المصري والعربـي بقولـه لا تقولوا إن الزمن ضدنا وليس في صالحنا فليـس هذا صحيح. ويذكرهم بتاريخهم الخالد. ويحفزهم للتطلع إلى العلا والنهوض. يقول في أبيات قصيدته:

لا تقولـوا حطنا الدهـر فمـا	هـو إلا مـن خيـال الشعـراء
هـل علمتـم أمةً فـي جهلهـا	ظهرت في المجد حسناء الرداء
فخـذوا العلـم عـن أعلامـه	واطلبـوا الحكمة عـند الحكماء
واقرءوا تاريخكـم واحـتفظـوا	بفصيح جاءكـم مـن فصحاء[٥٢]

وجـاء في كتـاب القراءة للصف الثالـث الإعدادي عام ١٩٦٨م موضـوع بعنوان «أيها العربي الصغير هذا وطنك الكبير» ورد فيه «أن للقومية العربية أعداء في مختلف العصور.

ولكــن العــرب ما ضعفوا وما لانوا، بل جاهدوا وكافحــوا حتى خرجوا من معارك التحرير منتصرين. فكافحوا ضد الأعداء، وهم الذين أرادوا أن يحتلوا بيت المقدس فى فلســطين. حتــى انتصروا عليهم فى معركة حطين بقيــادة صلاح الدين. بجيوش عربية من المصريين والشــوام، كذلك فإن العرب هبوا لمقابلة موجات التتار الزاحفة من الشــرق والتقوا بزعيمهم «هولاكو» فى عين جالوت حيث ســجلت القومية العربيــة انتصارها الخالد بقيادة الظاهر بيبرس وسيف الدين قطز»[٥٣].

ويورد كتاب القراءة العربية للصف الأول الإعدادى عام ١٩٦٧م، موضوع «مجلة الوطن العربى»، وفيه يبلغ علاء والده عن رغبته فى إصدار صحيفة حائط اختار لها عنوان «الوطن العربى». فلما ســأل الوالد ابنه عن الموضوعــات الفرعية داخل المجلة قال له علاء: إنها عــن حدود الوطن العربــى، وتاريخه، والروابط التى تربط بين أجزائه، وعن أعداء القومية العربية، وعن الثروات التى يحتويها هذا الوطن التى يطمع فيها الطامعون[٥٤].

وموضــوع آخر يرصد «مقومــات القومية العربية» التى كانت حديث الشــعوب العربية خــلال الســتينيات ورد بكتاب القــراءة للصف الثانى الثانوى عــام ١٩٨١م، حيث تقول عبارات الكتاب «إن القومية شعور شامل يعيش فى قلوب أبناء الأمة العربية من المحيط إلى الخليج، والقومية العربية تؤمن أن كيان الأمة الموحد المنشــود لا يمكن أن يقوم إلا فى جو يتسم بالحياة الديمقراطية التى تفسح المجال للحياة الفردية الحرة، وللعطاء الفكرى الحر، وتحقق المســاواة بين جميع المواطنين لا فى الحقوق المادية وحدها بل فى الحقوق الروحية والفكرية خاصة. فلا يتحقق الكيان الســليم للأمة العربية الموحدة إلاعندما تصل إلى درجة التفتح الفكرى الذى يسمح لها أن تقود ذاتها بذاتها وأن تغدو المبادئ التى تؤمن بها ملكا لكل فرد، وعقيدة نابعة من كل إنسان»[٥٥].

ويكتب الشــاعر على الجارم قصيدة بعنوان «الأمة العربية»، فى كتاب المطالعة الوافية للصف الثالث الثانوى عام ١٩٨٥م كان ضمن ما جاء فيها:

ذكريـات ردد الدهـــر صداهــا	وعهـود يحسـد الـمسك شـذاهـا
وصـل الـعُـرب الـغـطاريـف إلى	غـايــة لا تبلـغ الطـيـر ذُراهـــا
وجروا صـوب الـعـلا فى طـلـق	زاحمَ الأنجم واجتـاز مـداهـا[٥٦]

وفــى موضوع آخر للقراءة عنوانه «القومية العربيــة» يورد مقتطفات من خطاب الرئيس جمال عبد الناصر خلال زيارته لســوريا، منها قوله «إن التضامن والوحدة اليوم هما سبيل

العــرب لحماية أوطانهم. وهما ســبيلنا لنحمى قوميتنا من أعدائنا. وكانا ســبيلنا لنحمى أنفسنا فى الماضى. فعندما تعرضت هذه المنطقة للغزو والاحتلال. وللنفوذ الأجنبى – حينما كانت متفرقة – خضعت للأجنبى. واليوم تآزرت الدول العربية بل اتحدت وكان اتحادها هو الســلاح المتين. الذى مكنها من الحصول على النصر. ومن أن تجمع شــتاتها وقوتها. لتتخلص من الاحتلال والغزاة. فاســتطاع العرب أن يطــردوا الغزاة. وأن يحرروا إرادتهم ومشيئتهم»[٥٧].

وفى كتاب القراءة للصف الأول الإعدادى لعام ١٩٥٨م نقرأ موضوع عنوانه «فى سـبيل الوطــن العربــى الكبير» يوضح فيه الكاتب للشــباب كيف يهتم المهمومون بشــئون العرب وبســبل تقدمهم وتوحدهم. يقول: «يهتم المخلصون فى البلاد العربية بتربية الناشئين على حب العروبة. وتمجيد تاريخها. ويتخذون لتحقيق ذلك وسائل كثيرة منها توحيد المناهج التى يدرســها التلاميذ فيها جميعا. ويســعون لتبادل الزيارات بينهم. وتيســير الرحلات لمشاهدة مظاهر الحضارة والتقدم فى كل بلد من بلدان الوطن العربى الكبير»[٥٨].

ويهــدف كتاب القــراءة والمحفوظات للصــف الخامس الابتدائى لعــام ١٩٦٦م – فى أحــد موضوعاته بعنوان «العالم العربى» – لتعليم التلاميذ أن كل البلاد العربية وطن واحد لنــا جميعــا من المحيط إلى الخليج. ولذلك يســعى العرب للتعــاون والوحدة لكى يحققوا القوة والعزة والكرامة. ويستشــهد الكاتب ببعض الأبيات الشــعرية التى تنطق بهذا المعنى حين تقول:

بـلاد العرب أوطانــى	وكل العرب إخوانــى
من الشام إلـى يـمــن	ومـن ليبيـا لأسـوان
فـلا أحـد يـبـاعدنــا	ولا ديــن يـفـرقـنـــا
لسان الـضـاد يجمعنا	بقحطـان وعدنـان[٥٩]

وفى موضوع آخر للأســتاذ عباس حسن عنوانه «الدولة العربية المتحدة» جاء فى كتاب المطالعة الوافية للصف الثالث الثانوى عام ١٩٥٩م «أن العرب قد فتحوا عيونهم على أعداء يحيطون بهم من كل جانب. فاغرى الأفواه مكشــرين عن أنيابهم. قد أعدوا من الوســائل كل دنيئــة غير مشــروعة للفتك بهم. بالخديعــة حينا. وبالمصانعة حينــا آخر». وقال:

«واعتقد المستعمرون أن الشرق قد رقد إلى الأبد. ولكنها مجرد إغماضة المرهق المكدود الذى استلقى ليستريح وأغلق عينيه ليستذكر ماضيه. فإذا الذكرى تهيجه للعمل. فيهب منتفضا ويفتح عينيه على ما حوله فإذا هو فى خطر داهم وبلاء محقق. فيحاول درء المخاطر المحيطة به. ويسعى لتوحيد صفوفه»، إلى أن يُقرض الكاتب مجموعة من الأبيات الشعرية تعبيرا عن موضوعه فى الأمل فى دولة عربية موحدة يقول فيها:

صحا الشرق وانجاب الكرى عن عيونه ... وليس لمن رام الكواكب مضجع
لقد كان حلما أن ترى العُرب وحدة ... وإن من الأحلام ما يتوقع
توحد حتى صار قلبا تحوطه ... قلوب من العرب الكرام وأضلع[٦٠]

وفى موضوع آخر بعنوان «الأدب والقومية العربية فى العصر الحديث» يتطرق الكاتب للحديث عن تاريخ كارثة العرب الكبرى فى العصر الحديث. وهى اغتصاب أرض فلسطين. وينبه على ضرورة وحدة الصف العربى فى مواجهة الغزوة الصهيونيه التى تبغى التهام أرض العرب والقضاء على وجودهم. حيث ترد فى ذلك الموضوع الأبيات الآتية:

بنى العروبة دار الدهر واختلفت ... عليكم غِير شتى وأرزاءُ
مضى بضائقتيها الأمس وانفسحت ... أمام أعينكم للمجد أرجاءُ
اليوم شيدوا كما شادت أبوتكم ... شرقا دعائمه كالطود شماءُ
دستوره وحدة مُثلى وشرعته ... بالحق ناطقة بالحب سمحاءُ

ويركز نفس موضوع «الأدب والقومية العربية» على قضية الاستعمار وخطر الصهيونيه فيقول «كانت مأساة فلسطين من الفواجع الكبرى التى أثارت الضمير العربى كله، وجمعت شعوب العرب على شعور واحد: هو الإحساس بالخطر المحدق بهم. والكراهية العميقة للاستعمار الذى وضع جرثومة الصهيونيه فى جسم الأمة العربية»[٦١].

وجاء بكتاب القراءة للصف الأول الإعدادى عام ١٩٦٧م موضوع عنوانه «قوة العرب»، أن «وحدة العرب أهم الأمور فى حياتهم وأن تضامنهم هو قوتهم. وأنهم بقوتهم يحافظون على استقلالهم ويعملون لرفعة أوطانهم. وأنه بالقومية والوحدة العربية يستقل كل شبر فى بلادهم - كما قال الزعيم جمال عبد الناصر - لأن الأمة العربية تربطها روابط مشتركة وآمال مشتركة»[٦٢].

ويرد فى كتاب القراءة واللغة العربية للصف الثانى الثانوى عام ١٩٨١م قصيدة بعنوان «العروبة» تقول بعض أبياتها:

أولئك أبناء العروبة، ما لهم
عن الفضل منأى أو عن المجد منزع
هم فى ظلال الحق جمع موحد
وعند التقاء الرأى فرد مجمع[٦٣]

وقصيدة أخرى «إلى الفتاة العربية» للأستاذ فايد العمروسى، فى مقرر المحفوظات للصف السادس الابتدائى لعام ١٩٥٩م يقول فيها:

فيك الأمانى يا فتاة	فى العلا أمل الوطن
فيك الرجاء لأمة	نهضت على رغم المحن
إنا نُعدك فانهضى	بالعلم والخُلق الحسن
ربى لنا جيل العروبة	إن دعونا لن نهن
بك يا فتاة العرب يرقى	الشعب هامات السماء[٦٤]

ويعرض موضوع آخر فى كتاب للقراءة عنوانه «عادل فى دمشق» لرحلة أسرة عادل إلى الإقليم السورى يزور فيها «دمشق باعتبارها من أهم وأنظف المدن السورية والعربية وأجملها، ويتحدث عن نهر بردى، وسوق الحمدية والمساجد والبساتين، وأشجار المشمش والتفاح»، ويوضح الموضوع للتلميذ كيف أن دمشق لا تختلف عن أى بلد عربى آخر كالقاهرة والرباط وطنطا... الخ[٦٥].

وتنضح إحدى قصائد الشاعر حافظ إبراهيم وعنوانها «سوريا ومصر» بحالة الحب والعلاقات الوثيقة والمشاعر العربية الجياشة التى تربط بين مصر وسوريا ولبنان حيث يقول:

لمصر أم لربوع الشام تنتسب	هنا العلا وهناك المجد والحسب
إذا ألمت بوادى النيل نازلة	باتت لها راسيات الشام تضطرب
وإن دعا فى ثرى الأهرام ذو ألم	أجابه فى ذرا لبنان مُنتحبُ[٦٦]

ويورد كتاب المطالعة الوافية للمستوى الثانوى لعام ١٩٥٩م موضوعا فى القراءة يعكس أيضا مدى الاهتمام بالبعد القومى العربى، وهو بعنوان «سد مأرب» جاء فيه «تسقط

أمطار غزيرة فى مناطق كثيرة فى شرق اليمن. وتسير سيولها فى الأودية المختلفة حتى تصل إلى منطقة قريبة من مأرب حيث أقامت فيها القبائل العربية سدا. ويعتبر سد مأرب من أعظم الآثار الهندسية التى خلفها تاريخ العرب فى اليمن الخضراء، وقد ورد الحديث عنه فى القرآن الكريم فى سورة سبأ بقوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ⁽١٥⁾﴾[٦٧].

وتلك قصيدة أخرى بعنوان «الأمة العربية» للشاعر الكبير خليل مطران وردت فى كتاب النصوص الأدبية الجديدة للصف الأول الإعدادى عام ١٩٦٨م يقول فيها:

داع إلى العهد الجديد دعاك ... فاستأنفى فى الخافقين عُلاك
يا أمة العرب التى هى أمنا ... أى الفخار نميته ونماك
يمضى الزمان وتنقضى أحداثه ... وهواك منا فى القلوب هواك[٦٨]

وفى كتاب «المحفوظات والمسرحيات» للسنة الثانية الإعدادية لعام ١٩٥٧م يكتب الأستاذ عبد العليم القبانى. قصيدة بعنوان «القومية» يدعو فيها الشعب والشباب المصرى لأن يقدم نفسه فداء للحرية، والوطن. وفى سبيل رفعة القومية العربية، وأن يقف ضد من يخون الوطن أو يبيعه مهما كان الثمن يقول فيها:

قم فجر سخطك بركانا ... واهتف بالموت لمن هانا
واجعل من عمرك قربانا ... واحرق من ضل ومن خانا
إنا حررنا الأوطانا
كن بين بلادك مصريا ... وكن بالقومية عربيا
وحيال الغرب شرقيا ... وأمام العالم إنسانا
إنا حررنا الأوطانا[٦٩]

وفى كتاب المحفوظات والمسرحيات للصف السادس الابتدائى لعام ١٩٥٩م نجد قصيدة بعنوان «من وحى الوحدة العربية» للشاعرة عفيفة الحصنى. من الإقليم الشمالى (سوريا خلال فترة الجمهورية العربية المتحدة التى جمعت مصر وسوريا فى وحدة واحدة) جاء فيها:

يا وحدة أيدت للعرب سلطانا ... وحلقت فى سماء المجد ترعانا
أنت الشعار لنصر بات يشملنا ... وقد غدوت لما نرجوه عنوانا[٧٠]

فلسطين فى الأدب العربى بالمناهج المدرسية المصرية:

من موضوع فى كتاب القراءة للصف الثانى الثانوى لعام ١٩٨١م، ينبه ويحذر فيه الكاتب من مخاطر اليهود والصهاينة على أوطاننا العربية نقرأ فيه «إننا نجاهد لنرد عن أنفسنا تهجم الأعداء، ولنحمى كياننا من هول التحكم والاستعمار، وفى الواقع إن البلاد العربية لم تجابه فى تاريخها الطويل خطرا أشد من هذا الذى تتعرض له اليوم فإن القوى التى يملكها الصهاينة فى شتى أنحاء العالم كفيلة إذا تسنى لها أن تستقر فى فلسطين، بأن تهدد استقلال جميع البلاد العربية، وتكون خطرا دائما على حياتها»، ويستطرد الكاتب قائلا «إن ما لهذه القوى الصهيونيه من وسائل النمو والتوسع سيجعل العالم العربى أبدا تحت رحمتها، وسيشل حيويته، ويصرفه عن التقدم والتطور فى معارك الرقى والعمران»(٧١).

ويورد مقرر القراءة الإعدادية للصف الأول الإعدادى عام ١٩٥٨م موضوعا عن «فلسطين» يشير فيه الكاتب إلى أنه ليس منطقيا أن يتشرد شعب عربى ويخرج من أرضه لكى يخليها لشواذ الآفاق المشردين الذين طردهم القاصى والدانى لتكون لهم وطنا، ونصير نحن المشردون، ويستشهد الكاتب بأبيات لأحد شعراء فلسطين يقول فيها:

نحن ما نحن؟ أفى أوطاننا ... نلبس التشريد والذل رداء

نحن ما نحن ؟ أعن تربتنا ... للطريدين، غدونا طرداء(٧٢)

ويكتب على الجندى موضوعا فى كتاب المطالعة الوافية للسنة الثالثة الثانوية عام ١٩٥٩م بعنوان «صلاح الدين بطل حطين» يتحدث فيه عن عدله وشجاعته ونبله وورعه وأحاسيسه المليئة بالرحمة برغم قيادته الحكيمة وقوة بلائه، ويورد الجندى أبيات قصيدة عن صلاح الدين باعتباره هازم الصلبيين ومحرر القدس يقول فيها:

بطل الشرق غير خاف بلاؤه ... تزدهى أرضه به وسماؤه

صور من محاسن صاغها الله ... مثالا. تباركت أسماؤه(٧٣)

وفى موضوع عن خطورة إسرائيل و«الاستعمار الصهيونى» جاء فى كتاب القراءة الموحدة للصف الأول الثانوى عام ١٩٦٧م لعباس العقاد يقول فيه «إن تعجيز البلاد العربية إلى الأبد، شرط لازم لبقاء إسرائيل معتمدة على مواردها – غير معتمدة إلى مالا نهاية على

صدقات المتبرعين ومعونة الحماة والنصراء من الدول الأجنبية – ولذلك ينبغي، من وجهة نظر إسرائيل ومن ورائها، أن تظل البلاد العربية عاجزة عن التقدم الصناعي، فريسة للمستغلين من الصهاينة، لتعيش إسرائيل بثرواتها وموارد صناعتها، وينبغي أيضا أن يُضرب الحجرالأبدى على بلاد العرب، فلا تكون لها قوة تزيد على قوة إسرائيل فى ميدان القتال، ولا تكون لها صناعة تعول عليها وتستغني بها عن الصناعة الصهيونيه فى أيام السلام»[٧٤]. وواضح أن تصورات عباس العقاد وتنبؤاته كانت تستشرف المستقبل بدقة، وما نحن فيه اليوم فى بدايات القرن الواحد والعشرين يؤكد ذلك.

وتلك قصيدة شعرية أخرى: بعنوان «فلسطين» للشاعر المهجرى إليا أبو ماضي يبين فيها أن أرض فلسطين ليست أرضا فراغا أو مرعى بلا صاحب لمن أراد أن يحتلها أو يغتصبها، وأنها سوف تظل لنا نحن العرب ولأبنائنا بعدنا كما كانت لأجدادنا من قبل، ومن كلمات تلك القصيدة هذه الأبيات:

ليست فلسطين أرضا مشاعا فتعطى لمن شاء أن يسكنا
فإن تطلبوها بسمر القنا نردكم بطوال القنا
وكانت لأجدادنا قبلنا وتبقى لأحفادنا بعدنا[٧٥]

وقصيدة للشاعر العوضي الوكيل، عنوانها «إلى عرب فلسطين» بكتاب القراءة للصف الأول من المرحلة الإعدادية لعام ١٩٥٨م تقول بعض أبياتها:

ماذا يروم العدا من عزة شمخت والعرب لا تقبل الإذلال والهونا
سُلوا السيوف المواضي وانفروا زمرا وأمضوا إلى الله أبرارا ميامينا
تدعو فلسطين، صان الله وحدتها ورد كيد الليالي عن فلسطينا
فإن تشعبت الأعراب أودية ففي رباك التقت كبرى أمانينا[٧٦]

ويحكي كتاب القراءة والمحفوظات للسنة السادسة الابتدائية الصادر عام ١٩٦٧م عن حياة البطل المصرى العربى أحمد عبد العزيز فيقول عنه: إنه أبو الفدائيين وقائد الكتائب الشعبية فى حرب فلسطين ١٩٤٨م، وكان ضابطا فى سلاح الفرسان بالجيش المصرى، ومن أبطاله المعدودين، ثار من أجل فلسطين، ونادى بأن يهب العرب لتحريرها من يد الغاصبين، ونادى بذلك كثير من الضباط الأحرار فى الجيش، واستقال بعضهم لكى

يقودوا الكتائب الفدائية فى حرب فلسطين. وكان البطل أحمد عبد العزيز منهم. وفى ٢٠ أبريل (نيسـان) ١٩٤٨م تحركت الكتائب الفدائية إلى فلسـطين حيث أصدر البطل أحمد عبد العزيز منشورا إلى الفدائيين قال فيه. لا تنسوا أن هذه الأرض. التى ستحاربون عليها. قد حارب عليها أجدادكم من قبل وسـجلوا مجدا عظيما. فلندافع عن هذا المجد الخالد. وحاول أحمد عبد العزيز دخول فلسطين فدخل خان يونس ثم تقدم بقواته الفدائية إلى بئر سـبع وبيت لحم. ولما رأى المستعمر أن هزيمة اليهود مؤكدة فرضوا هدنة من الأمم المتحدة وتوقفـت القـوات عن التقدم. ولكن البطـل أحمد عبد العزيز مـات برصاصة خاطئة[٧٧]. إلا أن استشـهاده فى سـبيل أرض فلسطين أرض العرب لم يضع سدى بل لقد روت دماؤه الغالية أرض فلسـطين فنبتت منها قوى فلسـطينية وعربية جديدة تتصدى للعدو. وتقاتل حتى الموت فى سـبيل حرية فلسـطين السـليبة. فهذه منظمات فتح. وجهاد. وحماس. وعز الدين القسام. وغيرها. وتلك شعوب العرب الكرام مهما وهنت وأصابها الضعف لفترة من الزمن فإنها لابد عائدة قوية لتأخذ مكانتها كقوة يعمل لها حساب فى وسط أمم العالم التى لها مكانتها.

□□□

الهوامش

(١) وزارة التربية والتعليم، التلميذ في وطنه العربي، الصف الثالث الإعدادي ١٩٧٠م، ص ٧ - ٩.

(٢) وزارة التربية والتعليم، التلميذ في وطنه العربي، الصف الثالث الإعدادي، ١٩٧٠م، ص ١٠.

(٣) وزارة التربية والتعليم، القومية العربية، الصف الثالث الثانوي، ١٩٧٤م، ص ١٢٢ - ١٢٣.

(٤) وزارة التربية والتعليم، التلميذ في وطنه العربي، الصف الثالث الإعدادي، ١٩٧٠م، ص ٧ - ١١.

(٥) وزارة التربية والتعليم، مذكرات في المواد الاجتماعية (الجغرافيا - التاريخ) الصف الرابع الابتدائي، ١٩٧١م، ص ٧٢ - ٧٤.

(٦) وزارة التربية والتعليم، القومية العربية، الصف الثالث الثانوي، ١٩٧٤م، ص ١٠١ - ١١٣.

(٧) وزارة التربية والتعليم، القومية العربية، الصف الثالث الثانوي، ١٩٧٤م ص ٩٩ - ١٠١.

(٨) وزارة التربية والتعليم، القومية العربية، الصف الثالث الثانوي، ١٩٧٤م، ص ١٤٤.

(٩) وزارة التربية والتعليم، القومية العربية، الصف الثالث الثانوي، ١٩٧٤م، ص ١٤٤ - ١٤٧.

(١٠) وزارة التربية والتعليم، الأخلاق والتربية الوطنية، الصف التاسع، ١٩٥٥م، ص ٢٢٠.

(١١) وزارة التربية والتعليم، التاريخ الحديث للجمهورية العربية المتحدة والوطن العربي، للصف الثالث الإعدادي، ١٩٧٠م، ص ٢٠٤.

(١٢) وزارة التربية والتعليم، التاريخ الحديث للجمهورية العربية المتحدة والوطن العربي، للصف الثالث الإعدادي ١٩٧٠م، ٢٢٤ - ٢٢٥.

(١٣) وزارة التربية والتعليم، التلميذ فى الوطن العربى، الصف الثانى الإعدادى، ١٩٥٩م، ص ١١١ - ١١٢.

(١٤) وزارة التربيــة والتعليم، المواطن العربى والعــالم، الصف الثالث الإعدادى ١٩٥٩م، ص ١٠٨.

(١٥) وزارة التربية والتعليم، الوطن العربى وعلاقته الخارجية، الصف الثالث الإعدادى، ١٩٦٠م، ص ٤٢.

(١٦) وزارة التربية والتعليم، الأخلاق والتربية الوطنية، الصف التاسع، ١٩٥٥م، ص ٢٢١.

(١٧) وزارة التربيــة والتعليــم، التاريــخ الحديــث للوطن العربى الكبــير، الصف الثالث الإعدادى، ١٩٦٥م، ص ١٤٦.

(١٨) وزارة التربيــة والتعليم، المواطن العربى والعــالم، الصف الثالث الإعدادى ١٩٥٩م، ص ١٠٩.

(١٩) وزارة التربيــة والتعليم، المواطن العربى والعــالم، الصف الثالث الإعدادى ١٩٥٩م، ص ١٠٩.

(٢٠) وزارة التربية والتعليم، التلميذ فى الوطن العربى، الصف الثانى الإعدادى، ١٩٥٩م، ص ١٠٨.

(٢١) وزارة التربيــة والتعليــم، القومية العربية، الصف الثالــث الثانوى، ، ص ١٩٧٤م، ص ١٠١ - ١٤٠.

(٢٢) وزارة التربيــة والتعليــم، التربيــة القوميــة، الصــف الرابع الابتدائــى، ١٩٧٠م، ص ٦٦ - ٧٠.

(٢٣) وزارة التربيــة والتعليــم، تاريخ العــرب الحديث منذ الغــزو العثمانى حتى الوقت الحاضر، الصف الثالث الإعدادى، ١٩٦٠م، ص ٢٤١ - ٢٤٢.

(٢٤) وزارة التربيــة والتعليم، تاريخ العرب الحديــث، الصف الثالث الثانوى، ١٩٧٤م، ص ٣٣٤ - ٣٣٦.

(٢٥) وزارة التربيــة والتعليــم، تاريخ الوطن العربى فى العصــر الحديث، الصف الثالث الإعدادى، ١٩٥٩م، ص ٢١٣ - ٢١٦.

(٢٦) وزارة التربيــة والتعليــم، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، الصف الثالث الإعدادى، عام ١٩٧٤م،ص ٣٣١ – ٣٣٢.
(٢٧) وزارة التربيــة والتعليــم، تاريخ الوطن العربى فى العصــر الحديث، الصف الثالث الإعدادى، ١٩٥٩م، ص ٢٠١ – ٢٠٤.
(٢٨) وزارة التربيــة والتعليم، التاريخ الحديث للجمهورية العربية والوطن العربى، الصف الثالث الإعدادى، ١٩٧٠م، ص ٢١٤ – ٢١٦.
(٢٩) وزارة التربيــة والتعليــم، تاريخ الوطــن العربى الحديث والمعاصــر، للصف الثالث الإعدادى، ١٩٧٣م، ص ١٢٠.
– وزارة التربيــة والتعليــم، تاريــخ العرب الحديــث والمعاصر، الصف الثالــث الثانوى، ص ٢٢٦ – ٢٢٨.
(٣٠) وزارة التربيــة والتعليــم، تاريخ العرب الحديث والمعاصــر، للصف الثالث الثانوى، ١٩٧٤م، ٣٣٦ – ٣٣٩.
ومذكــرات فى تاريخ الوطن العربى الحديــث والمعاصر، للصف الثالث الإعدادى ١٩٧٣م، ص ١١٨ – ١١٩.
(٣١) وزارة التربيــة والتعليــم، التاريــخ الحديــث للوطن العربى الكبــير، للصف الثالث الإعدادى، ١٩٦٥م، ص ١٤٠ – ١٤١.
(٣٢) وزارة التربيــة والتعليم، التاريخ الحديث للوطــن الكبير، الصف الثالث الإعدادى، ص ١٦٥، ص ١٤١.
(٣٣) وزارة التربيــة والتعليــم، التاريــخ الحديــث للوطن العربى الكبــير، الصف الثالث الإعدادى، ١٩٦٥م، ص ١٤١.
(٣٤) وزارة التربيــة والتعليم، المواطن العربى والعالم، للصف الثالث الإعدادى، ١٩٥٩م، ص ١١٤ – ١١٥.
(٣٥) وزارة التربيــة والتعليــم، تاريخ العرب الحديث والمعاصــر، للصف الثالث الثانوى، ١٩٧٧م، ص ١٥٠ – ١٥٦.
(٣٦) وزارة التربيــة والتعليــم، تاريــخ العرب الحديث منذ العصــر العثمانى حتى الوقت الحاضر، للصف الثالث الإعدادى، ١٩٦٠م، ص ٢٤٦ – ٢٥٠.

(٣٧) وزارة التربيــة والتعليـم، تاريخ العرب الحديث والمعاصـر، للصف الثالث الثانوى، ١٩٧٧م، ص ١٥٠ – ١٥٦.

(٣٨) وزارة التربيــة والتعليـم، الأخــلاق والتربيــة الوطنية، الصف التاسـع، ١٩٥٥م، ص ٢٣٠ – ٢٣٢.

(٣٩) وزارة التربيــة والتعليم، المواطن العربى والعالم، الصف الثالث الإعدادى، ١٩٥٩م، ص ١٠٠ ٣– ١٠٣.

(٤٠) وزارة التربيــة والتعليـم، تاريخ العرب الحديث والمعاصـر، الصف الثالث الثانوى، ١٩٧٧م، ص ١٥٦ – ١٥٨.

(٤١) وزارة التربيــة والتعليـم، تاريخ العرب الحديث والمعاصـر، للصف الثالث الثانوى، ١٩٧٧م، ص ١٥٧ – ١٥٩.

(٤٢) وزارة التربيــة والتعليـم، تاريــخ العــرب الحديــث منــذ العصـر العثمانى وحتى الوقت الحاضر، ١٩٦٠م، ٢٢٦.

(٤٣) وزارة التربيــة والتعليـم، تاريخ العرب الحديث والمعاصـر، للصف الثالث الثانوى، ١٩٧٧م، ص ١٥٧ – ١٥٩.

(٤٤) وزارة التربيــة والتعليـم، تاريخ العــرب الحديث من العصــر العثمانى حتى الوقت الحاضر، للصف الثالث الإعدادى، ١٩٦٠م، ص ٢٢٨.

(٤٥) وزارة التربية والتعليم، التاريخ الحديث للجمهورية العربية المتحدة والوطن العربى، الصف الثالث الإعدادى، ١٩٧٠م، ص ٢٠٨– ٢١٠.

(٤٦) وزارة التربيــة والتعليـم، تاريخ العــرب الحديث من العصــر العثمانى حتى الوقت الحاضر، للصف الثالث الإعدادى، ١٩٦٠م، ص ٢٣٢ – ٢٣٣.

(٤٧) وزارة التربيــة والتعليم، مذكرات فى تاريخ الوطن العربى الحديث والمعاصر، الصف الثالث الإعدادى، ١٩٧٣م، ص ١٢٣ – ١٢٩.

(٤٨) وزارة التربيــة والتعليـم، التربية الاجتماعيــة الوطنية، للصــف الرابع من المرحلة الابتدائية، عام ١٩٦٠م، ص ٣٨ – ٤٢.

(٤٩) وزارة التربيــة والتعليـم، النصــوص الأدبيــة الجديدة، للصف الثالــث الإعدادى، ١٩٦٨م، ص ٧٤ – ٧٥.

(٥٠) وزارة التربية والتعليم. القراءة الإعدادية، ١٩٦٨م. ص ١١٦.

(٥١) وزارة التربيـــة والتعليـــم. القـــراءة العربية، الصـــف الأول من المرحلـــة الإعدادية، عام ١٩٦٧م. ص ٢١ - ٢٢.

(٥٢) وزارة التربيـــة والتعليـــم. القـــراءة العربيـــة، الصـــف الثانـــى الثانـــوى، ١٩٨٠م. ص ١١١ - ١١٢.

(٥٣) وزارة التربية والتعليم. المطالعة الوافية. الصف الثالث الثانوى، ١٩٥٨م. ص ٢٩٦.

(٥٤) وزارة التربية والتعليم. القراءة الإعدادية الجديدة. الصف الثالث الإعدادى، ١٩٦٨م، ص ٥٩ - ٦٢.

(٥٥) وزارة التربيـــة والتعليـــم. القـــراءة الإعداديـــة، للصف الأول الإعـــدادى، ١٩٥٨م، ص ٥٨ - ٦٩..

(٥٦) وزارة التربيـــة والتعليم. القراءة والمحفوظات، الصف الخامس الابتدائى، ١٩٦٦م، ص ١٥ - ١٦.

(٥٧) وزارة التربيـــة والتعليـــم. المطالعـــة الوافيـــة. للصـــف الثالث الثانـــوى، ١٩٥٩م، ص ٣٠٤ - ٣٠٥.

(٥٨) وزارة التربيـــة والتعليـــم. الأدب والنصوص والنقد والبلاغة. الصف الثالث الثانوى، ١٩٧٠م، ص ٢٤١ - ٢٤٥.

(٥٩) القراءة العربية. الصف الأول الإعدادى، ١٩٦٧م، ص ١٦٢ - ١٦٥.

(٦٠) وزارة التربية والتعليم.القراءة.الصف الثانى الثانوى، ١٩٨١م، ص ١٠٠.

(٦١) وزارة التربيـــة والتعليـــم. المحفوظات والمســـرحيات. الصف الســـادس الابتدائى، ١٩٥٩، ص ٣٠.

(٦٢) كتاب فى القراءة. للصف الثانى الابتدائى. ١٩٦٨م. ص ١٦٣ - ١٧٠.

(٦٣) وزارة التربيـــة والتعليـــم. النصـــوص الأدبيـــة الجديدة. للصف الثالـــث من المرحلة الإعدادية، ١٩٦٨م، ص ٩٧ - ٩٨.

(٦٤) وزارة التربية والتعليم. المطالعة الوافية، للصف الثالث الثانوى، ١٩٥٩م، ص ٣٠٧ - ٣١٢.

(٦٥) وزارة التربية والتعليم. النصوص الأدبية الجديدة. الصف الأول الإعدادى، ١٩٦٨م، ص ٦١ - ٦٣.

(٦٦) وزارة التربية والتعليم. المحفوظات والمسرحيات. للصف الثانى الإعدادى، ١٩٥٧م، ص ٧٨ - ٨٨.

(٦٧) وزارة التربيــة والتعليــم، المحفوظات والمســرحيات. للصف الســادس الابتدائى، ١٩٥٩م، ص ٧٨ - ٩٠، ٥٩.

(٦٨) وزارة التربية والتعليم. القراءة الصف الثانى الثانوى، ١٩٨١م، ص ٢٤٦.

(٦٩) وزارة التربيــة والتعليــم، القــراءة الإعدادية، للصف الأول مــن المرحلة الإعدادية، ١٩٥٨م، ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٧٠) وزارة التربية والتعليم. المطالعة الوافية، للصف الثالث الثانوى، ١٩٥٩م، ص ٣٢٣.

(٧١) وزارة التربية والتعليم. القراءة الموحدة، الصف الأول الثانوى، ١٩٦٧م، ص ٩٩ - ١٠١.

(٧٢) وزارة التربية والتعليم. النصوص الأدبية الجديدة. للصف الأول الإعدادى، ١٩٦٧م، ص ١٠٩ - ١١٢.

(٧٣) وزارة التربيــة والتعليــم، القــراءة الاعداديــة. للصف الأول الإعــدادى، ١٩٥٨م، ص ٢٠٩ - ٢١٠.

(٧٤) القراءة والمحفوظات. للصف السادس للابتدائى، ١٩٦٧م، ص ١٣٦ - ١٣٨.

□□□

الوجه الآخر لجمال عبد الناصر

د. عادل حسن غنيم

أقصد بالوجه الآخر المواقف السلبية لجمال عبد الناصر التى قام بها تخلصًا من عدو أو إنقاذا لموقف أو تبريرا لإجراء ينوى القيام به. فهى مواقف غير مشروعة وغير إنسانية وغير مبررة قانونًا.

وأود قبل الدخول فى الموضوع أن أبدى عددًا من الملاحظات:

أولا: أنه ليس من أهداف هذه الدراسة التشهير أو الإساءة أو تصفية الحسابات أو التقليل من قدر جمال عبد الناصر فليس هناك ما يدعو إلى ذلك خاصة وأن كاتب هذه الدراسة قد سبق أن أشاد فى مقالات منشورة ببعض إيجابيات الثورة.

ثانيا: أن الهدف المقصود من الدراسة هو بحث جانب خفى أو جانب آخر من جوانب شخصية عبد الناصر بشكل أكثر موضوعية بناء على إيجابياته وسلبياته وليس بناء على نظرة أحادية للشخصية.

ثالثا: هناك إنجازاتٌ كثيرة ومكاسب جماهيرية لثورة يوليو ولقائدها عبد الناصر، لكن هناك فى نفس الوقت أخطاء وسلبيات فادحة تحسب على ثورة ٢٣ يوليو وعلى قائدها، والدراسة الموضوعية تحتم البحث عن وجهى العملة وليس التركيز على وجه واحد فقط.

وسأذكر فيما يلى عددًا من السلبيات التى أقصدها:

أولا: لعل من أهم سلبيات عبد الناصر تلك هى المعاملة اللاإنسانية التى عامل بها بعض قادته وزملائه ومستشاريه بعد اختلافه معهم.

فعندما تم التخلص من محمد نجيب لم يكتف عبد الناصر بإقصائه، بل تم تحديد إقامته فى فيلا زينب الوكيل بالمرج، حيث عومل أسوأ معاملة حتى نهاية حكم عبد الناصر والتى كتب عنها محمد نجيب بالتفصيل فى ذكرياته[١].

وبلغ من سوء المعاملة أنه لم يسمح لمحمد نجيب باستقبال جثمان نجله فى المطار عام ١٩٦٨م قادما من ألمانيا، كما لم يسمح له بزيارة قبره[٢].

لقد كتب كثيرون عن إنسانية عبد الناصر، لكن ذلك في الحقيقة كان في حدود المحيطين به والمقربين منه وبعض الذين لا يعرفهم أو يلجئون إليه لمساعدتهم، وأحيانًا مع خصومه من غير المصطدمين معه مثل زيادته لمعاش مصطفى النحاس، أو موافقته على سفر زينب الوكيل للعلاج في الخارج، لكن الملاحظ أن عبد الناصر في حالة الخلاف معه حتى مع أصدقائه وزملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة كان يتحول لإنسان آخر يسعى للانتقام، وقد حدث ذلك على سبيل المثال مع عبد اللطيف البغدادى الذى تحمل الكثير من مضايقات النظام ضد إخوته وأبنائه، فقد استغل عبد الناصر فرصة حضور المهندس محمد نصير زوج ابنة البغدادى فى إجازة مع عروسه من لندن حيث كان يعد رسالته للدكتوراه، ومنعهما من مغادرة البلاد، وفى محاولة من عبد الناصر لتحديد عدد زوار البغدادى فوجئ بصلاح نصر مدير المخابرات العامة يحضر لزيارته في منزله قائلا له أن عميلا مزدوجًا للمخابرات المصرية وإسرائيل أبلغه أن إسرائيل تعد خطة لاغتياله هو وكمال الدين حسين حتى يُتهم عبد الناصر باغتيالهما، طالبًا من البغدادى عدم مقابلة أى شخص مع السماح بتشديد الحراسة عليه، لكن البغدادى أخبره أنه سيظل يتكلم طالما كانت هناك أخطاء. وتمت نفس المقابلة بين صلاح نصر وكمال الدين حسين، وسمع كمال الدين حسين نفس الكلام الذى سمعه البغدادى من صلاح نصر، كما تم إلغاء سفرهما لأداء فريضة الحج عام ١٩٦٥م بعد أن قاما باتخاذ إجراءات سفرهما بعد أن تمت الموافقة على أدائهما للفريضة(٣).

وحدثت تلك المضايقات مع كمال الدين حسين الذى اعتقل مع أسرته وزواره، وتوفيت زوجته في المعتقل.

فقد صدر أمر إلى اللواء هلال عبد الله هلال مدير سلاح المدفعية والعقيد حسن خليل مدير المباحث الجنائية العسكرية يوم ١٤ أكتوبر ١٩٦٥م باعتقال كمال الدين حسين ووضعه في مكان آمن، وذهبا إلى منزله حيث كان في منزله عدد من ضيوفه حيث صحباه والسيدة حرمه إلى فيلا بالهرم محاطة بالأسلاك الشائكة والحراس ونزعت منها أجهزة التليفون.

أما ضيوف كمال الدين حسين فقد قام رجال المباحث الجنائية العسكرية بعد ذلك باقتحام المنزل وتفتيشه والاستيلاء على ما به من أوراق بما فيها بعض مذكراته، ثم صحبوا الضيوف إلى السجن الحربى، كما تم تحديد إقامة والد كمال الدين حسين في منزله حيث رفع التليفون ومنع من الاتصال بالآخرين(٤).

ولا شك أن هذه المضايقات التى قام بها عبد الناصر تجاه رفيقيه عبد اللطيف البغدادى وكمال الدين حسين ترجع إلى نقدهما لسياساته سواء معه أو فى مجالسهم، مثل نقد كمال الدين حسين للقانون ١١٩ لسنة ١٩٦٤م الذى يخول لرئيس الجمهورية فى غير الحالات الاستثنائية والطارئة وبدون إبداء الأسباب أن يقبض على المواطنين ويحتجزهم وأن يضع الحراسة على أموالهم وممتلكاتهم. كما عارض كل من البغدادى وكمال الدين حسين قيام الوحدة مع سوريا، وحذرا عبد الناصر من التورط فى حرب اليمن والاستمرار فيها، وقال له كمال الدين حسين إن الإسلام لا يجيز قتال المسلم لأخيه المسلم(٥).

ويدخل فى هذا الإطار ذلك الاعتداء الذى تم على الدكتور عبد الرزاق السنهورى رئيس مجلس الدولة يوم ٢٩ مارس ١٩٥٤م بواسطة ضباط وجنود البوليس الحربى(٦).

ثانيًا: عندما اصطدم نظام عبد الناصر مع الإخوان المسلمين والشيوعيين، لم يكن النظام يكتفى باعتقال من يراه من خصومه وتأمين الثورة، بل كان يتابع أعمال الانتقام والتشفى والتعذيب بأشكاله المختلفة والمتطورة، والتى تحفل بها المراجع المختلفة ويحدثنا أصحابها عما لحقهم من إهانات وإهدار لآدميتهم، إضافة إلى الأحكام التى أصدرتها المحاكم المختلفة متضمنة صرف تعويضات نظير ما لقيه أصحاب القضايا من أضرار وتعذيب.

ويحاول بعض المدافعين عن عبد الناصر الادعاء بأن أجهزة السلطة هى التى كانت تقوم بأعمال التعذيب دون علم عبد الناصر، لكن من المستحيل أن يحدث ذلك دون علم قائد، تتوفر له كل وسائل الرصد والمتابعة، ولا يستطيع مسئول أن يتصرف بعمليات التعذيب مع ألوف من الناس دون علمه أو موافقته.

ثالثًا: أن التفكير فى عمليات الاغتيال كان فى فترة ما قبل الثورة فكرة دارت بمخيلة عبد الناصر، أو توهجت فى خياله، فلقد تقدم عبد الناصر بعد حل الملك لمجلس إدارة نادى الضباط طبقًا لما ذكره خالد محيى الدين، باقتراح مؤداه القيام بسلسلة من الاغتيالات تستهدف هز أركان النظام، واقترح اغتيال حسين سرى عامر وحسين فريد وحيدر باشا وحسن حشمت أحد قادت الجيش المشهورين بولائهم للنظام(٧).

ويروى عبد الناصر فى كتابه «فلسفة الثورة» قضية مشاركته فى محاولة اغتيال حسين سرى عامر قائد سلاح الحدود وأحد رجالات الملك فاروق، فيقول:

«وكانت الخطة أن نطلق الرصاص عليه وهو عائد إلى بيته فى الليل. ورتبنا فرقة الهجوم التى تتولى إطلاق النار، ورتبنا فرقة الحراسة التى تحمى فرقة الهجوم، ورتبنا فرقة تنظيم

خطـة الإفلات إلى النجاة بعد تنفيـذ العملية بنجاح. وجاءت الليلـة الموعودة، وخرجت بنفسـى مع جماعات التنفيذ.. وسـار كل شـىء طبقًا لما تصورناه «وفجأة دوت فى سمعى أصوات صراخ وعويل، وولولة امرأة، ورعب طفل، ثم استغاثة متصلة محمومة» لكن الرجل لم يمت، وأسعد عبد الناصر أن الرجل الذى دبر اغتياله قد كتبت له النجاة.

وأدرك عبد الناصر أمرين بعد فشل محاولة اغتيال حسين سرى عامر: الأول، أن المسألة أعمق من أن يتغير مستقبل بلدنا إذا خلصناه من شخص معين. والثانى، أن المهم أن يجىء من يجب أن يجىء وليس من يجب أن يمضى.

وقال عبد الناصر فى يقين «إذن يجب أن يتغير طريقنا، ليس ذلك هو العمل الإيجابى الذى يجب أن نتجه إليه..»[٨].

ولاشك أن ذكر عبد الناصر لهذه الحادثة التى لم يكن يعلمها إلا من قاموا بها شجاعة أدبية كبيرة تحسب له.

ومع أن عبد الناصر لم يذكر فى روايته اسـم «حسـين سـرى عامر» لكن خالد محيى الدين يوضح فى ذكرياته أن جمال قام بمحاولة اغتيال «حسـين سـرى عامر» دون التشاور مع أعضاء لجنة القيادة مما أثار صلاح سـالم وعبد اللطيف البغدادى، وجعل صلاح سـالم يفجـر موضوع الوضع المميـز لعبد الناصر فى الحركة، «وأنه سيسـتقيل من اللجنة إذا لم يحصل على وضع مساو لوضع جمال بحيث يكون له أن يعرف كل أسماء الضباط الأحرار مثـل جمال عبـد الناصر، ويروى خالد محيى الدين أنـه اصطحب جمال إلى بيت صلاح سـالم حيث انتهت المناقشـات «بصلح ظاهرى بين عبد الناصر وصلاح»، لكن عبد الناصر «لا يغفـر لـه ما فعل وما قال»، وعقدت لجنة القيـادة اجتماعًا بعد ذلك حيث تم انتخاب جمال عبد الناصر رئيسًا للجنة القيادة[٩].

رابعا: أن جمال عبد الناصر لجأ ذات مرة إلى تدبير الانفجارات لإثارة مخاوف الناس. فخلال أزمة مارس ١٩٥٤م وفى يوم ١٩ مارس بالتحديد قام جمال عبد الناصر بتدبير ستة انفجارات دفعة واحدة فى مدينة القاهرة: منها انفجاران فى الجامعة، وآخر فى جروبى، وثالث فى مخزن الصحافة بمحطة سكة حديد القاهرة، ولم ينتج منها خسائر مادية، لكنها كما يذكر خالد محيى الدين «أثارت هواجس شـديدة وسـط الجميع حول مخاطر انفلات الوضع ومخاطر إطلاق العنان دون قبضة حازمة للدولة».

وقد روى عبد اللطيف البغدادى لخالد محيى الدين ثم عاد فأكدها فى مذكراته أن جمال عبد الناصر أبلغه بأنه هو الذى دبر هذه الانفجارات لإثارة مخاوف الناس من الاندفاع فى طريق الديمقراطية[10].

هـذا فى الوقـت الذى أوضح فيه جمال عبـد الناصر فى اجتماع المؤتمر المشـترك يوم ٢٠ مارس ١٩٥٤م أى فى اليوم الثانى من الانفجارات عند إشـارته إلى هذه الانفجارات: «هــذا قد حدث نتيجة لسياســة اللين والميوعة الظاهــرة فى موقف الحكومة» ولم يكن عبد الناصر قد أخطر بعد عبد اللطيف البغدادى بحقيقة تلك الانفجارات[11]. ويظهر جمال عبد الناصر هنا وكأنه برىء من أحداث تلك الانفجارات.

خامسا: أن جمال عبد الناصر لجأ أحيانًا إلى استخدام الرشوة من أجل تنفيذ أهدافه.

فخلال أزمة مارس ١٩٥٤م ونتيجة لقرارات ٥ مارس الشهيرة التى اتخذها مجلس قيادة الثـورة والتى كان من أهمها اتخاذ الإجراءات فورًا لعقد جمعية تأسيسـية منتخبة بطريق الاقتراع العام المباشر، وإلغاء الأحكام العرفية قبل إجراء انتخابات الجمعية التأسيسية فى يونيه ١٩٥٤م، ونتيجة لمسـاحة الحريات التى أتيحت فى الفترة من ٥ إلى ٢٥ مارس تم شن هجوم ضار على مجلس الثورة، وعلى حركة الجيش وضباطه، بما حفز الجميع وعلى رأسـهم عبد الناصر إلى خطة للتراجع عن قـرارات ٥ مارس، فبدأ عبد الناصر فى ترتيب اتصالات بقيادات عمال النقل العام، لترتيب الإضراب الشهير وشل حركة المواصلات فى البـلاد، اعتراضًا على عودة الثوار لثكناتهم. حيث قام عبد الناصر بواسـطة أحمد طعيمة وإبراهيـم الطحـاوى بتوزيع أربعة آلاف جنيــه على قيادات العمال الذين كان يرأسـهم الصاوى أحمد الصاوى، لتنفيذ إضراب عمال النقل العام.

ويذكر خالد محيى الدين فى مذكراته أنه بعد عودته من المنفى التقى بعبد الناصر وسمع بنفســه منه ما خفى من أحداث مارس الأخيرة حيث قال له عبد الناصر «بصراحة نادرة: لما لقيت المسألة مش نافعة قررت اتحرك، وقد كلفنى الأمر أربعة آلاف جنيه»[12].

سادسـا: أنه بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م نجد السـلطة ممثلة فى قيادة جمال عبد الناصر تتدخل فى عملية صياغة تاريخ الأمة بطريقة غير موضوعية وغير صـحيحة.

فقد امتد هذا التدخل الرسمى ليشــمل حذف بعض الحقائق التاريخية، فقد تم حذف اسم «محمد نجيب» أول رئيس للجمهورية فى مصر من كتب التاريخ التى تدرس فى التعليم العام وأشير إلى جمال عبد الناصر باعتباره أول رئيس مصرى منذ قدماء المصريين.

ومــن أمثلة عدم الحفاظ على بعض الأصول التاريخى ما رواه السياســى المصرى فتحى رضوان [١٣]. من أنه بعد إقالة محمد نجيب من رئاسة الجمهورية ذهب جمال عبد الناصر إلى مبنـــى الإذاعة القديم وكان بصحبته صلاح ســالم. وطلبا الحصول على كل الشــرائط، التـــى تتضمــن خطب كل قــادة الثورة والوزراء، خــلال الفترة ما بــين ٢٦ يوليو ١٩٥٢م وأكتوبر ١٩٥٤م، وأن الإذاعى حســنى الحديدى هو الذى قام بفرز تلك الشــرائط، إضافة إلى كل إذاعات الملك السابق فاروق ومعظم خطب وتصريحات زعماء ما قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، وعلى رأســهم مصطفى النحاس زعيم حــزب الوفد المصرى. وبذلك تم محو تلك الأشرطة من التداول.

وزيــادة علــى ذلك فقد تدخلت الســلطة في عمليــة صياغة تاريخ الأمــة بطريقة غير موضوعيــة، فالميثاق الوطنى يشــن هجومًا صارخًا على بعض القيادات الوطنية الســابقة، خاصة سعد زغلول قائد ثورة ١٩١٩م وخليفته مصطفى النحاس، حيث اتهم الميثاق الوطنى ثورة ١٩١٩م بأنها أخطأت التاريخ، وأن قيادتها فشــلت فى فهم التاريخ، وفى فهم العدو الــذى تحاربه، وأن القيادات الوطنية الباقية من ثورة ١٩١٩م فقدت كل طاقاتها الثورية، واستسلمت واحدة بعد أخرى للاستعمار والقصر[١٤].

ولا شــك أن مناقشة هذه المقولة مناقشــة علمية سوف تسقط ادعاءاتها غير الموثقة وغير الدقيقــة فــلا ثورة ١٩١٩م أخطأت الطريق ولا فشــلت قيادتُها فى فهــم التاريخ. كما أن القيادات الباقية من الثورة لم تستســلم واحدة بعد أخرى للاســتعمار. يؤكد ذلك انتفاضة ١٩٤٦م، وإلغــاء معاهدة ســنة ١٩٣٦م، وتوفير المنــاخ لتنظيم معارك القنــاة ضد القوات البريطانية، وغير ذلك من الأمثلة التى تدلنا على استمرار روح المقاومة والنضال الوطنى.

ســابعا: ويدخل فى مجال الوجه الآخر لعبد الناصر صداقته اللامحدودة لعبد الحكيم عامر والتى تمت على حســاب المصلحة الوطنية ومصلحة القوات المســلحة نفســها. فلم يكــن عبد الحكيم عامر يتمتع بخبرات عســكرية فذة تتيــح له قيادة الجيش. لكن حرص عبــد الناصــر علــى ضمان ولاء الجيــش كان وراء وضــع صديقه على رأس هذه المؤسســة العســكرية العامة تنفيذًا لشــعار أهل الثقة لا أهل الخبرة. ولقد أثبتت الأحداث بعد ذلك أن عبد الحكيم عامر لم يكن على مستوى المسئولية خاصة فيما يتعلق بعدوان ١٩٥٦م على مصر. ثم مسئوليته عما حدث فى انفصال سوريا عن مصر عام ١٩٦١م. ومع ذلك فقد تركه

عبد الناصر على رأس المؤسسة العسكرية بعد أن استشرى نفوذه، ولم يعد عبد الناصر قادرًا علــى الإطاحة به دون خســائر فادحة قد تلحق بعبد الناصر نفســه، وظل الأمر على هذا الحــال حتى هزيمــة ١٩٦٧م، والتى تأكد خلالها عدم قدرة عبد الحكيم عامر على القيادة العسكرية للقوات المسلحة بل وعجزه على مواجهة الموقف.

وأكتفــى هنا بمــا ورد فى مذكرات محمد فــوزى وزير الحربية الأســبق فى بحثه عن الأسباب المؤدية إلى معركة ١٩٦٧م والعوامل المؤثرة فى نتائجها حيث يذكر العناصر التالية فيما يتعلق بدور عبد الحكيم عامر فيما حدث فى ذلك الوقت:

– الصراع الخفى بين الرئيس جمال عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر منذ عام ١٩٦٢م جعل الموقف الداخلى فى مصر غير طبيعى. وقد تصاعد هذا الصراع إلى قمته فى سنوات ما قبل معركة ١٩٦٧م لدرجة أثرت على صنع القرار وأوجدت مواقف أثرت تأثيرًا مباشرًا فى المعركة نفســها، ثم إن انفراد المشير بالســلطة الفعلية على القوات المسلحة ومجلس الدفاع الوطنى وانتفاء سلطة القائد الأعلى للقوات المسلحة ومجلس الدفاع الوطنى تسبب فى عدم وجود رأى جماعى وأثر بالتالى على صنع القرار الاستراتيجى العسكرى للدولة.

– نجــاح المشــير عبد الحكيم عامر فى هذا الصــراع بتوليه مركزين متداخلين فى وقت واحــد أحدهما نائب القائد الأعلى للقوات المســلحة والثانى القائد العام للقوات المســلحة وبســط نفــوذه على بعض أجهزة الدولة وخاصة أجهزة الأمــن وتمكنه فى نفس الوقت من إخراج القوات المسلحة المصرية من وضعها الطبيعى فى الهيكل التنظيمى للدولة.

– دعوى الأمن، أمن القائد والقوات المسلحة والثورة، نتيجة للصراع الداخلى جرت القوات المسلحة إلى طريق أبعد ما يكون عن الالتزام الأصلى استعدادًا للمعركة. ثم إن سيادة الممارسات التى تتسم باستعراض القوة واستغلال النفوذ والخلط بين السلطات والتمادى فى الاستهتار وعدم الانضباط والتعالى والمخادعة الإعلامية كل هذا أدى إلى انعزالها عن الشعب الذى التف حولها وأيدها عام ١٩٥٢م ففقدت القوات المسلحة معنويًا أكبر سند لها وهو الشعب.

– وأخــيرًا موقــف قفل خليــج العقبة فى وجه الملاحة الإســرائيلية والــذى ظهر من اســتعراض مفكرتى فى ذلك الوقت أن اتجاه الرئيس جمال عبد الناصر السياســى لم يكن مخططًا على هذا الأســاس لولا إصرار المشــير عبد الحكيم عامر علــى عملية القفل وأصبح الموقف معقدًا»[١٥].

ثامنا: وربما يدخل فى مجال الوجه الآخر لجمال عبد الناصر حادث المنشية الشهير فى ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤م والذى أطلق خلاله الرصاص على عبد الناصر أثناء إلقاء خطابه فى ميدان المنشية بالإسكندرية وتم بعدها القيام بأكبر عملية اعتقالات ضد الإخوان المسلمين.

فقد ذكرت بعض المراجع أن هذا الحادث ملفق، ومن الذين أكدوا ذلك حسن التهامى أحد الضباط الأحرار، حيث ذكر ذلك فى حوار مع الإعلامى عماد أديب على قناة أوربت الفضائية.

لكنى لا أستطيع أن أرجح كفة على أخرى تجاه هذا الحادث، ولعل التاريخ يساعدنا يومًا على تبيان الحقيقة فى هذا الأمر.

وبمراجعة تلك السلبيات أو المواقف التى ذكرناها يتبين لنا أن معظمها كان خلال الفترة من ١٩٥٢م إلى ١٩٥٦م، ويعنى ذلك أن عبد الناصر قام بما قام به خلال تلك الفترة التى لم تكن أمور البلاد قد استقرت لصالحه، بهدف الحفاظ على السلطة فى يده، وحتى يتمكن من مواجهة خصومه أو خصوم الثورة كما يعتقد، أى إنه فى تلك السنوات الأولى من الثورة لم يكن لديه مانع من استخدام الوسائل الميكافيلية من أجل تحقيق أهدافه.

أما بعد أن استقرت له الأمور، خاصة بعد أن أصبح رئيسًا للجمهورية اعتبارًا من ٢٥ يونيو ١٩٥٦م فلم يبق مستمرًا من تلك الوسائل التى تمثل الوجه الآخر سوى معاملته اللاإنسانية لمحمد نجيب وبعض زملائه من أعضاء مجلس قيادة الثورة وعمليات التعذيب التى استمرت معظم سنوات حكمه والتى اتسمت بالجو اللاديمقراطى.

ولاشك أنه حدث تغيير مهم فى فكر عبد الناصر بالنسبة للحكم النيابى والديمقراطى، فلقد كان عبد الناصر فى بداية الثورة حريصًا على احترام الدستور والحياة النيابية، وكان يرى دعوة مجلس النواب ثم حله، ثم دعوة الناخبين لانتخاب مجلس جديد وفق أحكام الدستور خلال ستين يومًا، لكن زملاءه تكاتفوا ضده، كما أن ضباط المدفعية والطيران وقفوا ضد هذه الفكرة وقالوا بصراحة أنهم قاموا بالحركة ولن يسلموها للآخرين جاهزة، ووجد عبد الناصر نفسه وحيدًا فى مواجهة ما يشبه الإجماع، فاستقال وترك الاجتماع إلى بيته، وأسرعوا خلفه، فعاد عبد الناصر لكنه عاد متنازلا عن فكرته، بدعوى إعادة الإمساك بالخيوط كما يذكر خالد محيى الدين[١٦]، ولو ظل عبد الناصر مقتنعًا بالديمقراطية لأمكن له تحقيقها، ولكانت البلاد قد أخذت منحنى آخر.

تلك مواقف مختلفة تشير إلى الوجه الآخر لعبد الناصر أو مواقفه السلبية التى يمكن أن يقال عنها أنها غير مشروعة وغير إنسانية.

ولا تعنى هذه الدراسة حصرًا لسلبيات عبد الناصر وإنما تعنى فقط تلك السلبيات المؤكدة التى استخدم فيها وسائل ميكافيلية من أجل تحقيق أهدافه. لكن هناك أحداثًا أخرى لم تتضح حقائقها بعد ربما تدخل فى إطار الوجه الآخر لجمال عبد الناصر. ولعل التاريخ يوضح لنا فى المستقبل حقائق تلك الأحداث، بحيث يمكن تقييم تلك الشخصية التاريخية البارزة تقييمًا شاملا يتسم بالعمق والموضوعية.

□□□

الهوامش

(١) محمد نجيب، كنت رئيسًا لمصر، القاهرة، المكتب المصرى الحديث، ١٩٨٤م، صفحات متفرقة.

(٢) عادل حمودة، مقال بجريدة الأهرام فى ٢٠/ ٧/ ٢٠٠٢م، ص ١٣.

(٣) سامى جوهر، الصامتون يتكلمون، الطبعة الثانية، القاهرة، المكتب المصرى الحديث، ١٩٧٥م، ص ٥٧ - ٥٩.

(٤) المرجع السابق، ص ٦٨ - ٧١.

(٥) نفسه، ص٥٠، ٦٠، ٦١، ٧٤، ٧٥.

(٦) محمد نجيب، مرجع سابق، ص٢٦٤.

(٧) خالد محيى الدين، والآن أتكلم، الطبعة الأولى، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٢م، ص ١٢٥.

(٨) جمال عبد الناصر، فلسفة الثورة، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٤م، ص ٥٢ - ٥٧.

(٩) خالد محيى الدين، مرجع سابق، ص ١١١.

(١٠) عبد اللطيف البغدادى، مذكرات، القاهرة، المكتب المصرى الحديث، ١٩٧٧م، الجزء الأول، ص ١٤٤؛ محمد نجيب، مرجع سابق، ص ٢٤٦؛ خالد محيى الدين، مرجع سابق، ص ٣٠٤، ٣٠٥.

(١١) عبد اللطيف البغدادى، مرجع سابق، ص ١٤٤.

(١٢) خالد محيى الدين، مرجع سابق، ص ٢٨٩ - ٢٩٨، ٣٥٠؛ محمد نجيب، مرجع سابق، ص ٣٦٣؛ سامى جوهر، مرجع سابق، ص ٢٠.

(١٣) فتحى رضوان، أسرار حكومة يوليو، كتبها وعلق عليها ضياء الدين بيبرس، القاهرة، مكتبة مدبولى، ١٩٧٦م، ص ٤٩، ٥٠.

(١٤) الميثاق الوطنى، انظر الباب الثالث.

(١٥) محمد فوزى، حرب الثلاث سنوات ١٩٦٧/ ١٩٧٠م، مذكرات، دمشق، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٨١م، ص ١٠.

(١٦) خالد محيى الدين، مرجع سابق، ص ١٦٨، ١٦٩.

يــومــيـــات عـــبـــد الـــنـــاصـــر
فى حرب فلسطين من المعارك إلى الانسحاب
هموم المعارك.. الأسرة.. الوطن.. رفقة السلاح.. واختمار الثورة

د. عاصم الدسوقى

عندما أتمت القوات البريطانية انسحابها من فلسطين مع نهاية نهار يوم ١٤ مايو ١٩٤٨م منهية بذلك فترة حكمها لفلسطين منتدبة من عصبة الأمم فى عام ١٩٢٢م، تحركت الجيوش العربية كما هو معروف فى اليوم التالى (١٥ مايو) لاستعادة فلسطين لأهلها، فاندلعت الحرب بين اليهود الذين استوطنوا أرض فلسطين بتأييد وحماية سلطة الانتداب البريطانى وبين دول الجامعة العربية، وهى الحرب التى استمرت كما هو معروف حتى عقد الهدنة فى فبراير ١٩٤٩م فى جزيرة رودس..

اشتركت مصر فى الحرب برغم أن النقراشى رئيس الحكومة عارض دخولها وكان قد اكتفى من قبل بإرسال ٣٠٠ بندقية، و٢٥٠ مسدسا، و١٧٠٠ طلقة مساعدة للفلسطينيين. ثم غير رأيه وطلب فجأة عقد جلسة سرية لمجلس الشيوخ فى ١٢ مايو للموافقة على دخول الجيش المصرى لفلسطين لقتال اليهود، وبعدها صدرت الأوامر لوزير الحربية محمد حيدر باشا بالتحرك إلى فلسطين. ولما تم اختيار اللواء أحمد على المواوى قائدا للقوات المصرية فى فلسطين قال له النقراشى إن الاشتباكات ستكون مجرد مظاهرة سياسية وليست عملا حربيا وأنه يعتقد أن المسألة سوف تسوى سياسيا بسرعة، وأن الأمم المتحدة سوف تتدخل لوقف الحرب وستتحول القضية إلى قضية دبلوماسية..

وقبل أن تندلع الحرب بشكل رسمى يوم ١٥ مايو كان الأخوان المسلمون فى مصر قد طلبوا فى مطلع ١٩٤٨م من حكومة النقراشى السماح لهم بإدخال فوج من «المجاهدين» للمرابطة فى الجزء الشمالى من صحراء النقب لكن الحكومة رفضت فتسلل هؤلاء من سيناء إلى فلسطين فى فبراير ١٩٤٨م وشرعوا فى مهاجمة المستوطنات اليهودية فى طريقهم. ولما علمت الحكومة بذلك طلبت من المرشد العام حسن البنا سحب هذه الجماعات فرفض

فقطعــت الحكومة عنهم الامدادات. ثم رضخت الســلطات المصرية ووافقت على أن يكون العمــل التطوعى تحت لــواء الجامعة العربية، وتم تدريب ثلاثــة مجموعات من الإخوان بمعسكر الهايكستب تحت إشراف الصاغ محمود لبيب وكيل الإخوان المسلمين..

كانت القوات المصرية التى تحركت إلى فلســطين تتكون من لواء مشاة بقيادة الأميرلاى الســيد طه (الضبع الأســود)، ويتكون من ثلاث كتائب: الرابعة والخامســة فى الفالوجا على بعد ٤٠ كيلومترا من غزة، والسادسة فى عراق سويدان بقيادة القائم قام حسين كامل ومساعده جمال عبد الناصر وتتألف من أربع سرايا: الأولى بقيادة الصاغ عمر لطفى، والثانية بقيادة الصاغ يوسف السباعى، والثالثة بقيادة الصاغ نور، والرابعة بقيادة اليوزباشى محمد غالب فضلا عن سرية سودانية بقيادة الضابط السودانى بشير أفندى.

وبعد تســعة عشــر يوما من بــدء المعارك وابتداء من يوم الخميــس ٣ يونيه ١٩٤٨م بدأ جمال عبد الناصر فى تدوين يومياته عما يدور حوله بشــكل متصل أحيانا وبشــكل متقطع فى أحيان أخر حســب رتم الأحداث وباســتثناء أيام الإجازات من الميدان. ويبدو واضحا ممــا ورد فى اليوميات أنه كان يكتبها لنفســه، وأنهــا كانت فرصته فى البوح بما لم يكن يقدر على البوح به لآخرين.. فكان الورق مجال تفريج كربه، وتهدئة غضبه، والراحة من همومه وحيرته بعض الوقت.. امتزج فيها العرق بدمائه، وكانت أفكاره وانطباعاته وتأملاته الفورية دون تنميق أو إعادة نظر تعبر عن الصدق.. ولم لا.. وقد كان يكتبها لنفســه وليس للنشر. لقد ذكرتنى هذه اليوميات التى بلغت ١٢٣ يومية من الخميس ٣ يونيه إلى الخميس ٣٠ ديســمبر ١٩٤٨م بما كتبه ســعد زغلول فى يومياته فى المنفى والتى كان صادقا فيها مع نفســه حتى لقد باح بما لا يمكن أن يبوح به فى العلن من حيث تصرفاته الشــخصية ومواقفه السياســية لأنه كان يكتبها لنفسه وليس بقصد النشر، وكذلك ما كتبه محمد فريد فى منفاه أيضا حين سمح لنفســه بشتم خصومه وانتقادهم انتقادا مرا وخلع أوصاف ذميمة عليهم.. إلخ.

لقد كشــفت لنا هذه اليوميات عن أشــياء كثيرة فى شخصية جمال عبد الناصر جاءت عفو الخاطر ومن واقع الألم.. فقد عرفنا منها كم كانت أســرته تمثل له قيمة عظمى، فقد كان فــى الثلاثين من عمــره حين ترك زوجته وأطفاله الصغار.. ظل مشــغولا بهم وبوالده وعمه، ويريد أن يطمئن عليهم دائما عن طريق التليفون إذا تيسر، والخطابات إذا وصلت.

وعندما اخترقت صدره رصاصة فوق القلب (١٢ يوليو) وحملوه إلى مستشفى المجدل وعرف أنها شظية تركت جرحا سطحيا كتب يقول «إن روحه المعنوية ارتفعت وحمد الله.. فأول ما خطر على بالى عند الإصابة كان الأولاد وأمهم». وعندما علم من خطاب عمه (يومية ٥ ديسمبر) أن زوجته «معتكفة فى المنزل ولا تخرج وأن الأولاد بخير.. قال: «لقد تألمت جدا.. فلا يشغلنى أى شىء إلا هى والأولاد فإن حياتى ليس لها أى قيمة إلا لأجلهم». وعندما حمل رتبة صاغ (يومية ٢٨ يوليو) ذكرها عرضا دون تعليق وكأنها لا تمثل شيئا مهما له.

كما كشفت لنا اليوميات عن تربيته فى مخاطبة من هم أكبر منه رتبة حتى ولو كان يذكر أسماءهم على الورق فكل منهم يقرنه بلقب «بك» إلا الذين لم يحترمهم بسبب غرورهم كما سوف نرى.. وأما من فى رتبته أو أقل فيذكر أسماءهم دون ألقاب. بل لقد ذكر الملك فاروق كلما أورد اسمه هكذا: «صاحب الجلالة الملك». كما عرفنا من اليوميات أيضا كم كان متمسكا بأداء فروض الصلاة.. إنسان حسن الإسلام شأن جمهرة المسلمين. وقد امتدت هذه المشاعر الإنسانية لتشمل الغير فى صورة يندر أن تحدث، ففى أثناء حصار الفالوجا صدرت أوامر بالانسحاب من الخليل ثم ألغيت فيكتب فى (يومية ٢٢ أكتوبر) قائلا: «عندما صدر الأمر بالانسحاب انتابتنى أفكار عدة فإن انسحابنا سيعرض جميع السكان من عراق سويدان إلى بيت جبرين إلى التشرد أو الوقوع فى قبضة اليهود.. تصورت منظر الأطفال والنساء والعائلات عند انسحابنا وكيف سيحتل اليهود عراق المنشية والفالوجة.. إلخ.. وكيف إذا استمرت الحرب سنحاول استعادة هذه البلاد.. وسيكون من العسير بل من المحال استرجاعها..». هل هناك مشاعر إنسانية بهذا القدر من الدفء والاشفاق.. صاحبها يتجاوز ذاته ويقدم عليها مصلحة الآخرين.. ألم يكن الانسحاب فرصة له للعودة سالما إلى أسرته التى يشتاق إليها وإلى وطنه الجريح. لقد تذكرت وأنا أقرأ هذه السطور موقفه من الصراع مع إسرائيل حين قال.. إذا كانت المسألة خاصة بمصر فيمكن إنهاء الصراع مع إسرائيل بسهولة لكن المشكلة ليست هكذا.. إنها مشكلة الفلسطينيين الذين سوف يكونون بلا سند أو ظهير. ولقد صدقت الأيام ما قاله ساعة المحنة.

أما الذين لم يحترمهم بسبب مواقفهم فقد ذكر بعضهم بالاسم، ومنهم الشاذلى الذى سخر من سلاح المشاة وهم مجتمعون يوم ٢٩ يونيه للاستعداد للهجوم بقوله «إن أى ضابط

مدفعية أحسن من بتوع المشاة» (لاحظ أن جمال عبد الناصر من المشاة) فما كان من نعمة الله وهو من المشـاة إلا أن قال للشاذلى «إن عساكر وضباط المشاة بيهجموا على المواقع اليهودية بالقميص وبدون أية أسلحة مدرعة الأمر الذى لن تسمع عنه» وعلق عبد الناصر فى يومياته قائلا «موقف الشاذلى كان شنيعا».

كما لم يحترم اللواء المواوى قائد القـوات فى الجبهة فقد وصفه فى (يومية ٢٥ يوليو) بأنـه «رجل فى منتهى السـماجة والغرور والجهل.. كل ملاحظاتـه تقريبا غلط.. الراجل نسـى نفسـه وركبه الغرور.. كان يقول مبادىء ١٠٠ سـنة هدمتوهـا.. ويتكلم فى النقاط الهايفة.. ولم يرتد ثوب القائد الذى يكلم جنوده بعد معارك أصيبوا فيها بخسـائر جسيمة وصمدوا.. لم يمر على الخط الدفاعى إلا مع جلالة الملك.. وبعد انتهاء القتال».

وأما أحمد عبد العزيز الذى رأس مجموعة من المتطوعين من الإخوان المسلمين فقد كان محـل تقديـره واحترامه ولما استشـهد كتب يقول «تألمت جدا فإن أحمـد عبد العزيز كان يحب أبناءه.. مات وكله أمل فى الحياة.. لم يره الشـعب ولم يسـتقبله.. لقد تألمت جدا لهذه الآمال التى انهارت».

أمـا أهم ما فى اليوميـات تلك الملاحظات التى أبداها عبد الناصر على الاسـتعدادات العسـكرية والتجهيزات والأداء العسـكرى قبل المعركة وبعدها والتى حملته فى النهاية إلى مشاعر الغضب والثورة..

فى الثانى من يونيه دخلت القوات البرية المصرية (اللواء الثانى) المجدل وتابعت سيرها شمالا حتى احتلت أسدود مما خفف الضغط على القوات الأردنية فى منطقة اللطرون وباب الواد. وكان احتلال أسدود مفاجأة كبيرة لليهود لأهميتها إذ منها تصبح مستعمرات اليهود الشمالية والشرقية تحت التهديد، وباحتلال أسدود أصبح خط المجدل – الفالوجا – بيت جبريـن – الخليـل فى يد القوات المصرية وبهذا تم فصل المسـتعمرات الجنوبية اليهودية بصحراء النقب عن شمال فلسطين. وفى اليوم التالى هجم اليهود على أسدود لاستعادتها.

ويبدو أن خسـائر القـوات المصرية فى هذه المعركة جعلته يبـدأ يومياته فى ٣ يونيه، إذ تم تعيينه قائدا لجماعة استكشافية للتحرك من غزة إلى أسدود «لغيار الكتيبة التاسعة». وكان شمال أسـدود أقصى ما وصل إليه الجيش المصرى.. فكتب بعد الاستكشـاف يقول «إن الخط الدفاعى ليس به عمق ولا احتياط مطلقا من الفصيلة إلى اللواء.. عبارة عن موانع

فقط.. فيه ثغرات تسمح بالتسلل.. ولا يوجد أسلاك أو أى تحصينات سوى الحفر.. الدفاع غريب جدا أشـبه بالنقط الخارجية.. الجماعات على خـط واحد.. واجهة الكتيبة حوالى ٤ كيلومتر.. الوضع الدفاعى عبارة عن دائرة من كتيبتين تحيطها المستعمرات من كل جهة تقريبا والمناوشات الليلية مستمرة.. ذهبت إلى محل الهجوم.. الرائحة لا تطاق.. المخلفات تعبر عن العار..».

ثم تقررت الهدنة اعتبارا من ١١ يونيه وقد فرضت لإنقاذ اليهود حيث كان قطاع القدس تحت سيطرة أحمد عبد العزيز وكان هذا شأن المنظمة الدولية ولا يزال عندما تريد الوقوف إلى جانب أحد الطرفين فى انحياز كامل ودون احترام. وقد التزم الجانب المصرى بالهدنة ولم يحرك سـاكنا لكن اليهـود انتهزوها فرصة وهاجموا بير عسـلوج ولم تكن فيها قوات مصرية تذكر واحتلوا مواقع أخرى (الحسير وجوليس) وأخذوا يعملون على تقوية دفاعاتهم بإقامة الدشـم والخنـادق وجاءهم طيارون متطوعون من الولايـات المتحدة الأمريكية وكندا وبريطانيا وجنوب إفريقيا كما اعترف بن جوريون فيما بعد. ولما تكرر خرق اليهود للهدنة صدرت الأوامر لسرية السودانيين بمهاجمة بيت دارس ليلة ٧ - ٨ يوليو. وهنا يكتب فى (يومية ٧ يوليو) أى فى صباح اليوم التالى للهجوم ملاحظته على أداء السرية قائلا:

«استطاعت القوة السودانية التسلل إلى البلدة وبدلا من أن يقوم القائد بإطلاق إشارة نجاح العملية أرسل إشارة طلب النيران الدفاعية فأطلقت المدفعية نيرانها على القوة السودانية ولم يحصل أى تعزيز وعادت الكتيبة بعد أن ذبحوا عددا من اليهود وأسر قائدها».

وبعد هذه العملية اتخذت القوات المصرية مواقع دفاعية جنوب تبة المغناطيس السـاعة الرابعـة صباحا (يومية ١٦ يوليو) لكن اليهـود «أخذوا يهجمون على طول الجبهات أثناء الليل وحركوا سـتة آلاف عسـكرى مددا أمام أسدود.. والرد من جانبنا خاسر». وتحصينا لموقـف اليهـود تقررت الهدنة مرة أخرى يوم ١٨ يوليو. وبعد عشـرة أيام أى فى يوم ٢٨ يوليو «نقض اليهود الهدنة السـاعة العاشرة صباحا عند الفالوجة.. إطلاق نار مستمر حتى الصباح.. أرادوا المرور إلى المسـتعمرات الجنوبية.. حدث اشتباك معهم بالمدفعية والطيران حتـى الغروب وخسـائراليهود كثـيرة» (يومية ٢٨ يوليو). ولقد ترتـب على الهجوم على الفالوجة قطع الاتصال بينها وبين عراق المنشية التى دخلها اليهود من الناحية الشرقية ثم انسحبوا منها بسبب مقاومة القوات المصرية مع الأهالى. كما فشل هجوم يهودى على جبل المكبر فى القدس بسبب المقاومة التى كان يقودها أحمد عبد العزيز.

وفى يومية ٢٣ أغسطس يقول إنه علم بمقتل أحمد عبد العزيز فى يوم ٢٢ أغسطس عند عودته من بيت لحم والحاصل كما يقول «إن أحمد عبد العزيز ومعه صلاح سالم والوردانى عادوا من مؤتمر العرب واليهود بالقدس لمقابلة اللواء النواوى وعندما اقتربوا من عراق المنشية حوالى الساعة الثامنة مساء فتحت عليهم نيران من المواقع المصرية فكان أحمد عبد العزيز هو الضحية». ثم يشرح هذا الخطأ القاتل ويلتمس العذر لمن أطلق النار فقال: «ولقواتنا بعض العذر لأن اليهود يخرقون الهدنة يوميا فى هذا المكان للعبور إلى المستعمرات الجنوبية».

ومن المثير للانتباه أنه لم يكتب عن نفسه شيئا من الإنجازات فى هذه اليوميات وكأنه رأى أن يترك هذا للتاريخ أو للغير ربما تمسكا بمأثور شعبى يقول «ما يمدح نفسه إلا إبليس». ففى (يومية ٢٤ سبتمبر) يقول إن قائد الكتيبة قام بإجازة وتسلم هو القيادة. وفى (يومية ٢ أكتوبر) يقول «معركة مع اليهود هزموا فيها.. وكانت سببا فى رفع الروح المعنوية.. التحموا مع اليهود وجها لوجه وانتصروا بدون خسائر.. وقال إن حسن التهامى وفايز يكن كانا فى حماية الجانب الأيمن للفصيلة وكان لطفى واكد من أسباب نجاح المعركة». مع أننا علمنا من مصادر الحرب أن العملية قامت بها الكتيبة السادسة بقيادته هو، وأنها استردت بلدة المحجر من اليهود وكانوا قد استولوا عليها فى أول أكتوبر.

ثم حاصر اليهود الفالوجة فى ١٦ أكتوبر أثناء الهدنة وهو الحصار الذى استمر ١٣٠ يوما كاملة، وشنوا هجوما على عراق المنشية واستعملوا لأول مرة الدبابات (يومية ١٨ أكتوبر). وهنا يشعر عبد الناصر بالغيظ والحنق على قيادته العسكرية فى إدارتها للحرب، ولا يجد إلا الورق يبثه آلامه وشجونه فيكتب فى يومية ٢٧ أكتوبر «القيادة تتخبط. أصدرت أوامر باحتلال بيت جبرين مع أننا أخطرناهم أن الطريق إلى بيت جبرين محتل بالعدو ولا توجد ذخيرة من يوم ١٦ أى منذ عشرة أيام (تاريخ حصار الفالوجة) ولكن برغم ذلك يتجاهلون ويصدرون أوامر.. هذه القيادة الهزيلة هى التى تسببت فى كل هذه المصائب.. والحقيقة أنه لا توجد قيادة للجيش المصرى فى فلسطين.. نفس التقاليد العتيقة ونفس المظاهر والتمثيل بدون إنتاج.. لا يوجد عسكرى واحد احتياطى ليستعيدوا به الموقف ففكروا فى شىء واحد وهو الهرب والنجاة بأنفسهم.. كان المواوى عاجزا تائه.. قائد بدون جنود وبدون جيش.. اللواء الثانى منعزل فى أسدود، واللواء الرابع منعزل فى النقب، واللواء الجديد فى مصر مدة خمسة أشهر وهو كل ما فكر فيه قادتنا.. لم يكمل تدريبه..».

ويواصل غضبه ويكتب فى اليوم التالى (٢٨ أكتوبر).. «منذ حصار الجيش فى ١٦ أكتوبر والجيش يطلب تعيينات وذخيرة بواسطة الطيران وبالرغم من أن طلباتنا لم تجب ولم يلتفت إليها فسنقاوم إلى آخر رجل.. لقد فقدنا الإيمان فى قيادة الجيش وقيادة البلاد.. هؤلاء المضللون المثلون.. ماذا عملوا بعد أن دخلنا الحرب.. لا شىء.. لم تصل أى إمدادات.. الأسلحة التى دخلنا بها هى هى.. إن اليهود أفضل آلاف المرات فبعد أن كانوا يدافعون عن أنفسهم ببنادق الرش أصبحوا قوة كبرى بها طيران ودبابات ومشاة مجهزة بالهاون ومعها مدفعية ثقيلة.. وعندما كانوا محاصرين قبل يوم ١٦ أكتوبر كانت طائرتهم فى الجو باستمرار لتموينهم.. أين سلاحنا الجوى.. لقد اختفى».

وبدأ اليأس يدب فى نفسه وزاد شعوره بالملل والضيق وكان قد أبدى هذا الملل من قبل فى يومية ٢٤ يوليو بقوله «ابتدأ الملل يسرى فى دمائنا.. الحالة اليومية متكررة.. الواحد بدأ يقرف من كل شىء ولا يعمل أى شىء».

ويأخذ الموقف فى الانهيار بشكل سريع حيث تعبر يومياته من ٣١ أكتوبر وحتى آخر يومية فى ٣٠ ديسمبر عن تداعيات الأمور ففى ٣١ أكتوبر يقول إن أحد قادة اليهود طلب منهم التسليم فرفضوا فطلب أخذ جثث قتلاه فسمحوا له وبعد أن أخذها بساعة نقضوا اتفاقية وقف القتال وضربوا عراق المنشية بالمدفعية واستمر الضرب من الشمال والشرق والجنوب، حتى لقد أصيب السودانيون بالذعر والانهزامية فقال عنهم فى يومية ٤ نوفمبر «اظهروا منتهى النذالة.. حضر عدد منهم.. روحهم المعنوية بطالة.. يقولون إذا لم ينته الحال فإنهم سيتركوا المواقع ولا يمنعهم من عمل ذلك إلا أن كل الطرق مقفلة.. الحالة تزداد سوءا.. العدو متفوق فى كل شىء ويتحرك كما يريد ونحن فى خنادقنا ندافع فقط ومحاصرين..».

ويتوالى تدهور موقف القوات المصرية، إذ تنسحب من المجدل إلى غزة ويدخل اليهود مستعمرة دير سنيد (يومية ٥ نوفمبر)، ويسقط اليهود منشورات يطلبون فيها التسليم (يومية ٦ نوفمبر)، ويلتقى أحد الضباط اليهود به رافعا علما أبيض ويطلب منه إخلاء عراق المنشية (يومية ١٤ نوفمبر) ويقول عبد الناصر إن هذا الضابط قال له «إن بريطانيا هى التى زجت بمصر لتحقق أغراضها وأنهم أى اليهود قد تمكنوا من طرد الإنجليز من فلسطين ويرجون أن نطردهم كذلك وأن نتعاون سويا..». وهذه العبارة تعكس فكرة

الحركــة الصهيونيه منذ البداية حيث زعم قادتها أنهم خاضوا حربا ضد الإنجليز لتحرير بلادهــم..!!. وفى اليوم التالى لهــذه المقابلة قال فى يومية ١٥ - ١٦ نوفمبر إنه «طلب من السـيد طه ضرب مواقع العدو بالمدفعية بقنابــل الانفجار الجوى ولكنه رفض وأنه لن يبدأ بالضرب.. ويعلق قائلا: «لم يســتمع أحد لكلامى.. إن أعصابهم جميعا مضطربة.. وللآن لم يتفهموا صفات العدو الذى نقاتله.. إنه لا يحفظ العهد.. كل غرضه تكبيدنا أى خسائر ممكنة ما دام الحكام غير موجوين..».

وفى الأسبوع الأخير من ديسمبر يتدهور الموقف أكثر وأكثر فقد قام اليهود بهجوم شامل تجاه العريش ورفح وخان يونس وطريق رفح - غزة الرئيسى للاستيلاء على صحراء النقب كلها (يومية ٢٢ ديسمبر) ثم سيطروا على تبة الوادى جنوب غرب العسلوج واحتلوا العوجه (يومية ٢٦ - ٢٧ ديســمبر) ثم احتلوا أبو عجيلة واتجهوا نحو الشمال الغربى إلى العريش لتطويق القوات المصرية من الغرب (يومية ٢٩ ديسمبر). وهرب أحد عشر عسكريا سودانيا من مواقعهم إلى الخليل، ورفض خمســة منهم العمل وأرادوا الذهاب إلى غزة فأرســلهم إلى الفالوجة (يومية ٣٠ ديسمبر). وهنا تتوقف اليوميات ويظل جمال مع قوته تحت الحصار حتى يخرجوا فى يوم ٢٦ فبراير ١٩٤٩م بعد عقد هدنة رودس فى ٢٤ فبراير ويتم الاحتفال بعودتهم فى موكب عسكرى فى مصر يوم العاشر من مارس ١٩٤٩م.

وهكــذا يبــدو واضحا ويقينيا أن فكــرة الإعداد للقيام بالثورة اختمــرت تماما فى ذهن عبد الناصر بعد حصار الفالوجة بعشــرة أيام وهذا من واقع يومياته وخاصة أيام ٢٧ - ٢٨ أكتوبــر، ١٥ - ١٦ نوفمبر. ومما يؤكد هذا أنه شــرع فى تكوين الهيئــة التنفيذية للضباط الأحرار من ســبتمبر ١٩٤٩م واجتمعت فى نهاية العام نفســه. ومما يؤكد هذا ما صرح به لكيرميــت روزفلــت رجل المخابرات الأمريكية من أنه والضباط الأحرار لن ينســوا الإذلال الذى لاقوه على أيدى الإســرائيليين عام ١٩٤٨م (راجع كتاب مايلز كوبلاند بعنوان «لعبة الأمم»). وقوله «كنا نحارب فى فلسطين ولكن أحلامنا كلها كانت فى مصر وكان رصاصنا يتجــه نحــو العدو الرابض أمامنا فى خنادقه ولكن قلوبنــا كانت تحوم حول وطننا البعيد الذى تركناه للذئاب ترعاه» (راجع أحمد حمروش، خريف عبد الناصر).

وإذا لم تكــن الحرب فى فلســطين ســببا للقيام بالثورة كما انتهينــا من واقع يوميات الحــرب فلماذا لم تقم من قبل خاصة وأن فكرة الثــورة وكراهيته للإنجليز بدأت معه فى

منتصف يناير ١٩٣٩م؟!. وأما ما نســب إليه أنه قال «ليس صحيحا أن ثورة يوليو قامت بســبب النتائج التى أسـفرت عنها حرب فلســطين» (راجع أحمد حمــروش. الأهداف الســتة للضبــاط الأحرار، بيروت ١٩٧٨م) فلا يمكــن أن يصمد أمام ما كتبه بخط يده فى يوميات الحصار.

□□□

عـبـد الـنـاصـر والـحـركـة الـشـيـوعـيـة الـمـصـريـة

عبد القادر ياسين

لا يــزال الالتباس يلف علاقة الزعيم الراحل، جمال عبد الناصر، بالحركة الشــيوعية المصريــة، برغم مرور نحو أربعة عقود على غياب أحــد طرفىّ العلاقة (عبد الناصر). وقد تضاربــت الآراء بصدد تلك العلاقة، فبينما أكد البعض علاقة عبد الناصر العضوية بمنظمة «حدتو» الشــيوعية المصرية، نجد آخرين يؤكدون العكس، حتى كادت الطاسة أن تضيع. ولا أعتقد أن هذه الدراســة ســتضع حدا نهائيا لذاك التضارب، وإن كنت أتمنى أن تحول دون ضياع الطاسة.

عشية حركة الجيش:

ما أن هلّ العام ١٩٥٠م، حتى انفرجت الأمور فى مصر، بعد أن اكتســح حزب الوفد الانتخابــات البرلمانية، أواخر ١٩٤٩م، وكلفه الملك فاروق بتشــكيل الحكومة، وكان أول ما فعلتــه حكومة الوفد، إلغاء الأحكام العرفية، فأفرج عن المعتقلين السياســيين، وهم من الشــيوعيين. فيما تعززت إرادة ضباط الجيش المصرى الغاضبين على النظام الملكى، الذى تســبب بقيادته، فى هزيمة الجيش فى حرب فلسطين الأولى (١٩٤٨م). وكما دبت الحياة فى الحركة الشــيوعية المصرية، فإن جمال عبد الناصر التقط فرصة لفظ حكومة الســعديين المســتبدة، صيف ١٩٤٩م، وعمد إلى تشــكيل «الضباط الأحرار»، أواخر العام نفسه، حين التقى أعضاء الخلية الأولى، فى أول اجتماع لهم، وكان هناك ضابط شــيوعى بين الضباط الخمسة المجتمعين، هو خالد محيى الدين.

المنظمات الشيوعية:

«حدتــو»، التى كانت تشــكلت، صيف١٩٤٧م، نتيجة اندمــاج «الطليعة المتحدة»مع «الحركــة المصرية للتحرر الوطنى» (ح.م.)، والأولى جــاءت نتيجة اندماج ثلاث منظمات شــيوعية، قبل أيام، هى «إيســكرا»، وقســم من «حركة تحرير الشــعب» (ح.ت. ش.)،

وقسم آخر من «القلعة». ولأن وحدة «حدتو» لم تتم على أسس سليمة، واتسمت بالتسرع، فإن التناقضات سرعان ما انفجرت داخلها، واستفحلت، باطراد، مع دخول الجيش المصرى الحرب في فلسطين، والهزيمة التى حاقت به. وتجلت أزمة «حدتو» فى الانشقاقات المتوالية التى خرجت منها، حتى بلغت اثنى عشر انشقاقا، فى أقل من سنة ونصف، بدءا من فبراير/ شباط ١٩٤٨م[1].

بعد نحو ٢٨ حالة انشطار، واستنكاف، وخروج، وارتداد عن «حدتو» فى المعتقل وخارجه[2]، خرجت منه، مطلع ١٩٥٠م، خمس قيادات من «حدتو»، هم: سيد سليمان رفاعى/ محمد شطا/ كمال عبد الحليم/ مبارك عبده فضل/ فؤاد حبشى. وبعد ضم «نحو حزب شيوعى مصرى» (نحشم) إلى «حدتو»، انضم إلى المفرج عنهم من قيادة (كبار نحشم) كلٌ من زكى مراد، وأحمد الرفاعى. وتصدت المجموعة لإعادة الروح إلى «حدتو»[3].

وربما كان التنظيم الشيوعى التالى لحدتو فى الحضور هو «طليعة العمال»، الذى تأسس، عبر مؤتمره، فى سبتمبر/ أيلول ١٩٤٦م، باسم «الطليعة الشعبية للتحرر»، التى اعتمدت السرية التامة، ثم غيَّر التنظيم اسمه، فى عام ١٩٤٩م، إلى «الديمقراطية الشعبية»، حين تمت الوحدة بين «الطليعة» والقسم الذى لم ينضم إلى «إيسكرا» من (ح.ت.ش.)، وفى بداية الخمسينيات، استقرت قيادة المنظمة على إظهار اسم «طليعة العمال»، وفى صيف ١٩٥٧م عقدت المنظمة مؤتمرها، واختارت اسم «حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى» (ع. ف.)[4].

وربما فى المرتبة الثالثة، من حيث الحجم والحضور، جاءت منظمة «الحزب الشيوعى المصرى»، التى تأسست مطلع ١٩٥٠م، بالتقاء ستة روافد، من انشقاقات، أواخر أربعينيات القرن العشرين (التكتل الثورى/ العمالية الثورية/ العصبة الماركسية/ طليعة الإسكندرية/ من بقى من «حدتو»/ «نحو حزب شيوعى» نحش). وتميَّز نشاط الحزب برد الاعتبار للنظرية الماركسية – اللينينية، وتسخيرها فى قراءة الواقع، والاهتمام بتثقيف أعضاء الحزب، والانتظام فى إصدار جريدة الحزب السرية «راية الشعب»، مع الحرص الشديد على أن يظل التنظيم محكما. لكن هذا كله لم يمنع خط «الشيوعى المصرى» و أداءه من الاتسام بشيء من التشدد، خاصة حين استبعد الحزب البرجوازية الوطنية المصرية من قوى الثورة[5].

ومـن جهة أخرى خرج بعـض الغاضبين من أعضاء «حدتو» مـن المعتقل (١٩٥٠م)، ليؤسسوا «النجم الأحمر الشيوعى»، الذى ضم ما بين ٤٠ - ٥٠ عضوا، ٦٠ فى المئة منهم عمـال. وبعـد نحو عام اعتقل الأمين العـام للنجم، عدلى جرجس، وغـداة حريق القاهرة (٢٦/ ١/ ١٩٥٢م)، طالت الاعتقالات النسبة الأكبر من أعضاء «النجم»[٦].

وخـرج غاضبـون آخـرون - على رأسـهم فخـرى لبيـب - ليتوجهـوا إلى «العصبة الماركسـية»، ولكنهم سـرعان ما وجدوا أنفسـهم خـارج «العصبة»، فتجمعوا، وأسسـوا «طليعة الشيوعيين المصريين»[٧].

أما أول انقسـام فى الحركة الشـيوعية المصرية، فكان سنة ١٩٤٧م، وحمل اسم «نواة الحزب الشـيوعى المصـرى»، بذريعة مواجهة تفـكك «الحركة المصريـة للتحرر الوطنى» (ح. م). وقد اسـتبعدت «النواة» الأجانب من قيادتها، وعملت على إيكال مهام لهم بعيدا عن الجماهير، بسبب عوائق اللغة، والتكوين الطبقى، والتقاليد. ودعت «النواة» إلى القضاء علـى النظام الرأسمالى الملكى، ودحر الاسـتعمار العالمى - سـند النظـام القائم فى مصر - بالثورة المسلحة، وإقامة الجمهورية الديمقراطية الشعبية[٨].

علاقة استخدام:

التقط المخبرون، عشـية «حركة الجيش»، «شخصا طويل القامة، معقوف الأنف، يلبس البنطلون والقميص، ويتصل ببعض الشيوعيين، ومنهم سيد سليمان رفاعى (الرجل الأول فى «حدتو»)، وآخرين». وتوصلت المباحث إلى أن الاسـم السـرى لهذا الشخص هو «موريس». وبعـد قيـام «حركة الجيش»، واسـتتباب الأمر لهـا، إلى حد بعيد، حمل مسـئول مكتب مكافحة الشـيوعية، الصاغ حسـن المصيلحى، تقريره حول قضية شيوعية، تم ضبطها، يوم ٢٨/ ٢/ ١٩٥٣م، وتوجه، يوم ٢/ ٣/ ١٩٥٣م، إلى الثكنات العسكرية بميدان التحرير. وكانت صدمة المصيلحى كبيرة، حين اكتشـف بأن موريس ليس إلا عبد الناصر، بشـحمه ولحمه. وعرض المسـئول الأمنى القضية التى جاء من أجلها، ومعها قضية موريس، هنا سـأل أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة المصيلحى: «هل قمت بضبطه؟!». نفى المصيلحى، وحمد الله![٩].

فمـا حقيقة عضوية عبد الناصر فى «حدتو»، بالاسـم السـرى «موريـس»؟!.. لم يقل المصيلحى إلا الحقيقة، هذه المرة، لكن تلك لم تكن إلا نصف الحقيقة. ولنبدأ حكاية علاقة عبد الناصر بحدتو من أولها.

على مدى الأشهر الثلاثين التى سبقت «حركة الجيش»، حرص عبد الناصر على إقامة صلة قوية بالشيوعيين، شأنه مع بقية القوى السياسية المؤثرة فى مصر، آنذاك، كالوفد، والإخوان. لدرجة جعلت بعض قادة «حدتو» يرشحون عبد الناصر وعبد الحكيم عامر لعضوية قسم الجيش فى «حدتو».

ولقد كان عبد الناصر شديد الإعجاب بالشيوعيين، بفكرهم، وقدراتهم السياسية، ومهاراتهم التنظيمية، وصلابتهم، وإن أخفى عبد الناصر – على مدى الأشهر السابقة على «حركة الجيش»– عداءه للحزبية، أيا كانت، أغلب الظن لأن الحزب – أى حزب – سيعطل لعبد الناصر مشروعه السياسى، حتى لو كان الحزب المعنى متطابقا مع مشروع عبد الناصر، فما بالك لو أن الحزب اعترض طريق مشروع عبد الناصر؟!

لذا نجد عبد الناصر يقيم علاقة حميمة، متميزة، ومبكرة، بخالد محيى الدين، وهو يعلم انتماءه لحدتو، ومن قبلها لإيسكرا، حتى إن عبد الناصر سمى ابنه البكر خالد. وفى المرتين التى التقى فيهما عبد الناصر بالمسئول السياسى لحدتو، سيد سليمان رفاعى (بدر)، بُهِرَ عبد الناصر به، أيما انبهار، وإن استهجن، لاحقا، تولى ميكانيكى أمر قيادة الحزب[١٠]. وكانت المقابلة الأولى مصادفة، فى منزل مسئول الجيش فى «حدتو»، المستشار أحمد فؤاد[١١]، وفى المرة الثانية التقى به بطريق الصدفة، أيضا، فى منزل المسئول الشيوعى نفسه، وكان ذلك عقب حريق القاهرة، مباشرة، وإقالة حكومة الوفد، وإعلان الأحكام العرفية، وما رافقها من حملة اعتقالات واسعة لقيادات وكوادر من «الوطنى الجديد»، و«مصر الفتاة»، والمنظمات الشيوعية. وقد استشار عبد الناصر بدر فيما إذا كانت الأوضاع مواتية لتنفيذ «حركة الجيش»، حينذاك، رد بدر بالسلب، مستندا فى ذلك إلى حالة الجزر الثورى التى كانت تأخذ بخناق مصر، آنذاك[١٢].

بيد أن إعجاب عبد الناصر بالشيوعيين، لم يمنعه من محاولة التسلل إليهم، وزرع أعوان له وسطهم، لمعرفة أسرارهم[١٣]. وحين ارتاب عبد الناصر فى احتمال ارتباط البكباشى يوسف صِدِّيق بحدتو، قام عبد الناصر وعبد الحكيم عامر بحركة بوليسية، للتأكد من هذا الارتياب، فى الأسبوع السابق على «حركة الجيش»[١٤]. وهى العلاقة التى لم يكتشفها عبد الناصر، إلا صدفة، بعد قيام (الثورة) بأيام قليلة. فانقلب على صِدِّيق، على النحو المعروف.

أخذت «حدتو» على عاتقها أمر طباعة منشورات «الضباط الأحرار»، منذ أوائل

سنة ١٩٥٠م، فضلا عن توزيع تلك المنشورات على صناديق منازل ضباط الجيش. إلى ذلك كانت «حدتو» مَن صاغَ برنامج «الضباط الأحرار»، في سبتمبر/ أيلول ١٩٥١م[١٥].

والمعروف أن عبد الناصر قد أبلغ أحمد حمروش بساعة الصفر لحركة الجيش، حتى يبلغها الأخير لقيادة «حدتو»، التى تهيأت للأمر[١٦]، وفى اليوم التالى للثورة، أصدرت «حدتو» منشورها السرى المؤيد للثورة، بعنوان «جيش عرابى وجه عرابى»[١٧]. لكن عبد الناصر أبلغ، أيضا، الإخوان المسلمين بساعة الصفر، وطلب إلى المرشد العام، آنذاك، حسن الهضيبى، بأن يتولى رجال التنظيم الخاص فى الإخوان حراسة الكبارى، خشية تدخل القوات البريطانية الموجودة فى قناة السويس، لصالح الملك، ولإحباط «حركة الجيش»[١٨].

كما لم يعد سرا أن قائد الجناح على صبرى قام بإبلاغ السفارة الأمريكية بتحرك القوات المسلحة المصرية، مساء ٢٣ يوليو ١٩٥٢م. مما يؤكد بأنه لم يكن الاتصال الأول لقيادة الضباط الأحرار بالأمريكان، إذ لا يعقل أن يدق صبرى باب السفارة، ليخبرهم بشأن لا سابق معرفة لهم به.

الصدام المنطقى:

ومن المعروف أيضا أن البكباشى يوسف صِدِّيق قد اقترف خطأ فى غاية الجودة، حين تحرك بقواته من الهايكستب، بضواحى القاهرة، إلى مقر قيادة الجيش بكوبرى القبة، قبل ساعة الصفر بساعة كاملة، فأنقذ «حركة الجيش»، وتمكن من إلقاء القبض على كل قادة الجيش، المجتمعين هناك، فأحبط محاولتهم اغتيال «حركة الجيش». وفى الوقت الذى أعطت «حدتو» صوتها لحركة الجيش، فإن «الحزب الشيوعى المصرى» اعتبرها فاشية، فيما لم تر فيها «طليعة العمال» إلا «انقلابا عسكريا». ولم تخرج المنظمات الثلاث المتبقية (النجم/ الطليعة/ النواة) عن تقييميّ «المصرى» و«طليعة العمال».

ويحلو للبعض أن يشجب موقف المنظمات الخمس المبكر من «حركة الجيش». ويتغافل هذا البعض عن أن «٢٣ يوليو» لم تبدأ حركة تقدمية، بل إنها مرت بثلاث مراحل، امتدت أولاها حتى منتصف عام ١٩٥٥م، عندما فقدت الأمل فى الولايات المتحدة، فى أمر تنمية مصر، وبعد أن تأكد عبد الناصر من العلاقة العضوية الحميمة بين الإدارة الأمريكية وإسرائيل، التى اتضح مدى خطرها على مصر، بمجرد أن رفضت أمريكا مدَّ مصر بالأسلحة، لرد الاعتداءات العسكرية الإسرائيلية المتوالية على قطاع غزة وسيناء،

وآخرها العدوان الإسرائيلى على مدينة غزة، فى ٢٨ فبراير ١٩٥٥م، والذى سقط فيه ٣٩ شهيدا مصريا وسودانيا وفلسطينيا.

فيما جاء عبد الناصر إلى الحكم، سنة ١٩٥٢م، وهو يأمل فى تحديث مصر، بالاعتماد على الولايات المتحدة، لذا كان هذا الحضور الأمريكى الملحوظ فى «حركة الجيش»، والنظام الذى أتت به. فأولا السفير الأمريكى فى مصر، جيفرسون كافرى، نصح الملك فاروق بضرورة الإذعان لمطالب «حركة الجيش»، وثانيا كان حضور كافرى – دونا عن كل سفراء العالم فى القاهرة – مع اللواء محمد نجيب (رئيس مجلس قيادة الثورة)، وعلى ماهر باشا (رئيس الوزراء) فى وداع فاروق، مساء ٢٦ يوليو ١٩٥٢م. وثالثا ثمة التدخل الأمريكى فى لجم الإنجليز، ومنعهم من التصدى لحركة الجيش. ورابعا كان حضور كافرى حفل عشاء لمجلس قيادة الثورة، فى منزل البكباشى عبد المنعم أمين. وخامسا جاء تعيين عبد المنعم أمين عضوا فى «مجلس قيادة الثورة»، يوم التحرك، لإثبات حسن نية حركة الجيش تجاه الأمريكان. وسادسا كان ذلك الموقع المتميز عند «حركة الجيش» لرجال الولايات المتحدة من بين المصريين (على ومصطفى أمين، ومحمد حسنين هيكل). وسابعا إذعان «مجلس قيادة الثورة» لأمر كافرى، بالعدول عن تكليف القانونى المصرى الشهير، عبد الرازق السنهورى بتشكيل الوزارة، خلفا لعلى ماهر (سبتمبر/ أيلول ١٩٥٢م)، لمجرد أن السنهورى كان ضمن الموقعين على «نداء ستوكهولم للسلام». وثامنا ثمة العداء للشيوعية، الذى ارتفع منسوبه على يد «حركة الجيش»، الأمر الذى تجلى فى استثناء الشيوعيين من الإفراج عن المعتقلين السياسيين، فضلا عن كتابة عبد الناصر، بنفسه، مقدمة كتاب «حقيقة الشيوعية»، التى جاءت تكرارا لما يروجه الأمريكان عن الشيوعية من افتراءات. وتاسعا فى العداء للعمال من حيث المماطلة فى انعقاد المؤتمر التأسيسى للاتحاد العام لنقابات العمال (سبتمبر/ أيلول ١٩٥٢م)، ناهيك عن إعدام خميس والبقرى، مقابل الاكتفاء بحبس من اتهم بتحريضهما، ربما لأنه ابن حافظ عفيفى باشا، بل إن المالك الكبير، عدلى لملوم، رفع السلاح، وأطلق النار، على من جاءوا لتنفيذ «الإصلاح الزراعى». ومع ذلك تم الاكتفاء بحبسه بضعة أشهر. وعاشرا رفع نسبة المساهم الأجنبى، فى أى شركة من ٤٩ إلى ٥١ فى المائة، بذريعة تشجيع رأس المال الأجنبى، الذى لم يفد منه إلى مصر، حتى سنة ١٩٥٧م، سوى ٢,٥ مليون دولار، فقط، وفى مجال البترول فحسب. فضلا عن عدم إمكانية التغافل عن إلغاء الهامش الديمقراطى الذى كان قائما، آنذاك أيا كانت سلبياته[١٩].

هــذا فيما أوغلــت قيادة «حدتو» فى تأييد حركة الجيش، حتى إن الأولى طالبت عمال كفر الدوار بالتزام الهدوء. وحين اســتقالت حكومة على ماهر، أشاعت قيادة «حدتو» بأنه ســيطلب إليها أن تشــارك بثلاثة وزراء فى الوزارة الجديدة[20]، الأمر الذى لم يحدث. بل العكس هو الذى حدث، إذ طلب عبد الناصر إلى مكتب مكافحة الشيوعية – بمجرد نجاح حركة الجيش – ضرب المطبعة الســرية التى تمتلكها «حدتو»، والتى كانت تطبع للضباط الأحــرار منشــوراتهم. وفعلا ضبطت المطبعــة، ومعها الاثنين العاملــين فيها، علاوة على مندوب الاتصال، الذى كان يسلم منشورات الضباط الأحرار، بعد طباعتها، لعبد الناصر، قبــل قيام الحركة. وحــين ذهب اثنان من قادة «حدتو»، هما كمــال عبد الحليم، وأحمد رفاعى، يشــكون ما اقترفه مكتب مكافحة الشــيوعية ضد رفاقهم، طلب إليهم عبد الناصر ترشــيح ضابط شــرطة من رفاقهما، حتى يتولى إدارة «مكتب مكافحة الشــيوعية»، فأسرع عبد الحليم، وأعطى عبد الناصر اسم الصاغ (الرائد) يوسف عز الدين، مدير مباحث مركز «ببا» بنى سويف، وبدأ مكتب مكافحة الشيوعية فى مراقبة عز الدين، لعل المكتب يصطاد غــيره من ضباط الشــرطة، الذين يتصل بهــم. وانتهى الأمر باعتقالــه، ومحاكمته وطرده من الخدمة[21].

ومنذ إعدام خميس والبقرى، أخذ التمايز يتســارع فى صفوف قيادة «حدتو». وســرعان ما خرجــت مجموعة من قســم الطلبة فى «حدتو»، قادها طالب الطــب، إبراهيم فتحى، وشكلوا منظمة جديدة، أطلقوا عليها اسم «وحدة الشيوعيين»، لتلحق بهم مجموعة معترضة أخرى من «حدتو»، بقيادة جمال البخارى، حملت اسم «نحشم الجديدة». عدا من غادروا «حدتو» محتجين، لينضموا إما للحزب الشــيوعى المصــرى أو إلى «طليعة العمال». ووصل الصــدام ذروتــه داخل اللجنة المركزية لحدتو، حتى أقدم قســم من هذه اللجنة على وقف الأمــين العام لحدتو ورفاقه المعترضين الأشــد لتأييد «حدتــو» حركة الجيش، ومع بدر تم إيقاف كل من مِســلّم، وعلى، وشــكرى، وصدقى، ويوسف، وهَمَّام، بتهمة قيامهم «بعمل تكتلــى»، وذلك فى ٢٨/ ٦/ ١٩٥٣م، وشــكل الموقوفون «حدتو – التيــار الثورى»، التى رفعت عاليا راية معارضة «حركة الجيش»[22].

اشــتدت الضغوط على من تبقى فى «حدتــو»، من كل صوب وحدب، أولا من الحركة الشيوعية العالمية، وثانيا من المنظمات الشيوعية المصرية، وثالثا من قواعد «حدتو» نفسها،

ورابعــا من حركة الجماهير المصرية وقواها السياســية المعارضة. ثم كان أن أقدمت «حركة الجيش» على توسيع رقعة الاعتقالات ضد الشيوعيين. ومن ضمنهم يوسف صديق، وأحمد حمروش، مما دفع قيادة «حدتو» إلى تعديل خطتها الموالية لحركة الجيش إلى معارضتها.

ومن منطلق «مكنش العشــم»، وجهت «حركة الجيــش» ضربة موجعة لقيادة «حدتو». واعتقلت النسبة الأكبر منها في السجن الحربى، حيث تعرضت لتعذيب غير مسبوق. مما أثَّرَ، ســلبيا، على القوى العقلية لثلاثة منهم حتى شــارفوا على الجنون. وسرعان ما مات اثنان منهم، متأثرين بإصابتهما، تلك[٢٣].

من الذى عدَل؟!

معروف أنه ترتب على العدوان الإسرائيلى على غزة (٢٨/ ٢/ ١٩٥٥م) انتفاضة شعبية عارمــة، غطت قطاع غزة، من أقصاه إلى أقصــاه، ثلاثة أيام متصلة، ولم تتوقف، إلا بعد أن وعــد عبد الناصــر قيادة الانتفاضة بتنفيذ كل مطالبها. فيمــا أصدر الحاكم العام لقطاع غزة، اللواء عبد الله رفعت، بيانا أقســم فيه بشــرفه العسكرى «ألا يعتقل أو يحاكم إلا كل مــن أحرق أو أتلف عن عمد»، ومع ذلك فإن أجهزة الأمن شــنت حملة اعتقالات، طالت ٦٨ من نشطاء الانتفاضة، كان ١٨ منهم شيوعيين، ومثلهم من الإخوان، والباقى كانوا من المستقلين[٢٤].

مــع ذلــك لم يفِ عبد الناصر بما تعهد به لقيادة الانتفاضة فحســب (تحصين القطاع/ تسليح أهله وتدريبهم/ إلغاء «مشروع سيناء» لتوطين اللاجئين)، بل زاد، بأن شكل وحدات للفدائيين الفلســطينيين، منذ إبريل/ نيســان ١٩٥٥م، عهد بقيادتهــا إلى قائد المخابرات العســكرية المصرية فى قطاع غزة، البكباشــى مصطفى حافظ، وحملت تلك الوحدات اسم «الكتيبة ١٤١»، وألحقت بإســرائيل، فى بضعة أســابيع، نحو ألف وأربعمائة قتيل[٢٥]. كما عقد عبد الناصر، خريف العام نفســه، «صفقة الأسلحة التشيكية»، فكسر بها احتكار الغرب للسلاح فى الشرق الأوسط، ما وضعه فى مواجهة مع الغرب الاستعمارى، احتدمت، بعد أن اعترف عبد الناصر بالصين الشعبية (١٦/ ٧/ ١٩٥٦م)، وأمم قناة السويس، بعدها بعشــرة أيــام. وكان عبد الناصر قد توصل إلى صفقة الأســلحة، عبر رئيــس وزراء الصين الشــعبية، شــواين لاى، حين التقيا فى «مؤتمر باندونج»، فى إبريل/ نيســان ١٩٥٥م، وهو المؤتمر الذى تجلت فيه السمات التقدمية لعبد الناصر.

نعود إلى التنظيمات الشيوعية المصرية، التى أنهى تطابق موقفها السياسى المعارض لحكومة يوليو مبرر تبعثر تلك التنظيمات. وفى فبراير/ شباط ١٩٥٥م، اتحدت منظمات: «حدتو - ت. ث.»، و«نواة الحزب»، و«النجم الأحمر»، و«طليعة الشيوعيين»[٢٦]، وتلكأت «حدتو» إلى ما بعد قيام الحزب الموحد بأيام، لتنضم إليه. وهكذا ولد «الحزب الشيوعى المصرى الموحد».

وكانت «حدتو» قد فصلت كمال عبد الحليم خليل من عضويتها، بعد قضية «بيان السجن الحربى»، وقد حاول عبد الحليم الالتحاق باللجنة المركزية الاحتياطية، بعد الإفراج عنه من السجن الحربى، دونا عن بقية رفاقه المعتقلين. لكن هذه اللجنة قطعت عليه الطريق، ثم سرعان ما وجه إليها الأمن ضربة، فى ٢٤/ ١٢/ ١٩٥٤م، أدت إلى اعتقال كل أعضائها. ولم يفقد عبد الحليم الأمل، فاقترح على حكومة الثورة الاستعانة برفاق له فى السجن، للتعاون مع «الحزب الشيوعى السودانى» فى صحيفته «الميدان»، بعد أن خدع رئيس الحزب الوطنى الاتحادى السودانى، إسماعيل الأزهرى، حركة الجيش المصرى، وأدار ظهره للوحدة مع مصر. هنا استدعى وزير الإرشاد القومى وشؤون السودان، الصاغ صلاح سالم، أحد أهم كتاب «حدتو» السياسيين من السجن، وهو فتحى خليل إبراهيم، وعرض عليه الأمر، فاستمهله إبراهيم، حتى يستشير قيادته. واللافت للنظر أن صلاح سالم تظاهر بأنه صعق لرؤية منظر إبراهيم، وهو فى أسماله المزقة، حاف. ورغم أن الوزير أرغى وأزبد، واتهم المباحث بهذه المعاملة المهينة، فإن المعاملة فى المعتقلات ظلت على حالها، ولم تتغير[٢٧].

وبعد حين وافقت قيادة «الموحد» على خروج أربعة رفاق، هم: يوسف إدريس، وزهدى العدوى (كاريكاتيريست شهير)، وفتحى خليل، وإبراهيم عبد الحليم (كاتب)[٢٨].

على أن «الحزب الشيوعى السودانى» رفض الفكرة، من أساسها، كما أن حكومة يوليو أطاحت بصلاح سالم، فجأة، بعد أيام، فكسب الأربعة الإفراج، وإن أضيفت تهمة جديدة لكمال عبد الحليم[٢٩].

وبمجرد تأميم عبد الناصر لقناة السويس، والإفراج عن كل المعتقلين الشيوعيين، أجمعت المنظمات الشيوعية على تأييده، وأعيد كمال عبد الحليم قائدا فى «الموحد». وزالت العوائق من أمام وحدة الحركة الشيوعية المصرية. وقد بدأت التنظيمات الثلاثة الرئيسية (الموحد/ المصرى/ ع. ف.)، منذ أواخر ١٩٥٦م، بإنشاء مكتب تنسيق، تمهيدا لوحدة هذه

التنظيمات، فاتحد «المصرى» و«الموحد» أولا، فى صيف ١٩٥٧م، وفى ٨/١/١٩٥٨م، اكتملت وحدة التنظيمات الثلاثة[٣٠]. فيما بدأت «وحدة الشيوعيين» و«الطليعة الشعبية الديمقراطية» مسيرة الوحدة المتمهلة بينهما، بفتح باب الحوار حول القضايا الأساسية، على صفحات نشرة للحوار، قبل عقد مؤتمر يوحد المنظمتين، بعد أن يعتمد استراتيجية، وبرنامج سياسى، ولائحة داخلية[٣١]. لكن الحوار استمر، دون أن تتحقق وحدة (و. ش.) و (ط. ش.).

وفى الوقت الذى توهم فيه الشيوعيون المصريون بأن ثمة «جبهة وطنية» تجمعهم مع النظام الناصرى، فإن الأخير كان قد هادنهم، إلى حين، ليس إلا. وحين جرت الانتخابات النيابية المصرية الأولى بعد الثورة، صيف ١٩٥٧م، تشكلت لجنة، ضمت أربعة ضباط، هم: البكباشى جمال عبد الناصر، واللواء عبد الحكيم عامر، وزكريا محيى الدين، وكمال الدين حسين، وشطبت هذه اللجنة كل من لم يرق لها، ومن بينهم الشيوعيين، وإن طلب عبد الناصر وعامر استثناء د. عبد العظيم أنيس من هذا الشطب، نظرا لمواقفه الوطنية الجسورة فى لندن، غداة تأميم القناة، وإن اعترض محيى الدين على هذا الاستثناء، وترجم اعتراضه بتشغيل أجهزة وزارة الداخلية، التى كان يترأسها، فى تزوير فاضح، منع أنيس من الوصول إلى مجلس الأمة[٣٢].

كما أن زعيم الحزب الشيوعى السورى، خالد بكداش، زار مصر، ضمن وفد نيابى سورى، ترأسه الزعيم البعثى المعروف، رئيس مجلس النواب السورى، آنذاك، أكرم حورانى، فى صيف ١٩٥٧م، وسأل بكداش عبد الناصر، لماذا لا يسمح بقيام حزب شيوعى مصرى؟ فرد عليه الرئيس المصرى: «يا ريت كان عندى واحد مثلك فى التنظيمات الشيوعية المصرية، وأنا أعطى له من الصبح ترخيص الحزب»! اللافت أن عبد الناصر، حين قامت الوحدة المصرية – السورية، أصرَّ على حل «الحزب الشيوعى السورى»، ضمن بقية الأحزاب، فضلا عن إلغاء حرية الصحافة فى سوريا، ونسى كلامه لبكداش. بل إن عبد الناصر كان قد طلب من خالد محيى الدين أن يرأس تحرير جريدة «المساء» خريف ١٩٥٦م، على أن تكون يسارية، «بس ما تكونش يسارية زى خالد بكداش، عايزين حاجة يسارية معتدلة»[٣٣]! وبعد أيام من زيارة الوفد البرلمانى السورى، زار وفد من «الجبهة المعادية للاستعمار» فى السودان مصر، والتقى عبد الناصر، وألح الوفد على أهمية وجود

حزب شيوعى مصرى، فتذرع عبد الناصر بوجود يهود فى بعض التنظيمات الشيوعية المصرية. ووصل الحوار بين الوفد والزعيم المصرى إلى طريق مسدود، رغم امتداده لنحو سبع ساعات، فيما لم يكن مقررا له سوى نصف ساعة.

صدام الحليفين:

حين تحققت الوحدة المصرية –السورية (٢٢/ ٢/ ١٩٥٨م) هللت لها كل الأحزاب السورية، ووجد فيها، كلٌ من عبد الناصر وشكرى القوتلى[٣٤]، فرصة لضرب الشيوعيين، والتخلص منهم. وأطل الصدام مع الشيوعيين السوريين برأسه، حين رفضوا حل حزبهم، شأن بقية الأحزاب السورية. وإن أعطى الحزب تعليماته لأعضائه بضرورة التصويت للوحدة. لكن بكداش أشهر تحفظاته الديمقراطية، بأن تغيب عن جلسة مجلس النواب المخصصة للتصويت على الوحدة، وسرعان ما غادر سوريا[٣٥]. هكذا خرجت «الديمقراطية» من مكمنها، وغدت محور خلاف، احتدم باطراد بين نظام عبد الناصر والشيوعيين.

ثم انتصرت ثورة العراق الوطنية (١٤/ ٧/ ١٩٥٨م)، وألح عبد الناصر على ضرورة دخول العراق فى وحدة اندماجية فورية مع دولة الوحدة (الجمهورية العربية المتحدة)، لكن قائد الثورة العراقية، عبد الكريم قاسم، يؤيده «الشيوعى العراقى»، و«الوطنى الديمقراطى»، وبعض «الاستقلال» اقترحوا اتحادا فيدراليا، يراعى الفوارق والاختلافات، ويعمل على إزالتها، وصولا إلى الوحدة الاندماجية المدروسة[٣٦]. وتصاعدت الحملة الدعائية والأمنية. فاعتقل فى القاهرة ثمانية شباب شيوعيين مصريين، فى ٢٣/ ٩/ ١٩٥٨م، دأبوا على حضور مؤتمرات «الاتحاد القومى» فى مصر، والهتاف للجبهة الوطنية والديمقراطية[٣٧]. واستدعى رأس الاتحاد القومى، أنور السادات، أحد قادة الحزب الشيوعى المصرى، وهو محمود أمين العالم، وطلب إليه الانحياز للاتحاد القومى، ولما رفض طلب السادات حل «الحزب الشيوعى المصرى»، وانضمام أعضائه فرادى، إلى «الاتحاد القومى». وحين سأل العالم السادات عن تقييم حكومة ثورة يوليو للشيوعيين، وعما إذا كان يعتبرهم وطنيين أم لا؟! ارتبك السادات، ونهض ليسأل عبد الناصر، عبر الهاتف، عن هذه المعضلة! وعاد إلى رهينته، ليؤكد له بأن النظام يرى أن الشيوعيين وطنيين، هنا أصر العالم على حقهم فى تكوين حزبهم المستقل. فأرغى السادات وأزبد، وتوعد الشيوعيين بمصير الإخوان المسلمين[٣٨].

ثم بدأ كل من محمد حسنين هيكل، وعبد الله الريماوى الأمين القطرى لحزب البعث فى الأردن، من القاهرة الحملة الدعائية ضد الشيوعيين، فطلب هيكل إلى الشيوعيين إغلاق أفواههم[٣٩]، فيما ربط الريماوى بين خطة اليسار وخطة الاستعمار[٤٠]. وأوصل عبد الناصر الحملة الدعائية إلى ذروةٍ أخرى، بخطابه فى بورسعيد، بمناسبة عيد النصر (٢٣/١٢/١٩٥٨م)، وفيه ندد بموقف «الحزب الشيوعى السورى» من الوحدة، وغمز من قناة نظام بغداد الثورى الجديد. وتضمن خطابه تهديدا ووعيدا للشيوعيين[٤١].

وفى ليلة رأس سنة ١٩٥٩م، شنت أجهزة الأمن فى سوريا ومصر حملة اعتقالات واسعة، طالت القيادات والكوادر الوسطى الشيوعية. وحين فشل عبد الوهاب الشواف فى انقلابه بالعراق (٩/ ٣/ ١٩٥٩م)، ألقى عبد الناصر خطابا ناريا فى دمشق، قال فيه: «أين هم الشيوعيين العملاء؟! لقد تبخروا، أو ذهبوا للقاء ربهم!». فى إشارة واضحةٍ إلى أنهم كانوا يتعرضون لحملة تعذيب بشعة فى معتقلات «المتحدة»!، ونزل الكُتَّاب الموالون للولايات المتحدة فى أرجاء الوطن العربى، بثقلهم فى سكب الزيت على نار الخلافات العراقية – المصرية، فانهار التحالف القومى – اليسارى، على مدى الوطن العربى، وهو التحالف الذى صنع النهوض العربى، منذ أواسط خمسينيات القرن العشرين، وحتى أواخر ١٩٥٨م.

وبعد فشل الشواف، صَعَّدَت أجهزة الأمن أساليب التعذيب، ووسعت حملات الاعتقال، فشنت حملة أُخرى، فى ٢٧/ ٣/ ١٩٥٩م، وامتد نشاطها إلى قطاع غزة، الذى كان الحزب الشيوعى فيه قد رحب بالوحدة المصرية – السورية، وألح – فى منشور له – على أن تُضَم فلسطين لدولة الوحدة، تحت إسم «الإقليم الأوسط»، حتى يصبح تحريرها مهمة «المتحدة». وطالت حملة ٢٣/ ٤/ ١٩٥٩م، ثمانية عشر من قادة وكوادر الحزب الشيوعى وأصدقائه، فيما طالت حملة ١٠/ ٨/ ١٩٥٩م، ثلاثة عشر كادرا آخر، وأودعوا جميعا السجن الحربى، بالعباسية، فى ضواحى القاهرة، قبل نقلهم إلى سجن المحاريق، فى الواحات الخارجة، فى ٢٦/ ٨/ ١٩٦٠م. واللافت أن اعتقال المجموعتين لم يتم إلا بعد استئذان قيادة القوات الدولية فى قطاع غزة[٤٢].

وغنى عن البيان القول بأن القمع غير المسبوق، والتعذيب الهائل قد دفع قيادتىّ الحزبين الشيوعيين فى مصر وسوريا، خطوة فى اتجاه فوق اليسار، فصدر مشروع

الخطة السياسية، عن قيادة الحزب الشيوعى المصرى، فى مايو/ آيار ١٩٥٩م، وفيها أعيد تقييم نظام حكم عبد الناصر باعتبار أنه غدا يخدم، أساسـا، الفئات العليا من الرأسمالية الكبيرة، الاحتكارية وشبه الاحتكارية[٤٣]. فيما أخذت قيادة «حدتو» خطوة نحو اليمين. فبعد أن كانت ترى بأن عبد الناصر يمثل الجناح اليسارى من البرجوازية الوطنية (أى البرجوازية الصغيرة)، بدأت تلك القيادة ترى، منذ خريف ١٩٦٠م، بأن عبد الناصر نفسه يتصدر «مجموعة اشتراكية» فى السلطة[٤٤]. واندلع صراع شرس داخل «الحزب الشيوعى المصرى»، فى المعتقلات والسجون، إذ اعترض المتحدرون من «الراية» على «خطة مايو»[٤٥]، واتهموها بالتطرف اليسارى، متمسكين بخطة الحزب السابقة، التى رأت أن عبد الناصر يمثل برجوازية وطنية، بكل ما لها وما عليها.

وما أن أعلن عبد الناصر، فى يوليو/ تموز ١٩٦١م، «القرارات الاشتراكية»، حتى وجدت «حدتو»، فى صدور تلك القرارت تأكيدا جديدا على صحة مقولة «المجموعة الاشتراكية». أما الحزب فلم يرَ فى تلك القرارات إلا إنقاذا للرأسمالية، فى سياق «رأسمالية الدولة الاحتكارية»، التى يتصف بها حكم عبد الناصر. وضرب الحزب مثلا بإقدام الحكومة البريطانية على إنقاذ احتكارات الصلب فى بلادها، بمجرد أن عانت من أزمة، فعاجلتها بالتأميم. وما فعلت الحكومة الإيطالية مع مؤسسة «إيمى» الاحتكارية البترولية[٤٦].

وعندما وقع انفصال سوريا عن مصر، فى ٢٨/ ٩/ ١٩٦١م، سارعت «حدتو» إلى إدانته، بكل حسم. أما «الحزب الشيوعى المصري»، فقد ارتبكت قيادته، أيما ارتباك، فبعد إدانة واضحة للانفصال، عادت تلك القيادة وأصدرت ما يفيد بأن سياسات عبد الناصر هى المسئولة عن هذا الانفصال[٤٧].

وحين أراد عبد الناصر أن يبدأ المرحلة الأولى من بناء «السد العالى»، ربيع ١٩٦٤م، دعا الرئيس السوفيتى، نيكيتا خروتشوف، للمشاركة فى حفل الافتتاح فاعتذر، لأنه لا يستطيع أن يزور قطرا تعتقل حكومته الشيوعيين، مما دفع عبد الناصر إلى إصدار أوامره بالإفراج عن كل المعتقلين الشيوعيين، والإفراج الصحى عن كل السجناء الشيوعيين، قبل أن يستكملوا مدة سجنهم. وفيما بين إبريل/ نيسان ومايو/ آيار ١٩٦٤م، تم الإفراج عن كل السجناء والمعتقلين الشيوعيين فى مصر، وصدر بيان مشترك عن خروتشوف وعبد الناصر، تضمن أن اعتقال الشيوعيين من أخطاء الماضى.

ولقد عانى المفرج عنهم كثيرا خارج المعتقل والسجن، إذ كانت في انتظارهم مشاكل اقتصادية واجتماعية ضخمة. واستبدت البطالة بالنسبة الأكبر منهم. وإن عاد الصحفيون منهم سريعا إلى أعمالهم، بل إن عبد الناصر - في سبيل إغاظة الإدارة الأمريكية التي بالكاد دخل في مواجهة معها - سلم عبد الناصر الشيوعيين مقاليد أهم الدور الصحفية المصرية، موجها ضربة قاضية لرجال الولايات المتحدة في الوسط الصحفي المصري، وأعني بهم المتنفذين بـ «دار أخباراليوم»، حيث أطاح عبد الناصر بالأخوين أمين (علي ومصطفى) من سدة أخبار اليوم، ونصّب خالد محيي الدين محلهما، رئيسا لمجلس إدارة «أخبار اليوم»، ورئيسا لتحرير أسبوعيتها، التي تحمل الاسم نفسه، وتولى سعد التائة الإشراف على أسبوعية «آخر ساعة» عن الدار نفسها، وسرعان ما أخلى موقعه لصلاح حافظ، وغصت الدار بالصحفيين الشيوعيين: على الشلقاني، وأسعد حليم، وداود عزيز، ونبيل زكي، وسعيد عارف، ورفعت السعيد، وغيرهم. فيما عاد إلى صحيفة «الجمهورية» كل من: فيليب جلاّب، وأميمة أبو النصر، وفتحي عبد الفتاح، وطاهر عبد الحكيم، وإبراهيم عامر.

ونصب عبد الناصر على رأس مؤسسة «روز اليوسف»، المسئول السابق للعسكريين في «حدتو»، أحمد فؤاد، الذي جاء إلى روز اليوسف من رئاسة مجلس إدارة «بنك مصر»، فيما تولى مساعده في «حدتو»، أحمد حمروش رئاسة تحرير أسبوعية «روز اليوسف»، ومعه الكاتب اليساري المعروف فتحي خليل، أما الفنان التشكيلي المرموق، المفرج عنه للتو، حسن فؤاد، فأصبح رئيسا لتحرير «صباح الخير»، ومعه عبد الستار الطويلة، والكاريكاتيريست زهدي العدوي.

على أن قواعد «حدتو» مارست الضغوط على قيادتها، كي تحل المنظمة نفسها، وتندمج بـ «المجموعة الاشتراكية» في نظام عبد الناصر. وعقدت المنظمة مؤتمرا لها، في منزل يوسف صديق، في مارس/ آذار ١٩٦٥م، وأصدرت قرارَ الحل، وأبرق كمال عبد الحليم إلى عبد الناصر يهنئه بقرار الحل، الذي تزامن مع إعادة انتخاب عبد الناصر رئيسا للجمهورية! وبعد أيام كان حل «الحزب الشيوعي المصري». وإن تحفظت عليه نسبة غير قليلة من الأعضاء والكوادر. وبدأت تشكل حلقات شيوعية جديدة، عاجلتها أجهزة الأمن بالضرب، أولا بأول. ثم كانت الضربة الشاملة، في أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٦٦م، لكل من لم يبارك «الحل».

وبعد هزيمة ١٩٦٧م، اقتنع عدد من كوادر «الحزب» بخطيئة الحل. فتشكلت حلقة ضيقة منهم، حملت اسم نشرتها «الشروق»، وتأخر رفاقهم في «حدتو» إلى ما بعد رحيل الزعيم جمال عبد الناصر، في ٢٨/ ٩/ ١٩٧٠م، ونجاح السادات في الانفراد بالسلطة، في ١٥/ ٥/ ١٩٧١م، وحملت حلقتهم اسم نشرتها «الانتصار». عدا حلقة أخرى من «حدتو»، لم تصدر نشرة، أو تحمل اسما، وتصدرها سعد كامل، فيما كانت حلقة رافضي الحل قد تحولت إلى «الحزب الشيوعي المصري ٨ يناير»، تيمنا بالحزب الذي توحد في التاريخ المذكور سنة ١٩٥٨م. وأكملت مجموعة تحدرت من «وحدة الشيوعيين» خطواتها التحضيرية، وشكلت «حزب العمال الشيوعي المصري». وكان «التيار الثوري»، قد استمر بدون تراتبية حزبية، بمجرد حل «حدتو». ثم جرى حوار بين قيادات هذه الحلقات - عدا «التيار الثوري» الذي انفرد بتأييد السادات - وانتهى الأمر إلى وحدة ثلاث من هذه الحلقات الست، ليعلن «الحزب الشيوعي المصري»، في أول مايو ١٩٧٥م.

والخلاصة، أن العلاقة بين المصرية، مرت بمراحل أربعة، امتدت أولاها ثلاث سنوات (١٩٥٢م - ١٩٥٥م)، واتسمت بالتعارض الشديد، ثم كانت المرحلة الثانية (١٩٥٦م- ١٩٥٨م)، واتسمت بالمرونة بين الطرفين، ثمرة للضرورة، وإن استمر عدد كبير من الشيوعيين المصريين يعيشون وهم أنهم في حلف مع حكم عبد الناصر، الذي لم يكن إلا مهادنا للمنظمات الشيوعية المصرية، على مدى نحو ثلاثين شهرا، فصلت بين مرحلتي قمع للشيوعيين، مع اختلاف الدافع، ثم كانت مرحلة الصدام بين حليفين طبيعيين (١٩٥٩م - ١٩٦٤م)، وهي التي انتهت باشتداد المزاحمة على البرنامج نفسه، والجماهير نفسها بين الشيوعيين وعبد الناصر، الأمر الذي تُوِّجَ بحل الحزبين الشيوعيين المصريين. وهنا تصور نفر غير قليل من الشيوعيين المصريين أن عبد الناصر انتمى إلى مواقفهم الطبقية، والفكرية، والسياسية، حتى لم يعد ثمة فرق يُذكر بين عبد الناصر والشيوعيين، فغدا «زيتنا في دقيقنا». ولم يشعر الشيوعيون بكارثية الحل، إلا بعد زلزال الهزيمة في حرب ١٩٦٧م، فبادر بعضهم إلى محاولة إحياء الحزب الشيوعي، فيما تأخر آخرون إلى ما بعد رحيل عبد الناصر، وبروز أنياب الثورة المضادة (السادات)، لكن هذا كله خارج نطاق دراستنا هذه.

❑❑❑

الهوامش

(١) رفعت السعيد: تاريخ المنظمات اليسارية المصرية ١٩٤٠م – ١٩٥٠م، القاهرة، دار الثقافة الجديدة، ص ٤٠٩ – ٤٥٦.

(٢) جلسة مع القيادى الحدتوى المعروف، طاهر البدرى، بمنزله بالقاهرة، بتاريخ ١٧/ ١/ ٢٠٠٠م.

(٣) السعيد، مصدر سبق ذكره، ص ٤٥٤.

(٤) أبو سيف يوسف: وثائق ومواقف من تاريخ اليسار المصرى ١٩٤١م – ١٩٥٧م، القاهرة، نشر خاص، ٢٠٠٠م، ص ٣٥ – ٦٠.

(٥) جلسة مع أحد مؤسسى «الشيوعى المصرى»، سعد زهران، فى منزله بالقاهرة، بتاريخ ٢١/ ٨/ ٢٠٠٧م.

(٦) السعيد: منظمات اليسار المصرى ١٩٥٠م– ١٩٥٧م، القاهرة، دار الثقافة الجديدة، ١٩٨٣م، ص ٣٥٢ – ٣٩٨.

(7) Tareq Y. Ismail and Rifaat El said: The Communist Movement in Egypt 1920- 1988. New York. Syracuse University Press. 1990. P. 78- 79.

(٨) السعيد: منظمات..... مصدر سبق ذكره، ص ٢١٣ – ٢٢٢.

(٩) لواء متقاعد حسن المصيلحى، قصتى مع الشيوعية، القاهرة، نشر خاص، ١٩٧٩م، ص ٦٧.

(١٠) خالد محيى الدين: والآن أتكلم، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٢م، ص ٦٩ – ٧٠.

(١١) المصدر نفسه، ص ٧٠.

(١٢) جلسة مع محمود القويسنى، عضو حدتو فى قسم الجيش، فى سجن المحاريق، الواحات الخارجة، مارس/ آذار ١٩٦١م.

(١٣) المصدر نفسه.

(١٤) أوراق يوسف صديق، ليلة ثورة ٢٣ يوليو، القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠١م، ص ٩٨.

(١٥) محيى الدين، مصدر سبق ذكره، ص ٨٥، ٩٣ – ٩٦.

(١٦) المصدر نفسه، ص ١٣٧. أنظر أيضا: حمروش مصدر سبق ذكره، ص ٦٧ – ٦٨.
(١٧) البدرى، مصدر سبق ذكره.
(١٨) ليلة ثورة...، مصدر سبق ذكره، ص ٩٨. وأيضا: خالد محيى الدين، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٠.
(١٩) لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى:
- عبد القادر ياسين، ظلال أمريكية على ثورة يوليو. الهلال (القاهرة)، عدد يوليو/ تموز ٢٠٠٣م، ص ٢٠٦ – ٢٠٩.
- أمين شاكر، سعيد العريان، على أدهم: حقيقة الشيوعيين، تقديم جمال عبد الناصر، ط ٣، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٤م.
- جويل بينين، العَلَم الأحمر هل كان يرفرف هناك؟، ترجمة كمال السيد، القاهرة، دار الثقافة الجديدة، ١٩٩٦م، ص٦١ – ٦٤، ٨٩ – ٩١.
(٢٠) المصيلحى، مصدر سبق ذكره، ص ٦٥.
(٢١) اتصال هاتفى مع رفعت السعيد، بتاريخ ١٠/ ٨/ ٢٠٠٧م.
(٢٢) السعيد، منظمات......، مصدر سبق ذكره، ص ١٨٦ – ١٩٠.
(٢٣) شهادة أحمد طه أحد الذين تعرضوا للتعذيب. لمزيد من التفاصيل، راجع: عبد العظيم رمضان، عبد الناصر وأزمة مارس ١٩٥٤م، القاهرة، مؤسسة روز اليوسف، ١٩٧٦م، ص ٣٠٩ – ٣١٠.
(٢٤) عبد القادر ياسين: حزب شيوعى ظهره للحائط، بيروت، دار ابن خلدون، ١٩٧٨م، ص ٢٥ – ٣٣.
(٢٥) لمزيد من التفاصيل حول «الكتيبة ١٤١»، وأعمالها الفدائية، يمكن الرجوع إلى: يونس الكترى: حلقة مفقودة من كفاح الشعب الفلسطينى، الكتيبة ١٤١ فدائيون، القاهرة، دار المستقبل العربى، ١٩٨٧م.وأيضا: محمد كريّم: مصطفى حافظ مؤسس العمل الفدائى الفلسطينى، القاهرة، مركز يافا للدراسات والأبحاث، ١٩٩٨م.
(٢٦) السعيد، منظمات....، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٥ – ٢٩٨.
(٢٧) جلسة مع فتحى خليل، سجن المحاريق، الواحات الخارجة، مارس/ آذار ١٩٦١م. وأيضا: أحمد حمروش: ثورة ٢٣ يوليو، الجزء الثانى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، ص ٩٤٠ – ٩٤٢.

(٢٨) المصدران نفسهما، الصفحات نفسها.

(٢٩) رفعت السعيد: تاريخ الحركة الشيوعية المصرية (١٩٥٧م - ١٩٦٥م)، القاهرة، نشر خاص، ١٩٦٨م، ص ٤٨ - ٥٩.

(٣٠) المصدر نفسه، ص ٦٠ - ٨٩.

(٣١) راجع مواد نشرة «التنظيم الشيوعي»، العدد الأول، فبراير/ شباط ١٩٥٨م، وقد خصصت هذه النشرة للحوار حول وحدة المنظمتين في: عادل أمين، محاكمة الشيوعيين المصريين، ج ٧، نشر خاص، ٢٠٠٠م، ص ٣٤٣ - ٣٤٤.

(٣٢) عبد العظيم أنيس: ذكريات من حياتي، سلسلة كتاب الهلال، يونيو/ حزيران ٢٠٠٢م، ص ١٢٨ - ١٣٦.

(٣٣) محيي الدين، مصدر سبق ذكره، ص ٣٥١.

(٣٤) John P. Glennon, Suzanne E. Coffman, and Charles S. Sampson (Editors), Foreign Relations of the united states (19581960-), vol. XIII, Arab – Israeli Dispute, United Arab Republic, North Africa, Washington, United states Government printing office. P405, 427 – 432.

(٣٥) نبيه رشيدات: الوحدة العربية وموقف الحزب الشيوعي السوري منها، النهج (دمشق)، ع ٩، ١٩٨٥م، ض ١٧٩ - ١٩١.

(٣٦) عامر عبد الله: الشيوعيون وقضية الوحدة، دمشق، الثقافة الجديدة (دمشق)، مارس/ آذار ١٩٨٤م.

(٣٧) حسب منشور الحزب الشيوعي المصري، بتاريخ ٢٩/ ٩ / ١٩٥٨م. انظر: أمين، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٩.

(٣٨) لمزيد من التفاصيل حول ما جرى بين السادات والعالم، يمكن الرجوع إلى شهادة العالم في: فخري لبيب، الشيوعيون وعبد الناصر ١٩٥٨م - ١٩٦٥م، ج٢، القاهرة، نشر خاص، ١٩٩٢م، ص ٧١.

(٣٩) محمد حسنين هيكل، فلتوضع الأقفال على الأفواه، الأهرام (القاهرة)، ١٤/ ٩/ ١٩٥٨م. وشهادة فؤاد مرسي، ج ١، من الكتاب نفسه، ١٩٩٠م، ص ١١١.

(٤٠) عبد الله الريماوي: خطة الاستعمار وخطة اليسار!، روز اليوسف (القاهرة)، ٢٠/ ١٠/ ١٩٥٨م، ص ١٠.

(٤١) انظـر نص الخطـاب في: مجموعة خطـب وتصريحات وبيانـات الرئيس جمال عبد الناصر، القسم الثانى (فبراير/ شباط ١٩٥٨م - يناير/ كانون الثانى ١٩٦٠م)، القاهرة، مصلحة الاستعلامات، د. ت.، ص ٢٤٨ - ٢٥٩.

(٤٢) ياسين، حزب....، مصدر سبق ذكره، ص ٦٠ - ٦٢.

(٤٣) لمزيد من التفاصيل حول مشروع خطة سياسية، يمكن الرجوع إلى: أمين، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٩ - ٢٩٣.

(٤٤) لمزيد من التفاصيل حول ملابسـات تبلورخط «المجموعة الاشـتراكية»، وآلية تبنيها مـن قبل «حدتـو»، يمكن الرجـوع إلى: مبارك عبـده فضل، وبهيج نصـار. قرار المجموعة الاشـتراكية، قضايا فكرية (القاهرة)، ع ٢١، ٢٢، يوليو/ تموز ١٩٩٢م، ص ٢٨٩ - ٢٩٦.

(٤٥) لبيب، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٣٥٧ - ٣٦٤.

(٤٦) المصدر نفسه، ص ٣٥٣ - ٣٧٨.

(٤٧) انظـر موجز مختصر لبيان اللجنة المركزية للحزب الشـيوعى المصرى، حول الوضع السياسى الراهن فى ج.ع.م.، بتاريخ ٥/ ١٢/ ١٩٦١م، فى: أمين، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣٤ - ٤٤٠.

□□□

مشروع ناصر الثقافى

د. عبد الله عزباوى
كلية الآداب - جامعة الفيوم

ليس من السهل أو من المتفق عليه تعريف مصطلح ثقافة فقد اختلف علماء الأنثربولوجيا اختلافا كبيرا حول هذا المفهوم وكثرت التفسيرات والتأويلات وتعددت أساليب استخدامه فى مختلف المجالات ويكفى أن نذكر أنه فى عام ١٩٥١م قام اثنان من كبار علماء الأنثربولوجيا الأمريكيين بمحاولة لحصر التعريفات المتداولة حينذاك لكلمة ثقافة وتوصلا إلى ما يربو على ١٥٠ تعريفا مختلفا. ومما لاشك فيه أن هذا الرقم قد تضاعف عدة مرات منذ ذلك الوقت نظرا لاتساع مجالات استخدام المفهوم وتنوعها وكثرة الكتابات والدراسات والبحوث وتضارب وجهات النظر واختلاف المجتمعات التى أجريت فيها الدراسات المتصلة بالثقافة والمنطلقات النظرية والاختلافات الأيديولوجية التى تم تعريف المفهوم وتحليله فى ضوئها[1].

وعلى حين أن هناك مفهوما ضيقا لكلمة ثقافة يرى أنها العلوم والمعارف التى يتطلب الحذق فيها فإن الكتابات الأنثربولوجية تستخدم المصطلح بمعنى واسع بحيث يشمل كل إنجازات العقل البشرى وكل ما يصدر عن الإنسان من قول أو فعل أو فكر وكذلك كل ما يكتسبه الإنسان من عادات وتقاليد وأساليب للسلوك وقيم تسود المجتمع الذى نعيش فيه[2] ولما كان الموضوع الذى نعالجه هنا مرتبط بالفكر والأدب والفن فإننا ننحاز إلى التعريف الضيق لكلمة ثقافة الذى يرى أنها العلوم والمعارف التى يتطلب الحذق فيها.

تكوين عبد الناصر الثقافى:

يعتبر جمال عبد الناصر من الزعماء السياسيين القلائل على مستوى العالم الذين اهتموا بتثقيف أنفسهم ذاتيا طوال مراحل حياتهم المختلفة هذا إلى جانب اهتمامه بالثقافة ونشرها بين أفراد المجتمع المصرى بمختلف فئاته ومستوياته الثقافية خلال فترة توليه السلطة بحيث يمكننا القول إنه كان لديه مشروعه الثقافى الخاص به والذى حاول تنفيذه.

وقــد بدأت اهتماماته بالثقافة أثناء دراســته فى المرحلة الثانويــة فى بداية ثلاثينيات القرن الماضى وخاصة أثناء التحاقه بمدرســة النهضــة الثانوية بحى الظاهر بالقـاهرة التى التحــق بها فى عام ١٩٣٣م وكان رئيس اتحاد الطلبة بها[٣] وكانت الأســرة قد اســتقرت بحى باب الشعرية بجوار مسجد الشعرانى وقد ظهر اهتمام عبد الناصر وشغفه بالقراءة فى هذه الفترة وكان يســتخدم مكتبة مســجد الشعرانى التى كانت تضم العديد من كتب الدين والســيرة والتاريخ وقرأ معظمها فقد كان يقضى ســاعات طويلة بالمسجد يقرأ خلالها، كما لجأ إلى اســتعارة الكتب من بعض مدرســيه فى مدرسة النهضة[٤]. وقرأ فى هذه الفترة عن الثورة الفرنســية وروسو وفولتير الذى كتب عنه مقالة بعنوان «فولتير رجل الحرية» نشرها فــى مجلة المدرســة، كما قرأ عن نابليون والإســكندر ويوليوس قيصــر وغاندى وقرأ رواية «البؤساء» لفيكتور هوجو، و«قصة مدينتين» لتشارلز ديكنز. كذلك اهتم بالأدب العربى فقد كان معجبا بأشعار أحمد شوقى وحافظ إبراهيم.

وقــرأ أيضا عن ســيرة النبى محمد (عليه الصلاة والســلام) وأبطال الإســلام ومصطفى كامل وقرأ مســرحيات وروايــات توفيق الحكيم وخاصة «عودة الــروح» التى تتحدث عن ظهور زعيم للمصريين يســتطيع أن يوحد صفوفهم ويدفعهم نحو النضال فى سبيل الحرية والبعث الوطنى[٥]. كما قرأ العبقريات لعباس العقاد[٦].

وفــى الكليــة الحربية التــى التحق بها فى مارس ١٩٣٧م وظل بهــا حتى عام ١٩٣٩م تعــددت وتنوعــت قراءاته فقد كانت مكتبتهــا غنية بالكتب وهناك قرأ عن ســير العظماء مثل نابليون والإســكندر وجاريبالدى وبسمارك ومصطفى كمال أتاتورك وهندنبرج وتشرشل وفوش. كما قرأ الكتب التى تعالج شــؤون الشــرق الأوسط والســودان ومشكلات الدول التى تطل على البحر المتوسط والتاريخ العسكرى كما قرأ عن الحرب العالمية الأولى وحملة فلسطين وثورة ١٩١٩م فى مصر[٧].

وبعد أن تخرج فى الكلية الحربية فى ســبتمبر ١٩٣٩م وحصوله على رتبة «يوزباشــى» (نقيب) فى ســبتمبر ١٩٤٢معين مدرســا فى الكلية الحربية فى فبراير ١٩٤٣م[٨]، واستمر فــى هذه الوظيفة حتى عــام ١٩٤٦م[٩]، وقرأ خلال هذه الفترة لكبار المؤلفين العســكريين مــن أمثال ليدل هــارت وكلاوزفيتز. كما قرأ مؤلفات الساســة والكتاب السياســيين مثل كرومويل وتشرشل[١٠].

وفـي الفترة مابين ١٩٤٦م و١٩٤٩م تعرف جمال عبد الناصر من خلال ثروت عكاشـة أحد الضباط الأحرار وقتذاك ووزير الثقافة فيما بعد على أحمد أبو الفتح أحد صاحبى جريدة المصرى وواظب على قراءة الصحف والمجلات مما زاد اهتمامه بالصحافة والأدب[١١].

وبعد تولى عبد الناصر السـلطة ورغم مشـاغله العديدة فقد ظل مهتما وشـغوفا بالقراءة يطلـع علـى أحدث المؤلفات التى تصـدر فى الخارج وربما قرأ الكتـاب كله أو بعضا منه وربمـا أمر بتلخيصـه حتى يقرأ موجزا عنـه[١٢]. كما كان يقرأ الصحـف الأجنبية باللغة الإنجليزية بنهم شـديد وكان حريصا على قراءة ما يكتب عنه فى الصحف البريطانية[١٣] وإلى جانب تثقيف نفسه كان حريصا على تثقيف من حوله من وزراء وضباط وكان صاحب فكرة ترجمة وتلخيص كتب ذات أهمية خاصة فى السياسـة والاقتصاد وطبعها على الآلة الكاتبـة ونسـخها على «الرونيو» وتوزيعها بعد ذلك علـى الضباط والوزراء وقد كونت هذه المجموعة بعد ذلك سلسـلة «اخترنا لك» المتنوعة الموضوعات وشديدة الصلة بمنطقة الشرق الأوسـط وبتطور الأحداث السياسـية الكبرى فى ذلك الوقت والتعريف بالأقطار والمذاهب الاشتراكية[١٤].

وأحيانا كان عبد الناصر يطلب من أحد الوزراء قراءة كتاب بعينه ثم يناقشـه فيه بعد قراءته له[١٥] وقد بدت أثار مطالعاته فى مناقشـاته مع بعض وزرائه وفى ذلك يذكر فتحى رضوان واقعتين الأولى مع سـيد مرعى وزير الإصلاح الزراعى آنذاك الذى أشـار إلى كتاب لكاتـب غربى لخص بعض أفـكاره لكن عبد الناصر اعترض على هـذا التلخيص وقال له «إن الرجـل يقـول فى كتابه نقيض ما تقول» فقال سـيد مرعى «هذا ما فهمته أنا» فقال له عبـد الناصر «لابد أنك قرأتـه بالمقلوب». أما الواقعة الثانية فتتعلق بمناقشـة حادة دارت بـين عبد الناصر وبـين أحد وزراء الاقتصاد أثنـاء انعقاد مجلس الوزراء فقـد كان الوزير يشـكو من الضغوط التضخمية على الاقتصاد المصرى واقترح لمواجهة هذه الضغوط سياسـة اقتصادية انكماشـية وكانت العلاقة بين عبد الناصر والوزير سـيئة فى تلك الفترة وأجاب عليه عبد الناصر ماذا حدث يا دكتور منذ سنة واحدة فقط كان خصومك يقولون إنها تؤدى إلى التضخم وكنت أنت تنكر بشـدة فماذا حدث؟ فرد الوزير «كان ذلك منذ أكثر من سـنة» فقال عبد الناصر «لا منذ سـنة واحدة فقط ولكن لنقل سـنتين ما الذى تغير من سياستنا.. السياسة هى والأرقام هى هى وربما الإنفاق الحكومى أصبح أقل.. لا سأخبرك أنت ذهبت

إلى المومس الفاضلة «وشرح له ماذا يعنى وقال له» لقد قرأت كتاب لاقتصادى أمريكى كبير يقول فيه : إننا ننهى الدول النامية عن أن تقوم بالتنمية مع التضخم، على حين أن أمريكا تعانــى من تضخم رهيب وتواصل التوســع فــى اقتصادها. فكأننا كالمومــس الفاضلة التى تمارس الرذيلة ثم تقف على باب دارها لتعظ الناس وتحذرهم من الرذيلة». وضحك الوزراء وخرج الوزير بعد قليل من الوزارة ويومها قال بعض الوزراء «إن ازدياد ثقافة الرئيس ليس من مصلحتنا»[١٦].

وكان عبــد الناصر يدرك أهمية الكتاب فــى التأثير فى الناس وأنه ربما يؤدى إلى خلق جيل جديد من المثقفين يؤثرون فى الجماهير. فعندما اشتكى له فتحى رضوان وزير الإرشاد القومى من قلة إقبال المصريين على شراء الكتب التى كانت تصدرها الوزارة بالرغم من أنها كانت بأقلام كبار الكتاب المصريين وتباع بأرخص الأســعار بعدما يعلن عنها فى الصحف الصباحية الأربعة «الأهرام - الأخبار - الجمهورية - الشعب» فضلا عن المجلات والإذاعة قال له عبد الناصر «كتاب يقرؤه واحد ينفع. فالعبرة ليست بالكثرة، فرب فرد واحد يتأثر بالكتاب ويكون هذا الفرد بمثابة ألف شخص»[١٧].

وربمــا كان عبد الناصر يشــير إلى نفســه فقد تأثر هو شــخصيا برواية «عــودة الروح» لتوفيــق الحكيم وقال وهو يهدى له قلادة الجمهوريــة فى عام ١٩٥٧م «لقد تأثرت برواية عودة الروح»[١٨].

اهتمام عبد الناصر بالمسرح والسينما والإذاعة:

كان عبد الناصر مهتما بالمسرح وقد بدأ اهتمامه به منذ أن كان طالبا فى مدرسة النهضة الثانوية فقد لعب فى عام ١٩٣٥م دور يوليوس قيصر محرر الجماهير فى مسرحية شكسبير على مســرح المدرســة فى حضور وزير المعارف آنذاك[١٩]. وظل اهتمامه بالمســرح ملازما له حتى بعد توليه الســلطة فكان يحضر بعض المســرحيات ويناقش مؤلفيها فيما كتبوه وينقد المســرحية التى يشــاهدها نقدا فنيا وكان يرى أن العمل المسرحى ملك للمؤلف وليس ملكا للمخرج ولا يجوز للأخير أن يخرج بالنص عن أصله[٢٠].

وفيما يتعلق بالســينما فقد كان عبد الناصر يعشــقها وكثيرا ما كان يقوم بتصوير أفلام قصيرة بكاميرته الخاصة[٢١] وتذكر ابنته هدى أنه كان يعشق قراءة الناشيونال جيوجرافيك ولايــف ولــوك لما كانت تحويه من صور تغذى هواية التصويــر لديه[٢٢] ولم يقتصر اهتمامه

بالسـينما عند هذا الحد فقد كانت السـينما إحدى هواياته المحببة وكان يكافئ نفسه بعد إتمامه عملا شـاقا بمشـاهدتها[٢٣] ويذكر فتحى رضوان أن حرمان عبد الناصر من السـينما كان عقابا شديدا بالنسبة له[٢٤].

ومـن مظاهر اهتمام عبد الناصر بالسـينما أنه كان يحضر حفـل الافتتاح لبعض الأفلام الجـادة فى دور العرض بقصد تشـجيع الإنتاج السـينمائى المصرى الجـاد، ومن الأفلام التى شـاهدها فى دور العرض فيلم «رد قلبى» الذى حضر حفل افتتاحه بدار سـينما كايرو بالقاهرة[٢٥] كما شاهد فيلم مصطفى كامل مع عبد الحكيم عامر تأليف فتحى رضوان وإخراج أحمد بدرخان فى عرض خاص بسينما ريفولى بالقاهرة، وطلب بعد انتهاء العرض من فتحى رضوان أن يؤلف قصة فيلم أخرى عن الزعيم محمد فريد[٢٦].

وإدراكا مـن عبد الناصر لأهمية السـينما فى تكوين الرأى العـام والتأثير فيه طلب من الممثـل المصرى فريد شـوقى أثناء معركة السـويس عام ١٩٥٦ أن ينتـج فيلما عن الحرب والمقاومة فى بورسعيد من أجل عرضه على العالم كله لكسب الرأى العام العالمى وأخبر فريد شـوقى أنه اختاره نظرا لشـعبيته الجماهيرية، وطلب من عبد الحكيم عامر وزير الحربية فى ذلك الوقت أن يقدم جميع التسـهيلات اللازمة وقد أنتج فريد شـوقى فيلم «بورسعيد» عن هذه المعركة وأهدى نسخة منه إلى عبد الناصر الذى كرمه فى عيد العلم الذى أقيم فى جامعة القاهرة[٢٧].

ومن مظاهر اهتمام عبد الناصر بالسـينما أنه قام بترتيب خاص مع يوسـف السـباعى مؤلف رواية «رد قلبى» بزيارة ستوديو مصر أثناء تصوير الفيلم وطلب من عبد الحكيم عامر أن يذلل أية صعوبات قد تواجه السـيدة آسـيا داغر منتجة الفيلم. وقد حضر عبد الناصر حفل افتتاح الفيلم بدار سينما كايرو بالقاهرة فى ٩ ديسمبر ١٩٥٧م وهنأ القائمين عليه بعد انتهـاء العرض وتحدث مع مرافقيه عن ضرورة دعم الدولة لصناعة السـينما المصرية لتظل محتفظة بريادتها فى المنطقة العربية كلها وبعض دول العالم الثالث[٢٨].

وعندما أراد صلاح أبو سـيف مخرج فيلم «شـباب امرأة» ورمسـيس نجيب منتجه أن يدخـلا بفيلمهما «مهرجان كان» أشـهر مهرجانات السـينما فى دورته التاسـعة فى عام ١٩٥٦م رفضت الرقابة السماح بسفره وعرضه بالخارج بحجة أنه يسئ إلى المجتمع المصرى وعندمـا علـم عبد الناصر بذلك اندهش من تقرير الرقابة وأمر بسـفر الفيلم فورا إلى الخارج

وقال «نفسنا فى جائزة عالمية وحتى عرض مشرف عشان يعرفوا بره إن عندنا سينما وعندنا موهوبون»[٢٩].

أمـا اهتمـام عبد الناصر بالإذاعة فقد بدأ من سـهره مع الإذاعـة المصرية حتى نهاية برامجها مع أم كلثوم وأضواء المدينة[٣٠].

العلاقة بين الثورة والمثقفين:

مـرت العلاقة بين الثورة والمثقفين بعدة مراحـل ففى المرحلة من ٢٣ يوليه ١٩٥٢م إلى قبيل أزمة مارس ١٩٥٤م كانت العلاقة ودية بالرغم من اختلاف مواقف المثقفين من الثورة عنـد قيامها فبينما رحب بهـا كل من الجناح الليبرالى والتيـار الدينى ممثلا فى الإخوان المسـلمين قبل أن يقع الصدام مبكرا بين هذا التيار والثورة، ظل عدد من الإخوان المسلمين والتيار الإسـلامى يؤيدها مثل سـيد قطب وخالد محمد خالد ومحمد الغزالى وأحمد حسن الباقورى. وفيما يتعلق بالتيار اليسارى فلم يظهر تأييدا جماعيا فى أول الأمر فبينما أيدت «حدتو» ذات الصلة السـابقة ببعض ضباط يوليو عارضها كل من الحزب الشيوعى المصرى وطليعة العمال مع الميل للترقب والانتظار فى وقت كان فيه عدد كبير من المثقفين اليساريين يؤيدون الثورة دون تردد خاصة الذين يعملون منهم فى الصحافة[٣١].

وعلى الجانب الأخر سـعت حكومـة يوليو إلى احتواء المثقفـين ووضعهم فى المناصب الإداريـة والفنيـة فقط[٣٢]، ومن مظاهر هذا الاحتواء أيضا اسـتضافة عبـد الناصر فى بيته للبعض منهم للتشـاور معهم ومن هؤلاء أحمد لطفى السـيد وعبد الرزاق السـنهورى وطه حسين، كما كان عبد الناصر يسعى إليهم من آن لآخر ليشاركوا بالمشورة مثلما حدث عند تأليف الجمعية التأسيسـية لوضع الدسـتور الجديد فقد التقى بكل من أحمد لطفى السيد ومصطفى مرعى وطه السباعى وأحمد حسن الباقورى وفتحى رضوان[٣٣] وتمثل هذه المرحلة شهر العسل بين المثقفين وثورة يوليو.

على أن شـهر العسل بين العسـكريين والمثقفين لم يدم طويلا وبدأ الصدام بين الطرفين فـى المرحلة الثانية التى بدأت مع أزمة مـارس ١٩٥٤م عندما طالب بعض المثقفين بعودة الضباط إلى ثكناتهم وكان من هؤلاء أحمد أبو الفتح أحد صاحبى جريدة المصرى، والدكتور وحيـد رأفت، والدكتور محمد مندور، والدكتور لويس عوض، وخالد محمد خالد، وفكرى أباظة، وبعض أعضاء هيئة التدريس بجامعة القاهرة[٣٤].

وبعد انتهاء الأزمة لصالح عبد الناصر وفريقه اتخذ إجراءات انتقامية ضد المثقفين الذين طالبوا بعودة الضباط إلى الثكنات فقام بحل نقابتى الصحفيين والمحامين وبإصدار أحكام بالسجن على بعض الصحفيين فقد حكم بالسجن عشر سنوات على أحمد أبو الفتح صاحب جريدة المصرى وسحب رخصة إصدار الصحيفة(٣٥)، وعلى أبو الخير نجيب بالسجن بالأشغال الشاقة المؤبدة لمدة خمسة عشر عاما وتجريده من شرف المواطنة، واعتقال إحسان عبد القدوس لمدة ثلاثة أشهر فى السجن الانفرادى(٣٦)، كما اتخذت قرارات ضد أعضاء هيئة التدريس فى الجامعة الذين نادوا بعودة الضباط إلى ثكناتهم فقرر مجلس قيادة الثورة فصل قرابة خمسين عضوا منهم لويس عوض، ومحمود أمين العالم، وأحمد شلبى، وعبد المنعم الشرقاوى وغيرهم(٣٧) فى سابقة هى الأولى من نوعها. وبعد أزمة مارس ١٩٥٤م والإجراءات الانتقامية التى اتخذتها الثورة ضد المثقفين المعارضين لها لم تعد حكومة الثورة ترضى من المثقفين إلا بالولاء(٣٨).

وقد عادت العلاقة تتوطد مع المثقفين بعد مؤتمر باندونج فى عام ١٩٥٥م وصفقة الأسلحة التشيكية ومعركة حلف بغداد فى نفس العام وتأميم قناة السويس فى عام ١٩٥٦م فقد بدأ المثقفون التقدميون يتصالحون مع الثورة تدريجيا وقد عرفت هذه المرحلة فى تاريخ العلاقة بين الثورة والمثقفين بمرحلة ذوبان الجليد(٣٩). على أن العلاقة سرعان ماتعقدت من جديد فى أواخر عام ١٩٥٨م وبدايات عام ١٩٥٩م بسبب أحداث الوحدة المصرية السورية، وثورة ١٤ يوليو فى العراق وانحياز نظام عبد الكريم قاسم فى العراق إلى الاتحاد السوفيتى، وتوتر العلاقة بالتالى بين مصر والاتحاد السوفيتى وقد انعكس كل ذلك على علاقة الثورة بالمثقفين اليساريين الذين غابت معظم وجوههم الثقافية فى السجون فى الفترة ما بين ١٩٥٩م- ١٩٦٤م(٤٠).

وعندما قام عبد الناصر بإصدار قرارات التأميم فى يوليو ١٩٦١م بدأ اليسار يلتقى مع الثورة وعبد الناصر من جديد فقد وجد أن فى قمة السلطة مجموعة اشتراكية تمثل البرجوازية الوطنية التى ينبغى التحالف معها(٤١). وكما تعرض رموز اليسار من المثقفين للسجن فى الفترة ما بين ١٩٥٩م - ١٩٦٤م فقد تعرض رموز اليمين المتطرف ممثلا فى المثقفين من جماعة الإخوان للسجن أيضا فى عام ١٩٦٥م على إثر إعلان السلطة فى صيف هذا العام عن مؤامرة للإخوان المسلمين كانت تستهدف اغتيال عبد الناصر وعدد من المثقفين

المصريين عند ذاك قامت الأجهزة الأمنية باعتقالات واسعة فى صفوف هذا اليمين المتطرف ومصادرة مؤلفاته وصحفه[٤٢].

ثورة يوليو ١٩٥٢م والصحافة:

عملت ثورة يوليو منذ البداية على تضييق الخناق على الصحافة والصحفيين ومن ذلك إلغاء الصحف المعارضة، وإنشاء صحف جديدة، وفرض رقابة على الصحف[٤٣].

أولا: إلغاء الصحف المعارضة:

نظرت ثورة يوليو بعين الارتياب إلى صحف العهد القديم ونظرت إليها على اعتبار أنها ميراث غير شرعي وأن من الخطر أن يظل جزء من أدوات توجيه الرأى العام بعيدا عنها[٤٤]، ومن ثم فقد أقدمت على إيقاف أهم مجلتين ثقافيتين وهما الرسالة والثقافة بعد قيامها بأشهر قليلة[٤٥]. ثم أقدمت فى ١٨ يناير ١٩٥٣م على تعطيل عدد كبير من الصحف اليسارية المعارضة منها الصباح والفداء والنذير والواجب وصوت الطالب بحجة أنها منشورات شيوعية متطرفة[٤٦]. ولإكمال الدائرة صودرت الصحف الحزبية القديمة بحجة عدم انتظام صدور العديد منها وبلغت ٤٢ صحيفة كان من أهمها البلاغ والسياسة وصوت الشعب والرأى الحر[٤٧]. ولم يلبث أن صودرت صحيفة المصرى بعد أزمة مارس ١٩٥٤م وصدر آخر أعدادها فى ٤ مايو ١٩٥٤م[٤٨].

وفى عام ١٩٥٦م صودرت صحف أخرى كانت أغلبها صحف مهنية أو ذات نشاط سياسى قديم من ذلك صحف الحزب الوطنى والجيب ومصر الفتاة، وتعطيل بعض المجلات مثل «لوريون دى ليجبت» وبنت النيل وغيرهما[٤٩].

ثانيا: إنشاء صحف جديدة:

سعت حكومة الثورة منذ البداية إلى امتلاك الأدوات الصحفية الخاصة بها لإدراكها أهمية الصحافة فى توجيه الجماهير وقدرتها على نقل رؤية الحكم وسياساته بهدف تبنيها[٥٠] ولذا فقد قام بإنشاء صحف جديدة تدين له بالولاء وهى جريدة الجمهورية التى صدر العدد الأول منها فى ديسمبر ١٩٥٢م وصدر امتيازها باسم جمال عبد الناصر ومجلة التحرير الأسبوعية وصدر العدد الأول منها فى نوفمبر ١٩٥٢م ومجلة الرسالة الجديدة الشهرية وصدر العدد الأول منها فى أول أبريل ١٩٥٤م وتوقفت عن الصدور فى عام ١٩٥٧م[٥١]. وفى عام ١٩٥٦م

أصدرت الحكومة ثلاث صحف وهى بناء الوطن والشعب والمساء وكان العسكريون يحتلون المناصب فى قمة العمل الإدارى والسياسى فى هذه الصحف فقد كان أنور السادات رئيس مجلس إدارة الجمهورية ومصطفى بهجت بدوى وأحمد حمروش وثروت عكاشة فى مجلة التحرير وخالد محيى الدين فى المساء[٥٢].

ثالثا: فرض الرقابة على الصحف:

بدأت الرقابة على الصحف منذ الأيام الأولى لثورة يوليو فما كاد يمضى يومان على قيامها حتى صدر الأمر رقم «١» فى ٢٥ يوليو من الرقيب العسكرى بفرض الرقابة على الصحف وكانت بروفات طبع الصحف تقدم للرقيب العسكرى ليوقع عليها بالموافقة قبل أن تطبع[٥٣]. وفى يونيو ١٩٥٦م تراجعت سيطرة الرقابة على الصحف نسبيا بعد صدور دستور ١٩٥٦م وانتهاء قانون الطوارئ[٥٤]، على أنه سرعان ما عادت الرقابة على الصحف فى أواخر أكتوبر من نفس العام مع بدء العدوان الثلاثى وقد استمرت الرقابة بالرغم من انكسار العدوان وهزيمته[٥٥].

وعلى الرغم مما أعلن فى بعض الفترات من إلغاء الرقابة فإنها لم ترفع بشكل نهائى فقد كان الرقيب طيلة الخمسينيات يأخذ شكل الرقيب العسكرى الذى يرتدى الملابس العسكرية أو المدنية. أما فى الستينيات فقد أخذ الرقيب شكلا أكثر تحررا وإن لم يكن أقل تشددا فقد كان هناك مكتب الصحافة فى وزارة الإعلام الذى كان يرسل تعليماته كل ليلة إلى إدارة الجرائد فلا ينشر أى خبر إلا ما يوافق عليه ولا يكتب أى رأى إلا بعد أخذ رأيه وكان هذا المكتب يوحى بالخطوط الرئيسية لما يريده نظام الحكم بل إن عبد الناصر شخصيا كان يفرض «المانشيتات الرئيسية» وكثيرا ما كان يتصل بالصحف فى اليوم التالى ليشير إلى هذا الموضوع أو الخبر مثنيا أوغاضبا على خبر أو رأى نشرته إحدى الصحف وكثيرا ما كان يوحى بنشر مقالة بعينها فى الصفحة الأولى[٥٦].

وبالإضافة إلى مكتب الصحافة فقد كان يتم تكليف بعض الصحفيين بمراقبة بعضهم البعض كما حدث بعد انفصال سورية فى سبتمبر ١٩٦١م حين كلف إحسان عبد القدوس رئيس تحرير روز اليوسف آنذاك بأن يراقب عمل فتحى غانم رئيس تحرير مجلة صباح الخير فى ذلك الوقت عقب محادثة تليفونية أجراها الأخير مع عبد القادر حاتم وزير الإعلام فى ذلك الوقت يطالبه فيها بضرورة معرفة كل شىء عن أسباب الانفصال[٥٧].

وبعـد هزيمة يونيـو ١٩٦٧م عادت الرقابة على الصحف بطريقة شـديدة من أجل إيقاف أو صد التيار الجارف من النقد لإدانة أسباب الهزيمة[٥٨].

وفـى إطـار التضييق على الصحافة قام عبد الناصر فى ٢٤ مايو ١٩٦٠م بإصدار القانون رقـم ١٩٥٦م بتنظيم الصحافة «تأميم الصحف» الذى أنهـى به الملكية الخاصة لأربع دور صحفية وهى الأهرام والأخبار وروز اليوسف والهلال[٥٩]. وجاء فى تبرير صدور هذا القانون مبالغـة بعـض الصحف القائمة آنذاك فـى نقل صورة غير مكتملة عمـا يقع فى المجتمع المصـرى من تحولات اشـتراكية وصعـود لدور العمـال والفلاحين الذين يكـدون فى بناء المجتمـع المصرى وصـرف اهتمام الجمهور إلى القضايا الهامشـية المثيرة حول أخبار زواج وطلاق الفنانات وغير ذلك[٦٠].

عبد الناصر وحرية الفكر والإبداع الأدبى والفنى:

وإذا كان هنـاك تضييـق من جانب عبد الناصر وثورة يوليو على الصحافة والمثقفين فقد امتـدت الرقابـة على كل مطبعة فى مصر سـواء كانت قطاعا عامـا أو خاصا[٦١] ومع ذلك فلم يفقد أدباء مصر وفنانوها حريتهم تماما ويعترف ثروت عكاشـة بأنه كان هناك قدر من الرقابة فيقول «تركت الدولة الشـعراء والأدباء والفنانـين أحرارا يتحدثون بلغتهم الخاصة على هواهم فى الغالب الأغلب إلا فيما ندر»[٦٢].

ومن الوسـائل التى لجأت إليها الدولة فى فرض وصايتها على الإنتاج الأدبى اختصار الكتاب قبل نشره أو تأجيل نشره وأحيانا كانت الرقابة تنشر العمل الأدبى وتحذف جزءا منه ثم تعود وتسمح بنشره كاملا فى طبعة أخرى كما حدث مع رواية «تلك الأيام» لفتحى غانم فقد نشرت عام ١٩٦٢م وقد حذف بعضها ثم أعيد نشرها كاملة بعد ذلك[٦٣].

ويذهب لويس عوض إلى أن الدولة فرضت الوصاية فقط على الفكر السياسى والاجتماعى وليـس الثقافى والفنـى[٦٤]. ويدلل على ذلك بأن الدولة «لو كانت تمارس أية وصاية متزمتة لما سمحت بنص طوفان نعمان عاشـور المتهم بأنه صديق الفقراء ولا نص «الفرافير» ليوسـف إدريس المتهكم باشـتراكية عبد الناصر ولا «بشـبراوى» سـعد الدين وهبـة وهو رجل مصر المريـض المشـلول ولا «بتبريـزى» ألفريد فرج وهـو بائع الأحلام ولا «بأوديب» على سـالم المعزول عن شعبه منذ هزيمة مصر آنئذ، بل لو كانت الدولة فى ظل المركزية المطلقة وملكية الصحافة تمارس الوصاية على الفن والأدب لما استطاع نجيب محفوظ أن ينشر عبر السنوات

«أولاد حارتنا» أو «السمان والخريف» أو «ميرامار» أو «ثرثرة على النيل» أو «الطريق» أو «الشحاذ»إلخ.. وكلها تتضمن وصفا حيا للعاهات النفسية والتشوهات الخلقية التى ملأت مصر بعد ثورة ١٩٥٢م، بل لما استطاع توفيق الحكيم أن ينشر «بنك القلق»[٦٥].

وفى هذا الصدد أيضا يسرد ثروت عكاشة مجموعة من الأعمال المسرحية التى كانت تنتقد حكم عبد الناصر وسمح لها بالعرض رغم ذلك، ومنها مسرحية «المسامير» لسعد الدين وهبة، ومسرحية «العرضحالجى» لميخائيل رومان. ومسرحية «إزاى ده حصل» لعزت عبد الغفور. ومسرحية «بلدى يا بلدى» لرشاد رشدى، ومسرحية «انت اللى قتلت الوحش» لعلى سالم، التى كانت تندد بمسلك رجال المخابرات، ومسرحية عبد الرحمن الشرقاوى «الفتى مهران» التى كانت تنتقد حرب اليمن. ومسرحية «ثورة الزنج» لمعين بسيسو. وبخصوص المسرحية الأخيرة يذكر ثروت عكاشة أن عبد الناصر طلب إليه بناء على تقارير الأمن أن يوقف عرضها إلا أن ثروت عكاشة أوضح له «أن إيقاف العرض أكثر إثارة للقيل والقال من الاستمرار فى العرض» ووافقه عبد الناصر على رأيه واستمر العرض[٦٦].

ويوضح موقف عبد الناصر من ثورة الزنج أنه كانت هناك رقابة على الأعمال الفكرية وأن هناك بعض المسرحيات قد منعت بالفعل بناء على تقارير الرقابة أو التقارير الأمنية كما حدث مع المسرحية الأخيرة وفى ذلك يعترف ثروت عكاشة بأنه عندما كان وزيرا للثقافة للمرة الثانية «١٩٦٦ -١٩٧٠» أيد رأى الرقابة على المصنفات الفنية فى منع بعض الأعمال الفكرية والمسرحيات وهى رواية «كدابين الزفة» لأنها فى رأيه «كانت هجوما غير خاف على وزير الداخلية بالذات وعلى النظام بشكل سافر»[٦٧]. كما منعت مسرحية «الأستاذ» لسعد الدين وهبة، ومسرحية «المخططين» ليوسف إدريس. وبخصوص هذه المسرحية الأخيرة فقد اتخذ منها ثروت عكاشة موقفا وسطا فقد سمح بنشر نصها فى مجلة المسرح التى كانت تصدرها وزارة الثقافة بعد أن أصر الاتحاد الاشتراكى على منع عرضها[٦٨].

ولم تنج الأعمال السينمائية من الرقابة أيضا ويتضح ذلك من موقف الرقابة من فيلم «شىء من الخوف» لثروت أباظة الذى اعترضت الرقابة عليه بحجة إن السيناريو الخاص به يحتوى على إسقاطات مقصود بها رئيس الجمهورية وأنها هجوم عليه وعلى نظام الحكم معا، وعندما وصل الأمر إلى عبد الناصر طلب مشاهدة الفيلم وبعد ذلك أمر بعرضه وقال «هو احنا عصابة؟ لو أنا «عتريس» (بطل الفيلم) يبقى كان لازم الشعب يقوم بقتلى»[٦٩]. وبالرغم

من أن عبد الناصر قد سمح بعرض فيلم «شيء من الخوف» إلا أن هذا لا ينفى أنه كانت هناك رقابة على الأعمال السينمائية تستطيع أن تمنع عرض الأفلام أو عدم السماح بإنتاج ما يتعارض منها مع نظام الحكم.

وفيما يتعلق بالفكر السياسى فقد كانت هناك رقابة صارمة عليه ولم يسمح فى هذا المجال إلا بكتاب خالد محمد خالد الشهير «فى البدء كانت الكلمة» فى عام ١٩٦١م بعد أن دعا عبد الناصر مؤلفه إلى منزله ليناقشه وبعد حوار دام أربع ساعات صدرت بعدها تعليمات عبد الناصر بالإفراج عن الكتاب فورا وكانت الرقابة قد تلكأت فى الموافقة على النشر(٧٠). وهكذا شهدت فترة حكم عبد الناصر نوعا من حرية الفكر المقيدة فى بعض الأحيان فهو لم يكن يستطيع إطلاق حرية الفكر على مصراعيه خوفا على الأمن. ولابد أن تجربة مارس ١٩٥٤م كانت ما تزال ماثلة أمام عينيه فحينما سمحت ثورة يوليو بشيء من حرية الفكر انطلقت بعض الأقلام المعادية تنادى برجوع العسكر إلى ثكناتهم مما يعنى انتهاء الثورة وعودة الحكم إلى الساسة القدماء المثلين فى الوفد وأعداء ثورة ٢٣ يوليو. فالحرية الفكرية التى سمح بها عبد الناصر كانت فى حدود معينة فى ميادين الأدب والفن والثقافة فقط وحتى هذه كانت فى حدود معينة أيضا لا تستطيع التعبير عن نفسها كاملا فى ظل نظام الوصاية والرقابة عليها.

أهداف مشروع ناصر الثقافى:

كان عبد الناصر يهدف من وراء مشروعه الثقافى إلى تحقيق الأهداف التالية:

١ - إعادة صياغة الوجدان المصرى وتنشئة جيل من المصريين يؤمن بمبادئ الثورة وفى هذا يقول ثروت عكاشة: إن عبد الناصر قال له فى محاولة منه لإقناعه بقبول منصب وزير الثقافة أول مرة: «أنت تعرف أن مصر كالحقل البكر وعلينا أن نعزق تربتها. ونغرس بذورا جديدة لتنبت لنا أجيالا تؤمن بحقها فى الحياة والحرية والمساواة فهذا هو العناء وهذا هو العمل الجاد على نحو ما ذكر فرجيل فى «الإنيادة» وأننى اليوم أدعوك إلى أن تقبل على هذا العناء وذاك العمل الجاد وأن نشمر عن ساعد الجد وتشاركنى فى عزق الأرض القاحلة وإخصابها وأن مهمتك هى تمهيد المناخ اللازم لإعادة صياغة الوجدان المصرى وأعترف أن هذه أشق المهام وأصعبها. إن بناء آلاف المصانع أمر يهون إلى جانب الإسهام فى بناء الإنسان نفسه»(٧١).

وإذا كان عبد الناصر لم يشر صراحة إلى مبادئ الثورة فقد تكلم عن حق أجيال فى الحياة والحرية والمساواة وهى من مبادئ ثورة يوليو. ويؤكد ثروت عكاشة مرة أخرى على أهمية تنمية الوجدان القومى كأحد أهداف مشروع ناصر الثقافى فيقول فى موضع آخر من مذكراته «وكان واضحا من بداية الأمر أن الهدف الذى ينبغى وضعه نصب أعيننا هو رعاية الوجدان القومى وتنميته وتغذيته وتنميته»[٧٢].

٢ - **أن تصبح الثقافة والفنون الراقية فى متناول الجماهير العريضة** وأن تخرج من نطاق القاهرة والإسكندرية لتصل إلى القرى والنجوع فى أعماق الريف المصرى فربما يبزغ فى هذا الريف عدد من الفنانين والأدباء الذين يعكسون فى إبداعهم أصالتهم الحضارية وفى ذلك يقول ثروت عكاشة إن عبد الناصر قال له «أذكر حديثنا قبل الثورة عن انحصار المتعة الثقافية والفنون الراقية فى رقعة ضيقة لاتنفسح إلا للأثرياء، وكيف ينبغى أن تصبح الثقافة فى متناول الجماهير العريضة وأن تخرج من أسوار القاهرة والإسكندرية لتبلغ القرى والنجوع، فمن بين أبناء هذه القرى الغائرة فى أعماق الريف بالدلتا والصعيد يمكن أن يبزغ عدد من الفنانين الذين يعكسون فى إبداعهم أصالتهم الحضارية»[٧٣].

٣ - **عدم قصر الإنتاج الثقافى على فئة واحدة من فئات المجتمع** وضرورة مشاركة جميع الفئات فى إنتاج هذه الثقافة، وبمعنى آخر اشتراكية الثقافة وفى ذلك يقول ثروت عكاشة «فى عصر الشعوب الذى نعيشه الآن لا يمكن أن تزدهر ثقافة قومية لا تعبر عن كافة فئات المجتمع الذى تمثله. إذ مضى الوقت الذى كانت طبقة واحدة سائدة تعبر فيه عن المجتمع وغدا الجميع يشكلون صورة الكيان الثقافى للأمة، فإذا خلت الثقافة من تأثير فئة من الفئات أو من نصيبها فهى إذا ثقافة ينقصها الشمول، فلا يمكن تصور إمكان قيام نهضة ثقافية قبل محاولة إزالة الحواجز القاسية والفواصل المنيعة بين طبقات المجتمع»[٧٤].

٤ - **إن عبد الناصر كان يرى أن الثقافة ضرورة من ضرورات الحياة والتقدم** لا يمكن الاستغناء عنها حتى فى وقت الحروب وفى ذلك يقول ثروت عكاشة إن عبد الناصر كان يؤمن «بأن الثقافة ضرورة من ضرورات الحياة والتقدم ويؤكد ذلك إنشاء وزارة للثقافة وأخرى للبحث العلمى فقد كان يرى جليا أن الطريقة المثلى فى مخاطبة الجماهير تعلو كثيرا عن مستوى مخاطبة بطونهم لأن من يجتزئ من الإنسان معدته فحسب يكون قد قصر مكانه على المطبخ وما إليه. أما من يخاطب العقل والروح فيكون قد سما بالإنسان إلى ما هو شامخ يطاول الزمن وجعل من اسم مصر نغما يتردد بعد آلاف السنين فى أنحاء

العـالم كما لا تزال حية متجددة ذكرى الملك الشـاب توت عنخ آمـون. وكان الرئيس قد أشار أيضا فى خطبة ٢٣ يوليو ١٩٦٧م إلى أن بريطانيا كانت أثناء سنوات الحرب العالمية العصيبة – الحرب العالمية الثانية – تشجع على تمثيل المسرحيات وإذاعة الأغانى. فعلت ذلك لا لترفه عن الناس فحسب بل استجابة لمطلب عميق من مطالبهم»[٧٥].

انـجازات مشروع ناصر الثقافى:

اهتمت ثورة يوليو منذ البداية بالثقافة ونشـرها فى البلاد فأنشـأت فى نوفمبر ١٩٥٢م وزارة جديدة باسم وزارة الإرشاد القومى أسندت فى بادئ الأمر إلى فتحى رضوان[٧٦]، الذى تولاها فى الفترة بين ١٧ نوفمبر ١٩٥٢م – ديسمبر من نفس العام[٧٧]. ثم خلفه فى الوزارة محمد فؤاد جلال الذى تولاها فى الفترة بين ٩ ديسـمبر ١٩٥٢م و ١٨ يونيه ١٩٥٣م[٧٨]، ثـم جاء من بعدهما صلاح سـالم «عضـو مجلس قيادة الثورة» الـذى تولاها فى الفترة بين ١٨ يونيه ١٩٥٣م و٢ نوفمبر ١٩٥٥م[٧٩]. ثم عاد إليها فتحى رضوان وتولاها فى الفترة بين ٢ نوفمبر ١٩٥٥م و١٧ أكتوبر ١٩٥٨م[٨٠].

وقد أنشـأت وزارة الإرشـاد القومى جهـازا فنيا وإداريا هو «مصلحـة الفنون» وضعت علـى رأسـه الأديب يحيى حقـى[٨١]. الـذى كان أول وآخر رئيس لها فقـد ألغيت فى عام ١٩٥٨م[٨٢]. كما أنشـأت هذه الوزارة إدارة للثقافة والنشـر. ومركزا للفنون الشعبية. وبرنامجـا إذاعيا على موجة خاصة «البرنامج الثانـى» بهدف الارتفاع بذوق الجماهير فى مجالات الأدب والفنون والموسـيقى الرفيعة كانت مدة إرساله فى البداية ساعتين كل ليلة امتدت بعد ذلك إلى ثلاث ساعات[٨٣].

وإلى جانب وزارة الإرشاد القومى فقد أنشأت الثورة أيضا المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلـوم الاجتماعية «المجلس الأعلى للثقافة الآن» فى ٢٥ يناير ١٩٥٦م على شـكل هيئة مسـتقلة ألحقت بمجلس الوزراء من أجل تنسيق جهود الهيئات الحكومية وغير الحكومية فـى ميادين الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية وربط هـذه الجهود بعضها ببعض وابتكار وسائل تشجيع العاملين فى هذه الميادين والبحث عن الوسائل التى تؤدى إلى تنشئة أجيال من الأدباء والفنانين يعملون على إبراز الطابع القومى فى الإنتاج الفكرى المصرى بمختلف ألوانه وعلى التقارب فى الثقافة والذوق الفنى بين المواطنين. وعهد فى بداية الأمر برئاسة هذا المجلس إلى وزير التربية والتعليم ثم صارت تبعيته فى النهاية لوزارة الثقافة[٨٤].

على أن مشـروع ناصر الثقافى قد بدأ بصورة فعلية وجدية فى أكتوبر ١٩٥٨م بإنشـاء وزارة الثقافـة والإرشـاد القومى[٨٥] وقد مرت هـذه الوزارة فى عهد عبـد الناصر ومعها مشروعه الثقافى بثلاث مراحل: المرحلة الأولى من أكتوبر ١٩٥٨م وحتى سبتمبر ١٩٦٢م، والمرحلة الثانية من سـبتمبر ١٩٦٢موحتى سـبتمبر ١٩٦٦م ،والثالثة من سبتمبر ١٩٦٦م وحتى نوفمبر ١٩٧٠م[٨٦].

أولا: المرحلة الأولى ١٩٦٢م - ١٩٦٦م:

أسـندت وزارة الثقافة والإرشـاد القومى فى هذه الفترة إلى ثروت عكاشة[٨٧]، الذى بدأ عملـه بعقد مؤتمـر عام للثقافة فى مارس ١٩٥٩م بدار الأوبرا حضره عدد كبير من الفنانين والمثقفـين والمهتمين بالثقافـة والفنون والعاملين فى مجالات بث الثقافة ونشـرها ومتابعة أنشطتها. واستمر هذا المؤتمر لمدة أسبوع. وقد تكشفت لثروت عكاشة من خلال هذا المؤتمر الرؤيـة الثقافية لمختلف الاتجاهـات والفئات[٨٨]. وقد قامت الوزارة فى خلال هذه المرحلة بعدة إنجازات من أهمها:

١ - فى مجال الكتاب والنشر: حيث بدأت بتطوير مشروع الألف كتاب الذى أصدرته الإدارة العامـة للثقافة فى عـام ١٩٥٧م وقت أن كانت تابعة لـوزارة التربية والتعليم وقد عملت وزارة الثقافة والإرشـاد القومى على أن يشـمل المشروع كتبا تمثل المراحل التاريخية المختلفة قديمها ومتوسطها وحديثها إلى جانب كتب أخرى مترجمة[٨٩].

وأقدمت الوزارة بعد ذلك على إصدار أربع سلاسـل دورية وهى «تراث الإنسانية» وهى دراسات لأمهات الكتب العربية والأجنبية التى أثرت فى الفكر العالمى والفكر العربى وقد صـدر منها نحو مائة عدد، و«المكتبة الثقافيـة» التى صدرت من أجل القارئ العادى لكى يعرف ذاته وتراثه والكون الذى يعيش فيه وكانت تصدر مرتين شهريا وقد صدر منها نحو أربعمائة عدد إلى أن توقفت فى عام ١٩٧١م، وسلسلة «أعلام العرب» التى اهتمت بتعريف القارئ بأبرز الأعلام فى التراث العربى وصدر منها نحو من مائة عدد، وسلسلة «مسرحيات عاليـة» وصدر منها جملة كبيرة. وقد أتاحت هذه السلاسـل فرص القراءة أمام الآلاف من القراء فحققت ما يمكن تسـميته بشـعبية الثقافة حيث كانت تباع بقروش قليلة وبأقل من تكلفتها الفعلية. وإلى جانب هذه السلاسل الأربع أصدرت الوزارة كتبا فى مختلف المعارف العامة والفنون البحتة[٩٠].

ومن إنجازات الوزارة فى هذا المجال أيضا إعادة طبع كتب التراث ومن أهم هذه الكتب التى أعادت الوزارة طبعها «لسان العرب» لابن منظور. و«الأغانى» للأصفهانى، و«النجوم الزاهرة» لابن تغرى بردى، و«صبح الأعشى» للقلقشندى. وكانت هذه المجموعات السابقة من كتب التراث قد نفدت طبعاتها كما كانت أسعارها مرتفعة جدا فعلى سبيل المثال فإن مجموعة لسان العرب المكونة من عشرين جزء كانت تباع قبل إعادة طبعها بما يزيد على المائة والخمسين جنيها للمجموعة فباعتها الوزارة بعد إعادة الطبع بعشرة جنيهات فقط[٩١]. وبالإضافة إلى ذلك فقد عملت الوزارة على تيسير كتب التراث كى تصبح فى متناول القارئ الناشئ وصدر منها نحو عشرين كتابا[٩٢].

ومن أجل تجسيد الشخصية الثقافية لمصر اتفقت الوزارة مع بعض دور النشر الأجنبية على إصدار مطبوعات عربية – أوربية، صدر منها كتاب «الفن المصرى المعاصر» باللغات الثلاث العربية والإنجليزية والفرنسية، اشتمل على لوحات لفنانين مصريين. وذلك بالاشتراك مع دور نشر يوجوسلافية كما صدر كتيب يضم لوحات الفنان «بهزاد» الواردة فى مخطوطة «بستان سعدى» المحفوظة بدار الكتب المصرية مع شرح لها باللغات العربية والفرنسية والألمانية والروسية[٩٣].

واهتمت وزارة الثقافة والإرشاد القومى خلال هذه الفترة بإقامة مبنى جديد لدار الكتب على أحدث طراز بعد أن امتلأت مخازن دار الكتب الكائنة بميدان باب الخلق بالقاهرة بالكتب والمخطوطات منذ عام ١٩٣٠م ولم يعد بها مكان للمطبوعات الجديدة كما لم تعد قاعاتها تتسع للأعداد المتزايدة من المترددين عليها. وقد أقيم المبنى الجديد على كورنيش النيل بمنطقة رمله بولاق المواجهة لحى الزمالك فى الجهة الأخرى من النيل وتبلغ مساحة هذا المبنى خمسة عشر ألف متر مربع وقد خصص له عبد الناصر مبلغ مليون جنيه فى الخطة الخمسية الأولى. وأرسى حجر الأساس له فى ٢٣ يوليو ١٩٦٦م وبدأ نقل الكتب والمخطوطات إليه من باب الخلق فى عام ١٩٦٩م بعد أن اكتملت بعض طوابقه[٩٤].

ثانيا: فى مجال المسرح والموسيقى:

كانت نقطة البداية فى هذا المجال إنشاء «المؤسسة العامة لفنون المسرح والموسيقى» من أجل إتاحة الفرص لتفجير طاقات الإبداع المسرحى والموسيقى والغنائى وإدخال صور التعبير الأخرى التى برع الغرب فيها كالرقص الجماعى والباليه والغناء الأوبرالى والموسيقى السيمفونية وفن العرائس[٩٥].

وكان المسرح القومي هو أول ما التفتت إليه هذه المؤسسة. فدعمته بعناصر جديدة ووضعت له تنظيما يضمن لأعضائه أرزاقهم. ورفعت مرتبات العاملين. وزودته بنصوص قيمة ومدروسة من الأدب المصرى والعالمي. وأتاحت الفرصة للكتاب بعرض مؤلفاتهم المسرحية مع إعطائهم مكافآت مجزية. الأمر الذى أدى إلى ظهور عدد كبير من المؤلفين المسرحيين. وإقبال الطلائع الشابة لدخول هذا الميدان. وقدم المسرح القومى خلال هذه المرحلة الأولى من عمر مشروع ناصر الثقافى عددا من المسرحيات الجيدة منها «زقاق المدق» لنجيب محفوظ و«الناس اللى فوق» لنعمان عاشور. و«الفراشة» لرشاد رشدى. و«جميلة» لعبد الرحمن الشرقاوى. و«القضية» للطفى الخولى. و«السلطان الحائر» لتوفيق الحكيم. و«فى بيتنا رجل» لإحسان عبد القدوس. و«المحروسة» لسعد الدين وهبة. و«أنتيجونا» لسوفوكليس. و«بيوت الأرامل» لبرنارد شو[٩٦].

واهتمت الوزارة بفن العرائس ولذا فقد استقدمت ثلاث خبيرات رومانيات وزودت فرقة مسرح العرائس بعدد من الفنانين التشكيليين المصريين وبنصوص عربية كتبها كبار الكتاب. وقد ظهر أول عرض لمسرح عرائس القاهرة فى مارس ١٩٥٩م استفادة من الخبرة العالمية لبعض البلدان المتقدمة فيه مثل الاتحاد السوفيتى وتشيكوسلوفاكيا والصين. كما استفاد من الزيارات المتبادلة مع أشهر المسارح المتخصصة فى هذا الفن فى جميع أنحاء العالم حتى لقد فاز بالجائزة الثانية فى مهرجان بوخارست العالمى لفن العرائس. وشيدت الوزارة خلال هذه الحقبة مبنى مسرح العرائس على أحدث طراز[٩٧].

وفى عام ١٩٦٠م شرعت الوزارة فى إنشاء «الفرقة القومية للفنون الشعبية» على غرار الفرق القومية فى الدول المتقدمة لتطوير الأصول الشعبية فى الرقص والموسيقى والأزياء. واستعانت من أجل ذلك بخبراء من الاتحاد السوفيتى الذى كان متقدما فى هذا المجال. وانتقت هذه الفرقة لوحاتها وموسيقاها من واقع الفنون الشعبية المصرية الأصيلة من حيث الخطوات والرقصات والعادات والأعراف والأنغام والإيقاع والأزياء. ولاقت هذه الفرقة إقبالا شديدا من الجماهير. وطافت بعروضها فى أنحاء العالم. وما لبثت أن أسرعت بعض محافظات الجمهورية إلى تكوين فرقها الخاصة بها. قام بتدريبها وإعدادها البارزون من أعضاء الفرقة القومية من أمثال حسن خليل وكمال نعيم حتى عمت أنحاء البلاد[٩٨].

وفى نفس الوقت وبناء على رغبة الرئيس عبد الناصر وضعت الوزارة نواة «السيرك القومى» من أجل إحياء فنون السيرك الشعبية التى كانت فى سبيلها للانقراض وكانت فرق السيرك

الخاصة والفردية تعانى من هبوط المستوى والمشاكل المالية، ولذا فقد استقدمت الوزارة الخبراء فى هذا الفن من الاتحاد السوفيتى، وأنشأت مركزا للتدريب لإعداد العناصر التى تولت العمل فى السيرك القومى فيما بعد[٩٩].

ولما كان هناك نقص فى عدد المسارح فى مصر فى ذلك الوقت فقد عملت الوزارة منذ عام ١٩٥٩م على تلافى هذا النقص عن طريق إنشاء عدد من المسارح الجديدة وتحويل بعض دور السينما إلى مسارح من أجل توفير أكبر عدد من المقاعد للمتفرجين وإتاحة الفرصة فى نفس الوقت لكافة المواهب أن تعتلى خشبة المسرح وتقديم الصيغ الفنية التى تبدعها وبذلك استطاعت الوزارة فى وقت قصير وبأقل التكاليف من أن تصل بعدد مسارح القاهرة من مسرحين فقط إلى تسعة مسارح، وبعدد المقاعد من ألف وخمسمائة مقعد إلى ما يقرب من تسعة آلاف مقعد[١٠٠].

وفى إطار اهتمام الوزارة بالمسرح قدمت معونات تشجيعية مختلفة لفرق القطاع الخاص الجادة مثل فرقة «المسرح الحر» عن طريق منحها مساعدات مالية أو تأجير مسارحها لهم فى مقابل مبالغ مالية رمزية[١٠١].

وفيما يتعلق بقطاع الموسيقى فقد كان هناك أوركسترا الإذاعة الذى أنشىء فى عام ١٩٥٦م، إلا أنه لم تتوفر له الظروف والإمكانات المالية التى تضمن له الاستقرار فقد كانت الميزانية المخصصة له تقوم على اتفاق ثلاث هيئات هى الإذاعة ومصلحة الفنون ومصلحة السياحة حينذاك بحيث يتحمل كل منها حصة مالية معينة سنوية، إلا أنه سرعان ما تخلت هذه الأطراف عن الوفاء بالتزاماتها المالية هذا بالإضافة إلى أن الإذاعة نفسها لم توفر لنشاط الأوركسترا الجو الملائم لانتظامه ونموه الأمر الذى دعا المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم للتدخل وأوصى فى عام ١٩٥٧م بنقل تبعية الأوركسترا إلى دار الأوبرا. وفى بداية عام ١٩٥٨م احتل هذا الأوركسترا مكانة بين أجهزة وزارة الثقافة والإرشاد القومى وحمل اسم «أوركسترا القاهرة السيمفونى» ورصدت له الاعتمادات المالية اللازمة ابتداء من ميزانية ١٩٥٩م، وبذلك تهيأ له أن يمتد نشاطه إلى كل المجتمع المصرى آنذاك بدلا من أن يقتصر عمله على تنفيذ القليل من الأعمال الموسيقية المرتبطة بالإذاعة[١٠٢].

ومن أجل تجويد أداء أعضاء هذا الأوركسترا للعزف وقيادته عملت الوزارة على إيفاد بعض أعضائه فى منح خارجية لتحقيق هذا الغرض، كما رفعت عدد العازفين إلى ثمانين

عازفا حتى يتمكن من التجديد فى نواحى نشاطه بإضافة مؤلفات عالمية تحتاج إمكانات فنية خاصة لم يسبق له تقديمها. كما اشترك معه لأول مرة عنصر الغناء الجماعى «الكورال». وانتظم تقديم الحفلات الأسبوعية الصباحية للطلبة بأسعار رمزية ومساء للجمهور. وتقديم بعض حفلات أوركسترا الحجرة خلال انشغال الأوركسترا فى تقديم موسمى الأوبرا والباليه. وزاد عدد رواد الحفلات السيمفونية من ستة آلاف شخص فى عام ١٩٥٩م إلى الضعف تقريبا فى عام ١٩٦١م. وبالإضافة إلى ذلك فقد أخذ الأوركسترا بنظام قادة الأوركسترا الزائرين لإتاحة الفرصة للإفادة من أكبر عدد ممكن من الخبرات مع الارتباط فى الوقت نفسه مع قائد ثابت. ومن هؤلاء نقادة الزائرين كان أرام خاتشتوريان الروسى وهو من أعلام الموسيقى العالميين فى ذلك الوقت الذى استقدمته الوزارة فى عام ١٩٦١م وقدم بعض الأعمال الموسيقية من تأليفه. وأقبل الجمهور على مشاهدته وهو يقود مؤلفاته الشهيرة فى دار سينما قصر النيل التى ضاقت بمقاعدها على المستمعين فاضطر بعضهم إلى افتراش الأرض وهو أمر لم يحدث من قبل[١٠٣].

وقد اتجه الأوركسترا إلى تشجيع التأليف الموسيقى فقدم خمسة مؤلفين مصريين معاصرين من بينهم أبو بكر خيرت الذى عزف الأوركسترا بتوجيه من ثروت عكاشة كل أعماله للجمهور فى عام ١٩٥٨م وتم هذا فى حفل دعى إليه عبد الناصر وكانت هى المرة الأولى التى يحضر فيها رئيس الدولة حفلا سيمفونيا وقد قلد عبد الناصر وسام الاستحقاق لأبو بكر خيرت بعد انتهاء الحفل[١٠٤].

كما اتجهت الوزارة أيضا خلال هذه المرحلة إلى إفساح المجال أمام عشاق فنون المسرح بمشاهدة مدارس أوبرالية جديدة فى المواسم الشتوية لدار الأوبرا ولذا فقد تم استضافة فرق ألمانية ويوغسلافية بجانب الفريق الإيطالى التقليدى. كما عملت الوزارة على توفير آلات عزف جديدة للأوركسترا بدلا من تلك التى كان يستخدمها والتى أصبحت بسبب كثرة استعمالها لأكثر من ربع قرن غير قادرة على الوفاء بالمستوى المنشود[١٠٥].

ومن أبرز نشاطات أوركسترا القاهرة السيمفونى فى هذه المرحلة خروجه إلى الجمهور فبدلا من قصر تقديم حفلاته على دار الأوبرا وحدها التى كان من النادر امتلاؤها بالرواد على قلة عدد مقاعدها انتقل الأوركسترا إلى دار سينما قصر النيل التى اضطرت فى بعض الحفلات إلى إغلاق شباك التذاكر أمام الرواد قبل موعد الحفل نظرا لامتلائها بالمشاهدين. كذلك خرج الأوركسترا للمرة الأولى لتقديم حفلاته خارج مصر فسافر إلى بيروت[١٠٦].

ومن أبرز الأعمال السيمفونية التى قدمها أوركسترا القاهرة السيمفونى، السيمفونية التاسعة لبيتهوفن التى قدمها فى ربيع ١٩٦٢م[١٠٧].

وفيما يتعلق بالمسرح الغنائى فقد كانت وزارة الإرشاد القومى فى عهد فتحى رضوان وبرعاية الأديب يحيى حقى قد عملت على إنعاش هذا المسرح الغنائى فانتعش على يديها وقدم مسرحية «يا ليل يا عين» الغنائية. وعندما تولى ثروت عكاشة وزارة الثقافة والإرشاد القومى عمل على تطوير هذا النوع من المسرح بحيث لا يقتصر على تقديم الأعمال القومية الهامة لسيد درويش وزكريا أحمد فقط، بل أن يقدم إلى جانبها بعض العروض العالمية الشهيرة وقد اختارت الوزارة لبدء العمل فى هذا المجال العالمى أوبريت «الأرملة الطروب» لفرانز ليهار التى قام الشاعر عبد الرحمن الخميسى بتعريبها. وقد امتد عرضها على دار الأوبرا لمدة ثلاثة أسابيع. ونالت أعجاب الجميع ناقدين وفنانين ومثقفين بالإضافة إلى الجمهور الذى ازدحمت الدار به[١٠٨].

ثالثا: فى مجال السينما:

اهتمت الثورة بصناعة السينما مبكرا بجانبيها الفنى والاقتصادى فأنشات فى سبتمبر ١٩٥٢م غرفة صناعة السينما المصرية ثم أعقب ذلك صدور مجموعة من القرارات والتشريعات الخاصة بها[١٠٩]. فأصدرت فى عام ١٩٥٤م تشريعا يقضى بدعم صناعتها وفرض ضريبة إضافية تخصص حصيلتها لدعمها[١١٠]. وفى عام ١٩٥٦م صدر قانون تنظيم عرض الأفلام السينمائية لتشجيع الإنتاج المحلى،١ وفى العام التالى تم إنشاء مؤسسة دعم السينما ضمن مؤسسات وزارة الإرشاد القومى. وقد بدأت هذه المؤسسة نشاطها الفعلى فى عام ١٩٥٩م حين تم اعتماد مبلغ ٢٤١٣٠٠ جنيه لإنتاج الأفلام وتوزيعها وتسويقها وتقديم جوائز للإفلام الجيدة من القطاع الخاص والمهرجانات الدولية. وقد شاركت المؤسسة فى إنتاج فيلمين على درجة كبيرة من الجودة من ناحية الشكل والمضمون وهما «الناصر صلاح الدين» و«وإسلاماه»[١١١].

وقد وضعت الوزارة لهذه المؤسسة عددا من الأهداف، منها رفع المستوى الفنى والمهنى للسينما المصرية بزيادة الاهتمام بالمشتغلين بها ومنح الجوائز التشجيعية للأعمال الجيدة والمجيدين فى الحقل السينمائى، وإيفاد البعثات الطويلة والقصيرة لأجل دراسة فن السينما فى الخارج، وإعطاء الفرصة للعاملين فى هذا الميدان لتوسيع نطاق معارفهم عن

طريق الاشــتراك فى مؤتمرات ومهرجانات السينما العالمية، وإقامة أسابيع للأفلام العربية والأجنبية فى الداخل والخارج، ومنح التســهيلات المالية للعاملين بصناعة السينما بتقديم القروض للإنتاج الهادف وتمويل الاســتوديوهات بالقروض وضمانها لدى هيئات الائتمان، وتشــجيع عرض الأفلام المصريــة داخل البلاد وخارجها. وفى ضــوء هذه الأهداف قامت المؤسســة بإنتاج عدد محــدود من الأفلام الروائية والتاريخية بعــد انتقائها بعناية لمعالجة بعض الموضوعات الجادة من خلال شركة مصر للتمثيل والسينما. كما أنتجت عددا محددا من الأفلام التســجيلية بســيطة التكاليف تعبر عن قيم المجتمع المصرى وتعريف المصريين ببلدهــم وبتراثها الحضارى كان فــى مقدمتها فيلم «ينابيع الشــمس» وقد أخرجه المخرج الكندى جون فينى بمعاونة مجموعة من الشــباب الواعــد ويدور موضوعه حول تاريخ نهر النيل من منبعه حتى مصبه. كان الهدف منه الدعاية وترويج السياحة إلى مصر إلى جانب الناحية التثقيفية[١١٢].

وبالإضافة إلى ذلك ضمت الوزارة ستوديو مصر ورصدت مبلغ نصف مليون جنيه لتطويره ورفع مســتوى كفاءتة وقد تم تزويده بمعدات حديثــة للصوت والتصوير ومعامل التحميض وطبع الأفلام الملونة وغيرها[١١٣].

ومن أجل رعاية العاملين فى حقل التمثيل والســينما والموســيقى أنشأت الوزارة «نقابة المهن التمثيلية والســينمائية والموســيقية». كما كونت فى عام ١٩٦٠م «جمعية الفيلم» لعقد النــدوات الســينمائية الدورية لعرض الأفلام المختارة وتنظيم المحاضرات عن فن الســينما وتكوين مكتبة ســينمائية. وقامت الوزارة لأول مرة خلال أعوام ١٩٥٩م و ١٩٦٠م و ١٩٦١م بتوزيع جوائز مالية لتشــجيع فروع الفن الســينمائى المختلفة الفكرة والســيناريو والحوار والإخراج والموسيقى التصويرية والتصوير والتسجيل الصوتى والديكور، ثم أضافت إلى ذلك مبدأ شــراء نسخ من أجود الأفلام تشــجيعا للمنتجين على تقديم الأعمال الرفيعة المستوى مما أدى إلى إقبال بعضهم على إنتاج أفلام ذات موضوعات لم تطرق من قبل وأدى هذا فى النهاية إلى ارتفاع مستوى الفيلم المصرى إلى حد كبير[١١٤].

وبالرغم من كل هذه الجهود الســابقة للنهوض بصناعة السينما المصرية فقد كان العمل الســينمائى بحاجة إلى تطوير أكبر وتشكيل جديد من السينمائيين الأكفاء ولذا فقد أنشأت الوزارة «المعهد العالى للسينما» فى أغسطس ١٩٥٩م. وفى تحرك مواز اختارت الوزارة أفضل

الكتب السينمائية العالمية وعهدت بها إلى المتخصصين بترجمتها وإحالتها إلى مؤسسة النشر التابعة لها لإصدارها. كما فرضت الوزارة على دور عرض الدرجة الأولى التى كانت مخصصة أصلا للفيلم الأجنبى أن تلتزم بعرض عدد مناسب من الأفلام المصرية لإتاحة فرصة المنافسة للفيلم المصرى مع الفيلم الأجنبى[١١٥].

رابعا: فى مجال الآثار:

انتقلت مصلحة الآثار من وزارة التربية والتعليم إلى وزارة الثقافة والإرشاد القومى فى عام ١٩٥٨م، واهتمت أولا بالآثار وسارت فى طريقين متلازمين أولهما إعطاء الأسبقية لترميمها وتسجيلها تسجيلا علميا. وثانيهما تشجيع البعثات الأثرية الأجنبية على مواصلة الحفائر والتنقيب تخفيفا للعبء الواقع على الوزارة من جانب ومنعا لأى تفسير سياسى سلبى ولأى تأويلات علمية ضارة من جانب آخر، وحرصا على استمرار تيار علم الآثار متجددا ومطردا[١١٦].

وإلى جانب عناية الوزارة التقليدية بالمناطق الأثرية والمتاحف فقد قامت بنشاط ثقافى فى هذا المجال تمثل فى مشروع الصوت والضوء الذى أقامته بأهرامات الجيزة وأبو الهول وقلعة صلاح الدين ومعبد الكرنك. وقد تم تنفيذ هذه المشروعات الثلاثة على مستوى رفيع جمع بين النص التاريخى والموسيقى والأداء الفنى فى صياغة جمالية مما أدى إلى جذب الأنظار إلى الآثار المصرية وحث العالم على المشاركة فى إنقاذ آثار النوبة التى تشتمل على سبعة عشر معبدا حتى لا تغرقها مياه النيل عند إقامة السد العالى[١١٧]. وقد افتتح عرض الصوت والضوء بالأهرامات وأبو الهول فى مساء الثالث عشر من أبريل عام ١٩٦٠م وحضر جمال عبد الناصر هذا الافتتاح[١١٨]. كما افتتح عبد الناصر فى ٢٣ يوليه ١٩٦٢م عرض الصوت والضوء بقلعة صلاح الدين[١١٩].

وأدى نجاح الوزارة فى بعث الحياة فى الآثار بعروض الصوت والضوء إلى تفكيرها فى إنشاء مسارح لإقامة المهرجانات الفنية فى الأماكن الأثرية. وبدأ تنفيذ الفكرة للمرة الأولى فى أغسطس ١٩٦١م بالمنطقة المجاورة لأبى الهول حيث قدمت فرقة «أولد فيك» الإنجليزية الشهيرة على مسرحها خلال أربع حفلات مسرحيتى «روميو وجولييت» لشكسبير و«سانت جان» (القديسة جان دارك) لبرنارد شو. كما شدت أم كلثوم بأغنية «الأطلال» فى حفل أسهمت بدخله فى إنقاذ معبد فيلة عام ١٩٦٢م، وأدت عليه فرقة «باليه كوفنت جاردن

الملكية» رقصاتها فى سبتمبر ١٩٦٩م خلال الاحتفال بالعيد الألفى للقاهرة. وفى هذا الإطار أيضا تم إعداد المسرح الرومانى بالإسكندرية بمعاونة البعثة البولندية التى كانت تقوم بالتنقيب فى المنطقة لعرض المسرحيات الكلاسيكية. واستخدم أيضا صحن وكالة الغورى لتقديم بعض المسرحيات والعروض الفلكلورية التى حظيت بإقبال شديد كما استعملت الوكالة فى نفس الوقت كمركز لإحياء الصناعات التقليدية[١٢٠].

ومن أجل إنقاذ أثار النوبة قامت الوزارة بحملة دولية واسعة فى عام ١٩٥٩م بالتعاون مع منظمة اليونسكو[١٢١]. نجحت فى النهاية فى إنقاذها من الغرق.

خامسا: أكاديمية الفنون:

ويمثل هذا المشروع كما يقول ثروت عكاشة «حجر الزاوية فى الخطة طويلة المدى لوزارة الثقافة»[١٢٢] بقصد توفير الكوادر رفيعة المستوى فى القدرات والإمكانات البشرية فقد كانت هناك حاجة إلى نوعية خاصة من الأفراد الذين يملكون الموهبة الغنية والخصبة إلى جانب العلوم والمعارف مع تخصص دقيق فى أحد فروع الأدب أو الفنون أو مجالات الفكر[١٢٣].

ومن هذا المنطلق أقدمت الوزارة على إقامة عدد من المعاهد الفنية فأقامت أربعة معاهد كانت النواة لأكاديمية الفنون وهى المعهد القومى للموسيقى (الكونسرفتوار) وقد صدر القرار الجمهورى رقم ١٤٣٩ فى ٢٢ أغسطس ١٩٥٨م بإنشائه. والمعهد العالى للفنون المسرحية الذى حل مكان معهد الفن المسرحى الذى كان قائما من قبل. ومعهد الباليه الذى أصبح بديلا لفصل الباليه التدريبى الذى أنشأ فى عهد فتحى رضوان. ومعهد السينما[١٢٤] الذى أشرنا إليه من قبل. وقد بدأت الدراسة فى هذه المعاهد الأربعة فى أكتوبر ١٩٥٩م فى أماكن متفرقة إلى أن انتهت الوزارة من تشييد مبانيها المخصصة لها[١٢٥] وكانت الوزارة قد اختارت موقعا فى بداية طريق الهرم لإقامة هذه المعاهد أقيمت فى وسطها قاعة سيد درويش لسماع الموسيقى[١٢٦].

سادسا: رعاية الفنانين:

كان الفنانون من مصورين ونحاتين فى ذلك الوقت يواجهون ثلاث مشاكل وهى ضيق فرص عرض إنتاجهم على الجمهور. وعجزهم عن تسويق أعمالهم بما يحرمهم من جنى الثمار المادية لجهودهم. وضغط الظروف المعيشية فقد كانوا لا يجدون الوقت الكافى للإنتاج

والتواصل مع الإبداعات الفنية داخل البلاد وخارجها[١٢٧]. وقد عملت الوزارة على حل هذه المشكلات وتذليلها لهذه الفئة من الفنانين التشكيليين فبالنسبة إلى المشكلتين الأولتين عملت الوزارة على توفير أربعة أماكن للعرض إلى جوار رعايتها لقاعة أتيليه القاهرة إلى جانب أنها استأجرت أبهاء الفنادق الكبرى لعرض الأعمال الفنية. كما تم تخصيص قاعة فى كل قصر ثقافة لعرض الأعمال الفنية من أجل نشر النهضة الفنية فى القاهرة والأقاليم على حد سواء[١٢٨]. كما أقامت الوزارة المزيد من المعارض للفنانين المنفردين إلى جانب إقامة المعارض لمجموعات منهم عن طريق اتحاداتهم وجمعياتهم وبالإضافة إلى ذلك فقد نظمت الوزارة معرضا للفن التشكيلى يقام سنويا كان فرصة للفنانين لتقديم الأعمال الجيدة لهم. وحرصت الوزارة على توفير مزيد من الاعتمادات المالية لاقتناء الأعمال الفنية كما تم الاتفاق مع وزارة الخارجية المصرية على تخصيص مبلغ معين سنويا لاقتناء أعمال فنية تعرض فى السفارات المصرية بالخارج. ولما كان هناك كثيرون من الناس يرغبون فى اقتناء الأعمال الفنية لكنهم لا يعرفون الطريق إليها فقد أقامت الوزارة سوقا لبيع الإنتاج الفنى فى سنوات ١٩٦٧م و١٩٦٨م و١٩٦٩م وقد نجحت هذه السوق نجاحا كبيرا ولعل أهم ما حققته نقل كثير من أعمال الفنانين إلى المنازل لتعايش الناس وتدور حولها المناقشات والتعليقات والمقارنات[١٢٩].

وفيما يتعلق بالمشكلة الثالثة أقرت الوزارة نظام التفرغ بناء على نصيحة الدكتور لويس عوض الذى تقدم فى مطلع عام ١٩٥٩م بمذكرة مستفيضة فى هذا الموضوع ويقضى نظام التفرغ أن تقدم الوزارة راتبا شهريا للفنان لمدة عام أو أعوام حسب تقييم لجنة من المتخصصين والنقاد المشهود لهم فى هذا المجال حتى يتفرغ الفنان تفرغا كاملا لإبداعه الفنى[١٣٠]. وقد استفاد من هذا النظام عدد هائل من الفنانين من مختلف الاتجاهات الفنية بغير تحيز حتى أصحاب الاتجاهات التجريدية مثل رمسيس يونان وفؤاد كامل والتجريدية التعبيرية مثل عفت ناجى وصلاح طاهر وغير ذلك من الاتجاهات[١٣١]. كما أقامت الوزارة مراسم جديدة فى بعض البيوت الأثرية مثل المسافرخانة ووكالة الغورى وبيت السحيمى فجعلت من غرف هذه البيوت مراسم ومحارق للفنانين دون أن يتكبدوا أجرا[١٣٢].

وإلى جانب الاهتمام بالفنانين ورعايتهم فقد أقامت الوزارة عددا من المتاحف وهى متحف المثال محمود مختار بحديقة الحرية جمعت فيه أعمال هذا الفنان الرائد وقد افتتح فى العيد العاشر للثورة فى عام ١٩٦٢م. وتنفيذا لوصية المرحوم محمد محمود خليل وحرمه؛ قامت

الـوزارة بإعـداد بيته ليكون متحفا يحمل اسمه واسـم حرمه يضم مقتنياتـه الفنية الزاخرة بلوحات المدرسـة الانطباعية الفرنسـية وتم افتتاحه فى يوليو من نفس العام بمناسـبة عيد الثورة العاشـر. كما أقامت الوزارة متحف دار ابن لقمان التاريخى بمدينة المنصورة وافتتحه عبد الناصر فى مايو ١٩٦٠م[١٣٣].

سابعا: إقامة قصور الثقافة:

من أجل تطوير الثقافة فى الأقاليم بدأت الوزارة فى إقامة قصور الثقافة وبث قوافلها فـى نواحى الريف المصـرى منذ عام ١٩٥٩م[١٣٤] ولما كان نظام قصـور الثقافة مطبقا فى الدول الاشـتراكية[١٣٥] وكانت هذه الدول متقدمة فى هذا الميدان وخاصة فى يوغسلافيا، فقد تم إرسـال بعثة إليها فى أواخر نوفمبر ١٩٦١م من المتخصصين فى كل شـعبة أو فن من مسرح وسينما وموسيقى وفنون تشكيلية ومكتبات وتنظيم وإدارة، وأمضت هناك ثلاثة أشـهر قضتها فى الدراسـة والطواف على الريف اليوغوسلافى للتعرف إلى أسباب نجاح التجربة هناك[١٣٦].

وكانـت خطة الوزارة فـى عام ١٩٦١م أن تقيم فى عاصمـة كل محافظة قصرا للثقافة وإعداد قوافل ثقافية تجوب القرى. ويضم كل قصر قاعة للعروض السـينمائية والمسرحية، ومنتدى للفكر وآخر للأدب ومعرضا للفنون التشكيلية وقاعة استماع موسيقى وناديا للأطفال ومراكز لتلقى فنون العرض والأداء الدرامية والشـعبية والموسـيقية ومكتبة[١٣٧]. وبنى خلال هـذه المرحلـة بعض قصور الثقافة فى عواصم المحافظات كما شـرع فى بناء بعضها الآخر وإعداد بعض مراكز الثقافة[١٣٨].

وقد أدى هذا إلى أن يتذوق الريف المصرى لأول مرة طعم الثقافة وهرع الفلاحون لمشاهدة العروض المسرحية والسـينمائية والمعارض الفنية. كما أسهمت قصور الثقافة إسهاما كبيرا فى خلق جيل جديد من كتاب القصة والمسرح والشعر والزجل والموسيقى من أبناء الأقاليم. تنافسـوا فيما بينهم فى الحصول على الجوائز فى المسـابقات التـى كانت تعقد بين أبناء هـذه القصور وفرقها المختلفة مما أثرى الحركة الفنية والأدبية بعناصر جديدة من العاملين بالمسرح والموسيقى والأدب والشعر. كما شجع على تطوير الفنون المصرية الأصيلة وتجددها وإثرائها بالاحتكاك بينها وبين غيرها[١٣٩].

المرحلة الثانية من مشروع ناصر الثقافى ١٩٦٢ م - ١٩٦٦م:

أدمجت وزارة الثقافة فى هذه المرحلة مع وزارة الإعلام والسياحة مما يعنى تراجع الاهتمام بالثقافة. وقد تولاها فى بداية الأمر عبد القادر حاتم فى الفترة من سبتمبر لنهاية سبتمبر ١٩٦٥م[١٤٠]، ثم سليمان حزين من أول أكتوبر ١٩٦٥م إلى سبتمبر ١٩٦٦م. وقد طالب لويس عوض فى خطاب مفتوح فى أهرام الجمعة فى ١٩ نوفمبر ١٩٦٥م بفصل الثقافة عن الإعلام والسياحة[١٤١].

وشهدت هذه المرحلة ركودا ثقافيا وتراجعت خلالها المشروعات الثقافية الكبرى وخاصة مشروع دار الأوبرا الجديدة والمتاحف التى كانت الوزارة السابقة قد خططت لها وانتقال الميزانيات المرصدة لتلك المنشآت إلى خدمة أهداف أخرى فقد طغى عنصر الإعلام على عنصر الثقافة[١٤٢]. كما طغى الكم على حساب الكيف ففى مجال النشر كان شعار الدار القومية المسئولة عن النشر فى ذلك الوقت كتابا جديدا كل ست ساعات وزادت مجموعة السلاسل من أربع إلى سبع عشرة يتداخل أكثرها بعضه مع بعض[١٤٣]. وقد جاء فى تقرير المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية أن هذه السياسة بالإضافة إلى الخسائر التى حققتها قد أدت إلى «تدمير سمعة الكتاب المصرى فى الخارج وما أثر به فى العقول فى الداخل»[١٤٤]. وقد أورد التقرير قائمة بالمطبوع والمباع من سلاسل الدار القومية أعقبه بقائمة أخرى بالمخزون من السلاسل غير المباعة التى تنشرها هذه الدار ويختم التقرير عرضه قائلا بالنسبة لهذه السلاسل «كأنما الجهد والمال والورق وعرق المؤلف والعامل كلها كان الهدف منها ملء مخازن ما كان أحراها أن تمتلئ بورق أبيض»[١٤٥]. وفيما يتعلق بالكتب فقد أشار التقرير إلى أن المخزون منها يتجاوز التسعة ملايين كتاب فى سبتمبر ١٩٦١م واعتبر التقرير أن هذا وحده «دليل على عدم تخطيط لانعدام الكفاءات المسئولة فى جهاز النشر من حيث الثقافة والدراسة بما تتعامل به وسياسة الكم الوفير وما تجره بعد البريق الخاطف من انهيار وتخريب فى ميادين التعامل على كل المستويات تأليفا وطبعا وشراء ورق... إلخ..»[١٤٦].

وفى مقال له نشر فى أهرام الجمعة فى ٧ مايو ١٩٦٥م انتقد لويس عوض سياسة الكم التى اتبعتها الدار القومية للطباعة والنشر وشعار كتاب جديد كل ست ساعات الذى رفعته فقال إن هذا الشعار «فى حد ذاته شعار يسىء إلى الدار أكثر مما يحسن إليها لأن العادة جرت بين دور النشر ألا تتباهى بمجرد غزارة الإنتاج بل تتباهى بما تنشره فى الناس من

علم ومعرفة وتنوير وبما تثقف به أذواقهم من جمال وفن وإبداع»[١٤٧] كما انتقد إصدار الدار سبع عشرة سلسلة من الكتب بدلا من الأربع التى كانت تصدر فى المرحلة الأولى فقال إن «هذه السلاسل الأربع يمكن أن تغطى كل احتياجات القراء، أما إصدار ١٧ سلسلة أكثرها يتداخل مع بعضه الآخر فهو الذى أدى إلى بلبلة القراء وإلى إغراق السوق بمطبوعات كثيرة منها مكرر، ومن قرأ أحدها استغنى عن الباقى»[١٤٨]. واستطرد يقول «ولو أن الدار القومية اكتفت بكتاب واحد كل أسبوع فى كل هذه الاتجاهات الأربعة لأمكنها أن تحسن اختيار المؤلفين والمترجمين بما يرفع مستوى مطبوعاتها ويثبت لها قاعدة أعرض من القراء المرتبطين بها، كل ذلك دون أن تخل بالمستوى الكمى الذى تريد أن تستهدفه»[١٤٩].

وأرجع لويس عوض تساهل الدار القومية المخل فى مستوى مطبوعاتها خلال هذه المرحلة إلى حرصها على إغراق السوق بطوفان من المطبوعات الأمر الذى أدى إلى فقدانها ثقة القراء وأثر بالتالى فى نسبة توزيع الكتب. كما أرجع كساد الكثير من مطبوعات الدار القومية إلى تشبع السوق بكتب الثقافة العامة والتوعية السياسية وهو ما يسمى فى علم الاقتصاد «بقانون الغلة المتناقصة» أى تناقص الحصيلة بعد بلوغ حد معين من الذروة[١٥٠].

ويشير ثروت عكاشة فى مذكراته إلى أن الرئيس عبد الناصر قد عبر له بعد عودته إلى وزارة الثقافة فى سبتمبر ١٩٦٢م عن ضيقه لما حدث من هدم وتخريب لمشروعاته الثقافية التى أقامها فى المرحلة الأولى وأنه قد عدل عن ترجيح كفة الكم على كفة الكيف فى مجال الثقافة وأن تطبيق سياسة الكم قد أسفر عن نتائج ضارة بالثقافة ومال الدولة وإن تدارك قائلا إنه لا يعنى بذلك «تضييق الرقعة الثقافية ولا النظر إلى الكيف وحده بل أعنى أن تكون ثمة موازنة بين الكيف والكم حتى لا يطغى أحدهما على الآخر»[١٥١].

وفى مجال السينما ألغيت مؤسسة دعم السينما فى هذه المرحلة وحل محلها ست شركات مما أدى إلى خسائر مالية وزيادة الديون مع تضخم العمالة. فقد بلغت خسائر الشركات الست مليونا وخمسمائة وأربعين ألف جنيها، ووصلت القروض إلى مليونين وستين ألف جنيه هذا بالإضافة إلى زيادة العمالة وارتفاع الأجور والمرتبات وانخفاض عدد دور العرض لخسارتها بسبب هبوط مستوى الأفلام فانخفض عدد دور العرض من ٣٦٠ فى عام ١٩٥٤م إلى ٢٥٥ فى عام ١٩٦٦م. وارتفاع كبير ومفاجئ فى أجور الفنانين والفنيين بسبب المضاربات غير المشروعة بين شركات الإنتاج التابعة لقطاع السينما ولزيادة كبيرة فى إقراض منتجى القطاع الخاص دون ضمان لحصيلة الأفلام التى تم إقراضها[١٥٢].

وقد أسفر كل ذلك إلى وضع جديد أساء إلى سمعة مصر فى الخارج وهو هجرة أشهر الفنانين المصريين إلى لبنان مما دعا إحدى المجلات اللبنانية إلى أن تشكر مؤسسة السينما المصرية على سياستها التى أدت إلى انتعاش السينما اللبنانية بانتقال الفنانين والفنيين المصريين إلى لبنان وقد أزعج هذا التعليق عبد الناصر(١٥٣).

وفيما يتعلق بالمسرح فقد رأت القيادة الجديدة إدماج مؤسسة المسرح والموسيقى فى هيئة الإذاعة وضمت ميزانيتها إليها رغم اختلاف طبيعة عمل ورسالة كل منهما مما أدى إلى تغليب الجانب الإعلامى على الجانب الثقافى وتحول الجزء الأكبر من رسالة المسرح الثقافية إلى رسالة إعلامية ترفيهية(١٥٤).

وتميزت هذه المرحلة وخاصة الفترة مابين ١٩٦٣م - ١٩٦٦م بعرض عدد كبير من المسرحيات كانت القلة منها ذات جودة على حين افتقدت الكثرة لفلسفة ثقافية مرسومة وطغى عليها طابع التسلية(١٥٥). وضمر فى هذه الفترة كل من المسرح القومى ومسرح الجيب كما وكيفا وتوسعت المسارح الأخرى كما مع تقلصها كيفا وانصرف الجمهور بوجه عام عن الفن المسرحى حتى فى مجال التسلية نتيجة لعاملين أساسين وهما درجة التشبع لحد التخمة التى وصلت إليها الحركة المسرحية لكثرة ما يعرض على الجمهور من مسرحيات وهبوط المستوى الفنى الناشئ عن اختلال التوازن بين حجم الحركة المسرحية الهائلة فى ذلك الوقت والإمكانات الفنية المحدودة والناشئ ثانيا عن تفتيت القيادة الفنية بين قيادات مسرحية مستقلة تفعل ما بدا لها دون أن تجد من يسألها كيف ولماذا والناشئ ثالثا عن حالة الحرب الباردة التى شنتها قيادة كل مسرح على غيره من المسارح(١٥٦).

وقد انتقد لويس عوض الموسم المسرحى لعام ١٩٦٤م - ١٩٦٥م فقال «لقد أوشك الموسم المسرحى لعام ١٩٦٤م و ١٩٦٥م أن ينتهى. ولم يعد خافيا أن الحكم قد صدر فيه منذ الآن حكم النقاد وحكم الجمهور. وهذا الحكم هو أنه موسم غير موفق إذا أردنا مهذب التعبير، وموسم فاشل إذا أردنا أن نسمى الأشياء بأسمائها. أما النقاد فقد أعلنوا أرائهم بصراحة فيما كتبوه من تحليلات، وأما الجمهور فقد أصدر حكمه السلبى الذى اتخذه مما عرض من مسرحيات، أى بانصرافه عن أكثر ما عرض من مسرحيات»(١٥٧) ويوضح هذا النقد ما كانت عليه حالة المسرح فى مصر خلال هذه المرحلة.

المرحلة الثالثة من مشروع ناصر ١٩٦٦م - ١٩٧٠م:

عاد ثروت عكاشة إلى الوزارة وتولاها فى الفترة بين سبتمبر ١٩٦٦م ونوفمبر ١٩٧٠م وتخلصت الوزارة من الإعلام والسياحة وأصبح اسمها وزارة الثقافة. وحين تسلم ثروت عكاشة مهام الوزارة عاود نهجه القديم الذى كان قد اتبعه فى عام ١٩٥٩م فدعا إلى عقد أربع مؤتمرات للحوار المفتوح حول أهداف العمل الثقافى جمعت المثقفين والعاملين فى مجالات الثقافة والفنون وبخاصة أجهزة الوزارة التى كانت قد كبرت بعد ثمانى سنوات من نشأتها[١٥٨]. وقد طبعت حصيلة هذه الحوارات فى كتاب جامع باسم «مؤتمرات السينما، المسرح، والكتاب، والفن التشكيلى» نشر فى عام ١٩٦٧م للاسترشاد بها لتكون تحت أيدى جميع العاملين فى الوزارة والمثقفين خارجها حتى يتحقق الترابط بين منتجى الثقافة ومستهلكيها[١٥٩]. وفى تلك المرحلة حققت وزارة الثقافة الإنجازات التالية:

أولا: فى مجال الكتاب والنشر:

قامت الوزارة فى أول الأمر فى نهاية عام ١٩٦٦م بدمج كافة شركات النشر التابعة لها فى شركة واحدة للطباعة والنشر هى «دارالكتاب العربى» وإلى جانبها كانت هناك شركة واحدة للتوزيع، ومؤسسة للتأليف والنشر عهد بها إلى الدكتورة سهير القلماوى وكانت مهمتها الأساسية التخطيط والتجديد والابتكار والمتابعة للكتاب العربى. وحرصت المؤسسة فى خريف عام ١٩٦٦م على معرفة الواقع الثقافى فى ميدان الكتاب العربى قبل البدء فى خطة النشر، ومن ثم فقد أوكلت إلى لجان متخصصة من الخبراء وضع دليل شامل لكل ما نشر من التراث تحقيقا ودراسة ليكون دليلا لكل ناشر فى الميدان ودليلا شاملا لكل ما ترجم إلى اللغة العربية من روائع الكتب العالمية وذلك قبل البدء فى إعداد الخطة[١٦٠].

وبدأت المؤسسة بالسلاسل وقامت بتصفية ما ثبت عدم جدواه منها ولذا فقد ألغت ثلاث عشر سلسلة صدرت فى المرحلة السابقة وأصدرت فى نفس الوقت مجموعة جديدة من السلاسل هى «أعلام الفكر» و«مسرحيات عربية» للمؤلفين المسرحيين الذين تعد أعمالهم من التراث المسرحى، و«كتابات جديدة» لنشر أعمال المواهب الجديدة، و«مكتبة فلسطين» و«اعرف عدوك» و«العلم للجميع» من أجل تبسيط العلوم وتقريبها للقارئ العادى[١٦١].

واتجهت الخطة لأول مرة إلى التركيز على الشباب والأطفال فأصدرت للشباب سلاسل منها سلسلة «اقرأ» لتبسيط العلم بالاتفاق مع مؤسسة «لونجمان» البريطانية، كما أصدرت عدة سلاسل للأطفال. ولما كانت الكتب المترجمة للأطفال هى الغالبة فقد راعت المؤسسة التوازن بين المترجم والمؤلف وتشجيع التأليف بمختلف الوسائل مثل رصد الجوائز وإنشاء جهاز خاص لكتب الأطفال(١٦٢).

وتضمنت خطة النشر فى هذا المجال نشر العديد من كتب الفكر السياسى والاشتراكى والأدب العربى الحديث فى مجالات الرواية والدراسات الأدبية والشعر والأدب الشعبى والأدب العالمى، فضلا عن إصدار كتب تضم الأعمال الكاملة لأعلام الفكر العربى والأجنبى منها على سبيل المثال «الأعمال الكاملة لدستيوفسكى» وقد صدرت فى ١٦ مجلدا بترجمة سامى الدروبى، وكذلك الأعمال الكاملة لأفلاطون وهوميروس وبرجسون(١٦٣).

واهتمت المؤسسة أيضا بجمع تراث فلاسفة المسلمين كابن رشد وابن سينا والفارابى تمهيدا لنشر أعمالهم كاملة، كما أخذت تنشر مختارات من الأدب اليونانى الحديث كان فى مقدمتها «المسيح يصلب من جديد» لنيكوس كازانزاكس، ومن أمريكا اللاتينية وآسيا وإفريقيا. كما أصدرت سلسلة «روائع الفكر الانسانى» التى صدرت فى شكل مقالات عن تطور الحضارة والفكر والفن فى مختلف العصور بسبب قلة الموارد المتاحة للمؤسسة آنذاك(١٦٤).

واستكملت المؤسسة نشر كتب التراث التى كان قد توقف صدورها منذ سنوات مع إضافة مجموعات أخرى لإبراز الجانب العلمى من التراث العربى ومساهمات العرب وريادتهم فى مجال دوائر المعارف أو الكتب الشاملة مثل «الأغانى» وكانت الوزارة قد طبعت منه ستة عشر جزء فى المرحلة الأول، و«النجوم الزاهرة» لابن تغرى بردى و«نهاية الأرب» للنويرى، و«عجائب الأثار فى التراجم والأخبار» للجبرتى، و«الخطط التوفيقية» لعلى مبارك.. إلخ، فضلا عن الكتب الدينية مثل «تفسير القرطبى» فى عشرين جزء، وكتب فى السيرة النبوية وفى الشريعة الإسلامية والسنة النبوية والتاريخ الإسلامى، وأيضا كتاب «تاريخ التراث العربى» لسوزكين كى يكون دليلا للناشرين فى مجال التراث. كما تبنت المؤسسة نشر كتب فى مختلف العلوم والفنون والنقد وعلم الجمال(١٦٥).

كما اهتمت المؤسسة بنشر الكتب التى تعرف بالمذاهب الفكرية والتيارات العالمية الفلسفية والاقتصادية فنشرت كتبا تعرف بالكتب الأساسية للاشتراكية والشيوعية والرأسمالية وكتبا

فى مجال الفنون الكلاسيكية والرومانسية والواقعية الجديدة «السيريالية»[١٦٦] بالإضافة إلى استكمال موسوعات «تاريخ الحضارة المصرية»، و«تاريخ البشرية» إصدار اليونسكو. والانتهاء من معجم «الرائد الصغير» الذى كان قد بدأ فى المرحلة الأولى وتوقف فى المرحلة الثانية. كما صدر كتاب «القاهرة فى ألف عام» بأربع لغات. و«قاموس العلوم السياسية»، و«معجم المصطلحات»، و«الأعلام الفلسفية»، و«مآذن القاهرة». و«كنائس مصر»[١٦٧].

وحرصت الوزارة على ترجمة شوامخ الأعمال الأدبية العالمية فقدمت على سبيل المثال من أمهات الكتب «اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها» لإدوارد جيبون فى ثلاثة أجزاء. و«الغصن الذهبى» لفريزر. و«الأينياده» لفرجيل. و«العقل والثورة» لهيجل. و«الفن والمجتمع عبر العصور» لأرنولد هاوزر. و«ضرورة الفن» لأرنست فيشر[١٦٨].

واهتمت الوزارة بكتب الأطفال فعملت على تزويد الأطفال بموسوعة ترسم التطور التكنولوجى، كما أصدرت كتيبات لتغذية الشعور القومى عند الأطفال. وسلسلة كتب عن البطولات العربية وكتب فى تبسيط العلوم. فضلا عن كتيبات للتعريف بروائع الباليه والمسرح مزودة بالقصص والصور لجذب انتباه الأطفال. وقد أصدرت الوزارة مع دار كابيتول الإيطالية،وهى مؤسسة دولية متخصصة فى ثقافة الأطفال ستة وخمسين. كتابا فى سلسلة من الكتيبات الجميلة تحكى بالصور قصة العلم فى ميادين الحيوان والطير والزواحف وقامت بترجمتها وتطويعها للأطفال وطرحتها بأسعار زهيدة[١٦٩]. كما أنشأت الوزارة لأول مرة مكتبا ملحقا بمكتب وزير الثقافة للإشراف على مختلف مجالات ثقافة الطفل[١٧٠].

وفى مجال الاهتمام بالكتاب ومعرفة الجديد منها فى مختلف المجالات أقامت الوزارة معرض الكتاب الدولى الذى أقيم لأول مرة فى يناير ١٩٦٩م لإتاحة الفرصة أمام الجامعات والهيئات العلمية لتصل إلى حاجتها من المراجع بأسعار مناسبة واشتركت فى هذا المعرض ٢٧ دولة وأكثر من ٤٠٠ دار نشر. وزاره حوالى سبعون ألف زائر خلال عشرة أيام هى فترة إقامته[١٧١]. وزيادة فى تيسير سبل الحصول على الكتاب للعاملين بوزارة الثقافة والقراء عامة أنشأت الوزارة «نادى الكتاب» يشترك فيه الطلبة بخمسة وعشرين قرشا سنويا ويكون لهم الحق فى خصم ٢٥٪ من ثمن أى كتاب يباع فى مكتبات المؤسسة بالقاهرة وعواصم الأقاليم[١٧٢].

ثانيا: فى مجال المسرح والموسيقى:

استقل المسرح فى هذه المرحلة من تبعيته للخدمات الترفيهية المتعجلة بعد انفصال الثقافة عن الإعلام وأصبحت فرقه المختلفة بيوتا مسرحية تحتضن الأعمال الجادة وتحسن إعدادها وتقديمها فى تأن[١٧٣]. وفى هذا الخصوص قدمت مؤسسة المسرح والموسيقى عروضا مسرحية وغنائية وموسيقية متنوعة ويكمل بعضها بعضا. إذ اشتملت على أعمال مترجمة وأخرى مصرية تعبر عن الوجدان الجماعى[١٧٤].

واختارت المؤسسة فى مجال الدراما من بين ما أنتجته مواهب كتاب المسرح المصريين أرفعها مستوى وأكثرها تفاعلا مع البيئة المصرية[١٧٥]. وتركت وزارة الثقافة مسارح الدولة تتنافس فيما بينها تنافسا حرا دون أن ينفرد أى منها بتقديم لون معين أو ألوان خاصة به فيما عدا مسرح الجيب الذى كان يقدم أعمالا تجريبية وطليعية عالمية. كما حرصت على أن يقدم المسرح للجمهور فكاهة إنسانية صافية تجعل ضحك الجماهير نابعا من التناقض الإنسانى الذى يجعل الإنسان يسخر من نفسه ومن جماعته. فقدم المسرح القومى مسرحيات «الزير سالم» لألفريد فرج. و«بلاد بره» لنعمان عاشور. و«حاملات القرابين» لإيسخولس التى ترجمها لويس عوض وأخرجها المخرج المسرحى اليونانى تاكيس موزينيديس. و «المسامير» لسعد الدين وهبة التى كتبها فى ظروف حرب يونيو ١٩٦٧م. وقدم مسرح الحكيم مسرحية «آه يا ليل يا قمر» لنجيب سرور و«دائرة الطباشير القوقازية» لبرتولد بريخت. وعرض المسرح الحديث مسرحية «الليلة نرتجل» لبيرانديللو. و«مأساة الحلاج» لصلاح عبد الصبور. و«بير القمح» لعلى سالم. وعرض مسرح الجيب مسرحية «الأسلاف يتميزون غيظا» للكاتب المسرحى الجزائرى كاتب يس. و«ثورة الفلاحين» رائعة الشاعر الأسبانى الكبير لويس دى فيجا. و«تانجو» للكاتب البولندى مورجيك الذى لم يكتف فى هذه المسرحية بنقد النظام الاشتراكى فحسب بل وصل إلى حد نقد فكرة النظام أيا كان شكله وكان يهدف من وراء ذلك القول بإن القوة هى التى تحكم العالم الآن[١٧٦]. وعرض المسرح الكوميدى مسرحيات «زهرة الصبار». و«حب لا ينتهى» للمؤلفين الفرنسيين باريه وجريدى. و«فلان الفلانى» لأنيس منصور[١٧٧].

وفيما يتعلق بالموسيقى فقد أعادت الوزارة الاهتمام إلى قاعة سيد درويش المخصصة للاستماع للموسيقى وكانت الوزارة أقامتها فى المرحلة الأولى كقاعة ملحقة بمبنى الكونسرفتوار

وبـدأت أعمـال البناء فيها فى عام ١٩٦٠م وانتهى تشـييدها فى عـام ١٩٦١م ثم أصابها الإهمال خلال المرحلة الثانية أثناء غياب ثروت عكاشة عن الوزارة وعندما عاد إليها عمل على الفور على إصلاحها وإعدادها لاسـتقبال الفرق الموسـيقية وجمهورها وقد اسـتقبلت الفرق الموسـيقية الأجنبية إلى جانب قادة الفرق الزائرين وعلى رأسـهم المايسـترو العالمى شـارل مونش الذى افتتح القاعة فى الخامس والعشرين من مايو ١٩٦٧م بالموشح الأندلسى الشـهير «لما بدا يتثنى»، بالإضافة إلى سيمفونية «الأورغن الخامسة» لسان صانس[١٧٨]. وقد أتاحت هذه القاعة لكورال القاهرة أن يلتقى بالأوركسترا السيمفونى ليقدم عددا من الأعمال الموسـيقية العالمية. ونمت من خلال هذه القاعة فرقة الموسيقى العربية التى أنشاتها الوزارة فى عام١٩٦٨م، كما اسـتقبلت القاعة عازف الأورغن التشيكوسـلوفاكى الشهير جوزيف كون بدعوة من الوزارة وقدم «ريسيتال» ليلة كل أسبوعين[١٧٩].

وحرصـت الـوزارة خلال هذه المرحلة على إرسـال بعثات فى الموسـيقى إلى الخارج، وأسـندت قيادات الفرق الموسـيقية المختلفة التابعة لها إلى أعضاء البعثات الموسيقية الذين عادوا من الخارج بعد أن تزودوا بالعلم والمعرفة مثل المايسترو شعبان أبو السعد وسيد عوض وطه ناجى ويوسـف السيسى وجمال سـلامة إلخ.. وبذلك أصبح قادة الأوركسترا الأجانب زائرين فى أغلب الأحيان وانتقل العمل الأساسـى فى هذا الميدان إلى المصريين. كما عملت على إصدار قانون بإعفاء أسطوانات الموسيقى الرفيعة المستوى من الرسوم الجمركية[١٨٠].

وفى مجـال الأوبرا والأوبريت قدمت الوزارة أوبرا «السـنوات الراقصة» أشـهر أعمال الموسـيقى إيفور نوفيللويل وأكثرها نجاحا فى أوربا، والتى عرضت فى مصر بعنوان «حياة فنان» واسـتقبلها الجمهور بحماس شـديد حتى لقد كانت مقاعد الأوبرا تغص بالمشاهدين خلال فترة عرضها القصيرة[١٨١].

وابتداء من عام ١٩٦٧م قدمت فرقة الأوبرا عددا من الأوبريتات العالمية منها «لاترافياتا» لفردى، و«البوهيمى»، و«مدام بتر فلاى» لبوتشـينى، و«أورفيوس» لجلوك. وقد استقدمت دار الأوبرا مخرجين من إيطاليا والنمسا لإخراج هذه الأعمال[١٨٢].

وفى مجال الباليه تكون فى عام ١٩٦٧م فريق طليعى لهذا الفن من خريجى معهد الباليه الذى أنشئ فى عام ١٩٥٩م. وكانت باكورة أعماله باليه «نافورة بختشى سراى» لأصافيف من إخراج ليونيد لافروفسكى مدير مسرح البولشوى، وقد حقق هذا العرض نجاحا ملحوظا

لفـت الأنظار مما دفع ثروت عكاشـة – وزير الثقافـة – إلى دعوة الرئيس عبد الناصر ليرى الثمـرة الأولى لإنشـاء هذا المعهد. والذى لبـى الدعوة ومنح بعد انتهـاء العرض الراقصات الخمس الأوائل وسـام الاسـتحقاق وهن: ماجدة صالح وعلية عبد الرازق ومايا سليم وودود فيظـى وديانا حقاق، كما منح المشـتركين فى العرض من طلبـة المعهد أنواطا، ولم يفته أن يمنح الخبراء السوفيت أوسمة تقديرا لجهدهم الملموس[١٨٣].

وبالإضافة إلى ذلك قدم فريق الباليه عددا آخر من الباليهات وهى «جزيل» لأدولف آدم، و«دافنس وكلويه» لموريس رافيل و«أمسـية جنى الغاب» لكلود ديبوسـى، و«دون كيشوت» للودينج مينكوس، ومقتطفات من «بحيرة البجع» و«كسارة البندق» لتشايكوفسكى، و«الأمير إيجور» لألكسندر بوردوين، وغيرها من المنوعات يخدمها أوركسترا القاهرة السيمفونى[١٨٤].

ومن أجل حماية التراث الموسيقى العربى وتقديمه فى صورة نقية صادقة أنشات الوزارة فى عام ١٩٦٨م «الفرقة القومية للموسـيقى العربية» وانتقل على يد هذه الفرقة فن العزف العربى والغناء إلى لون جديد راق. وأسندت قيادة الفرقة منذ نشأتها إلى المايسترو عبد الحليم نويرة الذى ظل على رأسـها حتى وفاته. وطافت الفرقة بالعديد من الدول وشـاهدها مئات الآلاف من الجماهير والنقاد[١٨٥].

ثالثا: فى مجال السينما:

مـن أجل إصلاح الوضع المتدهور الذى شـهدته صناعة السـينما المصريـة فى المرحلة السابقة بدأت الوزارة بإدماج الشركات الست فى شركتين[١٨٦]، كما تم إنشاء مركز للأفلام التسـجيلية ليكون وحدة إنتاجية لها كيانها الخاص وعهد إلى الفنان التشـكيلى حسـن فـؤاد بإدارته[١٨٧]. وبعد أن كانت الأفلام الفرنسـية والإيطالية والأوربية لا تعرض فى دور العرض التابعة لمؤسسـة السينما فتحت الوزارة الطريق أمام هذه النوعية من الأفلام، كذلك عمل ثروت عكاشـة على إنشاء ناد للسينما ليتاح للجمهور مشاهدة المدارس الفنية المختلفة والتجارب الجديدة فى حقل الإنتاج السينمائى لتمهيد السبيل أمام الذوق العام كى يتحرر من المدارس الفنية المتحكمة فيه والصيغ التقليدية التى تسيطر على اهتمامه. وبدأ نشاط هذا النادى فى عام ١٩٦٨م ولاقى نجاحا كبيرا لم تكن الوزارة تنتظره[١٨٨].

وأدى كل ذلك إلى رفع مستوى الأفلام السينمائية التى جاءت رفيعة المستوى منها على سبيل المثال «ميرامار» لنجيب محفوظ وإخراج كمال الشيخ، و«قصر الشوق» لنجيب محفوظ

وإخراج حسن الأمام، و«السراب» من إخراج أنور الشناوى، و«نادية» ليوسف السباعى وإخراج أحمد بدرخان، و«جفت الدموع» من إخراج حلمى رفلة. و«أرض النفاق» من إخراج فطين عبد الوهاب، و«الأرض» لعبد الرحمن الشرقاوى وإخراج يوسف شاهين، و«المومياء» من إخراج شادى عبد السلام. وقد عرض هذا الفيلم الأخير فى الخارج واهتمت به المحافل الدولية وحصل على جوائز عديدة، وظل معروضا فى دار سينما «باريس بولمان» فى لندن لمدة ستة أسابيع استكمل بعدها دورته فى أنحاء لندن وإنجلترا. ومنها أيضا «الفلاح الفصيح» من إخراج شادى عبد السلام أيضا، و«الاختيار» من إخراج يوسف شاهين وحصل هذا الفيلم على جائزة دولية فى مهرجان قرطاج بتونس وحسب قول ثروت عكاشة فقد «أعاد الثقة إلى الفيلم المصرى وسمعته فى الخارج»[١٨٩].

رابعا: الاحتفال بألفية القاهرة:

كانت وزارة الثقافة قد فكرت فى الاحتفال بمرور ألف عام على إنشاء مدينة القاهرة وبينما هى تخطط لهذه الإحتفالية إذ بهزيمة يونيه ١٩٦٧م تهبط على البلاد ولذا فقد ترددت فى إقامتها على أنها سرعان ما وجدت فيها لونا من ألوان الصمود والتحدى وعلى اعتبار أنها تجاوز ثقافى للمحنة العسكرية[١٩٠].

واحتفلت الوزارة بهذه الألفية من خلال أربعة أحداث: الأول إقامة «الندوة الدولية لتاريخ القاهرة» التى انعقدت فى الفترة بين ٢٧ مارس إلى ٥ أبريل ١٩٦٩م وقد حضر عبد الناصر حفل الافتتاح وألقى كلمة حول إقامة مصر لهذا الاحتفال على الرغم من ظروفها الصعبة التى تمر بها بعد هزيمة يونيه قال فيها «كان هناك رأى آخر يتخذ من الظروف التى يعيشها وطننا الآن وأمتنا العربية كلها نزعة إلى التأجيل بصرف النظر عن حساب الألف سنة أو حساب آلاف السنين، وفى النهاية فلقد كان القرار الذى انتهينا جميعا إليه هو أن يمضى احتفال الألف سنة على تاريخ القاهرة فى طريقه المرسوم»[١٩١]. وقد بلغ عدد أساتذة الجامعات والعلماء الذين حضروا هذه الندوة مائة وخمسين عالما نصفهم من الأجانب عقدوا عشر جلسات بسراى لطف الله «فندق ماريوت فيما بعد» دارت حول الحياة العلمية والفكرية والأدبية والفنية والاقتصادية بالقاهرة بالإضافة إلى نمو القاهرة الجغرافى والعمرانى ونظام تخطيطها وأسسه الهندسية والاجتماعية[١٩٢]. وسجلت وقائع هذه الندوة فى مجلد ضخم باللغة العربية، بينما تطوعت حكومة ألمانيا الديمقراطية بطبع النسخ الأوربية باللغتين الإنجليزية والفرنسية تحت

عنـوان International Colloqium on the History of Cairo أهدى إلى ذكرى الرئيس عبـد الناصر «الذى أعطى لمدينة القاهرة بعد مرور ألف عام على إنشـائها دفعة جديدة نحو التطور الحضارى»[١٩٣].

أما الحدث الثانى فى الاحتفالية فكان إقامة «معرض الفن الاسـلامى» الذى فتح أبوابه فى نهاية سـبتمبر ١٩٦٩م بقاعات فندق سميراميس بالقاهرة بأحدث وسائل العرض وضم أربعمائـة قطعـة أثرية يمثل ثلثاهـا الكنوز العظيمة المحفوظة فى متحف الفن الإسـلامى بالقاهرة ويمثل الثلث الآخر تحفا مصرية إسـلامية من مقتنيات الدول الأجنبية الأمر الذى أضفى على المعرض صفة الشمول. وقامت حكومة رومانيا بطبع الكاتالوج الخاص به[١٩٤].

والحـدث الثالـث كان عقد «مائدة مسـتديرة لعمارة القاهرة» جمعـت المتخصصين فى العمـارة وتصميم المدن ونظرياتها من كافة أنحاء العالم مع الخبرات المصرية المتخصصة فى هذا المجال. وتدارس هؤلاء الفن المعمارى بالقاهرة وحركة التحول التى تحكمت فى تطورها بالمقارنة مع غيرها من المدن الكبرى[١٩٥].

أمـا الحدث الرابع فكان عقد «ندوة دولية للموسـيقى العربيـة» من منطلق أن تاريخ الموسـيقى العربيـة مرتبط بتاريخ القاهـرة إلى حد ما. وقد اجتمع فى هـذه الندوة علماء الموسـيقى من الشرق والغرب وأجروا حوارا مثمرا خلاقا من أجل حل مشكلات الموسيقى العربية وقضاياها والبحث فى طرق إحيائها ودراسـة مقاماتها وتحليل سلمها «الموسيقى» وضبط إيقاعاتها القديمة ضبطا حديثا ليسـهل تدوينها، وكيفية تسجيل الفلكلور العربى والوسـائل العلميـة الحديثة للحفـاظ عليه حتى لا يتعرض للاندثـار أمام زحف أدوات الإعلام العصرية[١٩٦].

وقـد اكتملت هذه المظاهـرة الثقافية بألوان من الإبداعات الرائعـة التى قدمتها عواصم الدول الصديقة على المسـارح المصرية بالموسـيقى والتمثيل والرقـص والغناء وعرضتها فى القاعات المصرية بالرسـم والصورة والتمثال، وقدمتها للجماهير الواسـعة فى شكل أسابيع أفلام ومن هذه العروض، ما قامت به موسـكو فى شـهر يناير ١٩٦٩م حين نظمت شـهرا لعـرض ثقافتها وفنونها وأرسـلت مـن أجل ذلك فرقة «باليه مسـرح البولشـوى» وفرقة «مويسـيف للرقص الشعبى» ومعرضا للفن التشكيلى المعاصر. كما نظمت أسبوع «للموسيقى السـوفيتية المعاصرة». وأرسلت باريس فى فبراير من نفس العام فرقة «الكوميدى فرانسيز»

ثم «باليه أوبرا باريس» لأول مرة فى مصر. ومعرضا للتصوير عن «مدرسة باريس» ضم أعمالا لبيكاسو وبراك وماتيس وغيرهم. ومعرضا آخر «للنسجيات المرسومة الحديثة» ضم أعمالا لجان لورسا وبراسينوس وجان بيكار لودو. ونظمت بالقاهرة أسبوعا للفيلم الفرنسى منذ عهد السينما الصامتة. وكذلك فعلت كل من لندن وبرلين الشرقية ومدريد وروما وأنقرة[١٩٧].

ولم يفت فنانو مصر أن يمر الاحتفال بألفية القاهرة دون أن يشاركوا فيه فقدم أوركسترا القاهرة السيمفونى بالاشتراك مع فرقة «باليه أوبرا القاهرة» موسما كاملا طوال شهر أبريل ١٩٦٩م شمل «نافورة بختشى سراى» لأصافيف. ومقتطفات من باليه «جزيل» لأدولف أدم. ومن باليه «كسارة البندق» لتشايكوفسكى. بالإضافة إلى منوعات أخرى. كما قدم فريق المسرح التجريبى للأوبرا المصرية أوبرا «مدام بتر فلاى» لبوتشينى. وأصدرت وزارة الثقافة كتاب «القاهرة فى ألف عام» باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية والألمانية والأسبانية والروسية يضم صورا من حياتها الفكرية والفنية والمعمارية وآثارها ومعالم حضارتها على مختلف العصور. وقد نفد هذا المجلد فور صدوره وأعيد طبعه عدة مرات. كما أعدت وزارة الثقافة «بيت السحيمى» الأثرى ليكون ناديا ثقافيا وسياحيا[١٩٨].

خامسا: فى مجال أكاديمية الفنون:

واستكمالا للمعاهد الفنية التى أُنشئت فى المرحلة الأولى. أنشأت الوزارة فى هذه المرحلة معهد «النقد الفنى» بهدف تنمية القدرة على تذوق الفنون لدى الدارسين والإسهام فى تنشيط الإبداع الفنى ذاته. وكان ثروت عكاشة قد قدم هذا المعهد فى مشروع القانون الذى قدمه إلى الرئيس عبد الناصر باسم «معهد التذوق الجمالى» إلا أن عبد الناصر أشار بتسميته «معهد النقد الفنى»[١٩٩].

وكانت المعاهد الفنية قد ألحقت بهيئة الهندسة الإذاعية خلال المرحلة السابقة فأعادها ثروت عكاشة لوزارة الثقافة فى خريف ١٩٦٦م وأنشأ لها فى عام ١٩٦٨م مجلسا برئاسته لتحقيق التنسيق اللازم بين برامج المعاهد ولوائحها وإبداء الرأى فى خططها التعليمية الرئيسية تمهيدا لتجميعها فى أكاديمية للفنون. ووقع الرئيس عبد الناصر قاون إنشائها فى ٢٨ أغسطس ١٩٦٩م وكان الدكتور مصطفى سويف أول مدير لهذه الأكاديمية[٢٠٠].

وإذا كانت وزارة الثقافة فى عهدى ثروت عكاشة فى المرحلتين الأولى والثالثة هى التى قامت بالإنجازات السابقة فقد كان عبد الناصر وراء هذا المشروع يرعاه ويكفله

ويوفر له الموارد المالية فى حدود المتاح ويشير ثروت عكاشة إلى ذلك فيقول «ويعلم الله أيضا أنه لو لم يكن من وراء هذه الجهود كلها الرعاية والعناية اللتان لقيناهما من الزعيم جمال عبد الناصر ما قدر لهذه الجهود غايتها»[٢٠١] ويقول فى موضع آخر من مذكراته «ولحسن الحظ كان جمال عبد الناصر معنيا بمسائل الثقافة حريصا على دعم المشروعات الثقافية مؤمنا بأن ازدهار الثقافة يؤدى فى مجال الفكر ما يؤديه التصنيع الثقيل فى قطاع الصناعة، شغوفا بأن يرى للقلم رسالة فى شحذ وجدان الأمة لا يقل عن رسالة المدفع فى حماية الوطن وفى بقائهما معا ما يتيح للأمة التطور والارتقاء، ولا ننسى أنه للمرة الأولى فى التاريخ المصرى قد أنشأ وزارة للثقافة وأخرى للبحث العلمى أثناء اضطلاع الثورة بأعبائها»[٢٠٢].

انعكاسات مشروع ناصر الثقافى على الحركة الفكرية والفنية فى مصر:

وإذا كانت ثورة يوليو قد فرضت قيودا على العمل السياسى والفكر السياسى الذى يتناقض مع مشروعها، فإنها تركت الجو الثقافى حرا بلا قيود أو ضغوط[٢٠٣] إدراكا منها لأهمية عدم التدخل حتى تنهض الحركة الثقافية، ومن ثم فقد وقفت موقف الحياد من الاتجاهات الأدبية والفكرية والفنية المختلفة ولم تتدخل لنصرة فريق على فريق[٢٠٤]. وقد أدى ذلك إلى ازدهار الأدب والفن فى عهدها بعد نكسة طويلة دامت طوال حكم الملك فاروق التى تميزت بالتأزم الشديد الذى بلغ ذروته فى كثير من فنون الأدب والفن الذى التهم الحركتين الفنية والأدبية فى مصر طوال عهده[٢٠٥]. وبذلك تكون ثورة يوليو هى الثورة الاجتماعية الوحيدة التى ازدهرت فى ظلها الفنون والآداب عكس الثورات الأخرى كالفرنسية والروسية والفاشية والنازية التى اختفت فى كنفها الفنون والآداب بسبب ما أبدته هذه الثورات من عنت نحو رجال الأدب والفن والفكر[٢٠٦].

لقد نما الأدب وازدهر ازدهارا كبيرا فى ظل مشروع ناصر الثقافى وخاصة الأدب الواقعى فكتب نجيب محفوظ الثلاثية، وعبد الرحمن الشرقاوى «الأرض»، ومحمد فريد أبو حديد «أنا الشعب»، ويوسف إدريس «قصة حب» و«الحرام» و«العيب»، وفتحى غانم «الجبل» و«الرجل الذى فقد ظله»، ولطيفة الزيات «الباب المفتوح»، ومفيد الشوباشى «زقاق السيد البلطى» وغيرهم[٢٠٧].

وبالرغم من ازدهار الواقعية فى الرواية المصرية فى تلك الفترة فقد كانت هناك الرومانسية التى ظلت متنفسا للرواية المصرية عند يوسف السباعى وإحسان عبد القدوس ومحمد عبد الحليم عبد الله وأمين يوسف غراب وثروت أباظة وغيرهم[٢٠٨].

ومن مظاهر ازدهار الأدب فى عهد الثورة تلك المعركة الأدبية التى نشبت فى عام ١٩٥٤م بين طه حسين والعقاد من ناحية وبين محمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس حول ماهية الأدب وطبيعة العلاقة بين صورة الأدب ومضمونه فقد رفع طه حسين والعقاد لواء «الشكل» و«اللاإلتزام». وكان طه حسين ينادى يومئذ بأن الأدب كالزهرة الجميلة تنمو فلا تسأل كيف نمت وما سر جمالها وهل هى نافعة أو غير نافعة بينما رفع محمود العالم وعبد العظيم أنيس راية المضمون والإلتزام بقضايا المجتمع. وقد احتدمت المعركة حتى أن طه حسين لتهم الناقدين الثائرين بالدعوة لتحريق الكتب وهدم الأهرام - يقصد تدمير التراث - لدعوتهما إلى ضرورة إلتزام الأديب بقضايا العصر وإقرار العلاقة العضوية بين صورة الأدب ومضمونه[٢٠٩]. ويؤرخ الكثيرون بهذه المعركة الحوارية النقدية لبداية الانشقاق الحديث فى الثقافة المصرية[٢١٠].

وفى عهد الثورة وفى ظل مشروع ناصر الثقافى ظهر جيل جديد من النقاد الجدد بعد جيل مندور ولويس عوض والراعى والقط من أمثال عباس صالح ورجاء النقاش وأمير إسكندر وفؤاد دوارة وغيرهم[٢١١].

ومن مظاهر ازدهار الأدب فى عهد ثورة يوليو وفود عدد من الأدباء العرب إليها فقد كانت مصر فى هذه الفترة قبلة العرب ووطنا ثانيا لهم فقد وفد إليها عبد الوهاب البياتى وكاظم جواد وغالب طعمة فرمان ومحمد الفيتورى وتاج السر حسن وجبلى عبد الرحمن وغيرهم من الكتاب والشعراء العرب[٢١٢].

وازدهر المسرح فى عهد الثورة وفى كنف مشروع ناصر الثقافى فقد كانت السينما قبل الثورة قد قضت على الفرق المسرحية الخاصة من أمثال رمسيس وفاطمة رشدى وأنصار التمثيل باستثناء فرقة الريحانى الكوميدية وإلى حد ما فرقة على الكسار أما المسرح الجاد فكان قد أفلس تماما فى ظل الحكم السابق[٢١٣]. ومن مظاهر ازدهار المسرح فى ظل مشروع ناصر الثقافى انتقاله من مرحلة الترجمة والاقتباس التى كانت تميزه فى الفترة السابقة إلى مرحلة الخلق والابتكار. وبعد أن كانت المسارح أيام الحقبة الملكية تعرب وتمصر

جورج مسرحيات فيدو ومارسيل بانيول ورينيه فوشيه وغيرهم من الكتاب الأوربيين، ظهر جيل جديد من كتاب المسرح لايعتمد على الترجمة والاقتباس بل يعتمد على موارده الخاصة كل فرد من أفراده يطرح مشكلته بنفسه ويتصور شخصياته دون الاستعانة بنموذج يحتذى أو صورة تنسخ ويعبر عن كل هذا بأسلوبه الخاص[٢١٤] ومن ثم فقد ظهر جيل جديد من كتاب المسرح الجديد من أمثال نعمان عاشور الذى كتب «الناس اللى تحت» و«الناس اللى فوق» و«عيلة الدوغرى»، ويوسف إدريس الذى كتب «جمهورية فرحات» و«ملك القطن» و«اللحظة الحرجة» و«الفرافير»، وألفريد فرج الذى كتب «سقوط فرعون» و«حلاق بغداد» و«سليمان الحلبى»، ولطفى الخولى الذى كتب «قهوة الملوك» و«القضية»، ومحمود السعدنى الذى كتب «عزبة بنايوتى» و«الأرنص»، وسعد الدين وهبة الذى كتب «المحروسة» و«السبنسة» و«كوبرى الناموس» و«سكة السلامة»، ومصطفى محمود الذى كتب «الزلزال»، وميخائيل رومان الذى كتب «الدخان» و«الحصار». وبالرغم من أن بعض هذه الأعمال لا يعد مكتملا من الناحية الفنية إلا أنها فى مجموعها عدت فى وقتها بدايات مبشرة لمسرح قومى عظيم[٢١٥]. واعتبرها بعض النقاد تجسيدا للانقطاعة الحاسمة فى تاريخ المسرح المصرى الحديث بعد توفيق الحكيم[٢١٦].

وبالنسبة للشعر فقد ازدهر فى فترة الثورة ازدهارا لم تعرفه مصر منذ اختفاء جيل شوقى ومدرسة أبولو[٢١٧]. والشعر الذى ازدهر هو الشعر الحديث الذى يعتمد على وحدة القصيدة ونظام القافية المركب على عكس الشعر القديم الذى يعتمد على وحدة البيت ونظام القافية الواحدة[٢١٨]. وقد تبلور هذا النوع من الشعر على يد كل من عبد الرحمن الشرقاوى وصلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطى حجازى[٢١٩]، وأمل دنقل ومحمد أبو سنة وعفيفى مطر وغيرهم[٢٢٠].

وازدهر الشعر الحديث بالرغم من النقد الشديد الذى وجهه له العقاد الذى كان يرفضه جملة وتفصيلا ويرى أنه ليس من اللازم أن نجارى الأوربيين فى ذلك لأن طبيعتنا وطبيعة لغتنا العربية تتطلب قواعد الوزن والقافية فى شعرنا فى الوقت الذى كان فيه أصحاب مدرسة الشعر الحديث يرون أنه يجب أن يكون الشعر واقعيا فى مضمونه وقد سخر العقاد من رؤيتهم هذه وتساءل قائلا «هل من الضرورى لنعبر عن الواقعية أن يتضمن الشعر الكتابة عن بطاقة التموين وأسعار الحاجيات؟ وهل أشارت إلياذة هوميروس إلى أسعار الجبن والزيتون فى عصرها؟»[٢٢١].

ودارت معركة فكرية بين العقاد وهذا الجيل من الشعراء الجدد، فكتب العقاد عدة مقالات هاجم فيها هذه المدرسة الشعرية فى مصر وأصحابها وقال إنها لا تدعو إلى التجديد وإنما إلى التخريب فى هذا الفن العظيم «الشعر» وأن ما يكتبونه ليس شعرا وإنما نثرا منثورا. وقد دافع الشعراء الجدد عن فنهم الشعرى ورأوا أنه أكثر مرونة وأقرب إلى الوجدان من الشعر التقليدى[٢٢٢].

وقد نشأت مدرسة كبيرة للشعر الشعبى إلى جوار الشعر الحديث كان على رأسها صلاح جاهين التى جددت شباب المدرسة الشعبية التى كونها بيرم التونسى فى عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين[٢٢٣].

أما فى مجال الفنون التشكيلية فقد تفتحت فى عهد الثورة وفى كنف مشروع ناصر الثقافى بمثل ما تفتح الأدب. وكانت قد أصيبت بنكسة فى عهد فاروق مثل تلك التى أصابت الأدب فى ذلك العهد[٢٢٤] ففى مجال التصوير اندثرت المدرسة الأكاديمية الضيقة التى تميزت بها فترة الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين، وحل محلها نضج فى التجربة والتعبير باللون والخط بدت واضحة فى أعمال رمسيس يونان وتحية حليم وجاذبية سرى وإنجى أفلاطون وصلاح طاهر وحامد ندا وعمر النجدى وعبد الهادى الجزار وغيرهم. وفى النحت ظهر جيل جديد من المثالين من أمثال صمويل هنرى وجمال السجينى ويحيى الدين طاهر وصلاح عبد الكريم. ولم يعد هؤلاء الفنانون فى أغلبهم يقلدون أعمال عباقرة الفن العالمى، بل صار كل واحد منهم يعبر بأسلوبه الخاص تلقائيا. وبالإضافة إلى ذلك فقد عاد إلى هذه الفنون التشكيلية منذ عام ١٩٥٢م شىء من الحساسية القومية القديمة التى تجلت فى نحت مختار ولوحات محمود سعيد والتى كانت قد اندثرت فى جيل الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين فقد عادت هذه الحساسية القومية مع اختلافين هامين هما أن الفن قد أصبح أشد تعقيدا عما كان عليه فى الماضى وأن التجربة الفنية قد صارت أقل فخامة ومعمارية وأدفأ حسا وأشد خصوصية وتفردا، واستوحى أكثر الفنانين التشكيليين الموضوعات والألوان والخطوط الشعبية بتلقائية وليس وفقا لأى توجيه سياسى أو اجتماعى بالرغم من وجود بعض المحاولات للسيطرة على الفنون التشكيلية عن طريق الإسراف فى تأكيد الوظيفة الاجتماعية والاشتراكية للفن. إلا أنه أمكن أحباط هذه المحاولات[٢٢٥].

وفـى عهد الثورة وفى ظل مشـروع ناصر الثقافـى ازدهرت كما رأينا فنون الموسـيقى والباليـه وكانـت مصر قبل ذلـك تعتمد على الفرق الأجنبية تماما فيهما فتأسـس على يد وزارة الثقافة أوركسـترا القاهرة السيمفونى ومعهدى الكونسـرفتوار والباليه وفرقة الكورال والمسرح الغنائى[٢٢٦].

على أن الفن الوحيد الذى لم يحرز تقدما كبيرا فى عهد الثورة هو الفن السـابع أو فن السينما بالرغم من الجهود الكبيرة التى بذلتها وزارة الثقافة فى هذا المجال. حقيقة كانت هنـاك بعض الأفـلام الجيدة مثل رد قلبى، والناصر صلاح الدين، ووإسـلاماه، والمومياء، والأرض، فلـم يختلف حال السـينما عما كانت عليه قبل الثـورة بالرغم من وجود بعض النقاط اللامعة فى المرحلتين إذ كان المستوى العام دون المتوسط[٢٢٧]. وقد أرجع بعض النقاد ذلك إلى النشأة التجارية للسينما المصرية التى اتجهت منذ البداية إلى الترفيه لضمان الربح الكبير مما أدى إلى سـقوطها لفترة طويلة فى العيوب الخطيرة التى أهمها ضعف الجانب الفكرى فيها الذى لا تزال آثاره ظاهرة فى السينما المصرية حتى اليوم[٢٢٨].

وبالرغـم من كل هذه الانجازات التى حققها مشـروع ناصـر الثقافى فى ميدان الثقافة المصرية، إلا أن ثروت عكاشة مهندس الثقافة المصرية فى الحقبة الناصرية يرى أن المشروع لم يحقـق أهدافـه جميعا وأن كل ما حققه تمهيد الأرض للنبت الثقافى الذى كان القائمون علـى المشـروع يتطلعون إليه وفى ذلك يقول «لا أسـتطيع أن أزعم أن الـوزارة قد حققت أهدافها جميعا، لكن استطيع أن أذكر أن جهودا مضنية قد بذلت من أجل تمهيد الأرض للنبت الثقافى الذى نتطلع إليه»[٢٢٩].

□□□

الهوامش

(١) أحمد أبو زيد، هوية الثقافة العربية، ص ١٣ - ١٤، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤.

(٢) نفسه، ص ١٤.

(٣) الرئيس جمال عبد الناصر السيرة الذاتية file//2 ١
www.nasser@bibalex.org

(٤) جمال معوض شقرة، مصادر التكوين الفكرى للرئيس عبد الناصر، ضمن كتاب ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، دراسات فى الحقبة الناصرية، تحرير محمد السعيد إدريس، ص ٧٣، الأهرام، مركز الدراسات السياسة والاستراتيجية، وحدة دراسات الثورة المصرية، القاهرة، ٢٠٠٣.

(٥) الرئيس جمال عبد الناصر السيرة الذاتية file//2، ص ١
www.nasser@bibalex.org

(٦) ب. ج. فاتكيوتس، جمال عبد الناصر وجيله، ترجمة سيد زهران، ص ٣٢، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٩٢م.

(٧) الرئيس جمال عبد الناصر السيرة الذاتية file//2، ص ١
www.nasser@bibalex.org

(٨) السابق، ص ٤.

(٩) جمال معوض شقرة، السابق، ص ٨٠.

(١٠) الرئيس جمال عبد الناصر السيرة الذاتية file//2، ص ٤
www.nasser@bibalex.org

(١١) ب. ج. فاتكيوتس، السابق، ص ٣٣ - ٣٤.

(١٢) أمين هويدى، مع عبد الناصر، ص ٣٦، دار المستقبل العربى، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٩١م.

(١٣) فتحى رضوان، ٧٢ شهرا مع عبد الناصر، ص ١٤٨، كتاب الحرية، العدد رقم ٢، الطبعة الثانية، القاهرة، ديسمبر ١٩٨٦م.

(١٤) فتحى رضوان، السابق، نفس الصفحة.

(١٥) أمين هويدى، السابق، ص ٣٦ - ٣٨.

(١٦) فتحى رضوان، السابق، ص ١٥٠.

(١٧) نفسه، ص ١٤٨.

(١٨) غالى شكرى، النهضة والسقوط فى الفكر المصرى الحديث، ص ٨٤ - ٨٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م.

(١٩) الرئيس جمال عبد الناصر السيرة الذاتية file//2، ص١
www.nasser@bibalex.org

(٢٠) فتحى رضوان، السابق، ص ١٤١ - ١٤٣.

(٢١) محمد صلاح الدين، الزعماء والسينما، ص ١٨، كتاب الجمهورية، يوليو ١٩٨٣م.

(٢٢) هدى عبد الناصر، أبى جمال عبد الناصر، مجلة الهلال، ص ٩٠، يوليو ٢٠٠٢م

(٢٣) فتحى رضوان، السابق، ص ١٤٩.

(٢٤) السابق، ص ١٥٠.

(٢٥) محمد صلاح الدين، السابق، ص ١٨٣.

(٢٦) فتحى رضوان، السابق، ص ١٤٣.

(٢٧) نفسه، ص ١٢ - ١٤، ١٨، ٢٣.

(٢٨) نفسه، ص ٤٩ - ٥٢.

(٢٩) نفسه، ص ٦٤.

(٣٠) نفسه، ص ١٤٣.

(٣١) مصطفى عبد الغنى، المثقفون وعبد الناصر، ص ٢٤ - ٢٥، دار سعاد الصباحى، القاهرة، ١٩٩٣م.

(٣٢) نفسه، ص ٢١٢.

(٣٣) نفسه، ص ٢١٧.

(٣٤) نفسه، ص ٢٥٧ - ٢٥٨، ٢٥٧. ٢٨٠ - ٢٨١.

(٣٥) فتحى غانم، معركة بين الدولة والمثقفين، ص ٢٤ - ٢٥، كتاب اليوم، دار أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٩٥م.

(٣٦) مصطفى عبد الغنى، السابق، ص ٣٠٠.

(٣٧) نفسه، ص ٢٨٤، غالى شكرى، النهضة والسقوط فى الفكر المصرى الحديث، ص ٦٣.

(٣٨) نفسه، ص ٣٠٣.

(٣٩) لويس عوض، الثورة والأدب، ص ١٦٥ - ١٦٦، روز اليوسف، القاهرة، غالى شكرى، السابق، ص ٧٠.

(٤٠) غالى شكرى، السابق، ص ٦٩.

(٤١) مصطفى عبد الغنى، السابق، ص ٤٤٦.

(٤٢) غالى شكرى، السابق، ص ٧٤، مصطفى عبد الغنى، السابق، ص ٤٩٦.

(٤٣) مصطفى عبد الغنى، السابق، ص ٤٠٧.

(٤٤) محمود خليل، ماضى الصحافة ومستقبلها، مجلة الهلال، يوليو ٢٠٠٢م،ص ٣٠٧.

(٤٥) حسين أحمد أمين، مصر ونصف قرن من الحصاد الفكرى، الهلال يوليو ٢٠٠٢م، ص ١٦٢.

(٤٦) مصطفى عبد الغنى، السابق - ص ٤٠٧، فتحى غانم، السابق، ص ٢٣.

(٤٧) مصطفى عبد الغنى، السابق، ص ٤٠٨.

(٤٨) فتحى غانم، السابق، ص ٢٥.

(٤٩) مصطفى عبد الغنى، السابق، ص ٤٠٨.

(٥٠) محمود خليل، السابق، ص ٣٠٧.

(٥١) غالى شكرى، السابق، ص ٦١.

(٥٢) مصطفى عبد الغنى، السابق، ص ٤٠٨.

(٥٣) نفسه، ص ٤١١.

(٥٤) فتحى غانم، السابق، ص ٣٠.

(٥٥) نفسه، ص ٣٣.

(٥٦) مصطفى عبد الغنى، السابق، ص ٤١٢ - ٤١٤.

(٥٧) فتحى غانم، السابق، ص ٦٠.

(٥٨) نفسه، ص ٧٣ - ٧٧.

(٥٩) نفسه، ص ٤٩.

(٦٠) محمود خليل، السابق، ص ٣٠٧.

(٦١) فتحي غانم، السابق، ص ٩.

(٦٢) ثروت عكاشة، مذكراتي في السياسة والثقافة، الجزء الأول، ص ٤٨٥.

(٦٣) فتحي غانم، السابق، ص ٨، ٧٨.

(٦٤) لويس عوض، الثورة والأدب، ص ٢٩٥.

(٦٥) نفسه.

(٦٦) ثروت عكاشة، مذكراتي في السياسة والثقافة، الجزء الثاني، ص ٢٨٤، ٢٨٥، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٨٨م.

(٦٧) نفسه، ص ٢٨٦.

(٦٨) نفسه.

(٦٩) محمد صلاح الدين، السابق، ص ٧٩ – ٨١.

(٧٠) غالي شكري، النهضة والسقوط في الفكر المصري الحديث، ص ٧٠.

(٧١) ثروت عكاشة، السابق، ج ١، ص ٤٦٧.

(٧٢) نفسه، ص ٥٧٥.

(٧٣) نفسه، ص ٤٦٧ – ٤٦٨.

(٧٤) نفسه، ص ٤٨٨.

(٧٥) نفسه، ج ٢، ص ٤٣٩.

(٧٦) عبد الرحمن الرافعي، ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م، تاريخنا القومي في سبع سنوات، ١٩٥٢م– ١٩٥٩م، ص ٧٦، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٩م.

(٧٧) فؤاد كرم، النظارات والوزارات المصرية، الجزء الأول، ص ٦٧، ٥٩٠، وزارة الثقافة، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٦٩م.

(٧٨) نفسه، ص ٦٧، ٦٠٠.

(٧٩) يواقيم رزق مرقص، – الوزارات المصرية، الجزء الثاني، ص ٥٧٦، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٩م.

(٨٠) نفسه.

(٨١) علــى الراعى. المســرح فى الوطن العربى، ص ٨٨. سلســلة عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون بالكويت. يناير ١٩٨٠م.

(٨٢) محمد صلاح الدين. السابق، ص ١٨٢.

(٨٣) ثروت عكاشة، السابق، ج ١، ص٤٧٣.

(٨٤) نفسه، ص ٤٧٢.

(٨٥) فؤاد كرم. السابق، ص ٥٨٠.

(٨٦) ثروت عكاشة، السابق، ج ٢، ص ٢٥٦، ٤٦٦ – ٤٦٧، ٤٩٦، ٤٩٨.

(٨٧) فؤاد كرم، السابق، ص ٥٨٠.

(٨٨) ثروت عكاشة، السابق ج ١، ص ٤٧٨ – ٤٧٩.

(٨٩) نفسه، ص ٤٩٨ – ٤٩٩.

(٩٠) نفسه، ص ٤٩٩.

(٩١) نفسه، ص ٥٠١.

(٩٢) نفسه.

(٩٣) نفسه، ص ٥٠٢ – ٥٠٣.

(٩٤) نفسه، ص ٥٠٣ – ٥٠٦.

(٩٥) نفسه، ص ٥٠٩.

(٩٦) نفسه، ص، ٥٠٩ – ٥١٠.

(٩٧) نفسه، ص ٥١٠.

(٩٨) نفسه، ص ٥١٠ – ٥١١.

(٩٩) نفسه، ص ٥١٤ – ٥١٥.

(١٠٠) نفسه، ص ٥١٥.

(١٠١) نفسه.

(١٠٢) نفسه، ص ٥١٥ – ٥١٦.

(١٠٣) نفسه، ص ٥١٦، ٥١٩.

(١٠٤) نفسه، ص ٥١٦، ٥١٨.

(١٠٥) نفسه، ص ٥١٩.

(١٠٦) نفسه.

(١٠٧) نفسه.

(١٠٨) نفسه، ص ٥٢٣ - ٥٢٦.

(١٠٩) محمد صلاح الدين، السابق، ص ٥٢.

(١١٠) ثروت عكاشة، السابق، ص ٥٣٢ - ٥٣٣.

(١١١) نفسه، ص ٥٣٣.

(١١٢) نفسه، ص ٥٣٣ - ٥٣٤.

(١١٣) نفسه، ص ٥٣٤.

(١١٤) نفسه.

(١١٥) نفسه، ص ٥٣٤ - ٥٣٥.

(١١٦) نفسه، ص ٥٣٦.

(١١٧) نفسه.

(١١٨) نفسه، ص ٥٤٠.

(١١٩) نفسه، ص ٥٤٤.

(١٢٠) نفسه، ص ٥٤٦، ٥٥٤.

(١٢١) نفسه، ص ٥٥٩.

(١٢٢) نفسه، ص ٥٧٣.

(١٢٣) نفسه.

(١٢٤) نفسه، ص ٥٧٤ - ٥٧٥.

(١٢٥) نفسه، ص ٥٧٦.

(١٢٦) نفسه، ص ٥٧٥.

(١٢٧) نفسه، ص ٥٨٤.

(١٢٨) نفسه، ص ٥٨٥ - ٥٨٦.

(١٢٩) نفسه، ص ٥٨٧.

(١٣٠) نفسه، ص ٥٨٦.

(١٣١) عز الدين نجيب، ثورة يوليو ومشروع النهضة الفنية، ماذا ضاع منه وماذا بقى؟!، مجلة الهلال عدد يوليو ٢٠٠٢م، ص ٣٤٤.

(١٣٢) ثروت عكاشة، السابق، ص ٥٩٠.

(١٣٣) نفسه، ص ٥٨٧.

(١٣٤) نفسه، ص ٤٨٩.

(١٣٥) نفسه، ص ٥٩٥.

(١٣٦) نفسه، ص ٥٩٩، ٦٠٢.

(١٣٧) نفسه، ص ٥٩٨.

(١٣٨) نفسه، ص ٦٠٢.

(١٣٩) نفسه، ص ٥٩٩.

(١٤٠) عزالدين نجيب، ثورة يوليو ومشروع النهضة الفنية، الهلال، يوليو ٢٠٠٢م، ص ٣٣٩.

(١٤١) لويس عوض، الثورة والأدب، ص ٢٢٤ – ٢٣٥.

(١٤٢) ثروت عكاشة، السابق، ص ٤٩٦.

(١٤٣) لويس عوض، السابق، ص ١٨١، ثروت عكاشة، مذكراتى فى السياسة والثقافة، ج ٢، ص ٢٦٠.

(١٤٤) نفسه، ص، ٢٥٧، ٢٦٠.

(١٤٥) نفسه، ص ٢٦٠.

(١٤٦) نفسه.

(١٤٧) لويس عوض، السابق، ص ١٧٧.

(١٤٨) نفسه، ص ١٨١.

(١٤٩) نفسه.

(١٥٠) نفسه.

(١٥١) ثروت عكاشة، السابق، ص ٢٥١ – ٢٥٢.

(١٥٢) نفسه، ص ٣٢١.

(١٥٣) نفسه، ص ٣٢٩.

(١٥٤) نفسه، ص ٢٧٤ - ٢٧٥.

(١٥٥) نفسه، ص ٢٩٤.

(١٥٦) نفسه، ص ٢٥٤.

(١٥٧) لويس عوض. السابق، ص ٢٠٨.

(١٥٨) ثروت عكاشة، السابق، ص ٢٥٧.

(١٥٩) نفسه، ص ٤٦١.

(١٦٠) نفسه، ص ٢٦٧.

(١٦١) نفسه، ص ٢٦٨.

(١٦٢) نفسه، نفس الصفحة.

(١٦٣) نفسه. ص ٢٦٨ - ٢٦٩.

(١٦٤) نفسه، ص ٢٦٩.

(١٦٥) السابق، نفس الصفحة.

(١٦٦) السابق. نفس الصفحة.

(١٦٧) السابق، ص ٢٦٩ - ٢٧٠.

(١٦٨) السابق، ص ٢٧٠.

(١٦٩) السابق، نفس الصفحة.

(١٧٠) السابق. ص ٢٧١.

(١٧١) نفسه.

(١٧٢) نفسه، ص ٢٧٢.

(١٧٣) نفسه، ص ٢٨٢ - ٢٨٣.

(١٧٤) نفسه، ص ٢٨٣.

(١٧٥) نفسه، ص ٢٨٦.

(١٧٦) السابق، ص ٢٨٧، ٢٩٣.

(١٧٧) السابق، ص ٢٩٣ - ٢٩٤.

(١٧٨) السابق، ص ٢٩٥، ٢٩٧.

(١٧٩) السابق، ص ٢٩٧، ٣٠٢.

(١٨٠) السابق، ص ٣٠٢.

(١٨١) السابق، ص ٣٠٥.

(١٨٢) نفسه.

(١٨٣) نفسه، ص ٣١٠، ٣١٦.

(١٨٤) نفسه، ص ٣١٦.

(١٨٥) نفسه، ص ٣١٩ – ٣٢٠.

(١٨٦) نفسه، ص ٣٣٩.

(١٨٧) نفسه، ص ٣٣٠.

(١٨٨) نفسه، ص ٣٤٨ – ٣٤٩.

(١٨٩) نفسه، ص ٣٥٣ – ٣٥١.

(١٩٠) نفسه، ص – ٣٥٩.

(١٩١) نفسه، ص ٣٥٩ – ٣٦٠.

(١٩٢) نفسه، ص ٣٦٠.

(١٩٣) نفسه، ص ٣٧٠.

(١٩٤) نفسه، ص ٣٧١ – ٣٧٢.

(١٩٥) نفسه، ص ٣٧٢.

(١٩٦) نفسه، ص ٣٧٣.

(١٩٧) نفنه، ص ٣٧٣ – ٣٧٥.

(١٩٨) نفسه، ص ٣٧٦.

(١٩٩) نفسه، ص ٣٩٦، ٣٩٨.

(٢٠٠) نفسه، ص ٣٩٨ – ٤٠٠.

(٢٠١) نفسه، ص ٤٥٩.

(٢٠٢) نفسه، ج ١، ص ٤٧٤ – ٤٧٥.

(٢٠٣) غالى شكرى، النهضة والسقوط فى الفكر المصرى الحديث، ص ٦١.

(٢٠٤) لويس عوض، السابق، ص ١٤٠.

(٢٠٥) نفسه، ص ١٣١، ١٤٥.

(٢٠٦) نفسه، ص ٢٤٨.

(٢٠٧) إبراهيم فتحى، الرواية المصرية فى قرن، الهلال يوليو ١٩٩٩م، ص١٢٣، ١٢٥ - ١٢٦.

(٢٠٨) نفسه، ص ١٢٥.

(٢٠٩) لويس عوض، السابق، ص ١٣٩.

(٢١٠) غالى شكرى، السابق، ص ٦٢.

(٢١١) نفسه، ص ٦٨.

(٢١٢) نفسه، ص ٨٦.

(٢١٣) على الراعى، المسرح فى الوطن العربى، ص ٨٤، العدد ٢٥ من سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، يناير ١٩٨٠م.

(٢١٤) لويس عوض، السابق، ص ١٤٢، ١٦٨.

(٢١٥) نفسه، ص ١٤١.

(٢١٦) غالى شكرى، السابق، ص ٦٨.

(٢١٧) لويس عوض، السابق، ص ١٤٠.

(٢١٨) نفسه، ص ١٧٠.

(٢١٩) غالى شكرى، السابق، ص ٧٣.

(٢٢٠) لويس عوض، السابق، ص ١٤٢.

(٢٢١) سامح كريم، العقاد فى معاركه الأدبية والفكرية، ص ٨٣، مكتبة الأسرة، الأعمال الفكرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٢م.

(٢٢٢) نفسه، ص ١٩٤.

(٢٢٣) لويس عوض، السابق، ص ١٤٣.

(٢٢٤) نفسه.

(٢٢٥) نفسه، ص ١٧٠ - ١٧١.

(٢٢٦) نفسه، ص ١٤٥.

(٢٢٧) السابق، ص ٦٩.

(٢٢٨) رجاء النقاش، أزمة الفكر فى السينما المصرية ص ٧٢، الهلال، أكتوبر ١٩٦٧م.

(٢٢٩) ثروت عكاشة، السابق، ج ٢، ص ٤٥٩.

□□□

المرأة فى حياة عبد الناصر وسياساته

د. عبد المنعم إبراهيم الجميعى
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

قـد يتصـور البعض أن المناضلـين والثوار أصحـاب قلوب جامدة، وليـس لديهم قلبا يحبون به، أو أنهم مشـغولون حتى النخاع بهموم وطنهم لدرجة أنه لا يوجد لديهم وقتا للحب أو العشق. وهذا الرأى فى الغالب يحتاج إلى إعادة نظر خاصة إذا علمنا أن الشخص الذى يفقد رومانسيته العاطفية ويستكثر الحب على نفسه يمكن أن يفقد واقعيته السياسية.

حقيقـة أن حيـاة الرئيس جمال عبد الناصر الأسـرية تخصه وحـده خاصة وأنه كان محافظا يتعامل مع أفراد أسرته بعيدا عن أضواء الرئاسة وصراعاتها، يعاملهم كأب مصرى يتسم بالحزم فى معظم الظروف[1].

ودور المرأة فى حياة عبد الناصر لم يزد عن البحث عن بنت الحلال التى تقاسمه العيش والملح واللقمة الحلال والعشـرة الطيبة والأولاد فقد كان عفيف النفس، ومتطلباته الدنيوية محـدودة فلـم تكن له زوجة ثانية مثل أبيه، أو مثل عبد الحكيم عامر، أو أنور السـادات أو غيره.

حقيقة أنه أحب فتاة قبل زواجه من السـيدة «تحية كاظم» ولكنه كان حبا صامتا على طريقة «نزار قبانى» بالنظرات، باللفتات، بالصمت الرهيب[2]. وحقيقة أن حياة عبد الناصر الشـخصية، تفتحت على أشـياء مثيرة للانتباه بعضها هز كيانه مثل وفاة والدته، وزواج والده بأخرى دون علمه وبعضها ساعده على تكملة مشواره الوطنى فى هدوء وإنكار للذات مثـل دور قرينته السـيدة «تحية كاظـم» التى هيأت له كل الظروف المناسـبة للتفرغ لهذا المشوار.

أمـا عن سياسـات عبد الناصر تجاه المرأة بعد توليته حكـم مصر فقد كان يرى ضرورة أن تأخذ فرصتها الكاملة لمشـاركة الرجل فى بناء الوطن، وأن يتوفر لها المناخ الملائم لهذه المشاركة وفيما يلى نعرض لذلك.

١ ـ أثر والدة جمال عبد الناصر فى حياته:

لقد تفتحت حياة عبد الناصر الشخصية على أشياء ظلت تحمل أثرا كبيرا فى حياته ففى عام ١٩٢٥م ترك الطفل جمال والدته السيدة «فهيمة جاد» بالخطاطبة بحيرة حيث كان يعمل والده، وسافر إلى القاهرة للالتحاق بمدرسة النحاسين بالجمالية حيث أقام عند عمه «خليل حسين» فى حى شعبى لمدة ثلاثة سنوات. وعندما سافر خلال عطلة المدرسة الصيفية فى عام ١٩٢٦م لزيارة والدته علم أنها توفيت قبل وصوله بأسابيع ولم يخبره أحد بذلك، كما وجد بالمنزل سيدة أخرى ذكرت له أنها زوجة أبيه مما جعله يشعر بصدمة هزت كيانه. فقد كان الأمر فى حد ذاته محزنا للغاية بالنسبة له، ومؤثرا على نفسيته بشكل كبير. وهذا ما جعل بعض المحللين النفسيين خاصة فى الغرب يرجعون شخصيته المتسمة بالعناد والإصرار إلى ذلك، كما ادعى آخرون إلى أن العزلة التى كانت متأصلة فى وجدانه منذ طفولته جعلته ثقيل الظل، قاسى القلب، سوداوى المزاج، يسعده إهانة الرجال.

٢ ـ المرأة التى أحبها عبد الناصر قبل زواجه:

فتش أحد الكتاب عن التاريخ العاطفى فى حياة عبد الناصر فوجده، وصاغ المفاجأة فى كتابه «المرأة التى أحبها عبد الناصر» والذى استند فيه على خطاب أرسله جمال عبد الناصر وهو فى سن الثانية والعشرين إلى صديق طفولته «حسن النشرتى» ذكر فيه أنه عندما كان يسير فى حى الظاهر رأى فتاة من مدرسة الفنون الطرزية تمشى وحدها، وفجأة وجد نفسه يدندن أغنية محمد عبد الوهاب «جفنه علم الغزل» ومع أنه لم يصرح لصديقه بحقيقة هذا الحب مباشرة فقد اكتفى بأن يقول له «وطبعا أظنك تقدر تعرف إيه اللى جرى لى فى تلك الساعة» وأنه بعد أن راح يبحث عن منزلها عثر عليه بعد جهد جهيد فى حى الظاهر بشارع الخليج أمام سينما فيكتوريا. ويبدو أن هذا الحب ظل صامتا واقتصر على النظرات حيث يقول عبد الناصر «ويشهد الله بأنى لم أحاول تتبعها ولا معاكستها حتى أنزه نفسى عن عبث الشباب... وحتى لا يقال عنها القيل والقال»، وعندما تقدم لخطبتها من أهلها كان مصير طلبه الرفض بحجة أن الفتاة كانت لها أخت تكبرها ولم تتزوج، وتقاليد الأسر فى هذه الأيام كانت تقضى بزواج الكبرى قبل الصغرى

مما صدم جمال عبد الناصر فى حبه الأول، وجعل الحزن يسكن قلبه[٣]، حتى جمعته الظروف بصديقه عبد الحميد كاظم الذى وافق على زواجه من شقيقته السمراء الوديعة المحافظة الآنسة «تحية» ويوم ذهابه ليطلب يدها قال لها «أنا مش جاى أختار أنا وأخد قرار»، وفى يناير ١٩٤٤م تمت الخطبة، ونظرا لأن تحية كانت من أسرة محافظة فقد اشترطت أسرتها لخروجها مع خطيبها وجود طرف ثالث معهما، وكانا يخرجان لمشاهدة مسرحيات نجيب الريحانى، وبعض الأفلام السينمائية، ويجلسان فى بنوار خاص، ولم يكن يزورها دون أن يحمل معه الشيكولاتة والهدايا المناسبة[٤].

ولما تحدد موعد الزواج فى ٢٩ يونيو من العام نفسه قامت المطربة «سيدة حسن» التى اشتهرت بأغنيتها «اتمخطرى يا حلوة يا زينة، يا وردة من جوه جنينه» بإحياء الفرح ثم انتقل الزوجان إلى بيت الزوجية فى شقة بالعباسية فى شارع الجلالى بالقرب من شارع أحمد سعيد، وبقيت تحية فى هذه الشقة خلال وجود زوجها فى حرب فلسطين ١٩٤٨م، ولما عاد من الحرب انتقلت معه إلى شقة جديدة فى كوبرى القبة بالقرب من قيادة الجيش، وقد رزقهما الله بالطفلة هدى، ثم جاءت منى وعبد الحميد.

وقد لعبت تحية دورا هاما ومؤثرا فى حياة عبد الناصر، وعاشت فى كنفه توفر له جوا أسريا هادئا، ولعبت دورا هاما فى حياته حيث تحملت أعباء أسرته الصغيرة فى مرحلة الإعداد للثورة واستكمال خلايا تنظيم الضباط الأحرار، وخلال مشاركته فى حرب فلسطين وبعد توليه سلطة الحكم فى مصر وقفت تسانده ثمانية عشر عاما دون أن تكون طرفا على أى نحو فى شئون البلاد. فلم تظهر فى الحياة العامة إلا نادرا، ولم تمارس أى حياة تحت عدسات الأضواء مثل زوجة أى رئيس جمهورية فى العالم، بل عاشت فى ظل زوجها حياة بسيطة كربة منزل من الطبقة الوسطى، وأدت دورها كزوجة مطيعة، وأم لأولاده، وكانت تطبخ بنفسها الأكل الذى يهواه زوجها والذى كان يقول لأولاده عنه دائما «أكل أمكم مفيش زيه»،[٥] وإلى جانب ذلك فقد كانت تشغل نفسها فى أوقات فراغها بشغل الإبرة والتطريز.

ونتيجة لذلك فقد كانت تحية بالنسبة لعبد الناصر هى الحب الخالد وكانت ظهره وسنده القوى الذى يفيض حنانا، مما جعله يكن لها ولاء خاصا، ولا يقبل أن يغضبها أحد مهما كان، أو أن يحزنها شىء[٦]، وقد أكد ذلك شهود العيان، فذكرت جيهان السادات أن العلاقة بين عبد الناصر وزوجته كان يشوبها الاحترام الكامل فلم تكن تحية تخاطب زوجها أمام ضيوفه باسمه، بل دائما بالريس، وأنها كانت خجولة ومتواضعة،

ونادرا ما تتحدث على المائدة مع ضيوفها كما أنها لم تشارك مطلقا فى أى حديث فى السياسة[٧]. وقال محمود الجيار السكرتير الخاص للرئيس فى مذكراته أنه لم يشاهد فى حياته رجلا يحترم زوجته مثل جمال عبد الناصر[٨].

هذا عن المرأة فى حياة عبد الناصر أما عن المرأة فى سياساته فقد كان يرى أنها نصف المجتمع. وأن عليها مسئولية كبرى لمشاركة الرجل فى بناء الوطن[٩]. لذلك سمح لها بمباشرة الحقوق السياسية بعد أن أقر دستور ١٩٥٦م المساواة فى الحقوق السياسية بين الرجل والمرأة. وأعطى للمرأة لأول مرة حق المشاركة فى الانتخابات ترشيحا وانتخابا حيث نصت المادة رقم (١) من القانون رقم ٧٣ لسنة ١٩٥٦م بأنه «على كل مصرى ومصرية بلغ ثمانى عشرة سنة ميلادية أن يباشر بنفسه الحقوق السياسية وهى الاستفتاء على رئاسة الجمهورية وكل استفتاء آخر ينص عليه الدستور. وانتخاب أعضاء المجالس النيابية».

ونتيجة لذلك شاركت المرأة فى انتخابات ١٩٥٧م حيث تقدمت خمس منهن للترشيح فى عضوية مجلس الأمة. وفازت منهن مرشحتان بمقعدين فى البرلمان[١٠]. ومارستا الحياة البرلمانية فى مصر وهما الآنسة «راوية عطية». والسيدة «أمينة شكرى». وهكذا انبعث من داخل المجلس التشريعى لأول مرة صوت المرأة المصرية.

وانطلاقا من حرص الدولة فى عهد عبد الناصر على تهيئة المناخ المناسب للمرأة لأداء دورها المزدوج فى المجتمع جاء إعلان القوانين الاشتراكية عام ١٩٦١م والتى التزمت فيها الدولة بالمساواة بين الجنسين حيث قدم الميثاق الوطنى قضية المرأة كجزء من قضية الشعب فى نضاله ضد الاستغلال. ودعا إلى تحرير المرأة وحمايتها بقوله «إن المرأة لابد أن تتساوى بالرجل، ولابد أن تسقط بقايا الأغلال التى تعوق حركتها حتى تستطيع أن تشارك بعمق وإيجابية فى صنع الحياة الجديدة».

وهكذا كفلت الدولة التوفيق بين واجبات المرأة فى الأسرة وعملها فى المجتمع، ومساواتها بالرجل فى ميادين الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وعلى الرغم من قلة عدد النساء داخل البرلمان[١١]. فقد كان ذلك بداية صفحة جديدة فى مسيرة المرأة المصرية. وانتصارا كبيرا توج سنوات كفاحها من أجل نيل حقوقها السياسية[١٢]، وإلى جانب ذلك فقد قرر عبد الناصر أن تدخل المرأة الوزارة لأول مرة فتشهد مصر تولى إحدى السيدات لمنصب الوزيرة بتولى الدكتورة حكمت أبو زيد منصب وزيرة الشئون الاجتماعية عام ١٩٦٢م.

وحول ذلك الموضوع يذكر الكاتب الصحفى «مصطفى أمين» أن عبد الناصر طلب منه تقديم بعض المعلومات من أرشيف أخبار اليوم عن أشهر سيدات مصر فى ذلك الوقت ليختار منهن وزيرة. فقدم مصطفى أمين قائمة بأسماء عشر مرشحات. والمعلومات الخاصة بكل واحدة منهن. وكانت أم كلثوم على رأس القائمة. وقد رشحها مصطفى أمين لتولى وزارة الثقافة. ومع أن عبد الناصر كان يكن لأم كلثوم تقديرا كبيرا خاصا وأن أغانيها الوطنية كانت من أسباب تأكيد مفهوم ثورة يوليو فى عقول المصريين. وأن العلاقة بينهما توطدت نتيجة لمساندتها للثورة وأهدافها[١٣]. فإنه لم يختارها لتولى أى منصب وزارى بل قام باختيار الدكتورة «حكمت أبو زيد» التى كان ترتيبها الأخير فى القائمة التى قدمها له مصطفى أمين. وعندما سأله مصطفى أمين عن السبب أجابه عبد الناصر «لأنها أقلهن حلاوة وأنا مش عاوز يطلع علينا كلام وشوشرة ونكت».

وهكذا كان عبد الناصر يفهم طبيعة الشعب المصرى التى تعلق على مثل هذه الموضوعات. وهكذا طرأت العديد من المتغيرات لصالح المرأة فى عصر عبد الناصر حيث أتاحت لها قوانين العمل أعمال مساوية لأعمال الرجل فى كافة ميادين الحياة. وأيضا الحصول على أجور مساوية. كما أتاح لها التعليم الحصول على فرص تعليمية منصفة. وإلى جانب ذلك فقد ازداد دور المرأة العاملة فى الحياة النقابية وبعض الاتحادات المهنية[١٤]. وإلى جانب ذلك أيضا فقد أتاحت ثورة يوليو فرصة التعليم العالى بجميع صوره وتخصصاته للمرأة. وأخذ عدد الطالبات اللائى يلتحقن بالجامعة فى التزايد.

والخلاصة أنه يمكن القول إن المرأة فى عصر عبد الناصر استطاعت الحصول على الكثير من الحقوق الاجتماعية والثقافية والاقتصادية كما أنها أحرزت العديد من المكاسب السياسية التى ردت لها اعتبارها.

وهكذا قدر عبد الناصر أهمية النساء فى بناء المجتمع الجديد الذى ينشده. وبذلك سبقت مصر العالم العربى كله بمنح المرأة حق التصويت والانتخاب. وأرسى لها عبد الناصر قواعد العدالة التامة فى مجالى العلم والعمل. وبذلك أنهى عصر التحيز للرجال. وجعل الكفاءة وحدها هى المؤهل الأول والأخير فى دخول الجامعات. وشغل الوظائف المختلفة. كما أنه أخذ بيد المرأة إلى الأمام وأوصلها إلى أعلى المناصب القيادية وهو منصب الوزيرة.

□□□

المصادر والمراجع

أولا - الكتب:

- أحمد طه أحمد: المرأة كفاحها وعملها، القاهرة، دار الجماهير، ١٩٦٤م.
- إسماعيل إبراهيم: صحفيات ثائرات، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧م.
- إنجى أفلاطون: مذكرات إنجى أفلاطون، القاهرة، دار سعاد الصباح، ١٩٩٣م.
- جيهان السادات: امرأة من مصر، القاهرة، المكتب المصرى الحديث، ١٩٧٧م.
- حنفى المحلاوى: سيدتان من مصر أم كلثوم وجيهان، خفايا الصراع وأسبابه، القاهرة، دار الشباب، ١٩٩٤م.
- سامى شرف: عبد الناصر وكيف حكم مصر، القاهرة، مدبولى الصغير، ١٩٩٦م.
- عادل حموده: حكومات غرف النوم، القاهرة، دار سفنكس للطباعة والنشر، ١٩٩٤م.
- محمود مراد: حوار مع هدى عبد الناصر، القاهرة، سلسلة حوار، ١٩٧٥م.

ثانيا: الدوريات:

- روز اليوسف مارس ١٩٧٦م
- صوت الأمة نوفمبر ٢٠٠٤م
- العربى الناصرى يونيو ويوليو ٢٠٠٥م

□□□

ملاحق الدراسة

رسالة من السيدة تحية كاظم إلى الصاغ جمال عبد الناصر[١٥]
خلال حرب فلسطين بتاريخ ١٩ مايو ١٩٤٨م

حضـرة المحترم الصـاغ جمال عبد الناصر أفنـدى.. العريش رقـم (٣) - الكتيبة السادسة - بالبريد الحربى - ١٩ مايو ١٩٤٨م..

عزيزى جمال..

أهديك سلامى وأشواقى وقبلاتى الحارة وصلنى خطابك الذى كنت أترقبه فاطمأن قلبى والحمـد لله أمـا عن أخبارى فهى: ذهبت عند عناية وبعدها عند أبلة منيرة وحضرت يوم الثلاثاء ولم تحضر أبلة توحيدة وأرسـلت تلغراف بأنها ستحضر يوم الجمعة وللآن لم أجد خادمـة وأمس زارتنى حرم عبد الحكيم أفندى وباتت معى شـفيقة وخادمة جارتى والكل هنا يسعى لراحتى جزاهم الله خيرا.

وهـدى ومنى بخير.. الحمـد لله وها هى هدى عاوزة تأخذ القلم من يدى لتكتب ومنى بتشد الورقة.. سأمكث هنا حتى حضورك إن شاء الله يكون قريبا جدا فأرسل لى دائما هنا وأكثر من الخطابات لأكون فى اطمئنان رافقتك السلامة وفى حفظ الله».

ملحوظة:

قصـدت تحية من خطابها بحـرم عبد الحكيم أفندى.. زينـب زوجة أقرب الأصدقاء إليـه.. عبد الحكيـم عامر وكانت تقصد بتوحيدة.. زوجة عمه خليل عبد الناصر.. وكانت صديقـة لعائلـة تحية.. أما عناية وأبلة منيرة فهما شـقيقتاها. وكان لها أيضا شـقيقان.. عبد الحميد.. ومصطفى.. لم يتزوجا.

رسالة من السيدة تحية كاظم إلى جمال عبد الناصر
خلال حرب فلسطين بتاريخ ٢٥ مايو ١٩٤٨م

العريش - حضرة اليوزباشى جمال عبد الناصر أفندى - الكتيبة السادسة بالعريش ٢٥ مايو ١٩٤٨م.

عزيزى جمال..

سلامى وقبلاتى الحارة لك.. وحشتنى جدا يا جمال.. متى تنقضى الأيام دى وأراك.. كنت متلهفة على خطاب منك... واليوم وصلنى خطابين.. فكم أنا مسرورة.. كنت لا أعرف أن البوستة بتتأخر فبت أمس زعلانه.. لكن الحمد لله سأنام الليلة وقلبى مرتاح.

هدى ومنى فى أحسن صحة ويقبلونك.. وصلنى اليوم خطاب من الوالد العزيز يسأل عنى وهدى ومنى وسيحضر عندنا فى أوائل الشهر إن شاء الله سأسهر على راحته.. دعواتى لك يا جمال... وفى أمان الله.

تحية

رسالة من السيدة تحية كاظم إلى جمال عبد الناصر بتاريخ ٢٨ مايو ١٩٤٨م

حضرة المحترم الصاغ جمال عبد الناصر أفندى - العريش رقم (٣) الكتيبة السادسة

٢٨ مايو ١٩٤٨م

عزيزى جمال..

سلامى الزائد وقبلاتى الحارة لك.. أرجو أن تكون فى غاية الصحة وأحسن الأحوال.. وصلنى خطابك العزيز اليوم وقد أرسلت لك خطاب بتاريخ ٢٥ مايو فأنا أرد على خطابك فى نفس اليوم الذى يصلنى فيه ووصلنى فى يوم ٢٥ مايو خطابين بتاريخ ١٨ مايو و ٢٣ مايو فالبوستة بتتأخر.

هدى ومنى فى غاية الصحة ومنى كعادتها بتقول بابا وهدى ترد عليها وتقول لها بابا راح يجيب بستليه وحاجات حلوة.. إن شاء الله نراك قريبا ونفرح بك.. وحشتنى جدا يا جمال.. يا حبيبى أنا لا أقرأ البورصة إلا صدفة فهى لا تهمنى الآن ولا أعيرها أى اهتمام طلعت أم نزلت وكل ما يهمنى أن أقرأ خطاب عليه خطك فهو أحسن شىء عندى فى الوجود.

كنت اليوم عند عواطف وقابلت زكى وكلفنى أن أبلغك سلامى ودعواته.. أبلة توحيدة عندنا وتبلغك سلامها.. ستحضر عندى خادمة فى أول الشهر وهى بنت أم زينب اللى عند خالتى فهيمة تدعى فاطمة، لك قبلاتى ودعواتى لك بالحفظ والأمان.

تحية..اكثر من الخطابات يا جمال فهى شفاء لنفسى وكل سعادتى.

رسالة من السيدة تحية كاظم
إلى زوجها جمال عبد الناصر فى ٢ يونيو ١٩٤٨م

حضرة المحترم اليوزباشى جمال عبد الناصر أفندى – الكتيبة السادسة بالعريش

٣ يونيو ١٩٤٨م

عزيزى جمال..

إليك أبعث سلامى وقبلاتى الزائدة.. متعك الله بالصحة.. وحشتنى أوى يا جمال.. إمتى تيجى.. فقد طالت غيبتك عنا.. لا يمكننى التعبير عن شعورى واشتياقى لك. لم أسمع صوتك بوضوح فى التليفون فالصوت كان بعيد.. هدى ومنى والحمد لله بخير وبيتشاقوا ويتعفرتوا كتير وهدى دلوقتى اعتادت على الجوابات وبتسألنى بتكتبى جواب بابا يا تحية.

زارتنى حرم عبد المنعم أفندى ولم تجدنى وأخبرت جارتى بأنها ستزورنى مرة أخرى يوم ٥ يونيو وأنا منتظراها.

ختاما لك سلامى ودعواتى..

تحية...

اكتب لى كثيرا يا جمال حتى أكون دائما مبسوطة. وعلى طرف علوى من الخطاب كتب السيد يوسف زوج شقيقتها منيرة يقول: عزيزى جمال..

حضرت لأرى تحية والجميع بخير يدعون لك وللجميع بالنصر وإن شاء الله أن تعودوا جميعا مكللين بالنصر المبين.. الجميع يهدونك السلام وصلنى خطاب وقد أعطيته لتحية.

المخلص.. السيد يوسف.. توقيع.

رسالة من السيدة تحية كاظم إلى جمال عبد الناصر
بتاريخ ١٩ يونيو ١٩٤٨م

حضرة المحترم الصاغ جمال عبد الناصر أفندى – العريش رقم (٣) الكتيبة السادسة

– ١٩ يونيو ١٩٤٨م

عزيزى جمال...

سلامى وقبلاتى وأشواقى لك.. أرجو أن تكون فى أحسن الأحوال وصلنى جوابك المفرح ما أشد فرحى بقرب حضورك يا حبيبى.. إن شاء الله نراك فى أقرب وقت.

الوالد هنا من يوم ٨ يونيو وهو فى أحسن صحة وكلنا مسرورين نترقب حضورك وهدى ومنى الحمد لله بخير.

لم تحضر حرم عبد المنعم أفندى مرة ثانية ولم تترك عنوانها لأذهب إليها وأشكرها إن شاء الله تحضر قريبا وأذهب معك.. سيسر عادل بورق البوستة... لك قبلاتى وقبلات هدى ومنى.

تحية...

□□□

الهوامش

(١) محمود مراد: حوار مع هدى عبد الناصر، ص ٣٢.

(٢) عادل حمودة: حكومات غرف النوم، ص ١٢٤.

(٣) عادل حمودة: حكومات غرف النوم، ص ١٢٥.

(٤) صوت الأمة فى ١٥/ ١١/ ٢٠٠٤م.

(٥) العربى الناصرى فى ١٧ يوليو ٢٠٠٥م حديث لخالد عبد الناصر تحت عنوان «أمى تحية».

(٦) العربى الناصرى فى ١٧ يونيو ٢٠٠٥م.

(٧) جيهان السادات: امراة من مصر، ص ١٨٥.

(٨) روز اليوسف فى ٢٩ مارس ١٩٧٦م.

(٩) من خطاب الرئيس بمعسكر المعلمات بالورديان بالاسكندرية فى ٤ أغسطس ١٩٥٥م.

(١٠) كان فى الإمكان فوز سيدة ثالثة فى هذه الانتخابات حيث رشحت منيرة ثابت نفسها عن الدائرة الثالثة التى تشمل منطقة الزيتون ومصر الجديدة ولكن صدور قرار الاتحاد القومى الذى قضى بغلق الدوائر المرشح فيها وزراء أمام الآخرين، وكان فتحى رضوان وزير الإرشاد القومى وقتذاك قد رشح نفسه عن دائرة منيرة ثابت فنال العضوية بصفته الوزارية دون الانتخابية.

إسماعيل إبراهيم: صحفيات ثائرات، ص ١٢٥.

وتذكر إنجى أفلاطون فى مذكراتها أن المناضلة «سيزا نبراوى» كانت قد قررت خوض الانتخابات فى حى مصر القديمة، وكان المنافس لها أحمد سعيد المذيع بصوت العرب، لكن الحكومة منعت مندوبها من دخول اللجان وقامت بحركة تزوير واسعة. مذكرات إنجى أفلاطون، ص ١٧٤.

(١١) استمرت مشاركة المرأة فى البرلمان بين الزيادة والنقصان، فقد زاد عددهن فى انتخابات ١٩٦٤م حيث وصل إلى ثمانى عضوات ثم هبط عددهن فى انتخابات ١٩٦٨م.

(١٢) إنجى أفلاطون، مذكرات، ص ١٧٢ - ١٧٣.

(١٣) عندما قامت ثورة يوليو أعلنت أم كلثوم تأييدها لها، وتوطدت علاقتها بعبد الناصر لدرجة أنه خلال عدوان ١٩٥٦م أرسل زوجته وأولاده إلى فيلتها بالزمالك هربا من ضربات طيران المعتدين. للتفاصيل انظر: حنفى المحلاوى: سيدتان من مصر أم كلثوم وجيهان خفايا الصراع وأسبابه، ص ١٥٥.

وإلى جانب ذلك فقد أثمرت توجيهات عبد الناصر إلى أن التقى قمتا الفن أم كلثوم وعبد الوهاب فى عمل مشترك، وكانت أغنية انت عمرى وتبعتها بعد ذلك أغنيات وأغنيات. سامى شرف: عبد الناصر وكيف حكم مصر، ص ٣٠٥.

وقد وقفت أم كلثوم تساند عبد الناصر بعد هزيمة ١٩٦٧م حيث شاركت بأغانيها فى حفلات عبرت الحدود لخدمة المجهود الحربى.

(١٤) ساهمت النساء العاملات فى تكوين بعض النقابات كما حدث فى مصنع الطويل للنسيج بالأسكندرية عام ١٩٥٢م، وفى عام ١٩٥٧م أختيرت النقابية عايدة فهمى لأول مرة فى مصر لعضوية المجلس الاستشارى الأعلى للعمل والعمال. للتفاصيل انظر: أحمد طه محمد: المرأة كفاحها وعملها، ص ٨٩ - ٩١.

(١٥) صوت الأمة: العدد ٢٠٧ فى ١٥/ ١١/ ٢٠٠٤م دراسة للأستاذ عادل حمودة بعنوان خطابات تحية إلى جمال عبد الناصر وأسرار حياتهما الخاصة.

□□□

التقييم الاقتصادى لثورة يوليو

على عبد العزيز سليمان
(وكيل أول وزارة الاقتصاد والتعاون الدولى سابقا)

بمناسبة مرور تسعون عاما على ميلاد الزعيم الراحل جمال عبد الناصر عقدت الجمعية المصرية للدراسات التاريخية فى الفترة من ١٥ – ١٧ يناير، ندوة بعنوان جمال عبد الناصر وعصره (١٩٣٥ – ١٩٧٠م).

ولقد أكدت اللجنة المنظمة للمؤتمر أن هذه الندوة لا تسعى إلى أن تكون مظاهرة تأييد للرئيس الراحل جمال عبد الناصر بل تسعى بشكل علمى ومجرد إلى استكشاف العلاقة بين الإنسان والعصر الذى يعيش فيه. ومن الممكن أن نقول إن الندوة تسعى لتقييم العصر الذى نشأ فيه جمال عبد الناصر وأن تقيس إلى أى حد تأثر هو بمتغيرات ذلك العصر وكيف أثر فيه هو أيضا.

ولعل الجانب الاقتصادى فى هذه الندوة هو أكثرها تعبيرا عن التفاعل بين الرجل وعصره. ذلك أن تطور اقتصاد أى دولة لا ينشأ من تغيير فلسفة أو سياسات ذلك الاقتصاد فحسب، بل يعتمد أيضا إلى حد كبير على موارد ذلك المجتمع، وعلاقات الإنتاج، وعلاقاته بالدول والاقتصاديات الأخرى. وفى هذا الإطار وحتى يمكن أن نتحدث عن دور عبد الناصر الاقتصادى يجب أن ندرس الفلسفة الاقتصادية للثورة، سياستها وبرامجها، ونتائج هذه السياسات والبرامج.

ومن نافلة القول أن نشير إلى أن عبد الناصر ورفاقه لم يولدوا يوم ٢٣ يوليه ١٩٥٢م، بل هم رجال تكونت ثقافتهم وتوجهاتهم السياسية والاجتماعية فى العشرينيات والثلاثينيات والأربعينيات. وعلى ذلك من المؤكد أن فكرهم الاقتصادى قد تأثر بالأحوال الاقتصادية والاجتماعية التى أحاطت بهم، وكذلك بالتغيرات الجوهرية التى تمت على مستوى العالم بداية من نهاية الحرب العالمية الأولى ونجاح الشيوعية فى روسيا عام ١٩١٧م، كذلك بالتجارب الأخرى التى ظهرت فى العالم الرأسمالى ومنها ظهور الفاشية فى إيطاليا وألمانيا (الاشتراكية الوطنية فى الأخيرة). وكذلك تجارب تغيير دور الدولة فى دول التحالف

الغربى التى استفادت من تجربة الكساد العالمى الكبير وراحت تتبع توصيات اللورد كينز وخلقت منظمات «بزيتون وودز» للتعامل مع قضايا التنمية والتعمير.

ولقد تأثرت التوجهات الوطنية فى فترة ما بين الحربين بالرغبة فى النهوض بالبلاد وبفكر الاستقلال الاقتصادى الذى رأى أن اكتمال استقلال البلاد لن يتم إلا بعد تحقيق قدر كبير من الاعتماد على الذات عن طريق تنويع الناتج المحلى الإجمالى وبالذات عن طريق التصنيع. وانعكس هذا فى حملة التصنيع التى قادها طلعت حرب ومجموعة بنك مصر. وفى ذات الوقت انعكست هذه التوجهات فى جهود الحكومات الوطنية وبالذات حكومات الوفد المتتالية فى حماية الصناعة الوطنية والتخلص من الامتيازات الأجنبية.

الوضع الاقتصادى عند الثورة:

اتصف الاقتصاد المصرى فى أوائل الخمسينيات بالكثير من معالم الاقتصاديات النامية أو المتخلفة Backward economies – كما جرى الحديث فى ذلك العصر. فقد ورثت مصر من النظام الاستعمارى اعتمادها على إنتاج محصول رئيسى واحد هو القطن، وارتباط صحة الاقتصاد القومى على القدرة على تصديره، وغيره من المنتجات الزراعية مثل البصل والأرز، بأسعار جيدة. وبخلاف معظم الدول النامية فى إفريقيا وآسيا تمتع الاقتصاد المصرى بوضع صناعى أفضل. ذلك أن مشروعات التصنيع التى بدأت فى العشرينيات والثلاثينيات حققت قدر معقول من الاكتفاء الذاتى فى الملابس والمنسوجات وبعض المنتجات الغذائية والأدوية إلى جانب جزء من احتياجات البلاد من الأسمدة والمخصبات الزراعية، ومواد البناء. مع ذلك ظل اعتماد البلاد كبيرا على واردات القمح والسلع الرأسمالية ووسائل النقل.

ومن المؤكد أن رجال الثورة فى أعوامهم الأولى قد اقترضوا من سياسات اقتصادية طرحت واستمروا على خطى بدأت فى ظل حكومات ما قبل الثورة ومن ذلك سياسات حماية الصناعة المحلية، وتشجيع الاستثمار وتطمين القطاع الخاص. وكان لسرعة إصدار عدد من القرارات الاقتصادية – التى تدفع فى هذا الاتجاه بما فى ذلك قانون جديد للاستثمار الأجنبى، وقانون لتحديد الملكيات الزراعية – أنشأ المجلس القومى للإنتاج القومى مؤكدا على أن الثورة ورجالها اعتمدوا على باقة من السياسات والمبادرات التى طالما ناقشتها وعرضتها القوى السياسية المستنيرة قبل الثورة وإن غابت القدرة السياسية أو الالتزام البيروقراطى الكفيل بتحقيقها.

كذلك سعت الثورة إلى معالجة أهم عورات العهد البائد ومنها تكدس الثورة في أيدى قليلة، وانتشار الإقطاع فى الريف، وكذلك انتشار الأمية وصد باب التعليم أمام غير القادرين.

ويشير أحد اقتصاديو الثورة إلى خطورة تكدس الثورة فى مجتمع ما قبل الثورة حتى إنه يستشهد بما ورد فى أحد التقارير الدولية التابعة للأمم المتحدة إلى أن أقل من ٠,٥ ٪ من السكان كانوا يستحوذون على ٥٠٪ من الناتج المحلى الإجمالى.

صعوبات تعترض البحث التاريخى فى المكون الاقتصادى للثورة:

يعترض البحث العلمى فى التاريخ الاقتصادى للثورة مجموعة من العقبات المنهجية والفكرية والمادية.

١ـ مشكلة غياب النظرية:

تطور الفكر الاقتصادى لثورة ١٩٥٢م بسرعة كبيرة، ويرجع الأمر إلى أن الضباط الأحرار الذين هبوا لإصلاح أحوال الجيش فى البداية لم تكن لديهم نظرة متكاملة لإصلاح أحوال المجتمع، ورفضوا بشدة أى محاولة لإلباس الثورة فلسفة اقتصادية أو مجتمعية جاهزة. وبالتالى قاموا بإلغاء النظام السياسى السابق ورفضوا وصاية الأحزاب المحظورة فى السابق ومنها الحزب الشيوعى والإخوان المسلمين. وليس هناك شك أن السنوات التسع الأولى تميزت بقدر كبير من الاستمرارية فى الرؤى الاقتصادية، بل يمكن القول بسهولة إنها تبنت نفس السياسة الليبرالية التى اتبعها الوفد، وأن التجمعات الرأسمالية الوطنية استمرت فى العمل دون خوف. مع ذلك أدت ظروف الصدام مع الغرب مع انغماس عبد الناصر فى تيار مجموعة عدم الانحياز و الحياد الإيجابى، ثم إقدامه على تأميم قناة السويس والمجابهة مع الغرب، إلى الحصار الاقتصادى. وبالمقابل أدت الحراسات وتأميم ملكيات الأجانب إلى نشوء نواة القطاع العام.

ويحتاج التحول إلى الاشتراكية العربية والتأميم فى ١٩٦١م إلى المزيد من الدراسة. فبينما يرى البعض انه امتداد إلى إرهاصات سابقة لتدخل النظام الثورى فى الحياة الاقتصادية، ينسبه البعض الآخر ليس إلى اتجاه مخطط أو إلى نظرية اقتصادية بل إلى رغبة الرئيس عبد الناصر فى زيادة قبضته على الحكم. ويشيرون فى هذا إلى أن خيار الاشتراكية العربية

كان منفصلا عن العلاقات المصرية السوفيتية، والدليل على ذلك ما حدث من انشقاق مع الاتحاد السوفيتى أثناء أزمة العراق ١٩٥٨م - ١٩٥٩م، ومحاولة الرئيس الحفاظ على علاقاته مع الغرب أثناء حكم الرئيس كيندى وأيضا إبان أزمة الاعتراف بألمانيا الشرقية.

٢ـ مشكلة التحيز الفكرى:

مازالت ثورة يوليو قريبة إلى الأذهان والقلوب. والكثير من العاملين فى العمل العام وحتى العمل العلمى لهم موقف مسبق مع أو ضد نظام ثورة يوليو وفلسفتها. ويمنع هذا المكون الشخصى القوى من قيام تقييم علمى هادئ. وكما هى العادة فى الثورات الكبرى، ينهج أنصارها إلى إنكار كل ما سبقها من قيم وإنجازات، ويحكمون عليها ليس بمقياس التاريخ والظروف المحيطة بالحدث، بل بما يجب أن يكون أو بمقياس الأمل فى المستقبل. وما يمكن إنجازه فى ظروف مختلفة تماما. وعلى ذلك نحا رجال الثورة إلى التقليل مما تم إنجازه فى الفترة السابقة لها، ولم يقدر أحد جهود طلعت حرب أو أحمد عبود والسيد ياسين بمقياس ظروف العمل فى ظل الاحتلال وغياب الحماية للصناعة الوطنية. بدلا من ذلك استخفت الثورة وبالذات «ميثاق العمل الاشتراكى» من هذه الإرهاصات الأولى للتنمية الاقتصادية، وأصبح تاريخ الصناعة والاستقلال الاقتصادى يؤرخ له ابتداء من ١٩٥٢م، وفى هذا السياق ينسب للدكتور عزيز صدقى، أول وزير صناعة فى عهد الثورة، القول بإن كل ما سبق الثورة من استثمارات صناعية لم يتعدى ٢ مليون جنيه، وهو رقم غير صحيح بأى مقياس...

٣ـ مشكلة غياب الوثائق:

بالرغم من قرب الفترة الزمنية إلى أن الباحث التاريخى يجد صعوبة كبيرة فى الحصول على الوثائق الاقتصادية للثورة، ومن ذلك محاضر مناقشات مجلس الوزراء والمجلس القومى للإنتاج.

ويحتار الفرد أحيانا فى تفهم الأسباب الحقيقية التى كانت وراء تغيرات جذرية فى السياسة الاقتصادية بعد ١٩٥٨م.

وبرغم ظهور عدد من المذكرات السياسية للبغدادى و كمال الدين حسين، والسادات، إلا أن رجال الاقتصاد فى عهد الثورة مثل القيسونى وأحمد زندو، ونور الدين طراف، وإبراهيم حلمى عبد الرحمن لم ينشروا شيئا.

٤ـ مشكلة كثرة المتغيرات الخارجية:

لدراسة أثر سياسة اقتصادية أو اجتماعية من الهام عزل أثر المتغيرات الخارجية الأخرى. وللأسف إن تطبيق المنهج العلمى بالنسبة لعصر عبد الناصر تعترضه الكثير من التحديات. ذلك أن المناخ العالمى فى الفترة من ١٩٥٢م – ١٩٧٠م كان من أكثر فترات تاريخ مصر المعاصر اضطرابا، فإلى جانب تداعيات حرب فلسطين، والمواجهات العسكرية مع إسرائيل فى ١٩٥٤م، ١٩٥٦م، ١٩٦٧م، وحرب الاستنزاف ١٩٦٨م – ١٩٦٩م، شهد العالم أحداثا عاصفة غيرت التوازنات السياسية والعسكرية فى الإقليم والعالم. فإلى جانب نزاعات عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية من حرب ساخنة وباردة، نشطت حركة التحرير الوطنى وزادت دول الجامعة العربية من سبع دول إلى ٢١ دولة. وبدأت الدول حديثة الاستقلال تبحث فى كيفية استرجاع مواردها الأولية من سيطرة الأجانب، وكذلك فى تطوير اقتصادها.

خاتمة:

استعرضنا فى السابق بعض المعضلات التى تعترض دراسة المكون الاقتصادى لثورة يوليو. ولقد أكدت مناقشات الندوة التى عقدتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية أننا مازلنا نحتاج، حتى بعد ٥٥ عاما من قيام ثورة يوليو، إلى إلقاء مزيد من الأضواء على التجربة الاقتصادية للثورة، ونتطلع إلى المزيد من الحوار الموضوعى حول هذه الحقبة الغنية من تاريخ مصر الحديث.

□□□

ثورة يوليو والثورة المضادة

على نجيب

الثورة وطنيـة:

ثورة يوليو ثورة وطنية وأهداف الثورة الوطنية أولا إنهاء الاحتلال البريطانى وثانيا بناء اقتصاد وطنى مستقل.

والهدف الأول واضح تماما ولعل استمرار عمل الفدائيين بمعونة أساسية من الثورة كان له دور فى خروج القوات البريطانية خاصة مع ضعف بريطانيا سواء اقتصاديا أو عسكريا مع نهاية الحرب العالمية الثانية وهذا التراجع البريطانى شمل أجزاء أساسية فى الإمبراطورية البريطانية خاصة الهند. غير أن الاستقلال ليس فقط خروج القوات البريطانية بل هو أساسا إقامة اقتصاد وطنى مستقل.

وكان موقف الرأسمالية المصرية بعد خروج الإنجليز يعتبر من أهم معوقات بناء الاقتصاد الوطنى. ولقد كانت أهم محاولة لبناء اقتصاد وطنى ونشأة رأسمالية وطنية هى تجربة طلعت حرب بإنشاء بنك مصر (١٩٢٠م) وما تلاه من إقامة مجموعة مشاريع صناعية من أول نسيج المحلة وحليج القطن وشركة مصر للملاحة وشركة مصر للطيران ثم شركة السياحة واستوديو مصر إلى آخر شركات مصر.

غير أن تجربة بنك مصر تم ضربها فى بداية الثلاثينيات وطرد طلعت حرب من البنك بالتواطؤ بين البنك الأهلى الخاضع للإدارة البريطانية وكان يقوم بدور البنك المركزى وحكومة الأقليات الخاضعة للإنجليز والسراى.

ومن المعروف أن الرأسمالية المصرية كانت ذات أصول زراعية وكان نشاطها أساسا فى تجارة السلع المستوردة وكانت تابعة للمصالح الاستعمارية بجانب سيطرة أجنبية على أقسام كبيرة منها وحتى عندما أممت الثورة بنك باركليز والبنك البلجيكى لرفضهم تمويل محصول القطن ومع إنشاء مجلس الإنتاج فإن موقف الرأسمالية المصرية كان تجاهل أو إحباط عملية التنمية ورفضها لفكرة التخطيط الذى يستهدف إقامة اقتصاد صناعى. وكان هذا يعنى أن الرأسمالية المصرية لم تكن راغبة أو مستعدة للاستئثار بالسوق المحلى.

وبرغم أن الثورة بدأت بقوانين أباحت وشجعت رأس المال الأجنبى فلم تجد أى استجابة. وعلى هذا يجب أن ندرس الدور الذى ترسمه الرأسمالية العالمية الاستعمارية لمصر. فمصر فى نظرها أخطر من أن تترك لتبنى اقتصادا مستقلا فلموقعها الاستراتيجى ولأنها عماد الدول العربية يجب أن تكون خاضعة أو تابعة للاستعمار. ولعلنا نذكر ما حكى عن بن جوريون عند ما قيل له إن عبد الناصر لا يفكر فى مهاجمة إسرائيل بل حل مشاكل التنمية فقال إن هذا أسوأ ما سمعه لأن المشروع الصهيونى خادم للمصالح الاستعمارية فى المنطقة مهمته الأساسية عزل مصر واستنزاف قوتها لصالح الدول الاستعمارية فى المنطقة.

وبدأت الثورة فى إحداث التحولات الاجتماعية التى بدونها لم يكن يمكن بناء اقتصاد وطنى مستقل. غير أن هذه التحولات الاجتماعية كان لها بالضرورة انعكاسها فى قيادة الثورة وكانت السنوات الأولى للثورة تشهد التخلص من الأجنحة ذات الطابع اليمينى فى القيادة. غير إنه مع تحولات الثورة وبداية مرحلة تمصير المصالح الاستعمارية وما صاحبها من خروج الأجنحة التى لم تكن توافق على التحولات الاجتماعية أو على الطابع الاشتراكى فى اتجاه الاقتصاد المصرى، كانت تأميمات يوليو حاسمة فى تحديد مسار الثورة.

وفى كل مرحلة من تلك المراحل كانت الثورة تعانى من المشكلة الأساسية لكل الثورات ذات المضمون الاجتماعى: الثورة تخدم وتحقق مصالح الشعب العامل. العمال والفلاحين والمثقفين.. ولكن هل كانت هذه الطبقات فى السلطة ؟.

كانت كل محاولات ثورة يوليو لإحداث تمثيل لهذه الطبقات غير ناجحة سواء هيئة التحرير أو الاتحاد القومى أو الاتحاد الاشتراكى، ذلك أن خلق الكوادر ذات الفعالية السياسية التى يمثل وجودها فى القيادات الفرعية أو الإقليمية لهذه التنظيمات المفروض أنها تمثل تمثيلا ديمقراطيا لهذه الطبقات مهمة ليست سهلة أو سريعة، ولهذا وجدنا أن الطابع العام للناشطين فى هذه التنظيمات من العناصر التى تسعى للتقرب من السلطة، بل إن الطابع العام لهذه التنظيمات أنشأ مراكز قوة من قياداتها لتحقيق مصالح خاصة. وعلى هذا وجدنا أن دور هذه التنظيمات فى كل الأزمات اتسم بالسلبية وتعويق حركة الجماهير كما يتبين ذلك فى أزمة العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦م وفى عدوان يونيه ١٩٦٧م حيث ظهور عجزها عن الحركة فى اللحظة التى ظهر فيها عنفوان حركة الجماهير التلقائية بعد خطاب عبد الناصر بالتنحى. ولقد اتضحت هشاشة مراكز القوى وضعف تأثيرها الجماهيرى

عند معارضتها للسادات واستقالتها الجماعية حيث لم تجد أى استجابة جماهيرية برغم أنها كانت تدعى تمثيلها للتيار اليسارى فى السلطة.

أهل الثقة وأهل الخبرة:

فى النصف الأول من ستينيات القرن العشرين أثير نقاش حول أهل الثقة وأهل الخبرة بمعنى أيهما يتولى مسئوليات العمل: أهل الخبرة أم أهل الثقة؟ ومفهوم أهل الخبرة واضح فمصر لديها قدر كبير من أصحاب المؤهلات العلمية وأصحاب القدرات الإدارية. ولكن ما معنى أهل الثقة؟ الثقة فى ماذا؟.. لقد كان المناخ العام مناخ تأييد الثورة وإجراءاتها الاقتصادية، وكان من الصعب اختيار المسؤولين على أساس الخبرة فقط وإنما تم الاختيار على أساس الثقة، وهو معيار فتح الباب للتابعين والانتهازيين الذين شكلوا بمرور الوقت «مراكز قوة» بداية من جعل التعيين فى المناصب القيادية خاضع للموافقة الأمنية وما صاحب ذلك من تعيين الضباط الذين انتهت خدمتهم فى قيادات الشركات المؤسسة. ثم أصبح الانتماء إلى الاتحاد القومى أو الاتحاد الاشتراكى من ضمن المؤهلات اللازمة بل التقرب لقيادات التنظيمات السياسية الحكومية بزعم إخلاصهم لأهداف الثورة وللتحول الاشتراكى. ويلاحظ أن أصحاب الثقة أولئك الذين وفد معظمهم من خلال الانتهازية تم استخدامهم لصالح السلطة الجديدة (مايو ١٩٧١م) التى تبنت سياسة معاكسة لما كان يتم فى الستينيات.

قوى الثورة المضادة تنمو فى أحضان السلطة الثورية:

لقد تكونت القوى المعادية للثورة وهى التى تمثل ركيزة الثورة المضادة ونمت فى أحضان الثورة سواء أولئك الذين لم يتمكنوا من تحقيق تطلعاتهم المادية أو الذين تولوا مسئوليات فى أحضان مراكز القوى مكنتهم من الحصول على مزايا بالمخالفة لإتجاه خدمة الأهداف العامة للثورة بجانب عناصر كثيرة من قيادات الجهاز التنفيذى الموروث من العهد السابق للثورة والتى كان دورها ضرب الحركات الممثلة للطبقات التى قامت الثورة من أجل تحقيقها.

الديمقراطية:

كانت أزمة مارس ١٩٥٤م أول أزمة حادة تدخلها ثورة يوليو ولقد كان الطابع المميز لهذه الأزمة هى قضية الديمقراطية.. فتحت شعار عودة الديمقراطية ورجوع الجيش إلى ثكناته كان تحرك اللواء محمد نجيب وبجانبه خالد محيى الدين.

غير أن موضوع الديمقراطية يستحق المناقشة لذاته ذلك أن البعض يتصور أن الديمقراطية نظام. والحقيقة أن الديمقراطية كما يبدو من اسمها تعنى حكم الشعب.. ولكن هل كانت ديمقراطية أثينا حكم الشعب أم حكم ملاك العبيد..؟ وهل ديمقراطية بريطانيا التى كان يقتصر فيها الترشيح لمجلس العموم وانتخاب أعضائه على ملاك الأراضى بحيث كان يكفى حصول النائب على سبع أصوات فيصبح عضوا بالمجلس؟ إذا فالديمقراطية ليست نظاما بل هى مجرد آلية تحقق للطبقة التى فى السلطة مصالحها. وفى سبيل ذلك تستخدم آليات أخرى للمحافظة على مصالحها قد تصل إلى العنف مثلما حدث من اغتيال رئيس الولايات المتحدة الأمريكية.

وعلى هذا فإن الديمقراطية كآلية لتحقيق تلك المصالح لا تنجح ولا تكون مجدية إلا إذا كان المجتمع قد وصل إلى قدر من التوافق يسمح بقبول تلك المصالح. أما الثورة فإنها تجسيد لعدم التوافق أى إن المجتمع الذى قامت فيه الثورة وصل فيه التناقض إلى الحد الذى لم يعد حل متناقضاته يمكن أن يتم إلا بالعنف. والحال كذلك تصبح المطالبة بالديمقراطية كما يقال بلغة أهل القانون «مصادرة على المطلوب».

أزمة مارس فى حقيقتها هى أول محاولة للثورة المعاكسة فمعنى المطالبة بالديمقراطية عودة النظام القديم برجوع الأحزاب المهادنة للاستعمار البريطانى من ناحية والتحالف مع الإخوان المسلمين وما يتداعى عن ذلك بضرورة إلغاء الإصلاح الزراعى ويصبح ملاك الأراضى – خاصة الكبار – أغلبية أعضاء المجلس النيابى. ومن الغريب أن خالد محيى الدين الذى كان يمثل اليسار بل اليسار الماركسى فى قيادة الثورة سار فى هذا الاتجاه باسم الديمقراطية.

وفى هذا الخصوص لا توجد ثورة ذات مضمون اجتماعى تمكنت من حل قضية السلطة: فالثورة الفرنسية بدأت بإعدام الإقطاعيين والملك وتصفية الكنيسة، ثم بدأ إعدام القيادات الثورية ميرابو ودانتون حتى وصلوا إلى إعدام روبسبيير. وبعد ذلك يأتى «الديركتوار» والقناصل والقنصل الأول نابليون بونابرت وكان ديكتاتورا كما هو معروف تاريخيا. فأين ذلك من شعار «الحرية والإخاء والمساواة». وبعد خمسة عشر عاما من الحروب التى أهلكت شباب فرنسا هزم نابليون ورجع البوربون الذين قامت ضدهم الثورة. ثم قامت ثورة فى عام ١٨٣٠م وأخرى فى ١٨٤٨م وظهر ديكتاتور آخر وهو الإمبراطور نابليون الثالث. ولم ينته

هذا الوضع إلا بهزيمة ١٨٧٠م بواسطة البروسيين وبعد هزيمة «كوميونة» باريس حتى استقر الوضع بالجمهورية الثالثة.

أما في ثورة أكتوبر في روسيا ١٩١٧م فبمجرد استيلاء الحزب الشيوعي على السلطة كان الشعار كل السلطة من أجل السوفييت أي المجالس العمالية المنتخبة، ثم تحول الشعار إلى ديكتاتورية الطبقة العاملة بقيادة الحزب الشيوعي. وبعد موت لينين تركزت كل السلطات في يد ستالين سكرتير الحزب الذي أعدم جميع رفاق الثورة وخلق طبقة «النومنكلاتورا» أي قيادات الحزب التي تدين بالولاء الكامل له وتتمتع بامتيازات من السيارة بالسائق إلى فيلا في الريف ومستشفيات خاصة ومحلات خاصة تبيع الكماليات، هي الطبقة التي يمكن أن نسيمها بالتسمية البروسية «كاست»، وهي التي ورثت الحزب وسيطرت على الدولة وجاء عهد بريجنيف عهد الركود العظيم، وفي الوقت الذي كان للاتحاد السوفييتي قيادة الفضاء والسلاح لم تكن توجد السلع الاستهلاكية اللازمة لطبقات الشعب. ثم جاء جورباتشوف بالبرستورويكا والجلاسنوست ليمهد لسيطرة يلتسين وتصفية الاتحاد السوفيتي وخصخصة اقتصاده وشيوع النهب وسيادة عصابات المافيا.

يؤتى الحذر من مأمنه:

في السنوات القليلة التالية لثورة يوليو حدثت عدة اضطرابات في صفوف الجيش ما يسمى بأزمة سلاح الفرسان أو المدفعية أو سلاح الطيران. وفي تلك المرحلة كانت كوادر الجيش لها تطلعات سياسية ولعل أغربها أو أخطرها الدعوة إلى ترشيح ممثلين للأسلحة يتم انتخابهم لعضوية مجلس قيادة الثورة. وفي تلك المرحلة أيضا عين عبد الناصر أقرب رفاقه إليه عبد الحكيم عامر وزيرا للدفاع والقائد العام للقوات المسلحة. وخطورة هذا الاختيار برغم أنه يضمن لعبد الناصر ولاء الجيش ويدرأ خطورة انقلاب عسكري ضد الثورة أنه عطل خروج الجيش من العمل السياسي وتحويله إلى جهاز عسكري محترف بقيادة ضباط محترفين قادرين على حماية الأمن القومي وليس قيادة الثورة.

ولقد كان عدوان ١٩٥٦م فرصة لإحداث ذلك التغيير كما كانت أحداث انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة ١٩٦١م، خاصة مع ما تعرض له عبد الحكيم عامر في أحداث ذلك الانفصال.

غير أنه منذ بداية الستينيات يمكن أن نطلق على هذه المرحلة قيام سلطة أخرى يرأسها عبد الحكيم عامر فى مواجهة سلطة عبد الناصر ولقد كان محسوسا تماما فى هذه المرحلة وجود ازدواج للسلطة وأن عبد الناصر فقد تماما السيطرة على الجهاز العسكرى. وفى هذه المرحلة تحلقت حول المشير عبد الحكيم عامر بطانة فى منتهى الخطورة ليس فقط من ناحية استغلال عيوبه الشخصية التى وصلت إلى تعاطى المخدرات بل أيضا بتغلغلها بالمزايا والاستثناءات مع ضباط الجيش بحيث أصبح الولاء للمشير والتمتع بحمايته هو هدف هذه المجاميع.

وقد أوجد هذا الوضع مناخا للتسيب بل مناخا يمكن أعداء البلاد الخارجيين من اختراق قيادة الجهاز العسكرى، وهو ما ظهرت سلبياته بوضوح عند هزيمة يونيه ١٩٦٧م.

فمثلا.. هل يعقل - وميعاد الهجوم الإسرائيلى كان معلوما للقيادة العسكرية - أن يتم إيقاف قوات الدفاع الجوى عن العمل لأن المشير كان فى طائرة تحلق فوق سيناء..

وهل يعقل أن قائد العريش ونائب قائد منطقة العريش كانا مستدعيان إلى القاهرة فى يوم الهجوم الإسرائيلى؟.

وهل يعقل أن شفرة التخاطب مع محطة الرصد فى الأردن التى مهمتها رصد الطيران الإسرائيلى يتم تغييرها ليلة هجوم الطيران الإسرائيلى دون إخطار، وفى الوقت الذى ترسل تحذيرات لهجوم الإسرائيلى لا يمكن فك تلك الرسائل فى القاهرة؟.

وهل يعقل أن اللواء الجوى المشرف على طيران شركة مصر للطيران يهرب الطائرات المدنية خوفا من تعرضها للهجوم الجوى الإسرائيلى على حين يترك قائد الطيران العسكرى الطائرات المقاتلة مصفوفة فى المطارات التى سوف تهاجمها الطائرات الإسرائيلية؟. ليس ذلك فحسب بل أقيمت للطيارين حفلة ساهرة فى تلك الليلة. وأخطر من ذلك فقدان المشير أعصابه وإصداره أمرا بالانسحاب من سيناء دون خطة مما سبب خسائر فظيعة للجيش، ذلك أن الانسحاب عمل عسكرى شأن الهجوم لا يتم إلا بخطة للحفاظ على القوة المحاربة.

والخلاصة أن هزيمة ١٩٦٧م وما تلاها من موت عبد الناصر فى ١٩٧٠م خلقت الوضع الذى مكن الثورة المضادة.

السادات:

لعل فترة ولاية السادات هى تجسيد للتحول فى ثورة يوليو وانتقالها إلى مرحلة الثورة المضادة.. السادات رجل وطنى غير أنه كان يفتقد الحس الاجتماعى تماما. ولقد كان

أسلوبه فى الانصياع التام لكل ما يقوله أو يقرره جمال عبد الناصر كان هو سبيله فى البقاء حتى نهاية عصر عبد الناصر. وكان الوحيد الذى لم تطله التصفية لباقى أعضاء مجلس الثورة ولكن الحكم على السادات من هذه الزاوية ليس له أهمية فى موضوعنا والمهم هو الدور الذى قام به عندما تولى السلطة.

إن تصفية مجموعة على صبرى ليس لها القدر من الأهمية الذى قد يعطى لها. فهذه المجموعة وهى النموذج الأساسى لما يسمى مراكز القوى تمثل سلطة دون قاعدة جماهيرية وهى إن عاجلا أو آجلا سوف تسبب انحدار المسار الاجتماعى الثورى الذى أحدثته ثورة يوليو. ولقد ظلت الدولة فى مصر ملتزمة بخط الثورة بشكل ما وعلى وجه العموم حتى تمت حرب أكتوبر ١٩٧٣م، ونظام السادات لم يكتسب شرعيته إلا بنتيجة هذه الحرب.

سياسة السادات الداخلية والخارجية:

فى السياسة الخارجية لعله من الممكن تفسيرها بمحاولته تحييد الولايات المتحدة فى الصراع العربى الإسرائيلى ولعل قولته إن ٩٩٪ من أوراق اللعب فى يد الولايات المتحدة مما يجسد هذا المفهوم. وبصرف النظر عن صواب هذا التصور فإن ما يجسد التحول فى مسار ثورة يوليو إلى ثورة مضادة يتضح بصورة واضحة فى السياسة الداخلية.

غير أن التحولات فى السياسة الداخلية كان لها بالحتم تحولات فى السياسة الخارجية وبقدر ما كانت التحولات الاجتماعية فى فترة جمال عبد الناصر تدعم تحقيق أهداف التحرر الوطنى وبناء اقتصاد مستقل بل وتدعم الأمن القومى والاستقلال الوطنى ومكانة مصر العربية وموقفها من قوى الهيمنة العالمية والاستعمار الجديد بقدر ما كانت التحولات الاجتماعية تفقد مصر القدرة على مواجهة نفس تلك القوى وتفقدها القدرة على القرار المستقل. فالعلاقة الجدلية بين تحقيق أهداف التحرر الوطنى وإحداث تحولات اجتماعية لم تتغير إنما سارت فى الاتجاه العكسى لما تحقق فى فترة حكم عبد الناصر.

وبمجرد نهاية حرب ٧٣ بدأت التطورات فى السياسة الجديدة وبدأت بالاستيراد دون تحويل عملة. وكانت خطورة هذه السياسة أن الدولة فى مصر تنازلت عن حق الرقابة على النقد فى الوقت الذى كان الاقتصاد محملا بأعباء الحرب، بل فى نفس الوقت تنازلت عن التحكم فى التجارة الخارجية ودخول قدر كبير من السلع الكمالية وفى نفس الوقت ظهر ما يسمى شركات توظيف الأموال وهو نوع من النشاط الذى يزعم إحداث ربح دون

إنتاج. والغريب أن هذا النشــاط وهو نوع من النصب والتحايل كان يلقى دعما دعائيا سواء من أجهزة الإعلام أو من القيادات الدينية وصاحبه تهريب قدر كبير من العملة إلى الخارج وخلق مناخ يوحى بأن النشاط الرأسمالى المزعوم كفيل بإحداث ثروة.

وكانت أجهزة الدعاية تركز على عيوب التحول فى الاتجاه الاشتراكى الذى كان قائما فى عهد عبد الناصر. وحقيقة الأمر أن التراجع عن التحول الاشتراكى لم يكن مجرد تراجع دور الدولة فى ملكية المنشــآت الإنتاجية بل تراجع دور الدولة فى تخطيط ورقابة الإنتاج وتراجــع دور الدولة فى الســيطرة على التمويل ثم تراجــع دور الدولة فى قطاع الخدمات وفى الإشــراف على التجارة الخارجية. والدعاية التى صاحبت ذلك كانت تبشــر برجوع الرأسمالية وأنه يجب رجوع النشاط الرأسمالى الفردى وإمكانية تحقيق ثروات.

وفى نفس الوقت بدأت سياســة الخصخصة غير أنها لم تتم لصالح الرأسمالية الوطنية، ولم تكن سياســة لتمليك منشآت القطاع العام الإنتاجية للرأسمالية المصرية بل كانت تصفية القدرة الإنتاجية لتلك المنشآت، إذ تم تحميلها بديون البنوك حتى الإفلاس ابتداء من إيقاف الاستثمار وإيقاف الإحلال والتجديد بل إيقاف الصيانة بعد أن كانت مصدر دخل للخزانة وما صاحب ذلك من تثبيت أســعار بيع منتجاتها ورفع أســعار المدخلات (صناعة النســيج نموذجا). ثم بيع الشــركات الأساســية كشركة المراجل البخارية لشركة أجنبية التى قامت ببيع آلاتها خردة، أما الشــركات التى لمصر فيها مصدر للخامات وســوق للتوزيع كشركات الأسمنــت فقد بيع أغلبها للأجانب مع رفع أســعار الأسمنــت. وفى نفس الوقت تم تبديد أرصدة البنوك فى قروض غير منتجة لصالح «حثالة» الرأسماليين وتم تهريب أغلبها للخارج.

وأكثر من هذا أن السياســة الاقتصادية خضعت تماما لما يســمى توافق واشنطن وأصبح للمؤسســات الدولية (صندوق النقد، والبنك الدولى، ومنظمة التجارة العالمية) القول الفصل فى تحديد السياسة الاقتصادية. وفى إطار تلك التحولات تم فتح السوق المصرى دون حماية لأية قدرة إنتاجية وتحت شــعارات المنافســة تم حصار وتصفيــة القدرات الإنتاجية حتى منتجات خان الخليلى.

إن تصفية القدرات الإنتاجية فى مصر لم تترك مجالا دون تخريبه، فتحت شعار حرية الإنتاج تم إلغاء الدورة الزراعية وهى سياسة لتنظيم الزراعة والرى ظلت سارية منذ أجيال قبل ثورة يوليو وارتفع شعار زراعة الفراولة بدلا من القمح.

أما سياسة الضرائب فبجانب تجاهل تحقيق ثروات دون إنتاج تراجع نصيب الضرائب على رأس المال وزاد نصيب الضرائب على المستهلك مثل ضريبة المبيعات والتمغة إلى آخره مـع زيـادة العجز وتصاعد حجم الدين الداخلى مع تراجـع دور الدولة فى تقديم خدمات الصحة والتعليم.

لقد صفيت مجانية التعليم بجمود أجر المدرسين مع زيادة التضخم الذى ينتج أساسا من نقص القدرة الإنتاجية للتمويل الحكومى بالاستدانة. فالمدرسون يتقاضون أجورهم بالدروس الخصوصية. ونفس الشـىء فى الصحـة بإلغاء العلاج المجانى الـذى أصبح اسمه العلاج على نفقة الدولة. ومع تراجع القدرة الإنتاجية ونشاط الرأسمالية التجارية التابعة للمصالح الأجنبية تحولت الصناعة فى مصر إلى ما يسـمى «صناعات ربط المفك» واسـتيراد السـلع المعمرة كالسـيارات والتليفزيونات مفكوكة لتتمتـع بالتخفيض الجمركى وتجميعها محليا. وبهذا أصبح دور التصنيع فى مصر تسليم السوق المحلى للأجانب.

وبطبيعـة الحال فإن هذا النمط من التصنيع لا يحتاج للبحث العلمى أو حتى للتدريب العملـى. ولذلـك نجد انخفاضا لمسـتوى البحث العلمى وتراجـع دور الجامعات. بل إن التعليم الجامعى تراجع لضعف الإنفاق عليه من ناحية ونشأة ما يسمى الجامعات الخاصة التى تعمل من أجل الربح من ناحية أخرى. وهذا نمط لا يوجد مثيله فى العالم فالجامعات مؤسسات لا تعمل بغرض الربح فى كل الدول. وبجانب ذلك انتشرت العديد من الجامعات الأجنبيـة وفقـد التعليم الجامعى طابعـه الوطنى. فضلا عن أن هـذه الجامعات أصبحت مهمتها بشـكل أساسـى تخريج الجامعيين اللازمين للشركات والمصالح الأجنبية فى مصر وليس لبناء اقتصاد وطنى.

غير أن الأخطر من كل ذلك أن تآكل القدرة الإنتاجية فى مصر تسبب فى زيادة البطالة وتأثير ذلك المدمر فى المجتمع، من أول زيادة نسبة الجرائم الصغيرة. وانتهاء بزيادة نسبة العنوسـة لعدم قدرة الشـباب على تكوين عائلة. والجدير بالذكر أن التفاوت فى الدخول الناتج من أن تكوين الثروات يتم دون إضافة قيمة. وتآكل القدرات الإنتاجية. واسـتنزاف القدرات التمويلية سـواء بنهب البنوك أو بالعجز فى ميزانية الدولة. والفسـاد سـواء فى المستوى الأعلى. مع بيع القطاع العام باسم الخصخصة. أو حالة البطالة.. كل ذلك أوجد حالـة من تدهور المجتمع المصرى وأصبحت مصر كدولة فى أضعف أحوالها وانعكس ذلك

على سياستها الخارجية وقدرتها على اتخاذ القرار المستقل وأصبحت تواجه نفس المشكلة الوطنية كما كان الحال قبل ثورة يوليو إن لم يكن أسوأ.

لعل السـادات كان يتصـور إمكانية عقد تحالف مع الولايات المتحـدة أو توافق معها أو تحييدها بالنسبة لإسرائيل، وهذا التصور يعكس عدم إدراك حقيقة العلاقات التى تحدد سياسـات الدول الاسـتعمارية فى المنطقة التى ترتكز على إضعاف مصر لأنها تمثل العمود الفقرى لدول المنطقة التى تحتوى على أكبر رصيد بترولى، وأن إسرائيل دورها الأساسى فى حماية هذه المصالح هو إضعاف مصر واستنزاف قدراتها.

وإن تسـمية مصر من الدول المعتدلة فى المنطقة إنما يعنى الانصياع للسياسـة الأمريكية بـل الرأسماليـة العالمية والتخلى عن هدف بناء اقتصاد مصرى مسـتقل يعنى فى التطبيق تحول مصر إلى دولة تابعة.

□□□

الثورة والأزهر

فايز أحمد فريد على

لقد كان الأزهر لدى تأسيسه (٩٧٠م - ٩٧٢م) مركزا للدعوة الشيعية التى كانت بدورها ثورة على الخلافة العباسية السنّية[1]. وما فتئ الأزهر راعيًا للثورات فى مصر عبر عشرة قرون أو يزيد، أو ممثلا لتلك الثورات على الأقل. ولا يقتصر أثر الأزهر على الدور الثورى الذى اضطلع به السيد جمال الدين الأفغانى (١٨٣٩م - ١٨٩٧م)،بل يمتد إلى الاتجاه التنويرى الذى ظهر مبكرا على يد علمائه من أمثال الشيخ حسن العطار (١٧٦٦م - ١٨٣٥م) وخلفه العظيم رفاعة رافع الطهطاوى (١٨٠١م - ١٨٧٣م) شيخ المترجمين فى عصر محمد على[2].

بل إن الأزهر عبر تاريخه الألفى شهد إرهاصات فكرية عظيمة لا يمكن تجاوزها. وإبان حملة بونابرت (١٧٩٨م - ١٨٠١م) اشترك علماء الأزهر وشيوخه فى حض الجماهير على الثورة وخطبوا فى الجموع لإلهاب الحماس، وقادوا الاحتجاجات والاعتصامات ضد المحتلين حتى أعدم بونابرت ثلاثة عشر عالما من علماء الأزهر[3]. ووطئت سنابك خيوله ساحات المسجد العريق، واهتزت منابره ومآذنه تحت دوىّ مدافعه. هكذا كان الأزهر ملاذا للجماهير وحصنا لها لدى الملمّات الشديدة، فكلما ادلهمّ الخطب كانت الجماهير تتطلع إلى علماء الأزهر طالبة النصح أو مصغية إلى المشورة. فقد ظل العلماء - برغم كل ما قد يوجّه لهم - رمزا للعدل ورداءا أمام جور الحكام. هذا عن أثر الأزهر فى ثورة يوليو، وأما عن أثر الثورة فى الأزهر فأكبر من أن يتغاضى عنه، فثورة بحجم ثورتنا لم يكن لها أن تتجاهل الأزهر ومكانته ودوره، فقد ظل الأزهر مركزا للإسلام السنى.

ومن الطبيعى أن يحاول نظام الثورة أن يستوعب الأزهر لا أن يخضعه، وهذا ما يتضح فى بنود القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١م، والقرار رقم ٢٥٠ لسنة ١٩٧٥م. صدر الأول فى عهد الرئيس عبد الناصر (١٩٥٤م - ١٩٧٠م) والثانى فى عهد خليفته الرئيس السادات (١٩٧٠م - ١٩٨١م).

ولم يكن هذا القانون الأول فى تاريخ الأزهر إذ صدرت جملة من القوانين التنظيمية الحديثة لعل أهمها قانون سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧٢م لتنظيم الشهادات والمقررات، وقد صدر

على يد الشيخ محمد المهدى العباسى فى عهد الخديو إسماعيل[٤]، وتلاه القانون الذى قدّمه الإمام محمد عبده، وصدر سنة ١٨٩٦م عن كساوى العلماء ودرجاتهم ومرتباتهم، وهو القانون الذى اهتم بتطوير المقررات الدراسية فى الأزهر. ثم قانون سنة ١٩١١م لتنظيم الدراسة بالأزهر ومعاهده المنتشرة خارج العاصمة، وقضى بتشكيل هيئة كبار العلماء، فقانون سنة ١٩٣٠م الذى قسّم الدراسة فى الأزهر إلى كليات ثلاث: الشريعة وأصول الدين واللغة العربية، فلا مسئولية لثورة يوليو إذن عن إصداره، وتلاه قانون سنة ١٩٣٦م الذى استكمل الشكل الجامعى الحديث للأزهر[٥]. وفيما يلى تحليل لموقف ثورة يوليو من الأزهر فى ضوء القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م.

لقد استقر منذ البداية تقليد انتخاب شيخ الأزهر من بين علمائه وأعلامه. عرف هذا التقليد منذ إسناد مشيخة الأزهر إلى الشيخ محمد بن عبد الله الخرشى المالكى (١٦٩٠م)[٦]. واستمر الأمر كذلك حتى قيام الثورة، فأصبح شيخ الأزهر يعيّن من قبل الرئاسة.

ففى المادة الخامسة من القانون: (يُختار شيخ الأزهر من بين هيئة مجمع البحوث الإسلامية أو ممن تتوافر فيهم الصفات المشروطة فى أعضاء هذه الهيئة، ويعين بقرار من رئيس الجمهورية. فإن لم يكن قبل هذا التعيين عضوا فى تلك الهيئة صار بمقتضى هذا التعيين عضوا فيها)[٧]. فالاختيار وفقا لنص المادة بالبناء للمجهول يجعل اختيار شيخ الأزهر وتعيينه من اختصاص رئيس الجمهورية. ولعله منَ البدهى أن يترك أمر تعيين شيخ الأزهر لرئيس الجمهورية، ولكن كان من المتوقع أن ينص صراحة على أن الذين يقومون بالانتخاب هم مجموعة علماء الأزهر أو أعضاء المجلس أو مجمع البحوث.. إلخ. على أن يعبر عن ذلك بصياغة قانونية تفصيلية واضحة لا لبس فيها - عملا بقاعدة أن أهل مكة أدرى بشعابها. ومن هنا أكدت الثورة على أن رئاسة الأزهر منصب سياسى ويجب أن يظل كذلك.

ويحسب للقانون أنه جامل شيخ الأزهر وراعى مكانته، فحفظ له لقب الإمام الأكبر - وهو لقب لا يزال يحمل دلالة شيعية منذ تأسيس الأزهر، وتلك مسألة خلافية هى الأخرى. كما قدّم القانون شيخ الأزهر فى الترتيب على الوزراء، فقال: (شيخ الأزهر: يعامل معاملة الوزير من حيث المرتب وبدل التمثيل والمعاش ويكون ترتيبه فى الأسبقية قبل الوزراء مباشرة) «القانون ١٠٣، ملحق (أ)، ص ٢٠٤)». وليس أدل من هذه المادة على

إلحاق الأزهر سياسيا بالدولة. فلا غرو أن شيخ الأزهر أصبح منصبا سياسيا مرموقا. أفلم يكن من الأصلح للأزهر والأبقى لمكانته أن يؤكد القانون على انتخاب شيخه من بين علمائه انتخابا حرا، وأن ينأى به عن سلك السياسة؟ وأن يبقى على أوقافه وينقذها مما آلت إليه من سطو الأهلين أحيانا، وفساد النظار حينا آخر؟ فإذا كانت الأوقاف قد كفلت ما قدمه الأزهر من خدمات ورعاية كالتعليم والصحة والطعام والمأوى منذ تأسيسه فقد كان حريّا بالنظام الجديد أن ينمى تلك الأوقاف ويزيدها لا أن يحدّ منها أو ينتقصها - كما سيتضح لنا لاحقا.

كذلك أكد القانون على إدماج الأزهر شؤونه وموارده فى نظام الدولة، فنصت إحدى مواده على أن ثمة وزيرا للأزهر يختص بشؤونه. وربما يقال تأييدا لهذه المادة إن وزير الأزهر لا يختص إلا بالأمور المالية والإدارية دون منازعة لمكانة شيخ الأزهر، ولا خلاف على هذا، ولكنّ الوزير يمثل السلطة التنفيذية (الزمنية) فتنص المادة ٣ من القانون على أنه: (يعين بقرار من رئيس الجمهورية وزير لشؤون الأزهر)؛ فهذا الوزير إذن ليس تابعا للمجلس الأعلى للأزهر الذى يرأسه شيخ الأزهر (مادة ٩ من القانون نفسه).

وثمة اعتراض آخر فيه وجاهة، وهو أنه إذا كان لابد من وزير فليكن وزيرا للشؤون الدينية فى عمومها لا شؤون الأزهر أو المؤسسة الإسلامية وحدها. ذلك أن الوزارة نظام مدنى علمانى، وهذا الفهم يكون أقرب للنظام العلمانى الذى انتهجته حكومة الثورة. ولكن الذى حدث أن القانون جمع بين مواد تؤكد هوية الأزهر الدينية واستقلاله من جهة، وأخرى تؤكد على تبعيته لنظام الدولة. وبين هذه وتلك توزعت اختصاصات شيخ الأزهر بين وزارة الأوقاف وشؤون الأزهر ورئاسة جامعة الأزهر وأمانة مجمع البحوث وإدارة البحوث الإسلامية[٨].

وأدى هذا كله إلى تأكيد الطابع المحلى للأزهر فى حدود الدولة القومية الحديثة (وبالأحرى الجمهورية العربية المتحدة التى نشأت آنذاك من اتحاد سوريا ومصر: ١٩٥٨م - ١٩٦١م). ولكن تلك الدولة كان لها بعدها القومى العربى ومكانتها المنتظرة فى عالم ذلك الزمان، وجدير بالملاحظة أن قانون الأزهر صدر فى خضمّ القوانين الاشتراكية فى مطلع الستينيات وتحديدا فى سنة انفصال الوحدة المصرية السورية التى كانت تلك القوانين سببا من أسبابها ونتيجة من نتائجها فى الوقت ذاته.

الأزهر مؤسسة تعليمية:

لقد شيد الفاطميون الأزهر مسجدا وجامعة، وسمي نسبة للزهراء فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم[٩]. وقد ظل الأزهر كذلك مارا بفترات ازدهار وركود حتى جاءت الثورة فطرقت أبواب التحديث بجد وإصرار. فخُصصت كثير من فصول القانون ومواده للجامعة الحديثة التى أنشئت فى صحن الجامع الأزهر أو خارجه سواء فى القاهرة أو الأقاليم. وحلت قاعات الدرس الحديثة محل الحلقة المعهودة. والحلقة كانت نظاما تعليميا متكاملا لا مجرد جمع من المستمعين يتحلقون حول شيخ محاضر.

يقول العلامة عبد الله عنان عن نظام الحلقة: «ويجلس أستاذ المادة من فقه أو حديث أو تفسير.. فى المكان المخصص لذلك من أروقة المسجد أو أبهائه، وأمامه الطلبة والمستمعون يصغون إليه ويناقشونه فيما يعنّ لهم. وقد استقر هذا النظام بالأزهر منذ البداية واستمر طوال العصور، وغدا خلال العصور الوسطى أيام الأزهر الزاهرة نوعا من المحاضرة الجامعية الممتازة. وكان لهذه الطريقة كثير من مزايا الدراسة الجماعية، لأنها تجمع بين الأساتذة والطلاب فى جو من البساطة، وتفسح كبير مجال للمناقشة والمحاجة»[١٠].

وتسترعى انتباهنا ونحن نجول بين أروقة الأزهر وقاعاته عبارة تقول: جددّ هذا المكان فى عهد... وتجديد الأثر المعمارى يعّد إعادة بناء، بينما ترميم الأثر حفاظ على معالمه الرئيسة وخطوطه المعمارية الأصلية دون حذف أو إضافة. والترميم والتجديد يعدّان مدخلا مناسبًا لمناقشة نظام التعليم والدراسة فى الأزهر، الذى أورثنا نظام الحلقة والعمود وأستاذ الكرسى – ذلك النظام التعليمى المتفتح.

فقد أتاح ذلك النظام للدارس مجالا واسعًا لحرية البحث، فكان الدارس يختار الأستاذ أو الشيخ الذى يختلف إلى حلقته فى حرية مطلقة. فلكل أستاذ حلقة تنتظم حول عمود من أعمدة الجامع، وتختص بعلم معين، والطلاب يردون إليها وفق معايير لا تحتكم إلى الإجبار مطلقا بل إلى ميول الدارس نفسه. وكما يختار الطالب أستاذه، فإنه يختار كذلك الكتاب أو الكتب التى يقوم بدراستها فى الفترة الزمنية التى يكون جاهزا فيها للامتحان، موزعا وقته بين قاعة الدرس (الحلقة) ومجالات البحث والاطلاع. وبمعنى أدق فإن الدارس يتم امتحانه فيما يعرفه أو يريد هو أن يعرفه وليس فيما يفرض عليه معرفته. إنه يختار المادة العلمية، ويحدد الكتب والعلماء الذين ألفوها طالما كانت مندرجة فى الفرع الذى

حدده. والامتحان عبارة عن مناقشة حرّة لاختبار مدى تمكنه وإلمامه بالعلم الذى اختاره. وليس أدق من هذا الأسلوب اختبارا لقدراته على التحصيل والبحث والتحليل.

ومن مميزات هذا النظام أيضا أنه يتيح إجراء تقييم تلقائى مستمرّ للطلاب أثناء المناقشة والحجاج. ويخفف عنهم أعباء وضغوطا نفسية نتيجة انتظار يوم الامتحان. فلا غرو أن حضور الطالب الامتحان كان مجرد تحصيل حاصل فى هذا النظام التليد.

حقا لقد كان نظام الحلقة من التقدم والحرية بحيث خرّج لنا أجيالا من العلماء النابهين فى كل فروع المعرفة بما حقق تجديد الفكر وأنقذه من العى والتجمد. ولعنا نتذكر الآن حلقة العالم المعروف الحسن البصرى التى كان واصل بن عطاء (ح ٧٠٠م - ٧٤٩م) يتردد عليها، وما دار بينهما فى أحد الدروس من مناقشات أسفرت عن خلاف كلامى بينهما، فما كان من البصرى إلا أن قال قولته المشهورة: (لقد اعتزلنا واصل)، وكانت تلك العبارة إيذانا بظهور مذهب المعتزلة بمعالمه وأسسه المميّزة. فلو لم يكن أسلوب التعلم فى ذلك الوقت أسلوبا منفتحا لما أتاح لابن عطاء وأمثاله أن يتميزوا قبل تأسيس الأزهر وبعده. فلقد ورث الأزهر ذلك النظام التعليمى العريق وحافظ عليه وأضفى عليه سمته المميزة[١١].

وإذا كان لدينا أسلوب الحلقة - الذى ظل قائما عبر العصور فى الأزهر - فما الداعى إلى إلغائه لمجرد الاستعاضة عنه بنظام آخر تأخذ به الجامعات الأوروبية؟ لا بأس فى الأخذ عن النظم الأخرى على أن يكون ذلك خادما للهدف المنشود. يقول العلامة عنان: «ومن بواعث الأسف حقا أن يكون من آثار نظم الأزهر الجديدة أن تختفى هذه الحلقات الجامعية القديمة من أروقة الأزهر اليوم لتحل محلها بعض الدروس الثانوية، التى تلقى من آن لآخر»[١٢].

ويمكننا إذن القول إن نظام الحلقة نظام دائرى متصل بحيث يمكن أن يستوعب كل صاحب رأى واجتهاد عند المستوى الذى يلائمه هو ويتناسب مع محصوله العلمى. والأزهر إذا كان جامعا وجامعة منذ نشأته وظل كذلك عصورا متتالية، فإن كان ثمة ضرورة لتطويره فى عهد الثورة فلا ضرر أن يتم هذا التطوير فى إطار الترميم لا التجديد - أى الحفاظ على الطابع الأصلى لتلك المؤسسة دون إضافة كليات حديثة كالطب والصيدلة والهندسة وغيرها. وقد كانت تلك إضافة حسنة لو أحسن استغلالها، ولكن «تالله إنه لحرام أن تضاف هذه الكليات إلى الأزهر، ويقال إن الهدف منها تخريج مسلم متخصص قادر على الدعوة إلى الإسلام بأسلوب العصر، ثم لا يدرس من الإسلام إلا قشورا لا تنقع غلة» كما

يقول الشيخ القرضاوى[١٣]. فليس من الضرورى فى رأينا أن يتوسع الأزهر ليصبح جامعة كاملة بالمعنى الحديث شأنه شأن جامعة عين شمس أو القاهرة مثلا إن تلك الجامعات نفسها أصبحت تكرارا لنمط واحد مألوف.

لقد كان من الممكن جدا الإبقاء على الأزهر جامعة دينية لاهوتية أدبية تضم إليها تخصصات معينة فى الإنسانيات والعلوم العقلية وتطعم بها استكمالا للمعرفة الدينية. فإذا ما تناسقت مع أخواتها من جامعات متخصصة شكلت عنقودًا فريدًا تمتاز كل حبّة فيه وتتفرّد.

وأما قانون الكليات الثلاث (لسنة ١٩٣٠م) فكان من الحرىّ تعديله لإكساب الدراسة فى الأزهر طابعها الموسوعى المعهود دون جور على المعرفة التخصصية الدقيقة التى تتخذ قوامًا لها الرجوع إلى المؤلفات الأصلية بالدرس والنقد والإضافة وليس الاكتفاء بالملخصات والشروح والمذكرات.

وكان من الحرى أيضا أن يعاد النظر فى منهجية تعلم اللغة العربية- التى تعدّ أساسا للدراسات الدينية - وفى منهجية الحفظ والتلقين. وفى هذا الإطار كان يمكن أن يقود الأزهر دفة الإصلاح الدينى والتطوير الاجتماعى عبر المساجد والجوامع المنتشرة فى البلاد من أقصاها إلى أقصاها. تلك الجوامع التى بلغت عدتها نحو مائة واثنين وأربعين ألف مسجد وفق إحصاء سنة ١٩٩٩م حتى إن الوزارة باتت عاجزة عن تدبير أمور تلك المساجد نظرًا لما تحتاجه من خطباء ومقيمى شعائر وخادمين فضلا عما تتطلبه من صيانة وأثاث وترميم[١٤].

الأزهر منارة علمية:

ظل الأزهر عبر تاريخه ساحة للقاء العلماء المقيمين والزائرين الذين ساهموا فى إعطاء الأزهر مكانة كبيرة فى السياسة والاجتماع والثقافة. والقانون رقم ١٠٣ راعى مكانة الأزهر، فقيل فى مادته الثانية: (الأزهر هو الهيئة العلمية الإسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ التراث الإسلامى وتجليته ونشره. وتحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب..). وتهتم ببعث الحضارة العربية والتراث العلمى والفكرى للأمة العربية، فضلا عن إظهار أثر العرب فى رقى العلوم والآداب، وتخريج العلماء، وبعث المبعوثين فى أرجاء العالم الإسلامى. وكما وضح القانون مهام شيخ الأزهر، فقد نص فى مادته السادسة على أنه: (يكون للأزهر

شـخصية معنوية عربية الجنس ويكون له الأهلية الكاملـة للمقاضاة وقبول التبرعات التى تـرد إليه عن طريق الوقوف والوصايا والهبات.. وشـيخ الأزهر هـو الذى يمثل الأزهر..) وعـين القانون الهيئات التابعة للأزهر: مجلس الأزهر، مجمع البحوث الإسـلامية، إدارة الثقافـة والبعوث، جامعة الأزهر، والمعاهـد الأزهرية.. (المادة ٨)، ومضى يفصّل الحديث فـى هذا الشـأن جاعلا (مجمع البحوث الإسـلامية هو الهيئة العليا الإسـلامية.. وتعمل على تجديد الثقافة الإسـلامية وتجريدها من الفضول والشـوائب وآثار التعصّب السياسى والمذهبى..) (المادة ١٥)، والمجمع يتألف مما لا يزيد على خمسـين عضوا من كبار علماء الإسـلام من مختلف المذاهب والأقطار، بحيث لا يقلّ عدد العلماء من الجمهورية العربية المتحـدة عن ثلاثين عضوا (المادة ١٦)، والقصد الخير واضح فى تشـكيل هيئة العلماء على هذا النحو، ولكن ثمة صعوبات تحول دون اجتماع هذه الهيئة بصفة مستمرة كلما استدعى الأمر ذلك. ولو حدث ذلك لأمكن لتلك الهيئة مواجهة كثير من المشاكل العملية التى تتعلق بالفتـاوى والتعريف بصحيح الدين فى ضوء مسـتجدّات العصر، وتطوير الأنظمة الخيرية ذات الطابـع الاجتماعى الاقتصادى (الـزكاة والصدقة والوقف) للنهـوض بالعالم العربى (الإسـلامى) وتجديد نظم التربية التعليمية لتواكب مستجدات العصر ومتطلباته، فتنهض بالإنسان الفرد وتهيئه لحياة أفضل.

حـدد القانـون إذا إطارا عاما ممتازا مراعيا عروبة الأزهـر ومصريته أيضا دون تمييز على أسـاس عرقى أو مذهبى وإن لم تكن العروبة جنسـا كما ذكر فى القانون. وإن عدنا لنقول إن تجديـد الثقافة الإسـلامية يتطلب رؤيـة عالمية تتجاوز الحدود القطرية لمصـر والعروبة أيضا لتشمل سائر الأقطار. ولعلنا نتذكر هنا أن الشيخ الأفغانى (١٨٣٩م - ١٨٩٧م) لم يكن ليستقر فى مصر إلا بدعوة من الخديو إسماعيل فى سنة ١٨٧١م نقلها إليه وزيره رياض باشا إذ قررت له الحكومة المصرية آنذاك معاشا شهريا قدره عشرة جنيهات كاملة[١٥]. والذى يعنينا هنا هو إزالة الحدود الجغرافية والسياسـية أمام العلم وطالبيه لأن هذا الأمر من الأسـس المهمة لدعم المعرفة وإثرائها. ولعلنا نضرب هنا مثل الإمام الشـافعى (٧٦٧ م- ٨١٩م) الذى عدّل مذهبه الفقهى بعدما زار مصر وأقام بها نحو سـت سـنوات. وإذا كان الشافعى لم يشهد الأزهر فثمة علمـاء زاروه للاعتكاف والدرس والتدريس مثل عبد الغنى النابلسـى، وحسـن الجبرتى جد المؤرخ الشهير عبد الرحمن الجبرتى.. ولا شك أن هؤلاء العلماء أيقظوا الهمم ونبهوا الأمة.

ومهما قلنا عن العصر العثمانى الذى شـهد زيارة النابلسـى للأزهر فإنه تميز بأسلوبه فى العمارة الدينية والمدنية والعسكرية، الذى جمع بين أداء الوظيفة وحسن الشكل والتناسق بينما تخبطت العمارة الحديثة فى أرجاء العالم الإسلامى كله فحاكت العمارة الغربية محاكاة عمياء إلا فى بعض استثناءات نادرة لا يقاس عليها. فأين عمارة المدينة الحديثة على سبيل المثال؟ إذا بحثنا عن أسـاليب معاصرة للعمارة الإسـلامية فإنما نبحث عن تجديد للثقافة الإسلامية إذ ما معنى الحديث عن ثقافة نظرية مع إغفال العمارة والفنون اللصيقة بالحياة المعيشة؟

وإذا فأيـن الكُتّـاب الحديث والمطبخ والوكالـة والخان والبيت وهلم جـرا؟ إن التميز المطلـوب فى كل هذه الشـؤون مقصـود به التعبير عن الهوية وخدمـة الحياة اليومية وفقا لظروف البيئة المحلية. إنه إذن تميز عملى يتم على أساس واقعى لا دينى.

والعمارة الإسـلامية إذا التى نبحث عنها ليسـت عمارة دينية ولكنها تشمل كل أنواع المنشـآت والمبانى التـى نحتاجها فى الحياة اليومية. إن تأكيـد هويتنا فى العمارة والبناء ليـس نوعًا مـن التطرف القومى بل هو أدخل فى باب الاحتياجـات العملية التى لا قوام لحياة البشر إلا بها.

وما يقال عن الشـؤون العملية يقال أيضا عن مسـتقبل الفقه الإسـلامى وعلم التوحيد (الكلام) والفلسفة (الإسلامية) وهلم جرا.. ولعلنا نذكر أن من أبرز فلاسفة الإسلام من كان مسيحيا كابن ملكا، أو يهوديا كابن ميمون وابن جبرول فى الأندلس. ولعل هذا يقودنا إلى مناقشـة نظام الوقف فى اتصاله بالأزهر ومستقبله. وماذا كان موقف الثورة منهما. فالوقف ظل عبر العصور نظامًا تمويليًا لكثير من المنافع مثل خدمات البنية الأساسية.

إن مهمة الحفاظ على التراث الإسلامى وإحيائه ينبغى أن تتصل بكل الفنون والمعارف اللصيقـة بالحيـاة العامة، وهى مهمـة تتطلب تمويلا متزايدا لا تقـوى عليه موارد الدولة وحدها. ففيم كان دمج الأزهر فى الدولة إذا؟ ولماذا ألغى نظام الوقف (الأهلى أو الأسرى) الذى أدى عمليًا إلى إلغاء الوقف الخيرى برغم استقراره منذ ظهور الإسلام بل قبله بآلاف السـنين؟! ولقد كان نظام الوقف كفيلا بتمويل كثير من المنافع (ما يعرف الآن بالخدمات العامة ومشـروعات البنية التحتية). إن الدفع بأن الدولة فى النظام الاشـتراكى الذى بزغ فجـره مـع ثورة يوليـو ١٩٥٢م تعهدت بأن تضطلع بكل الخدمـات لا محلّ له. ذلك أن نظـام الوقـف لا يتعارض أبدًا مع النظام الاشـتراكى، لذلك فالتوفيـق بين النظامين أولى.

والواقع يشــهد بأن اســتبدال نظام مستحدث لم تتشــكلّ بنيته بعد نظام راسخ مستقرّ يعدّ تضحية بالنظامين كليهما. وعن الوقف يقول جومار: «إن أغلب الأســبلة والكتاتيب نشأت فــى القاهرة عن مؤسســات وأوقاف وقفها أمــراء وأثرياء لصالح راحة ســكان هذه المدينة الكبيرة. وربما لا توجد مدينة أوروبية تحوى هذا القدر من الأسبلة»[١٦].

وكانــت العادة أن يلحق بكل ســبيل كتــاب يتعلم فيه الصبية والفتيــات مبادئ اللغة والدين والحساب وشتى المعارف، ويتدارسون فيه القرآن والحديث. والقاهرة تعجّ بالأسبلة العثمانيــة والمملوكية وما هو أقدم منها. ومنها ســبيل عبد الرحمن كتخدا (الذى كان واليا لمصــر فــى القرن ١٨). وقد أدت هذه المنشــآت الخيرية الوقفية رســالتها عبر العصور فى إطار نظام تكافلى متكامل وهو ما كان أحرى بالثورة الاشــتراكية أن تتبناه وتتبعه وتتولاه بالتطوير إلى الأحســن. بلى كان جديرا بالثــورة أن تتجاوز الطور الثورى، وأن تنخرط فى عملية الإصلاح المكفولة لكل الناس، وما تتطلبه من جهود بناءة.

الأزهر وموارده الوقفية:

الوقف شرعا حبس العين وسبل الثمرة. والعين الموقوفة قد تكون عقارًا أو أطيانًا زراعية وقد تكون منقولا أو نقدًا. وفقه الوقف اجتهادى بالأساس إذ لم ترد بشأنه تشريعات واضحة فى القرآن والسنة اللهم إلا الحض على الإنفاق كما فى حديث الصدقة الجارية[١٧].

ولقــد أقــر القانون ١٠٣ – كمــا تقدم – أهلية الأزهــر – ويمثله فضيلــة الإمام الأكبر شــيخ الأزهر – فى قبول التبرعات والوصايا والهبات والأوقاف، وأقرّ نظارة شــيخ الأزهر على الأوقاف الموقوفة على المدرسين والطلاب. وقد جرى الخلفاء الفاطميون على تخصيص الأوقــاف للأزهر، وكذلك فعل الأهلــون. وقد وصلتنا وقفية الخليفة الحاكم بأمر الله بوقف بعض الأعيان على الجامع الأزهر[١٨].

ولما كانت الأطيان الزراعية تشكل جزءا لا يستهان به من إجمالى الأعيان الموقوفة على الأزهــر، فقــد كان من الطبيعى أن تتأثــر موارد الأزهر بكل من قوانــين الإصلاح الزراعى والقوانين المنظمة للإيجارات والوقف بوجه عام، إذ انعكس ذلك على ريع الأوقاف المؤجرة (القانون رقم ١٧ لسنة ١٩٦٣م وقانون سنة ١٩٦٦م لتنظيم العلاقة بين المالك والمستأجر).

ولا شــك أن الثورة فى بعدها الاجتماعى كانت تهــدف إلى تحقيق العدالة الاجتماعية بإصدار تلك القوانين، ودرء كثير من أوجه النقص والقصور التى اعترت نظام الوقف آنذاك.

فقد صدر فى ١٤ سبتمبر ١٩٥٢م القانون رقم ١٨٠ بإلغاء الوقف الأهلى (على الأسرة) وهو وقف كان ينتهى بعد طبقة أو أكثر من الأقارب المستحقين لريع الوقف إلى غرض خيرى قد يكون تعليميا. وبمقتضى ذلك آلت ملكية الأوقاف الملغية إلى الواقفين أو المستحقين كل بحصته كما لم تستحدث أية أوقاف جديدة. وهكذا جفت مصادر ممكنة لتمويل مشروعات خيرية منها التعليم فى الأزهر وسواه[١٩].

وأما القانون ٢٤٧ لسنة ١٩٥٣م فقد أعطى وزير الأوقاف الحق فى تغيير مصارف الوقف - أى الأوجه التى تحدد لصرف ريع الوقف فيها- وحق النظارة على الأوقاف إذا لم يحدد الواقف ذلك. وهذا يعدّ تجاوزا لاختصاص الناظر والمستحقين للوقف إن وجدوا. فهم الأولى بتحديد المصارف، وذلك أن الوقف الخيرى نظام أهلى أيضا. كما أن فى ذلك تأويلا لا وجه له لقول ابن عرفة: «إن غفل المحبس - أى الواقف - كان النظر فيه للحاكم»[٢٠]، فمعناه أنه إذا كان الحبس - الوقف - على غير معين مالك أمر نفسه جاز للحاكم أن يعين ناظرا.. لا أن يحيل النظارة على الوقف إلى الوزير. ونتساءل: أيهما أجدى: أن تضطلع الوزارة بالنظر على الوقف أم توعى الواقفين بأهمية الوقف على العلم والتعليم فى الأزهر وغيره؟ فتترك لهم حرية الاختيار وتحافظ على استقلالية الوقف؟ ألم يكن من المتوقع حينئذ أن يحبس الواقفون مثل تلك الأوقاف - وهى ليست بالقليلة - على الأزهر ومؤسسات العلم والتعليم؟ ألم تكن الجامعة المصرية (جامعة القاهرة) منذ نشأتها ثمرة من ثمرات الوقف؟

ولقد كان الوقف حريا بأن يحقق المعادلة الصعبة فى التعليم، فيوازن بين مجانية التعليم للدارس فضلا عن تقديم الدعم المالى له. وبين العمل بالأجر للمعلمين والقائمين بأمر التعليم. أضف لهذا استقلال المؤسسة التعليمية عن أصحاب رأس المال (الممولون للتعليم الخاص غير المجانى) وعن رجال السياسة (أحزاب الأغلبية) مع تحقيق التواؤم مع الأهداف البعيدة للدولة. فالواقف لا يتوخى من وقفه إلا القربة، وعليه التأكد من حسن إدارة وقفه (شروط ناظر الوقف) ولا يحتج على ذلك بالقول إن الوقف سيصبح حينئذ دولة داخل الدولة، إذ لا سلطان للوقف والواقفين إلا الخيرية المطلقة (شروط الوقف والواقف والعين الموقوفة..إلخ). فلو افترضنا جدلا أن تجاوزت نسبة الأوقاف ذات المصادر الأجنبية (من دول أو مؤسسات من خارج مصر) على الأزهر أو غيره من مؤسسات التعليم نسبة ٩٠٪ فلن يؤثر هذا فى

توجّه الأزهر واستقلاله. وذلك أن دور الواقف - سواء كان شخصية كبيرة أو مؤسسة كبرى - ينتهى عند تخصيص المال أو العقار الموقوف. أما إدارة الوقف فمن اختصاص الناظر الذى يجب أن يستوفى شروطا موضوعية قاسية وإلا عزل. كما أن ثمة - فى نظام الوقف - أدوات كافية لرقابة النظار ومراجعة أعمالهم من قبل ديوان المحاسبة أو ما يقوم مقامه باستمرار بما يتيح الفرصة كاملة لتوقى الأضرار وتصحيح الأخطاء فى الوقت المناسب إن حدثت. فلا خوف إذا من زيادة الأوقاف فكلما زادت تزايد ريعها المخصّص لدعم تنمية البلاد. فالوقف إذن مؤسسة خيرية (طوعية) تخدم أهدافا اقتصادية للمجتمع غير هادفة إلى الربح بل ابتغاء القربة لله.

وإذا علمنا أن نسبة الأرض الزراعية الموقوفة فى بعض الأوقات قبل ثورة يوليو بلغت نحو الثلث أو أكثر؛ لاتضحت لنا أهمية الوقف لدعم التعليم إذ كان قدر كبير منها موقوفا عليه. ولكن صدر القانون ١٥٢ لسنة ١٩٥٧م قاضيا باستبدال الأطيان الموقوفة وتسليمها لهيئة الإصلاح الزراعى مقابل سندات تساوى قيمة الأرض والمنشآت المقامة عليها[٢١]. والسؤال هنا - بعيدًا عن مشروعية ذلك وجدواه- عن كيفية تقدير ثمن الأطيان وفقدان ريعها السنوى الذى كان مخصصًا لأغراض خيرية منها التعليم وشؤون أخرى قد تخصّ الأزهر ومؤسساته، أو الجامعات والمدارس والكتاتيب، وهلم جرا.

ويدلنا على صعوبة تطبيق القانون السابق صدور القانون رقم ٤٤ لسنة ١٩٦٢م- أى بعد ذلك بخمس سنوات - قاضيا بتسليم الأعيان (الأطيان الزراعية) الموقوفة إلى هيئة الإصلاح الزراعى والمجالس المحلية لتتولى إدارتها مؤدية لوزارة الأوقاف صافى ريع تلك الأعيان[٢٢]. الأمر الذى يعنى أن عملية الاستبدال المشار إليها فى القانون ١٥٢ لسنة ١٩٥٧م قد أخفقت أو لم تنجز كاملة برغم مرور خمس سنوات. وعلى افتراض كفاءة هيئة الإصلاح الزراعى والمجالس المحلية فى إدارة الأطيان الموقوفة فقد تناقص ريع تلك الأوقاف إذ خصصت نسبة ١٠٪ من الريع للمجالس المحلية مقابل الإدارة، فضلا عن نسبة ١٥٪ لعمارة أعيان الوقف، والعمارة مطلوبة ولكن حدثت صعوبات بيروقراطية عاقت توريد تلك النسبة أو أخرتها. وبالجملة فقد انتقلت إدارة الأوقاف من الأيدى الأهلية الحريصة على تثميرها من حيث المبدأ الخيرى إلى أيد بيروقراطية قد يعوزها الباعث الحثيث والحرص على ريع تلك الأوقاف وأعيانها. ولنا أن نتصور ما أصابها من ضرر جراء ذلك.

والخلاصة أن الأعيان الموقوفة واجهت أحد مصيرين: إما أن تتحول من أصول ثابتة (عقارية تزداد قيمة ريعها بمرور الوقت) إلى أصول نقدية عرضة لفقدان القيمة نتيجة التضخم، وإما أن تنتقل من إدارة أهلية خاصة يفترض فيها الوعى والحرص إلى إدارة بيروقراطية قد تقودها إلى المجهول. ليس هذا وحسب، فبعدما كان الأزهر - ممثلا فى شيخه- متنظرًا على أوقافه مستقلا بها؛ آل ريع تلك الأوقاف - على ما تعرّض له من انتقاص- إلى ميزانية الدولة، الأمر الذى يعنى سياسيا أن يصير الأزهر مستوعبًا فى سياسة الدولة متأثرًا بها. ولعل أثر هذا كان واضحًا فى تراجع مكانة الأزهر العالمية والمحلية التى كانت له أيام كان مستقلا بإدارة أوقافه.

وحسبنا المقارنة بين أن يتقاضى شيخ الأزهر ما يقيم معاشه من ريع الأوقاف التى يديرها لصالح الأزهر: تلك المؤسسة العريقة وفقًا لاجتهاد الخليفة عمر: «غير متمول مالا»(٢٣) أى بما يكفيه للمعاش، وبين أن يتقاضى مرتبه من الدولة شأنه شأن الوزير (السلطة التنفيذية). وفى هذا الصدد يجمل بنا مراجعة بنود المرتبات والمكافآت المخصصة لشيخ الأزهر (القانون ١٠٣، ملحق (أ) ص ٢٠٤ وما بعدها). وإذا كان استقلال الأزهر يتعارض مع أن يتقاضى شيخه وعلماؤه والعاملون به مرتباتهم من الدولة؛ فإن معايير تقدير المرتبات لم تخل أيضًا من قصور. فقد قدرت المرتبات والمكافآت فى الملحق السابق بالجنيه المصرى، فحددت مكافأة الأستاذ غير المتفرغ مثلا بما يتراوح بين ثلاثمائة وستمائة جنيه سنويًا، وربما كان هذا المبلغ ذا قيمة كبيرة وقتما صيغ هذا القرار. وكان الأولى - فى تصورنا - أن يقدر الأجر أو المرتب بالجراية كما كان الحال فى الأزهر فى عهود سابقة، فيقدر بكذا رغيف من الخبز (الغلّة) أو بسّلة من الجراية (الخبز واللحم و...)، أى أن يصرف من النقد ثمن تلك الجراية وفق أسعارها الواقعية فى كل حين. وبمعنى آخر لا يصح أن يحدد فى القانون مبالغ معينة، لأنها ستظل ثابتة برغم تدهور قيمة العملة بعد ذلك حسب الأحوال. بينما الصحيح أن ينصّ القانون على ما يكفى من جراية لتحقيق حدّ الكفاية، فيصرف مقابله النقدى حسب الأحوال أيضا. والسؤال الآن: كيف ولماذا ظلت مثل هذه المواد القانونية معمولا بها برغم قصورها؟ وكيف يصلح أمر الأزهر دون إصلاح شؤون الأوقاف وتنظيمها؟ ويندهش الباحث حين يرى مقدار ما توصل إليه الفقه من تفصيلات مدهشة تخص أمور الوقف كبيرها وصغيرها عبر القرون المنصرمة. وبرغم هذا فإن مآل الوقف - وهو فقه اجتهادى فى المقام الأول - بات لا يسرّ!.

الأزهر والنظام الاشتراكي:

عرفت مصر منذ أقدم عصورها مبادئ النظام الاشتراكي، وكذلك بعد مجيء المسيحية والإسلام إليها. وعقب ثورة يوليو تمّ الاتجاه حثيثا نحو الاشتراكية تحقيقا للعدالة الاجتماعية في مجتمع كان الإقطاع يسوده. وما نطرحه هنا ليس مناقشة الاشتراكية (الناصرية) في ذاتها ولكن مدى استجابة الأزهر لها.

فلقد بدأ منذ سنة ١٩٥٢م صدور القوانين الاشتراكية وتم تأميم مصادر الثروة. فصدر في التاسع من سبتمبر ١٩٥٢م المرسوم بقانون رقم ١٧٨ بشأن الإصلاح الزراعي. والقانون ٢١٠ لسنة ١٩٥٣م بشأن التعليم الابتدائي، وقرار تنظيم الصحافة في ٢٤ فبراير ١٩٦٠م، وبمقتضاه آلت ملكية المؤسسات الصحفية إلى الاتحاد القومي. والقانون رقم ١٧ لسنة ١٩٦٣م الذي عدّل بقانون آخر في سنة ١٩٦٦م لتنظيم العلاقة بين المالك والمستأجر تلك التي كان القانون المدني المصري يقوم بتنظيمها.

وانقسم علماء الأزهر، فسارع بعضهم للإعلان عن تأييد ما قام به النظام الحاكم من مصادرات وتأميم، وذهبوا إلى تأويل النص الديني للدفاع عن إجراءات زمنية، فزجوا بالنصوص الكلية لتبرير الواقع الجزئي المتغير. وكان لهؤلاء العلماء أن يعلنوا ما شاءوا عن تأييدهم الشخصي دون زجّ بالدين في ذلك الأمر الذي عرضهم للانتقاد حتى من قبل فئة من العلماء الآخرين. فقال أحد المشايخ في مشروعية تحديد الملكية: «إذا تجمعت الثروة في أيدي فئة قليلة من الأمة إلى درجة أفقرت كثرتها، فلم يجدوا حاجتهم، فاستذلهم عوزهم، وألصقهم بالتراب.. فإن على ولي الأمر حينئذ أن يعمد إلى علاج هذه الحال دفعًا للضرر، وإذا لم يكن لعلاج هذه الحال من وسيلة سوى أن يحدّ الملكية الفردية حدا لا تتجاوزه، جاز له ذلك»[٢٤]. هذا ما قاله الشيخ علي الخفيف، الذي أجاز التأميم أيضا: «بشرط أن يكون هو الوسيلة الوحيدة التي لا يرفع الضرر إلا بها..»[٢٥]. فإذا اعتبرنا هذا الحكم مبنيا على المصالح المرسلة فإن شروطها لا تتحقق، وعلى رأسها أن توافق الكتاب والسنة، وألا تجافي المقاصد العليا للشريعة[٢٦]. ويضيف البعض نقلا عن جريدة الأهرام: أن المحكمة الدستورية العليا قضت في سنة ١٩٨٤م (بعدم دستورية القانون رقم ١٠٤ لسنة ١٩٦٤م الذي يقضي بعدم صرف تعويضات عن الأراضي المستولى عليها تنفيذا لقانون الإصلاح الزراعي، «الذي أضفت عليه فتوى الشيخ الخفيف المشروعية» (الأهرام، ص ١، يوم ٩/ ٦/ ١٩٨٤م)[٢٧].

ويتضح أن حكم المحكمة قام على أساس أن من صودرت أرضه لم يصرف له تعويض. وأما أصل الموضوع وهو جواز المصادرة من عدمه فلم يناقشه ذلك الحكم.

والغريب في هذا الموقف أن ينتظر أصحابه مجيء الحركة الاشتراكية ليبرروها. حقا، لقد تمتعت هذه الحركة بتأييد شعبى وقيادة كاريزمية. ولكن كان المتوقع أن تأتى المبادرة من الأزهر وعلمائه بعد الثورة بل قبل قيامها. وإذا كانت الشعائر الإسلامية تضع مبدأ المساواة بين الناس على اختلاف درجاتهم؛ فإن فى الإسلام أنظمة اجتماعية واقتصادية تتخذ مبادئ الرأسمالية وسيلة لتحقيق الاشتراكية. ولعل نظام الوقف أوضح دليل على هذا التوجه. إذ يتوخى صاحب الوقف كل الوسائل لتنمية رأس المال الموقوف (أكان عقارا أو أرضا أو نقدا..) وفقا لقواعد الاقتصاد الحرّ (دون استغلال) لتحقيق أفضل ريع كى يوزع على الموقوف عليهم (مع تفاوت احتياجاتهم) هادفا بذلك إلى تحقيق العدالة الاجتماعية التى تستهدفها النظم الاشتراكية. فكان الجدير بعلماء الشريعة – ولديهم هذا الزخر من الفقه الاشتراكى أن يضطلعوا بدور أقوى وأعظم.

كان المتوقع إذن أن تتجه الدعوة إلى هذه الأهداف الاجتماعية قدر اتجاهها إلى إقامة الشعائر أو بدرجة أكبر. فما أعظم فائدة الدين حين تترجم نصوصه الرحبة إلى واقع ملموس معيش! وما أجلّ ما يقوم به عالم الدين حين يجتهد فى فهم نصوص الدين وتطبيقها لتذليل سبل الحياة! ولنا فى مواقف علماء السلف أسوة حسنة. فلقد جابه الجبرتى (الحنفى) العالم الأزهرى وصحبه من علماء الأزهر استبداد بونابرت إبان حملته (١٧٩٨م – ١٨٠١م). وتصدّى حسن العدوى وزملاؤه الأزهريون فى الجمعية الوطنية منادين بعزل توفيق وإصدار الفتوى بخيانته إبان ثورة ١٨٨٢م. وكان اعتداد الإمام الإنبابى شيخ الأزهر بنفسه فى مواجهة اللورد كرومر المعتمد البريطانى. وعارض الشيخ النواوى شيخ الأزهر أيضا حكومة مصطفى فهمى حين أرادت إضعاف القضاء الشرعى إرضاء للمعتمد البريطانى فى عهد الاحتلال البريطانى[٢٨].

وهنا نقطة الالتقاء مع الاشتراكية الثورية ونقطة الافتراق أيضا. فكلما اقتربت الدعوة الاشتراكية من التراث الموروث والتقاليد الراسخة كان نجاحها آكد وأوثق. وكلما اقتربت من النظريات الوافدة كان النجاح عنها بعيدا. وفى عبارة أخرى كان الاحتكام إلى النوازع الخيرية الموجودة فى النفوس والمتعارف عليها منذ القدم أعظم ضمان لنجاح الحركة الاشتراكية. عرف المصريون النظام الخيرى التكافلى منذ نشأة حضارتهم. فوقفوا منذ عصر

بناة الأهرام على المعابد والمقابر وبيوت الحياة (الجامعات).. وهلم جرا. وفى مصر تأسس نظام الاشتراكية (التعاونية) على يدى الأنبا باخوم (٢٩٠م – ٣٤٨م) مؤسس أول دير فى العالم، وهو نظام اشتراكى (دينى) صارم كان يمكن تطويره إذ ظل متوارثا عبر العصور فى مصر، ومنها انتقل إلى أوروبا[٢٩]. ثم جاءت تعاليم الإسلام حاضة على التكافل الاجتماعى «حديث الفضل: من كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له.. وحديث الصدقة الجارية التى قيل إنها الوقف.. وهلم جرا». وهنا تجدر الإشارة إلى قول عمر بن الخطاب فى نهاية خلافته: لو استقبلت من دهرى ما استدبرت لأخذت من الأغنياء فضول أموالهم (أى ما زاد منها) وعدت بها على الفقراء[٣٠]. وقول عمر السابق يعدّ مراجعة لنفسه واعترافا منه بأنه اجتهد اجتهادات يمكنه الآن – برغم صحتها – العدول عنها وتعديلها. والعدول عن رأى ما لا يعنى بالضرورة قصورا أو خللا فى الرأى ذاته، ولكنه قد يرجع إلى تغير ظروف العصر أو طباع الناس وأحوال المجتمع، مما يقتضى مراجعة أصول الاجتهاد.

لقد أوشك الأزهر أن يكون مرادفا لقاهرة (المعز): قاهرة الألف عام ويزيد، ومن ثم لمصر كلها. وقد توفرت للأزهر قيادات كاريزمية عبرت بمصر أزمات وصعابا، وجمعت الشعب على كلمة واحدة. وتخطى الأزهر الحدود السياسية فى أوقات تفرقت فيها البلاد (الإسلامية) شيعًا. وقد صدرت جملة من القوانين لتنظيم الأزهر منذ عهد الشيخ محمد المهدى العباسى فى القرن التاسع عشر، وعرف منها قانون الكليات الثلاث لسنة ١٩٣٠م. وأما القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م فقد جمع فى بنوده ما حفظ للأزهر وشيخه مكانة روحية، وما حدّ من دوره العالمى إذ كرّس لتعيين شيخ الأزهر بدلا من انتخابه، ووسّع الطابع الجامعى الحديث فى مقابل الجامع العريق ذى الطابع الموسوعى المشهور الذى خرّج علماء مجتهدين معدودين، وأظهر مدارس دينية مجدّدة.. وتسبب ذلك القانون كذلك فى تحديد موارد الأزهر حين أدمجه سياسيا فى جملة النظام الاشتراكى الذى قام على دعائم منها مجموعة من القوانين الاشتراكية. وفى حين كان نظام الوقف مصدرا عمليا ممكنًا لدعم الأزهر ودوره – إن هو قُوِّم وأُصلح؛ فقد حل محله نظام اشتراكية الدولة. ولعلنا أوضحنا فى هذه الدراسة ما لحق بالأزهر جراء صدور ذلك القانون فى محاولة نرجو أن تكون قد اتسمت بالموضوعية.

□□□

الهوامـش

(١) قام المعز لدين الله الفاطمى خطيبا فى الأزهر احتفالا بافتتاحه فى الجمعة السابع من رمضان سنة ٣٦١ هـ (٩٧٢م). ويذكره مؤرخو الفاطميين كالمسبّحى وابن الطوير وابن المأمون باسم جامع القاهرة. راجع: محمد عبد الله عنان: تاريخ الجامع الأزهر، ط ١، مؤسسة الخانجى، القاهرة، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م، ص ١٨ - ١٩.

(٢) مثّل العطار نقلة مهمة فى طريق تحديث الأزهر، وهذا ما وضحه بيتر جران فى دراسته: (الجذور الإسلامية للرأسمالية: مصر ١٧٦٠ - ١٨٤٠م، ت. محروس سليمان، ط ١، دار الفكر، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ١٤٧ وما بعدها، راجع ترجمة العطار فى: على مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة، ط ٢، مطبعة بولاق ١٣٠٥هـ، هيئة الكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م، ج ٤، ص ٨٢ - ٨٥.

(٣) عبد الرحمن الجبرتى: عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، مطبعة الأنوار المحمدية، القاهرة، ب. ت، ج ٣، ص ٣ - ١٥ عن أحداث سنة ١٢١٣هـ، وعبد الرحمن زكى: الأزهر وما حوله من الآثار، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٨٢ - ٨٥. وعنان: الأزهر: ١٥١.

(٤) زكى: الأزهر: ٥٠ - ٥١، عنان: الأزهر: ٢٥٣. وعن ترجمة الشيخ المهدى العباسى راجع: مبارك: الخطط: ٤ - ٨٧.

(٥) عنان: الأزهر، ٢٥٧ وما بعدها.

(٦) راجع ثبت شيوخ الأزهر فى: الجبرتى، المواعظ والاعتبار: مواضع متفرقة. وقارن: عنان: الأزهر، ٢٩٤ - ٢٩٧، زكى: الأزهر، ٧٤ - ٧٧.

(٧) القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م بشأن إعادة تنظيم الأزهر ولائحته التنفيذية، ط ٤، هيئة المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٩٩م.

(٨) يبدو هنا أن نظام الثورة لم يأخذ خطًا علمانيًا راديكاليًا كالذى استنّه نظام أتاتورك فى تركيا منذ سنة ١٩٢٤م، ولعل ثورة يوليو تأسّت بما فعله محمد على منذ سنة ١٨٠٥م إذ أجرى إصلاحات مدنية فأسس المدارس لإقامة نظام تعليم مواز للأزهر، راجع: عبد الحميد البطريق: عصر محمد على ونهضة مصر فى القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية

العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.وقارن: سامى السمم: التعليم والتغير الاجتماعى فى مصر فى القرن التاسع عشر، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م،

Lewis. Bernard. Die welt Der Unglaeubigen.uebertr. B. Rullkoetter. Berlin. Propylaen. 1983. S.S. 133- 134 ff.

(٩) عنان: تاريخ: ٦٦ – ٦٧، أحمد أمين: ظهر الإسلام، ط ٦، النهضة المصرية، القاهرة، ج ١، ص ١٨٨ – ١٨٩. ويحسب للفاطميين اعترافهم بكافة المذاهب والملل الأخرى. وبرغم هذا فقد أغلق صلاح الدين الأزهر وظل كذلك مغلقا حتى مطلع العصر المملوكى. وعن عمارة المسجد: زكى: الأزهر: ص ٢٣ وما بعدها،

O.V. Volkoff. 1000 Jahre Kairo. Philipp Von Zabern. Mainz. 1984. S. 72 ff.

(١٠) عنان: الأزهر: ٦٦ – ٦٧.

(١١) اهتم المعتزلة بإعمال العقل لتأويل النص الدينى، ومن شيوخهم واصل وعمرو بن عبيد والعلاف والنظام وبشر بن المعتمر والقاضى عبد الجبار. ولهم أصول خمسة: العدل والتوحيد، والمنزلة بين المنزلتين (محل الخلاف بين واصل والحسن البصرى)، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.. يراجع: المغنى فى أصول التوحيد للقاضى عبد الجبار بن أحمد، وات (مونتجمرى): القضاء والقدر، ت. عبد الرحمن الشيخ، هيئة الكتاب، ١٩٩٨م، ص٢٢١ وما بعدها. والشهرستانى: الملل والنحل..

M. Watt. Islamic Theology and Philosophy. London.

(١٢) عنان: الأزهر: ٦٧.

(١٣) يوسف القرضاوى: (رسالة الأزهر بين الأمس واليوم والغد)، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص١٠٢.

(١٤) وزارة الأوقاف بين الماضى والحاضر والمستقبل، مطابع وزارة الأوقاف، القاهرة، ١٩٩٩م.

(١٥) دعا الأفغانى المصريين وأهل الشرق إلى الثورة ضد الطغيان والاستبداد، وتأليف جامعة للأمم الإسلامية. راجع ترجمته فى: أحمد أمين: زعماء الإصلاح فى العصر الحديث، النهضة المصرية، القاهرة ١٩٤٨م، ١٩٧١م، حسن حنفى: جمال الدين الأفغانى، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٩٩م.

D.G. Mueller. Grundzuege Des Christlich Islamishcen Aegypten BII. W.B.G.. Darmstadt 1969. S. 237.

(١٦) جومار: وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل، ط ١، (ت. أيمن فؤاد سيد، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٢٠٨.

(١٧) ثمة تعريفات متعددة للوقف عند الأحناف عرضها ابن نجيم في: البحر الرائق: ج ٥: ص ٢٠٢، وابن الهمام في: فتح القدير: ج ٥: ص ٣٧. وكذا ابن عابدين في حاشيته.. وعند المالكية وسائر المذاهب.. وقد عرضنا لها تفصيلا في دراستنا: تطور مؤسسة الأوقاف في مصر المعاصرة، القاهرة ٢٠٠٣م، ص ١٣ وما بعدها.

(١٨) راجع نص الوقفية في: على مبارك: الخطط: ١: ٤٩، عنان: الأزهر.

(١٩) وبحل تلك الأوقاف الأهلية تحول ملك المنفعة إلى ملكية رقبة، ويؤول حينئذ إلى الموقوف عليهم كرأى أحمد والحنابلة. راجع: ابن قدامة: المغنى (على مذهب الإمام أحمد بن حنبل)، ط ١، ١٤٠٤هـ، دار الفكر، بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ج ٦، ص ٢١١.

(٢٠) الحطّاب: مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، مكتبة النجاح، طرابلس، ليبيا، ب. ت.ج ٦: ص ٣٧.

(٢١) واعتمدت المذكرة الإيضاحية للقانون ٢٤٧ لسنة ١٩٥٣م على قول ابن تيمية إن المصرف الذى سماه الواقف لا يتعين الصرف إليه إذا كان غيره أصلح منه، فبه تتحقق القربة لله. ولذلك نرى أن تحديد المصرف الأصلي أولى أن يكون بيد الواقف أو الناظر الذى يسميه الواقف اعتمادا على أن تعيين الواقف لجهة محددة يعتبر صرفا له عما سواها.. كما ذهب ابن ضويان في: منار السبيل: ٢: ٩ - ١٢ (فايز على: تطور مؤسسة: ٨٦).

(٢٢) وقد زادت المركزية الإدارية من صعوبة تطبيق تلك القوانين.

(٢٣) نص وقفية عمر بن الخطاب في: مجلة (أوقاف): ع ٢، الكويت، ١٤٢٢هـ، ص١٠٣. وقد أشرنا لمراجع أخرى في دراستنا: تطور مؤسسة الأوقاف: ص ٢٤، ٢٩.

(٢٤) هذا رأى الشيخ محمود الخفيف. في: أحمد عبد الرحمن إبراهيم: موقف الإسلام من الدنيا، ط ١، دار هجر، القاهرة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٧٧.

(٢٥) المرجع السابق نفس الموضع.

(٢٦) توضيح هذا في: فخر الدين الرازى (ت٦٠٦هـ): المعالم في علم أصول الفقه، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلى معوض، مؤسسة مختار، القاهرة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م،

ص ١٦٩ وما بعدها. وقارن: محمد حسنين مخلوف: بلوغ السول فى مدخل علم الأصول، تحقيق حسنين محمد مخلوف، ط ٢، مكتبة مصطفى البابى الحلبى، القاهرة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، ص ١١٨ وما بعدها.

(٢٧) عبد الرحمن: موقف الإسلام: ٨٠.

(٢٨) محمد رجب البيومى: مواقف تاريخية لعلماء الإسلام، كتاب الهلال، القاهرة، العدد ٤٠٢ - يونيه ١٩٨٤م، ص.٢١٨ وما بعدها.

(٢٩) باقى جيد بشارة: معالم تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، مكتبة مارجرجس، القاهرة ١٩٨٨م، ج ١: ص ٨١، وكذا دراستنا: الديانة المصرية منذ لاهوت أون حتى رسالة التوحيد، القاهرة ٢٠٠٢.

(٣٠) خصص عمر مثلا أرضًا عامة للفقراء ليرعوا ماشيتهم ليجدوا ما يعيشون به وهو أدنى الكفاية - أى الغنى. فكان هدفه تحقيق حدّ الكفاية (الغنى) وليس الكفاف (الفقر). وهكذا قام بحمى الموارد لتظل متاحة للفقراء فلا يستأثر بها الأغنياء دونهم، راجع: محمد المدنى، نظرات فى فقه الفاروق عمر بن الخطاب، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ١٦٨.

□□□

دور عبد الناصر فى تحرير شبه الجزيرة العربية وتنميتها

د. فوزى أسعد نقيطى

ما أن انتهت الحرب العالمية الثانية، حتى تمكنت الولايات المتحدة من ترسيخ أقدامها فى المملكة العربية السعودية، ومنها أخذ الاستعمار الأمريكى ينتشر فى جميع الأنحاء. وبهذا انفردت شبه الجزيرة العربية بوضع خاص، إذ أصبحت معقلا للاستعمارين: القديم والجديد، اجتمعا عليها معا لنهبها، والاستيلاء على مقومات ثرواتها.

وإذا كان الاستعمار البريطانى قد كبّل حكام وأمراء الخليج بالمعاهدات «المانعة والأبدية» التى كانت تلزمهم، إلى أجل غير مسمى، بعدم التصرف فى شؤون إماراتهم، أو إقامة علاقات خارجية أو منح امتيازات لدولة أخرى إلا بموافقته. فإن الاستعمار الأمريكى ابتدع صيغة أخرى للتعامل مع الحكام السعوديين، وهى «الحمايةّ الأمريكية للنظام القائم مقابل البترول».

أما بالنسبة لشعب الجزيرة العربية، فى هذه المرحلة التاريخية المأزومة، فإن الغالبية العظمى فيه كانت على حافة الجوع، والتخلف. ولهذا لقيت شخصية جمال عبد الناصر وأفكاره، وأعماله، شعبية واسعة، وكان لكلماته ومواقفه الرافضة للسيطرة الاستعمارية والتبعية الاقتصادية، وتحقيق المساواة والعدالة، والتخلص من الحكم الرجعى المتعاون مع الاستعمار، صدى يلهم آلاف المثقفين، والعمال والطلاب.

وسنحاول فى هذه الدراسة أن نوضح الدور الذى اضطلع به الرئيس جمال عبد الناصر للقضاء على الاحتلال العسكرى، والتبعية السياسية والاقتصادية فى شبه الجزيرة العربية، وعلى هذا، فإن الدراسة لابد أن تناقش المواضيع التالية:

١ - الأوضاع السياسية والاجتماعية فى شبه الجزيرة العربية قبل اشتعال الثورة اليمنية ١٩٦٢م.

٢ – دور عبد الناصر فى دفع حركة الإصلاح فى المملكة السعودية.
٣ – دور عبد الناصر فى تثبيت ثورة سبتمبر فى شمال اليمن، ودعم ثورة أكتوبر ١٩٦٣م فى جنوبه ضد الإنجليز.
٤ – دور عبد الناصر فى تحرير الخليج من السيطرة الإنجليزية، وتنمية مجتمعاته.

المحور الأول:

الأوضاع السياسية والاجتماعية فى شبه الجزيرة العربية قبل اشتعال الثورة اليمنية ١٩٦٢م:

(أ) المملكة السعودية:

بالرغم مما كُتب عن المملكة، وتصويرها على أنها قد تحولت إلى «يابان عربية» إلا أن الواقع كان يشير إلى أنها كانت «يمن أخرى» لوجود تطابق بينهما فى الجمود والتخلف، وتشابه كبير بين نظام الإمامة فى اليمن، والنظام الملكى فى السعودية.. ويكفى أن نذكر فى هذا الصدد، تماثل النظامين فى الأساس الدينى للشرعية السياسية، وقواعد توريث الحكم وغياب المؤسسات التشريعية، والتنظيمات الحزبية، والنقابية، فضلا عن ذلك الامتداد الجغرافى[١] لولا الحرمين الشريفين التى تمنح حاكمها شهرة وحصانة، فضلا عن وجود البترول بكميات هائلة مكنت الأسرة السعودية من دفع الهبات والرشاوى للكتاب والصحفيين للدعاية لهم على حد ما ذكره الوزير البريطانى جوردان Jordan فى جدة[٢] وكذلك فيلبى Philby الذى أمضى فى البلاد السعودية ٤٠ عاما[٣].

وأمامنا كتاب ألفه الأمير طلال بن عبد العزيز، عام ١٩٦٢م، وكان يشغل آنذاك منصب وزارة المالية، تحدث فيه عن أوضاع المملكة، ووصفها «بأنها سيئة، وشاذة وعجيبة»[٤] ثم قال: «إن من يتأمل أوضاعنا يكاد يعتقد أننا شعب عقيم، وأن أرضنا قد حكم عليها بأن تكون أرض التخلف والجهل، وأننا لم نخلق لندلى بدلونا فى حضارة أو معرفة، أو تقدم، وأنه مقضى علينا بالجمود فى عالم دائم الحركة سريع التطور»[٥]. وحمّل أسرته مسؤولية تلك الأوضاع بقوله: «لا شىء يعوق تطورنا نحو الإصلاح السياسى والخير الاجتماعى أصعب مراسا من تلك العقلية البدائية التى تتصور أن بقاءها رهنا ببقاء الجهل، والتبعية، وباستمرار الظلم، والبطش، والحرمان»[٦].

ونظرا لأن الولايات المتحدة هى المسؤولة عن حماية المملكة، فإن الجيش، كما ذكر الأمير طلال: «ظل قليلا فى عدده، ضعيفا فى عدته.. وأن مئات الملايين من الدولارات

التى صرفت من الخزينة باسم تسليح الجيش ضاعت فى صفقات غامضة مريبة»[٧]. ثم أشار إلى الزراعة «بأنها أهملت إهمالا كبيرا»[٨] وكذلك الحال بالنسبة للصناعة «التى لا وجود لها»[٩] وترتيبا على ما سبق، فإن الاقتصاد السعودى، حسب وصفه: «واهن الأساس ضعيف البنيان، حتى ليتهدد ذلك مجتمعنا وكياننا، ذاته، بأخطار كثيرة»[١٠].

وأشار إلى أفراد الأسرة المالكة بأنهم «يتقاضون مخصصات طائلة ترهق خزانة الدولة.. وبينما انغمس البعض فى الترف نزل الأكثرون إلى أدنى مستويات العيش. وذاقوا ذل الحاجة ومرارة الحرمان.. لقد منّ الله على بلادنا بالخير، واختارها مهبطا للإشعاع الإلهى فى العالم كما منّ علينا بمصادر الثروة الطبيعية الهائلة المتمثلة فى منابع البترول الغنية، فبددنا كلتا الثروتين: الروحية والمادية، فلم نرع حرمات مركزنا الدينى وتراثنا الروحى، ثم بددنا ثروتنا المادية فلم نسخرها للخير العام، بل جعلناها وقفا على فئة مترفة من الناس، وحراما على سواد الشعب إلا صدقة وإحسانا»[١١].

وكان السفير الأمريكى قد نبّه حكومته إلى سوء الوضع الاقتصادى وافتقار البلاد إلى النظم المالية[١٢]، وتابع فى مذكرته، بتاريخ ١٤ فبراير ١٩٥٣م: «إن البلاد ليست عصرية ولا شبه عصرية وتسير كيفما اتفق، وهى تعانى من التخلف فى كافة المجالات، فلا صناعة ولا مواصلات.. إلخ»[١٣]. وفى هذا الصدد، نشرت صحيفة المدينة، شبه الرسمية، بعنوان بارز، فى عددها الصادر يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٥٩م: «حلم الشعب السعودى تعبيد الطرق بالمملكة».

ولأن الاقتصاد السعودى، كان ولا يزال يعتمد على البترول كمورد رئيسى، فقد جعل كل بناء، أو إنجاز مهددا بالخطر. ففى خلال فترة البحث وطبقا للمصادر الأمريكية، كانت عوائد البترول تمثل ٨٥٪ بالنسبة للموارد الاقتصادية[١٤]، تستنزف الأسرة السعودية أكثر من ٥٠٪ منها[١٥].

وظل الحال على ما هو عليه، حتى اشتعال الثورة اليمنية ١٩٦٢م، حيث اشترط الرئيس الأمريكى، كيندى، وضع برنامج للتحديث فى السعودية مقابل تعهده بالدفاع عنها[١٦] خشية سقوط المصالح الأمريكية، بانهيار النظام السعودى نفسه.

(ب) اليمن:

طبقا لوصف المستر «كومر» Komer أقدم أعضاء مجلس الأمن القومى الأمريكى، فى مذكرته للرئيس كيندى، عقب اشتعال الثورة اليمنية فى سبتمبر ١٩٦٢م «فإن نظام الإمام فى

اليمن يعد أحد الأنظمة الأكثر تخلفا فى العالم»[١٧]، أو «إن اليمن هو الأكثر عزلة وتخلفا» كما قال أحد الكتاب الغربيين[١٨]، أو هو «تِبِتْ العرب» بتعبير السفير الأمريكى فى القاهرة «جون بادو» Badeau[١٩]، بل إنه عند الكاتب الأمريكى ريتشارد سانجر «أقل أعضاء الأمم المتحدة نصيبا من معرفة الناس.. فلو سألت عشر أشخاص عن عاصمة «التِبِتْ» فستكون إجابتهم الفورية بأنها «لاهاسا» لكنك لو سألت نفس الأشخاص عن عاصمة اليمن؟ فإن معظمهم سيسأل: «أين هو اليمن»؟. والغريب فى الأمر أن «التِبِتْ» مختفية وراء الهند، بينما اليمن تمتد سواحله أكثر من ثلاثمائة ميل على الساحل الجنوبى الشرقى للبحر الأحمر الذى يصل الشرق بالغرب[٢٠].

وحينما وصل «رالف بانش» Bunch إلى صنعاء، عقب اشتعال الثورة، كمبعوث للأمم المتحدة، عبّر عن استيائه مما رآه من بؤس، وتخلف قائلا: «إننى قبل حضورى إلى اليمن كنت أتصور أن الكونغو هى أكثر الدول تخلفا فى العالم. لكننى وجدت أن اليمن أكثر تخلفا.. ولو كنت مسؤولا عن محاكمة أفراد أسرة «حميد الدين» لجئت بهم، وشنقتهم فى قاعة الأمم المتحدة ليكونوا عبرة لغيرهم من الحكام المستبدين، الظالمين، الطغاة»[٢١].

والواقع، فإن السعوديين يشاطرون الإمام مسؤولية ما وصل إليه اليمن، فمنذ هجومهم الساحق عليه عام ١٩٣٤م، بقيادة الأمير فيصل بالتنسيق مع الإنجليز[٢٢] صار يتبع خط الرياض ولا يقوم بأى عمل سياسى إلا بعد التشاور مع الحكام السعوديين[٢٣] الذين رأو أن من مصلحتهم المحافظة على جارهم الضعيف فى الزاوية التى حُشر فيها[٢٤].

(جـ) عدن وجنوب اليمن:

طبقا لما ذكره قحطان الشعبى، أمين عام «الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل» فإن الاستعمار قسم منطقة الجنوب إلى أكثر من خمس وعشرين سلطنة، ومشيخة، وإمارة، وبجانب كل سلطان، أو أمير، أو شيخ مستشار بريطانى بيده مقاليد السلطة الحقيقية[٢٥].

ولكن بعد إعلان قيام الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٥٨م سارعت بريطانيا إلى إعلان مشروعها الاستعمارى فى ١١ فبراير ١٩٥٩م لإقامة «اتحاد الجنوب العربى»[٢٦]. وهذا الاتحاد الشكلى والذى أبقى على سلطات الحكام فى إماراتهم وسلطناتهم، لم يكن أكثر من تجمع للقوى الرجعية المرتبطة بالاستعمار، وتكتيلها للوقوف، بقوة السلاح الإنجليزى، فى وجه التيار الشعبى التحررى المتعاظم، كما أن الاستعمار كان يرى فى الاتحاد مجرد

وسيلة لإيجاد إدارة واحدة تشرف على الإمارات، أو السلطنات التى يرأسها الحاكم الإنجليزى. إدارة لها صفة «الشرعية» تستطيع أن تتدخل فى كافة شؤون الإمارات بدرجة أكبر من السابق، وتنسق أوضاعها بما يخدم مصالح الاستعمار. والرجعية المرتبطة به[٢٧]. فالإنجليز يسيطرون على سياسة الاتحاد سيطرة تامة، وذلك طبقا للمادة الثانية من المعاهدة الاتحادية، والتى تقول: «سوف تشرف المملكة المتحدة، ويكون لها المسؤولية الكاملة بشأن علاقات الاتحاد مع الدول الأخرى، وحكوماتها، والهيئات الدولية، وسوف لن يدخل الاتحاد فى أية معاهدة، أو اتفاقية أو مراسلات، أو علاقات أخرى مع أية دولة، أو حكومة، أو هيئة بدون معرفة وقبول المملكة المتحدة»[٢٨].

وبعد اشتعال الثورة فى شمال اليمن، عام ١٩٦٢م قام الحاكم العام بضم عدن إلى الاتحاد المذكور، على كره منها، كما تذكر المصادر الأمريكية، التى أضافت أن ضم عدن قد تم بالتنسيق بين الحاكم العام والمجلس التشريعى[٢٩] وهو مجلس استشارى، تشكل عن طريق التعيين، ويضم ١٦ عضوا: أربعة موظفين بريطانيين من دائرة المستعمرات، وأربعة رسميين ممن يستخدمهم التاج، وثمانية أعضاء يختارهم الحاكم العام من مختلف فئات الشعب، خاصة البريطانيين، والعرب، والهنود، واليهود[٣٠].

كما عملت سلطات الاحتلال على فتح باب الهجرة الأجنبية إلى عدن، وسهلت للمهاجرين العيش فى شكل أعمال تجارية، ووظائف فى الحكومة، والشركات، والبنوك على حساب أبناء البلاد، وبعد أن تكونت الجاليات الأجنبية، صارت نصيرا للاستعمار فى سياساته ومخططاته[٣١]. وفى هذا الخصوص اختص قحطان الشعبى الإيرانيين، والهنود، واليهود بالذكر، قائلا: «إنهم تعاونوا مع الاستعمار ضد مصالح الشعب، بينما كان الباكستانيون، والصوماليون مهيئين للاندماج فى البيئة الوطنية»[٣٢].

وهنا لابد من الإشارة إلى أن الجاليات، فى معظمها قد استقرت فى مدينة عدن، التى كانت تضم عمالا صناعيين، ومهنيين، فضلا عن الأعمال التجارية[٣٣] أما بقية المناطق فيغلب عليها الطابع القبلى، البدائى، يعيش أهلها على الكفاف فى حياة متدنية، ومعزولة عن الحضارة[٣٤]. وبدلا من الدخول فى تفاصيل الأوضاع الصحية والتعليمية، والاقتصادية، سنكتفى بما قاله أحد المثقفين اليمنيين الجنوبيين، فى معرض تعليقه على الأوضاع هناك: «بأنه لو أراد أحد الدارسين أن يعد رسالة عن أنماط العصور الوسطى، فليأت إلى هنا، ويدرس أساليب المعيشة ثم ليقدم رسالته وهو واثق من نجاحه»[٣٥].

(د) منطقة الخليج العربى:

فـى وصفها لإمارات الخليج قالـت الخارجية الأمريكية: «إنهـا كيانات entities تعانى من الضعف السياسـى، وأنها تعتمد على الإنجليـز فى حمايتها»[٣٦]. وتجاهلت حقيقة أن حلفاءها الإنجليز هم الذين قسـموا الخليج إلى أقسام بهدف إحداث المزيد من النزاعات المذهبية والقبلية وهى: عمان، ومسـقط، وساحل عمان الذى تجزأ بدوره إلى سـبع وحدات سياسية هى: أبو ظبى، ودبى، والشارقة، وعجمان، وأم القوين، ورأس الخيمة، والفجيرة[٣٧].

وبرغم ضآلة عدد أهالى هذه المشيخات (١٠،٠٠٠ نسمة تقريبا) فقد كانت تفصل بينهما حواجز جمركية، وأخذ بعضها يصدر فى الخمسـينيات جوازات سفر[٣٨] مما يعنى أن كل مشـيخة قد اكتسبت جنسـية خاصة، ولكل منها حاكمها، وعلمها، ونظامها، مع أن أيا منها ليس لها من الوسـائل ما يمكنها من العيش وحدها[٣٩] ومن ثم التحول إلى دولة قائمة بذاتها[٤٠]، ذلك أنه كلما كانت الإمارة أصغر كان سيرها نحو الحماية البريطانية أسرع[٤١].

وهنـا لابد من الإشـارة إلى معاهدات «الصلـح الأبدى» التى وقعتها إمارات السـاحل عـام ١٨٥٣م مع بريطانيا، التى أجبرت الأطراف الموقعة عليها على عدم رد أى اعتداء قد يقع عليها، والاكتفاء بتقديم شكوى إلى السلطات البريطانية[٤٢].

ولم تمض سـنوات طويلة، حتى دخلت جميع الإمـارات العربية فى معاهدات حماية مـع بريطانيا، أكثر إذلالا من المعاهدات السـابقة، وأكثر تقييدا، وصفت بأنها «معاهدات مانعة وأبدية»[٤٣] فهى تمنع الأمير، أو الشـيخ من الدخول فى اتفاقيات أو مراسـلات مع أى حكومـة غير الحكومـة البريطانية، وتمنعه من الموافقة علـى إقامة وكيل لأى حكومة إلا بموافقة بريطانيا كما تمنعه من أن يتخلى، أو يؤجر، أو يرهن، بأى شكل من الأشكال، ولأى سبب من الأسباب، قسما من أراضيه إلا بإذن بريطانيا، مقابل حمايته.

ولأنهـا غير مقيدة بفـترة زمنية فبالإمكان اعتبارها أبديـة[٤٤] وبالرغم من وصفها بأنها معاهدات جائرة[٤٥] إلا أن الأمراء والشـيوخ قد وقعوا عليها تباعا[٤٦]: البحرين (١٨٦١م)، وكل من مسقط (١٨٩١م)، وأبو ظبى، ودبى، ورأس الخيمة، والشارقة، وعجمان (١٨٩٢م)، والكويت (١٨٩٩م)، والسـعودية (١٩١٥م)، وقطر (١٩١٦م). وبهذا أصبح الخليج العربى «بحـيرة بريطانية»[٤٧] وظل الوجود العسـكرى البريطانى ينمو باطـراد منذ عام ١٩٥٦م،

فقد اعتبر التوسع فى القواعد البحرية، والجوية فى عدن والبحرين، والشارقة بمثابة تعويض عن تصفية قاعدة قناة السويس(٤٨).

ونخلص إلى القول إن الخليج لم يشهد أى تطور اقتصادى أو اجتماعى منذ وطأته أقدام المستعمرين الإنجليز، فقد جاء فى تقرير اللجنة التى زارت منطقة الخليج يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٦٤م بتكليف من الجامعة العربية «إن بريطانيا لم تنشئ أى طريق يربط هذه الإمارات الصغيرة بعضها ببعض، برغم الاستعمار الطويل، ووجودها غير الشرعى فى المنطقة نحو ما يقرب من ١٣٥ عاما، ولم تنشئ أى مشروع للرى، أو مشروع لتوفير مياه الشرب، أو الكهرباء، ولم تبذل أى نشاط تعليمى، أو ثقافى، أو صحى، أو اقتصادى، وكل ما فعلته أنها أنشأت مدرستين مهنيتين صغيرتين، إحداهما فى الشارقة عام ١٩٦٢م، والثانية فى دبى، فى العام الذى تلاه»(٤٩).

والأخطر مما سبق، أن السلطات البريطانية فتحت الباب أمام الهجرات الإيرانية، والهندية والباكستانية، والأفغانية، ومن إثيوبيا، والملايو، وسيلان خاصة إلى أبى ظبى(٥٠).

وعلى ذكر هذه الإمارة، فلقد أشار إليها أحد الكتاب الغربيين (جون بولوك) عام ١٩٦٢م بقوله: «إن الطريق الوحيد المرصوف فيها كلها لا يتعدى نصف ميل من الطين المرصوف، ولم يكن هناك وجود لمستشفى، أو عيادة، ولم تكن هناك بناية واحدة ذات أهمية معمارية، ولو استثنينا الحصن فليست هناك بيوت على الإطلاق، بل أكواخ مبنية من الطين وسعف النخيل وعلى ذلك فلا يوجد هناك سبب يحول دون قيام المخططين بمحو كل شىء عن وجه الأرض والبدء من جديد»(٥١).

وكل ما فعله الإنجليز هو إثارة الفجوة بين الحكام، وتقديم المساعدات لحاكم ضد آخر على رغم صِلات القرابة التى تجمع العديد منهم(٥٢) هذا فضلا عن تنمية النزاعات المذهبية، من أباضية، وشيعية، ووهابية، وما إليها(٥٣). وقد اتصل بهذا الوضع الانقسامى وضع آخر شاذ، وهو الطريقة التى رسم بها الاستعمار خطوط الحدود، لإحداث المزيد من المشاكل(٥٤) حتى يمكننا القول إنه لا توجد منطقة فى عالمنا الحديث تعانى من مشاكل تخطيط الحدود السياسية كما تعانيه منطقة الخليج العربى، ولأنها غنية بالبترول، فإن أى انحراف فى امتداد الحدود، مهما يكن يسيرا قد يفقد إحدى الدول ثروة بترولية ضخمة تكسبها الإمارة المجاورة(٥٥). والمثير للسخرية، أن برينكلى Brinkley مدير قسم الشؤون العربية

بالخارجية البريطانية، راح يقول مدافعا عن وجهة نظره القائلة بصعوبة إقامة اتحاد يضم إمارات الخليج «إن كل حاكم من حكامها يكن بغضا شديد للحاكم المجاور له»[٥٦].

أما عن تقصير الاستعمار البريطاني، وإبقائه على الأوضاع المتخلفة، فإن جيفرى هاريسون Geoffrey Harrison، نائب وزير الخارجية البريطاني، أصر على القول أمام بعض مسؤولى وزارتى الخارجية والدفاع الأمريكيتين، لدى اجتماعه بهم فى واشنطن يوم ٣٠ يناير ١٩٦٤م: «إن حكام إمارات الخليج محافظون، ومتخلفون، ويصعب دفعهم إلى الأمام بالسرعة المطلوبة»[٥٧].

المحور الثانى:

عبد الناصر ودوره فى دفع حركة الإصلاح فى المملكة السعودية:

لم يهتم الرئيس عبد الناصر ببلد قدر اهتمامه بالمملكة السعودية، وحسبنا أن نذكر أنها البلاد الوحيدة التى زارها خمس مرات[٥٨]. ولقد كان صريحا للغاية مع الملك سعود لما زاره فى أغسطس ١٩٥٤م، حيث تحدث معه عن «ضرورة صيانة أموال البترول والحرص عليها، من أن تذهب إلى هاوية الإسراف وبناء القصور، ومظاهر البذخ التى تسىء إلى الأسرة المالكة ولا تحسن لها» ثم حدثه عن «ضرورة إعداد برنامج إصلاحى يضع أمام عينيه رفاهية الشعب فى السعودية» وقال: «إن مصر على استعداد لأن تضع خبراتها تحت تصرف المملكة بغير تحفظات»[٥٩].

والحق، فإن مصر الثورة، من جانبها، لم تبخل بأى جهد لوضع البدايات والأسس لكل ما يمكن أن يقام عليه بناء دولة حديثة، فاستقبلت مئات الطلبة الذين التحقوا بمدارسها، وجامعاتها، ومعاهدها[٦٠] وكلياتها العسكرية الثلاث: الحربية، والجوية، والبحرية. وتفخر الكلية البحرية بأن خريجيها هم الذين أوجدوا سلاح البحرية السعودى من العدم. كما تخرج عشرات الضباط من معهد الضباط الاحتياط، بمدينة التل الكبير، ليكوّنوا مع أقرانهم، خريجى الكلية الحربية، وسلاح الصيانة، نواة الجيش السعودى[٦١].

وفى الوقت ذاته، أرسلت القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية فى يناير ١٩٥٥م بعثة مؤلفة من ٤٠ ضابط، وضابط صف للتدريس فى الكلية الحربية السعودية التى أفتتحت فى ذلك العام، بمدينة الرياض، وكذلك تدريب الضباط وضباط الصف السعوديين فى مختلف مدارس أسلحة الجيش: مشاة، ومدرعات، ومدفعية، وإشارة، وتربية بدنية، ومظلات،

حيث أنشأ العقيد «الزغبى» أول وحدة سعودية منقولة جوا، كما أنشأ مدرسة المظلات، التى تخرج منها مئات الضباط، وضباط الصف[٦٢]، فضلا عن عقد دورات فى مدرسة المظلات بالقاهرة، لهذا كان «فوج المظلات» هو أفضل الوحدات السعودية على الإطلاق، ونموذجا لباقى الوحدات.

وفى مجال ذى صلة، أخذت كلية الشرطة فى القاهرة تستقبل، هى الأخرى، أعدادا من الطلبة السعوديين بدءا من سنة ١٩٥٤م[٦٣]. وفى قرية «سرس الليان» كان هناك عشرات من الموظفين السعوديين يشتركون فى دورات تدريبية، على أيدى خبراء مصريين، فى مجالات الخدمات العامة، والصحة، والبيئة والفنون المختلفة[٦٤].

ولكن وبالرغم مما بذل من جهد، فإن محاولات الإصلاح قد باءت بالفشل، كما قال الأمير طلال، الذى عزا الأسباب إلى «إصرار المسؤولين على بقاء الأوضاع البالية واستمرار النظم البدائية القائمة» على اعتقاد منهم «بأن بقاءهم مرهون ببقاء الجهل والتبعية وباستمرار الظلم والبطش والحرمان»[٦٥]. لهذا فإن اشتعال الثورة اليمنية، كما قال كومر Komer جعل السعوديين يرتعدون خوفا، على اعتقاد منهم، بأن البيت السعودى سيكون الهدف التالى للناصرية»[٦٦].

وخصت إحدى الوثائق الملك سعود بالذكر، بأن قالت: «إنه يعتبر النظام الثورى فى اليمن الموالى لعبد الناصر، يشكل تهديدا مميتا لوضعه»[٦٧] بسبب الامتداد الجغرافى بين البلدين وما قد يترتب عليه من العدوى من اليمن حيث كان هناك تماثلا بين النظام الإمامى والسعودى فى الأساس الدينى للشرعية فى السياسة والحكم، وقواعد توريث الحكم وغياب المؤسسات التشريعية والتنظيمات الحزبية، والنقابية[٦٨].

أما الأمير فيصل، الذى كان فى نيويورك، لحضور جلسات الأمم المتحدة، فإنه أسرع فى الذهاب إلى واشنطن، حيث كتب كومر للرئيس كيندى مذكرة بتاريخ ٤ أكتوبر يقول: «فيصل هنا لمعرفة مدى اعتماد بلاده على مساندة الولايات المتحدة، إنه لا يريد أكثر من نصف ساعة يتحدث فيها، على انفراد، معك، بدون حضور أى من السعوديين»[٦٩]. ولقد حاول الأمير لدى اجتماعه بالرئيس، كيندى، يوم ٥ أكتوبر، أن يقنعه «بأن هدف عبد الناصر هو سحق الحكومة السعودية.. وأنه ما لم تتخذ الإجراءات ضد النظام الجديد وعودة الأوضاع فى اليمن إلى ما كانت عليه، فإن اليمن سوف يصبح

قاعدة للشيوعية ومركزا للنشاط الهدام»[٧٠]، إلا أن الرئيس كيندى، نصحه بإعداد برنامج للإصــلاح، والقيام بأعمــال مدنية فى المملكة الســعودية وذلك بإقامــة الطرق والمبانى، والمنشــآت الحكومية، مع وعد بإرسال عناصر من ســلاح المهندسين الأمريكى للاشتراك مع الجيش الســعودى للقيام بتلك الأعمال موضحا: «أن برنامجا كهذا سوف يظهر مدى حــرص الولايات المتحدة على تقدم المملكة الســعودية وازدهارهــا، واختبار مدى فاعلية القوات المسلحة فى الأغراض السلمية»[٧١].

وما أن التقى تالبوت Talbot، مســاعد وزير الخارجية لشــؤون الشــرق الأوســط يوم ٩ أكتوبر حتى نصحه بالآتى:

أولا: تشــكيل قيادة حازمة مســتنيرة تتولى إدارة شؤون البلاد، التى اهتزت، وأمست بلا ضابط بسبب أحداث اليمن.

ثانيــا: إدخال بعض النظم المطلوبة لتقوية البنية الداخلية للنظام، ومحاولة اكتســاب التأييد الشــعبى عن طريق تجديد الحكومة، والتعجيــل ببرنامج التطوير الاقتصادى، مع إقامة حكومة دستورية.

ثالثا: البدء فى تبنى سياسة خارجية ديناميكية جديدة.

كما اقترح تكليف السفير فى جدة «بحث السلطات السعودية، على دفع عملية الإصلاح والتقدم فى المملكة، على اعتبار أنها أفضل الوسائل الدفاعية لمواجهة الأحداث فى اليمن، ولتكون بمثابة الرد على رسالة ناصر الثورية»[٧٢]. وبالفعل، فلقد بعث نائب وزير الخارجية بال Ball إلى الســفير فى جدة هارت Hart برقية قال فيها: «إن اهتمام الولايات المتحدة بالاســتقرار فى المملكة الســعودية، وحماية المصالح الأمريكية الحيوية فى المملكة صار أمرا معلوما لدى القاهرة، إلا أن ما نخشاه أن يفسر فيصل ضمان حمايتنا للمملكة، واستقرارها تفســيرا خاطئا، بأن يعتقد أن الضمان يشــمل الحفاظ على الأســرة السعودية بأى ثمن»، مطالبــا «بأن يبدأ فيصل، على الفور بوضع برنامج للإصلاح والعصرنة Modernization، ولسوف يجد منا كل عون مادى ومعنوى»[٧٣].

ولقــد أكد علــى ذلك الرئيس كيندى، بأن أرســل خطابا للأمير قــال فيه، ما معناه: «أن الحماية الأمريكية للســعودية مشــروطة بتحديثها»[٧٤]. وفى مذكرة بتاريخ ٧ نوفمبر، طلــب وزير الخارجية من ســفيره فى جــدة التركيز على الأعمال المدنيــة civic actions

مشـــيرا إلى أن الحكومـــة الأمريكية قد وضعت بعض الخطط اللازمـــة لتنفيذ هذا البرنامج، كما أنها ســوف تســاعد فى برنامج التطوير الاقتصادى بواسطة «فريق المسح الاقتصادى. التابــع لمجلس التخطيط الأعلى الأمريكى" U.S Economic Survey Team. Supreme Planing Board.

ومضيفا أن المسؤولين الرسميين فى الحكومة الأمريكية قد أوضحوا لفيصل، لدى زيارته لواشنطـن «أن المصالح الحيوية للولايات المتحدة فى المملكة السعودية هى التى تبرر تقديم المســاعدات الكاملة للمملكة السعودية والمحافظة على استقلالها، لمنع أى تدخل خارجى فعلى.. إننا نأمل أن يعى الأمير فيصل جيدا «أن تعهداتنا للأسرة السعودية على هذا النحو مشــروطة بتحديث المملكة الســعودية وتقدمها، ولا يتضمن الحفاظ على الأســرة السعودية بأى ثمن»[٧٥] وكان وزير الخارجية قد بعث ببرنامج متكامل للإصلاح إلى السفير يتكون من ١٠ نقاط هى[٧٦]:

١ – الحد من إسراف (فقرة محذوفة) العائلة السعودية المالكة.

٢ – زيادة المشاركة الشعبية فى الحكومة.

٣ – التخلص من (فقرة محذوفة) الموظفين الدينيين.

٤ – الإسراع فى وضع آليات لصنع القرار.

٥ – إزالة العقبات أمام البرنامج الاقتصادى، ليواصل انطلاقه.

٦ – الحد من الرشاوى، ووسائل الكسب غير المشروع فى الأجهزة الحكومية.

٧ – تحسين وضع القضاء، وتحقيق العدالة.

٨ – تكثيف الجهود لتحسين النظام التعليمى.

٩ – الحد من البيروقراطية.

١٠ – إلغاء الرق.

ثم أبرق الوزير بتوجيه إلى كافة سفراء الولايات المتحدة فى المنطقة، جاء فيه: «إن أنسب الحلول بالنسبة لفيصل لمواجهة «خطر الناصرية» Nasserist Danger يتلخص فى الآتى[٧٧]:

١ – التركيز على برنامج التحديث، من أجل تقوية البنية الاجتماعية فى السعودية.

٢ – تحســين قدراته العســكرية بهدف الدفاع عن نفسه، مع تفادى تعريض جيشه وباقى مؤسسات بلاده الضعيفة إلى إرهاق لا طائل منه.

وفيما يتعلق بالفقرة الأخيرة، فإن الوزير طلب من سفيره إبلاغ فيصل بالكف عن مساعدة الملكيين (فى اليمن) بالأموال والأسلحة حتى لا يتعرض موقفه الضعيف للخطر، وأنه من الأفضل له تحسين قدراته الدفاعية، وتقوية البناء الاجتماعى فى بلاده، مؤكدا على «أن التقدم فى هذين المجالين هو الكفيل بتقليل التهديد الذى يشكله عبد الناصر»[٧٨].

ويمكن القول إن الإدارة الأمريكية، وهى تتحرك نحو عملية الإصلاح فى السعودية كانت تدرك هذه الحقيقة وهى «أن الناصرية قد شكلت تحديا مباشرا لنظام الحكم السعودى، بعد أن مست الحياة الاجتماعية، والسياسية فى المملكة مسا عميقا وذلك حسبما تبدى فى الحالات الآتية»:

١ - ثورة الطيران: حيث وصلت الطائرة C123 يوم الثانى من أكتوبر ١٩٦٢م إلى مطار الماظة، بقيادة النقيب/ طيار «رشاد ششه» ومساعده، النقيب/ طيار «أحمد حسين طه» والفنى «عمر أزمرلى» تحمل شحنة من الأسلحة والذخائر كانت من المفروض أن تهبط فى مطار نجران لاستخدامها ضد الثورة اليمنية.

وفى اليوم التالى، وصلت طائرة أخرى يقودها النقيب/ طيار «محمد عبد الوهاب» ومساعده الملازم أول طيار/ «محمد على زهرانى». وفى يوم ٨ أكتوبر وصلت طائرتان بقيادة كل من «أحمد موسى عواد» و«عبد اللطيف يغمور»[٧٩] مما ينم عن وجود حركة تمرد واسعة داخل الجيش السعودى»[٨٠].

ولقد ألقت ثورة الطيران بظلالها على علاقات الأسرة السعودية بالرئيس الأمريكى كيندى، لأن الأسلحة والذخائر التى تم شحنها على الطائرة C123 هى طائرة أمريكية الصنع كانت معبأة فى صناديق تحمل عليها صورة «اليدين المتصافحتين» شعار برنامج المساعدات الأمريكية، وبدا الأمر وكأن الولايات المتحدة متورطة فى تدخلها ضد الثورة اليمنية[٨١].

٢ - قيام التنظيمات المعارضة، أهمها «اتحاد شعب الجزيرة، الذى ضم ضباط من الجيش وضباط صف، ومدنيين، هذا فضلا عن «اتحاد أبناء الجزيرة العربية، الذى شكله ناصر السعيد العامل السابق فى شركة أرامكو»[٨٢].

٣ - الانقسام داخل الأسرة السعودية ذاتها، بين طلال ومعه ٤ من الأمراء (عبد المحسن وبدر، وفواز بن عبد العزيز، وسعد بن فهد) وباقى الأسرة حول القيام بإصلاحات وإجراء تغييرات فى نطاق الشرع[٨٣].

وكان الأمير طلال قد أعلن من صوت العرب، فى ٢٣ أكتوبر ١٩٦٢م، عن قيام «جبهة التحرير العربية» وذكر أن التنظيم الجديد سيناضل من أجل إقامة نظام ديمقراطى فى السعودية، وإلغاء الرق، وإعادة النظر فى اتفاقيات الامتيازات النفطية بغية حماية مصالح البلد، وإنشاء شركة وطنية لاستخراج النفط، والكفاح من أجل تحقيق الوحدة العربية، وضد الأحلاف الاستعمارية والقواعد العسكرية[٨٤].

وكان من الجائز ألا يلقى هذا الإعلان أى أهمية لدى القوى الوطنية لولا استقبال الرئيس عبد الناصر للأمراء الأحرار يوم ٢٠ أغسطس، حيث أبدى تأييده، ودعمه لهم[٨٥].

٤ – توقيع ٦ من أعضاء الحكومة السعودية، من غير المنتمين للأسرة السعودية، على مذكرة طالبوا فيها بالاعتراف بالنظام الجديد فى اليمن، مما أحدث انقساما داخل الحكومة، بين معارض ومؤيد، بينما كان موقف الملك سعود مذبذبا[٨٦].

وباليقين فإن ثمة علاقة بين موقف الملك سعود والفتوى التى أصدرها رجال الدين الوهابيين أخوال الأمير فيصل، يوم ٢٩ مارس ١٩٦٤م «بأن يقوم الأمير بتصريف جميع شؤون الدولة الداخلية والخارجية فى حضور الملك سعود وغيبته، بدون الرجوع إلى الملك فى ذلك»[٨٧] ثم خروج الملك سعود من البلاد رغما عنه فى ٣ نوفمبر ١٩٦٤م[٨٨].

ولتسليط الضوء على هذه الفتوى ودوافعها، فلابد من الإشارة إلى تقرير المخابرات الأمريكية CIA الذى أفاد «بأن الأنظمة الملكية فى كل من المملكة السعودية، والأردن، وليبيا تقع تحت ضغط متزايد من قبل القوى الوطنية» محذرا من «إمكانية سقوط أحد تلك الأنظمة خلال السنوات القريبة القادمة»[٨٩].

ولابد من الإشارة أيضا، إلى الزيارة التى قام بها «عمر السقاف» نائب وزير الخارجية (فيصل) إلى واشنطن يوم ١٥ مايو ١٩٦٤م، كى يقول لوزير الخارجية الأمريكى راسك «إن الأمير فيصل غير راض عما أُنجز من إصلاحات حتى الآن، وأنه لكى يتحرك بمعدل أسرع فلابد من حل المشكلة القائمة الآن داخل الأسرة المالكة». ومما جاء فى التعليق: «أن الأمير فيصل قد تمكن يوم ٢٨ مارس، بمساعدة رجال الدين وبعض أفراد الأسرة السعودية من تولى السلطة، وتقليص دور الملك سعود»[٩٠].

ولابد من الإشارة، ثالثا، إلى ما قاله نائب مساعد وزير الخارجية الأمريكية جيرنكان Jernegan أمام «فريق خاص» Special Group من المخابرات الأمريكية «عما يمثله

عبد الناصر من تهديد للحكومة السعودية» مؤكدا على «ضرورة الحفاظ على نظام فيصل، باعتباره أفضل الأمراء الموجودين. وأن مصلحة الولايات المتحدة تقتضى الحرص على إنجاز برنامج الإصلاح والتطوير الذى يضطلع به فيصل. مشيرا إلى «أن الفريق الوطنى الأمريكى Country Team سوف يواصل البحث عن أفضل السبل لتنمية وتطوير الشباب والعمال (السعوديين) معلنا عن «انتهاء العمل فى إنشاء المكتبة والمركز الثقافى فى جدة». وما أن تحدث بل Bell الذى لم تذكر وظيفته. حتى حذفت سبعة أسطر من الوثيقة التى أفاد ما بقى منها «أن الفريق الخاص قد أقر الخطة المقترحة، وطالب بتنفيذ الإجراءات المطلوبة مباشرة. كما طلب من السفير فى جدة إبلاغ «الفريق الخاص» بما يجرى داخل المملكة السعودية كل ستة أشهر»[٩١].

وباستعراض الإصلاحات التى أنجزها الملك فيصل. نجد أنها لم تتعد الجانب الإدارى كما أن عمليات التحديث لم تمس جوهر النظام، الذى حاول فيصل إعادة ترتيبه وتقويته أمام المد الناصرى الجارف[٩٢]. ومن ناحية أخرى، فإن فيصل. فى تحركه كان يراعى مفهوم الإصلاح لدى أخواله. من آل الشيخ الوهابيين. الذين ساندوه ضد أخيه سعود وأوصلوه إلى سدة الحكم. مما دفع والت روستوف Walt Rostow المساعد الخاص للرئيس الأمريكى. لكتابة مذكرة للرئيس بتاريخ ٢٠ يونيه ١٩٦٦م. بمناسبة زيارة الملك لواشنطن قال فيها: «مع أن فيصل موال للأمريكيين. وأنه يكن إعجابا شديدا للرئيس. إلا إنه يجب تشجيعه على بذل المزيد من الجهد للقيام بالإصلاحات الداخلية. ونظرا لحساسية الموضوع فبإمكاننا أن نوحى إليه. بأننا بصدد تركيز جهودنا لتطوير المنطقة كلها، اجتماعيا مع الاهتمام بالحقوق المدنية.. إلخ. ثم نسأله. بطريقة غير مباشرة. عن كيفية سيره فى برنامجه الإصلاحى» مؤكدا للرئيس «بأن الإصلاح الاقتصادى والاجتماعى فى المملكة السعودية هو أفضل الوسائل لصد الشيوعية»[٩٣].

وذلك ردا على الطلب الذى تقدم به الأمير سلطان. وزير الدفاع. للرئيس الأمريكى حينما التقى به يوم ٢١ فبراير ١٩٦٦م «لمساندة الولايات المتحدة للمملكة السعودية فى جهودها الرامية لمكافحة الشيوعية، التى تحاول إيجاد موضع قدم لها فى اليمن بواسطة عبد الناصر[٩٤].

وبعد أن أحاله الرئيس إلى كومر فإن كومر كتب للرئيس مذكرة قال فيها: «إن السعوديين يهدفون إلى الحصول على مساندتنا لهم فى حالة شنهم الحرب ضد اليمن، ولأنه لن يكون

فـي مقدورنا الذهاب معهم إلى ذلك الحـد، فإن كل ما علينا عمله هو الإصغاء إليهم بآذان وديـة، مع إقناعهم بعدم ارتـكاب أى عمل أحمق»[٩٥] أما كريتـش فيلد Critch Field، مـن جهاز المخابرات، فقد أوصى «بـأن يُطلب من فيصل التركيز على القيام بالإصلاحات الاقتصادية والسياسية فى بلاده، حتى يبقى الذئب الشيوعى خارج الباب»[٩٦].

والخلاصة، فإن عملية تحديث المملكة السعودية، كما ذكر الكاتب الأمريكى «أنطونى كردسمـان» لم تبدأ إلا عـام ١٩٦٣م[٩٧] وأن محاولات فرض حالـة الجمود والتخلف[٩٨] لم تصمـد كثـيرا أمام ريـاح التغيير القادمـة من اليمـين، وذلك على حـد تعبير أحد الباحثين الإنجليز[٩٩].

المحور الثالث:

دور عبد الناصر فى تثبيت ثورة سبتمبر ١٩٦٢م فى شمال اليمن ضد الحكم الإقطاعى، ودعم ثورة أكتوبر ١٩٦٣م فى جنوبه ضد الإنـجليز:

فـي اعتقادنا أنه ليـس هناك ثورة عربية، أثبتت بالبراهين المخضبة بدماء الشـهداء، علـى أن ثورة ٢٣ يوليو هى الثورة القومية الأم الرائدة، والقائدة، والحاضنة، والمدافعة عن وليد ثورى عربى، كالثورة اليمنية[١٠٠]. فهذه الثورة التى أشعلها مجموعة شبابية عسكرية متأثرة بالفكر الناصرى[١٠١] فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م، هى التى أيقظت شبه الجزيرة العربية من سـباتها الطويل[١٠٢]، وكانت وراء كافة التطورات والتغييرات السياسية، والاجتماعية الهامـة التـى شملت كافة أرجائها[١٠٣]. وحسـب ما جاء فى تقييم صـادر عن المخابرات الأمريكية بتاريخ ٢٤ يونيه ١٩٦٤م «فإن حركة التغيير التى بدأت فى منطقة الشرق الأوسط منذ عقدين من الزمان، لم تبدأ فى شبه الجزيرة العربية إلا مؤخرا»[١٠٤].

ولا عجـب، فالمـكان الذى اشـتعلت فيه الثـورة يقع فى منطقة توصـف بأنها الأكثر «حيوية» كما أن شعب اليمن هو الأكثر عددا فى شبه الجزيرة العربية، وهو الشعب الذى لعب، منذ بداية التاريخ، أهم الأدوار الحضارية[١٠٥]. لهذا، كان وزير الخارجية «راسـك» دقيقا فى اسـتخدامه لكلمة «ثـورة» revolution بدلا من كلمـة «انقلاب» Coup d'etat فـى محادثاته، كتعبير عن حقيقة ما جرى يوم ٢٦ سـبتمبر فـى اليمن، مؤكدا على «أن الشعب اليمنى كان مهيئا للثورة بعد فشله فى تحقيقها مرتين سابقتين جادتين»[١٠٦] مشيرا بذلـك إلى محاولة «عبد الله بن الوزير» عام ١٩٤٨م ومحاولة العقيد «الثلايا» عام ١٩٥٥م.

التى ساهمت المملكة السعودية فى إجهاضهما[١٠٧]، حتى فى المحاولة الثالثة، تحركت السعودية بالفعل، منذ اليوم الأول لاشتعالها، بالسلاح والمال، بهدف القضاء عليها، كما شهد بذلك الأمير السعودى «عبد المحسن بن عبد العزيز[١٠٨]».

وحسبما تؤكد الوقائع، فإن الأمير «محمد بن سعود» وزير الدفاع أصدر أمرا يوم ٢٦ سبتمبر بنقل اللواء العاشر بطائرات سلاح الطيران، وطائرات الخطوط الجوية من منطقة «تبوك» فى أقصى الشمال إلى منطقة «جيزان» على الحدود اليمنية، وأنه بالفعل قد وضع جدولا زمنيا للتنفيذ على الفور[١٠٩]. وكما أفاد النقيب طيار «رشاد أحمد ششة»[١١٠] فإنه سبق له وأن كُلف عام ١٩٥٥م بنقل السلاح والذخائر إلى داخل اليمن لمواجهة ثورة الثلايا، وأنه لما شاهد الثلايا وزملائه فى ساحة الإعدام، شعر بوخز الضمير، ولذلك قرر يوم ٢ أكتوبر ١٩٦٢م المجىء بطائرته C123 المحملة بالذخائر، والأسلحة (المرسلة للبدر وجماعته) إلى القاهرة، ليثبت التدخل السعودى فى ذلك الوقت المبكر».

وفى هذا الصدد، قال تالبوت Talbot «إنه لما التقى بالأمير فيصل فى فندق «والدورف استوريا» عبّر له عن ثقته التامة بالقبائل فى شمال اليمن، مؤكدا له: «أنها سوف تزحف لاستعادة «الإمامة» قياسا على ما حدث فى الثورتين السابقتين»[١١١]. وهكذا لم يكن أمام قائد ثورة سبتمبر إلا أن يطلب النجدة من الرئيس عبد الناصر[١١٢] ويعترف السلال «بأنه لولا المساعدات المصرية لما أمكن لقوات الثورة الصمود أمام السعودية والقوات الموالية للبدر[١١٣]».

ولقد عبّر الأمير فيصل عن ضيقه لما راح يقول للرئيس الأمريكى «جون كيندى: «إن المتمردين ما كان بإمكانهم البقاء فى السلطة حتى الآن، لولا المساعدات الخارجية، ولما سأله الرئيس عما إذا كان يعنى بذلك مساعدات الجمهورية العربية المتحدة، أجابه الأمير: ليست الجمهورية العربية وحدها، بل والاتحاد السوفيتى أيضا[١١٤]، أى أن اليمن، كما قال الأمير: «ستتحول إلى قاعدة للشيوعية، والأعمال السرية، والتخريب، والتآمر على الجيران»[١١٥].

ولأن الرئيس الأمريكى كان يرى فى عبد الناصر زعيما تقدميا، وليس شيوعيا، وله وزنه المحلى[١١٦]، «وأن النظام الجديد فى اليمن ليس شيوعيا، ولن يعمل ضد المصالح الأمريكية، وأن كل ما هنالك أنه نظام ثورى موال لعبد الناصر، مما يعتبر تحديا للأنظمة المحافظة خاصة السعودية والأردن، وكذلك الإنجليز فى عدن»[١١٧] ولأنه أدرك من خلال

سفيره فى القاهرة «جون بادو» أن عبد الناصر لن يشكل أى تهديد لأمن السعودية[118] وأن الخطر الحقيقى الذى يهددها يكمن فى تخلفها الشديد[119] فإنه رفض الاستجابة لمحاولات فيصل الهادفة إلى استدراج الولايات المتحدة للتدخل ضد الثورة اليمنية، واستعدائه ضد عبد الناصر.

وحول ذلك يقول السفير السورى فى واشنطن «عمر أبو ريشة» الشاعر المعروف: «إن الأمير احتج بشدة على موقف الرئيس، لتشجيعه عبد الناصر على دخول اليمن، وأن هذا الموقف من شأنه أن يعرّض علاقات المملكة السعودية بالولايات المتحدة للخطر». وأضاف عمر أبو ريشة قائلا: «إن الرئيس كيندى أجابه إجابة قاسية قائلا: «إن اعتماد الولايات المتحدة على تأمين مصالحها النفطية فى دعم نظام السعودية المتخلف الرجعى يحمّلها مسؤولية أخلاقية أمام العالم المتحضر»[120]. ولعل هذا ما دفع الأمير إلى مغادرة الولايات المتحدة، على الفور، إلى لندن، التى وجد فيها تجاوبا قويا للعمل معه ضد الثورة اليمنية، لمنع انتشار خطرها إلى عدن، والجنوب العربى[121].

والمثير أن لحظة وصول الأمير فيصل إلى العاصمة البريطانية كانت لحظة مواتية تماما، فقد تزامنت مع وصول القوات المصرية إلى اليمن[122]. وتحت تأثير «عقدة محمد على»، راح الأمير يصرّح بعد عودته: «بأن المصريين قد جاءوا إلى اليمن ليستولوا عليه ويهدموا كيانه ويحطموه»[123].

غير أن الواقع كان يشير إلى«أن اليمن قد انتقل إلى دائرة الضوء بعد قرون من العزلة» على حد وصف أحد الكتاب الغربيين[124]، وأن رياح الثورة اليمنية – بتعبير محمد عودة – قد اكتسحت بقايا القرون الوسطى[125]، وأن عبد الناصر، كما قال مراسل صحيفة «لاستامبا» الإيطالية «أصبح رمزا لحياة أكرم»[126].

وهنا لابد من التذكير بالقرار الذى اتخذته الثورة الناصرية فى اليمن، القاضى بإلغاء الرق يوم ١٥ أكتوبر ١٩٦٢م[127] وهو القرار الذى أرغم فيصل على مجاراته، بأن ألغى الرق فى المملكة السعودية يوم ٢٨ نوفمبر من نفس العام[128]. ومما قالته مجلة «نيو ريبابلك» New Republic فى هذا الشأن إن «توماس فوكس» سكرتير جمعية محاربة الرق، فى لندن، قد بعث برسالة إلى الرئيس جمال عبد الناصر، أشاد فيها بدوره فى محاربة الرق فى شبه الجزيرة العربية»[129].

وباســتطلاع وجهــة نظر اليمنيــين، قال عبد العزيــز المقالح، رئيــس جامعة صنعاء: «بإن عبد الناصر ســوف يبقى علامة فاصلة بين عهدين: الماضى بما يعيشــه بين جوانبه مــن تخلــف، وفوضى، وإرهاب، والحاضر بمــا يحفل به من احتمــالات التقدم والأمل، وأن عملية الدعم العســكرى للثورة العربية فى اليمن ســوف تظل أشرف عمل عربى تم فى عصرنا حتى الآن.. وقبل ذلك، وبعد ذلك سوف يظل دور عبد الناصر فى اليمن رمزا حيا ليقظة الضمير العربى الحديث بكل ما يبشــر به من صحوة الأخوة القومية، ومن شــجاعة التضحية، وشرف النجدة، ونبل العطاء»[١٣٠]. وقال عبد الكريم الإريانى، أحد رؤساء وزراء اليمن «إن اليمن هبة الثقافة والتنوير المصرى»[١٣١]. أما الرئيس اليمنى على عبده صالح فقد قــال «إن مصــر التى دخلت اليمن بجيش يحمل البنــادق والمدافع، دفاعا عن الثورة، هى موجــودة أيضا، حتى الآن، فى حقول التعليم والثقافة، والاقتصاد، والمؤسســات الفنية، جيش النهضة العلمية والثقافية»[١٣٢].

وهل من شــهادة أقوى، فى هذا المجال، من شــهادة أحد خصوم الثورة البارزين – أحمــد محمد الشــامى – وزير خارجية النظام الملكى والــذى عمل ضد الثورة من الأراضى الســعودية منــذ ١٩٦٢م، ثم أصبح عضوا فى المجلس الجمهــورى، بعد إبرام الصلح مع الجانــب الملكى فى مارس ١٩٧٠م، حيث قال: «لقد تركت اليمن قرية مهجورة، فعدت إليها بعد أن أصبحت دولة كاملة، ولا شــك «إن الدور الذى قامت به الجمهورية العربية المتحدة فى هذا المجال لن يُمحى ولن يُنسى، وسيظل على الدوام علامة مُشرقة لما قدمته الشقيقة الكبرى لليمن»[١٣٣].

وكان بإمــكان اليمــن أن يكون أكثر ازدهارا لــو امتثل فيصل لنــداء الرئيس الأمريكى كينــدى، بالكف عن مواصلــة الحرب ضد النظام الجديد فى صنعاء، وتقديم المســاعدات الاقتصادية له[١٣٤] أو تركه وشأنه على الأقل، ولكنه، بدلا من ذلك، راح يواصل الحرب، غير عابئ بالنتائج، بالاشتراك مع الأردن وبريطانيا[١٣٥] بل وإيران أيضا[١٣٦]، وذلك تنفيذا للمخطط الذى أعده الرئيس الأمريكى، جونســون، الذى قاد انقلابا ضد سياســة الرئيس كيندى يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٦٣م بعد اغتياله حيث ســارع بإرســال برقية إلى الأمير فيصل، ألمح فيها إلى أن اليمن يكون «مصيدة» Trap «لأولئك الذين يسعون إلى فرض هيمنتهم على اليمن»[١٣٧] فى إشــارة واضحة إلى الرئيس عبد الناصر الذى قرر القيام بزيارة مفاجئة لليمن

يوم ٢٣ أبريل ١٩٦٤م، حيث خطب أمام الجماهير المحتشدة فى العاصمة «صنعاء» قائلا: «إن بريطانيا لابد وأن تجلو من عدن.. إن كلا من عدن، والجنوب العربى أرض عربية.. إننا لن نسمح للاستعمار أن يبقى فى أى جزء من أجزاء الوطن العربى.. إن على بريطانيا أن تحمل عصاها على كتفها وترحل»[١٣٨].

وكانت هذه الفقرة من الخطاب محل اهتمام الإدارة الأمريكية[١٣٩]، من ذلك أن وزير الخارجية أرسل تعميما برقيا إلى سفرائه فى الأمم المتحدة، وجدة، وتعز، وعدن، ولندن، والقاهرة، طلب فيه موافاته بآرائهم حول ما جاء بالخطاب على خلفية: «أن عدن، لا تقل أهمية عن المملكة السعودية»[١٤٠]. ومن ذلك أيضا، عقد اجتماع موسع بوزارة الخارجية الأمريكية، حضره وزير الخارجية ومعه ستة من مساعديه، ووزير الخارجية البريطانى بتلر ومعه ستة من موظفى وزارته وبعض موظفى السفارة فى واشنطن، لبحث كيفية «مواجهة ضغوط الجمهورية العربية المتحدة ضد الإنجليز فى عدن» Countering UAR Pressure against the British Position in Aden. ومع أن الوثيقة لم تذكر كل ما دار من أحاديث بين الطرفين، إلا إنها نقلت بعضا مما قاله بتلر عن «أهمية عدن بالنسبة لبريطانيا فى منطقة الشرق الأوسط، خاصة الخليج الذى يمثل بتروله أهمية كبرى بالنسبة للاقتصاد البريطانى»[١٤١].

وحسب تعبير وزير المستعمرات دنكان سانديز Dun Can Sandys فإن عدن «هى حجر الزاوية فى الطريق إلى سنغافورة، وهى أساسية جدا للحفاظ على أمن المحميات فى الجزيرة العربية التى وقعنا مع أمرائها معاهدات دفاع، وكذلك الوقوف ضد الحركات الداعية إلى وحدة اليمن»[١٤٢]. وأشار إليها وزير الخارجية الأمريكى، بقوله: «إذا كان الإنجليز يريدون الحفاظ على وضعهم فى منطقة الخليج، فإنه يتعين عليهم الاحتفاظ بقاعدتهم العسكرية فى عدن»[١٤٣]، بمعنى «أن عدن هى مفتاح الخليج الفارسى (العربى) على حد ما ذكره جرنيكان Jernegan، نائب مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأوسط، الذى أضاف إلى ذلك قوله: «إن قاعدة عدن هى التى تجعل من الوجود البريطانى فى الخليج وجودا فعليا (عسكريا وسياسيا) للإيفاء بالتزاماتها تجاه الكويت، والإمارات، وأن الفوضى هى النتيجة الحتمية لزوال هذا الوجود، مما يهدد تدفق البترول للغرب»[١٤٤].

وحسب تقييم المخابرات الأمريكية «فإن عدن هى الرمز الباقى للنفوذ البريطانى فى المنطقة، وأنه من الصعوبة بمكان التخلى عنها»[١٤٥] لأنها، حسب تقييم المخابرات ذاتها:

١ – قاعدة لحماية منشآت البترول.

٢ – وهـى منطقـة حصينة لحماية المصالح البريطانية فى شـبه الجزيرة العربية، ومنطقة المحيط الهندى.

٣ – إن بريطانيا تسهم بها من أجل النظام الدفاعى الغربى على مستوى العالم كله.

٤ – إنها تعد أكثر القواعد البريطانية حركة، خارج بريطانيا.

٥ – وهى، من الناحية التجارية أكبر منطقة حرة فى العالم، وثالث الموانئ حجما.

وانتهـى التقييـم إلى «التحذير من النتائج السـيكلوجية المترتبة على سـقوطها فى يد عبد الناصر.. سطر محذوف»[١٤٦].

أمـا بالنسـبة لمصالح الولايات المتحـدة فى عدن، فإن بها قاعـدة بحرية تزورها قطع الأسـطول مرة كل أسـبوع، وبها ضابط اتصال، وقنصلية أمريكية»[١٤٧] طبقا لما ذكره وزير الخارجيـة[١٤٨] الذى أضـاف إلى ذلك «أن الولايـات المتحدة تعتمد فـى تأمين مصالحها الحيوية فى الخليج الفارسـى (العربى) على الوجود البريطانى فى عدن»[١٤٩]. كما أضافت هيئة الأركان المشتركة، إلى ما سبق، إن عدن تقوم بمهام كثيرة منها[١٥٠]:

١ – ضمان تدفق بترول الخليج الفارسى (العربى) إلى أوروبا.

٢ – إعاقة التمدد السوفييتى أو الصينى.

٣ – تسـهيل الاتصـال بالقوات البريطانية فـى حالة إجراء عمليات مشـتركة فى شمال إفريقيا، وشبه الجزيرة العربية، وجنوب أسيا، والمحيط الهندى.

٤ – منع حدوث مجابهة بين ج.ع.م والمملكة السعودية.

٥ – منطقة تجمع لقوات الطوارئ.

٦ – منطقـة مناسـبة لالتقاط كبسـولات الفضاء الخاصة بمشـروعى: جيمنى Gemini و«أبولّو» Apollo.

وهكذا، لم يكن مسـتغربا أن تقوم وزارة الخارجية الأمريكية باستدعاء السفير المصرى، مصطفـى كامل، يوم ٢٩ أبريل ١٩٦٤م كى تبلغه «أن مطالبة عبد الناصر بخروج الإنجليز مـن الجنوب العربى يعد بمثابة إعلان حرب سياسـية ضد قاعدة العـالم Political war against free world base وطالبـه بضرورة اتخاذ الخطوات اللازمة نحو إجراء مباحثات مباشرة بين ج.ع.م وبريطانيا، وتفادى المواجهة»[١٥١].

لكـن الرئيس عبـد الناصر عبّر عن تصميمه على «مواصلـة هجومه ضد الإنجليز» قائلا للسـفير الأمريكى جون بـادو «إن هناك الكثير من أفراد الجيش قد استشـهدوا، وأنه لن يقبل ذلك بأى حال، وأنه لديه أدلة دامغة تثبت قيام الإنجليز بتزويد أعداء الثورة اليمنية بالمال والسلاح عبر الحدود الجنوبية[١٥٢]. أما فى الشمال، وكما أضاف ريد Read المستشار التنفيذى لوزارة الخارجية، «فإن المخابرات المصرية لديها أدلة مؤكدة تثبت أن هناك عددا كبـيرا مـن المرتزقة الأوروبيين يقاتلون فى صفوف الملكيـين اليمنيين ضد القوات المصرية، بقيـادة ضابط بريطانـى»[١٥٣] هو ديفيد سمايلـى[١٥٤] الذى كان يعمل بالتنسـيق مع الملك فيصل، شـخصيا، والأمير سـلطان وزير الدفاع، وكمال أدهم، مدير المخابرات السعودية، حسبما أفاد ديفيد سمايلى نفسه[١٥٥].

وبنـاء على ذلك، وصلت بعثة عسـكرية مصريـة إلى صنعاء لبحث وسـائل دعم ثوار «ردفان» الذين فجروا الشـرارة الأولى للثورة الشـاملة بقيادة «راجح غالب» أول شـهيد من مناضلى ثورة الجنوب[١٥٦] ضد الاسـتعمار البريطانى، وبالفعل قدمت البعثة دعما عسكريا كبيرا على حد ما ذكره «عبد القوى مكاوى» زعيم جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل[١٥٧]. وهكـذا فإن الإنذار الذى أطلقه عبـد الناصر من صنعاء يوم ٢٣ أبريل ١٩٦٤م لم يصدر من فراغ، ولم يذهب أدراج الرياح، وإنما كان معززا بدعم سياسى، وإعلامى وعسكرى فعال.

وعلـى الصعيد السياسـى، أصدرت الخارجيـة المصرية بيانا ردت فيه على شـكوى بريطانيـا مـن خطاب الرئيس عبـد الناصر فى اليمن، وبينت الـوزارة «مدى عدالة قضية الجنـوب المحتل، واتفاقها مـع القانون الدولى، ومع قرارات الأمم المتحدة، ولجنة تصفية الاستعمار التى تدعو إلى منح المنطقة حريتها، وضرورة إزالة قاعدة عدن العسكرية لتهديدها الأمن والسـلم الدوليين». وأكد البيان عزم ج.ع.م على السـير فى طريق تحرر كل شبر من الأراضى العربية من الوجود الاستعمارى البريطانى»[١٥٨].

كما أرسلت الوزارة هذا البيان إلى جميع ممثليها فى الخارج طالبة «شرح قضية الجنوب المحتـل لدى الدوائر الرسمية فى الدول المعتمدة لديها» كما أبرقت الوزارة إلى بعثة ج.ع.م فـى الأمم المتحدة طالبة منها عقد اجتماع للمجموعة الآسـيوية - الإفريقية، لإصدار بيان تستنكر فيه أعمال بريطانيا، وكذلك الاتصال بسكرتير الأمم المتحدة، وإظهار قلق المجموعة الآسـيوية - الإفريقية، واسـتيائها، ومطالبة بريطانيا بتنفيذ قـرارات الأمم المتحدة، كما

طالبت الوزارة «بدراسة عرض الموضوع أمام مجلس الأمن للأهداف ذاتها»[١٥٩]. وبالفعل، فقد قامت بعثة ج.ع.م فى الأمم المتحدة بتنفيذ تعليمات الوزارة.· وأسفرت الحملة عن إدراج قضية عدن فى جدول أعمال «لجنة تصفية الاستعمار»[١٦٠] التى أصدرت قرارا فى ١١ مايو ١٩٦٤م «استنكرت فيه سياسة بريطانيا فى الجنوب المحتل، كما طالبت بريطانيا بوقف عملياتها الحربية على الفور»[١٦١].

وفى السياق نفسه، طلبت الإدارة العربية، بوزارة الخارجية، بمذكرتها رقم ٣٢ بتاريخ ١١ مايو ١٩٦٤م من الأمانة العامة لجامعة الدول العربية عرض الموضوع على مجلس الجامعة، فى اجتماعه يوم ١٨/ ٥/ ١٩٦٤م[١٦٢] الذى دعا إلى توحيد جهود الوطنيين فى الجنوب المحتل، وأوصى بما يلى[١٦٣]:

١ - أن تمضى اللجنة الفرعية فى سعيها لتوحيد جهود الوطنيين فى الجنوب المحتل.
٢ - أن تضع الأمانة العسكرية مشروع خطة لدعم النضال الوطنى المسلح فى المنطقة.
٣ - عرض الموضوع بأكمله على مجلس رؤساء الحكومات العربية فى الاجتماع المقبل.

أما على الصعيد الإعلامى، فتأتى فى المقدمة ماكينة الإعلام الناصرى، إذاعة «صوت العرب» وبرامجها الثورية[١٦٤] التى كانت تذيع بيانات، وبلاغات الأعمال الفدائية والعسكرية التى كانت تنفذها الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل[١٦٥].

ومن ناحية أخرى وضعت الجامعة العربية بإيعاز من الخارجية المصرية «خطة إعلامية مشتركة تضمنت الآتى[١٦٦]:

١ - قيام مكتب الجامعة فى لندن، بالتعاون مع رؤساء البعثات السياسية العربية بوضع خطة الاتصال بالقيادات الحزبية، وبقيادات الرأى العام فى بريطانيا، للتبصير بأخطاء الموقف البريطانى الضار بمصالح العرب، والمصالح الحقيقية للشعب البريطانى، على السواء فى الجنوب المحتل.
٢ - أن يتخذ المندوبون فى الأمم المتحدة التدابير اللازمة التى يرونها محققة لهذه الغاية، سواء فى الأمم المتحدة، أو بالنسبة للقارة الأمريكية.
٣ - أن تقوم مكاتب الجامعة الأخرى، بالتعاون مع البعثات السياسية العربية فى الخارج بتبصير الرأى العام العالمى بأهمية هذه القضية وبعدالتها.
٤ - أن يتم طبع كتيبات باللغات.

٥ – إلقاء المحاضرات لشرح هذه القضية.
٦ – أن تخصص الإذاعات العربية برامج خاصة لهذه القضية.
٧ – تقوم الأمانة العامة بإنتاج فيلم تسجيلى عن هذه القضية.
٨ – تقوم الجامعة عن طريق أجهزتها فى الخارج، خاصة فى أوروبا، وأمريكا بدعوة الصحفيين والوكالات الأجنبية بزيارة مناطق القتال الدائرة حاليا فى الجنوب المحتل لاطلاع الرأى العام الأجنبيى على وحشية الاستعمار.
٩ – دعوة الصحافة العربية إلى تناول قضية الجنوب المحتل وعمان بعمق،وأن تشرحها للرأى العام.
١٠ – دعوة الإذاعات والصحف العربية لزيارة مناطق القتال، حتى تكون قريبة من المعركة ولمس حقيقتها.

أما على الصعيد العسكرى، فإنه بفضل ثورة سبتمبر، وبفضل الوجود المصرى تحول اليمن الشمالى إلى قاعدة مثالية للإمداد بالسلاح، والمال، ومعسكرات التدريب التى كان يشرف عليها ضباط مصريون[١٦٧]. وتشير بعض المعلومات إلى أن عبد الناصر أشرف بنفسه على إعداد الخطة «صلاح الدين» قبل عودته إلى القاهرة من صنعاء، فى إبريل ١٩٦٤م، وأنه اختار بنفسه الرجال الذين سيتولون قيادة الحرب فى الجنوب ضد الوجود البريطانى هناك[١٦٨].

وفى هذا الصدد، أشار تقرير للمخابرات الأمريكية إلى «أن الحملات الإرهابية تقوم بها مجموعات صغيرة عالية التدريب، وأنها قامت فى شهر نوفمبر ١٩٦٤م بتوجيه من خبراء مصريين، تابعين للمخابرات العامة، تستخدم اليمن كملاذ آمن، قامت بشن هجماتها على مواقع القوات البريطانية، وموظفى الحكومة البريطانية، وأفراد البوليس على اعتبارهم المكلفين بالتعامل مع النشاط التخريبى»[١٦٩]. كما جاء فى تقرير بل براور Bill Brower، عضو مجلس الأمن القومى الأمريكى، بعد جولة قام بها فى الجزيرة العربية «إن هناك أكثر من ألف فرد، من جيش التحرير اليمنى الجنوبى قدموا من القاهرة إلى اليمن، وأن هناك أعدادا كبيرة من المتدربين سوف يصلون تباعا»[١٧٠]. وفى السياق نفسه قال روجر آلان Roger Allen، نائب وزير الخارجية البريطانى: «إن لديه أدلة مؤكدة تثبت أن المخابرات المصرية تقوم بتدريب الإرهابيين فى مدينة تعز، وأن عبد الناصر يساند النشاط الإرهابى ضد الإنجليز، وأنه يهدف إلى نشر الفوضى لتسريع خروجنا من عدن»[١٧١].

والواقـع، فإن امتداد الكفاح المسـلح إلى عدن، ذاتها، يوم ٢٨ أغســطس ١٩٦٤م حقق للثورة مكاســب كبيرة، حيث بدأ صوتها يُسمع فى المجالات الدولية، شعبيا ورسميا، ولم يعـد بإمكان الإنجليــز طمس حقيقة وجودها، والادعاء بأنها مجــرد تمرد قبلى[١٧٢]. وعلى الجانب الآخر، فإن الجبهة القومية أخذت تعمل على محورين[١٧٣]:

الأول: جلاء قوات الاحتلال البريطانى، وإســقاط حكم السلاطين، وتحقيق الاستقلال دون قيد أو شرط.

الثانــى: حمايــة الثورة فى شمال اليمن، عن طريق إشــغال الإنجليز داخل الجنوب، وعدم إتاحة الفرصة لهم لضرب النظام الجمهورى.

وفــى هذا الإطار، أصدرت الجبهــة بيانا فى يوليو ١٩٦٤م، أعلنــت فيه بدء معركة التحريــر الشــاملة، واقتحمت المنطقة الوســطى (دثينة، والعــواذل، والفضلى والضالع، وســلطنة لحج، وحالمين، والشــعيب، وبيحان) وبذلك أصبح للثورة تســع جبهات قتال يتمركز فيها ٤٥٠٠ جندى[١٧٤].

كمــا أصدرت يوم ٨ أغســطس ١٩٦٤م، عــبر إذاعة صوت العرب، نــداء إلى الجنود العرب فى الجيشــين الاتحادى تناشدهم فيه «بأن يقوموا بمسؤوليتم الوطنية، وأن يوجهوا أسلحتهم ضد المستعمرين بدلا من إخوانهم أبناء البلاد»[١٧٥]. مما دفع المندوب السامى فى عــدن إلى طلــب المزيد من القوات البريطانية، بعد أن تأكد له أنه لن يكون فى اســتطاعته الاعتماد على الجيش الاتحادى، بعد انسحاب الكثير من أفراده[١٧٦].

وما أن حل عام ١٩٦٥م حتى ازداد النشاط العسكرى للجبهة القومية وأصبح لديها ١١ جبهــة قتال، بعد امتداد الثورة إلى «ســلطنة الواحدى» و«يافــع» و«العوالق» وبذلك شملت الثورة معظم أنحاء الجنوب وقفز عدد الحوادث المسلحة فى عام ١٩٦٥م فى عدن، وحدها إلى ٢٨٦ حادثة[١٧٧].

وابتداء من أواخر ١٩٦٦م، وبداية ١٩٦٧م، تحول العمل الفدائى من العمل السرى إلى المجابهة المكشــوفة، بالتمركز فوق أســطح المنازل، وخوض معارك الشوارع ضد الدوريات وقوات المشــاه، كما تميز أيضا باســتخدام مدافع الهاون والبازوكا، وبالمقابل انتقلت قوات الاحتلال من مواقع الهجوم إلى مواقع الدفاع عن معسكراتها، ومساكن عائلات الضباط[١٧٨].

وعقب هزيمة يونيه ١٩٦٧م، اعتقد الإنجليز أن العمليات الفدائية سوف تنخفض لكن الأحداث أكدت عكس ذلك، فطبقا لتقرير المخابرات الأمريكية، بتاريخ ٢٤ يوليو ١٩٦٧م

«فإن عدن صارت ساحة للمعارك، والاغتيالات، والإرهاب وبينما كان عدد الحوادث فى شهر إبريل ٣٧٦ حادثة، فإنه قفز فى شهر يونيه إلى ٤٤٥ حادثة، فى عدن وحدها» مؤكدا على «أن المخابرات المصرية تقف وراء العمليات تلك»(١٧٩). مما أجبر وزير الخارجية البريطانى براون Brown أن يعلن فى مجلس العموم، يوم ١٩ يونيه «أن بريطانيا ستمنح جنوب شبه الجزيرة الاستقلال فى أوائل يناير ١٩٦٨م(١٨٠).

وفى ٢٨ نوفمبر ١٩٦٧م أذاع القصر الملكى مرسوما من الملكة اليزابيث تعلن فيه «إنهاء الحماية التى كانت تمارسها جلالتها على محميات الجنوب العربى»(١٨١). وفى اليوم التالى تم التوقيع على وثيقة تسليم السلطة، ونقل السيادة إلى «جمهورية اليمن الجنوبية» اعتبارا من ٣٠ نوفمبر ١٩٦١م(١٨٢).

ومن المؤسف، أن يعترض الملك فيصل على انسحاب بريطانيا، ويوجه انتقاده للسفير البريطانى فى جدة، مان Man(١٨٣). فقد كان من رأى فيصل أن تبقى بريطانيا فى عدن حتى لا تتحول إلى قاعدة لانتشار الشيوعية والحركات المتطرفة فى شبه الجزيرة العربية(١٨٤). وهو ما أكده الملك للرئيس الأمريكى، جونسون، لدى لقائه به فى البيت الأبيض(١٨٥)، بل إن مستشاره السياسى «رشاد فرعون» وجه اللوم إلى حكومة الولايات المتحدة «بسبب فشلها فى إقناع الحكومة البريطانية بالبقاء، وممارسة مسؤولياتها فى عدن(١٨٦).

والواقع، فإن الموقف السعودى المؤيد لبقاء الإنجليز فى عدن كان يتوافق مع باقى أمراء وحكام الخليج، فالشيخ «خليفة بن سلمان الخليفة، وزير المالية، وشقيق حاكم البحرين سافر إلى واشنطن كى يبلغ مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأوسط «أن البحرين وكافة دول الخليج تشعر بالقلق الشديد مما قد ينتج عن انسحاب الإنجليز من جنوب شبه الجزيرة العربية، وأنهم يخشون من قيام الجمهورية العربية المتحدة بالاستيلاء على الإقليم، ومن ثم الاستيلاء على الخليج»(١٨٦).

المحور الرابع:

دور عبد الناصر فى تحرير إمارات الخليج العربى من السيطرة الإنجليزية وتنميتها:

بالرغم من اهتمام الرئيس عبد الناصر، بمنطقة الخليج إلا إنه لم يتمكن من التعامل معها بطريقة مباشرة، كما كان الحال مع اليمن الجنوبى، ذلك أن السياسة البريطانية كانت تحول دون دخول النفوذ المصرى(١٨٨) من جهة، وضعف المنطقة بشريا، وتخلفها سياسيا

إجتماعيا، وثقافيا[١٨٩] من جهة ثانية، كما أن قرار الرئيس آيزنهاور فى شهر مارس ١٩٥٦م القاضى بفصل السعودية عن مصر[١٩٠] قد أفقده الاتصال الجغرافى بالخليج، من جهة ثالثة مما جعل الرئيس عبد الناصر يتعامل مع قضايا منطقة الخليج بواسطة الجامعة العربية.

ولعل هذا ما جعل الخارجية البريطانية تنظر إلى الجامعة على أنها «خادم مباشر للسياسة المصرية»[١٩١] أو «أداة فى يد عبد الناصر»[١٩٢]، وهى عبارات تنم عن ضيقها من الجامعة العربية، التى تعاظم دورها خلال الحقبة الناصرية. فتمكنت من إنجاز مهمات كثيرة ومتنوعة، ومتشعبة، منها على سبيل المثال:

(أ) صيانة موارد البترول:

من أجل بناء الدولة. وتوظيفها فى إقامة نهضة عربية شاملة[١٩٣]. وكما جاء فى كتابه «فلسفة الثورة» الذى أصدره عام ١٩٥٤م. فإن البترول «يمثل القوة الثالثة للعالم العربى. بعد الوحدة العربية، والموقع الاستراتيجى»[١٩٤]. وبناء عليه، بدأت إذاعة «صوت العرب» تردد شعار «نفط العرب للعرب» وأن ثروة العرب يجب أن تكون لانتشال الشعب العربى من الفقر والتخلف[١٩٥].

وفى نفس العام ١٩٥٤م تقرر إنشاء مكتب خاص بشؤون النفط بالجامعة العربية[١٩٦] تحول إلى «إدارة شؤون الزيت عام ١٩٥٩م»[١٩٧] حيث وجهت الدعوة لعقد المؤتمر الأول للزيت فى الفترة من ١٦ - ٢٣ إبريل ١٩٥٩م، فى القاهرة شاركت فيه البلدان العربية المنتجة للنفط، والجامعة العربية، وإيران وفنزويلا كمراقبين[١٩٨] للنظر فى إمكانية القيام بعمل جماعى للوقوف فى وجه الشركات. وليكون للدول المنتجة رأى فى تحديد الأسعار. التى اعتادت تلك الشركات على التلاعب فيها على هواها[١٩٩]. وفى اجتماع جانبى ضم مندوبين عن بعض الدول العربية، ومندوبين عن الجامعة العربية، بالإضافة إلى مندوب إيران وفنزويلا. نوقشت فكرة إيجاد منظمة الدول المصدرة للبترول[٢٠٠]، وهكذا ولدت فكرة منظمة «الأوبك» OPEC[٢٠١].

وفى هذا الإطار، أصدر مجلس الأمن القومى الأمريكى رقم ٦٠١١ توجيها يوم ١٩ يوليو ١٩٦٠م «بضرورة إيجاد توافق بين مصالح الغرب فى المنطقة ومد القومية العربية»[٢٠٢].

وكان مجلس الأمن القومى رقم ٥٨٢٠ قد أصدر توجيها «بتحاشى المواجهة المكشوفة مع عبد الناصر»[٢٠٣].

وفـى نوبة صراحة قال أحد شـيوخ البترول لمجلة روزاليوسـف عـام ١٩٦٤م: «إننا ندين بكل ما نعيش فيه لثورة ٢٣ يوليو.. قبلها كنا نأخذ شـلنين فى الطن. نضع شـلنا فـى حصالة بنـك لندن. التى لا تُفتح أبـدا.. أما بعد ثورة يوليو فقـد عرفنا المناصفة فى الأربـاح.. وأصبحنا أحرارا فـى إنفاقها.. وبريطانيا اليوم. هـى التى ترعى خواطرنا لأن صوت العـرب بالمرصاد»[٢٠٤].

(ب) خلخلة السيطرة البريطانية على إمارات الخليج:

طبقـا للملخص الذى بعث به سـتيفنز Stevens، المقيم البريطانـى فى البحرين «فإن ناصر أوعز لحاكم الكويت. أثناء لقائه به فى دمشق. يوم ٢٠ يوليو ١٩٥٨م بالانضمام إلى الجامعـة العربيـة»[٢٠٥]. وبناء على ذلك. تقدم حاكم الكويت إلى الوكيل السياسـى بطلب الانضمام للجامعة العربية. وكان طبيعيا أن يكون مصيره الرفض[٢٠٦]. لعدة أسـباب منها: أن الكويت تعد أهم إمارات الخليج. وصفها وزير الخارجية الأمريكى. دالاس «بأنها ألمع نجمـة فى الكوكبة البترولية الخاصة ببريطانيا»[٢٠٧] وتُعد أحد العوامل الرئيسـية «لضمان اسـتقرار منطقة الخليج» على حد قول ريتشـارد هولمز Holmes. «نائب مدير المخابرات الأمريكية»[٢٠٨]. بمعنى أنه فى حالة انضمامها إلى الجامعة. فسـوف تتبعها باقى الإمارات الأخرى. وهو ما حدث بالفعل. إذ صرح الأمير «جاسم بن على آل ثانى» عم حاكم قطر. وهـو فى القاهرة يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٥٨م «بأن قطر سـوف تتبـع الكويت. وتنضم قريبا إلى الجامعة العربية»[٢٠٩].

ولعـل هـذا ما دفع الوكيل السياسـى فى الخليـج إلى أن يكتب مذكـرة لحكومته يوم ٢٤ ديسـمبر ١٩٥٨م قـال فيها: «إن انضمـام الكويت إلى الجامعة العربية من شـأنه أن يضعـف وضع الإنجليز على نحو خطير، ليس فى الكويت فقط، بل وفى الخليج بشـكل عـام. ونصح حكومته «بتحذيـر حاكم الكويت من العواقب الوخيمة التى قد يتعرض لها. وتتعرض لها الكويت نفسـها. من جراء الالتحاق بالجامعة»[٢١٠]. وكان الوكيل. نفسـه. قد عبّر عن خشـيته من اسـتغلال إذاعـة صوت العرب لرغبة أمـير الكويت فى الانضمام للجامعة وتصويرها على أنها انتصار كبير لعبد الناصر[٢١١].

ومن جانبه. رفض رئيس الوزراء البريطانى الطلب «لأنه سوف يُخضع الكويت للجامعة التى يسيطر عليها الأمين العام المصرى. وتكون. بالتالى. تحت سيطرة عبد الناصر كما أن

مندوب الجامعة العربية، سوف يعامل فى الكويت، دبلوماسيا. على أنه قنصل[٢١٢] وهو ما يتعارض مع اتفاقية ١٨٩٩م التى تمنع الشيخ من استقبال ممثل أى دولة. أو حكومة داخل حدود أراضيه إلا بإذن من بريطانيا»[٢١٣].

والمحقق، أن الرئيس عبد الناصر كان يدرك حقيقة علاقة الكويت، وباقى إمارات الخليج ببريطانيا، وأنه أراد باقتراحه لأمير الكويت بالدخول فى الجامعة العربية أن يخلصه ويُخلص غيره. من حكام الخليج من قيود المعاهدات المانعة والأبدية، إذ إن المادة الأولى من ميثاق الجامعة ينص على «أن تتألف جامعة الدول العربية من الدول العربية المستقلة»[٢١٤]. وعليه، فإن طلب شيخ الكويت من شأنه أن يرغم الحكومة البريطانية على تعديل معاهدتها السابقة مع الكويت. على حد ما ذكره القنصل الأمريكى فى الكويت، الذى أشار إلى «أن هناك حملة صحفية فى الكويت تطالب بتحديد العلاقات مع بريطانيا وحصرها فى النظام التجارى البحت»[٢١٥].

وفى هذا الصدد، قال مدير المخابرات المركزية آلان دالاس أمام مجلس الأمن القومى، يوم ٧ أغسطس ١٩٥٨م: «إن قلق الإنجليز حيال الكويت آخذ فى التزايد» وأكد على أن الحاكم «بطلبه الانضمام للجامعة، إنما يهدف إلى استرضاء عبد الناصر، وتخفيفا للضغوط المحلية»[٢١٦]. ثم عاد ليقول أمام نفس المجلس، يوم ١٢ فبراير ١٩٥٩م: «إن حاكم الكويت لم يطلب الانضمام إلى الجامعة العربية إلا لحماية نفسه من السقوط»[٢١٧].

وهنا لابد من الإشارة إلى حركة «القوميين العرب» التى ظهرت بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة، فى فبراير ١٩٥٨م، وأسست فروعها فى كافة أقطار الخليج العربى، ولقيت وضعا أفضل فى الكويت، التى أصبحت مقرا لقيادة الإقليم، وقد أدت دورا مهما فى استقطاب العناصر الوطنية، وبادرت إلى مطالبة شيخ الكويت بالانضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة، وقررت أن تجعل من شهر فبراير ١٩٥٩م شهر ضغط شعبى على السلطة لتحقيق ذلك[٢١٨]. وبالفعل، فلقد عقدت اجتماعها فى الأول من فبراير، وطالبت الأسرة الحاكمة بإلغاء اتفاقية ١٨٩٩م والانضمام إلى الجمهورية العربية المتحدة، وهكذا أصبحت الوحدة فى نظر العروبيين الكويتيين طريقا إلى التحرر[٢١٩]. وتحت تأثير الضغط الجماهيرى، وخشية من السقوط، طالب الشيخ عبد الله السالم الصباح السلطات البريطانية بإلغاء اتفاقية الحماية عام ١٨٩٩م[٢٢٠]. وبدون الخوض فى التفاصيل، وافقت بريطانيا،

مرغمة علـى إلغائها، يوم ١٩ يونيه ١٩٦١م[٢٢١] وفى يوم ٢٢ تلقت الجامعة العربية طلبا كويتيا بالانضمام إليها[٢٢٢].

(جـ) **تسوية الأزمة التى أثارها عبد الكريم قاسم:**

لم يمض سـوى أسـبوع واحد على إعلان الاسـتقلال، حتى أعلن عبد الكريم قاسـم، رئيس الجمهورية العراقية، فى مؤتمر صحفى عقده يوم ٢٥ يونيه «أن الكويت جزء أصيل مـن العراق» وأصدرت الحكومة العراقية، بالفعل، لائحـة تنص على تعيين أمير الكويت «حاكما لمحافظـة الكويت»[٢٢٣]. ثم حشـد قواته على الحدود الكويتيـة كما لو كان يريد تنفيذ الأمر بالقوة المسـلحة[٢٢٤] مما دفع أمير الكويت إلى طلب المسـاعدة يوم ٣٠ يونيه من السـلطات البريطانية[٢٢٥]. ومما لا شـك فيه أن الطلب الكويتى كان إجراء شـكليا إذ نزل إلى الـبر الكويتـى، فى اليوم التـالى (الأول من يوليو) ٦٠٠ جنـدى بريطانى من وحدات الكوماندوز، وفى يوم ٣ يوليو لحقت بها وحدات من القوات المرابطة فى عدن[٢٢٦]. وهكذا، كانـت الأزمة فرصة ذهبية للحكومة البريطانيـة كى تثبت أنه لا يزال لها دور خاص فى العالم العربى، بعد صدمة السويس[٢٢٧] وأنه لا غنى عنها لضمان استقرار أمن الخليج.

أما بالنسـبة للرئيس عبد الناصر، كما يقول ناتنج وزير الدولة البريطانى «فإنه لم يطق فكـرة التدخـل البريطانى لصالح الكويت، إلى جانب إصراره على طرد الوجود العسـكرى البريطانى من جميع الأراضى العربية، وكان يخشـى أن تتشـجع باقى دول الخليج وربما الأردن أيضا، وتتطلع إلى حماية البريطانيين فى المستقبل.. وبناء على ذلك وبتحريض منه عقد مجلس الجامعة العربية اجتماعا لبحث إيجاد حل للأزمة[٢٢٨].

وطبقا لما ذكره السـفير اللبنانى فى القاهرة جوزيف أبو خاطر فإن مندوب ج. ع. م راح يقـول أمام المؤتمرين: «إن الجامعة أمام أكبر تجربة فى تاريخها، فإن فشـلت فى إيجاد حل عربى لقضية الكويت حكمت على نفسها بالتصدع والانهيار» وكان بين الحين والآخر يتوجـه إلى المندوبـين، وخاصة مندوب العراق، ويسـأله: إذا كانت بغداد تسـتمرئ بقاء القوات الأجنبية فى الكويت.. أم أن بوسع الجيش العراقى إجلاءها عنها؟»[٢٢٩].

وكما أضاف السفير البريطانى فى القاهرة «فإن مندوب ج. ع. م قد أفهم الوفد الكويتى أن عضويـة الكويت فى الجامعة العربية مرهونة بانسـحاب القـوات البريطانية منها»

مؤكدا على «أن ج. ع. م مستعدة للعمل بكل إخلاص لتشكيل قوات عربية تحل محل القوات البريطانية إذا طلبت الكويت ذلك»[٢٣٠]. ومما ذكرته صحيفة «الديلى تلجراف» فى هذا الصدد «أن حاكم الكويت أرسل وفدا برئاسة مدير الشؤون المالية، الشيخ جابر الأحمد الصباح إلى الإسكندرية كى يطلب من الرئيس عبد الناصر «ضمانا مؤكدا» Solid gurantee بسلامة الكويت، واستقلالها قبل أن يتقدم حاكم الكويت بطلب سحب القوات البريطانية»[٢٣١].

ولسنا بحاجة إلى البحث عما قاله الرئيس عبد الناصر للوفد الكويتى، إذ انعقد مجلس الجامعة العربية يوم ١٦ يوليو، وأصدر القرار رقم ١٧٧٧، الذى تضمن الآتى[٢٣٢]:

١ - تلتزم حكومة الكويت بسحب القوات البريطانية من أراضيها بأسرع ما يمكن.

٢ - تلتزم حكومة العراق بعدم استخدام القوة لضم الكويت للعراق.

٣ - تأييد كل رغبة تبديها الكويت بالوحدة أو الاتحاد مع غيرها من دول الجامعة العربية، طبقا لميثاق الجامعة العربية.

٤ - الترحيب بدولة الكويت عضوا فى الجامعة العربية.

٥ - مساعدة دولة الكويت على الانضمام إلى عضوية الأمم المتحدة.

٦ - تلتزم الدول العربية بتقديم المساعدات الفعالة لصيانة استقلال الكويت بناء على طلبها.

ولقد حرصت ج. ع.م على إصدار بيان، نشرته صحيفة الأهرام، فى عددها الصادر يوم ١٥ يوليو قالت فيه: «إنها تعتبر وجود القوات الأجنبية فى أية بقعة من الوطن العربى خطرا داهما يجب إبعاده فورا.. كما أنها تدرك أنه لابد من توفير طمأنينة عربية لشعب الكويت بما فى ذلك إرسال قوات عربية إليها». وبالفعل، فلقد تشكلت تلك القوات من الدول العربية الآتية[٢٣٣]:

السعودية (٨٣٥ فرد) والأردن (٨٢٢ فرد) والجمهورية العربية المتحدة (١٦٢ فرد) والسودان (١١٠ فرد). كما عين اللواء «عبد الله العيسى» رئيس هيئة العمليات الحربية، بوزارة الدفاع السعودية قائدا لها، ثم استبدل باللواء «عبد الله المطلق» مدير سلاح المدفعية[٢٣٤]. وقبل وصول تلك القوات يوم ١٠ سبتمبر[٢٣٥] كانت القوات البريطانية قد بدأت فى الانسحاب يوم ٢٠ يوليو[٢٣٦] بينما سحب عبد الكريم قاسم، هو الآخر، قواته إلى داخل العراق[٢٣٧].

وكانت إيماءة رائعة من جانب الجامعة العربية لما قامت بمنح وسام «استحقاق خدمة العروبة» و«نوط جدارة خدمة العروبة» لكافة الأفراد الذين عملوا في «مهمة قوات أمن الجامعة بالكويت»[٢٣٨].

أما حكومة الكويت فقد أصدرت في يوم ٣١ أغسطس كتابا بعنوان: «الكويت في الجامعة العربية» أشارت فيه إلى «أن الجامعة العربية تكون بذلك قد وفّت بعهدها، ولقد تبين بوضوح أن هذه المنظمة قد أصبحت ضرورة عربية وعالمية في هذه البقعة من العالم، وأنها غدت منظمة فعالة، ذات صوت مسموع، وكلمة مستجابة، ورأى حاسم في المشكلات والقضايا التي تعترض انطلاق العروبة نحو أي عمل إيجابي يهدف إلى خير العرب»[٢٣٩].

ومع أن الكتاب لم يتطرق إلى دور الرئيس عبد الناصر، أو الجمهورية العربية المتحدة، إلا أن نائب وزير الخارجية البريطاني جيفري هاريسون Geoffrey Harrison. راح يتحدث أمام بعض موظفي الخارجية الأمريكية، وبعض أعضاء السفارة البريطانية في واشنطن عن «الدور الهام الذي لعبته ج.ع.م للحفاظ على استقلال الكويت» قائلا: «إنه كان من الواضح أنها كانت حريصة على منع العراق من ابتلاع الكويت، كما أن عبد الناصر ليست له أية نوايا لتدمير الحكومة الكويتية ولو أراد لاستطاع «فعل الكثير "Can do a lot"»[٢٤٠].

المزاعم الأمريكية القائلة: «إن عبد الناصر يحاول استغلال خوف الكويت من العراق كي يخضعها لسيطرته، بهدف الحصول على عوائدها النفطية»[٢٤١]. وربما هذا ما يفسر قول سترونج Strong مدير مكتب شؤون الشرق الأوسط، بالخارجية الأمريكية: «إن المساهمة العسكرية السعودية في قوات الجامعة العربية إنما كانت تهدف لمواجهة المشاركة العسكرية التي قدمتها ج. ع. م "To Counter URR participation"[٢٤٢].

وعلى كل حال، فقد أمر الرئيس عبد الناصر بسحب القوات المصرية يوم ١١ أكتوبر[٢٤٣] بعد وقوع كارثة الانفصال السوري (٢٨ سبتمبر) التي أسهم فيها الملك سعود»[٢٤٤]. وردا على استفسار السفير اللبناني، جوزيف أبو خاطر، قال الرئيس: «لأنهم بدأوا يتهموننا بالتآمر، فلا أريد أن نلقى في الكويت ما لقينا في سوريا، والقوة المصرية هناك كانت مؤلفة من فنيين فقط، وعددهم لم يبلغ المئة، وقد أمرت بسحبهم جميعا»[٢٤٥].

(د) عروبة الخليج:

علــى الرغم من مؤامرة الانفصال التــى جعلته يبكى على الملأ، وهى المرة الوحيدة التى بكى فيها عبد الناصر[٢٤٦] إلا أن موقفه من قضايا الخليج العربى، وخاصة إمارات الساحل لم يكن موقف المتفرج، وإنما - تصدى للخطر القادم من شــرق الخليج حيث نظام الشــاه، الذى كان يطمح فى أداء دور فاعل فى تشكيل مستقبل الخليج، خاصة بعد قيام ثورة اليمن عام ١٩٦٢م. وما تركته من آثار على المنطقة كلها[٢٤٧]. فالشاه، لم يكتف بمحاربة المصريين، وقــوات الجمهورية اليمنية[٢٤٨] إنمــا - وهذا ما ضاعف من مخاوف الرئيس عبد الناصر - أخذ ينســق مع الكيان الصهيونى لتشــجيع هجرة العناصر غير العربية إلى الساحل العربى بهدف طمس عروبة الخليج، والإمارات العربية، وخصوصا إمارات الســاحل العمانى، مما بدا معه أن هناك مخططا مرسوما لتغيير طبيعة تركيبها السكانى[٢٤٩].

وبنــاءً عليه، دعا مجلس الجامعة، فى دورة انعقــاده الثانى والأربعين، يوم ٤ يناير ١٩٦٥م، إلى بــذل الجهــود لدى الــدول، والهيئات والمنظمات المختلفة للتقيد بتســمية الخليج بـ «الخليج العربى» بدلا من الخليج الفارســى»[٢٥٠]. وكان المجلس قد أصدر فى دورتــه الحادية والأربعين قرارا فــى يوم ٣١ مارس ١٩٦٤م بإيفاد بعثة من جامعة الدول العربية للاتفاق مع أمراء الخليج على تقييد الهجرة الأجنبية، نظرا لما تشــكله من خطر علــى هــذه المنطقــة العربية، وأن تبادر أجهــزة الإعلام فى الدول الأعضــاء إلى التبصير «بأخطار الهجرة»[٢٥١]. وتشكلت اللجنة برئاسة الأمين العام، وضمت محمود على الداود، ممثلا عن العراق، ومحمد منصور الرميح الســفير الســعودى فى الكويت، والســفير بدر الخالد ممثلا للكويت[٢٥٢].

وكمــا كان متوقعــا، فإن الســلطات البريطانية اعتبرت إرســال الوفــد المذكور بمثابة تحد لها، ونوعا من التدخل فى شــؤونها، فأخذت تتصــل بالحكام، لمنعهم من التعامل مــع اللجنــة لأنها، كما تعتقــد«ما هى إلا غطــاء للتدخل المصرى فى الشــؤون الداخلية لإمارات الخليج[٢٥٣].

وفى الوقت الذى تحركت فيه السلطات الاستعمارية البريطانية للاتصال بحكام الخليج العرب كان هناك سعى سعودى مماثل للسعى البريطانى من أجل إفشال زيارة البعثة، وقد قام بهذا الدور الممثل السعودى، محمد منصور الرميح. ومما كشفت عنه الوثائق البريطانية،

أنه فى يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٦٤م وهو اليوم الذى وصلت فيه البعثة إلى «أبو ظبى» قام المذكور بالاتصال بحاكم الإمارة «شـخبوط بن سـلطان» لإبلاغه أنه مكلف من الأمير فيصل (الملك الفعلـى وقتها) بمراقبة أعضاء وفد الجامعة. وأنه ينصحه بعدم الارتباط بأى التزام معها. كما أبدى استعداد بلاده لتقديم أية مساعدات يطلبها»[٢٥٤].

والحاصل أنه عندما وصل وفد الجامعة إلى إمارة «دبى» انزعج الإنجليز بسبب هتافات الجماهير المعادية للاستعمار البريطانى، والمؤيدة لجمال عبد الناصر. مما دفعهم إلى استخدام السـلاح لتفريق المتظاهرين. مما أدى إلى مقتل شـاب، وجرح العديد من المواطنين. وذلك حسب شهادة الداود[٢٥٥].

وطبقا لما ذكره أحد الدارسين. فإن حاكم دبى كان موافقا على الإجراء البريطانى. وربما كان هناك اتفاق مسـبق بينه وبين الوكيل السياسـى فى حالة وقوع اضطرابات. ولقد ظهر ذلـك بوضوح فى الموقف المتردد الذى اتخذه حاكم دبى أثناء اجتماعه بوفد الجامعة. وهو موقف لم يختلف كثيرا عن موقف حاكم أبو ظبى. وكان للسـفير السـعودى دور كبير فى ذلك. بسبب اجتماعه بالوفد[٢٥٦].

وفيما يتصل بذلك. أشار تقرير للمخابرات الأمريكية «إلى الموقف غير الودى الذى يقفه حكام الخليج من ج. ع. م لما تشـكله من خطر على مصالحهم. واسـتقرار أنظمتهم» بينما تحدث عن «الجماهير العريضة المؤيدة لها، والحريصة على الاستماع إلى إذاعة القاهرة»[٢٥٧].

ولقـد عبّر عن هذه الحقيقة. أحد مواطنى الإمارات. وهو أحمد الطيار بقوله: «كنا هنا فى الإمارات نخاف الإنجليز. ولكن بعد ظهور جمال عبد الناصر اختفت هيبتهم والخوف منهم وصرنا نقذفهم بالحجارة». وأضاف مواطن آخر. وهو سالم بن على: «كنا نعلق صورة عبد الناصر فى البيوت والمجالس. ونحملها فى المحافظ. وكان الناس يسـمون مواليدهم باسمه، ويتجمهرون حول أجهزة المذياع ليسمعونه عندما يتكلم. وكان خطيبا لاذعا تخشاه بريطانيـا وتمنـع الناس من سماعه فى المقاهـى». ويقول المواطن راشـد الحارث بن ثانى «كنت أعمل فى صيد السـمك، وعندما أعرف أن جمال عبد الناصر سيخطب، كنت أترك البحر. وأشترى بطارية جديدة. حتى لو كانت البطارية التى فى الراديو جديدة. وأجلس فى البيت. أنتظر سماع الخطاب»، ومضى راشـد يقول: «جمال عبد الناصر كان نعمة من نعم الله. كان رفيق الغلابة ومعين الفقير»[٢٥٨].

(هـ) إنشاء صندوق الخليج العربى:

بعد أن أتمت بعثة الجامعة جولتها فى سائر إمارات الخليج، وضعت مشروعا متكاملا، تنفذه الجامعة العربية ويتناول مد الطرق التى تصل بين الإمارات جميعا، وداخل كل إمارة، وإنشاء شبكة هاتفية، ووحدات كهربائية، ومشروعات للتنمية الزراعية، والاقتصادية وتوسيع الخدمات الصحية والتعليمية، وقدرت التكاليف مبدئيا بنحو خمسة ملايين جنيه[٢٥٩].

وعلى هذا الأساس تقرر إنشاء صندوق لمساعدة المنطقة تساهم فيه الدول العربية الثلاث فى «لجنة الخليج العربى» التى تقرر أن تصبح لجنة دائمة بعد انضمام الجمهورية العربية المتحدة لها، بقرار خاص، ومباشر من الرئيس جمال عبد الناصر، الذى عين «حسن صبرى الخولى» ممثلا شخصيا له فى تلك اللجنة[٢٦٠].

وفى ٩ يناير عام ١٩٦٥م قرر رؤساء الحكومات العربية لدى اجتماعهم فى القاهرة، إيفاد الأمين العام المساعد، سيد نوفل، إلى الإمارات للاتصال بحكامها للحصول منهم على موافقتهم لتنفيذ مشروعات التنمية[٢٦١] المشار إليها، إلا أن معارضة بريطانيا كانت شديدة ضد وجود الجامعة، كما يذكر سيد نوفل، الذى تبين له «أنها أنشأت ما أسمته «صندوق تطوير الإمارات المتصالحة» وأنها كانت تصر على وضع المعونات فى هذا الصندوق، وتقديمها عن طريقه»[٢٦٢].

ولقد نقل لنا السفير اللبنانى ما دار فى اجتماع اللجنة السياسية للجامعة العربية كيف أن صبرى الخولى راح يصب هجومه على بريطانيا التى كانت سببا فى كافة مشاكل العرب، كما أخذ على الحكام العرب فى الخليج خضوعهم للضغط، وتراجعهم، بعد أن كانوا قد قبلوا كتابة بإنشاء صندوق فى الجامعة وحدها، واستثنى حاكم الشارقة الشيخ صقر بن سلطان القاسمى الذى «أُبعد عن منصبه» وكيف انبرى له عمر السقاف وكيل الخارجية السعودية، وحمل على ما أسماه «تصنيف الناس» داخل الجامعة، وخارجها وتساءل عن «مقاييس، وشروط الوطنية، أو العمالة، أو الاستسلام للأجانب».

وما أن تقدم سيد نوفل بمشروع التوصية، فى موضوع الخليج، وتلا المقدمة التى تتضمن التعابير المعهودة: تنديد «بالاستعمار وأعوانه» وحملة شديدة على «الحكام المارقين» و«تحية لسلطان الشارقة السابق» ودعوة إلى «مناهضة عملاء الاستعمار» حتى تبدل جو المناقشة تبدلا

كاملا كاد يؤدى إلى القطيعة، إذ رفض السقاف القبول بجميع عبارات المقدمة ورأى «أنها ضارة بالمصلحة العربية نفسها، وأنها ستثير حفيظة سائر الأمراء، وهم عرب أقحاح يعملون بوحى من ضمائرهم»، وتساءل عن الفائدة من هذه التعابير التى «ملتها الأسماع، ولم يجن العرب من جرائها إلا الشحناء والخلافات» وقال: «إن الأمر لا يعدو أحد احتمالين: هجوم مسلح على البريطانيين، وطرد البريطانيين من المنطقة، فإن آنس العرب فى أنفسهم قدرة على ذلك فليتفضلوا، ونحن فى المقدمة، وإلا كان عليهم السير فى سياسة واقعية تؤمن مصالح تلك المنطقة، وتصل بها يوما إلى الاستقلال». وحمل السقاف حملة شديدة على الأمين المساعد، الدكتور نوفل، واتهمه «بأنه فى رحلته إلى الخليج تصرف تصرفا زاد النار ضراما، وأدى إلى اشتداد الأزمة، بدلا من تخفيفها، وأنه تصرف تصرفا غير لبق»[٢٦٣].

وهذا الموقف غير اللبق، كشف عن حقيقته، السفير البريطانى فى جدة الذى أبلغ حكومته يوم ٢٩ مايو «أن وكيل الخارجية السعودى أبلغه أنه قد نجح فى إحباط محاولة مصرية لإدراج موضوع الخليج فى جدول أعمال اجتماع الجامعة القادم» وأضاف «أن المساهمة السعودية ستدفع فى أقرب وقت» مبررا تردد السعوديين «بأنهم يخشون الظهور كشركاء فى مؤامرة تقودها بريطانيا ضد القومية العربية»[٢٦٤].

وكان المقيم السياسى البريطانى قد تلقى من الملك فيصل، عن طريق مبعوثه، تأكيدات عن «استعداد المملكة السعودية دفع مبلغ مليون جنيه للصندوق البريطانى، بشرط إرسال حكام الإمارات برقيات له يعلنون فيها قبولهم تلك المعونة، مع تأكيد أن المبلغ المذكور لن يرسل إلا بعد إبعاد جامعة الدول العربية عن المنطقة»[٢٦٥].

وفى هذا الصدد قال سيد نوفل «إن الجامعة تلقت من حكام إمارات الساحل، الذين وافقوا قبلا على التعاون مع الجامعة، برقيات خلاصتها سحب الموافقة السابقة بالتعاون مع الجامعة، وقبول المعونة عن طريق صندوق التطوير الذى أنشأته بريطانيا»[٢٦٦].

وهكذا، وكما رأينا، فبينما كان الرئيس جمال عبد الناصر يسعى بكل الوسائل لتفعيل دور الجامعة العربية وإضعاف النفوذ البريطانى فى منطقة الخليج، كان الملك فيصل يسعى إلى تحقيق هدف سلبى، يتمثل فى إضعاف وتقليص دور عبد الناصر فى المنطقة حتى لو أدى ذلك إلى تكريس الوجود الاستعمارى البريطانى فى المنطقة، وهو ما لم يتحقق إذ أعلن رئيس الحكومة البريطانية، يوم ١٦ يناير ١٩٦٨م عن قراره بسحب جميع القوات

البريطانية من الشرق الأقصى، ومن الخليج العربى، فى موعد أقصاه نهاية عام ١٩٧١م[٢٦٧] بسبب الأوضاع الاقتصادية السيئة، ورغبة فى تخفيض النفقات الحكومية، وذلك لتفسير الخارجية الأمريكية، التى أضافت «أن من شأن ذلك أن يدمر وضع الغرب فى الخليج» واتهمت القرار «بأنه يعوزه حسن المسؤولية، وأن الولايات المتحدة، التى تعلق أهمية كبرى على المحافظة على الوجود البريطانى الدائم، تشعر بأن القرار غير مبرر، وينطبق عليه المثل القائل: «مقتصد فى التوافه مسرف فى عظائم الأمور Penny wise Pound foolish». وعبّر باتل Battle، نائب مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأوسط، عن «خشيته من تعرض الأنظمة المحافظة للخطر، وتعرض المنطقة كلها لضغوط العرب المتطرفين» وتساءل عما إذا كان الانسحاب يزيد الإنجليز قوة، أو يزيدهم ضعفا»[٢٦٨].

أما بالنسبة للموقف السعودى، فقد أبلغه للقنصل الأمريكى فى الظهران لحكومته فى برقية، جاء فيها «إن رشاد فرعون، أقدم مستشارى الملك فيصل، قد عبر له عن القلق السعودى حول مستقبل الخليج بعد الانسحاب البريطانى، وما سوف ينتج عنه من نشاط سوفييتى فى منطقة الشرق الأوسط تماما كما حدث فى اليمن، وجنوب الجزيرة العربية» وتساءل رشاد فرعون: «عما إذا كانت الحكومة البريطانية قد استشارت حكومة الولايات المتحدة قبل اتخاذها قرار الانسحاب» وأبدى دهشته من «رفض الحكومة البريطانية للعرض الذى تقدمت به مشيخات الخليج بدفع تكاليف بقاء القوات البريطانية»[٢٦٩].

ونظرا لفشلهم فى استئجار الجيش البريطانى[٢٧٠]، فإن أمراء الخليج اقترحوا أن تقوم الولايات المتحدة بملء الفراغ الناشئ عن انسحاب البريطانيين[٢٧١]، إلا أن روستوف مساعد الرئيس جونسون اقترح على الرئيس «أن تقوم كل من السعودية، وإيران بملء الفراغ الناشئ عن انسحاب الإنجليز من الخليج[٢٧٢]. ولم يتردد الرئيس فى إرسال خطابين بتاريخ الأول من فبراير ١٩٦٨م لكل من الملك فيصل، والشاه[٢٧٣] لتنفيذ السياسة الأمريكية فى الخليج.

والخلاصة أن التجربة الناصرية فى الخليج قد أثبتت أن بإمكان الجامعة أن تكون صمام أمان لأمن قومى عربى شريطة أن يتوفر لها الحد الأدنى من التعاون العربى[٢٧٤]. وأنه فى الوقت الذى أخذت فيه بريطانيا تلملم نفسها لتحمل عصاها على كاهلها وترحل من الخليج العربى من دون رجعة، رحل جمال عبد الناصر وظهرت بعده بعام واحد ثلاث

إمارات مستقلة فى الخليج العربى هى: البحرين، وقطر، ودولة الإمارات العربية المتحدة، كلها بدستور، ومجلس شورى، منتخب أو معين، وقد سبقها إلى ذلك حركة التغيير التى تمت فى سلطنة عمان باتجاه تحديث البلاد، وقد كانت الأفكار الناصرية أحد أسباب هذه التحولات[٢٧٥].

□□□

الهوامــش

(١) نــور الدين بن الحبيب حجلاوى، تأثير الفكر الناصرى على الخليج العربى، ص ١١ (بيروت ٢٠٠٣م).

(٢) Fo. 37111442-/E 493791/367/. Jedda Diaries, Vol. 2, P. 398, July 31, 1926.

(٣) Philby. H.ST. John B., Forty years in the wilderness. PP. 39 (London 1957).

(٤) طلال بن عبد العزيز: رسالة إلى مواطن، ص ٣٩.

(٥) نفس المرجع، ص ٦.

(٦) نفس المرجع، ص ٧.

(٧) نفس المرجع، ص ٣٨.

(٨) نفس المرجع، ص ٣١.

(٩) نفس المرجع، ص ٣٠.

(١٠) نفس المرجع، ص ٢٢.

(١١) نفس المرجع، ص ٦، ٣٦.

(١٢) FRUS. 1947, Vol. V. No. NEA Files lot 55-D36, P. 598 N.D.

(١٣) FRUS. 19521954-. Vol. IX, No. 1449. P. 2434. Feb. 14. 1953.

(١٤) FRUS, 19551957-. Vol. XII, No. 133, P. 311.

(-) World Encyclopedia of Political Systems and Parties, Vol. 2, Library of Congress. 1983. PP. 875.

(١٥) Lipsky. A. George. Saudi Arabia, PP. 59 (Washington 1959).

(١٦) FRUS. 19611963-. Vol. XVIII. No. 286, P. 619621-. July 1. 1963.

(١٧) FRUS, Ibid. No. 68, P. 158. Oct. 4. 1962.

(١٨) Pertez. Don. The Middel East Today. PP. 478 (N.Y. 1983).

(١٩) Badeau. S.. John. The American Approach to the Arab World. PP. 124 (N.Y. 1968).

(٢٠) Sanger. Richard. The Arabian Peninsula. PP. 235 (Cornell Univ. Press 1978).

(٢١) فؤاد مطر، بصراحة عن عبد الناصر: حوار مع هيكل، ص ١٥٧ (بيروت ١٩٧٥م).

- أحمد حمروش، مقالة، مجلة روزاليوسف، عدد ١٣/ ٧/ ١٩٨٦م.

- نظام شرابي، أمريكا والعرب، ص ١٦٦ (لندن - رياض الريس).

(٢٢) FO. 37117935-/ E 433425/715/. Jadda Diaries. Vol. 3. P. 491497-. July 3. 1934.

(٢٣) القاضي عبد الله الشماحي، اليمن.. الإنسان والحضارة، ص ٢٠٠ (القاهرة ١٩٧٣م).

(٢٤) زيد بن علي الوزير، محاولة لفهم المشكلة اليمنية، ص ١٦٩ (بيروت ١٩٧١م).

(٢٥) قحطان محمد الشعبي، الاستعمار البريطاني ومعركتنا العربية في جنوب اليمن، ص ١٢ - ١٣، ٥٩ (القاهرة).

(٢٦) فتحي الديب، عبد الناصر وحركة التحرر اليمني، ص ٩٥ (بيروت ١٩٩٠م).

- عادل رضا، ثورة الجنوب، ص ١٩ - ٢٠ (القاهرة ١٩٦٩م).

(٢٧) نفس المرجع، ص ٢٩.

(٢٨) نفس المرجع، ص ٢٩ - ٣٠.

- حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ص ٣٦٥ - ٣٦٧ (القاهرة ١٩٦٣م).

(٢٩) FRUS. 1964 – 1968. Vol. XXI. No. 67. P. 159. Nov. 5. 1965.

(٣٠) د. محمد عمر الحبشي، اليمن الجنوبي، ص ٣٣ - ٣٤ (بيروت ١٩٦٧م).

- د. صلاح العقاد، جزيرة العرب في العصر الحديث (ص ١١٧).

(٣١) قحطان محمد الشعبي، نفس المرجع، ص ١٠٣ - ١٠٤.

- د. محمد عمر الحبشي، نفس المرجع، ص ١٦٧ - ١٦٨.

(٣٢) قحطان محمد الشعبي، نفس المرجع، ص ١٠٣ - ١١٠.

(٣٣) د. صلاح العقاد، نفس المرجع، ص ١١٦.

(٣٤) قحطان محمد الشعبي، نفس المرجع، ص ٥١.

(٣٥) محمد جبريل، مدينة المهاجرين، ص ٢٤ (القاهرة).

(٣٦) FRUS. 19641968-. Vol. XXI. No. 132. P. 274. Feb. 2. 1968.

(٣٧) د. سيد نوفل، الخليج العربى، ص ٢٦٠ (بيروت ١٩٦٩م).

(٣٨) د. صلاح العقاد، التيارات السياسية فى الخليج العربى، ص ٢٩١ (القاهرة ١٩٧٤م).

(٣٩) د. سيد نوفل، الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربى، وجنوب الجزيرة العربية، ص ٣٦ - ٣٧ (القاهرة ١٩٧٢م).

(٤٠) د. صلاح العقاد، الاستعمار فى الخليج الفارسى، ص ١١٧ (مكتبة الأنجلو - القاهرة).

(٤١) نفس المرجع.

(٤٢) د. خلدون حسن النقيب، المجتمع والدولة فى الخليج والجزيرة العربية، ص ٨٦ (بيروت ١٩٨٩م).

(٤٣) جان جاك بيربى، الخليج العربى، ترجمة نجدة هاجر، وسعيد الفز، ص ٥٠ (بيروت ١٩٥٦م).

(٤٤) نفس المرجع، ص ٥٠.

- مجلة صوت الطليعة، عدد يونيه ١٩٧٣، ص ٣٧.

(٤٥) فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص ٣٨١ (الرياض ١٩٦٨م).

(٤٦) مجلة صوت الطليعة، نفس العدد، ص ٣٧.

(٤٧) جان جاك بيربى، نفس المرجع، ص ٣٢.

(٤٨) د. صلاح العقاد، نفس المرجع، ص ٢٧٢.

(٤٩) محمد على رفاعى، الجامعة العربية وقضايا التحرير، ص ٣٣٢ - ٣٣٣.

(٥٠) نفس المرجع، ص ٣٣٣.

(٥١) جون بولوك، الخليج، ترجمة دهام موسى القطاونة، ص ٣٠ - ٣١.

(٥٢) د. جمال زكريا قاسم، الأسس التاريخية لوحدة الإمارات ودور الاستعمار فى تجزئتها (بحث) ص ٩٦.

(٥٣) د. سيد نوفل، الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربى، وجنوب الجزيرة العربية، ص ٣٧.

(٥٤) نفس المرجع.

(٥٥) د. محمد متولى. حوض الخليج العربى. ص ٥٥٦ (القاهرة ١٩٧٤م).

(٥٦) FRUS. Ibid. No. 51. P. 123. Jan. 30. 1964.

(٥٧) FRUS. Ibid. P. 120.

(٥٨) نوفمبر ١٩٥٣م، أغسطس ١٩٥٤م، أبريل ١٩٥٦م، سبتمبر من نفس العام، أغسطس ١٩٦٥م.

(٥٩) محمد حسنين هيكل. ملفات السويس. ص ٣١٧ (القاهرة ١٩٨٦م).

(٦٠) خير الدين الزركلى. شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز، جـ٢. ص ٦٣٧ – ٦٤٠ (بيروت ١٩٧١م).

– أحمد عسة. معجزة فوق الرمال. ص ٨١٩ (بيروت ١٩٧١م).

– مجلة صوت الطليعة، عدد مارس ١٩٧٤م، ص ١٢.

(٦١) الباحث أحد أفراد الجيش السعودى، وخريج الكلية الحربية المصرية. دفعة ١٢ أكتوبر ١٩٥٥م.

(٦٢) مجلة صوت الطليعة، نفس العدد.

– Lacey, Robert. The Kingdom. PP. ٣١١.

(٦٣) لقاء مع العقيد محمد العربى، أحد خريجيها.

(٦٤) منهم رسام الكاريكاتير الشهير «على الخرجى».

(٦٥) طلال عبد العزيز. نفس المرجع، ص ٣، ٧، ١٥.

(٦٦) FRUS. 19611963-, Vol. XVIII. No. 63. P. 158. Oct. 4. 1962.

(٦٧) FRUS. Ibid. No. 69, P. 160. Oct. 5, 1962.

(٦٨) أحمد يوسف أحمد، الدور المصرى فى اليمن، ص ١٦٢–١٦٧، ص ١٤٩.

– فاسيليف، العربية السعودية، ص ٤٤٩.

(٦٩) FRUS. 19611963-, Vol. XVIII. No. 63. P. 158. Oct. 4. 1962.

(٧٠) FRUS. Ibid. No. 71, P. 162165-, Oct. 5. 1962.

(٧١) FRUS. Ibid. P. 165.

(٧٢) FRUS. Ibid. No. 76. P. 173. Oct. 9. 1962.

(٧٣) FRUS, Ibid. No. 83. P. 187. Oct. 19. 1962.

(٧٤) FRUS. Ibid, No. 88. P. 198199-. Nov. 2. 1962.

(٧٥) FRUS, Ibid.

(٧٦) FURS. Ibid. No. 91. P. 204n, Oct. 31, 1962.

(٧٧) FRUS, Ibid. No. 392. P. 854. Dec. 23, 1963.

(٧٨) FRUS, Ibid. No. 373. P. 814. Dec. 1, 1963.

(٧٩) فوزى أسـعد نقيطى. العلاقات المصرية السعودية. ص ٥٦٩ –٥٧٠ (رسالة دكتوراه معهد البحوث والدراسات العربية، ٢٠٠٠م).

(٨٠) جريدة الأخبار، عدد ٥/ ١٠/ ١٩٦٢م نقلا عن بيروت المساء.

(٨١) أحمد حمروش، قصة ثورة ٢٣ يوليو، جـ٣، ص ٢٣٤ – ٣٣٥.

(٨٢) نفس المرجع، ص ٤٥٩ – ٤٦٠.

(٨٣) فاسيليف نفس المرجع، ٤٤٧.

– فهـد القحطانـى، صراع الأجنحـة فى العائلة السـعودية المالكـة، ص ١٠٦ – ١٠٧ (لندن ١٩٨٨م).

– فاسيليف، نفس المرجع، ص ٤٥٧.

(٨٤) نفس المرجع.

(٨٥) الصحف القومية، عدد ٢١/ ٨/ ١٩٦٢م.

– فاسيليف، نفس المرجع، ص ٤٤٧.

(٨٦) Schmidt. Jemen. The Unkown War. PP. 5051- (London 1968).

(٨٧) Lacey, Robert. Ibid. P. 354.

(٨٨) Ibid. P. 356.

(٨٩) FRUS, 19641968-, Vol. XXI. No. 4, P. 8, April 8. 1964.

(٩٠) FRUS, Ibid. No. 226, P. 436. May 15, 1964.

(٩١) FRUS. Ibid. No. 228. P. 443 - 444, May 28, 1964.

(٩٢) نور الدين بن الحبيب حجلاوى، نفس المرجع، ص ١١٧، ١٢٠ (بيروت ٢٠٠٣م).

(٩٣) FRUS, Ibid, No. 273. P. 520522-, June 20, 1966.

(٩٤) FRUS. Ibid, No. 260. P. 496497-, Feb. 1, 1966.

(٩٥) FRUS. Ibid. No. 261. P. 498.

(٩٦) FRUS. Ibid. No. 271. P. 515. June 8, 1966.

(٩٧) كامل زهيرى، من ثقب الباب، جريدة الجمهورية، عدد ٢٧/ ٩/ ١٩٩٤م.

(٩٨) مجلة صوت الطليعة، عدد نوفمبر ١٩٧٥، ص ١٢-١٦.

(٩٩) Holden. David. Farewell to Arabia. PP. 135 (London 1966).

(١٠٠) د. محمد على الشـــهارى (مدير مكتب الرئيس الســـلال) عبد الناصر وثورة اليمن، ص ٤٦ (القاهرة).

(١٠١) د. عبد الوهاب آدم العقاب، عبد الناصر والثورة اليمنية ١٩٥٢م – ١٩٦٧م، ص ٤ (جامعة إب).

(١٠٢) نفس المرجع، ص ٥١.

(١٠٣) Holden. David. Ibid.

(١٠٤) FRUS. 19641968-. Vol. XXI. No. 60. P. 141. June 24. 1964.

(١٠٥) محمد حسنين هيكل، حوار مع جريدة العربى، عدد ٢٥/ ٧/ ١٩٩٤م.

– نور الدين بن الحبيب حجلاوى، نفس المرجع، ص ١١١ (بيروت ٢٠٠٣م)

(١٠٦) FRUS. 19611963-. Vol. XVIII. No. 171. P. 379. Feb. 28, 1962.

(١٠٧) د. فوزى أسعد نقيطى، نفس المرجع، ص ٥٥٠ – ٥٦٠.

(١٠٨) حديث لجريدة الأهرام، عدد ١٠/ ١١/ ١٩٦٢م.

(١٠٩) الباحث كان يعمل مساعدا لرئيس إدارة الخطط والعمليات وقتها.

(١١٠) زميل الباحث.

(١١١) FRUS. Ibid. No. 80. P. 178179-, Oct. 11. 1962.

(١١٢) د. عبد الوهاب آدم أحمد العقاب، نفس المرجع، ص ٥.

(١١٣) أحمد حمروش، نفس المرجع، جـ ٣، ٢٣٤.

(١١٤) FRUS. Ibid. No. 71. P. 162. Oct. 5. 1962.

(١١٥) FURS. Ibid. P. 162 – 163.

(١١٦) Gouse III. Gregory. Saudi – Yemeny Relations. PP. 60 (N. Y. 1990).

(١١٧) FRUS. Ibid. No. 74. P. 170. Oct. 8. 1962.

(١١٨) Badeau. S. John. The Middle East Rememnered. PP. 207.

(١١٩) Fawaz A. Gerges. The Middle East Journal. Vol. 49. No. 2. Spring 1955.

(١٢٠) مذكرات أكرم الحورانى، جـ ٤، ص ٣١١٩ – ٣١٢٠ (القاهرة ٢٠٠٠م).

(١٢١) محمد حسنين هيكل، سنوات الغليان، ص ٦٣٧.

(١٢٢) نفس المرجع.

(١٢٣) جريدة الرياض، عدد ١٩٦٣/٩/٥م (الوثائق العربية).

(١٢٤) Peterson. J. E.. Yemen. The Search for Modern State. PP. 89 (London 1982).

(١٢٥) محمد عودة، من وحى ثورتين، مقالة جريدة الأهالى، عدد ١٧/ ٧/ ١٩٩١م.

(١٢٦) نقلا عن جريدة الأخبار، عدد ١١/ ١٠/ ١٩٦٢م.

(١٢٧) إدجار أو بالانس، اليمن: الثورة والحرب، ص ١٣٠، ترجمة د. عبد الخالق لاشين (القاهرة ١٩٨٥م).

– جريدة الأخبار، عدد ١٦/ ١٠/ ١٩٦٢م.

(١٢٨) طلال بن عبد العزيز، صورة من حياة عبد العزيز، ص ١١٢.

(–) Holden, David. Ibid. P. 135.

(١٢٩) نقلا عن جريدة الأخبار، عدد ٢/ ١٢/ ١٩٦٢م.

(١٣٠) د. عبد العزيز المقالح، عبد الناصر واليمن، ص ٤٥ – ٤٦.

(١٣١) د. عبد الكريم الإريانى، حديث لجريدة الأهرام، عدد ١٧/ ٦/ ١٩٩٩م.

(١٣٢) علـى عبـد الله صـالح، رئيـس الجمهورية اليمنيـة، حديث لنفـس الصحيفة، عدد ٢٧/ ٥/ ١٩٨٨م.

(١٣٣) جريدة الجمهورية، عدد ١١/ ٦/ ١٩٧٠م.

– د. على محمد الشهاوى، نفس المرجع، ص ٥٨.

(١٣٤) FURS. Ibid. No. 346. P. 751. Oct. 19. 1963.

(١٣٥) FRUS. Ibid. No. 80. P. 179. Oct. 13. 1962.

(١٣٦) سـعيد باديـب، العلاقـات السـعودية الإيرانيـة ١٩٣٢م – ١٩٨٣م، ص ١٧٢ (الرياض ١٩٩٣م).

- جريدة الأخبار. عدد ٦/ ٣/ ١٩٦٥م.
- ديفيــد سمايلى (قائد المرتزقة فى اليمــن) مهمة فى الجزيرة العربية. جـ٢، ص ١٣٢، ١٤٠، ترجمة حامد جامع (بيروت ١٩٨٩م).

(١٣٧) FRUS. Ibid. No. 389. P. 848. Dec. 19, 1965.

(١٣٨) مجموعة خطب وتصريحات الرئيس جمال عبد الناصر. القسم الرابع، ص ٥٦٣.

(١٣٩) FRUS. 1964 – 1968. Vol. XXI, No. 54, P. 128n, April 25. 1964.

(١٤٠) FRUS, Ibid. P. 128.

(١٤١) FURS, Ibid, P. 128 – 129.

(١٤٢) Parliamentary Debated. Vol. 693, P. 1944, June 3. 1964.

(١٤٣) FRUS, Ibid, No. 57, P. 137, May 5, 1964.

(١٤٤) FRUS. Ibid, No. 51. P. 120, Jan. 30, 1964.

(١٤٥) FRUS, Ibid, No. 59. P. 140, May 28, 1964.

(١٤٦) FRUS, Ibid. No. 61. P. 144 – 145. June 7. 1965.

(١٤٧) FRUS, Ibid, No. 57, P. 138, May 5, 1964.

(١٤٨) FRUS, 1961 – 1963. Vol. XVIII. No. 59. P. 141, Sept. 12, 1962.

(١٤٩) FURS. Ibid. No. 59. P. 141, Sept. 27, 1962.

(١٥٠) FRUS. 1964 – 1968, Vol. XXI, No. 76, P. 175176–.

(١٥١) FRUS. Ibid. No. 54, P. 129n April 29. 1964.

(١٥٢) FRUS. Ibid. No. 336, P. 638, May 8. 1964.

(١٥٣) FRUS. Ibid. No. 58, P. 139 – 140.

(١٥٤) انظر كتاب ديفيد سمايلى، نفس المرجع، جـ ٢، ص ٧٧.

(١٥٥) نفس المرجع، ص ٢٩، ٤٧، ٧٣، ٨٩، ٩١، ١١٨، ١٢٣، ١٢٦، ١٥٩.

(١٥٦) ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣م.

(١٥٧) عبد القوى مكاوى، شهادتى للتاريخ، ص ٧٤ (القاهرة ١٩٧٩م).
- فتحى الديب، عبد الناصر وحركة التحرر اليمنى، ص ١١٤ (بيروت ١٩٩٠م).

(١٥٨) ISN / 24464، جامعة الدول العربية، الأمانة العامة، مضابط جلسات دور الاجتماع العادى الحادى والأربعين (١١ مارس ١٩٦٤م – ٢١ مايو ١٩٦٤م) ص ٣٤٤.

(١٥٩) ISN / 24464، نفس المرجع.

(١٦٠) نفس المرجع.

(١٦١) نفس المرجع.

(١٦٢) نفس المرجع.

(١٦٣) ج (٦٥ – ٦٤) ٤٣ – ٤٢/ ٠١ ق ٥، قرارات مجلس الدول العربية، نفس المرجع. (٢٨ سبتمبر ١٩٦٤م– ٢٢ مارس ١٩٦٥م) ص ١٥١.

(١٦٤) نور الدين بن الحبيب حجلاوى، نفس المرجع، ص ٣١٨.

(١٦٥) د. إبراهيم خلف العبيدى، الحركة الوطنية فى الجنوب اليمنى، ١٩٤٥م – ١٩٦٧م، ص ٣٥١ (بغداد ١٩٧٩م).

(١٦٦) ح ٥١ / (٦٥ – ٦٤) ٤٣ – ٤٢ ق ٥ (قرارات مجلس جامعة الدول العربية) نفس المرجع، ص ٨٩ – ٩٠.

(167) FRUS. Ibid, NO. 67, P. 59, No. 5, 1965.

– د. إبراهيم خلف العبيدى، الحركة الوطنية فى الجنوب اليمنى، ص ٣٤١ – ٣٤٢ (رسالة دكتوراة، جامعة بغداد، ١٩٧٩م).

(١٦٨) سلطان بن ناجى، التاريخ العسكرى لليمن، ص ٢٢٦ (عدن ١٩٧٦م).

– عبد الوهاب آدم العقاب، نفس المرجع، ص ١٢٠.

(١٦٩) FRUS. Ibid. No. 61, P. 143 – 144. June 9. 1965.

(١٧٠) FRUS. Ibid, No. 85, P. 193. March 6. 1967.

(١٧١) FRUS. Ibid. No. 68, P. 163. Feb. 4. 1966.

(١٧٢) نفس المرجع، ص ٣٦١.

(١٧٣) د. إبراهيم خلف العبيدى، نفس المرجع، ص ٣٥٦.

(١٧٤) د. إبراهيم خلف العبيدى، نفس المرجع، ص ٣٦٠.

(١٧٥) نفس المرجع.

(١٧٦) إذاعة صوت العرب، يوم ١/ ٩/ ١٩٦٤م.

- نقلا عن نفس المرجع.

(١٧٧) سلطان ناجي، نفس المرجع، ص ٢٨٧ (عدن ١٩٧٦م).

(١٧٨) نفس المرجع.

(١٧٩) FRUS. 1964 – 1968. Vol. XXI. No. 99. P. 218. July 24. 1967.

(١٨٠) FRUS. Ibid. No. 981. P. 215. June. 19. 1967.

(١٨١) Her Mejesty's Office. State papers. 1967– 1968. Vol. 169. P. 122.

نقلا عن د. إبراهيم خلف العبيدى، نفس المرجع، ص ٤٤٥.

(١٨٢) د. إبراهيم خلف العبيدى، نفس المرجع.

(١٨٣) FRUS. Ibid. No. 106. P. 230. Oct. 28. 1967.

(١٨٤) Gause III. F. Gregory. Ibid. P. 72.

(١٨٥) FRUS. Ibid, No. 276. P. 529. June 21. 1966.

(١٨٦) FRUS. Ibid. No. 248. P. 541. Jan. 16. 1967.

(١٨٧) FRUS. Ibid. No. 83. P. 189. Nov. 22. 1964.

(١٨٨) جون بولوك، الخليج، دهّام موسى العطاونة، ص ٣٨ (لندن ١٩٨٨م).

(١٨٩) د. نور الدين بن الحبيب حجلاوى، نفس المرجع، ص ٧٢.

(١٩٠) The Eisenhower Diaries. PP. 318 (N.Y. 1981).

(١٩١) جون بولوك، نفس المرجع، ص ٢٨.

(١٩٢) FO. 37120/140/. Arab League British Documentary Sources. (ALBDS) Vol. 9. P. 407, Jan. 27, 1959.

(١٩٣) د. نور الدين بن الحبيب حجلاوى، نفس المرجع، ص ٧٢.

(١٩٤) جمال عبد الناصر، فلسفة الثورة، ص ٧٤ – ٧٧.

(١٩٥) د. نور الدين بن الحبيب حجلاوى، نفس المرجع.

(١٩٦) عبد الله الطريقى، الأعمال الكاملة، ص ٩٢.

(١٩٧) نفس المرجع.

(١٩٨) نفس المرجع، ص ٩٥ – ٩٦.

(١٩٩) نفس المرجع، ص ٢٤، ٧٧، ٩٥.

(٢٠٠) نفس المرجع، ص ٢٤.

(٢٠١) أعلن عن قيامها فى مؤتمر عقد فى بغداد يوم ١٥ سبتمبر ١٩٦٠م.

(–) FRUS. 1958 - 1960. Vol. XII. No. 90, Sept. 15. 1960.

(٢٠٢) FRUS. Ibid. No. 89. P. 270.

(٢٠٣) FRUS, Ibid. No. 37. P. 135, Aug. 1. 1958.

(٢٠٤) مجلة روز اليوسف، عدد ٢٧/ ٧/ ١٩٦٤م.

(٢٠٥) FO. 37132847- 1/ BA/07226/ (ALBDS) Vol. 9, PP. 143, Dec. 10, 1958.

(٢٠٦) FO. 37120/140/. Ibid. P. 103. Jan. 27. 1959.

(٢٠٧) FRUS, 1958 - 1960, Vol. XII, No. 31. P. 103 July. 24, 1958.

(٢٠٨) FRUS. 1964 - 1968, Vol. XXI. No. 104, P. 228, Oct. 13, 1967.

(٢٠٩) FO. 371132555/. Ibid. P. 172, Oct. 26. 1958.

(٢١٠) FO. 37120/140/. Ibid. P. 407. Jan. 27, 1959.

(٢١١) FO. 37132555-/ BA / 10741, (ALBDS) Vol. 9, P. 101. July 31, 1958.

(٢١٢) FO. 37120/140/. Ibid, P. 407, Jan. 27, 1959.

(٢١٣) د. سـيد نوفل، الأوضاع السياسـية لإمارات الخليج العربى وجنوب الجزيرة، ص ٣٦٣ (بيروت ١٩٦٩م).

(٢١٤) نفس المرجع، ص ٢٢٢ – ٢٢٣.

(٢١٥) FRUS. 1958 - 1960, Vol. XII, No. 350, P. 779, Aug. 3, 1958.

(٢١٦) FRUS, Ibid, No. 39, P. 137, Aug. 7, 1958.

(٢١٧) FRUS, Ibid, No. 353, P. 782n, Feb. 12, 1959.

(٢١٨) د. نور الدين بن الحبيب حجلاوى، نفس المرجع، ص ٢٠٤ – ٢٠٥.

(٢١٩) نفس المرجع، ص ٢٠٥.

(٢٢٠) نفس المرجع، ص ٢٠٥ – ٢٠٦.

(٢٢١) سيد نوفل، نفس المرجع، ص ٢٢٧.

(٢٢٢) نفس المرجع، ص ٢٢٨.

(٢٢٣) د. بطـرس غـالى، الجامعـة العربيـة، وتسـوية المنازعات المحليـة، ص ٨٣، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٧م.

- FRUS. 1961 – 1963, Vol. XVII. No. 75. P. 174. June 30. 1961.

(٢٢٤) أحمد حمروش، نفس المرجع، جـ٣، ص ١٧٠-١٧١.

- FRUS. 1964 – 1968. Vol. XXI. No. 51, P. 121n, Jan. 30, 1964.

(٢٢٥) جريدة أخبار اليوم، عدد ١٩٦١/٧/١م.

- FRUS, 1961 – 1963. Vol. XVII, No. 76. P. 175. June 30. 1961.

(٢٢٦) د. عبـد العزيـز عبد الغنى إبراهيم، حكومة الهند البريطانية، والإدارة فى الخليج العربى، ص ٢١٨ (الرياض ١٩٨١م).

– جون بولوك، نفس المرجع، ص ٧٣

(٢٢٧) نفس المرجع، ص ٧٤.

(٢٢٨) أنتونى ناتنج، ناصر، ص ٣٢٩، ترجمة شاكر إبراهيم سعيد (بيروت ١٩٨٥م).

(٢٢٩) جوزيف أبو خاطر، لقاءات مع جمال عبد الناصر، ص ١٣٦.

(٢٣٠) FO. 371157393/ (ALBDS) Vol. 10, P. 262263-, July 13. 1961.

(٢٣١) Daily Telegraph, July 12, 1961.

(٢٣٢) FO. 371157395/. Ibid. P. 275276-, July 21, 1961.

(٢٣٣) FO. 371156900/, Ibid. P. 389390-, Sept. 8, 1961.

(٢٣٤) كان الباحث يعمل بهيئة العمليات الحربية.

(٢٣٥) عبد الحميد موافى، مصر فى جامعة الدول العربية، ص ٢٠٩. (رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة).

(٢٣٦) أنتونى ناتنج، نفس المرجع، ص ٣٣٩.

(٢٣٧) أحمد حمروش، نفس المرجع، ص ١٧١.

(٢٣٨) (١٠٢/ ٦٤) ٨٢/ ١٢ ٠ ص ١ مضبطـة جلسـات دور الاجتمـاع العـادى الثانـى والأربعين لمجلس الجامعة العربية، ص ٣٢٣.

(٢٣٩) FO. 371156942/ (ALBDS) Vol. 10. P. 310, Aug.

(٢٤٠) FRUS. 1964 - 1968. Vol. XXI. No. 51. P. 121122-. Jan. 30, 1964.

(٢٤١) FRUS. 1958 - 1960. Vol. XII. No. 354. P. 784n. March 16 1956.

(٢٤٢) FRUS, 1961 - 1963. Vol. XVII. No. 89. P. 198. July 24, 1961.

(٢٤٣) فوزى أسعد نقيطى، نفس المرجع، ص ٤٩٨ - ٥٢١.

(٢٤٤) جريدة الأهرام، عدد ١٢/ ١٠/ ١٩٦١م.

(٢٤٥) جوزف أبو خاطر، نفس المرجع، ص ٩٥.

(٢٤٦) ناصف سليم، مقالة جريدة الجمهورية، عدد ١١/ ٩/ ١٩٩٢م.

(٢٤٧) د. نور الدين بن الحبيب حجلاوى، نفس المرجع، ص ٢٤٨.

(٢٤٨) فوزى أسعد نقيطى، نفس المرجع، ص ٦٣٦.

(٢٤٩) محمد غانم الرميحى، الناصرية فى الخليج العربى، مقالة، مجلة الثقافة العربية عدد أكتوبر ١٩٧١م، ص ١٢.

(٢٥٠) ج {٦٥-٦٤} ٤٣ - ٤٢/١٠ ق٥، قرارات مجلس جامعة الدول العربية، دور انعقاده العاديين، الثانى والأربعين والثالث والأربعين (٢٨ سبتمبر ١٩٦٤م - ٢٢ مارس ١٩٦٥م) ص ٩٢.

(٢٥١) د.سيد نوفل، الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربى وجنوب الجزيرة، الكتاب الثانى، إمارات ساحل عمان، ص ١٤٠ - ١٤١ (معهد البحوث والدراسات العرابية، ١٩٧٢م).

- ISN / 24464 الأمانة العامة مضابط جلسات دور الاجتماع العادى (٢١ مارس ١٩٦٤م - مايو ١٩٦٤م) ص ٧٣.

(٢٥٢) محمد على رفاعى، الجامعة العربية وقضايا التحرير، ص ٣٣١ (القاهرة ١٩٧٢م).

(٢٥٣) د. نور الدين بن الحبيب حجلاوى، نفس المرجع، ص ٢٥٠ - ٢٥١.

(٢٥٤) إبراهيم شهداد، موقف بريطانيا من نشاط جامعة الدول العربية فى إمارات ساحل الخليج العربى ١٩٦٠م - ١٩٦٤م فى ضوء الوثائق البريطانية، مجلة «دراسات تاريخية، العدد ٦٥، ص ٢٢١.

- د. نور الدين بن الحبيب حجلاوى، نفس المرجع، ص ٢٥١ - ٢٥٢.

(٢٥٥) د. محمود على الداود، أحاديث عن الخليج، ص ١٢٠ (بغداد. ١٩٦٠م).
– د. نور الدين بن الحبيب حجلاوى، نفس المرجع ٢٥٢ – ٢٥٣.
(٢٥٦) نفس المرجع، ص ٢٥٣.
– نفس المرجع، ص ٢٥٠ – ٢٥.

(٢٥٧) FRUS. 1964 - 1968, Vol. XXI. No. 94, P. 207, May 18, 1967.

(٢٥٨) نفس المرجع، ص ٢٤٣ – ٢٤٤، ٢٤٧.
(٢٥٩) د. سيد نوفل، نفس المرجع، ص ١٤٣ – ١٤٤.
(٢٦٠) د. محمود على الداود، عوامل الوحدة والتجزئة فى الجزيرة العربية فى كتاب «تجربة دولة الإمارات العربية المتحدة، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية» التى نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، ص ٥٠.
– د. نور الدين بن الحبيب حجلاوى، نفس المرجع، ص ٢٥٥.
(٢٦١) د.سيد نوفل، نفس المرجع، ص ٤٥٣ – ٤٥٥.
(٢٦٢) نفس المرجع، الكتاب الثانى، ص ١٤٧.
(٢٦٣) جوزف أبو خاطر، نفس المرجع، ص ١٥٧ – ١٥٩.
(٢٦٤) إبراهيم شهداد، موقف بريطانيا من نشاط جامعة الدول العربية فى إمارات ساحل الخليج العربى ١٩٦٤م – ١٩٦٥م فى ضوء الوثائق البريطانية، ص ٢٣٥.
– د. نور الدين بن الحبيب حجلاوى، ص ٢٥٩.
(٢٦٥) إبراهيم شهداد، نفس المرجع، ص ٢٣٠.
– سيد نوفل، نفس المرجع، الكتاب الثانى، ص ١٤٩
(٢٦٦) نفس المرجع.

(٢٦٧) FRUS. Ibid, No. 132. P. 274, Feb. 2. 1968.

(٢٦٨) FRUS. Ibid, No. 122, P. 257258-, Jan. 9. 1968.

(٢٦٩) FRUS, Ibid, No. 127, P. 265267-. Jan. 28, 1968.

(٢٧٠) FRUS. Ibid.

(٢٧١) FRUS. Ibid, No. 146. P. 297, June. 12, 1968.

(٢٧٢) FRUS. Ibid, No. 128. P. 268269-. Jan. 31, 1968.

(٢٧٣) FRUS, Ibid, No. 129. P. 269270-. Feb. 1. 1968.

(٢٧٤) نور الدين بن الحبيب حجلاوى، نفس المرجع، ص ٣٢٣.

(٢٧٥) نفس المرجع، ص ٣٢٤.

□□□

عمال مصر عام ١٩٥٥م
«فى ضوء الوثائق الأمريكية»

د. مجدى السيد حشيش
كلية الآداب جامعة المنصورة

أبدت الولايات المتحدة اهتماما ملحوظا بمصر بعد الحرب العالمية الثانية لأسباب متعددة، ولما كان التصدى لانتشار الأفكار الشيوعية أحد أهم أولوياتها فى هذه المرحلة. فقد أولت اهتماما خاصا بالأوضاع الاجتماعية وبخاصة فيما يتعلق بالفئات الأكثر عرضة للخطر الشيوعى وفى مقدمتها العمال، وهى السياسة التى لم تتغير فى السنوات الأولى للثورة فى ظل العلاقات الودية مع النظام الجديد.

وتعود أهمية هذا الموضوع إلى كونه محاولة لإلقاء الضوء على هذه الفئة الهامة فى المجتمع المصرى، فى ظل الأوضاع الجديدة التى شهدتها مصر والتى جعلتها فى مقدمة المشهد السياسى على خلفية الدور الذى لعبته فى أزمة مارس١٩٥٤م. وذلك من خلال رؤية السفارة الأمريكية بالقاهرة وتحليلها لتلك التطورات وما يمكن أن تسفر عنه مستقبلا على صعيد أوضاع العمال ونظام الحكم.

أما عن اختيار عام ١٩٥٥م فترة زمنية للبحث فيرجع إلى أن ذلك العام شهد:

- تصاعد نشاط الحركة العمالية على الساحة السياسية ومطالبتها بإزالة ما لحق بأعضائها من غَبْن فى المراحل السابقة وتحقيق طموحاتهم وأهدافهم الفئوية.
- صدور عدد من التشريعات والقوانين التى لبت بعض مطالب العمال.
- تعديل اسم وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل ومهام، اعترافا بتزايد أهمية العمل والعمال.
- توتر العلاقة مع نظام الحكم نتيجة للتراجع عن تحقيق مطالب العمال التى وُعِدوا بها.
- تزايد النشاط الدولى للحركة العمالية وظهور الاتحاد العام للعمال العرب.

وأما عن أهداف هذه الدراسة فتشمل:

- بيان تطور أوضاع العمال فى ظل مشروعات الضمان الاجتماعى قبل وأثناء عام ١٩٥٥م.
- الوقوف على الدخل الخاص بالعمال ومستوى معيشتهم، وذلك على اختلاف فئاتهم وتوزيعهم الجغرافى.
- الكشف عن التشكيلات النقابية للعمال ومساعى تنظيمها وتطويرها لتحقيق أهدافهم.
- إيضاح علاقة الحركة العمالية بنظام الحكم الجديد «محاولات الاستفادة والاحتواء».
- إبراز مواقف العمال تجاه الأحداث الداخلية وتداعياتها الخارجية.
- أثر توتر العلاقة بين الولايات المتحدة وحكومة الثورة على اهتمام الأولى بقضايا العمال هذا إلى جانب بعض المحاور الأخرى التى ستظهر بوضوح من خلال البحث.

التعريف بمجموعة الوثائق:

هى وثائق وزارة الخارجية الأمريكية الخاصة بالشؤون الداخلية لمصر فى الفترة من ١٩٥٥م إلى ١٩٥٩م.

The US Department of State. Confidential. Central Files. Egypt 1955 - 1959. internal affairs.

دلالات الفترة الزمنية لهذه المجموعة الوثائقية:

بتتبع تقارير السفارة الأمريكية فى مصر قبل الثورة وبعد وبخاصة فيما يتعلق بالعمال، يلاحظ تصاعد الاهتمام بهذه الفئة فى فترات معينة ومنها عام ١٩٥٥م؛ وذلك نتيجة لتطورات الأوضاع الداخلية والخارجية المؤثرة فى نشاطها وأوضاعها من منطلقات عدة فى مقدمتها:

- اهتمام الولايات المتحدة بمسألة العدالة الاجتماعية وتبنيها لمشروعات تعاون عديدة مع مصر فى هذا المجال، بهدف الارتقاء بأوضاع الطبقة العاملة والفئات المهمشة خشية وقوعها فريسة للتأثير الشيوعى.
- مدى تصاعد دور الحركة الشيوعية وتنامى تأثيرها فى العمال.
- الظهور القوى للعمال على خلفية أحداث مارس ١٩٥٤م، وما تلا ذلك من تصاعد دورهم وطرح طموحاتهم على نطاق واسع.

- تشديد قبضة الدولة على الحركة العمالية ومحاولة توظيفها لتحقيق مشروعات الثورة داخليا وخارجيا وبخاصة بعد مؤتمر باندونج إبريل ١٩٥٥م.
- توتر العلاقة بين حكومة الثورة والولايات المتحدة، وعودة السفارة للتركيز على بعض الفئات التى يمكن أن تلعب دورا مؤثرا فى المستقبل، ووضع يدها على نقاط الخلل والقصور فى منظومة الدولة لتكون أكثر قدرة على التعامل معها مستقبلا.

مفهوم العمال فى الوثائق:

يتسع مفهوم السفارة الأمريكية بالقاهرة للعمال فيما قدمته من تقارير، ليشمل العمال فى مجالات الصناعة والزراعة مع الإشارة أحيانا إلى الموظفين الحكوميين.

شهدت مصر فى أعقاب الحرب العالمية الثانية حالة من عدم الاستقرار شملت مختلف النواحى، وقد تركزت الأنظار فى البداية على إيجاد حل للقضية الوطنية مع إبداء قدر أقل من الاهتمام بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وذلك فى وقت تحركت فيه العديد من الفئات الاجتماعية لإزاحة ما لحق بها من غُبن وتحقيق طموحاتها فى ظل تصاعد الدعوات الإصلاحية المطالبة بالاهتمام بالقضايا الداخلية، على اعتبار أن التماسك والنضج الداخلى هو الأساس فى التحرك خارجيا لتحقيق الآمال الوطنية، وذلك على خلفية الفشل فى عرض القضية المصرية على مجلس الأمن(1).

تطور مشاريع الضمان الاجتماعى:

تمثلت البداية الحقيقية لمشاريع الضمان الاجتماعى فى القانون الذى تبناه دكتور راضى يوسف ١٩٤٧م - وزير الشؤون الاجتماعية فى وزارة النقراشى - وأبدى فيه اهتماما خاصا بالمشكلات الاجتماعية للعاملين فى مجال الصناعة متضمنا محورين أساسيين هما:
- توفير معاشات ومصاريف أمومة وخدمات طبية ومنح مالية قصيرة الأجل لكبار السن والمرضى والعجزة.
- تغطية أصحاب العمل والعمال فى مجالات الصناعة وموظفى الخدمة المدنية ممن لا تغطيهم قوانين المعاشات المطبقة، وذلك فى مقابل اشتراكات أسبوعية قدرت بـ ٣، ٤، ٦ قروش «بإجمالى ١٣ قرش» يدفعها على التوالى كل من العمال والحكومة وأصحاب العمل، على أن تقدر قيمة المعاشات وفقا لمدة اشتراكاتهم، إلا أن عدم نجاح

دكتور راضي في إقناع مجلس الوزراء بتبني هذا المشروع حال دون الاستمرار في عرضه، لتتأجل فكرة الضمان لمرحلة لاحقة.

وفي عام١٩٥٠م خطى د. أحمد حسين[٢] – وزير الشؤون الاجتماعية في وزارة الوفد – خطوة جديدة صوب تطبيق الضمان الاجتماعي في مصر، بنجاحه في تمرير مشروع قانون يركز بصفة خاصة على العمال الزراعيين على اعتبار أن العمال الصناعيين يتمتعون بحماية قانونية، وإقرار البرلمان له ليصبح أول قانون للضمان الاجتماعي في مصر.

وبشكل عام فقد كانت طموحات القانون والقائمين عليه سببا في عدم نجاح تطبيقه بالقدر الكافي؛ حيث لم يتحمل العمال أو أصحاب العمل لأية اشتراكات بل تكفلت بها الحكومة، الأمر الذي دفع بعض الأطراف داخل الحكومة وحزب الوفد إلى معارضته بسبب تكاليفه التي قدرت بحوالي ٦ ملايين جنيه سنويا، وأدى إلى خفض ميزانيته بشدة عام١٩٥٢م نتيجة للوضع السيء لخزانة الدولة بشكل أثر سلبا على كفاءة تنفيذ المشروع.

كما شهدت ميزانية المشروع تخفيضات متتالية في أعقاب ثورة يوليو ١٩٥٢م، حيث انخفض معدل الإنفاق إلى مليون وثمانمائة ألف جنيه ثم مليون جنيه فقط وهو ما يعادل تقريبا ثلث ما يجب إنفاقه على الإدارة، وعلى الرغم من ذلك تم الإبقاء على المكتب الرئيسي للمشروع بالقاهرة ومكاتب الأقاليم على أمل توفير النفقات المطلوبة لتنفيذ البرنامج. ومع استمرار المستفيدين من المشروع في الحصول على معاشاتهم المقررة ورفض ضم مستفيدين جدد منذ عام ١٩٥٢م؛ شهدت الميزانية تخفيضات أخرى نتيجة لوفاة عدد من المستحقين على مدار السنوات الثلاث التالية ليصل المبلغ في عام ١٩٥٤م إلى أقل من ٢٥٠ ألف جنيه مصري فقط[٣].

وفي عام ١٩٥٤م قدمت حكومة الثورة أكبر مشروع للضمان الاجتماعي[٤] «عرف بقانون التأمينات والادخار» ليحل محل القانون السابق ويكون مرادفا لقانون الضمان الخاص بالموظفين المدنيين الصادر عام ١٩٥٢م. وقد حاولت الحكومة التغلب على سلبيات المشاريع السابقة فأكدت على ضرورة استثناء القانون في مرحلته الأولى عمال الحكومة والبلديات وعمال الزراعة والعمال العاديين أو الموسميين وموظفي الشركات التي تُعين أقل من ٥٠ شخصا، كما لم تُلزم نفسها بتحمل نسبة من الاشتراكات بل ألزمت أصحاب العمل والعمال المساهمة بنسبة خمسة في المائة من رواتبهم لتمويل الإعانات، وأن يساهم

أصحاب العمل بنسبة ٢٪ أخرى لتمويل التأمينات، على أن يتم استثمار رصيد الاشتراكات بما لا يقل عن ٢٪ سنويا لسداد الالتزامات تجاه المستفيدين من القانون.

وقد حدد القانون ثلاثة شروط يجب توافرها فيمن يستفيدون منه وهى:

- أن يكون مُعينا فى وظيفة دائمة أو بصفة مؤقتة لشغل وظيفة دائمة شاغرة.
- الحصول على شهادات علمية للتعيين فى المنصب.
- الحصول على شهادات علمية تثبت القدرة على أداء مهام العمل.

والملاحظ أن المناقشات التى دارت حول المشروع السابق ومسوداته الأولية كانت تحظى بمتابعة دقيقة من جانب الملحق العمالى البريطانى فى القاهرة، الذى أمد بدوره المسؤول الإعلامى الأمريكى فى يوليو ١٩٥٥م بمعلومات دقيقة حول المكاسب التى سيحصل عليها المستفيدين وبخاصة فيما يتعلق بالإعانات والتأمينات الإجبارية. والاعتراضات المثارة ضد المشروع والتى قدمت لوزير الشؤون الاجتماعية من جانب اتحاد المؤَمنين - ممثلا لشركات التأمين المصرية والبريطانية والدولية العاملة فى مصر -، نتيجة للأضرار التى ستلحق بأعضائه جراء تطبيق القانون، وأرفق بها البيانات المالية الخاصة بالاحتياطى والاستثمارات قياسا إلى الدخل الإجمالى على نشاطها فى مصر لتوضيح مدى تأثرها منه.

وفى تعليقه على تطورات عرض مسودة القانون أشار السفير الأمريكى إلى أنه تمت الموافقة عليها بالفعل من قِبَل المجلس الأعلى للعمل على أن تدخل عليها بعض التعديلات ذات الطابع الفنى قبل إعادتها إلى الإدارة العامة للعمل التابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية للتعليق، ثم تُقدم فى صورة قانون إلى مجلس الوزراء للحصول على الموافقة النهائية عليه، كما توقع بأن تُشرف على تطبيق القانون لجنة مستقلة تضم «١٥ عضوا» ممثلين للإدارة والعمل والحكومة تحت رئاسة وزير الشؤون الاجتماعية.

والحقيقة أن السفير لم يكتف فى تقريره بالتعليقات المرحلية حول تطورات عرض مسودة القانون وتعديلاتها، بل إنها بتعليق يحمل صفة السرية أشار فيه إلى بعض النقاط المحددة وهى:

- إن مسؤولى وزارة الشؤون الاجتماعية بمن فيهم رئيس اللجنة - محمد بدران - المختارة لوضع مشروع القانون، غير مقتنعين بما وضعوه حيث أكد بدران لمسؤولى السفارة أن خبراتهم العملية على مدار عامين فيما يتعلق بقانون الضمان للخدمة المدنية أثبتت وجود عيوب فى القانون المقترح منها:

أن إجمالى المبلغ المدفوع عند انتهاء الخدمة يضع مبالغ ضخمة من المال بشكل مفاجئ فى أيدى أناس غير معتادين على التصرف فى مثلها، وأن هناك تخوفا من تضرر أغلب العاملين جراء خصم قيمة اشتراك تتعدى ١٢٥ جنيها مصريا طيلة مدة الخدمة وأن هناك احتمالا كبيرا لخداعهم.

– أن قانون الضمان لم يحظ بقبول واسع من قبل العمال المدنيين الأعلى تعليما وثقافة، ولم يُثبت فاعلية أكثر فى الإدارة عن خطط التقاعد أو يقدم حماية لمصالحهم الشخصية؛ وبناء عليه لماذا يصدُر قانون مماثل يضم الكثير من العمال الصناعيين والتجاريين؟

– ما سبب بقاء مسودة القانون المقترح لفترة طويلة «منذ فبراير ١٩٥٥م» فى لجنة وزارة الشؤون الاجتماعية ؟

ويجيب التقرير بالإشارة إلى وجود نظريتين حول هذا السبب:

الأولى:

تشير إلى إدراك مسؤولى الإدارة المدنية إلى أن توسيع قانون الضمان الاجتماعى سيضر بطموحاتهم فى عودة خطة الضمان الاجتماعى للخدمة الاجتماعية إلى أساس تمويل المعاش، ولهذا تغيب أعضاء اللجنة عمدا عن الاجتماعات، وطالبوا بتأجيل كل الجلسات المنعقدة وتشاحنوا كثيرا حول تفاصيل غير هامة.

الثانية:

يعتقد أصحابها بأن الحكومة وبتشجيع من هيئة التحرير حاولت انتزاع دعم سياسى شعبى حقيقى من نقابات العمال كثمن للموافقة على القانون المقترح، وأن عددا من زعماء نقابة العمال أبلغوا المسؤول الإعلامى الأمريكى بأنهم يفضلون قانون للضمان الاجتماعى بمعاش منتظم، ولكنهم يعتقدون أن شكل القانون أقل أهمية فى الوقت الحاضر من الحاجة إلى حماية ضمان اجتماعىّ ما ؛ إلا إذا أراد القادة العماليون وتمكنوا من الحصول على قانون إضافى دون إدانة أنفسهم سياسيا للحكومة(٥).

الدخل وتكاليف المعيشة:

أولا: الدخل:

لم يشهد عام ١٩٥٥م تغييرات هامة فى الأجور وساعات العمل إلا أن العمال ذوى الكفاءة والمهارات المطلوبة حصلوا على رواتب استثنائية نتيجة لقلة أعدادهم، وفى المقابل

أدى النقص الشـديد فى الوظائف المتاحة وبخاصة فى الريف إلى قبول العمال بأجور تقل كثيرا عن الحد الأدنى الذى وضعته القرارات الحكومية الصادرة فى الأيام الأولى للثورة.

وبشـكل عام تُفرق التقارير فى تناولها لمستويات الدخل وساعات العمل بين العمال الصناعيين والزراعيين على النحو التالى:

العمال الصناعيين:

اختلفت أجور هؤلاء خلال عام ١٩٥٥م وفقا للمناطق وأصحاب العمل وإن ظلت منخفضة فى مجملها قياسا للمعايير الغربية، مع ملاحظة أن المؤسسات الأجنبية وبخاصة شركات البترول وشركة قناة السويس عادة ما تدفع أجور أعلى وتوفر وظائف أكثر من الشركات الأخرى[٦]. وقد أردف تقرير الملحق العمالى هذا العرض بجدول يوضح أمثلة لمستوى الأجور فى مجال الصناعة قياسا إلى ساعات العمل:

متوسط الدخل الأساسى «بالجنيه المصرى» مقابل ٤٨: ٥٤ ساعة عمل أسبوعيا

المهنة	الحد الأدنى للراتب	الحد الأقصى للراتب
محاسب الجرد	٢١	٢٩
معالج طبيعى مسجل	٢٤	٢٩
رسام هندسى	١٩	٢٩
آلة كاتبة أنثى	١٣	٢٠
إطفائى "فرقة الإطفاء"	١٠	١٦
عامل لحام، ميكانيكى	١١	١٥
ساعى، رسام، نجار	٦	١٠
عامل	٤	٦

والملاحظ أنه إلى جانب الرواتب الأساسية فى الجدول السابق كان العمال يحصلون على زيادات أخرى بنسب من الراتب تمثل ١٤٪ تكلفة معيشة يختلف مقدارها حسب عدد الأفراد الذين يكفلهم كل عامل. ٢٥٪ يتحملها أصحاب العمل فى صورة خدمات رعاية طبية وإعانات غذاء ونقل وغيرها... وهنا يشير الملحق العمالى إلى شكوى أصحاب

العمل من هذه الخدمات التى يروها زيادات خفية فى الرواتب تتناقض مع وعود الحكومة بالحفاظ على ثبات الأجور والأسعار. وفى المقابل تحدث قادة اتحاد العمال عن قدرتهم على زيادة الأجور وبخاصة فى المصانع التى يتمتعون فيها بتمثيل قوى، حيث لا تعوقهم المعارضة الشديدة من جانب الحكومة لسياسة الإضرابات.

أما فيما يتعلق بساعات العمل فأشار التقرير إلى عدم وجود قوانين لتحديدها. حيث يسود العمل لمدة تسع ساعات يوميا على مدار ٦ أيام أسبوعيا فى أغلب الصناعات، وذلك على الرغم من تزايد الصناعات التى خفضتها إلى ٨ ساعات فقط.

العمال الزراعيين:

شكل هؤلاء النسبة الأكبر من الزيادة السنوية فى قوة العمل بمقدار ٧٥٪ نتيجة للتزايد الكبير فى تعداد سكان الريف، وهم يعملون فى ظروف معيشية سيئة لساعات طويلة وبخاصة فى مواسم الزراعة والحصاد حيث تمتد من الفجر إلى المساء بمتوسط أيام عمل من ١٢٠ إلى ١٥٠ سنويا. وذلك وفقا للعديد من تقديرات الحكومة المصرية ومؤسسات البحث الخاصة.

أما عن أجورهم فقد كانت نقدية أو عينية وتختلف حسب منطقة العمل بمتوسط ١٠ إلى ١٢ قرشا يوميا للعامل «٢٩ إلى ٤٤ جنيه سنويا»، ولهذا أقدم أغلبهم على زيادة دخولهم بزراعة مساحات صغيرة إضافة إلى العمل المؤقت فى المدينة وبخاصة فى صيانة ورصف الطرق وغيرها[٧].

وفى هذا الشأن يشير أنور سلامة[٨] إلى أن جهود حكومة الثورة لرفع الحد الأدنى لأجور العمال الزراعيين، يمكن أن تحدث ثورة فى الارتقاء بأوضاعهم وهو الأمر الذى تجاهلته الحكومات من قبل. كما ستوقف حركة الانتقال الضخمة والخطيرة لهم إلى المدن وانضمامهم إلى صفوف البطالة نتيجة افتقارهم إلى الخبرات والمهارات المطلوبة، وبخاصة أن هناك إجماعا بين قادة العمال على أنهم يمثلون تهديدا كبيرا لنقابات العمال لقبولهم برواتب متدنية وإمكانية استخدامهم من جانب السلطة لإفشال إضرابات العمال[٩].

ثانيا: تكاليف المعيشة:

يشير الملحق العمالى فى البداية إلى الثقة المتزايدة فى البيانات الإحصائية المصرية التى أخذ عنها مقارنة بما كانت عليه فى الماضى، وذلك على الرغم من عدم تطابقها فى الغالب

لافتقادها إلى السمة الأكاديمية الكاملة؛ وبناء عليه نراه يقدم الجدول الإحصائى التالى الذى يعتقد كثيرا فى صحته ويتضمن:

تقديرات الدخل القومى والفردى إلى نسبة السكان للأعوام ١٩٥٠م إلى ١٩٥٥م

العام	الدخل القومى "بالمليون جنيه"	دخل الفرد السنوى "بالمليون جنيه"	تعداد السكان "بالمليون"
١٩٥٠	٨٢٠	٣٩.٢	٢٠.٩
١٩٥٣	٨٥٦.٤	٣٨.٧	٢٢.٤
١٩٥٤	٨٩٩.٥	٣٩.٣	٢٢.٩
١٩٥٥	٩٤٩	٤٣.٨	٢٣.٥

وفى تحليله لقضية تكاليف المعيشة بعد مناقشات موسعة مع الاقتصاديين المصريين أكد المسؤول الإعلامى الأمريكى أن انخفاض القوة الشرائية للعمال هو أحد أهم أسباب المشكلة. ولهذا تحاول الحكومة المصرية السماح بحدوث ارتفاع بطىء للأجور لتجنب تضخمها مع محاولة الحفاظ على الأسعار والسيطرة عليها.

وعند مقارنة تكاليف المعيشة ودلالات سعر الجملة لعامى ١٩٥٤م و ١٩٥٥م، يتضح حدوث انخفاض بطىء فى الأسعار خلال الشهور الأربعة الأولى ثم تطابق خلال شهر مايو فارتفاع بداية من يونيو وحتى نهاية ١٩٥٥م مقارنة بالفترة ذاتها لعام ١٩٥٤م. والملاحظ أن الزيادة الأخيرة قد حدثت على الرغم من سيطرة الحكومة على الإيرادات وبعض السلع الغذائية الأساسية. لذا يُعتقد أنها تعود بدرجة أكبر إلى توقعات مستوردى السلع الأجنبية من أن العجز سيكون النتيجة الحتمية لسياسة الحكومة التى بدأت فى يوليو ١٩٥٥م حظرا على استيراد العديد من السلع[١٠].

التغييرات الديموغرافية:

أدى الارتباط الوثيق لأوضاع العمال بالتغييرات الديموغرافية للسكان إلى تركيز الملحق العمالى على هذه القضية، موضحا التطورات التى شهدتها مصر فى النواحى الاقتصادية والصحية والتعليمية ومدعما تحليلاته بالجداول الإحصائية التى تؤكدها.

قُدِر عدد سكان مصر عام ١٩٥٥م بحوالى ٢٣.٥ مليون نسمة يتزايدون بمعدل ٢.٣ ٪ سنويا (ما يعادل ٢٨ لكل ألف فرد مقارنة بـ ١٣ لكل ألف فى الولايات المتحدة الأمريكية) وهى زيادة كبيرة على الرغم من انخفاض معدلات الوفاة من ٢٦ - ٢٩ إلى ١٦ فى الألف فى الفترة من ١٩٤٣م إلى ١٩٥٣م.

العام	صافى الزيادة فى عدد السكان
١٩٤٣م	١٩٧.١٢٧
١٩٤٤م	٢٤٩.٩٣٢
١٩٤٥م	٢٧٥.٤٤٩
١٩٤٦م	٣٠٤.٧٧٦
١٩٤٧م	٤٢٩.٩٨٠
١٩٤٨م	٤٣٤.٧٥٢
١٩٤٩م	٤٢٠.٧٨٦
١٩٥٠م	٥١٥.٩٩٧
١٩٥١م	٥٣٢.٤٢٦
١٩٥٢م	٥٥٨.٨١٠
١٩٥٥م	٦٠٠ ألف إلى ٦٢٠ ألفا

وفى تحليله لهذه الإحصاءات يشير الملحق العمالى إلى أن استمرار الزيادة بمعدل ٦٠٠ ألف سنويا سيؤدى إلى تضاعف عدد السكان خلال ٢٥ عاما فقط. ووصول ٤٠٠ ألف سنويا إلى سن العمل «من ١٢ إلى ٥٥ عاما»[١١]، وبما أن ٨٠ ألف شخص سيتركون العمل سنويا بسبب التقاعد أو الوفاة؛ فإن صافى الزيادة الثابتة فى قوة العمل ستصل إلى ٣٢٠ ألف فرد سنويا، أو ربما تقل عن ذلك بسبب الزيادة الثابتة فى أعداد الأطفال الذين يلتحقون بالمدارس الثانوية.

وللتأكيد على حتمية الزيادة المتوقعة فى قوة العمل أشار التقرير إلى انخفاض معدل الوفيات لدى من تتراوح أعمارهم ما بين ١٢ إلى ٥٥ عاما لتصل إلى ١٦ ٪ سنويا - تعادل ٥٠ ٪ مما كانت عليه قبل عشر سنوات، موضحا أنها لن تتأثر بارتفاع نسبة الوفاة بين

الأطفال دون الخامسة والبالغة ١٠ ٪ سنويا، حيث يتوقع انخفاضها تدريجيا نتيجة مجهودات الحكومة فى العناية بحالات ما قبل الولادة.

والجدول التالى يوضح: الارتفاع المتوقع لمعدل أعمار العمال (رجالا ونساء) عام ١٩٥٥ قياسا بفترات سابقة[١٢]:

العام	الرجال	النساء
١٩٢٧م	٣٠	٣٢
١٩٤٩م	٤٠	٤٢
١٩٥٥م	٤٣	٤٥

التوظيف والبطالة:

ارتبطت مشاكل التوظيف والبطالة كما يتضح من التقارير بثلاثة عوامل أساسية هى:

- الزيادة الكبيرة والمستمرة فى عدد السكان وما تضيفه سنويا إلى سوق العمل.
- ضعف الاستثمارات الأجنبية فى ظل أزمات اقتصادية ممتدة.
- إقدام الشركات والمؤسسات الرأسمالية وبخاصة الأجنبية منها على فصل أعداد متزايدة من العمال للضغط على حكومة الثورة.

وقد اكتفى الملحق العمالى فى تقريره باستعراض العامل الأول منها تفصيلا متجاهلا عن قصد العاملين الثانى والثالث، فى إشارة واضحة إلى عدم التوازن ومحاولة إثبات قصور حكومة الثورة وتحميلها لأخطاء لم يكن لها دخل فيها بل مثلت فى الغالب عوامل ضغط ضدها من جانب أصحاب المصالح الأجنبية.

أما فيما يتعلق بالعامل الأول فأشار التقرير إلى أنه وفقا للتقديرات المصرية التى اعتبرها غير مؤكدة ؛ فإن الزيادة السكانية لعام ١٩٥٥م تراوحت ما بين ٦٠٠ إلى ٦٢٠ ألف فرد انضم منهم إلى سوق العمل حوالى ٢٣٠ ألفا – سن العمل ما بين ١٢ إلى ٥٢ عاما – وهو فى تزايد مستمر على الرغم من المجهودات والقرارات الحكومية[١٣] الفعالة للحد من مشكلة البطالة التى اعتبرها سمة مميزة للاقتصاد المصرى.

وبمناقشة إجراءات وزارة الشؤون الاجتماعية لتطبيق قانون ٢٤٤ لعام ١٩٥٣م؛ خلص التقرير إلى عدم فاعلية محاولات إقناع العاطلين لتسجيل أنفسهم فى مكاتب العمل نتيجة

التعويضات والمساعدات التى يتلقاها العاطلون. وذلك على عكس موقف أصحاب العمل الذين تجاوبوا مع طلبات الحكومة وسجلوا ما لديهم من وظائف شاغرة فى مكاتب العمل بمناطقهم.

وبشكل عام فقد أثبتت التطورات أن البطالة ظلت واحدة من أكثر المشاكل إلحاحا على الحكومة، حيث بلغت فى نهاية ١٩٥٥م حوالى ١٠٠ ألف بالقاهرة، ٥٠ ألفا بالإسكندرية، وما بين ١٥ و٢٠ ألفا فى بور سعيد مع توقع تضاعفها خلال أشهر قليلة باكتمال انسحاب القوات البريطانية[٤٤].

وعن الإجراءات الحكومية المنتظر اتخاذها لعلاج هذه المشكلة أشار التقرير إلى الخطط الخاصة بنقل العاطلين إلى منطقة السد العالى بأسوان، والتوسع فى المشروعات العامة التى تستخدم عمالة كثيفة مثل إنشاء الطرق، والانتهاء من المصانع الجديدة التى ينتظر أن تستوعب أعدادا كبيرة من العاطلين، مع التوسع فى المدارس الليلية والتدريب الفنى والتحويلى بهدف سد العجز فى العمالة المدربة وبخاصة فى مجالات البناء.

أما فيما يتعلق بأصحاب العمل وقضية البطالة فقد أشار القرير إلى نقطتين هامتين، تتعلق الأولى بتوقع استمرار تجاذبهم مع الحكومة لتجاهلها مطالبهم الخاصة بفصل العمالة الزائدة، وتعالى شكواهم من تأثيرها على زيادة تكاليف الإنتاج وبخاصة مع اعتقاد أغلب العمال بأن الارتكان للكسل والإهمال فى العمل لن يؤدى إلى فصلهم ما دامت هناك ضمانات حكومية تحول دون ذلك.

وتتعلق الثانية بالحل الذى وضعه أصحاب العمل لعلاج الأزمة بالتأكيد على أن تغيير بعض القوانين التى تجبرهم على توفير خدمات وتسهيلات للعمال، سيمكنهم من توسيع أنشطتهم وتوفير فرص عمل جديدة. وأمام عجزهم عن إقناع الحكومة بهذا الحل أقدم أصحاب العمل على تجاوز القوانين بطرقهم الخاصة. فأبقوا على عدد العمال لديهم أقل من ٥٠٠ فرد وهو العدد المحدد لتقديم خدمات صحية واجتماعية وغذائية للعمال، أو إنشاء شركات مماثلة بأسماء مختلفة لتجاوز زيادة أعدادهم عن الحد المقرر.

وفى نهاية استعراض الملحق العمالى لقضية التوظيف والبطالة وعلى الرغم من تجاهله لاثنين من العوامل المؤثرة فيها على صعيد العمل الخاص. إلا إنه لم يفته الإشادة بمجهودات الحكومة فى التعامل معها داخل الإدارات الحكومية تحديدا. فأشار إلى زيادة الرواتب

الحكومية وبخاصة مع التوسع فى عدد المشروعات القومية والمحلية، وإضافة موظفين وعمال ذوى خبرات ومؤهلات فنية خاصة، والنجاح فى خفض عدد الموظفين والعمال - استنادا إلى أسباب تأديبية فى الغالب - إضافة إلى عدد من السعاة والعمال الهامشيين فى ممرات الوزارات[١٥].

وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل:

فى إطار اهتمامها بالفئات الاجتماعية الأقل دخلا قررت حكومة الثورة فى سبتمبر ١٩٥٥م إعادة تنظيم وزارة الشؤون الاجتماعية. فتحول اسمها إلى وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل فى خطوة تهدف إلى متابعة الأهمية المتزايدة لشئون العمال فى مصر، وأصبحت الإدارة العامة للعمل إحدى الإدارات الأربع الرئيسة للوزارة[١٦] بعد أن كان قسم العمل بها مجرد قسم تابع، ثم قُسمت هذه الإدارة بدورها إلى أربع إدارات فرعية هى: «البحث والتشريع، التفتيش، القوى العاملة، العلاقات الصناعية».

كما قامت الحكومة للمرة الأولى بإنشاء منصب النائب الأول لوزير الخارجية لشئون العمل، ورشحت لشغله إبراهيم الغطريفى وهو موظف مدنى معروف عمل لمدة عشرين عاما فى شؤون العمل بالوزارة[١٧].

وكان أنور سلامة رئيس اتحاد نقابات البترول قد توقع فى لقاء سابق مع المستشار الإعلامى إمكانية إنشاء وزارة عمل منفصلة أو رفع مكانة قسم العمل بالوزارة ومنحه المزيد من السلطة ليتساوى مع الشؤون الاجتماعية، وفى الحالة الثانية فإن إبراهيم الغطريفى المدير العام للعمل بالوزارة يظل هو الاختيار الأفضل أمام الحكومة لخبراته الفنية المتميزة[١٨].

وفى تعليقه على مدى نجاح إعادة تنظيم الوزارة، أشار الملحق العمالى إلى أنه كان محدودا على صعيد الوضع داخلها، مؤكدا أن ما حدث كان مجرد تغيير للأسماء حيث لم يُعط أغلب المسؤولين وظائف أو مهام جديدة، وأن الوظائف تم خفضها عن العام السابق بمقدار ٢٨٢ وظيفة ليصبح إجمالى العاملين بالوزارة ٤٧٧٩ منهم ٢٨٦٩ دائمون أغلبهم تنفيذيون وفنيون ومحاسبون، و ١٧٣ مؤقتون أغلبهم محاسبون ومعلمون، إضافة إلى ١٤٥٥ خارجين عن هيئة العمال يمثلون الخدم والسعاة والبوابين.

أما على صعيد أوضاع العمال فقد أشاد بالجهد الكبير الذى بذله مسؤولو الوزارة فى الحفاظ عليها جهة فنية بعيدا عن العمل السياسى الذى تُرك لقسم النقابات بهيئة

التحريــر، وأثر ذلك على نجاحهم فى إعداد بعض القوانين التى صدرت عام ١٩٥٥م مثل قانون التأمين والإعالة والادخار، وقانون توظيف المصريين فى الشركات الأجنبية، إضافة إلى إعداد مسودات قوانين أخرى يُنتظر صدورها عام ١٩٥٦م مثل قانون الحرفيين.

كما أشــاد بالتطــور الواضح للمكاتب العمالية فى الريــف والحضر وبخاصة فيما يتعلق بالعدد وكفاءة الأشــخاص القائمين عليها، إضافــة إلى ما تحقق فى مجال التعاون الخاص بالفلاحــين والذى يعد نتيجة طبيعية لقانون الإصلاح الزراعى الصادر عام ١٩٥٢م، حيث زاد عــدد المراكز الصحية والمجتمعيــة بالتعاون مع وزارات الصحة والتعليم والمؤسســات المصرية الأخرى.

وعلى الرغم من إقراره ببعض نجاحات الوزارة إلا إنه توقف أمام ثلاث قضايا هامة هى:

- النظرة غير الرسمية لها من جانب قسم النقابات بهيئة التحرير ونقابة العمال.
- عدم اعتبار أى من القوانين الصادرة عنها تشريعات رئيسة للعمال.
- المشاركة الاسمية لها فى برنامج التعاون مع الولايات المتحدة[١٩].

المؤسسات النقابية للعمال:

تعــرف العمال المصريون على العمل النقابى للمرة الأولى فى بداية القرن العشــرين، من خلال العمال الأجانب الذين وفدوا إلى البلاد ولعبوا دورا كبيرا فى ظهور النقابات العمالية للدفاع عن حقوقهم، وذلك بمشاركة العمال المصريين الذين سرعان ما انفصلوا عنها ليكونوا نقابات خاصة للمطالبة بتحسين ظروف العمل وشروطه والمساواة مع نظرائهم الأجانب.

وقد أدى النشــاط الواضح للحركة العمالية إلى لفت انتباه القوى الوطنية التى سعت إلى توظيفها فى إطار مشروعها التحررى، وكانت البداية بمحمد فريد الذى شكل نقابة الصنائع اليدوية وربطها بالحزب الوطنى. إلا أن تأثر حركة العمال بالأفكار الاشــتراكية وتشــكيل أول اتحاد عام للعمال بالإسكندرية عام ١٩٢١م من خلال الحزب الاشتراكى المصرى؛ دفع حكومة الوفد عام ١٩٢٤م إلى تصفية الحزب والاتحاد خشية تنامى نفوذهم على حسابها، وشكلت فى المقابل اتحاد عام لنقابات العمال يخضع للوفد بشكل مباشر[٢٠].

وأمام ضغوط العمال المتزايدة للاستقلال بحركتهم والاعتراف بشرعيتها، اضطرت حكومة الوفد إلى إصدار قانون ٨٢ لعام ١٩٤٢م الذى اعترف للمرة الأولى بالنقابات العمالية وكيانها القانونــى وعلــى الرغم من جوانب القصور العديدة فى هــذا القانون[٢١] فقد فتح الطريق أمام

العمال للتقدم بطلبات تشكيل نقابات واتحادات نقابية لأصحاب المهن الواحدة، كما لم تتوقف محاولات القادة العماليين لتأسيس اتحاد عام للعمال على الرغم من الضربة القوية التى وجُهت لمساعيهم من قبل حكومة إسماعيل صدقى[٢٢]، حيث اتخذ تحركهم الطابع السرى بتأثير حركة حدتو الشيوعية التى أنشأت مكتبا نقابيا لهذا الهدف وأجرت اتصالات بالقيادات العمالية أسفرت عن تأسيس اللجنة التحضيرية لاتحاد نقابات العمال١٩٥١م[٢٣].

وفى أعقاب الثورة شهدت الحركة النقابية تطورا إيجابيا بفضل تغير سلوك الحكومة التى أصدرت عدة قوانين لصالح العمال، من بينها قانون ٣١٩ لعام ١٩٥٢م الخاص بتكوين النقابات والاتحادات العمالية، والذى أشار إليه الملحق العمالى باعتباره تكرارا للمبادئ الأساسية لقانون ١٩٤٢م مع تشجيع النقابات على تشكيل اتحادات خاصة بها[٢٤]. أما المصادر المصرية فتشير إلى أن بنوده ومزاياه تعددت ذلك بكثير، ومنها تفاديه لأخطاء وقيود القانون السابق، ومنحه للعمال الزراعيين حق تكوين نقابات، وإلغاء الوصاية الإدارية على النقابات بجعل القضاء هو جهة الفصل فى حال رفض تكوينها، وجواز تكوين اتحاد عام للنقابات العمالية[٢٥].

ومع إدراك النظام الجديد لأهمية الحركة العمالية فقد سعى إلى وضعها تحت مظلته من خلال قسم النقابات بهيئة التحرير التى تأسست فى يناير ١٩٥٣م، وأسندت رئاسته إلى الرائد أحمد عبد الله طعيمة الذى لعب الدور الأبرز على الساحة العمالية وربطها بالنظام السياسى.

وقد بلغ عدد النقابات العمالية المسجلة لدى الوزارة فى أكتوبر ١٩٥٥م «١٤٦٩» نقابة ينتمى أغلبها إلى ٢٨ اتحادا عاما مسجلا، وذلك فى ظل استمرار الوزارة فى تجاهل المطالب الملحة لزعماء نقابات العمال بتأسيس اتحاد عام للنقابات العمالية. وهنا يلفت الملحق العمالى الانتباه إلى مبالغة قادة النقابات فى تحديد أعداد أعضائها حتى إن بعض تقديراتهم زادت على عدد العمال الإجمالى فى مصر، ثم يشير إلى أن عددهم الفعلى يبلغ حوالى ٤٤٦ ألف عضو يدفعون رسوم عضوية تبلغ ٢٥٠ ألف جنيه تقريبا وفقا لأدق تقديرات بعض القادة النقابيين.

أما نقابة العمال الزراعيين فعلى الرغم من الاهتمام المتزايد بها من جانب حكومة الثورة وإعادة تنظيمها عام ١٩٥٤م تحت قيادة جديدة، إلا أن عضويتها ظلت محدودة ولا تتعدى أربعة آلاف من بين ما يزيد على ١٢ مليون عامل زراعى[٢٦]، وذلك لوجود اعتقاد راسخ

لديهم بسيطرة الحكومة المطلقة عليها، وإن توقعوا فى الوقت نفسه زيادة النقابات الخاصة بهم فى المستقبل(٢٧).

ومن بين هذا العدد الضخم للنقابات تعد نقابات عمال البترول والتجارة والكيمياء والنسيج هى الأهم، فى حين تأتى النقابات الزراعية فى المؤخرة على الرغم من التشجيع الكبير التى تلقته حيث لا تزال صغيرة وغير مؤثرة. أما قادة الحركة النقابية فيتم اختيارهم فى الغالب من قبل الحكومة بناء على مدى ولائهم للنظام الحاكم، وهو السبب نفسه الذى دعاها للتشدد فى تعاملها مع الآخرين حيث سجنت المعارضين وأبعدت الأقل ولاء إما بشكل هادئ أو باستخدام القوة، كما تُحدد المناصب التى تسند للموالين بناء على ما يتمتعون به من مكانة ونفوذ فى أوساط العمال.

وعلى الرغم من التطورات التى شهدتها الحركة العمالية فقد ظلت هناك بعض القضايا الهامة التى لم تحسم ومنها الرغبة الملحة فى تكوين اتحاد عام للنقابات العمالية، والحصول على حق الإضراب لتحقيق الأهداف الخاصة بالعمال.

الاتحاد العام للعمال:

ناضل القادة العماليون كثيرا لتحقيق هذا الهدف وظنوا أنه أصبح قريب المنال إبان الظهور القوى للحركة العمالية على خلفية أحداث مارس ١٩٥٤م، حيث تلقى بعضهم وعدا من مجلس قيادة الثورة بالسماح لهم بالعمل على إقامة هذا الاتحاد.

وقد شكل قسم النقابات لهذا الهدف لجنة تحضيرية من سبع نقابات بارزة يمثلها «أنور سلامة عن البترول، أحمد فهيم عن النسيج، أسعد محمد رجب عن الكيمائيين، سعيد خلف عن المؤسسات التجارية، إضافة إلى عدد من ممثلى بعض النقابات الأخرى»، وعقدت هذه اللجنة اجتماعات دورية بنادى العمال حاولت خلالها وضع تصورها للاتحاد المزمع تشكيله والذى توقعوا بدء عمله قبل نهاية عام ١٩٥٥م، وبخاصة مع بداية حصولهم على دعم واضح من عبد الله طعيمة ووزارة الشؤون الاجتماعية فى أواخر يوليو(٢٨).

وفى تعليقه على هذا التطور الأخير توقع الملحق العمالى سرعة اكتشاف زعماء العمال لعدم تفضيل الحكومة قيام حركة عمالية موحدة ذات تنظيم مستقل، وهو ما حدث بالفعل حين أدركوا مراوغة النظام لهم فى هذا الأمر فحاولوا إحراجه بشكل علنى خلال اجتماع كبير لزعماء العمال، حيث سأل سلامة خليل رئيس نقابة الخبازين عبد الله طعيمة:

متى سيُسمح للعمال المصريين بتكوين اتحاد عام يضم كافة نقاباتهم ؟ فأجاب بأن الأمر محل دراسة وبحث دون إعطاء مزيد من التفاصيل[٢٩].

ومن جانبه أكد أنور سلامة عضو اللجنة فى لقائه مع المسؤول الإعلامى بأن دوافع الغيرة لدى زعماء النقابات هى العائق الوحيد المتبقى لإقامة الاتحاد حيث يرغب كل منهم فى ترأسه. ولهذا اقترحت الحكومة بأن تتولى وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل تعيين رئيس للاتحاد من نقابة غير عمالية «كإدارة الخدمات المدنية»، وهو ما رفضه زعماء العمال لاعتقادهم بأن النقابى العمالى وحده هو المؤهل لقيادة اتحاد العمال[٣٠].

أما سعيد درويش نائب المدير العام لإدارة العمل بوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل فقد أكد بأن الزعيم المنتظر للاتحاد سيتمتع بنفوذ كبير ربما يلى رئيس الوزراء ذاته. لذا فمن الممكن أن يتغير الاتجاه كليا إذا تولاه مسؤول سياسى كتسوية محتملة وبخاصة مع حرص الحكومة الشديد على تعيين رئيس مقبول، داعيا الحكومة فى الوقت نفسه إلى عدم حصر الموضوع فى نطاق المصالح الخاصة بالنقابات فقط دون النظر إلى المصالح الوطنية العليا. واختتم درويش تعليقه بالتأكيد على أن الحكومة قد تضطر فى النهاية إلى تعيين رئيس للاتحاد المقترح دون النظر لاعتراضات القيادات العمالية.

ولدى إطلاعه على هذا الرأى من قبل المسؤول الإعلامى أكد أنور سلامة أن مسؤولى الحكومة يُمكنهم التهديد إلا إنهم لا يستطيعون الإضرار بالقادة العماليين الذين أصبحوا أكثر توحدا حول أهدافهم ومصالح العمال أكثر من ذى قبل بصرف النظر عن دوافع الغيرة فيما بينهم[٣١].

وهكذا ظلت قضية ولاء الرئيس المنتظر هى المحك الأخير الذى يمكن أن يُحبط إقامة الاتحاد العام المقترح، وبخاصة مع رغبة النظام فى السيطرة عليه من خلال رئيس تابع.

وعلى أى الأحوال فإن تأسيس الاتحاد العام للعمال المصريين سيتأخر نسبيا نتيجة لهذه المشاكل وغيرها، وذلك إلى أن يُؤذَن للقيادات العمالية بتشكيله تحت مظلة الدولة فى يناير عام ١٩٥٧م برئاسة أنور سلامة[٣٢].

حق الإضراب:

مثل الحصول على هذا الحق أحد أهم مطالب العمال إلى السلطة وهو ما عبر عنه أحد قادتهم «أنور سلامة» حين أشار إلى أن رغبته التى لم تتحقق هى الاعتراف بحق العمال فى الإضراب بدون خوف من العقاب الحكومى، ثم عاد وأكد أنه لو سُئل الرأى فى ذلك

فسوف يعارض منحه الآن كمبدأ أو مفهوما عاما؛ لاعتقاده بأنه حق يمكن استخدامه من جانب البعض مثل عمال البترول بتميز باعتباره سلاحا تفاوضيا أخير وبخاصة أن لديهم دون سواهم التمويل الكافى لإضراب قد يدوم لعدة أيام. فى حين أن أغلب النقابات المصرية ستُضرب بشكل واسع دون اعتبار لاحتمالات النجاح. وأن مثل هذه الإضرابات ستدفع الحكومة للرد بعنف لاعتقادها أن ذلك يؤثر بشكل سلبى على الإنتاج الذى توليه الثورة أهمية كبرى كأحد عوامل نجاحها.

كما أن الأمر لا يتوقف من وجهة نظره على الحكومة والعمال فقط بل يشمل أيضا أصحاب العمل الذين أبلغوا الحكومة بأن الحد الأدنى لتعويضهم إن قَبلوا الحق فى الإضراب. منحهم الحق فى فصل أو طرد العمال وفقا لمتطلبات الإنتاج. ونتيجة لذلك وبما أن الحكومة لا تستطيع المخاطرة باتساع نطاق البطالة؛ فإنها لن تسمح بمنح حق الإضراب للنقابات العمالية إلا بمرور وقت طويل على عودة النظام الديمقراطى[٣٣].

العمال والعمل السياسى:

ارتبطت مشاركة العمال فى العمل السياسى بعدة عوامل أساسية هى: السعى لتحقيق الأمانى الوطنية. واستصدار قوانين وتشريعات تلبى مطالبهم الفئوية مثل تنظيم علاقات العمل. والارتقاء بأوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية. وتشكيل نقابات يجمعها اتحاد عام يتولى تحقيق مطالبهم والحفاظ عليها مع كفالة حقهم فى التظاهر لتحقيق تلك المطالب. إضافة إلى تحقيق الطموحات الشخصية لبعض القيادات العمالية من خلال توثيق علاقاتهم بالسلطة وتوجيه الحركة العمالية بما يحقق أهدافها. وهى الأمور التى تأثرت كثيرا بتطور العلاقة بين الحركة العمالية والثورة وبالظهور القوى للعمال فى أزمة مارس ١٩٥٤م.

ومن الجدير بالذكر أن السفارة الأمريكية قد تابعت هذه النشاطات باهتمام واضح وعقد ممثليها العديد من اللقاءات والاتصالات مع عدد من ممثلى الحكومة والنقابات للوقوف على حقيقتها. ومن هذا المنطلق نرى الملحق العمالى يبدى اهتماما خاصا بالدور النشيط والمتصاعد الذى لعبه الرائد أحمد عبد الله طعيمة «مدير النقابات فى هيئة التحرير» على صعيد العلاقة مع الحركة العمالية. كما توقف أمام شخصيته وسلوكه وعلاقاته بشكل لافت للنظر؛ فأكد على تمتعه بثقة جمال عبد الناصر مشيرا إلى أنه وطنى مُخلص مع تصميم لا يفتر. يُفضل ممارسة دوره خلف شخصية عامة.

وفـى تأكيده على دور طعيمـة وتأثيره على الحركة العمالية، أشـار الملحق العمالى إلى سـؤال وَجّهَه إلى أحد قادة العمال حول أهم ثلاثة قادة عماليين فى مصر الآن ؟ فجاء رده بعد الاطمئنان إلى من يقفون حوله (طعيمة، طعيمة، طعيمة). كما أشار أيضا إلى تعامله مع إضراب عمال مصنع الحديد بحلوان. حيث استدعى قادة العمال فى المصنع وألقى عليهم كلمة حازمة كان من نتيجتها إنهاء الإضراب بشكل سريع مع تأكيد الحاضرين على ولائهم لجمال عبد الناصر.

أما عن الوسـائل التى اتبعها طعيمة لتحقيق السـيطرة على الحركـة العمالية وتوجيه تحركاتها وكسب ولاء أغلب عناصرها فقد شملت:

- التهديد والوعيد كما فى حالة عمال مصنع الحديد بحلوان، حيث كانت القوانين تحظر إضرابات العمال وتعتبرها غير شرعية.
- استخدام الرشاوى المالية والوعود بالمناصب مستغلا فى ذلك أطماع وطموحات بعض قادة العمال ورغبتهم فى الارتباط بالسلطة.

والحقيقـة أن دور طعيمـة ومن خلفه النظام لم يكن سـهلا فـى التعامل مع طموحات الحركـة العماليـة، وبخاصة بعد أحداث مـارس ١٩٥٤م ودورهم فى حسـم الصراع بين جناحـى الثورة، وهو ما اتضح من بعض الاحتـكاكات والأزمات التى وَلّدَت توترا واضحا فى العلاقة بين الجانبين.

وتعود أولى هذه الأزمات إلى الرفض المتكرر من جانب النظام لمطالب العمال بزيادة الأجور، ومطالبتهـم فى المقابل بالصبر حتى لا يؤدى ذلك إلى إثارة المسـتثمرين الأجانب والمحليين وتراجع اسـتثماراتهم بما يؤثر سـلبا على خطط الدولة الخاصة بالتصنيع. وهو المطلب الذى قبلته القيادات العمالية بفتور وسخط صامت انتظارا لانفراج الموقف[٣٩].

أما أخطر الأزمات فكانت تلك المتعلقة بقرار مجلس قيادة الثورة بعدم السماح للنقابات العماليـة بإقامة احتفال شـعبى ضخـم يُخلد الذكرى السـنوية الأولى لمظاهرات ٢٩ مارس ١٩٥٤م. والذى نظر إليه العمال باعتباره وسيلة لتذكير الجميع بحقيقة كونهم قوة سياسية مهمة يجب معاملتها من هذا المنطلق.

ثم ما لبث الأمر أن ازداد سـوءا وتوترا بعد الخطاب الذى ألقاه حسـين الشـافعى وزير الشـؤون الاجتماعيـة فى اجتماع مصغر سُمح بانعقاده فـى هيئة التحرير وضم ثلاثة آلاف

عامل فقط، حيث أبدى العمال غضبهم وخيبة أملهم لعدم تناول الوزير ما توقعوه من تأكيد على أهميتهم كقوة سياسية، أو الإشارة إلى أية امتيازات اجتماعية يمكن أن تُقدم لهم من خلال قانون العمل المُزمع إصداره، وتأكيده فى المقابل على ما ينتظر العمال من عمل شاق وواجبهم فى المساهمة بأقصى جهد لازدهار الأمة.

وقد دفع الموقف الأخير العمال إلى التعبير عن سخطهم بشكل علنى فكونوا وفدا لزيارة الوزير وإبلاغه عدم رضاهم عن تصريحاته؛ إلا إنه لم يُسمح لهم بمقابلته فالتقوا بسكرتيره العسكرى «عبد الفتاح فريد» الذى أعطاهم تأكيدات بأن قضاياهم ستلقى كل اهتمام ممكن، الأمر الذى هدأ من روعهم وإن لم يزيل هواجسهم بشكل كامل[٣٥].

وهكذا فإن عدم تجاوب السلطة مع مطالب العمال بشكل واضح، جعل العلاقة بينهم عرضةً لاحتكاكات متتالية باعدت باستمرار المسافة بين الجانبين.

وفى هذا الإطار جاء الرد السلبى لقيادات العمال على طلب طعيمة لهم بجمع العمال فى مظاهرة ضخمة لاستقبال جمال عبد الناصر أثناء عودته من مؤتمر باندونج، وبخاصة مع تلميحه لإمكانية الاستعانة بفلاحى الصعيد نتيجة لعدم قدرة العمال على إخراج التظاهرة بالشكل اللائق[٣٦]. وبرغم ذلك وعلى حد وصف عبد العزيز سعيد أحد القيادات العمالية فقد شعر زعماء النقابات العمالية بأنهم مُجبرون على المشاركة فى التظاهرة لتجنب اتهامهم بعدم مساندة النظام. ومن ثم كان الاتفاق فيما بينهم على أن يشارك عدد قليل من عمال القاهرة وهم يحملون شعارات نقاباتهم للتدليل على ضعف المشاركة. كما لم ينضم أغلب قادة العمال إلى وفود المهنئين التى زارت ناصر فى اليوم التالى بعد أن كانوا فى السابق فى مقدمة تلك الوفود[٣٧].

وإذا كانت استعانة النظام بفلاحى الصعيد قد تركت أثرا سلبيا على مواقف العمال فإن حادثا آخر وقع لأحد قياداتهم أدى إلى تزايد شعورهم بالضيق تجاه السلطة، ذلك أن الصاوى أحمد الصاوى صاحب الدور المعروف فى مظاهرات مارس ١٩٥٤م دُعى ضمن عدد من القيادات العمالية لحضور احتفال بمطار القاهرة لاستقبال ناصر، وعندما طالبه الحرس بسرعة الجلوس فى مكانه المحدد رد بأنه سيجلس وقتما يشاء فوقعت مشادة كلامية بينه وبين أحمد أنور رئيس الشرطة العسكرية انتهت بضربه وسط زملائه من قادة العمال.

وقد أدرك النظام سريعا الأثر السيىء لهذه الحادثة فاتصل طعيمة بالصاوى مُعبرا عن أسفه لما حدث، ورتب لقاء جمعهما بناصر حرصت صحيفة الجمهورية على إبرازه على

صدر صفحتها الأولى مع صورة ودية كبيرة لناصر والصاوى [٣٨]. وهنا يؤكد أنور سلامة أن تهديد الصاوى الغاضب بسحب مساندة عمال النقل للنظام، كانت السبب فى سرعة تحرك طعيمة لتطويق الأزمة وقيام الحكومة بترتيب زيارة خاصة للصاوى إلى مكة المكرمة على متن الطائرة المخصصة لناصر، وأنه أصبح بعدها محل استشارة الحكومة وعلى ارتباط وثيق بطعيمة[٣٩].

والملاحظ أن هذه المكانة العالية التى وضع فيها الصاوى بعد الحادث؛ كانت سببا فى إثارة العديد من قادة العمال الذين اتهموه بعدم التعاون معهم. وسعى آخرون فى نقابة عمال النقل لاستخدام ما حدث ذريعة لاستبداله برئيس آخر من اختيارهم، مع اتهامه بأنه زعيم غير مُستقل وأن استمراره فى منصبه سيقود نقابات العمال لتُصبح تحت قبضة وسيطرة الجيش[٤٠].

وفيما يتعلق بالرد السلبى لقيادات العمال على مطالبات النظام للمشاركة فى التظاهرات المنتظمة التى تجرى فى مناسبات مختلفة ، أكد أنور سلامة أن الثقة المتزايدة بالنفس من جانبهم كانت سببا فى محاولاتهم المتكررة التفاوض مع الحكومة حول المزيد من المكاسب، وأن تعبيراتهم التحريضية الساخطة تجاه بعض خطوات السلطة كانت استراتيجية، ثم يبدى حيرته من الاهتمام غير العادى للمصريين والمراقبين الأجانب بشأن عدم تجاوب الاتحادات العمالية مع الدعوة للتظاهر فى الذكرى السنوية الثانية لقيام الثورة، وأنه شخصيا طُلب إليه استخدام نفوذه فى دفع عمال البترول للمشاركة فى التظاهرة؛ إلا إنه رفض ذلك لاعتقاده بأنه يمكن أن يترك أثر غير طيب، ويخلُص فى النهاية إلى أن هذا التوتر المستمر فى العلاقة كان سببا فى استخدام السلطة لسياسة الترغيب والترهيب فى تعاملها معهم، فكانت تُكافئ ببذخ المُوالين وتضيق الخناق على الآخرين[٤١].

وعلى الرغم من الاحتكاكات المتتالية بين النظام والحركة العمالية إلا أن هذا لم يمنعه من الاستفادة بنفوذها وقدراتها باعتبارها إحدى القوى الفاعلة على الساحة الداخلية، وهو ما ظهر بوضوح خلال أزمة استقالة صلاح سالم «وزير الإرشاد القومى وشؤون السودان»، حيث طُلب إلى عدد من قادة العمال بشكل مفاجئ حضور اجتماع بالقاهرة قبل يوم من قُبول الاستقالة، وقد حضر بالفعل ستة منهم فى مقدمتهم «الصاوى أحمد الصاوى عن عمال النقل، سعيد خلف عن مؤسسات التجارة، ومحمد رجب عن عمال الكيمياء، وأحمد سعيد

عن عمال النسـيج»، إلا أن الأسـئلة كانت توجه بشـكل خـاص للصاوى الذى سُئل عن موقف العمال ورد فعلهم إذا ما قُبلت الاستقالة؟

فأجاب بأن صلاح سـالم غير محبوب في أوسـاط العمال الذين يـرون أنه رجل حازم وطموح تجاهل حركتهم ومطالبهم بشكل واضح، وأنه متأكد من أن العمال لن يتخذوا موقفا سـلبيا من النظام نتيجة قبول الاسـتقالة. وهنا يُشير الملحق العمالى إلى أن الأحداث التالية أثبتت صدق توقع الصاوى(٤٢).

وبشـكل عام فإن الاستجابة الجزئية لبعض مطالب الحركة العمالية لم تنجح فى وقف الاحتكاك مع السـلطة؛ بل إن شُـقة الخلاف بينهم كانت تتسع تدريجيا الأمر الذى أثار هواجس الجانبين بشـأن مسـتقبل العلاقة بينهم. وهى الحقيقة التى لفتت انتباه السفارة الأمريكيـة ودفعتهـا إلى متابعـة الموقف بدقة من خـلال لقاءات ممثلهـا ببعض الأطراف الفاعلة، والاستفادة بمعلوماتهم وتفسيراتهم للخروج برؤية محددة فى هذا الشأن.

ففى لقاء بين الملحق العمالى بالسفارة وأسعد رجب رئيس نقابة الكيمائيين وإبراهيم فطيم رئيس اتحاد عمال البترول، أشار الرجُلين إلى افتقار جمال عبد الناصر لمساندة العمال على الرغم من إخلاصه بشأن رفاهيتهم، وأنه يمكنه الحصول على حبهم ومساندتهم الكاملة إذا نجح مجلس قيادة الثورة فى إنشـاء برلمان جديد يُمَثِّلون فيه بشـكل قوى. وأكد الأول فى هذا الشأن أنه تلقى معلومات من الحكومة تشير إلى رغبتها فى أن يتم انتخاب ثلثى أعضاء البرلمان وتعيين الثلث مع عدم وضع الأمية شرطا للترشح، وأنهما خلصا من اتصالاتهما فى هذا الشأن إلى وجود نية حكومية لحصول خُمس ممثلى العمال على عضوية البرلمان(٤٣).

وفى المقابل أكد عبد العزيز سـعيد رئيس مجلس العمال المصريين فى تفسـيره لسـلوك اتحاد العمال، أن زعماءه مازالوا مُسـتعدين للتعاون مع النظام شـريطة أن يتولوا شُـؤونهم بأنفسـهم، وأن هذا هو السبب فى رفضهم الدائم للانضمام إلى هيئة التحرير على الرغم من تكرار مطالبة طعيمة لهم بذلك، موضحا فى الوقت نفسـه أن مثل هذا الارتباط سـيُضعِف الجانبين ويحول دون اعتماد النظام على العمال كتيار مسـتقل مسـاند للثورة، الأمر ذاته الذى يُمكن أن يحدُث إذا لم يُسمح للعمال بممارسة قدر من الاستقلال؛ لأنه سيدفع أعداء النظـام إلى الادعاء بأن اتحـادات العمال خاضعة كلية له وأن مظاهراتهم المؤيدة له لا تعبر عن حقيقة مشـاعرهم تجاهه، وأنهى حديثه بالتأكيد على أن الاسـتقلال المطلوب سيسمح للعمال بممارسة أقصى ضغط ممكن على الحكومة لتنفيذ مطالبهم.

وفي رده على موقف النظام في حال تغير سلوك العمال تجاهه؟

أكد سعيد أنه ما لم يُعارض قادة العمال الحكومة علنا فلن تكون هناك فرصة لتصدع العلاقة معها، وبخاصة مع إدراكه وزملائه أنه بدون مساندة اتحاد عمال منظم لن يستطيع ناصر الادعاء بتمتعه بالدعم الشعبي؛ وأنه لهذا السبب تحديدا يتوقع سعي النظام للحفاظ على مساندة العمال. ثم يلفت الانتباه إلى حقيقة هامه لا يمكن لقادة العمال تجاهلها وهي أنه باستطاعة ناصر إذا لزم الأمر تجاوز الحركة العمالية والاعتماد على الجيش بشكل كامل[٤٤].

أما السفير الأمريكي هنري بايرود Henry A. Byroade ومن خلال متابعته لتطورات الأوضاع واتصالات رجاله مع مختلف الأطراف؛ فيخلُص إلى عدة حقائق يراها حاكمة بشأن مستقبل العلاقة بين النظام والحركة العمالية وهي:

- إن أبرز ما يميز هذه العلاقة هو نفاذ صبر الحركة العمالية والاستعداد للتعبير عن غضبها نتيجة لتأخر النظام في الاستجابة لمطالبها، وهو ما ظهر جليا من خلال الاحتكاكات العديدة بين الجانبين. على أن ذلك لا يعني أن الحركة قد تصل في سلوكها إلى حد تغيير ولائها للنظام والارتباط بالعناصر المعارضة له.
- إن على النظام أن يكون أكثر مهارة في علاقاته مع قادة الحركة العمالية إذا كان يرغب في إبعادهم عن اتخاذ سلوك مناهض للثورة كباقي الجماعات المدنية الأخرى[٤٥]، خاصة وأنها الفئة الوحيدة القادرة على إظهار شعبيته وفرض سيطرته على الشارع من خلال تظاهراتها.
- على الحركة العمالية ومنظماتها أن تقبل على المدى الطويل بقدر من المكاسب التي تمنحها لها الثورة، لأن البديل هو فرض النظام لسيطرته الكاملة على نشاطها وسلب مكاسبها. لاسيما وأنه لم تتبلور لديها قناعة واضحة حول المسار الذي يجب عليها اتباعه لتحقيق أهدافها أو وجود اتفاق كامل بين قياداتها بشأن حتمية تحقيق مطالب الحركة بشكل آني[٤٦].

والملاحظ حول رؤية بايرود أنه وإن نجح بالفعل في توصيف طبيعة العلاقة بين النظام والحركة العمالية وما يمكن أن تكون عليه في المستقبل؛ إلا إنه لم يتعرض للعديد من الخطوات التي اتخذها النظام لصالح العمال وأكدت عليها تقارير سابقة للسفارة، وبخاصة

فيما يتعلق بالإصلاح الزراعى وتحسين الدخل والحد من البطالة وإعادة هيكلة وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، وهى خطوات وإن لم تحقق مطالب العمال بشكل كامل إلا إنها حَدَّتْ من إمكانية الصدام بين الطرفين.

– وفى نهاية الحديث حول العمال والعمل السياسى يَجدُر بنا التوقف أمام وضع العمال الزراعيين، باعتبارهم جزءا من الحركة العمالية وفقا لمفهوم الوثائق الأمريكية التى تناولتهم من جوانب عدة كما مر سابقا. والملاحظ فى هذا الشأن أنه لم يتم التعرض لهم بشكل مباشر، بل جاء الحديث عنهم فى إطار محاولات النظام الاستعانة بهم فى بعض التظاهرات لإظهار مدى شعبيته أو لاستثارة العمال الصناعيين ومنظماتهم نتيجة ترددهم فى مساندته بشكل كامل.

وكان أنور سلامة أوضح من تحدث عن موقفهم وموقعهم السياسى متوقفا أمام قضية التنظيم باعتبارها الفيصل فى هذه المسألة، حيث أكد أنهم لا يتمتعون حاليا بأية أهمية سياسية برغم أنهم يمثلون الأغلبية العظمى من العمال فى مصر وذلك لكونهم غير مُنظمين، مقارنة بالعمال الصناعيين الأقل عددا والأكثر تنظيما وبالتالى أهمية للنظام، ولكنه يعود فيدعوا الحكومة أن تعتمد عليهم فى النهاية لأنهم يظلون أكبر قوة سياسية محتملة إذا توفرت فيهم ثلاثة شروط هى: إدراك سياسى أكبر، زيادة عدد القادرين على القراءة والكتابة، النمو البطىء لطبقة من صغار ملاك الأراضى[٤٧].

النشاط الدولى للحركة العمالية:

باستثناء التحركات والاتصالات التى قامت بها وزارة الشؤون الاجتماعية[٤٨]، كانت أغلب التحركات الدولية للحكومة والحركة العمالية تدار من قبل قسم النقابات بإشراف وتوجيه أحمد عبد الله طعيمة، الذى عمل بإصرار على تشكيل قوة عمل دولية ثالثة تسمح لمصر بلعب دور إقليمى ودولى واضح، على أن تضُم فى البداية الدول العربية والإسلامية إضافة إلى الهند[٤٩].

ويؤكد أنور سلامة أن هذا التوجه منطقى إلى حد كبير؛ لأنه سواء انضمت مصر لكتلة العمل الشرقية أو الغربية فلن تتمتع بوضع متميز فى الخارج إضافة إلى أن ذلك سيُفقدها ثقة العمال المصريون. ثم يُضيف من جانبه أن هناك صعوبة لانضمام الحركة العمالية المصرية إلى الاتحاد العالمى لنقابات العمال لكونه منظمة يسيطر عليها الشيوعيون، وأنه والعمال

المصريين والحكومة معادين للشيوعية، كما أنه وعلى الرغم من تأييده الشخصى لبعض أفكار الاتحاد الدولى للمهن الحرة إلا إنه لا يمكن الانضمام إليه؛ بسبب سيطرة المصالح الأمريكية والبريطانية عليه بشكل واضح.

ويختتم سلامة تعليقه بالتأكيد على أن الاتحادات العمالية المصرية فى حاجة مُلحة لتنظيم نفسها بشكل جيد كى تصبح شريكا فاعلا فى سياسات العمل الدولية، وأنه يُمكن بصورة مبدئية تشجيع النقابات والاتحادات الأكثر قدرة والمعتادة على العمل الدولى على زيادة نشاطها فى هذا الاتجاه، مشيدا فى ذلك بالدور الذى يلعبه اتحاد عمال البترول الذى يرأسه بمساندة وتعاون واضح من الحكومة المصرية[٥٠].

وعلى أية حال فقد سار التحرك الدولى للحركة العمالية فى اتجاهين متوازيين:

الأول: السعى لإنشاء الاتحاد العام للعمال العرب:

اتخذت عدة خطوات فى هذا الشأن كُللت بنجاح قادة العمل المصريين والسوريين فى وضع مُسَوَّدة قانون الاتحاد، بحضور لبنان بصفة مراقب مع تجاهل دعوة الدول العربية الأخرى بسبب مواقفها السابقة من دعوة مماثلة، والترتيب لإعلان هذه المنظمة فى احتفال شعبى بالقاهرة خلال النصف الأول من عام ١٩٥٦م، وقد حرص المُنظِمُون على استخدام كافة وسائل الدعاية والإغراء لحث الدول العربية الأخرى على الانضمام للمنظمة أعضاء مؤسسين.

الثانى: السعى لإنشاء اتحاد العمال الأفروأسيوى:

بذل المسؤولون الحكوميون والقادة العماليون من خلال قسم النقابات جهدا كبيرا فى هذا الاتجاه، بدءوه بالدعوة لعقد مؤتمر عمال أفروأسيوى عام ١٩٥٦م بالقاهرة مُستفيدين فى ذلك من النجاحات التى تحققت على صعيد الاتحاد العمالى العربى، وذلك على أمل تحقيق أكبر قدر من النفوذ فى الاتحاد المقترح.

إلا أن التحرك المصرى فى هذا الشأن بات مهددا بشدة؛ نتيجة الاهتمام الهندى المتزايد بتكوين اتحاد كبير على نفس النمط تكون لهم السيطرة عليه، وبخاصة مع استفادة الهند من موقعها الجغرافى والنظام النقابى المتطور الذى يضُم عدد كبير من الاتحادات ذات النفوذ[٥١]، ولعل هذا التنافس كان السبب فى فشل زيارة رئيس الاتحاد العام لعمال الهند إلى مصر فى يوليو ١٩٥٦م[٥٢].

وفى السـياق نفسه حرص المسؤولون المصريون الذين حضروا الاجتماعات الأخيرة لمركز التدريب المهنى الإنتاجى «التابع لمكتب العمل الدولى»، على ممارسة أكبر قدر من الدعاية والضغوط للاعتراف بطموحات مصر لكل من الاتحادين العربى والأفروأسيوى، مع حرصهم الشديد على انتقاد التأثير الواضح للصهيونيه من خلال منظمة العمل الأمريكية، مستشهدين فى ذلك بمقتطفات مختارة من منشـورات الحركة العمالية الأمريكية والتى يشـير المسؤول الإعلامى إلى أنها مُقدمة فى الغالب من قبل الملحق العمالى المصرى فى واشنطن(٥٣).

وعلـى أيـة حال فالمؤكد أن النظـام المصرى قد نجح من خلال سـيطرته على الحركة العمالية فى توجيهها بشـكل مباشـر لخدمة أهدافه الخارجية وزيادة نفوذه وبخاصة فى المنطقة العربية، وهو ما بدا واضحا من حرصه على تكوين اتحادات عمالية إقليمية ودولية قبل أن يحسم بشكل مباشر قضية تكوين الاتحاد العام لعمال مصر، على اعتبار أن الأخير يصُب فى الأساس فى صالح طموحات الحركة العمالية ومحاولاتها لأن تكون عنصرا فاعلا على الصعيد السياسى والتوازنات الداخلية.

ولعـل الشِـق الأول من هـذا التعليق هو ما عـبر عنه بصدق وزير الشـؤون الاجتماعية والعمـل فى بيانـه أمام مجلس الأمة عام ١٩٥٧م، حين أشـار إلى تفاعل الحركة العمالية مـع الأحداث منذ قيام الثورة ولعبها دورا وطنيا فى مراحل الصراع التى مرت بها البلاد، وإثباتها وعيا وإدراكا شُـوهدت ثماره فى قيام الاتحاد العام المصرى للعمال واتحاد نقابات العمال العرب، والتجاوب العربى الحقيقى أثناء العدوان الثلاثى والذى كان بمثابة الإعلان الواقعى لاتحاد العمال العرب الذى أظهر وحدة الهدف(٥٤).

المنظمات الدولية وعمال مصر:

يشـير الملحق العمالى إلى ضعف نشـاط بعثة مسـاعدات العمل الأمريكية بمصرUSOM / E فـى المجال الدولى واقتصاره فقط على نواحى التعليم المهنـى والحرفى، مطالبا بضرورة زيادة الاهتمام بالشـؤون العمالية ولافتا الانتباه إلى أنشـطة مشـابهة لها فى دول أخرى مثل تركيا، وموضحا اهتمام المسـؤولين المصريين وتركيزهم بشكل خاص على دعم إنتاجية العمال وتدريب الإدارة المتوسـطة والعليا، وإمداد المدارس بالمعـدات المهنية والحصول على منح تدريب مهنى كبيرة بالولايات المتحدة على أن تكون لهم حرية اختيار المرشحين، إضافة إلى تمويل مالى كافٍ.

وبنوع من المقارنة لم يَفُت الملحق العمالى الإشارة إلى ثناء المسؤولين المصريين على ما يقوم به ILO «مركز التدريب المهنى والإنتاجية التابع لمكتب العمل الدولى» وتفضيلهم العمل من خلاله، وتساؤلهم عن عدم تقديم الولايات المتحدة تمويل مباشر له دون الرجوع إلى بعثة مساعدات العمل الأمريكية بمصر USOM / E[٥٥].

وفى مقابل إشادة المسؤولين المصريين بـ ILO يشير أنور سلامة إلى أنه على الرغم من تمتع مديروه فى مصر بخبرات فنية عالية ؛ إلا إنهم يفتقدون المعرفة بمشكلات العمل ومؤسساته فى المنطقة، مؤكدا أنه من الحكمة ألا يُجدد مكتب العمل عقود هؤلاء المديرين لعدم وجود هدف واضح وقيادة فعالة أو مؤثرة فى ظل إدارة المديرين النرويجى والأسترالى. كما توقع أن المدير المصرى المتوقع للمركز سيفتقر بدوره إلى المعرفة الفنية لسابقيه. وسيكون أكثر خضوعا لضغوط الحكومة وسيطرتها أكثر من أى أجنبى قد تثبت كفاءته[٥٦].

ويختتم الملحق العمالى تقريره عن التعاون فى مجالات العمل والعمال بالإشادة بتعاون المسؤولين المصريين وحسن استقبالهم للمسؤولين الأمريكيين. مع الإشارة إلى تصميم الحكومة المصرية على أن تجعل نشاطاتها فى المجالات الاجتماعية والعمالية والمهنية جهدا مصريا خالصا على الرغم من تشاورها الدائم مع مسؤولى USOM / E وغيرهم[٥٧].

وفى نهاية هذا الاستعراض تظل هناك قضية هامة يجب التوقف عندها وهى: أثر توتر العلاقة بين الولايات المتحدة وحكومة الثورة على اهتمام الأولى بعمال مصر.

سبقت الإشارة فى مقدمة البحث إلى مدى اهتمام الولايات المتحدة بأوضاع الفئات الأكثر فقرا فى مصر وتبنيها لسياسات محددة فى هذا الشأن خشية وقوعها تحت التأثير الشيوعى. ولما كان العمال الأكثر عرضة لهذا التأثير فقد كان لهم وضع خاص فى إطار هذا الاهتمام.

وقد جاء تصاعد دور العمال على الساحة الداخلية ثم توتر علاقتهم بحكومة الثورة ليضفى بعدا جديدا على الاهتمام بهم، وبخاصة أنه تزامن مع التوتر الشديد فى العلاقة بين الولايات المتحدة والنظام المصرى على خلفية رفضه لسياسة الأحلاف وتصاعد دوره الإقليمى والدولى وبخاصة بعد مؤتمر باندونج. بشكل بات يهدد أهدافها ومصالحها فى مصر والمنطقة.

والحقيقة أنه يمكننا تلمس أثر هذه التطورات مجتمعة من خلال تقارير السفارة الأمريكية حول العمال. والتى اتخذت شكلا متطورا وزخما ملحوظا بداية من مايو ١٩٥٥م، وذلك فى

محاولة لفهم أوضاع العمال المصريين وطبيعة حركتهم على أمل إيجاد ثغرة يمكن استغلالها فيما بعد إذا وصلت العلاقة مع النظام إلى حد القطيعة.

الخاتمة:

هناك سؤال تمثل الإجابة عليه ردا منطقيا على القضايا التى طرحت أهدافا لهذه الدراسة وهو:

إلى أى مدى نجحت الوثائق الأمريكية فى التأريخ لأوضاع عمال مصر عام ١٩٥٥م؟

نجحت هذه المجموعة الوثائقية بالفعل فى التأريخ لأوضاع العمال حيث أولت اهتماما خاصا برصد مجمل قضايا العمل والعمال. كما تناولت اتصالات رجال السفارة بعدد من ممثلى الحكومة والقيادات النقابية. وخلصت من ذلك إلى الحقائق التالية:

- النجاح النسبى لمشروعات الضمان الاجتماعى فى تحسين أوضاع العمال وإن لم تحقق أغلب طموحاتهم. وفى مقابل ذلك كانت هناك حالة تذمر واضحة من جانب أصحاب العمل وشركات التأمين المحلية والأجنبية ، جراء القيود القانونية والتكاليف الزائدة لهذه المشروعات. إضافة إلى محاولة السلطة انتزاع الدعم السياسى من نقابات العمال ثمنا للموافقة على هذه المشروعات وإصدارها فى صورة قوانين.
- حدوث ارتفاع واضح فى تكاليف المعيشة مع ضعف القوة الشرائية. فى وقت تجاهلت فيه السلطة مطالب رفع الأجور المتدنية فى الأساس والتى شهدت اختلالا واضحا فى المجالين الصناعى والزراعى وتبعا للمنطقة وصاحب العمل(٥٨). ومحاولة علاج هذا الوضع بفرض سيطرة أكبر على الإيجارات وبعض السلع الغذائية.
- التأثير السلبى للزيادة الكبيرة فى عدد السكان على أوضاع العمال حيث أضافت حوالى ٣٢٠ ألف فرد سنويا إلى قوة العمل. وبخاصة مع نجاح مشروعات الحكومة فى مجالات الرعاية الصحية التى خفضت من عدد الوفيات.
- تفاقم مشاكل البطالة وضعف التوظيف كنتيجة طبيعية للزيادة السكانية وانخفاض الاستثمارات. وفصل أعداد كبيرة من العمال من جانب المؤسسات الرأسمالية وبخاصة الأجنبية منها باعتبارها عامل ضغط على حكومة الثورة.
- نجاح الحكومة جزئيا فى التعامل مع قضية البطالة وذلك بإصدار تشريعات تمنع فصل العمال دون سند قانونى مع توفير إعانات بطالة وخدمات اجتماعية لهم. ووضع خطط

لنقل العاطلين إلى منطقة السد العالى وغيرها من المشروعات العامة والمصانع التى بدأت إنشاءها خاصة تلك التى تستخدم العمالة الكثيفة، مع الاهتمام بالمدارس الليلية ومراكز التدريب الفنى والتحويلى للعمال.

- إعادة تسمية وتنظيم وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل اعترافا من الحكومة بالأهمية المتزايدة لشؤون العمل والعمال، ونجاحها فى إعداد وإصدار بعض القوانين التى حققت العديد من طموحات العمال، إضافة إلى نشر مراكزها ومكاتبها على نطاق واسع فى الريف والحضر للارتقاء بالأوضاع الصحية والاجتماعية للعمال.

وعلى الرغم من هذه النجاحات فقد ظل ينظر للوزارة باعتبارها جهة فنية فقط بعيدا عن العمل السياسى الذى استأثر به قسم النقابات بهيئة التحرير.

- النشاط الواضح للحركة النقابية حيث بلغ عدد النقابات العمالية المسجلة عام ١٩٥٥م «١٤٦٩» نقابة يجمعها ٢٨ اتحادا عاما بعضوية إجمالية «٤٤٦» فردا يسددون اشتراكات إجمالية قدرها ٢٥٠ ألف جنيه مصرى سنويا، تأتى فى مقدمتها من حيث الأهمية نقابات عمال البترول والتجارة والكيمياء، فى حين تأتى النقابات الزراعية فى المؤخرة لكونها صغيرة وغير مؤثرة على الرغم من التشجيع الكبير الذى تتلقاه من السلطة.
- نجاح النظام فى استمالة عدد كبير من زعماء العمال وتدخله المباشر فى اختيار القيادات العمالية تبعا لدرجة ولائهم له والتعامل بقسوة مع العناصر المعارضة، وذلك من خلال قسم النقابات بهيئة التحرير ورئيسه عبد الله طعيمة.
- إن العلاقة بين السلطة والحركة العمالية قد تحددت بناء على رغبة الأولى فى الحصول على التأييد الشعبى الواسع من الطبقة العاملة، ورغبة الثانية فى تحقيق أكبر قدر ممكن من المطالب الفئوية والامتيازات السياسية والاستقلالية الكاملة بعيدا عن السلطة، وهى الأمور التى ظل أغلبها دون حسم خلال عام ١٩٥٥م.
- استمرار تجاهل الدولة لمطالب الحركة العمالية الملحة وفى مقدمتها تأسيس اتحاد عام لنقابات العمال وحق الإضراب والتظاهر، وأثر ذلك فى توتر العلاقة بين الجانبين.
- اهتمام الحركة العمالية بالنشاط الدولى بدافع وتأييد قويين من عبد الله طعيمة، والنجاح فى تأسيس الاتحاد العام للعمال العرب بالتعاون مع سوريا كخطوة أولى نحو اتحاد أفروأسيوى محايد يوازن الاتحادين الشرقى والغربى للعمال؛ باعتبار أنه أحد الوسائل لكسب نفوذ ودور سياسى كبيرين للنظام المصرى على الساحة الدولية.

أما عن الولايات المتحدة وعمال مصر فالمؤكد أنه على الرغم من التوتر الشديد فى العلاقة بين الولايات المتحدة والنظام المصرى عام ١٩٥٥م؛ فقد حافظ الجانبان على حد أدنى من التعاون بحيث استمرت المؤسسات الأمريكية فى تقديم العون والمساعدة الفنية لخطط الحكومة فى المجالات الاجتماعية. كما استمرت السفارة الأمريكية فى متابعتها الدقيقة لكافة شؤون مصر الداخلية ومن بينها بطبيعة الحال أوضاع العمال كما أوضحته مجموعة الوثائق المستخدمة فى هذا البحث.

□□□

الهوامش

(١) طارق البشرى. الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥م – ١٩٥٢م، ط٢ القاهرة. دار الشروق ١٩٨٣. ص ١٨٣. ١٨٤.

(٢) يعد أحمد حسين من أهم العناصر الإصلاحية التى حظيت بتأييد ومساندة واضحة من جانب الولايات المتحدة فى إطار تعاونها مع مصر فى مشروعات الإصلاح الاجتماعى. وقدمت للوزارة فى عهده الكثير من المساعدات وأوفدت إليها العديد من الخبراء فى المجالات الاجتماعية.... كما شغل بعد الثورة منصب سفير مصر لديها، دلالة على ما تربطه بها من علاقات واتصالات.

Amy J. Johnson. Reconstructing Rural Egypt: Ahmed Hussein and the history of Egyptian Development (Syracuse University press 2004) p.p.47 – 62.

(٣)The US Department of State. Social security in Egypt. Report Prepared by Henry A. Byroad U.S Ambassador. Cairo. No.139. August. 2 1955. p. 1.2. Confidential. Central Files. Box 3592. Egypt 1955 – 1959. internal affairs. Reel 6 of 30.

(٤) جاء هذا المشروع تنفيذا لوعود الثورة بالعدالة الاجتماعية ونصوص دستور ١٩٥٤م الذى حض عليها. كما أشار إلى ذلك وزير الشؤون الاجتماعية فى بيانه أمام مجلس الأمة عام ١٩٥٧م. أيضا: مضابط مجلس الأمة، الفصل التشريعى الأول، دور الانعقاد العادى الأول يوليو ١٩٥٧م – فبراير ١٩٥٨م. جلسة ٨ فى ١٩/ ٨/ ١٩٥٧م، ص ٢١١، ٢٢٠. كما يمكن النظر إليه أيضاً باعتباره ردا من حكومة الثورة على المشروع المتطور الذى قدمه الوفد لرعاية الطبقة العاملة فى إطار برنامجه الجديد الصادر فى ٢٣ سبتمبر والمعدل فى ١١ أغسطس. والذى حاول من خلاله تفويت الفرصة على الثورة فى ضرب الحياة الديمقراطية. لمزيد من التفاصيل عن مشروع الوفد انظر: عبد العظيم رمضان. الصراع الاجتماعى والسياسى فى مصر منذ قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م إلى نهاية أزمة مارس ١٩٥٤م، القاهرة، مكتبة مدبولى. ١٩٧٥م. ص ٢٨ – ٣٠.

(٥) Ibid 2 - 4

(٦) يتناقض هذا القول مع ما أثبتته أحداث الفترة من إقدام سلطات الاحتلال البريطانى على طرد أعداد كبيرة من العمال، نتيجة لحالة الاحتقان والصدام مع قواتها فى منطقة القناة.

(٧) The US Department of State. Annual Labor Report Egypt 1955. Prepared by C.C Finch . Labor Attach of the US Embassy .Cairo. No. 867. Febr.11. 1955. p 2– 4 Confidential Central Files. Box 3592. Egypt 1955 – 1959. internal affairs . Reel 6 of 30.

(٨) أبدى المستشار الإعلامى اهتماما خاصا بسلامة رئيس نقابة عمال البترول الذى نزل عليه ضيفا فى السويس لمدة يومين تحدثا خلالهما فى كثير من شؤون العمال والأوضاع داخل مصر. وقد وصفه بأحد أبرز زعماء العمل المصرى والمعروف فى دوائر العمل الدولية وبخاصة تلك المتعلقة بالبترول. وخلص من اللقاء إلى أن سلامة غير متعاطف وصريح بشكل مفجع فى تقديره لنفسه ولحركة العمال المصرية. ويبدو أن أهمية سلامة واللقاء كانا سببا فى تعرض المستشار الإعلامى لمراقبة مستمرة من جانب السلطات المصرية. وهو ما حرص الملحق العمالى على لفت نظر الخارجية الأمريكية إليه.

The US Department of State. Conversation with President of Petroleum Workers Federation . Report Prepared by C.C. Finch. Labor Attach of the US Embassy .Cairo. No.316. sept.11.1955. p. 1. 2. Confidential. Central Files. Box 3592. Egypt 1955 – 1959. internal affairs . Reel 6 of 30.

(٩) Ibid. p. 4.

(١٠) The US Department of State. Annual Labor Report Egypt 1955. Prepared by C.C. Finch. Labor Attach of the US Embassy .Cairo. No. 867. Febr.11. 1955. p. 4 . 5 .Confidential. Central Files. Box 3592. Egypt 1955 – 1959. internal affairs Reel 6 of 30.

(١١) لم يدخل الأطفال تحت سن الثانية عشر ضمن هذا الإحصاء وذلك على الرغم من أن عددا كبيرا منهم يلتحقون بسوق العمل وبخاصة فى الريف.

(١٢) The US Department of State. Annual Labor Report Egypt 1955. op. cit. p. 7. Ibid . 8 . 9

(١٣) تمثلت هذه القرارات فى قوانين: ٣١٧ لعام ١٩٥٢م المنظم لعقد العمل الفردى الذى حمى العاملين من الفصل التعسفى، و ٣١٨ لعام ١٩٥٢م للتوفيق والتحكيم فى منازعات العمل، ٢٤٤ لعام ١٩٥٣م المنظم لفرص العمل وتوظيف العاطلين. مضابط مجلس الأمة، الفصل التشريعي الأول، دور الانعقاد العادى الأول يوليو ١٩٥٧م – فبراير ١٩٥٨م، جلسة ٨ فى ١٩/ ٨/ ١٩٥٧م، ص ٢١٣. أمين عز الدين، ثورة يوليو والعمال، مجلة الطليعة، عدد ٧، ١٩٦٥م، ص ١٤١.

(١٤) لا يبدو أن هذه الأرقام مبالغ فيها وبخاصة مع حرص الملحق لعمالى على التأكيد بأنها وفقا لتقديرات مسؤول وزارى كبير، إضافة إلى ما سبق الإشارة إليه من زيادة سنوية فى قوة العمل، وهجرة العمال الزراعيين للمدن، وتوسع المؤسسات والشركات الأجنبية على فصل أعداد متزايدة من العمال بهدف الضغط على حكومة الثورة.

(١٥) The US Department of State, Annual Labor Report Egypt 1955. op. cit. 5 . 6.

(١٦) هى الإدارة العامة للتخطيط الاجتماعى، الإدارة العامة لشؤون المراقبات، الإدارة العامة للتدريب. مضابط مجلس الأمة، الفصل التشريعي الأول، دور الانعقاد العادى الأول يوليو ١٩٥٧م – فبراير ١٩٥٨م، جلسة ٨ فى ١٩/ ٨/ ١٩٥٧م، ٢١٢.

(١٧) The US Department of State, Annual Labor Report Egypt 1955, op. cit , 9.

(١٨) أشار سلامة فى تعليقه على بعض الشخصيات القيادية فى مجال العمل إلى أن الغطريفى بيروقراطى مجتهد ومخلص ساند سياسات مجلس قيادة الثورة مع الحفاظ على – الوزارة جهة فنية تحظى بدعم أجنبى واضح فى هذا الشأن، كما أكد على تعرضه لانهيار عصبى عامى ١٩٥٢م – ١٩٥٣م تلقى على إثره علاجا لعدة أسابيع فى فينا.

(١٨) The US Department of State, Conversation with President of Petroleum Workers Federation . op. Cit , 9.

(١٩) The US Department of State, Annual Labor Report Egypt 1955. op. cit, 9, 10.

(٢٠) ألفت محمود صالح، العمال والحركة العمالية فى مصر ١٩٤٢م – ١٩٦١م، ماجستير غير منشورة، آداب القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٢٦٦ – ٢٦٨.

(٢١) أسقط القانون حق العمال الزراعيين وغيرهم من عمال الحكومة في تكوين نقابات، كما حرم النقابات من التوحد في إطار اتحاد عام للعمال أو العمل بالسياسة وإلا واجهت الحل، ووضع النقابات تحت الإشراف المباشر للحكومة التي لها حق رفض تأسيسها، ومنعها من الانعقاد دون إذن مسبق. المرجع السابق، ص ٢٦٨، ٢٦٩.

(٢٢) كان صدقي يخشى أن تشكل النقابات العمالية قوة ضغط سياسية عليه أثناء عملية التفاوض مع بريطانيا. طارق البشرى، مرجع سابق، ص ٤٢٣.

(٢٣) ضمت هذه اللجنة ممثلين عن ١٠٤ نقابة بعضوية ٦٥ ألف عامل، وحاولت أكثر من مرة عقد مؤتمر تأسيسي لتكوين اتحاد عمال مصر ولكنه فشل في يناير ١٩٥٢م بسبب حريق القاهرة، ومنع في سبتمبر ١٩٥٢م بأوامر من وزارة الداخلية. المرجع السابق، ص٤٢٤.

(٢٤) The US Department of State. The proposed of National Confederation of Egyptian Trade Unions . Report Prepared by C.C. Finch . Labor Attach of the US Embassy .Cairo. No.321 sept.19.1955. p. 2. 3. Confidential Central Files. Box 3592. Egypt 1955 – 1959. internal affairs . Reel 6 of 30.

(٢٥) مضابط مجلس الأمة، الفصل التشريعي الأول، دور الانعقاد العادي الأول يوليو ١٩٥٧ – فبراير ١٩٥٨م، جلسة ٨ في ١٩/ ٨/ ١٩٥٧م، ص ٢١٣، ٢١٤.

(٢٦) The US Department of State. Conversation with President of Petroleum Workers Federation. op. cit .8.

(٢٧) The US Department of State. Annual Labor Report Egypt 1955. op. cit . 14;

(٢٨) The US Department of State, The proposed of National Confederation of Egyptian Trade Unions . op. Cit . 4 . 5.

(٢٩) The US Department of State. Labor dissatisfaction effects turnout for Nasser's. Homecoming. Report Prepared by Henry A. Byroade U.S Ambassador .Cairo. No.2120 May.10.1955. p. 3 .Confidential, Central Files, Box 3592, Egypt 1955 – 1959. internal affairs . Reel 6 of 30.

(٣٠) The US Department of State, The proposed of National Confederation of Egyptian Trade Unions , op. Cit , 5 . 6.

(٣١) ibid . 6.

(٣٢) ألفت محمود صالح، مرجع سابق، ص ٢٤٨.

(٣٣) The US Department of State. Conversation with President of Petroleum Workers Federation . op. cit . 7.

(٣٤) The US Department of State. Labor dissatisfaction effects turnout for Nasser's . Homecoming. op. cit . 1 . 2.

(٣٥) Ibid .1. 2.

(٣٦) لم تكن هذه المرة الأولى التى يسعى فيها النظام إلى الاستعانة بمتظاهرين من فلاحى الصعيد، فقد سبق واستدعاهم إلى الإسكندرية فى ٢٦ يوليو ١٩٥٤م للمشاركة فى تظاهرة للاحتفال بالذكرى السنوية الثانية لتنازل الملك فاروق عن العرش. وهو الأمر الذى أغضب سكان الإسكندرية بشدة لوجود عدد ضخم من الغرباء وحدوث اضطرابات أفسدت الاحتفال.

The US Department of State. Labor dissatisfaction effects turnout for Nasser's. Homecoming. op. cit . 3 . 4. – Ibid. 4.

(٣٧) (لقاء عبد العزيز سعيد بالمسؤول الإعلامى للسفارة)

(٣٨) Ibid . 5.

(٣٩) The US Department of State. Conversation with President of Petroleum Workers Federation. op. cit. 6.

(٤٠) The US Department of State. Labor dissatisfaction effects turnout for Nasser's. Homecoming. op. cit. 5.

(٤١) Ibid. 5.

(٤٢) يشير أنور سلامة إلى أن صلاح سالم كان المعارض الوحيد لجمال عبد الناصر فى مجلس الوزراء، وأنه رفض حضور الاجتماع نتيجة رد الداعى على استفساره عن سبب عقده بأنه يستحيل مناقشته عبر الهاتف.

The US Department of State. Conversation with President of Petroleum Workers Federation. op. cit. 5 . 9.

(٤٣) أثنى التقرير على أسعد رجب وإبراهيم فطيم مشيرا إلى أن الأول مطلع ويتحدث بصراحة ولكن بشكل لا يؤثر على مصالحه المالية، وأن الثانى مطلع أيضا ومتوازن ويتمتع بسمعة طيبة كمفكر عمالى.

The US Department of State. Labor Attachés Conversations with Two Egyptian Trade Unionists . Report Prepared by Henry A. Byroade U.S Ambassador Cairo. No.2226 . June. 3 . 1955 p. 1 . 2. Confidential. Central Files. Box 3592. Egypt 1955 - 1959. internal affairs. Reel 6 of 30.

- أمـا أنـور سـلامة فعلى الرغم مـن تأكيده على ذكاء أسـعد رجـب إلا إنه اعتبره محظـوظ لاعتبار النظام له زعيم عمل وطنى. علـى الرغم من أن عضوية نقابته لا تتعدى ٣٠٠ فقط من بين ٥ آلاف يمثلون أعضاء اتحاد نقابات الكيمائيين، وأنه مع انضمام اتحاد الكيمائيين للاتحاد العام لعمال البترول كما يتوقع فسوف يرشح أسعد كنائب له فى رئاسة هذا الاتحاد.

The US Department of State. Conversation with President of Petroleum Workers Federation. op. cit. 11

(٤٤) The US Department of State. Labor dissatisfaction effects turnout for Nasser's. Homecoming. op. cit . 5 – 7.

(٤٥) هـى المحامين والصحفيين ورجال الأعمال وغيرهـم... الذين نجح النظام فى فرض سيطرته على أنشطتهم.

(٤٦) Ibid . 7 . 8.

(٤٧) Ibid . 8.

(٤٨) The US Department of State. Conversation with President of Petroleum Workers Federation . op. cit . 9.

(٤٩) تشـمل هذه النشـاطات العلاقة مع هيئة العمل الدولية التى تعود صلات مصر معها إلى مـا قبل الانضمام إليها رسميا عـام ١٩٣٦م، فى مختلف ميادين العمل الدولى الأخرى مثل المؤتمرات والدراسـات الخاصة بالضمان الاجتماعـى والصحة المهنية وإحصاءات العمال. مضابط مجلس الأمة، الفصل التشريعى الأول، دور الانعقاد العادى الأول يوليو ١٩٥٧م – فبراير ١٩٥٨م، جلسة ٨ فى ١٩/ ٨/ ١٩٥٧م، ص ٢١٥.

(٥٠) The US Department of State. Annual Labor Report Egypt 1955. op. cit . 12.

(٥١) The US Department of State. Conversation with President of Petroleum Workers Federation . op. cit . 2. 3.

(٥٢) The US Department of State. Annual Labor Report Egypt 1955. op. cit . 16.

(٥٣) The US Department of State. The proposed of National Confederation of Egyptian Trade Unions. op.cit. 5.

(٥٤) The US Department of State. Annual Labor Report Egypt 1955. op. cit . 16.

(٥٥) مضابـط مجلـس الأمة. الفصل التشـريعى الأول، دور الانعقاد العـادى الأول يوليو ١٩٥٧م – فبراير ١٩٥٨م، جلسة ٨ فى ١٩/ ٨/ ١٩٥٧م، ص ٢١٤، ٢١٥.

(٥٦) The US Department of State. Annual Labor Report Egypt 1955. op. cit .14.

(٥٧) The US Department of State, Conversation with President of Petroleum Workers Federation. op. cit . 5, 6.

(٥٨) The US Department of State, Annual Labor Report Egypt 1955, op. cit ,14.

□□□

)

قائمة المصادر والمراجع

أولا: الوثائق الأجنبية غير المنشورة:

وثائق وزارة الخارجية الأمريكية:

- The US Department of State. Confidential. Central Files. Egypt 1955– 1959. internal affairs.
- The US Department of State. Labor dissatisfaction effects turnout forNasser's. Homecoming. . Report Prepared by Henry A. Byroade U.S Ambassador Cairo. No.2120 May.10.1955 Confidential. Central Files. Box 3592. Egypt 1955 – 1959. internal affairs. Reel 6 of 30.
- The US Department of State. Labor Attachés Conversations with Two Egyptian Trade Unionists. Report Prepared by Henry A. Byroade U.S Ambassador Cairo. No.2226. June. 3 1955. Confidential. Central Files. Box 3592. Egypt 1955 – 1959. internal affairs. Reel 6 of 30.
- The US Department of State. Social security in Egypt. Report Prepared by Henry A. Byroade U.S Ambassador. Cairo .No.139. August. 2. 1955. Confidential. Central Files. Box 3592. Egypt 19551959–. internal affairs. Reel 6 of 30.
- The US Department of State. Conversation with President of Petroleum Workers Federation. Report Prepared by C.C. Finch. Labor Attach of the US Embassy. Cairo. No. 316. sept. 17. 1955. Confidential. Central Files. Box 3592. Egypt 1955– 1959. internal affairs. Reel 6 of 30.
- The US Department of State. The proposed of National Confederation of Egyptian Trade Unions. Report Prepared by C.C. Finch. Labor Attach of the US Embassy. Cairo. No. 321 sept. 19. 1955. Confidential. Central Files. Box 3592. Egypt 1955 – 1959. internal affairs. Reel 6 of 30.

- The US Department of State. Annual Labor Report Egypt 1955. Prepared by C.C. Finch . Labor Attach of the US Embassy. Cairo. No. 867. Febr. 11. 1956. Confidential. Central Files. Box 3592. Egypt 1955 - 1959. internal affairs . Reel 6 of 30.

ثانيا: الوثائق العربية المنشورة:

- مضابط مجلس الأمة، الفصل التشريعي الأول، دور الانعقاد العادى الأول. يوليو ١٩٥٧م - فبراير ١٩٥٨م. جلسة ٨ في ١٩/ ٨/ ١٩٥٧م.

ثالثا: المراجع العربية:

- طارق البشرى، الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥م - ١٩٥٢م، ط ٢ القاهرة، دار الشروق ١٩٨٣م.
- عبد العظيم رمضان، الصراع الاجتماعى والسياسى فى مصر منذ قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م إلى نهاية أزمة مارس ١٩٥٤م، القاهرة، مكتبة مدبولى، ١٩٧٥م.
- أمين عز الدين، ثورة يوليو والعمال، مجلة الطليعة، عدد ٧، ١٩٦٥م، ص١٤١.

رابعا: الرسائل العلمية:

- ألفت محمود صالح، العمال والحركة العمالية فى مصر ١٩٤٢م - ١٩٦١م، ماجستير غير منشورة، آداب القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٢٦٦ - ٢٦٨.

خامسا: المراجع الأجنبية:

- Amy J.Johnson .Reconstructing Rural Egypt: Ahmed Hussein and the history of Egyptian Development . (Syracuse University press 2004).

□□□

القطاعان العام والخاص فى ظل ثورة ٢٣ يوليو بقيادة جمال عبد الناصر

د. محمد عبد الشفيع عيسى

أستاذ فى معهد التخطيط القومى - القاهرة

تميز النظام الاقتصادى المصرى قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، بغلبة القطاع الخاص على النشاط الاقتصادى؛ إذ بالإضافة إلى الأرض الزراعية التى شملتها الملكية الخاصة مع تركز عال فى شرائح الملكية الكبيرة، امتد القطاع الخاص، المحلى والأجنبى، ليسيطر على المنشآت الصناعية والتجارية والائتمانية والعقارية، ابتداء من صناعة النسيج وتكرير السكر وانتهاء بالبنك الأهلى - بنك الإصدار فى مصر حينئذ - وحتى شركة «سكة حديد الدلتا». وتميز النشاط الخاص عموما بالتركز فى الأنشطة الأعلى ربحية: زراعة وتجارة القطن، التسليف والرهونات، وبعض الصناعات الخفيفة التى تتمتع «بالحماية» الجمركية و غير الجمركية.

وقد افتقد رأس المال الخاص القدرة على المخاطرة نظرا لافتقاده فئة «المنظمين» التى قادت حركة التصنيع فى أوروبا، واتجه، خاصة فى الريف، إلى الإنفاق البذخى مع ما أدى إليه ذلك من تبديد هائل للفائض الاقتصادى.

ويعتبر النظام الاقتصادى فى مصر قبل ١٩٥٢م، بمثابة «نظام فرعى» تابع تبعية تامة داخل الاقتصاد الرأسمالى العالمى، باعتبار مصر شبه مستعمرة داخل الامبراطورية البريطانية. فسيادة الملكية الخاصة للأرض الزراعية ضمنت وجود طبقة من كبار الملاك ترتبط مصالحها باقتصاد «وحيد المحصول» قائم على التخصص فى إنتاج سلعة أولية تصديرية ذات أهمية استراتيجية للصناعة البريطانية وهى سلعة القطن كما أن ضآلة الوزن النسبى للقطاع الصناعى فى هيكل الناتج المحلى الإجمالى، استتبعها فتح السوق المصرية أمام السلع البريطانية والأوروبية، سواء منها الاستهلاكية أو الوسيطة والإنتاجية.

وهكذا فإن أهمية مصر كمزرعة للقطن وكسوق للمصنوعات الأجنبية كانت المحدد الرئيسى للنظام الاقتصادى المحلى، القائم على القطاع الخاص و«السوق المفتوحة».

وكانت سيادة القطاع الخاص و«اقتصاد السوق» تكملها «هامشية» القطاع العام ووظيفة الدولة، وخاصة مع تركز الملكية العامة فى الأنشطة التى لا تدر ربحا سريعا، أو التى توفر البنية الأساسية اللازمة لمارسة الأنشطة الخاصة.

وبعد وقوع ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م – وتحت قيادة جمال عبد الناصر الاستثنائية – تغيرت سياسة الدولة إزاء القطاعين الخاص والعام تغيرا جذريا، كجزء من السياسة الاقتصادية والاجتماعية للثورة، سعيا إلى تحقيق غايات التنمية والعدل الاجتماعي. ولكن هذا التغير لم يحدث طفرة وإنما تم على مراحل زمنية متدرجة:

- مرحلة الحرية الاقتصادية، وتمتد منذ ١٩٥٢م حتى ١٩٥٦م.
- مرحلة الاقتصاد الموجه، وتمتد منذ ١٩٥٧م حتى ١٩٦٠م.
- مرحلة غلبة القطاع العام على النظام الاقتصادى وإثبات وجوده عمليا منذ ١٩٦١م حتى ١٩٧١م.

وفيما يلى نتناولها بإيجاز:

القطاعان العام والخاص فى مرحلة الحرية الاقتصادية (١٩٥٢م - ١٩٥٦م):

تمثلت السياسة الاقتصادية للدولة فى تلك المرحلة فى تبنى الحرية الاقتصادية كأساس للنشاط الاقتصادى، وانعكس ذلك من خلال المحاولات المتعددة لتشجيع القطاع الخاص على الاستثمار الإنتاجى، سواء فى ذلك القطاع الخاص المحلى أو الأجنبى، بالإضافة إلى العمل على توفير الدراسات اللازمة عن المشروعات المقترحة، و كذا المشاركة فى تمويل التنفيذ.

وبرغم ما قامت به الدولة من إجراءات لتشجيع رأس المال المحلى والأجنبى للاستثمار فى المجال الإنتاجى، فإن متوسط ما أضيف إلى الاستثمارات خلال عامى ١٩٥٣م. ١٩٥٢م لم يتجاوز ٦.٨ مليون جنيه، مقابل ١٠.٣ مليون جنيه كمتوسط للعامين ١٩٥٢م. ١٩٥١م[1] كما أن رأس مال الشركات المساهمة قد انخفض من ٢ مليون جنيه عام ١٩٥٢م إلى ١.٩ مليون جنيه سنه ١٩٥٣م، فى الوقت الذى زادت فيه مدخرات القطاع الخاص من ٥٨ مليون جنيه إلى ٦٤ مليون جنيه.. أما رأس المال الأجنبى، فلم يزد المبلغ الذى استثمره فى الفترة ١٩٥٤م – ١٩٥٨م عن ١.٩ مليون جنيه[2].

ونظرا لتباطؤ نمو نشاط القطاع الخاص فى المجال الإنتاجى، فقد تصدت الدولة لمهمة مباشرة النشاط الإنتاجى فى ميادين رائدة محددة، انطلاقا من الإطار التنظيمى الذى عملت على توفيره، وخاصة بإقامة المجلس الدائم لتنمية الإنتاج القومى.

القطاعان العام والخاص فى مرحلة الاقتصاد الموجه (١٩٥٧م - ١٩٦٠م):

فى الفترة من ١٩٥٧م حتى ١٩٦٠م حدثت تغيرات كبيرة فى الوزن النسبى لكل من القطاع العام والخاص، لصالح القطاع العام. وتميزت هذه المرحلة بطابعها الانتقالى: فقد انطلقت بالقطاع العام إلى آفاق جديدة لم يشهدها فى المرحلة السابقة، وكانت بمثابة التمهيد للدفعة الكبرى التى شهدها القطاع العام فى المرحلة اللاحقة.

وفيما يلى أبرز الخطوات التى حددت طابع المرحلة الانتقالية محل البحث:

١ - التمصير:

بعد انتهاء العدوان الثلاثى البريطانى الفرنسى الإسرائيلى - فى أواخر ١٩٥٦م، قامت حكومة الثورة بمجموعة من الإجراءات لاستكمال المهام الوطنية لها فى مواجهة الوجود الاقتصادى الأجنبى البريطانى والفرنسى خاصة. وتمثل ذلك فى إجراءات التمصير للبنوك وشركات التأمين وعمليات التجارة الخارجية، فصدر القانون رقم ٢٣ لسنة ١٩٥٧م بشأن البنوك والتأمين، والقانون رقم ٢٣ بشأن أعمال الوكالة التجارية.

وقد قضت هذه القوانين بأن تكون البنوك وشركات التأمين ووكالات الاستيراد مملوكة بالكامل للمصريين، ويبدأ التمصير فورا بالنسبة لما يملكه منها البريطانيون والفرنسيون على أن يمنح غيرهم من الأجانب مهلة خمس سنوات[٣]. وقد آلت هذه المصالح الممصرة لا إلى القطاع الخاص ولكن إلى الدولة ممثله فى المؤسسة الاقتصادية. وبالإضافة إلى ذلك فقد اشترت المؤسسة من هيئة «الحراسة» الحصص التى كان يملكها (الأعداء)، وبلغت ٢٠ شركة، وقدرت قيمة الحصص فى آخر ديسمبر ١٩٥٧م بنحو ٢٤ مليون جنيه. كما قامت المؤسسة بشراء موجودات ١٩ شركة أخرى من الشركات الخاضعة للحراسة.

٢ - إنشاء المؤسسة الاقتصادية:

أنشئت المؤسسة الاقتصادية - كمؤسسة عامة - بمقتضى القانون رقم ٢٠ لسنة ١٩٥٧م والمعدل بالقانون رقم ١٣٨ لسنة ١٩٥٧م، لتقوم نيابة عن الحكومة بالتوجيه والإشراف على المؤسسات العامة الأخرى. وبذلك تكونت نواة قطاع عام له دور موجه ومسيطر فى مجال الائتمان والتمويل (حيث سيطرت المؤسسة على أربعة بنوك تجارية تمثل فى مجموعها حوالى ٤٥٪ من نشاط الجهاز المصرفى، وعلى كبرى شركات التأمين فى مصر)،

بالإضافة إلى دور ريادى فى مجال الصناعات الثقيلة (وخاصة صناعة الحديد والصلب. والكيماويات). و فى بعض الصناعات الخفيفة الهامة. ومنها «الشركة الشرقية للدخان» – كبرى شركات التبغ آنذاك– وشركة السكر والتقطير المصرية[٤].

٢- التصنيع:

منذ بداية عام ١٩٥٧ أخذت حركة التصنيع يشتد عودها لتصبح أحد الأبعاد الجوهرية فى تشكيل البنيان الاقتصادى. وتطبيقا لذلك. أعدت وزارة الصناعة فى سنة ١٩٥٧م برنامج «السنوات الخمس للتصنيع» وقدرت تكاليفه بحوالى ٢٥٠ مليون جنيه. كما أنشئت من أجل تنفيذ هذا البرنامج «الهيئة العامة لتنفيذ برنامج السنوات الخمس للصناعة» وهى مؤسسة عامة تختص بتنفيذ مشروعات برنامج السنوات الخمس إما بنفسها أو بواسطة غيرها.

وقد صمم مشروع السنوات الخمس على أساس هدف عام هو مضاعفة نصيب الفرد من الدخل القومى خلال عشرين سنة. وعلى أن تقوم الصناعة بالعبء الأكبر فى هذا المضمار.

وتضمنت تقديرات البرنامج مشروعات تبلغ قيمتها الإجمالية ٢٢٠،٧٣٦،٠٠٠ جنيه كما رصد احتياطى قدره ٢٩،٧٠٠،٠٠٠ جنيه. أما على صعيد التنفيذ فقد بلغ إجمالى قيمة المشروعات التى تم التعاقد عليها حتى آخر يونيو ١٩٦٠ حوالى ٣٠٤،١٣٢،٧٠٢ جنيه – وترجع الزيادة فى القيمة الإجمالية للتنفيذ عن القيمة التقديرية للبرنامج إلى عدة أسباب منها إحداث توسعات فى أحجام بعض المشروعات مما لم يكن مدرجا فى التقديرات الأصلية.

وهكذا. إذا كانت عملية التمصير قد شكلت نواة أولى لتكوين القطاع العام حيث أضيفت المشروعات التى كانت تملكها بريطانيا وفرنسا أساسا إلى الملكية العامة المصرية من خلال (المؤسسة الاقتصادية) فإن هذه النواة قد توسعت بعملية أخرى واسعة النطاق: هى عملية إنشاء مشروعات عامة صناعية من خلال «الهيئة العامة لتنفيذ برنامج السنوات الخمس للصناعة». وبالتعاون مع دول بعينها فى ذلك الوقت. وأولها «الاتفاق فى شأن التعاون الاقتصادى والفنى» مع الاتحاد السوفيتى والموقع بتاريخ ٢٩ يناير ١٩٥٨م ثم «الاتفاق فى شأن التعاون الاقتصادى والفنى» مع جمهورية ألمانيا الديمقراطية فى ٢٩ أغسطس ١٩٥٨م واتفاقية تسهيلات الدفع مع اليابان فى ١٣ سبتمبر ١٩٥٨م وأخيرا اتفاقية التعاون الاقتصادى مع ألمانيا الاتحادية فى ٧ مايو ١٩٥٨م.

ولا يعنى ما سبق أن الدولة قد نفضت يدها حينئذ من القطاع الخاص بل العكس هو الصحيح. فإن الخطة الخمسية التى أعدت عام ١٩٥٩م. واعتمدت نهائيا فى أغسطس ١٩٦٠م باعتبارها خطة للسنوات الخمس ١٩٦٠م/٦١ - ١٩٦٤م/٦٥م - أعطت دورا كبيرا بل ومسيطرا للقطاع الخاص وفى وثيقة الخطة نقرأ هذه الحقيقة بالتفصيل. فقد استهدفت الخطة جعل نسبة مساهمة القطاع الخاص فى توليد إجمالى الدخل القومى فى السنة الخامسة والأخيرة للخطة ٦٤/ ٦٥م. هى نفسها تقريبا النسبة السائدة فى السنة الأولى ٥٩/ ٦٠م فقد بلغت النسبة الأخيرة ٨١٪. أما النسبة الأولى فقد قدرت بـ ٨٠٪. وقد بدأ تنفيذ الخطة الخمسية وكان القطاع الخاص يسيطر على نحو ٩٠٪ من الإنتاج الصناعى و ٩٥٪ من الإنتاج الزراعى.

وهكذا يتضح أن الخطة الخمسية الأولى وضعت فى ظل فرضين رئيسيين:

١ - افتراض إمكان وضع خطة متكاملة توضح فيها الأهداف التفصيلية للجانب الأكبر من القطاعات الاقتصادية، بينما تحمل جوانب عديدة من الخطة طابع التخطيط (التأشيرى) كما أن الخطة قد تكونت من مجموعة من المشروعات التى قدمتها مختلف المصالح الحكومية داخل إطار عام فرضته لجنة التخطيط القومى. وبذلك يمكن النظر إليها على أنها مجموعة من المشروعات الاستثمارية المتفرقة التى تم تجميعها وتنسيقها فى وثيقة واحدة.

٢ - افتراض استمرار قيام جهاز السوق بتخصيص الموارد وعدم وجود جهاز مركزى يؤدى العملية المذكورة[٥].

٤ـ بدايات التأميم:

إلحاقا بالخطوات الثلاث السابقة: التمصير. وإنشاء المؤسسة الاقتصادية، وبرنامج السنوات الخمس للتصنيع. جاءت خطوة رابعة فى المرحلة محل البحث وهى تأميم بعض المصالح، وبالتالى تدعيم نواة القطاع العام وذلك على حساب القطاع الخاص.

فلقد اتضح للحكومة أن الاعتماد على القطاع الخاص فى تنفيذ الخطة لا يستند إلى أساس حقيقى. خاصة فى ضوء سجل تجربة هذه الحكومة مع هذا القطاع منذ ١٩٥٢م. وبصفة أخص فى ضوء سجل هذه التجربة بعد بدء تنفيذ برنامج السنوات الخمس للتصنيع أى منذ أواخر ١٩٥٨م فلقد حجب القطاع الخاص موارده عن مشروعات التنمية الصناعية

الواردة فى البرنامج، بل وأخذ يحاصر مشروعات القطاع العام الوليد وأخذ يسحب الأموال منه عن طريق عقود الاستيراد والتوريد والمقاولات.

وقد بدأ يستقر فى إدراك الدولة بعد إعداد، ثم بعد مباشرة تنفيذ الخطة الخمسية الأولى، أن تنفيذ هذه الخطة بكفاءة وفاعلية يتطلب سيطرة الدولة على معظم وسائل الإنتاج الصناعى وعلى قمم النظام المالى والائتمانى.

وتطبيقا لهذا الاقتناع الجديد اتخذت الدولة خطوة حاسمة وجذرية فى فبراير ١٩٦٠م، وذلك بتأميم كل من بنك مصر والبنك الأهلى المصرى (القانون رقم ٣٩ والقانون رقم ٤٠ لسنة ١٩٦٠م). ولتقدير أهمية هاتين المؤسستين المصرفيتين، نشير إلى أن بنك مصر قبل تأميمه كان يسيطر على نحو ٢٠٪ من الإنتاج الصناعى وكانت أصوله تبلغ حوالى ثلث أصول البنوك التجارية مجتمعة، وودائعه أكثر من ٤٠٪ من مجموع ودائعها. أما البنك الأهلى المصرى فقد كان بمثابة البنك المركزى الذى يشرف على الجهاز المصرفى ويقوم بإصدار البنكنوت وتحديد سياسة الائتمان وتحتفظ الحكومة لديه بحساباتها. وتلزم الإشارة إلى القانون رقم ٢٥٠ الصادر فى ١٩/ ٧/ ١٩٦٠م والذى أنشأ البنك المركزى ليتولى وظائف (البنك المركزى) وتفرغ البنك الأهلى للعمليات المصرفية العادية.

وقد تبعت هذه الخطوة خطوات أخرى خلال عام ١٩٦٠م على طريق التأميم وأهمها:

١ ـ تأميم الممتلكات البلجيكية فى مصر:

وقد تم هذا التأميم إثر الأحداث السياسية فى الكونغو أواخر عام ١٩٦٠م، وصدرت لذلك القوانين رقم ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨ لسنة ١٩٦٠م، والتى نشرت فى الجريدة الرسمية بتاريخ أول ديسمبر ١٩٦٠م. وقد قضى القانون رقم ٢٨٥ بتأميم شركة سكك حديد مصر الكهربائية وواحات عين شمس، وتحويل أسهم هذه الشركة وحصصها إلى سندات على الدولة لمدة اثنى عشر سنة وبفائدة ٥٪.

أما القانونان رقم ٢٨٦، ٢٨٧ فيقضيان بوضع مرفق ترام القاهرة وشركة الكهرباء المصرية تحت الحراسة الإدارية، وأما القانون رقم ٢٨٨ فقد قضى بتأميم البنك البلجيكى الدولى بمصر واعتباره مؤسسة عامة. وتجدر الإشارة إلى أنه بموجب أمر رئيس الجمهورية رقم ٩٩ لسنة ١٩٦١م (المنشور فى الجريدة الرسمية فى ٢٦ فبراير ١٩٦١م) فقد تم فرض الحراسة على أموال البلجيك، استكمالا للقوانين السابقة بتأميم الممتلكات البلجيكية.

٢ ـ تأميم بعض المصالح وإنشاء بعض المؤسسات العامة:

فـى يوليو ١٩٦٠م تم تأميم تجارة الأدوية. وأنشـئت المؤسسـة العامة لتجارة وتوزيع الأدوية والكيماويات والمستلزمات الطبية، وذلك بمقتضى قرار رئيس الجمهورية رقم ١٢٥٣ لسنة ١٩٦٠م والمنشور بالجريدة الرسمية فى ٢٧ يوليو ١٩٦٠م وبموجب القرار رقم ٢١٣٧ والمنشـور بالجريدة الرسمية فى ١٣ ديسـمبر ١٩٦٠م تم إنشـاء المؤسسـة العامة التعاونية الزراعية. وبالقرار رقم ٢٣٤٧ والمنشـور بالجريدة الرسمية فى ٣١ ديسمبر ١٩٦٠م تم إنشاء المؤسسة العامة التعاونية الاستهلاكية.

وبمقتضى القانون رقم ٢٦٧ لسـنة ١٩٦٠م فى شأن المؤسسات العامة التعاونية تم وضع الأسـس لتطوير نشـاط هذه المؤسسـات التى تعمل على وضع السياسـات الملائمة للقطاع التعاونى وتوفير المعونة الفنية والمالية للجمعيات القائمة والإشراف عليها.

وبرغم اتسـاع نواة القطاع العام سـواء بالتمصير أو بالتأميم أو إنشاء المشروعات العامة، إلا أن الهيكل النسـبى للمتغيرات الاقتصادية يشـير إلى زيـادة وزن القطاع الخاص داخل الهيـكل حتى عام ١٩٦٠م، وهو مـا يتمثل فى توزيع القيمة المضافة الصافية وتوزيع القوة العاملـة. فقد بلغ نصيب القطاع الخاص من القيمة المضافة الصافية عام ١٩٥٩م – ١٩٦٠م مـا قيمته ١١٤٢ مليـون جنيه، بينما لم يتجاوز نصيب القطاع العام ٢٣٥,٥ مليون جنيه. وبلغ مجموع القوة العاملة فى القطاع الخاص ٦٠٦٩ ألف مشتغل، بينما بلغ مجموعها فى القطاع العام ٨٣٤ ألف مشـتغل. وقد جاءت تقديرات الخطة الخمسية الأولى، كما أشرنا، لتحافظ على دور القطاع الخاص ولكن مع إعطاء دور متميز للقطاع العام.

مرحلة غلبة القطاع العام على النظام الاقتصادى وإثبات الوجود (١٩٦١م ـ ١٩٧١م):

القطاع العام فى ظل عمليات التأميم:

نجد من الضرورى أن نشير مرة أخرى إلى مشروع الخطة الخمسية الأولى الذى صدر به قرار جمهورى فى أغسطس ١٩٦٠م كمرحلة أولى من خطة عشرية تستهدف مضاعفة الدخل القومـى عـن طريق تنمية الاقتصاد الوطنى فى كافة قطاعاتـه مع التركيز على التصنيع... وقد اعتمدت تقديرات هذا المشـروع على قيام القطاع الخاص بتوفير نسبة عالية من مجمل الادخار المحلى لتحقيق أهداف الخطة.

ولكــن البدء فى تنفيذ الخطة قد كشــف. وخاصة منذ عــام ١٩٦١م. أن هناك تناقضا أساسيا بين العملية التخطيطية و بين سيطرة القطاع الخاص على الصناعة ومصادر التمويل المحلــى. وقــد تجلى ذلك فى عــدم مقدرة رأس المال المحلى الخــاص على مواكبة خطى التنمية الاقتصادية والاجتماعية كما رسمها مشروع الخطة الخمسية.

ونتيجة لذلك. فقد استقر فى إدراك القيادة السياسية حينئذ أن تحقيق أهداف الخطة بات يتطلب سيطرة الدولة على الهياكل الرئيسية للإنتاج والإنتاج الصناعى خاصة. وسعيا إلى بناء الإطار المؤسســى لسـيطرة الدولة. بدأ منذ مســتهل عام ١٩٦١م العمل على إقامة هيكل تنظيمى لهذه السيطرة ولو فى شكلها الأولى.

ولذا فقد صدر قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٤٩ لســنة ١٩٦١م. بإنشــاء مؤسسة مصر. على أن يتكون رأسمالها من حصص بنك مصر فى الشــركات التابعة له. وهكذا نزل بنك مصر إلى مســتوى بنك تجارى تابع للمؤسســة العامة. ثم صدر القرار الجمهورى رقم ٢٥٠ لســنة ١٩٦١م. بإنشــاء مؤسســة النصر التى يتكون رأسمالها من حصــص الهيئة العامة لتنفيذ برنامج السنوات الخمس للصناعة فى الشركات التى أنشأتها. وبذلك وجدت ثلاث مؤسسات رئيسية للقطاع العام هى: المؤسسة الاقتصادية. ومؤسسة مصر. ومؤسسة النصر.

ومنذ يوليو ١٩٦١م تمت أكبر حركة للتأميم. وبمقتضاها قام لأول مرة الجســم العريض للقطاع العام فى مصر.. ونظرا لما تمثله عملية التأميم من أهمية فى التطور التاريخى للقطاع العام. نقدم فيما يلى عرضا لهذه العملية كما تمت فى السنوات ١٩٦١م - ١٩٦٤م.

أولاً: تأميمات يوليو ١٩٦١م:

فى يوليو ١٩٦١م صدرت قوانين التأميم الثلاثة الرئيســية: القانون رقم ١١٧. والقانون رقم ١١٨. والقانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦١م.

وبمقتضى القانون رقم ١١٧ تم تأميم ٨٠ شــركة تأميما كاملا. وكان منها جميع البنوك وشــركات التأمين والتجارة الخارجية وتجارة الأخشــاب والنقل والمياه والأراضى العقارية بالإضافة إلى عدد من الشــركات الصناعية الهامة مثل مصانــع النحاس. والدلتا للصلب. والأهليــة للصناعــات المعدنية. وأبو زعبل. وكفر الزيات للأسمدة. وشــركات الأسمنت.. وكانت هذه الشركات جميعا واردة ضمن جدول ملحق بالقانون المذكور. ولهذا كانت قوانين التأميم اللاحقة تقتصر على النص على إضافة الشركات إلى الجدول المرافق للقانون رقم ١١٧ لسنة ١٩٦١م الذى أصبح بذلك هو القانون الأساسى للتأميم.

وبمقتضى القانون رقم ١١٨ لسنة ١٩٦١م تمت مساهمة الحكومة بمقدار ٥٠٪ من رأسمال ٨٣ شركة تضم أساسا شركات مقاولات وتجارة. وبعض الشركات الصناعية. وكان تطبيق هذا القانون يعنى تأميم هذه الشركات تأميما جزئيا. أى تأميم نصف ما يمتلكه كل مساهم فى تلك الشركات.

أما القانون رقم ١١٩ لسنة ١٩٦١م فقد نص على ألا يزيد ما يملكه الفرد عن عشرة آلاف جنيه فى رأسمال ١٤٥ شركة. وكان الغرض من هذا القانون تأميم كل ما زاد عن هذا الحد بقصد مواجهة سيطرة كبار أصحاب رأس المال على الشركات المذكورة. حيث اتضح أن مجموعة من هذه الشركات كانت تتركز ملكيتها فى يد أسر محدودة. وتضم شركات صناعية وتجارية وشركات صباغة وبترول وكيماويات.

وتشير بعض التقديرات إلى أن قيمة رؤوس الأموال التى تأثرت بقوانين التأميم خلال سنة ١٩٦١م بلغت حوالى ٢٠٠ مليون جنيه. وبلغ عدد الأفراد الذين انطبقت عليهم قوانين التأميم الكلى والجزئى حتى آخر عام ١٩٦١م (٥٦٢٢) فردا وذلك على النحو التالى:

- ١٧٧٢ فردا انطبقت عليهم قوانين التأميم الكامل.
- ١٧١٥ .. .. الجزئى.
- ٢٠٧٠ .. انطبق .. قانون الزيادة عن ١٠,٠٠٠ جنيه.
- ٦٥ .. .. .. تأميم محالج القطن.

وبالإضافة إلى ذلك فقد بلغ عدد من فرضت عليهم الحراسة حتى نهاية العام المذكور حوالى ١٠٠٠ شخص. وشملت الحراسة بعض كبار الملاك الذين خضعوا لقانون الإصلاح الزراعى الأول وبعض كبار رجال السياسة السابقين وبعض كبار أصحاب رؤوس الأموال ممن كان يخشى من محاولتهم السيطرة على الحكم - من وجهة نظر القيادة السياسية.

كما قامت الحكومة - تعزيزا لحركة التأميم - فى ميدان النقل. بإسقاط الالتزام الممنوح لشركة (ليبون وشركاه) لاستغلال مرفق الغاز والكهرباء بمدينة الإسكندرية وأنشأت بدلا من ذلك مؤسسة الكهرباء والغاز بالمدينة - كما أسقط الالتزام الممنوح لشركة ترام القاهرة وآلت منشآتها إلى مؤسسة النقل العام بالقاهرة.

وهكذا وبإتمام تطبيق قوانين يوليو وما تلاها فى نفس العام. تحققت إلى حد كبير السيطرة العامة للدولة على وسائل الإنتاج والهياكل الاقتصادية الأساسية. وذلك على النحو التالى:

– شمـول التأميـم الكامل لجميع المصالح الاقتصادية الكـبرى وخاصة الأجنبية منها، وشموله للجهاز المصرفى وشركات التأمين، وبذلك تحققت سيطرة الدولة أيضا على الموارد المالية. وشمل التأميم الكامل أيضا شـركات المرافق العامة ذات الاتصال الحيوى بالجمهور سواء فى مجال النقل أو المياه.. يضاف إلى ذلك شمول التأميم للصناعات الأساسية والثقيلة مثل مصانع النحاس المصرية وشركة الدلتا للصلب.

– التأميم الجزئى (٥٠٪) للشـركات التى يمكـن أن تمثل تجربة جديدة فى مجالات الإنتاج والخدمات.

– تحديد ملكية الفرد بما لا يزيد عن عشرة آلاف جنيه فى الشركات التى كانت تتضح فيها سيطرة عائلات محددة مثل شركة سما فيه الصناعية للغزل والنسيج، وشركة سباهى الصناعية لخيوط الغزل والنسيج.

ثانيا: تأميمات الربع الأول من عام ١٩٦٢م:

١ – فى ٢٣ يناير ١٩٦٢م نشـر بالجريدة الرسمية القانون رقم ٤١ لسـنة ١٩٦٢م والذى نص على التأميم الكامل لبعض الشركات والمنشآت الملاحية بقناة السويس. وبمقتضى القانون رقم ٤٢ لسـنة ١٩٦٢م والمنشور فى الجريدة الرسمية بتاريخ ٣ فبراير ١٩٦٢م تم تأميم بعض شـركات النقل والتخزين تأميما كاملا، كما سـاهمت الحكومة بنسبة ٥٠٪ من رأسمال ٧٧ مخبزا، ٩٨ مطحنا، و٧٧ مضربا للأرز.

٢ – بمقتضى قرار رئيس الجمهورية رقم ١٠٥٤ لسـنة ١٩٦٢م والمنشـور بالجريدة الرسمية فى ٣١/ ١٢/ ١٩٦٢م تمت تصفية فروع البنوك الأجنبية بمصر.

ثالثا: تأميمات عام ١٩٦٣م :

خلال عام ١٩٦٣م تحققت سلسلة من التأميمات لتكمل السلسلة الرئيسية من إجراءات التأميـم لعام ١٩٦١م، خاصة من حيث تطبيق التأميم الكامل على شـركات ومنشـآت تم تأميمها تأميما جزئيا بمقتضى القانون رقم ١١٨، ١١٩ لعام ١٩٦١م.

١ – ففى إبريل ١٩٦٣م تم تأميم جميع منشـآت وشـركات تصديـر القطن وكذلك جميع محالج القطن وذلك بموجب القانون رقم ٣٨ لسنة ١٩٦٣م.

٢ – وفى شهر مايو تم تأميم ١٦٧ مطحنا و ٧٨ مضربا للأرز تأميما كاملا حيث كان بعضها

مؤمما تأميما جزئيا من قبل، وتم ذلك بمقتضى القانون رقم ٥١ لسنة ١٩٦٣م والمنشور فى الجريدة الرسمية بتاريخ ٨ مايو ١٩٦٣م.

٣ – وفى عدد الجريدة الرسمية بتاريخ ١٣ يونيو ١٩٦٣م نشر القانون رقم ٦٥ لسنة ١٩٦٣م والذى نص على تأميم شركات ومصانع الأدوية وإلغاء التراخيص الممنوحة لـ٥٠ مصنعا ومعملا للدواء لعدم ارتفاعها إلى المستوى المقبول (ولم يبق من شركات الأدوية فى يد القطاع الخاص إلا ثلاث شركات تم تكوينها بالتعاقد مع شركات أجنبية) [٦]. وبالإضافة إلى ذلك فقد تم تأميم ٨ شركات للملاحة والمقاولات البحرية بمقتضى القانون ٦٧ لسنة ١٩٦٣م.

٤ – وفى أغسطس ١٩٦٣م تمت حركة رئيسية للتأميم. فقد نص القانون رقم ٧٢ لسنة ١٩٦٣م على تأميم ٢٢٨ شركة صناعية تأميما كاملا وهى شركات للغزل والنسيج وللصناعات الغذائية والكيماوية وللصناعات الهندسية. كما تم تأميم ٢١ شركة للنقل البرى، و١٤ شركة للنقل والملاحة النهرية وشركتين لتجارة الأخشاب وذلك بمقتضى القوانين أرقام ٧٧، ٧٨، ٧٩، لسنة ١٩٦٣م.

٥ – وفى نوفمبر ١٩٦٣ تم تأميم بعض مصانع الأسلحة والذخيرة وبعض شركات المقاولات البحرية (وقانون رقم ١٤٥، ١٤٦ لسنة ١٩٦٣م) – وتأميم شركات التخزين والتبريد وبعض شركات التجارة الداخلية (وقانون رقم ١٤٧، ١٤٨ لسنة ١٩٦٣م) كما تم تأميم ٨٣ شركة ومنشأة فى قطاع النقل وإنشاء الطرق (القانون ١٥١ لسنة ١٩٦٣م) وكذا أممت ٦ شركات زراعية تعمل فى استصلاح الأراضى تأميما كاملاً، ووزعت الأراضى على صغار الفلاحين (القانون ١٥٧ لسنة ١٩٦٣م).

٦ – وبموجب قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٥٨١ لسنة ١٩٦٣م تم إنهاء أعمال ٤٠ شركة من شركات التأمين الأجنبية.

رابعا: تأميمات عام ١٩٦٤م:

يشكل عام ١٩٦٤م علامة زمنية فاصلة فى تاريخ نشوء وتطور القطاع العام المصرى، بموجب التأميمات والإجراءات الأخرى التى اتخذت فى ذلك العام، وأخذ القطاع العام صورته التى نشهده بها اليوم، أى اكتملت ملامحه، وذلك بأن أصبحت جميع المشروعات والشركات الكبيرة فى مصر داخلة فى نطاق الملكية العامة. إن الفترة من يوليو ١٩٦١م

إلى مارس ١٩٦٤م إذن. هى أهم فترات العملية التكوينية للقطاع العام. وفيما يلى عرض لأبرز التأميمات والإجراءات الخاصة بالعام المذكور:

١ - بمقتضى قرار رئيس الجمهورية بالقانون رقم ٥١ لسنة ١٩٦٤م والصادر فى أول مارس، تم تغيير وضع ١١ شركة للتجارة الخارجية من التأميم الجزئى التى خضعت له بموجب القانونين رقم ١١٨و ١١٩ لسنة ١٩٦١م (تأميم ٥٠٪، وتأميم ما زاد عن عشرة آلاف جنيه للفرد) إلى التأميم الكامل.

٢ - نص قرار رئيس الجمهورية بالقانون رقم ٥٢ لسنة ١٩٦٤م على التأميم الكامل لشركات المقاولات التى سبق تأميمها تأميما جزئيا. وعددها ١١٩ شركة.

٣ - نص قرار رئيس الجمهورية بالقانون رقم ١٣٧ لسنة ١٩٦٤م الصادر فى ٢٤ مارس على تأميم أهم شركات استخراج البترول وتسويقه وهى: شركة شل مصر ليمتد، وشركة شل لتوزيع الكيماويات (مصر ليمتد)، وشركة النصر لآبار الزيوت (شركة آبار الزيوت الإنجليزية المصرية سابقا). وبالإضافة إلى ما سبق، فقد شهد شهر مارس ١٩٦٤م إجراءات هامة أخرى تتعلق بتكوين القطاع العام، وهى:

(أ) إلغاء التعويض عن الأراضى الزراعية التى خضعت لقوانين الإصلاح الزراعى وأيلولة ملكيتها إلى الدولة دون مقابل وذلك بموجب القانون رقم ١٠٤ لسنة ١٩٦٤م والصادر فى ٢٣ مارس ١٩٦٤م، على أساس أن ما ترك لأصحاب الأراضى (فى ظل القوانين الخاصة بالإصلاح الزراعى) يمكن أن يغل دخلا يقرب من الحد الأقصى المقرر للدخل من العمل فى أى مجال من مجالات الدولة والقطاع العام.

(ب) نص القانون رقم ١٣٤ لسنة ١٩٦٤م على جعل الحد الأقصى للتعويض عن التأميم مبلغا إجماليا قدره ١٥ ألف جنيه للفرد، سواء للتأميم الكلى أو الجزئى. ويؤدى التعويض بسندات على الدولة مدتها ١٥ سنة وبفائدة ٤٪.

(جـ) بموجب القانون رقم ١٥٠ لسنة ١٩٦٤م، تم رفع الحراسة عن أموال وممتلكات الأشخاص الطبيعيين الذين فرضت عليهم بمقتضى أوامر جمهورية طبقا لأحكام قانون الطوارئ، على أن تؤول إلى الدولة تلك الأموال والممتلكات ويعوض عنها أصحابها بتعويض إجمالى قدره ٣٠ ألف جنيه، ما لم تكن قيمتها أقل من ذلك فيعوض عنها بمقدار هذه القيمة. وقد نص القانون المشار إليه على أن

تستمر الحراسة المفروضة وقت صدوره على الأشخاص الاعتبارية إلى أن يتم رفعها أو تصفيتها أو بيعها.

وبالتأميمات والإجراءات الأخرى التى استعرضناها فيما سبق، استوى القطاع العام قوة ضاربة رئيسية وأصبح يتمتع بالسيطرة على الاقتصاد القومى فى مجموعه، مجسدا مفهوم «السيطرة العامة على وسائل الإنتاج» وبتعبير أدق «سيطرة الدولة على وسائل الإنتاج». وقد أصبح القطاع العام بذلك مسيطرا على جميع مجالات النشاط الاقتصادى القومى باستثناء: الزراعة – التجارة الداخلية – المقاولات والإسكان.

ويستكمل مفهوم القطاع كقوة ضاربة بتناول بعدين: تنظيم القطاع العام، والبيئة الاقتصادية الكلية. ونتناولهما فيما يلى:

١ – البعد الداخلى، بعد تنظيمى، ويتعلق بإنشاء «المؤسسة العامة» باعتبارها الوحدة التنظيمية للقطاع العام، والإدارة المجسدة لسيطرة الدولة على وسائل الإنتاج. وقد كانت «المؤسسة الاقتصادية» هى الجسد التنظيمى الرئيسى للقطاع العام منذ ١٩٥٧م حتى أواخر ١٩٦٠م وأوائل ١٩٦١م حين بدأ إنشاء العديد من المؤسسات العامة الأخرى بلغ عددها ١١ مؤسسة وقت صدور قرار رئيس الجمهورية رقم ٤٨٦ لسنة ١٩٦١م فى ٢٢ إبريل ١٩٦١م، وهو القرار المنشئ «للمجلس الأعلى للمؤسسات العامة»، وكان أهمها ثلاثة مؤسسات: المؤسسة الاقتصادية، ومؤسسة مصر، ومؤسسة النصر.

وقد أخذ عدد المؤسسات النوعية يتزايد حتى بلغ فى نهاية ١٩٦١م (٢٨) مؤسسة، واختصت كل منها بالإشراف على مجموعة من الشركات فى قطاع محدد من قطاعات النشاط الاقتصادى. وفى الأعوام ١٩٦٢م، ١٩٦٣م، ١٩٦٤م، أنشئت المزيد من المؤسسات الاقتصادية، حتى صارت المؤسسة العامة – كما قلنا هى الوحدة التنظيمية للقطاع العام.

٢ – أما البعد «البيئى» فينصب على الإجراءات الاقتصادية الجديدة المحيطة بالقطاع العام الوليد. وأهم هذه الإجراءات والأبعاد ما يلى:

– تحديد الحد الأقصى للملكية الفردية الزراعية بما لا يزيد عن مائة فدان، وتؤول ملكية الأراضى التى تجاوز الحد الأقصى إلى الدولة، وذلك بموجب القانون رقم ١٢٧ لسنة ١٩٦١م الصادر فى ٢٥ يوليو. وقد قضى القانون رقم ١٢٨ لسنة ١٩٦١م بإعفاء الفلاحين الذين استفادوا من قوانين الإصلاح الزراعى من نصف الثمن ومن

كل الفوائـد، علـى أن تتحمل الدولة هذا القدر. ثـم تم إعفاء الفلاحين (بمقتضى القانـون رقم ١٣٨ لسـنة ١٩٦٤م الصادر فى ٢٤ مـارس ١٩٦٤م) من ثلاثة أرباع أقساط الأرض.

- تخصيـص ٢٥٪ مـن الأرباح الصافية للشـركات، كدخول موزعـة على الموظفين والعمـال فى هذه الشـركات، على أن توزع نسـبة ١٠٪ منها فى شـكل نقدى، ويخصص الباقى للخدمات الاجتماعية والإسـكان. وقد تم ذلك بالقانون رقم ١١١ لسنة ١٩٦١م.
- تحديد يوم العمل بسبع ساعات، بموجب القانون رقم ١٣٣ لسنة ١٩٦١م.
- تحديد الحد الأدنى لأجور العمال فى شركات القطاع العام (٢٥ قرشا كأجر يومى للعامل الذى يتجاوز عمره سـتة عشـر عاما) وتحديد الحد الأقصى للمرتب الذى يحصل عليه الفرد مقابل عمله فى الحكومة أو فى القطاع العام بمبلغ ٥٠٠٠ جنيه فى السـنة. وقد تم الأول بقرار رئيس الجمهورية رقم ٢٦٢ لسـنة ١٩٦٢م والصادر فـى ١٣ يناير ١٩٦٢م، وتم الثانى بالقانون رقم ١١١ لسـنة ١٩٦١م والصادر فى ١٩ يوليو ١٩٦١م.
- وبموجب القانون رقم ١١٥ لسـنة ١٩٦١م فى ١٩ يوليو تم تعديل أسـعار وفئات الضريبة على الدخل، بزيادتها بالنسـبة للشـرائح الكبـيرة، حيث رفعت فئات الضريبـة على فئات الدخـل التى تبلغ ٤٠٠٠ جنيه فأكثر فى السـنة فأصبحت تتراوح بين ٢٥٪ و ٩٠٪.
- وبموجب القانون رقم ١٦٨ لسنة ١٩٦١م والصادر فى ٥ نوفمبر ١٩٦١م تم تخفيض إيجار المساكن بنسبة ٢٠٪ من قيمة الأجرة السائدة حينذاك للمبانى التى أنشئت بعد العمل بالقانون رقم ٥٥ لسـنة ١٩٥٨م، على أن يسـرى ذلك ابتداء من شـهر ديسمبر ١٩٦١م[٧].

الوزن النسبى للقطاعين العام والخاص:

خلال السـنوات الأربعة الأولى من الخطة، أى من عـام ٦٠م/ ٦١م حتى ٦٣م/ ٦٤م بلغت قيمة الاستثمارات المنفذة عموما نحو ١١٤٨ مليون جنيه بمتوسط سنوى قدره ٢٨٧ مليون جنيه، وتحمـل القطـاع العام وحده تنفيذ ٩١٪ من هذه الاسـتثمارات بما قيمتـه ١٠٤٠ مليون جنيه

خلال السنوات الأربعة، أى بمتوسط سنوى قدره ٢٦٠ مليون جنيه، بينما قام القطاع الخاص فى نفس الفترة بتنفيذ استثمارات قيمتها ١٠٨ مليون جنيه بمتوسط سنوى قدره ٢٧ مليون جنيه.

أما بالنسبة لنصيب كل من القطاعين العام والخاص فى توليد الدخل القومى، فيمكن الاستدلال عليه من واقع التعرف على عوائد العمل (الأجور)، مقارنة بإحصاءات الدخل القومى عموما.

ويتبين أن ما دفعه القطاع العام فى ٦٣م/ ٦٤م من أجور قد زاد بحوالى ٥٥،٦ مليون جنيه عن نظيره فى ٦٢م/ ٦٣م، بينما لم تزد الأجور المدفوعة فى القطاع الخاص بأكثر من ١٢،٨ مليون جنيه خلال نفس الفترة. وبذلك فإن الزيادة الإجمالية فى الأجور وقدرها ٦٨،٤ مليون جنيه تعود إلى القطاع العام بنسبة ٨١٪ منها، وعن الزيادة المقدرة للأجور فى عام ٦٤م/ ٦٥م وقدرها ٩١ مليون جنيه فقد تمثل إسهام القطاع العام بنحو ٧٣،٦ مليون جنيه بنسبة ٨١٪، بينما لم يسهم القطاع الخاص بأكثر من ١٩٪.

وإذا كان ذلك يقودنا إلى الاستنتاج بتصاعد إسهام القطاع العام فى توليد الدخل القومى، فإن هذا الاستنتاج لا يعدو أن يكون وجها واحدا للحقيقة، أما الوجه الثانى فهو أن القطاع الخاص لم يفتأ يلعب دورا كبيرا فى توليد الدخل القومى أيضا؛ فقد كان القطاع الخاص يسيطر على الإنتاج الزراعى، وعلى أغلب التجارة الداخلية، وكل الخدمات الشخصية.

ومن هذا يتبين لنا أن المساهمة الرئيسية للقطاع العام فى الدخل القومى إنما تأتى من دوره القيادى فى قطاع الصناعة؛ أى أن القطاع العام الصناعى قد لعب دور «حامل» النمو فى فترة الخطة الخمسية الأولى، بينما حدد توجيه الدولة للقطاع الخاص الزراعى والتجارى والخدمى طرق وقنوات المساهمة فى توليد الناتج القومى، وهو التوجيه الذى تم بواسطة الخطة وإجراءات وقوانين التحول (الاشتراكى) والدور القيادى للقطاع العام الصناعى.

وانطلاقا من القطاع العام الصناعى وتوجيه الدولة للقطاع الخاص، أخذ الناتج المحلى يحقق زيادات متواصلة فى الفترة محل البحث كما زادت العمالة بمعدلات عالية، بالإضافة إلى تغيرات هيكلية أخرى، على نحو ما يتضح من المؤشرات الآتية:

١ – زيادة إجمالى الدخل المحلى فى فترة الخطة الخمسية ٦٠م/ ٦١م – ٦٤م/٦٥م بنسبة ٣٧،١٪، أى بمعدل سنوى قدره ٦،٥٪ فى المتوسط، وذلك بتنفيذ استثمارات قدرها

١٥١٣ مليون جنيه. وتجدر الإشـارة إلى أن تنفيذ الاسـتثمارات قد اعتمد أساسا على المدخـرات المحلية. وبلـغ العجز الإجمالى فى تمويل الاسـتثمار نحو ٤١٧.٤ مليون جنيه بنسبة ٢٧.٦٪ من إجمالى الاستثمار. وتم تدبيره من المصادر الأجنبية.

٢ - زيادة العمالة بنحو ١٣٢٧ ألف مشـتغل أى بمتوسـط سنوى يبلغ ٢٦٥ ألف مشتغل، مع زيادة أجر المشـتغل، حيث ارتفع متوسـط الأجر من نحو ٨٠.٥ جنيه فى السنة الأولى الى ١١٢.٣ جنيه فى السنة الأخيرة[٨].

٣ - التغير فى الأهمية النسـبية للأجور وعوائد التملك فى الخطة الخمسـية الأولى، فقد زادت الأهميـة النسـبية لمجموع الأجور فـى الاقتصاد القومى من ٤٢.٨٪ فى سـنة الأساس إلى ٤٦.٧٪ فى السنة الخامسة من الخطة. أما الأهمية النسبة لمجموع عوائد التملك فانخفضت من ٥٧.٢٪ فى سنة الأساس إلى ٥٣.٣٪ فى السنة الخامسة[٩].

٤ - التوزيـع القطاعـى للاسـتثمارات، متميزا بزيادة النصيب النسـبى لقطـاع الصناعة والكهرباء، والذى حظى بما نسبته ٣٤.١٪ من الاستثمارات فى الخطة وقدرها ٥١٦.٥ مليون جنيه[١٠].

القطاع العام فى فترة (١٩٦٥م - ١٩٧١م):

حينما انقضت الخطة الخمسـية الأولى، كان القطاع العام قد أثبت وجوده بوصفه القوة الرئيسـية المنفذة لأهداف الخطة. وابتداء من عام ١٩٦٥م بدا أن الاقتصاد القومى قد توفر له الأساس التنظيمى الذى يمكنه من تحقيق معدلات نمو منتظمة. غير أن دراسة مؤشرات الأداء للاقتصاد القومى قد أسفرت عن صعوبة العمل على مضاعفة الدخل القومى فى عشر سنوات، وهو الهدف الذى قرره مشروع الخطة العشرية (٥٩م/ ٦٠م - ٦٩م/ ٧٠م). واتضح ذلـك بجلاء من تقرير (متابعة وتقييـم النمو الاقتصادى فى الجمهورية العربية المتحدة عن السـنة ٦٥م/ ٦٦م)، والذى ذكر بوضوح أنـه من غير الممكن تحقيق هدف مضاعفة الدخل القومى فى عشـر سنوات. ولذلك وضعت خطة سباعية جديدة تشمل الفترة من ٦٥م/ ٦٦م إلى ٧١م/ ٧٢م. وبعد بداية التنفيذ تم العدول عن الخطة السباعية إلى خطة ثلاثية للإنجاز تشمل الفترة من ٦٧م/ ٦٨م إلى ٦٩م/ ٧٠م.

ولكن فى عام ١٩٦٧م وقع ذلك الحدث الذى أثر فى مسار التطور الاقتصادى والاجتماعى والسياسـى تأثيرا أساسـيا، وهو العدوان الإسرائيلى والنكسة العسـكرية. وحينئذ تغيرت

الأولويات بحيث حلت متطلبات المواجهة العسـكرية محل متطلبات زيادة الإنتاج. وكذلك أخذت الأوضاع الاقتصادية تتهيأ لتقليص الدور المحورى للقطاع العام وتوسـيع دور القطاع الخـاص، وذلـك فى مواجهة مشـكلات اقتصادية أخـذت تتفاقم رويدا رويـدا على هيئة انخفاض مضطرد فى معدلات النمو الاقتصادى.

ونظـرا لعدم قـدرة الاقتصاد القومى – فى ظل الظروف الجديـدة – على مواجهة هذه المشكلات بآلياته «القديمة»، آليات الخطة الملزمة والدور المركزى للدولة والقطاع العام.

ونظرا للتحول فى التركيبة الطبقية للسـلطة بعد وفاة جمال عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠م. والتبـدل الجذرى فـى الإيديولوجية السياسـية. فإن النظام السياسـى التالى، بعـد ١٩٧١م، فـى ظل الحقبـة المتطاولة للسـادات – مبارك، قد غير مـن تلك الآليات تدريجيـا، واعتمد اليات أخرى مغايرة، تقوم على إعطاء دور حاكم لقوى السـوق ولرأس المـال الخـاص. وقد تبلور هذا منذ عام ١٩٧٥م – عقب حرب أكتوبر – فيما صار يسـمى بسياسـة «الانفتاح الاقتصادى»، القاضية بتقليص الوزن النسبى للقطاع العام وتخلى الدولة تدريجيـا عن وظيفتها التنمويـة اقتصاديا واجتماعيا، وإطلاق العنان لقوى السـوق، دون ضوابـط حقيقية، وتوسـيع دور القطاع الخـاص ليصبح القوة القائـدة للاقتصاد.وقد أدت السياسـة الجديدة، والتى اسـتمرت بشـكل عام طوال أربعين عاما، خلال عهد السادات – مبـارك (١٩٧١م – ٢٠١٠م) وحتـى ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م المباركة، إلى تصفية الإرث التنمـوى الذى أوجدته ثورة يوليو وقائدها عبـد الناصر، والذى قام على التصنيع والعدالة الاجتماعيـة. وحلت محل التجربة التنموية لثورة يوليـو وعبد الناصر، تجربة قائمة على التبعية للنظام الرأسمالى العالمى، وعلى استبدال التصنيع بقطاعات مدرة للدخل السريع فى بعض المجالات الخدمية، واسـتئثار الأقلية الاجتماعية المثلة لشريحة من القطاع الخاص الكبير بشطر غالب من الدخل القومى.

□□□

الهوامش

(١) عبد الرازق حسن، عرض للتطور الاقتصادى للجمهورية العربية المتحدة منذ ١٩٥٢، المجلة المصرية للعلوم السياسية، العدد ٢٩، أغسطس ١٩٦٣م.

(٢) الشركات المساهمة التى صدر قرار بتأسيسها فى الفترة من ١٩٥٤م إلى ١٩٥٨م، فى نشرة البنك الصناعى، المجلد الثالث، العدد ٢، ١٩٦٢م.

(٣) محمد صبحى الأتربى، نشأة وتطور القطاع العام فى الاقتصاد المصرى، المركز العربى للدراسات السياسية والاقتصادية، الأهرام، ص ٧٣.

(٤) محمد صبحى الأتربى، نشأة وتطور القطاع العام فى الاقتصاد المصرى، مرجع سابق، ص ٧٨ - ٧٩.

(٥) محمد صبحى الأتربى، مرجع سابق، ص ١١٤.

(٦) عبد الرازق حسن، عرض للتطور الاقتصادى فى الجمهورية العربية المتحدة منذ ١٩٥٢، المجلة المصرية للعلوم السياسية، أغسطس ١٩٦٣م.

(٧) انظر وزارة الخزانة «جداول استخدامات وإيرادات الشركات التابعة للمؤسسات للسنة المالية «١٩٦٧م - ١٩٦٨م».

(٨) كمال أحمد الجنزورى، التخطيط للتنمية الاقتصادية والاجتماعية فى التجربة المصرية، فى دراسات فى تنسيق الخطط والتكامل الاقتصادى العربى، معهد البحوث والدراسات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ٤٧.

(٩) الجمهورية العربية المتحدة، وزارة التخطيط، متابعة وتقييم الخطة الخمسية الأولى (٦٠م/ ٦١م - ٦٤م/ ٦٥م)، الجزء الأول، متابعة وتقييم المعالم الأساسية للتنمية فى الخطة الخمسية الأولى، فبراير ١٩٦٦م، ص ٥٥.

(١٠) المرجع السابق، ص ٩٤.

□□□

الأزمة اللبنانية ١٩٥٧م - ١٩٥٨م وموقف عبد الناصر

د. محمد عبد الوهاب سيد أحمد

كلية الآداب - جامعة عين شمس

قبل أن نتحدث عن الأزمة اللبنانية فى عام ١٩٥٨م لابد أن نعرف أولا مفهوم ومعنى كلمة «أزمة سياسية» خاصة وأن النظام الدولى المعاصر شهد العديد من الأزمات الدولية كان نصيب المنطقة العربية منها وافرا وكانت الأزمة اللبنانية واحدة منها.

و«الأزمة» فى اللغة العربية تعنى «الشدة والقحط أو الضيق» ويقال «أزم عن الشىء أمسك عنه» أما الأزمة فى السياسة فإن البعض يعرفها على أنها لحظة حرجة وحاسمة تتعلق بمصير الكيان السياسى أو الإدارى الذى أصيب بها. مشكلة بذلك صعوبة حادة أو تحدى أمام صانع القرار تجعله فى حيره بالغة حول الكيفية التى ينبغى التعامل بها مع الواقع المتفجر وهو يسعى للخروج منها أو احتوائها. وهى صراع بين إرادتين أو قوتين.. قوة وإرادة صانع القرار وقوة وإرادة صانعى الأزمة. ويقوم متخذ القرار أو صانعه بالعمل على إعادة التكيف مع واقع وأحداث الأزمة سواء المتعلقة بالأوضاع الداخلية أو بالعوامل الخارجية أو كلاهما».

وعلى صعيد آخر تساعد الأزمة على ظهور أعراض سلوكية خطيرة مثل القلق والتوتر، وشيوع اللامبالاة وعدم الانتماء واضطراب العلاقات الاجتماعية. وشيوع التخريب والتدمير، وبمرور الوقت يؤدى الأمر إلى الدمار الكامل للكيان السياسى».

وهذه الدراسة تسعى فى الأساس إلى التركيز على دور العوامل الخارجية ودورها فى أزمة لبنان الذى لم يكن بحال من الأحوال بعيدا عن لعبة الصراعات والتوازنات الداخلية وربما الانحياز لطرف على حساب أطراف أخرى فى لعبة الصراع مما جعلها تنزلق إلى خضم الأحداث مغلفة هذا الانزلاق أو التورط بحجة مواجهة المد الشيوعى الزاحف على المنطقة، وهى نفس الفرضية التى ظلت مطروحة منذ نهايات الحرب العالمية الثانية وحتى نهاية القرن العشرين[1].

وقــد أظهرت هذه الأزمة حقيقة المواجهة بين القوى الإقليمية المتطلعة للقيام بدور على الســاحة الإقليمية مســتثمرة المكانة والمكان مما أدخلها فى مواجهة غير مباشرة مع حارس المصالح الغربية الذى أسفر عن نفسه فى إعلان مبدئه الشهير فى ١٩٥٧م، وبالتالى جاءت هــذه الأزمة كنوع مــن التحدى الذى دفعت إليه القوى الغربية الكبرى تحت إلحاح بعض القيادات السياسية المحلية التى أرادت أن تستثمر عقدة الخوف من انتشار الشيوعية التى كانت تسيطر على صانع القرار فى واشنطن لتدفع به إلى خضم الأحداث لعل تدخله يكون هو الحل لمشاكلها وصراعاتها مع معارضيها.

كما تطرح هذه الدراسة عدة أسئلة حول ما إذا كان الدور المصرى النشط هو المسؤول عن الأزمة أم أن سياسات واشنطن لعبت دورا فى خلقها؟، وهل حاولت واشنطن أن تلعب من خلف الستار وتتدخل فى عملية الانتخابات لترجيح كفة طرف على حساب أطراف أخرى لتتجنب المواجهة المباشـرة؟ وهل كانــت طموحات كميل شمعون وافتئاته على الدســتور ومحاولته الالتفاف حوله هى الأساس.. أم أن تربص المعارضة الداخلية فى كافة القطاعات ورفضها لسياســته تســببت فى الأزمة؟ وهل ماحدث فى ١٤ يوليو ١٩٥٨م (ثورة العراق) تســبب فى تصعيد الأزمة.. وهل الخــوف الأمريكى من المحاولات البريطانية لاســتثمار أزمات المنطقة لاستعادة دورها دفع بها إلى تحمل مسئولية المعالجة والمواجهة منفردة؟ وهل كان لدى واشنطن طموحا فى جعل الكيان اللبنانى خاصة المارونى شبيها بإسرائيل وبالتالى يصبح هنالك قوى ثانية تقوم على الأساس العنصرى فى المنطقة ؟ وفى النهاية هل نجحت واشنطن فى آداء دورها.. إذ أنها أرادت تنفيذ سياسة حافة الهاوية التى كان جون فوستر دلاس قــد اصطنعها فى معالجته للأزمات الدولية؟ وهــل لبنان كانت لها من الأهمية مما جعل واشنطن تنزلق إلى إنزال قواتها أم أنها كانت مجرد مظاهرة لاستعراض القوة لإخافة المارقين وطمأنة الأصدقاء من المقربين؟(*).

لم تكــن الأزمــة اللبنانيــة وليدة عام ١٩٥٨م بل إن هذه الســنة قد تمخضت عن ولادة هــذه الأزمة بالصــورة المعروفة لنا فقد تحولت العاصمة اللبنانية لســنوات خلت إلى قاعدة لقــاء ومواجهـــة بين كل التيــارات الفاعلة والمؤثــرة فى الصراع الكبير علــى مصائر العالم العربى والشــرق الأوســط. ففى الفترة اللاحقة لمعركة الســويس وذلك طبقا لرواية إيفلاند Eveland أصبحت بيروت مركزا رئيســيا لعمليات المخابرات والمؤمرات وتجارة الســلاح

والبـترول. وملتقى أصحاب المصالح والأغـراض[٢]. ومن ناحية أخرى كانت نموذجا فريدا من حيث التركيبة السكانية والنظام السياسى الذى ارتكز أساسا على مبادئ الميثاق الوطنى التـى فرضت بلا شـك على تاريخ هـذا البلد وتحكمت فيه حتى وقتنـا هذا. ذلك الميثاق الـذى تم بين بشـارة الخورى ورياض الصلح والذى أعلنه فـى البرلمان فى أكتوبر ١٩٤٣م وبمقتضاه تخلى المسـلمون عن طلب الوحدة العربية فى مقابل تخلى المسـيحيين عن طلب الضمانة الأجنبية لاستقلال لبنان ويتضمن هذا الميثاق ثلاثة مبادئ رئيسية أولاها أن يتخلى المسـيحيون اللبنانيون عن رغباتهم فى طلب الحماية الفرنسـية فى مقابل تخلى المسلمين عن السـعى لضم لبنان أو أجزاء منها لسـوريا أو أى دولة عربية أخرى. وثانيها وأهمها فى تقديرى أن يعترف المسيحيون بالفكرة العربية على أنها تعنى مساهمة لبنان فى مجال التعاون العربى فى إطار استقلاله وسيادته بحيث لا يطلب من لبنان أن يتبع سياسة عربية تتعارض مع مصالحه ووحدته الوطنية[ ]، وثالثها اتفاق الطرفين على توزيع مناصب الدولة الرئيسية على الطوائف توزيعا عادلا بالإضافة إلى تقاسم الوظائف ذات المسئولية فى الدولة حسـب أهميتها بالنسـبة لكل طائفة. وهكذا يقوم النظام على توزيع السلطة السياسية بين الطوائف المختلفة فيكون رئيس الجمهورية مسـيحيا مارونيا ورئيس الوزراء مسـلما سـنيا ورئيس مجلس النواب مسلما شيعيا. كما يكون للموارنة منصب قائد الجيش ورئاسة المكتب الثانى (المخابرات) ومدير الأمن ومحافظ البنك المركزى. أما مجلس النواب فتكون الأغلبية فيه للمسـيحيين بنسبة ٦ إلى ٥ مع ملاحظة أن العدد الإجمالى لمجلس النواب يكون قابلا للقسمة على أحد عشر[٣].

ومـن هنـا يتضح لنا أن الميثاق كونه كان صيغـة للتعايش بين أبناء البلد الواحد إلا إنه كرس الطائفية وعمقها وجعل الطائفة المارونية تشـعر بعلو كعبها مقارنة بالطوائف الأخرى التى وجدت نفسها أسيرة لما وضعه رجلان كان كل منهما يمثل طائفة من الطوائف. وكان علـى الجميـع الانصياع لما قد تم الاتفاق عليه. فيمكن القول إن الميثاق لم يكن «وطنيا بقدر ماكان طائفيا»... فقد جعل التعبير السياسى يتم أساسا عبر قنوات طائفية. كما كرس سلطة الزعماء العشائريين فى مناطقهم. وهكذا بدلا من أن تصبح المؤسسات السياسية أداة لتغيير الوضع الطائفى أصبحت قوة لتدعيمه وتكريسه[٤].

لقد احتوت بنود الميثاق على عوامل قيام الأزمة دون أن يدرى واضعه أنه جعل الوحدة الوطنيـة وسياسـات لبنان مرتبطة برؤى وتفسـيرات صانع القـرار أو القائم على الأمر[٥].

وهو ما دفع بكميل شمعون أثناء فترة رئاسته (١٩٥٢م - ١٩٥٨م) إلى التعسف فى استخدام النص بما يخدم أهدافه ومصالحه. وبمراجعة نصوص الدستور اللبنانى نجد أن رئيس الجمهورية يتمتع بسلطة واسعة تجعل منه محور الحياة السياسية فى لبنان[٥].

ومن هذا المنطلق فإن كميل شمعون بدأ يخطو خطوات تؤكد دوره على الصعيدين الداخلى والخارجى. وجاء عام ١٩٥٥م يحمل فى ثناياه العديد من المتغيرات فى المنطقة المتمثلة فى إعلان قيام حلف بغداد ثم إقدام مصر على عقد صفقة السلاح مع الكتلة الشرقية إثر غارة غزة مما قلب الموازين فى المنطقة وحول مصر إلى قبلة للشعوب العربية الساعية إلى التخلص من التبعية للغرب. وتماشيا مع التيار الجديد وكسبا للشارع اللبنانى فإن شمعون قام بإحداث تغيير وزارى يتفق مع الخط الجديد فقد تم تعيين رشيد كرامى المؤيد لإقامة علاقات أوثق مع مصر وسوريا والسعودية بدلا من سامى الصلح المعروف بارتباطاته المصلحية مع الغرب مما أثار حفيظة الغرب[٦] وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية. وجاء تولى عبد الله اليافى أعباء الوزارة تأكيدا للدور اللبنانى الجديد[٧]، الذى لم يكن إلا تكتيكا من جانب شمعون لاكتساب قاعدة شعبية ولتهدئة الموقف ولو ظاهريا لصالح سياسته لإحكام قبضته على الحكم، وإزالة ما قد لصق به من تهم من قبل عناصر المعارضة خاصة من العناصر الإسلامية. وقد اتضح هذا من مذكرة غاية فى السرية رفعها دلاس وزير الخارجية الأمريكى إلى أيزنهاور بتاريخ ٢٨ مارس ١٩٥٦م، حدد فيها على وجه التحديد الموقف الأمريكى فى الفقرة العاشرة من المذكرة حيث قال «وعلينا أن ندعم ونقوى العناصر الموالية للغرب بتقديم دعم مالى فى شكل منح وقروض»[٨]. ومن هذا المنطلق فإن الولايات المتحدة قد حددت موقفها من الأوضاع الداخلية فى لبنان وبدأت تستقطب العناصر الموالية للغرب التى يمكن الارتكاز عليها فى تلك المرحلة.

وربما كان هذا دافعا مشجعا لشمعون لأن يتخلى عن حذره فى الإفصاح عن طبيعة علاقته مع الغرب مما سيؤثر سلبا على ارتباطات لبنان العربية وسيدفع إلى تباين المواقف بين أبناء الوطن الواحد. وكان أوضح مثال على هذا رفض كميل شمعون وإصراره على عدم قطع علاقات لبنان الدبلوماسية مع بريطانيا وفرنسا أثناء أزمة السويس فى ١٩٥٦م خروجا عن الإجماع العربى، مما دفع بالقيادات السياسية المسلمة إلى تقديم استقالتها من الوزارة احتجاجا على هذا الموقف المتخاذل[٩] والذى فسروه من جانبهم على أنه نوعا من العداء الدفين من قبل شمعون وجماعته تجاه عبد الناصر وتيار القومية العربية[١٠].

كما فسرت دوائر صنع القرار فى واشنطن هذا الموقف من قبل شمعون وجماعته فى تقرير غاية فى السرية رفع إلى رئيس هيئة أركان الحرب العليا الأمريكى الأدميرال رادفورد بأن مرجع هذا يكمن فى «أن مسيحى لبنان ينظرون ويفضلون صداقة الأمم غير العربية على حدودهم [إسرائيل] نتيجة لخوفهم من أن سوريا قد تبسط هيمنتها ونفوذها على لبنان مما سيؤثر عليهم سلبًا» وقد أوضح التقرير فى سياقه إن الولاء للجماعة أو الطائفة فى لبنان - أقوى وأعمق من الولاء للوطن[11]. وبلا شك إن هذا التحليل والتقييم للموقف الداخلى اللبنانى جعل واشنطن ولو من خلف الستار تنحاز إلى طائفة على حساب بقية الطوائف الأخرى لتحقيق مصالحها على المدى البعيد.

وقد ظل هذا التحليل مسيطرا على تفكير صانع القرار الأمريكى ردحا طويلا من الزمن، ذلك أن واشنطن وجدت قوى تتطلع ببصرها إلى خارج إطار المنظومة العربية حفاظا على مكتسباتها التى حققتها. وفى ظل رئاسة شمعون احتقن الموقف الداخلى ولم يعد هنالك بدا من المواجهة فالمعارضة الإسلامية والتيار العروبى وجد أن لبنان قد خرج من الصف العربى[12]، ولم تعد مواقفه تعبر إلا عن المصلحة القطرية أو الطائفية على حساب المصالح القومية.

ولقد شهد عام ١٩٥٧م العديد من الأزمات بالمنطقة، ولم يكن لبنان بعيدا عنها حدوديا ولا سياسيا[13] ولم يحاول شمعون أن يهدىء الموقف مع المعارضة متخذا من صلاحياته أداة لفرض مايراه من سياسات، وهو ما اتضح فى إعلانه قبول لبنان لمبدأ أيزنهاور متحديا مشاعر الشارع اللبنانى المسلم مضيفا بذلك عداوات مع الدول العربية المحيطة به[14]، وكان يظن أنه بموقفه هذا سوف يضع نفسه تحت الحماية الأمريكية، أو يدفع بالولايات المتحدة أو يزج بها إلى التدخل لحمايته فى مواجهة خصومه من السياسيين سواء على الصعيدين الداخلى أو الخارجى[15].

كانت مؤشرات السياسة الأمريكية عاملا مشجعا لشمعون الذى كان يمثل الشخصية المنقسمة مثل غيره من قيادات الموارنة آنذاك، فرغم كونه قد تظاهر بالإيمان بالعروبة فى بداية حياته السياسية فإنه لم يلبث أن تخلى عن هذا اعتقادا منه ومن غيره من أبناء طائفته بأن الاتجاه العروبى وفكرة القومية العربية ما هى إلا حركة إسلامية من شأنها أن تعود بالمسيحيين إلى سابق وضعهم القديم أثناء الحكم العثمانى، باعتبارهم مواطنين من

الدرجة الثانية[١٦]. وقد وجد هذا الهاجس آذانا صاغية فى واشنطن التى كانت تسعى لإيجاد صيغة تمكن الموازنة من الاحتفاظ بشخصيتهم الاعتبارية وهويتهم الطائفية. ولذا فقد بدأ يطرح فى أوساط الدوائر الحاكمة فى واشنطن إمكانية ضم مسيحى لبنان إلى إسرائيل وهو ما اتضح فى الأوراق غاية فى السرية المودعة فى مكتبة أيزنهاور لاندرو جاكسون أحد مساعدى الرئيس الأمريكى الذى ذكر فى أوراقه «بأن البارقة الوحيدة لمشاريع الوحدة فى المنطقة تكمن فى إمكانية قيام نوع من الارتباط يجمع بين مسيحى لبنان وإسرائيل»[١٧]. وبرغم أن هذا المشروع لم يطرح بصورة علنية أو جادة. إلا أن طرحه أثناء اشتعال الموقف فى ١٩٥٧م فى المنطقة يدل دلالة واضحة على انحياز واشنطن بصورة غير مباشرة لكميل شمعون والموارنة أثناء الأزمة. ويدل أيضا على خلق قوة تكون معبرا بين المنطقة العربية وإسرائيل، أو ربما يكون هذا الطرح استثمارا لتدعيم الطائفية بما يخدم مصالح إسرائيل والغرب فى المقام الأول.

هذه المواقف والسياسات من قبل كميل شمعون وجماعته أدت إلى تكوين جبهة معارضة وطنية ضمت بين أعضائها صائب سلام وعبد الله اليافى وكمال جنبلاط بالإضافة إلى بعض المسيحيين من المعارضين مع اقتراب انتخابات يونيو البرلمانية التى سوف يترتب على نتيجتها انتخاب رئيس جديد للجمهورية اللبنانية بعد انتهاء فترة رئاسة كميل شمعون فى سبتمبر ١٩٥٨م[١٨]. ولقد كانت هذه الانتخابات تمثل أرض صراع بين كافة التيارات السياسية الداخلية، وكذا القوى الخارجية. وإمعانا فى تحديه للمعارضة أقدم شمعون على تعديل القانون الذى وضعه فى عام ١٩٥٣م، فرفع عدد النواب من ٤٤ نائبا إلى ٦٦ نائبا وأجرى تعديلات على الدوائر الانتخابية فعدل فى تقسيمها وجعلها ٢٧ دائرة فى كل لبنان موزعة على النحو التالى:

- بيروت دائرتان ولها ١١ نائب (مناطق تركز السنة).
- جبل لبنان ٨ دوائر ولها ٢٠ نائب (مناطق تركز الموارنة).
- لبنان الجنوبى ٧ دوائر ولها ٢٠ نائب (مناطق تركز الشيعة).
- لبنان الشمالى ٧ دوائر ولها ١١ نائب.
- البقاع ٣ دوائر ولها ١٠ نواب. ١٩٥٨م[١٩].

وقد أسفرت الانتخابات عن نتائج غير متوقعة بالنسبة للمعارضة فقد فاز مرشحو الحكومة بأغلبية ساحقة ولم تحصل المعارضة إلا على ٨ مقاعد من مجموع مقاعد البرلمان

البالغ عددها ٦٦ مقعدا. ومن الملفت للنظر أن زعامات تقليدية ذات تاريخ سياسى وعائلى مثل عبد الله اليافى وصائب سلام (رؤساء وزراء سابقون) من السنة. والزعيم الدرزى كمال جنبلاط لم يحققوا انتصارا فى هذه الانتخابات بالإضافة إلى الزعيم الشيعى أحمد الأسعد[٢٠]. وربما يكون هذا مقبولا فى أى نظام ديمقراطى لكن بلد بوضعية لبنان وتاريخه الطائفى والعشائرى كان مثار تساؤلات من جانب كافه الأطراف. وهنا السؤال الذى يطرح نفسه هل الانتخابات اللبنانية البرلمانية التى ستؤدى إلى انتخاب رئيس جديد للبنان كانت نزيهة ومحايدة و بعيدة عن التدخل الأجنبى؟ وما هو موقف هذه القوى من تلك النتيجة.

من الواضح أن هذه الانتخابات كانت أرضا للصراع بين التيار العروبى والتيار الانعزالى المنحاز إلى الغرب بدعم من الولايات المتحدة. فطبقا لرواية إيفلاند Eveland مسؤول المخابرات المركزية CIA فى بيروت فى مذكراته المنشورة فإن الدعم المادى الأمريكى لجماعة شمعون فى الانتخابات كان عاملا أساسيا فى إلحاق الهزيمة بجبهة المعارضة الوطنية وخلق برلمان يتماشى مع سياساته وطموحاته "we already bought him a parliament and that was enough"[٢١]. وأكد على نفس المعنى مايلز كوبلاند فى كتابه «لعبة الأمم»، بل لقد أشار إلى دعم مصر «للجبهة الوطنية المتحدة» المناوئة لشمعون والغرب[٢٢].

ومن الواضح أن الولايات المتحدة فى تلك المرحلة لجأت إلى الدبلوماسية التحتية The Covert Diplomacy بتأمين برلمان موال لكميل شمعون يضمن له تمرير سياسته لتأخذ الصيغة الشرعية بحيث لا تجد المعارضة سبيلا للهجوم عليه سواء فى الداخل أو الخارج، وربما قد أرادت أن تضمن له إمكانية طرح تغيير الدستور بأغلبية ساحقة بحيث يتمكن من تعديل المادة الخاصة بفترة الرئاسة فتصبح مدتين بدلا من مدة واحدة.

وانطلاقا من الأغلبية المطلقة وإمعانا فى التنكيل بالمعارضة الداخلية فإن الحكومة اللبنانية تحت رئاسة سامى الصلح قد طلبت من البرلمان سلطات استثنائية تخول لها حق الرقابة على الصحافة، وإلقاء القبض على من ترى أنهم يهددون الأمن العام[٢٣]. كما طلبت موافقته على تدعيم واصر الصداقة والتعاون مع السعودية وإيران[٢٤]. وربما كان شمعون يستهدف من هذا التقارب والتحالف التكتيكى الموالى للغرب كسب زعامات السنة ذات الارتباطات المصلحية مع السعودية. وفى الوقت نفسه إجهاض أى محاولة من جانب سوريا ومصر لمهاجمته نظرا لطبيعة علاقتهما بالنظام السعودى آنذاك. أما بالنسبة للتحالف

مــع إيران فان الغرض منه كان كســب المعارضة الشــيعية إلى صفه، وتعميق الخلاف بين السـنة والشيعة بالإيهام بارتباطاته بالقوى الإســلامية التقليدية السنية والشيعية. وبالتالى يقضي على معارضيه من القوميين العرب بهذا التكتيك وربما كان يستهدف كسب الولايات المتحدة إلى جانبه فى ضوء توتر علاقة مصر وسوريا بالولايات المتحدة. وبهذا يهدأ الموقف الداخلــى خاصة فى أعقاب الانتخابات. غــير أن الموقف لم ينته عند هذا الحد فقد ظلت المعركــة قائمــة. وقد حاول شمعون أن يكســب الولايات المتحــدة إلى جانبه فى مواجهة المعارضــة الداخلية التى كان يراها تعتمد على دعم من ســوريا. وقد اتضح هذا فى مقابلته للمبعوث الأمريكي لوى هندرسون فى ٢٨ من أغسطس ١٩٥٧م أثناء بحث الأزمة السورية حيث ورد نص المقابلة فى الوثائق غاية فى السرية للخارجية الأمريكية حيث قال شمعون «إنه إما أن نبقى أقوياء وســوريا ضعيفة أو علينا أن ننهار». وأكد على نفس المعنى شــارل مالك الذى وصف القضية بالنسبة للبنان بأنها «مسألة حياة أو موت»[٢٥].

وبهــذا الترتيب والتكتيك أراد شمعــون أن يدفع بالولايات المتحــدة تحت مظلة مبدأ أيزنهاور إلى القيام بوأد المعارضة اللبنانية عن طريق ضرب مصدر تمويلها القادم من ســوريا ظنا منه أن المحرك للمعارضة اللبنانية عبد الحميد الســراج وجماعته فى دمشــق[٢٦]. وفى تلك الأثناء كان لبنان نتيجة لسياســته الموالية للغــرب موضع هجوم من عبد الناصر الذى وصف حكامه «بالخونة»[٢٧] مما أدى إلى التفاف المعارضة اللبنانية حوله إذ وجدوا فيه أداة قد تخلصهم من حكم كميل شمعون الذى بدأ يستأثر بالسلطة من خلال تعسفه فى استخدام صلاحياته وتفســيره لبنود الدستور بما يحقق أهدافه ومصالحه الشخصية[٢٨]. وهكذا أصبح الموقــف ينذر بالخطر بين رئيــس جامح فى عدائه للمعارضــة. ومعارضة تتطلع إلى العون الخارجي للتخلص منه. وصحف تذكى نار الشــقاق بين كل الأطراف[٢٩]، وقوى خارجية وإقليمية جعلت من لبنان أرضا للصراع.

علــى كل حال اشــتدت كل من مصر وســوريا فى مهاجمة كميل شمعــون الذى أخذ فــى تحريــض اللبنانيين ضدهما. وكانت النتيجة تعرض الحكومــة اللبنانية لهجوم مركز ومتواصــل من جانــب الإذاعة والصحافة المصرية والســورية. ولهجــوم مماثل من جانب الاتحاد الســوفيتى والأحزاب الشــيوعية فى الشــرق الأوســط. وبدأ تبادل الاتهامات بين بيروت ودمشق. إذ اعتقدت السلطات اللبنانية أن سوريا تتجه صوب الشيوعية ولن تلبث

أن تقع فى براثن الاتحاد السوفيتى، وأن انتشار القلاقل والاضطرابات فى لبنان مرجعه إلى نشاط المكتب الثانى السورى تحت قيادة عبد الحميد السراج[٣٠]. وكذلك تدهورت العلاقات بـين البلدين فصودرت الصحف السـورية وكثير من الصحف المصرية، وجرى التشـويش على إذاعات القاهرة ودمشـق وتم ترحيل الرعايا السوريين بتهمة التخريب ضد النظام فى لبنـان[٣١]. وفى المقابل أصبحت لبنان بـؤرة للمعارضة المصرية. وتحت غطاء حرية العمل الصحافى والإعلامى نشـطت جماعة «مصر الحرة» التى أسسـها محمود أبو الفتح وراحت تكثـف دعاياتها ضد النظام المصرى، ومن بيروت أخذت هذه الجماعة تحرر مواد إذاعتها الموجهة إلى مصر[٣٢].

وقد أشـعلت تلك الأحداث الموقف بين الأطراف، وزاد من حدته حاله الشـك المرضى التى انتابت شمعون وجماعته نتيجة لسـيطرة ما يمكن أن يطلق عليها الشخصية المنقسمة علـى القيادات اللبنانية الحاكمة مـن الموارنة والتى وصلت إلى قناعة بأن لبنان وطنا قوميا ذات سـيادة وهو أقرب إلى الغرب المسـيحى منه إلى العالم العربى الإسـلامى، على حين تحمس مسلمو لبنان كثيرا وخاصة السنة منهم لعروبة لبنان مما أثر إلى حد كبير فى طبيعة فهمهم لسيادة البلاد. ولما كان مسلمو لبنان قد جعلوا من اتجاههم العربى نقيضا لانعزالية المسـيحيين – خاصـة الموارنة – فإنهم قد سمحوا لأنفسـهم بأن يقعـوا فى أيدى مختلف الأحـزاب العربية التى اسـتقطبتهم وجعلتهم بقصد أو بغير قصد أداة للتدخل فى الشـأن اللبنانى[٣٣]. وهذه الرؤية القاصرة لموقف الزعامات الإسلامية لم تعطها العذر فى ضرورة أن تسلح نفسـها بالالتجاء إلى القوى العربية والإسلامية لمناصرتها أسوة بالقوى المارونية التى كانت ترى القوة فى الدعم الخارجى خاصة من القوى الغربية.

والحاصل أن الأحداث بدأت تتصاعد، وحين تمت الوحدة بين مصر وسـوريا استبشـر القوميون العرب باعتبارها نواة للوحدة العربية الشـاملة. لكن شمعون استشـعر الخطر من دولـة الجوار الجديدة على الحدود فقد أصبـح عبد الناصر فى قلب الأحداث وليس بعيدا عنهـا. ورأى فيهـا أنصار التيار العروبى بأنها قد جاءت منقـذا لهم، واندفعوا من ثم فى إظهار مشـاعرهم المرحبة بالقادم الجديد. وقد اتضح هذا فى انطلاق المظاهرات التى عمت المـدن اللبنانية فى بيروت وطرابلس وصيدا ابتهاجا بالوحـدة وقائدها. ووقعت العديد من المصادمـات بين قوات البوليـس والمتظاهرين[٣٤]. وفى ٢٤ فبراير قـام عبد الناصر بزيارته

التاريخية لدمشق (عاصمة الإقليم الشمالى) لدولة الوحدة فأثارت زيارته حماسة غير متوقعة فى لبنان حيث عبر آلاف اللبنانيون الحدود إلى دمشق للانضمام إلى الجماهير السورية[٣٥] واستقبل عبد الناصر وفودا وشخصيات لبنانية[٣٦] كان على رأسها رشيد كرامى رئيس الوزراء السابق وأحد أقطاب المعارضة اللبنانية. وكذا وفد رابطة كبار العلماء فى لبنان وغيرهم من الساسة[٣٧]. كما رحبت الأوساط الشعبية والسياسية فى لبنان بالخطب التى ألقاها عبد الناصر فى دمشق وخاصة خطابه فى ٢٦ فبراير ١٩٥٨م والذى قال فيه «وبالنسبة للبنان فإن الجمهورية العربية المتحدة ستكون الدرع التى تقى لبنان من أى عدوان وأى تدخل أجنبى.. وأنا اعتقد أن لبنان سيكون دائما العون الأكيد للجمهورية العربية»[٣٨]. وأكد على نفس المعنى فى خطبته فى أول مارس ١٩٥٨م حيث ذكر «إننا هنا فى الجمهورية العربية نعتبر أنفسنا سندا لكم (أى لـلبنان) كما نعتبركم السند الأكبر لنا..»[٣٩] وفى خطابه فى ٢ مارس فى الوفود اللبنانية غمز ولز سياسات وممارسات كميل شمعون دون أن يصرح باسمه فقد قال. «لقد اعتمدوا على أعوان الاستعمار حتى يثيروا نعرات طائفية وإقليمية ليجعلوا الأمة العربية أجزاء متفرقة»[٤٠].

لقد أثارت خطب وتصريحات عبد الناصر مخاوف بعض الفئات اللبنانية خاصة الموارنة الذين اعتقدوا أن استقلال لبنان معرض للخطر[٤١]. وعمق هذا الخوف ردود الأفعال من بعض الزعامات التقليدية التى شاركت الجماهير فرحتها بما تم بين مصر وسوريا فقد صرح عادل عسيران رئيس مجلس النواب اللبناني وأحد زعماء المعارضة الشيعية «بأن لبنان سوف يسير فى الصف العربى وأن الذين يرون عكس هذا لا مكان لهم فى لبنان»[٤٢]. وقد سار على نهجة العديد من زعامات المعارضة من كافة التيارات مثل عبد الله اليافى وصائب سلام وهنرى فرعون[٤٣]. وكمال جنبلاط الذى اتهم الحكومة علنا بالعمالة للغرب وأنها إذا سارت على نهجها هذا «فإن الشعب سيفكر فى تأليف حكومة شرعية تقوم مقام الحكم الحالى الذى فقد مبررات وجوده»[٤٤].

لقد أصبح الموقف ينذر بحرب أهلية وبدأت الأقوال تتناثر والشائعات تنتشر عن رغبة شمعون فى تمديد رياسته لفترة ثانية مخترقا بذلك الدستور ويذكر أحد الساسة اللبنانيين فى لقاء معه «صحيح أنه لم يقل أبدا أنه يريد أن يجدد وكان حريصا على أن تبقى هذه النية موجودة فى نفسه وليس على لسانه»[٤٥]. وقد أثار هذا الموقف ردود أفعال غاضبة فى

الأوساط اللبنانية على كافة المستويات[٤٦] التى رأت فى وجود شمعون ومحاولته الاستمرار فى الحكم نوعا من التحدى «لتيار يصعب التصدى له» كما جاء فى الوثائق الأمريكية[٤٧].

وفى تلك الأثناء لم يدرك شمعون إدراكا جيدا لمدى حجم التحولات التى وقعت بالمنطقة خاصة فى أعقاب حرب السويس ١٩٥٦م؟ ظنا منه أن الارتماء فى أحضان الغرب أو الارتباط بالقوى الغربية الصاعدة ذات النمط الإمبراطورى والتى حلت محل الإمبراطوريات البائدة سوف يكفل له نوعا من الحماية غير واضع فى الاعتبار أن هذه القوى لها حساباتها التى لا تجعلها تغامر بما حققته من مكسب - ولو مرحليا - من أجل أن تفرض إرادة فرد أو جماعة على شعب معين بصورة فجة. فإذا كان شمعون قد أصابته عقدة الانقسام أو الخوف المرضى من التيار القومى العربى الذى اقترب منه، فإن واشنطن أيضا كانت تعانى من عقدة الخوف من انتشار المد الشيوعى الذى اختلط لديها بالمد القومى. قد يحدث أن تتلاقى المصالح أو الاهتمامات ولكن على القوى الصغرى ألا تركن إلى تأييد القوى الكبرى لها كلية.. فهذه القوة تحكمها محددات واعتبارات تجعلها غير قادرة على المواجهة المباشرة وهو ما لم يدركه الحكام أو القائمون على الأمر فى بعض الدول الصغرى. ويبدو من ظاهر الأحداث أن شمعون ظن دون أن يدرى بأنه بارتدائه لباس الفارس المدافع عن المصالح الغربية فإن الولايات المتحدة سوف تجهر بمساندته دون أدنى تردد.

على كل حال، فى صبيحة يوم ٨ مايو كان مقتل الصحفى المارونى نسيب المتنى صاحب الصحيفة البيروتية العربية «التلغراف» بمثابة الشرارة التى أشعلت الحرب الأهلية. وكان المتنى قد اشتد فى نقده لشمعون وحكومته ونادى بتقوية علاقات لبنان مع الجمهورية العربية المتحدة، وحين قتل وجد فى جيبه مجموعة رسائل غير موقعة تحمل تهديدا بالقتل إذا لم يتوقف عن معارضته لشمعون وحكومته. وقد أشعل مقتله الموقف إذ ألقت المعارضة تبعة ما حدث على أعوان الحكومة ودعت إلى إضراب عام إلى أن يستقيل شمعون[٤٨]. وفى صبيحة اليوم التالى لم يتوان راديو القاهرة عن الإشارة «إلى أن دماء نسيب المتنى سوف تكون بمثابة الشرارة التى تضىء شعلة الحرية فى لبنان»[٤٩].

وإزاء هذا الموقف المتأزم اندفع كميل شمعون إلى طلب الولايات المتحدة بالإسراع إلى التدخل لإنقاذه بمقتضى مبدأ أيزنهاور وهنا وجد صانع القرار الأمريكى نفسه فى حيرة وكان أصدق تعبير على هذا ما ورد فى يوميات أيزنهاور فقد قال «إن ما أقدم عليه شمعون

من محاولة الترشيح لمدة ثانية يعد خرقا للدستور»[٥٠]. وبرغم اقتناع صانع القرار الأمريكى بهذا إلا إنه كان عليه أن يواجه اختبارا صعبا بالنسبة لتفعيل مبدأ أيزنهاور. وهنا كانت المعضلة التى كانت على الإدارة الأمريكية أن تواجهها[٥١].

وطبقا لأوراق جون فوستر دلاس التى هى فى غاية السرية المودعة فى مكتبة أيزنهاور فإن دلاس من خلال عقليته القانونية وخبرته فى التعامل مع النصوص أبدى لأيزنهاور تحفظا على دعوة كميل شمعون للتدخل العسكرى الأمريكى - انطلاقا من مبدأ أيزنهاور - ذلك أن تفعيل المبدأ من وجهة نظره يستلزم اتضاح قيام الجمهورية العربية المتحدة بالعدوان على لبنان وارتباط هذا بوقوعها تحت سيطرة الشيوعية الدولية وهو مالم يثبت[٥٢]. ومن هنا كانت الإدارة فى حيرة من أمرها على حد قول المحلل والخبير الاستراتيجى «جون كامبل»[٥٣] «حقيقة إن مبدأ التدخل العسكرى كان يراود صانع القرار فى واشنطن - الذى أصبح يرى الشرق الأوسط دومينا أمريكيا خاصة بعد أزمة السويس ١٩٥٦م - لردع المارقين وطمأنة الأصدقاء من المقربين، إلا إنه حدد بصورة واضحة شروط وطبيعة مهام هذه القوات فى حالة إرسالها. وقد اتضح ذلك فى تعليمات غاية فى السرية التى أرسلها دلاس إلى سفيره ماكلنتوك McClintock فى بيروت فى ١٣ مايو ١٩٥٨م والتى انحصرت فى نقطتين: (أ) حماية أرواح الرعايا الأمريكيين والحفاظ على ممتلكاتهم. (ب) مساعدة حكومة لبنان فى برامجها العسكرية من أجل الحفاظ على استقلاله وسيادته والحفاظ على وحدة أراضيه»[٥٤].

وهذا التحديد الواضح للمهام التى يمكن أن تؤديها القوات الأمريكية فى حالة إرسالها إلى لبنان أفرغ هذا العمل من مضمونه وكان يدل على رغبة واشنطن فى عدم التورط العسكرى بالانسياق وراء إندفاعات شمعون وخوفه، وكذا تجنب محاولات بريطانيا لتوريط الولايات المتحدة فى عمل عسكرى فى المنطقة انتقاما لما حدث فى السويس[٥٥].

إن هذه التعليمات السابق الإشارة إليها والتى أرسلت إلى السفير الأمريكى فى بيروت كانت محصلة ما تم فى اجتماع على مستوى عال برئاسة أيزنهاور نفسه ضم وزير الخارجية ومدير المخابرات المركزية CIA ورئيس هيئة أركان الحرب العليا، وقادة الأسلحة، ومساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الأدنى لمناقشة الأزمة اللبنانية.

وقد حذر دلاس أثناء استعراضه للموقف بصورة واضحة من مغبة الإقدام على عمل عسكرى لحل الأزمة وحدد هذه المحاذير فى قوله «إنه فى حالة دخول قواتنا إلى بيروت سيكون من الصعب علينا أن نسحبها بصورة مقبولة، وكذا إن الإقدام على هذه الخطوة

سوف يترتب عليه ردود أفعال عنيفة ضد الغرب من قبل سكان المنطقة ويعد تكرارًا لأخطاء بريطانيا وفرنسا فى أزمة السويس»، وأكثر من هذا فإن دلاس نبه إلى خطورة احتمال مواجهة حظر بترولى نتيجة لاحتمال وقوع أعمال تخريب ضد أنابيب البترول المارة عبر الأراضى السورية ومن المحتمل قيام مصر بإغلاق قناة السويس فى وجه السفن الأمريكية والبريطانية. وأكثر من ذلك أن هذا التدخل سوف ينتج عنه سقوط النظم الحاكمة فى العراق والأردن نظر لارتباطهما بالغرب».

وإمعانا فى إيضاح الموقف للمجتمعين وردا على ما طرح من تساؤلات عن موقف الحكومات العربية فإن دلاس من خلال موقعه أشار إلى نقطة هامة وهى «ازدواجية المعايير لدى الحكام العرب فهم سرا يتفقون على أشياء معنا.. ولكن علنا يقومون بأشياء مغايرة».

وأكثر من هذا فإن دلاس أخبر المجتمعين ووافقه أيزنهاور بأنه لابد من إبلاغ كميل شمعون بأنه «فى حالة تدخلنا لا يعنى هذا مساندته وتأييده للرئاسة لفترة ثانية». لقد كانت إدارة أيزنهاور تبحث عن مخرج للموقف وبدأت تطرح العديد من البدائل. فمثلا هل يتم إرسال القوات الأمريكية تفعيلا لمبدأ أيزنهاور أم يكون العمل تحت مظلة الأمم المتحدة (٥٦).

لقد كشفت هذه المواقف أن الأزمة خرجت من النطاق المحلى والإقليمى إلى النطاق العالمى والكل يبحث عن مخرج لتنفيذ أهدافه. فقد أرادت الولايات المتحدة أن تحافظ على الميراث الإمبراطورى للقوى الغربية القديمة بتدعيم العناصر ذات الارتباطات المصلحية مع الغرب وعدم التخلى عنهم أمام الطوفان الكاسح للمد القومى العربى الذى أصبح مهددا للجميع وأن عليها أن تشعر الاتحاد السوفيتى ومن يلوذون بفلكه بأن لديها القدرة على الردع والمواجهة. وفى نفس الوقت كان عليها الحفاظ على مكتسباتها التى حققتها أثناء أزمة السويس بين شعوب المنطقة غير كاشفة عن الوجة الكريه للماضى الاستعمارى الذى لم يكن مقبولا لدى سكان المنطقة بعدم الانزلاق إلى مغامرة عسكرية قد تكلفها الكثير مما كسبت. كل هذه المتناقضات كانت تواجه صانع القرار فى واشنطن الذى سعى ولو ظاهريا إلى البحث عن وسيلة تضفى على ما يدور فى خلده نوعا من الشرعية لما قد يقدم عليه.

وقد وصل الموقف إلى حالة من الغليان وأصبحت الحرب الأهلية واقعة لا محالة. وقد اتهم كمال جنبلاط، الزعيم الدرزى ورئيس الحزب التقدمى الاشتراكى اللبنانى فى مؤتمر صحفى، الحكومة بإثارة الفتنة لحساب الاستعمار، وأنذر جنبلاط الحكومة بأنه

«إذا استمرت الحالة على ما هى عليه فستصبح السلطة – نتيجة لذلك – غير شرعية وغير دستورية. وقال أيضا «إن القضية ليست قضية تجديد الرئاسة أو عدم تجديدها وإنما هى قضية الخلاص من الحكم القائم.. والخلاص من الفتنة التى تدبر للبلاد»[٥٧].

عمت المظاهرات جميع أنحاء لبنان وأدت الاضطرابات المستمرة والموقف الخطير إلى قيام قوات الأمن بإطلاق النار على المتظاهرين واعتقال الكثير من الأهالى[٥٨]، وقيام الحكومة بفرض حظر التجوال من الساعة السادسة والنصف مساء[٥٩]، وأمر شمعون بإلقاء القبض على كمال جنبلاط زعيم الدروز محملا إياه مسئولية تردى الأوضاع فى منطقة جبل الدروز[٦٠]. وبدأ نطاق الاشتباكات المسلحة يتسع مع تراشق الاتهامات بين المعارضة والحكومة، وزاد الموقف اشتعالا تسرب الأنباء عن زعم كميل شمعون طلب المساعدة من الولايات المتحدة للتدخل فى حالة إحساسه بالعجز عن مواجهة الموقف المتردى[٦١].

لقد أصبح الموقف خطيرا بالفعل. وفى واشنطن بدأت التقارير المخابراتية تتوالى، تحمل فى طياتها اتهامات للجمهورية العربية المتحدة بالتدخل فى الشأن اللبنانى محملة وزير داخلية الإقليم الشمالى عبد الحميد السراج مسئولية التحريض والتخطيط لإحداث اضطرابات فى لبنان، بل أكثر من هذا فإن أحد هذه التقارير الصادرة يوم ١٤ مايو أفاد «باشتراك عناصر سورية ومصرية فى الاضطرابات التى وقعت فى لبنان، وقيامهم بأعمال عنف ضد قوات الأمن». وفى تقرير آخر فى نفس اليوم وجهت أصابع الاتهام إلى كمال الدين رفعت – وكيل وزارة شؤون رئاسة الجمهورية فى الجمهورية العربية المتحدة – بالإشراف على القيام بنشاط تخريبى فى الدول العربية وقيادة العمل السرى لإحداث اضطرابات فى لبنان، «وقد أفاد تقرير صادر فى يوم ٢٠ مايو بدعم وتسليح مصر لعناصر من العمال اللبنانيين للقيام بنشاط هدام ضد النظام القائم فى لبنان»[٦٢]، ونتيجة لهذا لم يتوان دلاس فى محادثة تليفونية مع المندوب الأمريكى فى الأمم المتحدة عن اتهام الجمهورية العربية المتحدة بالعمل هناك فى لبنان. It is a fact that the UAR is operating there[٦٣].

وكعادته فى الأزمات فإن جون فوستر دلاس انطلاقا من نظرية حافة الهاوية فاجأ الجميع فى ٢٠ مايو ١٩٥٨م بقوله «إن الموقف لا يستدعى تدخل القوات الأمريكية فى لبنان»[٦٤]. لقد قصد بهذا أن يهدىء الموقف ظنا منه أن بهذا التصريح سوف تتوقف عن الهجوم على شمعون، أو أنه أراد أن يدفع بعبد الناصر إلى إيقاف دعمه للمعارضة اللبنانية.

وكذا ربما أراد أيضا أن يجهض محاولات إسـرائيل للتدخل مناصرة لشمعون حيث أكدت مصادر المخابرات المركزية (CIA) عن وقوع اتصالات بين إسرائيل وشمعون فى هذه الآونة. «وتحفز بن جوريون للتدخل»[٦٥]. لقد أدرك صانع القرار فى واشـنطن خطورة ما تفكر فيه إسرائيل مدركا أنه فى حاله تدخل إسرائيل أثناء الوجود العسكرى الأمريكى فإن الأخيرة سـوف توصم بوصمة تكون بمثابة إجهازا على اسـتراتيجيتها الجديدة وإهدارا لمكتسباتها فى المنطقة.

إن هذا الموقف من جانب واشـنطن من الإعلان إلى الإحجام وإحسـاس شمعون بالخطر الذى يحدق به دفعه إلى تقديم شكوى إلى الجامعة العربية ذرا للرماد فى العيون، وفى نفس الوقت تقدم بشـكوى إلى الأمم المتحدة كمبرر للتدخل الأمريكى تطبيقا للمادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة[٦٦]، وكان أيضا تمشيا مع رغبة أيزنهاور الذى كان يرى على حد قول نائب وزيـر الخارجية الأمريكى هارتر «ضرورة العمل من خلال الأمم المتحدة وميثاقها»[٦٧] وبهذا انتقلت القضية من النطاق الإقليمى إلى النطاق العالمى.

وفـى مجلس الأمن اتهم وزير خارجية لبنان شـارل مالـك الجمهورية العربية المتحدة بالتدخل القوى غير المشروع والذى ليس له ما يبرره فى شؤون لبنان وذلك عن طريق تزويد المتمردين بكميات ضخمة من السـلاح وتدريب (الإرهابيين) واستعمالهم بصورة غير مباشرة وشـن الحملات الصحافيه والإذاعية المعادية[٦٨]. وعلى نفـس النهج حمل مندوب العراق فاضل الجمالى. وحده من ممثلى الدول العربية (عبد الناصر) مسـئولية تدهور الأوضاع فى الشرق الأوسط متهما إياه بالرغبة فى (السيطرة على دول المنطقة)[٦٩].

ورغبـة فى نزع فتيل الأزمة وقـف الرئيس أيزنهاور إلى جانب لبنان فى عرض القضية على مجلس الأمن بدلا من الجمعية العامة[٧٠] على عكس موقفه أثناء أزمة السويس[ ].

ولكن ماهى الأسباب التى دفعت بواشنطن إلى تبنى هذا التكتيك؟

مـن الواضح أن الموقف كان مختلفا فالدول الغربية دائمة العضوية بمجلس الأمن كانت فى هذه المرة شـبه متفقة فى رؤيتها للحدث عكس الوضع أثناء أزمة السـويس. يضاف إلى هذا أن طرح القضية على المجلس سوف يجنب بعض الأنظمة العربية من أعضاء الجمعية العامة الحرج أمام شـعوبهم[٧١]. وكذا فإن عرض القضية على الجمعية العامة سوف يعطى الفرصة للاتحاد السـوفيتى لمارسـة دوره فى قيادة دول العالم الثالث فى مواجهة التكتل

الغربـي مما يكشـف عن حقيقة نوايا الغرب أمام شـعوب العالم الثالـث. كما أن طبيعة عضويـة مجلس الأمن القاصرة علـى عدد محدد من الأعضاء يعطى للولايات المتحدة فرصة أكبر للمناورة وممارسـة الضغوط على بعض الدول من الأعضاء غير الدائمين بالمجلس وهو ما اتضح من موقفهم مع اليابان[٧٢] وكذا السويد[٧٣].

وبعيدا عن أروقة الأمم المتحدة ومحاولة كسب تأييد دولى وشرعية لمواقف حكومة لبنان وشمعون فإن واشـنطن كعادتها فى الأزمات لجأت إلى الدبلوماسـية التحتية The Covert Diplomacy لإقناعها بأن الحل برغم صعوبته يقع بيد عبد الناصر الذى أثبتت التجارب والأيام قدرته على أن يسيطر على مثل هذه المواقف[ ]. وهو ما اتضح فى المحادثة التليفونية التى دارت بين المندوب الأمريكى بالأمم المتحدة هنرى كابوت لودج ووزير الخارجية دلاس. فقد قال لودج «علينا الوصول لعبد الناصر حتى يستطيع أن يتوقف عن النباح فى لبنان وأن كلمة واحدة منه تكفى لتهدم كل ما هو قائم»[٧٤].

وبدأت الدوائر الحاكمة فى واشـنطن تعيد حسـاباتها وتحاول من خلف الستار التلويح لعبـد الناصر بإمكانيته تحسـين علاقته مع الغرب فى فترة شـهدت فتورا فى علاقته مع الإتحاد السـوفيتى[٧٥] مسـتخدمة فى ذلك - إلى حد ما - سياسة العصا والجزرة وإن كانت فى هذه المرحلة أميل إلى الأخيرة منها إلى الأولى[٧٦]. أما عبد الناصر فقد أبدى نوعا من المرونة التى لا تتعارض مع أهدافه والتى استطاع من خلالها أن يثبت للغرب أن مصر عبد الناصر هـى القادرة على قيادة المنطقة وليس العراق نورى وجيله من قدامى السياسـة ومن يتحلقون حوله. وقد اتضح فيما يشـبه الصفقة المحددة البنود والنقاط التى عرضها عبد الناصر على الجانب الأمريكى بأنه فى إمكانه أن يستغل نفوذه من أجل إنهاء الاضطراب والسيطرة على المعارضـين (الخارجيين) فى مقابل: (أ) أن ينهى شمعون دورته الرئاسـية، (ب) أن يتم تعيين فؤاد شـهاب رئيسـا للجمهورية و (ج) إصدار عفو شامل عن المعارضة اللبنانية[٧٧]. وإثباتا لجديته فإن عبد الناصر قد بدأ يوفى بالتزاماته كما اتضح فى تقرير غاية فى السرية من المخابرات العسكرية الأمريكية إلى رئيس هيئة الأركان أفاد «بأن عبد الناصر قد بدأ يغل يده عن مساعدة المعارضة اللبنانية وكذا أوقف أعمال التسلل عبر الحدود»[٧٨].

ولكن إذا كان عبد الناصر قد بدأ يبدى حسـن نواياه من أجل التغلب على الأزمة فهل كانـت واشـنطن - برغم قناعتها بإمكانية الحل عن طريـق مصر - قانعة بهذا؟ وهل كان لديهـا بدائل تحاول أن تسـتخدمها فى هذه المرحلة - خاصـة وأنها كانت دائما ترى أن

شمعون بتفجير الأزمة فى هذه الآونة قد دفع بنفسه وربما بالغرب إلى السباحة ضد التيار.

فما هو البديل؟ هل تركن إلى تعهدات عبد الناصر أم عليها أن تبحث عن بدائل تلجأ إليها كعادتها فى الأزمات..؟

لقد فكرت واشنطن فى إمكانية مشاركة العراق وتركيا لاعتبارات جغرافية وتاريخية فى عمل عسكرى – فى حالة وقوعه – تحت مسمى قوات مشتركة Mixed Forces [٧٩]، وبالتالى تتجنب واشنطن العديد من المحاذير التى قد طرحت من قبل وتؤكد لمن يسيرون فى فلكها عن استعدادها للدعم تحت أى مسمى أو تحت أى شكل من الأشكال فى حالة فشل دبلوماسيتها التحتية أو فى حالة عجز المنظمة الدولية عن تحقيق أهداف واشنطن وشمعون. ورغما عن هذا الطرح الخاص بمشاركة تركيا والعراق فى حالة التدخل العسكرى فإن واشنطن منذ البداية كأحد ثوابت سياستها[ ] استبعدت إمكانية التدخل البريطانى وكذا الفرنسى، وهو ما اتضح من خلال المحادثة التليفونية التى دارت بين دلاس وأيزنهاور فى ١٥ يونيو ١٩٥٨م[٨٠]، فلم تكن ذكريات السويس ببعيدة. وكان صانع القرار الأمريكى مدركا خطورة العمل جنبا إلى جنب مع قوى فقدت مكانتها فى المنطقة وأن كل ما تحاوله أن تجد ثغرة للولوج إلى قلب الأحداث لتستعيد مكانتها[٨١].

وبعيدا عن مراكز صناعة القرار وبالعودة إلى مجلس الأمن فإنه قد صدر قرارا بتشكيل لجنة مراقبة تابعة للأمم المتحدة فى ١١ يونيو، وإرسالها إلى لبنان للتأكد من عدم تسلل المقاتلين وتهريب السلاح حسب ادعاءات لبنان. وجاءت تقارير اللجنة وكذا تقرير السكرتير العام للمنظمة الدولية داج همرشلد مخيبة لآمال شمعون[٨٢] وقد وضح هذا فى تصريحاته لمراسل الديلى نيوز اللندنية[٨٣]، ففى ٨ يوليو ١٩٥٨م صرح كميل شمعون للمرة الأولى بأنه سيستقيل حين تنتهى فترة رئاسته فى ٢٣ سبتمبر١٩٥٢م[٨٤]، فبدأ الموقف مبشرا بانفراج وكان أصدق تعبير عن هذا ما كتبه مراسل الإيكونوميست (Economist) اللندنية «من أن المعارضة وأنصار الحكومة قد تعبوا من هذه اللخبطة والتخبط وأن الحل لن يتأتى إلا منهم»[٨٥].

غير أن الأزمة بدأت تدخل فى منعطف خطير فى ١٤ يوليو مع وقوع ثورة العراق الدامية[٨٦]. وقد بدا لدى واشنطن إحساسا بأن اللجوء إلى الدبلوماسية التحتية والبحث عن حلول وسط يؤدى إلى تناقضات والتناقضات تؤدى فى النهاية

إلى صراعــات، فــإن لم يتم التنفيس عن هذه الصراعات بــأى صورة من الصور فإنها تؤدى إلى إحباطات. لقد بدا لهم الموقف – فى الغرب – فى هذه المرحلة بأنه أشـبه بأزمة ميونخ Munich ١٩٣٨م.

وأمام تطور الأحداث ونتيجة لاشـتعال الموقف فى العراق صرح أيزنهاور بأن (انقلاب) العراق من صنع العناصر المتحمسة للجمهورية العربية المتحدة وأن لبنان غير قادر على أن يقــف فى مواجهة الضغوط التى تمارس عليه دون مســاعدة ودعم من الدول الصديقة»[٨٧]. خاصة وأن كميل شمعون قد توجس خيفة من مصير الأســرة المالكة فى العراق واســتدعى سفراء بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة كلا على حده وطالبهم بالتدخل السريع مؤكدا أنه سيقتل إذا لم يحدث تدخل خارجى خلال ٤٨ ساعة وأن لبنان سيتحول إلى دولة تدور فى فلك مصر[٨٨]. وعلى إثر هذا بدأت الولايات المتحدة تســتعد لإرســال قوات إلى المنطقة ذلك أن الموقف لم يعد يتعلق بلبنان بقدر ما أصبح يتعلق بأصدقاء الولايات المتحدة فى المنطقة، ومصداقية واشــنطن فى الوفاء بالتزاماتهــا، وأهمية لبنان التى حظيت بمكانة متميزة لدى صانع القرار فى واشــنطن. وطبقا لما دار فى إجتماع مغلق بين رأس الإدارة ومنفذ السياســة الخارجية، وضع دلاس تصنيفا لأهمية بلدان المنطقة طبقا لمعايير الاســتراتيجية الأمريكية «جاءت لبنان وإســرائيل فى المرتبة الأولى، يليهما مناطق البترول حول الخليج الفارسى[٨٩] فــى المرتبة الثانية». وهــذا التصنيف والترتيب للأهمية يعكس بلا شــك حالة الفزع التى أصابت واشنطن من جراء ما وقع فى العراق فى ١٤ يوليو وخوفها من أن يمتد أثره إلى لبنان فــى المقام الأول وكذا الأردن. وفى الاجتماعات التى جمعت بين أركان الســلطة التنفيذية وقيادات الســلطة التشريعية فإن آلان دلاس مدير وكالة المخابرات المركزية CIA أكد «بأن زيارة عبد الناصر الأخيرة لموسكو ووجوده فى يوجسلافيا يدل دلالة واضحة على دور هذه القوى فيما يحدث بالمنطقة»[٩٠].

ولم يعد لدى إدارة أيزنهاور مايجعلها تتردد هذه المرة أو أن تعيد حساباتها فلقد فرض الموقف نفسه عليها وعلى المنطقة فانتقلت من مرحلة الإحجام إلى الإعلان تطمينا للأصدقاء وإرهابا للمارقين والأعداء. وهكذا وفى الرابع عشــر من يوليو أمرت إدارة أيزنهاور ١٤ ألفا مــن الجنود الأمريكيين بالتوجه إلى لبنان. وبناء على أوامر من الرئيس أيزنهاور شــخصيا بوصفه القائد الأعلى للقوات المسلحة الأمريكية[٩١]. وفى اجتماع ضم إدارته فى اليوم نفسه

تمت مناقشة الدوافع والأسباب التى أدت إلى الإقدام على هذه الخطوة وكان مبرره أنه فى حالة التقاعس عن القيام بها فإنه من المنتظر حدوث النتائج الآتية :

١ - استيلاء عبد الناصر على المنطقة ككل.

٢ - ستفقد الولايات المتحدة مناطق النفوذ والمكانة التى تتمتع بها بين الدول العربية الشرق أوسطية وهذا سوف ينسحب على المنطقة ككل وسوف يترتب عليه أيضا تعرض قواعدنا للخطر».

٣ - إن ما أقدمت عليه الولايات المتحدة من تعهدات لدول المنطقة سوف يكون موضع تساؤل بين سكانها فى حالة عدم الوفاء بها «مما سيفقدها لمصداقيتها أمام العالم»[٩٢].

ولتحديد مهام وطبيعة هذه القوات أوضح دلاس لوزير الخارجية البريطانى - أقرب الحلفاء للولايات المتحدة - سلوين لويد «بأن هذه العملية محددة المدة»، وأن هدف الولايات المتحدة منها هو «عدم فقدان أصدقاؤنا ثقتهم فينا»[٩٣] هذا التوضيح والتكرار على المستوى الداخلى والخارجى لأسباب الإقدام على إرسال قوات أو اللجوء إلى ما يعرف بالتهديد باستخدام القوة The gun boat Diplomacy، واستعراض القوة Show Force[٩٤].

ورغما عن كل هذا فإن رأس الإدارة الأمريكية كان على يقين بأن الولايات المتحدة تسبح ضد التيار بتحالفها مع بعض الأنظمة. بينما شعوب المنطقة قد التفت حول عبد الناصر وتحلقت من حوله The People one Nasser's side[٩٥]. ومن هذا المنطلق بدأ البعض يطرح على أيزنهاور إمكانية «مقابلة عبد الناصر لاحتواء الأزمة»، إلا أن دالاس وزير خارجيته ومستشاره السياسى الأول لم يحبذ الفكرة بحجة أن هذه المقابلة لن تغيره وستؤدى إلى تضخيم دوره[٩٦].

على كل حال، لقد تفاوتت ردود الأفعال لعملية الإنزال الأمريكى بين مؤيد ومعارض فقد رحبت معظم القيادات المسيحية اللبنانية بهذا التدخل، وتحفظ البعض منها خشية مغبة الانتقام من جانب المسلمين على حد قول مورفى المبعوث الأمريكى[٩٧]. وفى المحيط العربى خاصة فى السعودية وليبيا أفادت التقارير المرسلة إلى رئيس هيئة الأركان (JCS) بتوزيع منشورات ضد الولايات المتحدة وشركة آرامكو بين الحجاج فى الحجاز وكذا فى المنطقة الشرقية «حيث مناطق البترول»، كما أفادت أحد التقارير الواردة من ليبيا «أنه ليس من المستبعد حدوث محاولة انقلاب فيها بدعم من مصر»[٩٨].

ولكن من الملاحظ طبقا للوثائق الأمريكية أن ردود أفعال وسائل الإعلام المصرية التزمت بسياسة ضبط النفس وعدم إطلاق التصريحات النارية ضد الإنزال الأمريكى فى لبنان. وكان تفسير دوائر صنع القرار فى واشنطن لهذا الموقف بأن الشارع المصرى ووسائل الإعلام يخضعان لرقابة وتوجيهات أجهزة الحكم بصورة واضحة[٩٩]. وكان أوضح مثال على ذلك خطب وتصريحات عبد الناصر فى تلك الآونة التى خلت من الهجوم على الولايات المتحدة بصورة مباشرة مكتفيا بتذكير الولايات المتحدة بماضيها وصورتها لدى العالم، ففى خطابه فى ٢٢ يوليو ١٩٥٨م طالب الولايات المتحدة أن لا تنسى تاريخها وثورتها ومنطقها والمبادئ التى نادى بها ويلسون، ولاتنسى أيضا أن الشعب الأمريكى حارب الاستعمار كما حاربناه ليحصلوا على الإستقلال.. ولكنهم ينكرون أيضا حقنا فى أن نرفع مستوانا كما رفعوا مستواهم»[١٠٠]. وهذا الموقف من عبد الناصر يدل على قدرته على استيعاب الموقف ومحاولة كسب الولايات المتحدة إلى جانبه، وعدم معاداتها بصورة فجة فى فترة شهدت فتورا فى علاقته مع الإتحاد السوفيتى. يضاف إلى هذا رغبته فى عدم الدخول فى معركة لا طائل منها بإثارة أجهزة صنع القرار الأمريكى ضده فى وقت كانت الصورة فيه غير واضحة بالنسبة للموقف العربى والعالمى. فالعراق صورته لم تكن واضحة لديه، والوحدة مع سوريا فى بدايتها، وعلاقته بالأردن فى أسوأ حالتها، وصداقته مع السعودية ظاهرها غير باطنها وكان الخوف والحذر طابعها. غير أن ناصر كان يتمتع بتأييد الشارع العربى وهو ما كانت تدركه واشنطن وما كان يعيه هو من جانبه.

وعلى جانب آخر فإن واشنطن أرادت أن تهدئ الموقف بإرسال مبعوث على مستوى عال إلى لبنان غير مكتفية بدور سفيرها فى بيروت[ ] ولم يكن اختيار المبعوث اختيارا عشوائيا فقد تم إرسال روبرت ميرفى Murphy مساعد وزير الخارجية لشؤون المنظمات الدولية ورجل المهام الصعبة إلى لبنان لسابق خبرته فى التنسيق بين العسكريين والدبلوماسيين[١٠١]، فضلا عن أنه كاثوليكى المذهب[١٠٢] مما يؤهله للاتصال بالقيادات الدينية ذات التأثير على القيادات السياسية من أبناء ملته. لقد أرادت الولايات المتحدة بإرسالها ميرفى أن تعطى انطباعا خاصة للمعارضة بأن الولايات المتحدة لا تفضل الحل العسكرى وأنها أميل إلى اللجوء للتفاوض والحوار حتى تنقشع الأزمة. وقد سعت السياسة الأمريكية فى هذه المرحلة إلى تضيق نطاق العمل العسكرى مكتفية بالالتزام بمبدأ استعراض القوة[١٠٣] الذى تردد فى أكثر من مناسبة وكان دافعها إلى هذا عدة اعتبارات:

إيمان صانع القرار فى واشنطن بعدم جدوى مثل هذه الخطوة، ووضوح معارضة دول حلف شمال الأطلنطى لتوسيع نطاق العمليات العسكرية، فضلا عن «عدم تحمس سكان المنطقة وخاصة العراقيين منهم» لمثل هذه الخطوة[١٠٤]. كما أبدت السعودية - الدولة ذات العلاقة الخاصة مع الولايات المتحدة - نوعا من المعارضة للمطالب الأمريكية فى إمكانية استخدام قاعدة الظهران فى العمليات العسكرية، وكذا أجواء المملكة فى الطيران[١٠٥].

وهنا بدأ صانع القرار فى واشنطن يدرك أنه عليه عدم الانزلاق إلى مستنقع الصراعات الداخلية فى المنطقة وعليه أن يغلب العمل الدبلوماسى على العمل العسكرى خاصة وأن أجهزة قياس الرأى الأمريكى فى المنطقة العربية أثبتت معارضة القواعد الشعبية - فى البلاد العربية المحافظة خاصة فى السعودية والكويت - «لعمليات التدخل العسكرى الأمريكى فى لبنان والبريطانى فى الأردن»[١٠٦]، فقد كان على واشنطن أن تسعى لإيجاد حل دبلوماسى للأزمة يحفظ لها ماء الوجه. وعلى هذا بدأ ميرفى ينشط فى الاتصال بزعماء المعارضة وأيضا بشمعون للتوصل إلى تسوية سلمية تلبى مطالب كافة الأطراف بصورة أو بأخرى وأن تقلل من الآثار الجانبية السلبية لعملية التدخل[١٠٧].

وفى الحادى والثلاثين من يوليو انتخب البرلمان اللبنانى العماد فؤاد شهاب قائد الجيش ليخلف شمعون بأغلبية ٤٨ صوتا من مجموع ٦٦، وطبقا لميرفى فإنه «قد قبل المنصب كنوع من الحل الوسط لضمان الأمن والسلام فى لبنان»[١٠٨]. ورحب عبد الناصر بانتخاب شهاب وأبدى رغبته فى بناء جسور من الصداقة والتعاون معه من أجل الحفاظ على استقلال لبنان[١٠٩]. كما أبدى دلاس ارتياحه برغم تحفظه على علاقة شهاب بعبد الناصر[١١٠]. وهكذا بدا الأمر وكأن الأزمة قد انقشعت على كافة الأصعدة. فمع وصول شهاب للسلطة بدأت لبنان صفحة جديدة فى تاريخها وكان أصدق تعبير عن انتخاب شهاب ونهاية الأزمة - ولو مؤقتا - قول فؤاد شهاب «إننى لست الشخص الذى انتخبه اللبنانيون ولكنى أمثل رفضهم لانتخاب شخص آخر»[١١١].

وأكثر من هذا فقد وصلت الولايات المتحدة - طبقا لأوراق مجلس الأمن القومى - إلى قناعة بأنه عليها أن تعمل وتدعم تيار القومية العربية طالما أن هذا التيار لا يتعارض مع المصالح الأمريكية»[١١٢].

الخلاصة:

إن الأزمة اللبنانية أوضحت حقيقة هامة لا تزال قائمة حتى يومنا هذا وهى أن أزمات لبنان برغم مظهرها الداخلى إلا أن ارتباطاتها بالقوى الخارجية يلعب دورا واضحا فى تشكيلها. فقد جاءت أزمة ١٩٥٨ تعبيرا عن الصراع بين تيارين التيار العروبى والذى كانت تمثله مصر عبد الناصر ومن تحلق حوله من المتطلعين للتخلص من بقايا العهود القديمة من مسلمى لبنان الذين رأوا أنه منقذ لهم ومعيد لهم مكانتهم التى فقدوها على إثر الانتداب الفرنسى عليهم واستمر وزاد تعمقا مع استقلال لبنان، وزاد الأمر مع الميثاق الوطنى الهش، وبين التيار اللبنانى الشيفونى والذى تمثله الشخصية المنقسمة وكان كميل شمعون أصدق تعبيرا عنها - الذى أراد أن يبحر بلبنان إلى الغرب واجدا فيه المرفأ والمأمن لطموحاته وتطلعاته السياسية آنذاك. وصادفه الحظ بنزول الولايات المتحدة بكل ثقلها إلى معترك السياسة فى الشرق الأوسط مع إعلانها لمبدأ أيزنهاور ومن قبل دعمها وتأييدها لحلف بغداد الذى وجد فيه شمعون ضالته المنشودة والذى أراد من خلاله أن يدفع بالولايات المتحدة إلى أن تزج بنفسها إلى المنطقة. ولكن شمعون لم يضع فى ذهنه حقيقة هامة وهى أن الولايات المتحدة إن كانت رأت فيه حليفا أو صديقا يمكن استقطابه، إلا أن هذا لم يكن يعنى أن تخاطر بالانزلاق إلى عمل عسكرى تحت أى ظرف من الظروف وأن عليها أن تتوخى الحذر خاصة وأن الأدلة لم تثبت تهديد لبنان من قبل قوى شيوعية أو دولة تحت سيطرة الشيوعية.

ولم يدرك شمعون أن الولايات المتحدة لديها علاقات مصلحية مع دول المنطقة سواء من كان متماشيا معها أو من كان يأخذ نهجا معارضا لها مثل عبد الناصر الذى خرج بعد عدوان ١٩٥٦م ليؤكد زعامته لتيار القومية العربية فى المنطقة. ولم يدرك شمعون أن مناوراته التحتية ومحاولاته لاستقطاب بعض القوى لم تكن موضع ترحيب من واشنطن.

ورأينا أن الأحداث دفعت بالولايات المتحدة إلى التخلى عن الإحجام والتحول إلى الإعلان وذلك بعد وقوع ثورة العراق فى ١٤ يوليو ١٩٥٨م، فما كان منها إلا أن اندفعت بإرسال قواتها إلى الشواطىء اللبنانية رغبة منها فى تطمين الأصدقاء وإرهاب المارقين والأعداء. إلا أن هذا الإنزال لم يكن أكثر من «استعراض للقوة» وليس عملية عسكرية منظمة. ذلك أن صانع القرار فى واشنطن كان يدرك خطورة الموقف ولم تكن ذكريات

السويس ١٩٥٦ ببعيدة. وأثبتت استطلاعات الرأى قوة المعارضة اللبنانية ورغبة رجل الشارع والكثير من رجال الحكم والسياسة فى عدم افتئات شمعون على الدستور. لذا فإن الولايات المتحدة فى نفس الوقت بادرت بإرسال مبعوث على مستوى عالى لتدارك الموقف وجاء انتخاب فؤاد شهاب فى ٣١ يوليو كمثال على رغبة كافة القوى فى انتهاء هذا الصراع المنهك سواء للمعارضة أو لأنصار شمعون وكذا لقوى الخارج سواء من داخل المنطقة أو من خارجها. لقد اتضح من الأزمة أن اختبار مبدأ أيزنهاور لم يتعد كونه نوعا من استعراض القوة. وأن تيار القومية العربية وعبد الناصر لديه الحل.

إن تردد الولايات المتحدة وتخبطها فى بعض الأحيان دل على حقيقة هامة وهى أن بعض القوى المحلية قد تستغل هذا التخبط ربما لمصلحتها الشخصية أو تقنع نفسها بإمكانية الحل من خلال سياسة التهديد باستخدام القوة Gun Boat Diplomacy ولكن الأزمة أثبتت عكس هذا.

ولكن هل نجحت هذه السياسة التى لم تكن تتناسب مع الشرق الأوسط.. ربما قد تنجح فى أمريكا اللاتينية لأسباب خاصة وتاريخية ولكن بالنسبة للشرق الأوسط أثبت مبدأ أيزنهاور عجزه فى العديد من الأزمات وأثبتت الأزمة أن البعض من الحكام العرب يمارس لعبة السير على الحبل؛ ففى السر قد يعطى انطباعا لساسة الغرب بمواقف وفى العلن يصعب عليه مواجهة الشعوب.

إن الأزمة كشفت عن عجز النظم المحافظة على حماية نفسها دون دعم خارجى وأثبتت أن التيار القومى هو القادر على احتواء الأزمات وتفويت الفرصة على كافة القوى سواء كانت من الشرق أو من الغرب.

❑❑❑

الهوامش

(١) Florence Elliot Adictonoary of politics Penguin Reference Books 1961 PP 206 – 207; Yaacov Shimoni Political Dictionary of the Middle East in The Twentieth Century Jerusalem . 1972 P 234 – 237.

على الدين هلال: والأزمة فى النظام السياسى اللبنانى، الأزمة اللبنانية، معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة ١٩٧٨م، ص٣٣٤ – ٣٣٥.

(٠) تجيب هذه الدراسة على تلك التساؤلات اعتمادا على الوثائق الأمريكية المودعة بالأرشيف القومى الأمريكى NA وكذا الأوراق والوثائق المودعة بمكتبة أيزنهاور library D Eisenhower بالإضافة إلى خطب وتصريحات الرئيس جمال عبد الناصر وكتابات محمد حسنين هيكل وكذا أوراق الخارجية البريطانية F.O. ومذكرات الساسة والزعماء من المعاصرين سواء من العرب والأجانب بالإضافة إلى الدراسات التى تناولت الفترة.

(٢) Eveland American Failure in The M.East N.Y 1980PP248– Also se Copeland M.The game of Nations. NY 1969 PP 225 – 227

(٣) Longrigg S – Syria and Lebanon under the French Mandate Oxford Unv. Press 1958.PP 360 – 363;

على الدين هلال: الأزمة فى النظام السياسى اللبنانى. الأزمة اللبنانية، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٨م، ص ٣٣٤ – ٣٣٥ وكذا

Agwani The Lebanese Crisis of 1958 ،N. Y. Asian Publishing House 1965. P33

(٠) هذا ما تمسك به كميل شمعون فى إدارته للسياسة الخارجية اللبنانية أو معالجته لأزمات المنطقة العربية مع القوى الغربية وهو ما وضح فى موقفه أثناء أزمة السويس وماقبلها وما بعدها وتمثل هذا فى قبوله وترحيبه. بمبدأ أيزنهاور، فى المقابل إزاء تعسفه فى استخدام صلاحياته الدستورية بدأ الجانب المسلم يرنو ببصره إلى ضم لبنان وسوريا.

(٤) انظر عصام نعمان الكيان والنظام مشكلة عامة. دراسات عربية. السنة الخامسة. العدد ٦ إبريل ١٩٦٩م، ص ٢٤.

(*) نص الميثاق على «ضرورة أن يعترف المسيحيون بالفكرة العربية. وبحيث لا يطلب من لبنان أن يتبع سياسة عربية تتعارض مع مصالحه ووحدته الوطنية.

(٥) على الدين هلال: نفسه. ص ٣٣٧ – ٣٣٨.

(٦) N A R G 84. 783 A 21- 110 -1755 – From Am Em. B To Dept of State. 17 Oct -1955. Beirut

(٧) Ibid. Am Emb..B. To Dept of state 29 Mar 1956.

(٨) DD E. Library . Eisenhower papers Dulles .Herter Series. p. 3 – Memo for The President Eisenhower. March 28 – 1956 Top Secret.

يلاحظ أن هذا التوجه يتزامن مع فشل مهمة أندرسون المكوكية لفرض السلام أو تحقيق السلام بين مصر وإسرائيل. انظر محمد عبد الوهاب: عبد الناصر والسياسة الخارجية الأمريكية القاهرة ٢٠٠٧م.

(٩) Agwani. op cit . p 331 قدم عبد الله اليافى وصائب سلام استقالتهم من الوزارة احتجاجا على موقف شمعون.

(١٠) لمزيد من التفاصيل عن حالة العداء من قبل شمعون وجماعته تجاه عبد الناصر أثناء أزمة السويس ارجع إلى:

F.O 371L 1L118855- 119399 From F.O To: G.H. Middelton. Beirut Dec.81956-; see also: D.D E library . Eisenhower Diaries . Box No 21Staff notes No 62 -January 9- 1957.

عبر شارل مالك وزير خارجية شمعون عن كراهيته لعبد الناصر وحقده بقوله They have written Nasser off وأكد على نفس المعنى محمد حسنين هيكل، انظر العقد النفسية التى تحكم الشرق الأوسط القاهرة ١٩٥٨م، ص ٢٥ أيضا أحمد حمروش: عبد الناصر والعرب، الطبعة الأولى إبريل ١٩٧٦م ص ٤٥.

(١١) NARG 218 U S JCS Chainman File Admiral Radford 091 Lebanon 29 Nov. 1956 Intelligence Brief . Subject Trends and the emergency pattern in Lebanon .The Christians have looked with favor on a Friendly non Arab nations on its borders..

(١٢) وصف التقرير موقف لبنان فى الحرب العربية الإسرائيلية «بالموقف السلبى» In the Arab- Israeli War Lebanon Followed a passive role، تعددت مواقف الانحياز للغرب فى العديد من القضايا.ارجع إلى محمد حسنين هيكل: آخر ساعة ١٦ /١/١٩٥٧م فى مقالة بصراحة التى نشرتها آخر ساعة بعنوان «صباح الخير أيتها الأوهام».

(١٣) لمزيد من التفاصيل ارجع إلى محمد عبد الوهاب: موقف الولايات المتحدة تجاه الأزمتين الأردنية والسورية وأثرهما على علاقتهما بمصر ١٩٥٧م، سلسلة دراسات الشرق الأوسط ٩٧/ ١٩٩١ كذلك ارجع:

NA Dept of State 11728 Sent to Am. Emb Jidda 21 8.1957

(١٤) أحمد حمروش: عبد الناصر والعرب ص ٤٥٢ – ٤٥٣، أحمد عبد الرحيم مصطفى: أزمة ١٩٥٨م والتدخل الأمريكى فى لبنان ص ٦٠٣ – ٦٠٥، الأزمة اللبنانية معهد البحوث والدراسات العربية. القاهرة ١٩٧٨م.

(١٥) مقابلة مع السفير ريموند هير واشنطن ١٩٨٤م.

(١٦) لمزيد من التفاصيل حول هذه الشخصية المنقسمة «كميل شمعون»، ارجع إلى مايلز كوبلاند: لعبه الأمم (مترجم)، بيروت، ص ٢٤٥ – ٢٤٦.

Robert M. Haddad. Syrian Christian in Muslim Society an interpretation. Princeton University press 1970

أيضا أحمد عبد الرحيم مصطفى، المصدر نفسه، ص ٦٠١.

(١٧) D D E Library. Jackson papers Box10 No 63 – M East crisis Notes on a M. East Policy. " Assistant to the President "

(١٨) Agwani. Op cit. pp 332 – 333.

(١٩) القرية الإعلامية الإلكترونية ٢٠٠٠ ، ١٥ إبريل ٢٠٠٣م سيرة الانتخابات فى لبنان

(٢٠) Agwani. Op cit. P 333; and: Eveland Op cit. N.Y. 1980. P 266.

(٢١) Eveland . Ibid . P 266

(٢٢) Copeland Miles. The game of Nations. N. Y. 1969 . PP 226 – 227.

(٢٣) خليل صابات: الصحافة اللبنانية ودورها فى الحياة السياسية (معهد البحوث والدراسات العربية – الأزمة اللبنانية ص ٤٣٨.

(٢٤) Agwani . opcit . p 333

(٢٥) D.D. E Lib. Dept of state From Beirut Henderson to cec. Of State No 563 28 Aug. 1957 (Top secret).

(٢٦) أحمد حمروش: عبد الناصر والعرب ج ٣، ص ٤٥٤.

(٢٧) NARG 84. 774.11 L 730 -57 to Acting Sec. From R. Hugh. Intelligence Note: speech of president Nasser of Egypt on 26 July 1957 (secret).

(٢٨) الأخبار العدد ١٨٠٢، ١٧ إبريل ١٩٥٨م، ص ٤.

(٢٩) خليل صابات: المصدر نفسه، ص ٤٣٧ – ص ٤٤٠ كانت العبارة التى وردت «ليس عيبا فى الدستور ولكن فى القائمين عليه».

(٣٠) DDE Lib. Dept of state From Beirut To Sec of state No 563 . 28 Ag -1957 Top sec.

(٣١) أحمد عبد الرحيم مصطفى، الأزمة ١٩٥٨م والتدخل الأمريكى ٦٠٣ – ٦٠٤.

(٣٢) محمد حسنين هيكل: سنوات الغليان ج ١، ص ٣٢٠ القاهرة ١٩٨٨م. هذه المعلومات استقاها محمد هيكل من تقرير استماع صادر عن مصلحة الاستعلامات فى مصر.

(٣٣) SALibi. K.S. Crossroads to civil war: Lebanon 1958 - 1976) London 1976. pp 156 - 140.

(٣٤) مصر السياسية، عدد ١٧٠٥٦٥، ٦ فبراير ١٩٥٨م، ص ١

(٣٥) المصدر نفسه ١٧٠٨١، ٢٥ فبراير ١٩٥٨م ص١، قدرت جريدة الأخبار القاهرية أعداد الذين وصلوا من لبنان لدمشق بأكثر من ٣٠ ألف وقدرت عدد السيارات العابرة للحدود ٨٠٠ سيارة من سيارات وأتوبيسات لدرجة أنه قيل «إن بيروت انتقلت إلى دمشق»، الأخبار عدد ١٧٦٣، ٢ مارس ١٩٥٨م.

(٣٦) عبد اللطيف البغدادى: مذكرات عبد اللطيف البغدادى ج ٢، ص ٤٦ – ٤٧، القاهرة ١٩٧٧م.

(٣٧) مصلحة الاستعلامات: مجموعة خطب وتصريحات الرئيس جمال عبد الناصر القسم الثانى: فبراير ١٩٥٨م يناير ١٩٦٠م ص ٢٢، ص ٣٣.

(٣٨) مصلحة الاستعلامات: خطب وتصريحات، نفسه، ص ٢١ – ص ٢٢.

(٣٩) المصدر السابق، ص ٣٨ – ٣٩ (خطاب الرئيس فى الوفود القادمة من بعلبك والهرمل بلبنان.

(٤٠) المصدر نفسه، ص ٤٠ – ٤١.

(٤١) أحمد عبد الرحيم مصطفى: أزمة ١٩٥٨م، نفسه، ص ٦٥.

(٤٢) The Egyptians Gazette Cairo 5 March 1958

(٤٣) Agwani opcit p 335

(٤٤) مصر السياسية العدد ١٧١٠٣، ١٣ إبريل ١٩٥٨م ص ٢.

(٤٥) منـح الصلح: حرب لبنان ج ١البرامج المسـجلة، قنـاة الجزيرة – القطرية – ٢٠ – ٣ – ٢٠٠١.

(٤٦) لمزيد من التفاصيل ارجع إلى مصر السياسـية عدد ١٧٠٤٠، ٨ يناير ١٩٥٨م ص ٤، وكذا الاخبار العدد ١٨٠٥، ٢٣/ ٤/ ١٩٥٨م ص ٤.

(٤٧) DD E. Library Eisenhower Diary Ann Whitman File Dulles conv With Eisenhower 23.7.1958.

(٤٨) أحمد عبد الرحيم مصطفى، نفسه، ص ٦٥؛ محمد حسنين هيكل: سنوات الغليان، نفسه ص ٣٢٠ – ٣٢١.

(٤٩) Ag wani Popcit p 335.

(٥٠) The Eisenhower Diaries Ed by R Ferrell p 350 NY 1981.

(٥١) Campbell J Defense of the Middle East p 140 N.Y 1960.

(٥٢) D.D Eisenhower. Dulles papers , W H. Memo Series Box No 6W.H Meeting with president 13L6L 56 Memo of conv. Subject Lebanese Crisis May 13- 6- 58 Top secret.

(٥٣) Campbell J op cit pp 140 – 141.

(٥٤) NA. RG 59. 783 A. 005 -1358 From Sec of state To McClintock May 16. 58 Top secret.

(٥٥) Ashton Nigel Eisenhower Macmillan and the problem of Nasser. PP 153 – 155 Macmillan Press, 1996.

(*) ملاحظ أنه كان هنالك ثمة تعميم أنجلو – أمريكى على استبعاد الدور الفرنسى فى هذه الأزمة سواء فى مرحلة المشاورات أو مرحلة اتخاذ القرار انظر إلى:

DDE Lib Eisenhower papers Memo of Conv. Subject: Lebanese Crisis May 13 – 1958 – (Top secret).

(٥٦) DD E Eisenhower papers , Ibid Top Secret B May 1958.

(٥٧) مصر السياسية، عدد ١٧١٠٣، ١٣ أبريل ١٩٥٨م، ص ٢٠.

(٥٨) الاخبار عدد ١٧٩٩، ٣ إبريل ١٩٥٨م ص ١.

(٥٩) نفس المصدر السابق، العدد ١٨٠٠، ٤ أبريل ١٩٥٨م ص ٤.

(٦٠) نفسه العدد ١٨٠٢، ٦ إبريل ١٩٥٨م.

(٦١) نفسه العدد ١٨١٣، ١٨ إبريل ١٩٥٨م، ص، وكذا محمد حسنين هيكل نفسه ص ٣٢١.

(٦٢) DDE. Library, Hagerty James. papas Box No 7 list of Reports received by The U.S govt. bearing on UAR intervention in Lebanon May – June 1958.

(*) أكد حمروش فى كتابه: «عبد الناصر والعرب» ص ٤٥٤. على دور عبد الحميد السراج فى مساندة ودعم المعارضة اللبنانية.

(٦٣) DD. Eisenhower Library. Dulles papers. Tel. Call Series. Box No 8 – Tel call To Am. Lodge . May 26 – 1958.

(٦٤) Dept of state Bulletin (Washington) 38. 9 June 1958 p 945.

(٦٥) D.D. Eisenhower Library. Dullies papers. Telph. call Series Box no 8 Tel call from Allen Dulles June 20 – 1958.

(٦٦) N. Y Times May 21. 1958.

(٦٧) D D. E Lib. Herter papers Chronolgical File Box No 5. June 1958 Tel conv. between Herter and Amb – Lodge June 16 –1958 "Eisenhower Wants to work through The U N and within its charter".

(٦٨) Campbell: Opcit . pp 140 – 141; UN SCOR. 13 year. 824 Meeting June 101958–, pp 35 – 44.

(٦٩) Ibid, pp 35 – 44.

(٧٠) D D Eisenhower Library. Herter papers (chronological File. Memo of Tel conv. Between Herter and Am lodge June 16– 1958.

(*) لمزيد من التفاصيل انظر محمد عبد الوهاب: عبد الناصر والسياسة الخارجية الأمريكية ص ٢٠٦ – ٢٠٨.

(٧١) D D E lib . Dulles papers Tel call Series Telph call to CaCCia. June 16 1958 Sec Dulles Said" he thought we also had been trying to handle this through the S.C. not to go to G.A... we would put a lot of Arab countries on the spot who may be with us in the spirit but who would not be happy to vote like Libya Sudan, Saudi Arabia."

(٧٢) D.D Elib. A nn Whitman File Int. Series . Box No 36 From Tokyo to Sec of state June 181958– Ibid . Dulles papers . Tel. call to Am. Lodge . June 11 – 1958

(٧٣) Ibid. Dulles papers. Tel. call to Am. Lodge. June 11– 1958.

(*) لجأت الولايات المتحدة إلى عبد الناصر الذى أثبت قدرته على حل الأزمة السورية لمزيد من التفاصيل ارجع إلى محمد عبد الوهاب: موقف الولايات المتحدة تجاه الأزمتين الأردنية والسورية وأثرهما على علاقتهما بمصر، مركز بحوث الشرق الأوسط ١٩٩١م.

(٧٤) D.D E lib. Dulles paper s tel. Call Series Box No 8. June 18 – 1958 Tell. Call with Am. Lodge Lodge" .....We Should get Nasser to call his dog off in Lebanon one word from him and it would collapse"

(٧٥) D D E lib W H office of the staff sec – subject series Box no 14 – Intelligence Briefing Notes vol. l `– 3 Dec – 1958

(٧٦) Ibid . W. H– C File subject Series Box 76 state Dept . Macmillan visit . (l) June 9 – 11– 958.

(٧٧) D D E lib. Ann Whitman File Int Series. Box No 2 Folder 2 from NE a Rountree to Am. Em Beirut out going Tel – June –11 –1958

(٧٨) NARG 218 (Jcs) Lebanon 5 - 13 - 1958 This is weekly Summary no 2 - of Military and political situation in Lebanon (Top - secret) 4- July 1958

(٧٩) Ibid. Dulles papers Tel. call Tel call To Rountree NE A . June 211958-

(*) ارجع إلى محمد عبد الوهاب: موقف الولايات المتحدة تجاه الأزمتين السورية والأردنية.

(٨٠) D D E Lib Dulles papers Tel call Series Box No 12 Tel call to president June 15- 1958;

وأكد دلاس لأيزنهاور أنه في حالة وقوع عمل عسكري "We would rather do it alone"

(٨١) Ashton Nigel . opcit .pp 157 -160; and: NARG218 (JCS) Geographical File ccs 381 - June 23 - 1958 - (Top secret).

(٨٢) Campbell. J. Opcit . pp 140141- D D E Lib Dulles papers . Memo of Luncheon conv The sec of state Amb. Lodge Mr. Hammarskjöld. Monday 7-July 1958. Also Macmillan . Riding the storm 1056 - 1959 (London 1971) pp 510- 511.

(٨٣) Agwani. opcit . pp 338- 339.

(٨٤) أحمد عبد الرحيم مصطفى نفسه ص ٦٠٩.

(٨٥) Economist (London) 12- 7- 1958 PP 112- 113.

لمزيد من التفاصيل عن الإحســاس بالانفــراج للأزمة ولو مؤقتا، انظر: أحمد حمروش: المصدر نفسه، ص ٤٥٥.

(٨٦) Ashton N.. Opcit p 161. Murphy R. Diplomat among Warriors. (NY 1964). p 397.

(٨٧) Dept of State Bulletin 39 - (4 - 8- 58)

(٨٨) أحمد عبد الرحيم: المصدر نفسه، ص ٦١٠

(٨٩) DD E. Diary Series Box No 35 Staff Memos . Memo of conf. with the president July 23 - 1958.

(٩٠) DD.E Diary Box No 35 staff Memo conf with the president July 14 – 1958 – congressional leaders. The Vice President. Sec Dulles. Allen Dulles. etc .

(٩١) Eisenhower . waging peace (N.Y.1963) p 270

(٩٢) D.D.E Library. Dulles papers. chronological Series Box 16. Subject meeting Iraq. Participants. The President. Sec of State Sec of Def. CIA D A. Aulles. July 14 –1958.

(٩٣) Ibid. Tel calls conv. Box No 12. Telephone call to the president , July 19– 1958.

(٩٤) D D E Library. Hagerty. Press conf– Box No 5 – J – Hag–press confer. July Through Sept 1958 July 17 –1958

(٩٥) D D. E Diary Series. Ann whit Box 35 Staff Memos. July 15 – 1958. The President and vice president talks about the situation in the m. East

(٩٦) D D E. Dulles papers. Tel call Series Box No 12. Tel call to the president . July 17 – 1958

(٩٧) Murphy. Opcit . pp 403 – 404.

(٩٨) D D E. Lib. W H office of the staff Sec. JSC vol Box 4 July 16 – 1958 Memo to the chief of JSC–

(٩٩) Ibid Vol l . subject situation on Lebanon (Top secret) July 17 – 1958

(١٠٠) مصلحة الاستعلامات: مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر، نفسه ص ١٤٧ – ١٥٠ – ١٥١ – ١٥٣.

(*) كان السفير الأمريكى فى بيروت روبرت ماكلنتوك قد تسلم عمله فى ٢٧/ ١/ ١٩٥٨م مع بدايات الأزمة ولم يكن على نفس وزن سابقيه بالنسبه للشؤون اللبنانية انظر Eveland .Opcit p 263

(١٠١) Murphy . Opcit pp 707.

(١٠٢) Murphy. Ibid . p 403.

(١٠٣) D D E Lib Harter Box No 1 c Harter. Tel. calls 758/1/ Tip 958-3- Tel calls Sat. July 19 – 1958

(١٠٤) Ibid

(١٠٥) D D E WH staff Sec. Dept of Def Box 4 Jcs – (2) -1958 July 19 – 1958 Memo for the Jcs Subject Report on Lebanon

(١٠٦) N S C 5820 / Nov. 4 – 1958 U. S Policy toward the Near East

(١٠٧) Murphy R. Opcit . pp 405 – 408

(١٠٨) Murphy Ibid. p 408.

(١٠٩) Murphy. Opcit. p 411.

(١١٠) D D E NSC. No 5268 July 31 – 1958.

(١١١) أحمد حمروش: نفسه، ص ٤٤٩.

(١١٢) W. H office of the staff Special ASS. For NSC policy papers Box No 28 NSC 5820. Policy TO words the N. East . Top secret Nov 4 1958.

□□□

النظام السياسى العربى (رؤية مستقبلية)

د. محمد يوسف

يحدد النظام السياسى فى مجتمع ما.. شكل السلطة السياسية ومضمونها. أى البنى المؤسسية والآليات والأنساق القانونية التى تعبر عن السلطة الملزمة فى هذا المجتمع من ناحية.. والتى فى ذات الوقت تعكس الوضع الذى يجرى على أساسه تملك الثروة والسلطة فى المجتمع من ناحية أخرى. حيث يمكن القول إن النظام السياسى هو المنظومة السياسية والاقتصادية فى مجتمع ما، التى بمقتضاها يتم صنع القرار ويتم توزيع مردوده. وذلك ارتكازا على قاعدة أن «من يملك يحكم، ويحمى ما يملك».

ومن ثم فإن المؤسسات الرئيسية فى المجتمع مثل مؤسسة الدستور والمجلس النيابى والحكومة (بما فيها مؤسسات الدفاع والأمن) والأحزاب السياسية.. وأيضا المؤسسات المساعدة مثل النقابات العمالية، والنقابات المهنية ومؤسسات المجتمع المدنى، والأنساق الفكرية والثقافية والتعليمية.. كل ذلك وإن كان بأوزان متفاوتة، يمثل بإجماله النظام السياسى لمجتمع ما.

ومن زاوية الرؤية المستقبلية للنظام السياسى العربى، فإننا ننطلق من فرضية أن الوطن العربى يمثل وحدة متكاملة رغما من حالة التجزئة الراهنة.. إن هذه الفرضية ليست بحال من الأحوال قفزا على الأمر الواقع، بقدر ما هى إدراك مبصر لعوامل التوحد التاريخية والموضوعية فى الحالة العربية.. هذا الإدراك الذى من شأنه تأكيد الحقيقة وتمتين الاعتقاد بها، وهذا فى حد ذاته هو المقدمة الطبيعية والمنطقية لهزيمة الواقع وكسر سطوته، لأنه مخالف للحقيقة برغم أنه واقع!.

عناصر الحقيقة فى الحالة العربية تتمثل فى:

١ - إن الأمة العربية تشكلت تاريخيا كوحدة واحدة ومجتمع واحد منذ أن ظهر الإسلام بها، ومنذ أن شكل من هذه الأمة وحدة سياسية واحدة، اختصت بأرض واحدة هى

الوطــن العربى، وتكلمت وتواصلت بلغة واحدة هى اللغــة العربية.. ومنذ أن منحها الإســلام التوحد الدينى الحضارى والتوحد السياسى بصورة مطلقة.. حتى وإن خفت أو تماوجت درجة التوحد السياســى بعد ذلــك خلال مراحل تاريخية معينة، إلا أن درجة التوحد الدينى الحضارى ظلت ثابتة ولم تتأثر سلبا بمرور الزمن.

٢ - وحدة التاريخ العربى فى الانتصار والانكسار، ومن ثم وحدة الأمل ووحدة الألم. فكل الأقطار العربية عانت وبدون اســتثناء من الظاهرة الاســتعمارية الإمبريالية الصهيونيه العالمية، ســواء اتخذ ذلك شــكل العدوان أو الاحتلال أو الاســتيطان أو التوســع، وما أنتجه ذلك من تخلف سياسى واقتصادى واجتماعى. وكان ذلك يمثل الانكسار.. كما عاشت. كلها بدايات تخلق مشروع نهضوى عربى شامل فى أوائل النصف الثانى مــن القــرن العشــرين.. كاد أن يثبت أقــدام الأمة على طريق الخــلاص، وكان ذلك يمثل الانتصار.

٣ - تماثل التكوين النفسى والخبرات وأنماط السلوك فى الحياة العربية، كنتيجة طبيعية لتماثل التراث الفكرى والثقافى.

اتســاقا مع ما تقدم وبســببه.. كان لابــد أن نتخذ المجتمع العربــى «وحدة للتحليل» كمجتمع واحد، نبحث عن رؤية مســتقبلية لنظامه السياســى.. ولأن العلاقة بين الماضى والحاضر والمســتقبل علاقة جدلية، تصيغها بالضرورة عمليات التأثير والتأثر بين ما كان ومــا هــو كائن وما يجب أن يكون. فليس هناك مســتقبل منبت الصلــة عن الماضى أو عن الحاضــر.. بمعنــى أن قواعد المســتقبل كامنة فى ثنايا الماضى وفى ثنايــا الحاضر، بادية كانت أو مختفية.. كما أن المســتقبل الذى يحاول الحاضر تصوره، سوف يأتى بشكل ما، إمــا إكمالا أو تطويرا أو إلغاء للماضى الــذى كان.. وبرغم ذلك فإن هذا الماضى هو فى كل الأحــوال، الأرضية التى يقف عليها قرار الحاضر، بقــدر ما أن الحاضر هو الأرضية التى يقف عليها تصور المستقبل والآفاق التى يتعين الانطلاق إليها.

إذا كان ذلك يمثل حقيقة، فـإن هناك ضرورة لدراسة وتحليل المنظومات السياسية التى مارســت ســلطة الحكم فعلا فى الأقطار العربية.. وتلك التى طرحت على فكره السياســى كنظريات وأفكار وأساليب حركة.. وأيضا تلك التى كادت أن تصل إلى السلطة فى بعض الأقطار خلال سنوات النصف الثانى من القرن العشرين.

والـدرس والتحليـل هـنا ليس بهدف الحكـم على منطلقات تلـك المنظومات الفكرية أو السياسـية، ولا هو دعوة للاصطفاف معها أو ضدها.. ومن ثم فإنه لا يهدف من مناقشـة هـذه المنطلقـات، إلى تأكيدها أو نفيها.. وإنما هو درس وتحليل يهدف بشـكل محدد إلى تقييم أدائها على الأرض وتعاملها فى الواقـع مع قضايا بعينها، هى قضايا التطور السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى الوطن العربى للبشـر وللموارد. خلال مرحلة تاريخية معينة هى المائة عام الأخيرة. لأن ذلك تحديدا هو ما يعنينا ويهمنا باعتبارنا غير معنيين بالمناقشة المجردة، بقدر اهتمامنا بمناقشة المحصلات النهائية لما حدث على الأرض فعلا.

فهنـاك أولا التجربة الليبرالية.. أى نظام الحكم النيابى، القائم على وجود دسـتور وبرلمان وحكومة، وتعددية حزبية، فى إطار أساسـى وحاكم هو الحرية الفردية التى ليس فقط محرم المسـاس بها، وإنما – إضافة إلى ذلـك – يتعين خلق الإمكانات اللازمة والمناخ الحاضن لهـا، ومسـاعدة «الفرد» على ممارسـة حريته المطلقة دون أى عوائق سياسـية أو اقتصاديـة.. كما أن هـذا النظام يقوم على حرية التجارة، و هدف تحقيق الربح هو الموجه والحاكم، إن كان للإنفاق أو للاستثمار، وتحديد مساراتهما فى المجتمع.

وكان النصـف الأول مـن القرن العشـرين هو الحقبة التى شـهدت كل آليات التطبيق العملى لتلك التجربة الليبرالية، سواء فى مصر أو فى غيرها من الأقطار العربية التى كانت قد وصلت إلى ذات الدرجة من النمو السياسى والاقتصادى والاجتماعى، أو تلك التى كانت قريبة منها.

ولما كان قياس كفاءة أى نظام سياسـى يتم على أسـاس نجاحه أو إخفاقه فى تحقيق أهـدافه المعلنة..ومن ثم كان القصد الأعلى لأى نظام سياسـى هو خلق الاستراتيجية العامة لتحقيـق أهـدافـه العليـا، و تحديد الآليات اللازمـة لذلك.. وبالتالى فإن دراسـة الحالة الليبرالية يجب أن توضح: إلى أى مـدى نجحت تلك التجربة من خلال نظامها السياسى الذى سـاد فى الوطن العربى لمدة مائة عام على الأقل قبل الثالث والعشـرين من يوليو عام ١٩٥٢م، وما يزال سائدا.. إلى أى مدى نجح ذلك النظام أو أخفـق فى الـتعامل مع القضايا الملحة للمجتمع العربى والتى يأتى فى المقدمة منها:

١ – التعامل مع قضية الاحتلال الأجنبى المباشـر الذى تعرضت له الأمة العربية بشـكل متصل منذ بدايات القرن التاسع عشر. وأيضا تعاملها مع قضية بروز المنحى التوسعى

الاستيطانى للظاهرة الاستعمارية، وهو ما تحقق على الأرض سابقا فى الجزائر واليوم فى فلسطين. وكاد أن يتحقق فى منطقة قناة السويس ومنطقة ميناء عدن باليمن يوما ما.. وما يجرى التمهيد لتحققه الآن فى العراق، ومستقبلا فى جنوب وغرب السودان. وفى مصر ولبنان. ومنطقة الخليج العربى وشبه الجزيرة العربية.

٢ - التعامل مع قضية المشاركة الجماهيرية الفعلية فى قضايا العمل الوطنى السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

٣ - التعامل مع قضية تحديث المجتمع العربى استجابة للتقدم العلمى الهائل الذى شمل كل مناحى الحياة، وأحدث انتقالات كيفية متعددة الجوانب. سواء فى مجالات الكشف العلمى أو فى مجالات التطبيق. بالشكل الذى يفرض على المجتمعات إدراك هذه الانتقالات وضرورة التعامل الكفء معها. سعيا وراء إعمار الأرض وجعل الحياة أكثر قبولا. والتقدم أكثر إمكانية.

٤ - مدى التعبير عن الانحياز لجماهير الشعب من فلاحين وعمال وجنود وصغار الكسبة. والنضال من أجل مصالح هذه الجماهير وحقوقها.

٥ - مدى الاهتمام بالتعامل مع قضية العدل الاجتماعى. بمعنى عدالة توزيع الدخل القومى. ومدى تعبير سياسات وبرامج الاستثمار فى المجتمع عن هذا الشرط الحاكم لقضية الديمقراطية والاشتراكية.

٦ - مدى الاهتمام بقضية محو الأمية التى هى الحاضن الطبيعى للتخلف فى كل المجالات.

٧ - مدى النجاح فى كسر طوق التغريب على المستوى الثقافى، والذى أدى إلى تهميش الثقافة العربية فى أحيان كثيرة لتحل محلها صور ثقافية غربية مشوهة، استمرأها بعض المثقفون.. فأضاعوا ثقافتهم، وضاعوا هم. لأنهم ليسوا أبناء الثقافة التى تعلقوا بها بديلا لثقافتهم الأصلية.. وينبغى التنبه إلى أن هذا القول لا يمكن بأى حال أن يتخذ أساسا لموقف مناهض أو معاد لأى نسق ثقافى، وتحديدا النسق الثقافى الغربى.. لأننا لا ننفى عوامل التأثير والتأثر الطبيعية التى حدثت بين الثقافتين الغربية والعربية، وأن ذلك يحدث على الدوام بين الأنساق الثقافية والحضارية المختلفة.. إلا أن المحصلة العامة لذلك فى وطننا العربى. كانت قد جعلت من الثقافة الغربية ثقافة قائدة، فى حين جعلت من الثقافة العربية ثقافة تابعة..

وهو الأمر الذى خلق بالضرورة قصورا حادا وتشوها، ليس فى المنتج الثقافى الذاتى فحسب، بل وفى التعامل الإيجابى مع التراث العربى والبحث عن مناطق القوة والإبداع فيه. إننا لا نبحث الآن فى أمر الصداقة أو العداء مع الثقافة الغربية.. ولكننا قبل ذلك وبعده، مشغولون بالبحث عن و بلورة أصول الثقافة العربية وإبداعها الإنسانى الخلاق.

إن للتخلف معان عديدة، لعل أقواها دلالة ما يسمى «التخلف النسبى» وهو يعنى تخلف المجتمع عن توظيف واستثمار الموارد المادية والبشرية المتاحة لديه، ومن أهمها إرثه الثقافى، وإخفاقه فى جعله قاعدة انطلاق باتجاه التقدم. خصوصا إذا كان هذا الإرث - فى الحالة العربية - يزخر بإبداعات ساهمت فى إرساء قواعد أنساق ثقافية أخرى، منها تحديدا النسق الثقافى الغربى!!

٨ - مدى النجاح فى كسر طوق التجزئة والقبلية ونظم توريث الحكم التى أهدرت أبسط حقوق المواطنة.. وهو حق التمتع بفرصة متكافئة فى خدمة الوطن وتقرير مصيره حتى لو كان ذلك فى أعلى مواقع السلطة، وحق التمتع بنصيب عادل من موارد هذا الوطن، دون حدود أو شروط سوى حدود وشروط الخبرة والكفاءة.. فالتوريث قد يجوز فى أى شيء، إلا فيما يتعلق بحقوق الآخرين وإرادتهم. هؤلاء الآخرين الذين يجب ألا تخضع حياتهم الحالية، ناهيك عن مستقبلهم لعملية تناسل بشرى آلية يؤول الحكم والسلطة والثروة بمقتضاها للخلف لمجرد أنه نسل السلف! وهو أمر فى كل الأحوال، ومهما كانت المبررات، لا يمثل أدنى تدريج ديمقراطى، وإنما يمثل أعلى تدريج ديكتاتورى.

إننا يجب أن نأخذ فى اعتبارنا أن المحور الذى دارت عليه التجربة الليبرالية.. هو النظام السياسى القائم على النيابة عن الشعب فى صنع القرار، والقائم على الحرية المطلقة لمفردات المجتمع، وعلى تحجيم دور الدولة لينحصر فى حماية الملكية الفردية فى إطار القانون الطبيعى والآليات الحرة للسوق والأسعار، وأنه ليس هناك حدود دنيا للفقر ولا حدود قصوى للغنى.. كما يتعين الانتباه إلى أن مفهوم الليبرالية والمنتج النهائى لنظامها السياسى فى مجتمعات العالم الأول، يختلف اختلافا بينا عن مفهومها والمنتج النهائى لنظامها السياسى فى مجتمعات العالم الثالث.

إنها فى المجتمعات الأولى.. تعنى المشاركة التعددية، والمسئولية التداولية فى عملية اتخاذ القرار من خلال توزيع الأدوار وتبادلها.. بما يتيح لكل القوى المشاركة التعبير عن نفسها والدفاع عن مصالحها.. لكن ذلك - يتعين الانتباه مرة أخرى هنا - كله يجرى خارج مساحة معينة لا يجوز الاقتراب منها أو المساس بها، لأن هناك اتفاق جماعى عليها يلتزم به الجميع وينضبطون عليه. تلك هى مساحة حق المجتمعات الغربية فى استغلال ونهب ثروات مجتمعات العالم الثالث، حتى لو كان ذلك بالاحتلال والعدوان والقهر. وحتى لو تم ذلك على جثة أساسيات الفكر الليبرالى الغربى ذاته شكلا ومضمونا. وكان ذلك هو الرحم الذى ولدت منه الظاهرة الاستعمارية(!).

أما فى الثانية.. فالمشكلة أكثر تعقيدا، والخطر أشد وطأة. حيث تستخدم الآليات الليبرالية ليس لدعم تماسك المجتمعات، وليس لأى معنى للحرية أو الديمقراطية قد يرد إلى الذهن، وليس لإتاحة الفرصة لكل القوى كى تعبر عن نفسها.. ولكن تشجيع التعددية والإصرار عليها، والذى تحرص عليه الدول المسيطرة وأنظمة الحكم التابعة لها فى الدول الخاضعة للسيطرة، لا تعدو أن تكون طقوسا تستهدف تفتيت هذه المجتمعات، وفك تماسكها المركزى الذى يمثل الشرط الحاكم لكسر مقاومة هذه المجتمعات لخطط الهيمنة.. من جهة. كما تعتبر طقوسا تتيح لأنظمة الحكم فى العالم الثالث تعظيم مصالحها ومداخيلها الخاصة، غير عابئة بما إذا كان هناك بالفعل حرية أو ديمقراطية أو تعددية أو تداول وما شابه.. من جهة ثانية.

ويأتى ثانيا.. مراجعة التجربة الماركسية فى العمل السياسى والحكم فى الوطن العربى خلال نفس الفترة. سواء التجارب التى تمكنت فيها من الوصول إلى السلطة أو المشاركة فيها كما فى حالات اليمن وسوريا والعراق والسودان وأريتريا، أو تلك التى حاولت ولم تنجح كما فى حالات مصر ولبنان وفلسطين. بهدف تبيان مواقفها من قضايا بعينها، قد عايشتها وتواجهت معها، وكلها قضايا على تماس عضوى مباشر بالحاضر والمستقبل العربيين مثل:

١ - الموقف المعادى لقضية الوحدة العربية. والمثال الواضح على ذلك هو موقف الأحزاب الشيوعية العربية من الوحدة بين كل من مصر وسوريا عام ١٩٥٨ وفى المقدمة منها موقف الحزب الشيوعى السورى.. ودور هذه الأحزاب فى دعم الانفصال الذى حدث عام ١٩٦١م.

٢ – الموقـف الفكـرى والثـقافى الداعم لتهميـش القيم الوطنية والقوميـة لصالح الدعوة الأمميـة. وتبنى البعـض لفكرة التعدد القطرى فى مواجهة التوحد القومى. إلى الحد الذى وصـل بالبعض الآخر إلى «التعـاطف» مع مشاكل الطبقة العاملة فى إسرائيل، تـلك الطبقة التى تعتبر عضوا فاعلا فى المنظومة التى مازالت تحتل وتغتصب الأرض العربية فى فلسطين!

٣ – الموقـف العملى والفكرى والثقافى المناوئ للثورة العربية الناصرية منذ انطلاقها وبروز توجهاتهـا الوطنيـة والقومية. وقد تجلى ذلك فى موقـفهم إبان «أزمة مارس ١٩٥٤م» حين شـاركوا فى المنظومة التى حاولت تصفية الثورة، ثم التحالف مع أنور السادات فى مصر.. وفى محاولتهم الانفراد بالسلطة بعد ثورة ١٩٥٨م ثم الانقضاض على حكم عبد السـلام عارف فى العـراق، ومحاولة الانفراد بالسلطة وعزل القوميين فى اليمن، ومحاولة الانقضاض على السلطة فى السودان.. إضافة إلى كسر الوحدة ودعم الانفصال وعزل القوميين فى سوريا.

٤ – مدى الاهتمام بقضية محو الأمية التى هى الحاضن الطبيعى للتخلف فى كل المجالات كما سبق توضيحه.

ويلزم ثالثا.. مراجعة تجربة تيار الإسـلام السياسى فى الوطن العربى، أى التجربة الفعلية لجماعات كان وما زال هدفها الأعلى الوصول إلى السلطة من خلال العمل السياسى. أو مـن خلال الصدام مع السـلطة القائمة.. بغض النظر عـن محاولاتها إخفاء هذا الهدف الأعلى وراء سـتار من الطرح الدينى الذى يسـتغل التدين الفطرى للإنسان العربى ليشكل منه شرعية دينية وسياسية خاصة، ومناخ حاضن لتوجهات هذا الطرح وأهدافه الحقيقية.

ونحن نقر بحق هـذه الجماعات كغيرها، فى طموح سياسى حتى لو أفضى إلى الوصول للسـلطة.. إلا أننا إذ نفرق بين الدين ورسـالته وقواعده الجليلة والمقدسة، التى استهدفت شرف الإنسان وسعادته.. وأنه هـداية الله للناس ليعبدوه ويسعون لعمارة الأرض على قواعد العدل الذى هـو شريعـته سبحانه وتعالى..

إذ نـفـرق بـين الدين بفهمنا هـذا له، وبين الفكـر الدينـى، الذى هـو نتاج التأويلات والتخريجات الفقهية البشرية، والذى هو فى أحيان أخرى نتاج للمصلحة والغرض والهوى لعديـد من الفصائل والقبائل والمذاهب والجماعات.. فإننـا بهذه التفرقة نؤكد أولا جلال الديـن وإجلالنا لـه، وفى ذات الوقت نرفض «خصخصة» الدين الذى هو كلمة الله الثابتة

إلى البشر كافة لصالح جماعات بعينها. من أجل تحقيق مصالح وأهداف سياسية بشرية تتبدل بطبيعتها وتتغير. تتقدم وتتراجع، شأنها فى ذلك شأن غيرها من الأهداف المماثلة لجماعات وفصائل وأحزاب سياسية عديدة أخرى ليست بمنأى عن الخطأ.. ولا عن الغرض.

نحن نؤمن بالله تعالى وبكتبه ورسله.. ونؤمن بأن الدين كما قال الرسول الكريم هو «ما وقر فى القلب وصدقه العمل». لذلك فإننا نرفض الولاية والوصاية على الدين والبشر. لأن الدين ملكية عامة لكل المؤمنين به، فوق أنه كلمة الله إلى البشر جميعا دون ترتيب أو تصنيف أو خصوصية سوى السعى لعمارة الأرض وتحقيق «مصالح الناس». ومن ثم.. فإن دراسة جادة وموضوعية لمواقف هذه الجماعات من القضايا التالية تصبح ضرورة من أجل تقليب وتسوية أرضية الماضى التى سوف نشيد عليها بناء المستقبل:

١ - الارتباط بالاحتلال والسلطة والقبيلة والمصلحة، وتبرير تجاوزات هذه الأشكال. وقد تبدى ذلك - على سبيل المثال - فى علاقة الإخوان المسلمين فى مصر بالإنجليز والملك، ومحاولتهم احتواء الثورة ثم التصادم بالسلاح معها استهدافا للسلطة.. وفى العلاقات المتينة مع القبائل العربية الحاكمة فى بعض الأقطار العربية، وفى العلاقات القوية بالآلة الرأسمالية العالمية من خلال النشاط المصرفى متعدد الأشكال والأغراض، والمتعدى للنطاق الجغرافى العربى إلى خارجه، وتحديدا صوب القارة الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية.

٢ - اختيار الاصطفاف فى الخندق المناوئ للثورة العربية الناصرية منذ سنواتها الأولى فى مصر، عبر محاولة اغتيال قائدها، فيما عرف فى التاريخ السياسى المصرى بحادث المنشية، ثم محاولة ثانية عام ١٩٦٥م وموقفهم المتحالف مع الشيوعيين والوفد وبقايا النظام السابق على الثورة فى أزمة مارس ١٩٥٤م، و إهدارهم المدخرات الوطنية بتوظيف الدين لخدمة «توظيف الأموال» فى ثمانينيات القرن العشرين.. وفى السودان، رغم تفشى الفقر والفساد والتخلف فيه، كان تطبيق بعض حدود الشريعة بقسوة بالغة، لم تحدث بعض صورها فى صدر الإسلام. تلك القسوة التى لم تكن تطبيقا للشريعة أو انصياعا لها، وإنما جاءت لردع الخصوم السياسيين، ولتحقيق مكاسب سياسية سلطوية واضحة.. تماما كما جاءت القسوة البالغة من جانبهم فى الجزائر أيضا لإرهاب الخصوم بالقتل العشوائى والترويع.

٣ - الموقف الفكرى المبدئى العدائى والدعائى ضد القومية العربية، على قاعدة أن الإسلام دعوة عالمية لكل الناس دون تمييز عرقى أو قومى. وهو ما نحترمه ونقر به بل وندعو إليه.. لكننا فى الوقت نفسه لا نقر بسلخ العروبة عن الإسلام أو افتعال تناقض بينهما. لأننا ندرك تماما أن لاتناقض هناك من أى نوع. وأن ما يجمعهما هو لحمة عضوية لا تنفصم. وأن وجود تلك اللحمة أقوى من قبول أو رفض جماعة أو فصيل إسلامى سياسى بعينه.. وكما منح الإسلام العرب التوحد الدينى والتوحد السياسى. فإن العرب قد منحوا الإسلام قدرتهم العبقرية على تجاوز واقعهم الضعيف والمتخلف. وإنشاء منظومة أخلاقية وحضارية مكنت من نشر الدين القويم. ومكنتهم من أن يصلوا برسالته إلى قلب أوربا وتخوم الصين.. لذلك فإننا نعتقد بأنه كما للعرب خصوصية إسلامية، فإن للإسلام خصوصية عربية.

٤ - مدى الاهتمام بقضية محو الأمية التى هى المناخ الحاضن للتخلف فى كل المجالات

إننا ونحن نطالب بمراجعة النظام السياسى الناصرى وتجربته فى الحكم ومفهوم الديمقراطية لديه، وآليات الحكم ومؤسساته وممارساته فى الفترة من ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وحتى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠.. واستحداثه للتنظيم السياسى «لتحالف قوى الشعب العامل» باعتباره ليس حزبا بالمفهوم الليبرالى ولا بالمفهوم الماركسى ولا بغيرهما.. فإننا نهدف إلى التعرف على تأثير تلك الحقبة الزمنية على النظام السياسى ومفهوم الديمقراطية فى الوطن العربى، وعلى درجة استجابة الجماهير العربية لتلك التأثيرات.. ومن ثم تحديد أكثر وأوضح للصورة التى يجب أن يكون عليها النظام السياسى العربى فى المستقبل.

إن التفكير فى تشكيل ملامح النظام السياسى العربى فى المستقبل، يتعين أن يؤسس على المرتكزات الآتية:

١ - الموقف المبدئى المسلح برؤية شاملة لقضايا المجتمع ومشاكل الحكم. واعتبار أن رغبة الجماهير فى التقدم وتطلعها إليه يعتبر فريضة «يفرضها» علم الثورة على الثوار ومن ثم فإن الموقف من هذه القضية لا يعتبر «وجهة نظر» أو «موائمة» أو «استجابة للمتغيرات الجديدة». وانما هو موقف أساسى ثابت ومستقر، حيث رغبة الجماهير فى التقدم هى الشرط الحاكم لحدوثه. والفريضة «تفرض» الالتزام بما هو صحيح وإعلان ذلك والنضال من أجل تطويع الظروف لتحقيقه.

٢ - العبرة أولا وأخيرا بمصالح الجماهير ومحتوى ومستوى طموحها.. وليست العبرة بأى

من الطقوس السـائرة أو السائدة، لمجرد أنـها سـائـدة مهـما علا الضجيج الإعلامى والثقافى المصاحب أو المبرر لها. لأن مصالح الجماهير عـلى الأرض، هى معيار التـقييم الوحيد لمجمل النشاط الإنسانى فى المجتمع.

٣ – الجماهـير العربية هى صاحبة الحـق الطبيعى والتاريخى فى ثرواتها والموارد المتاحة على أرضها إن كانت مادية أو بشرية.. وهى وحدها التى يـتعيـن أن تـفرض سيطرتها الكاملة على تـلك الإمكانات سواء تم ذلك بالحراك السياسى.. أو تـم بالـثورة.

٤ – إن هـــذه الجماهـير هى المالكة الأصلية لكل ما تحتويـه أراضيها من ثروات تعدينية وزراعية.. ولسميات عديدة وتنوعات هائلة من الموارد الاقتصادية العربية، ليس آخرها تلامـس الأرض العربية مع شـواطئ أهم بحرين من النواحى السياسـية والاقتصادية والعسكرية فى العالم.. البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحـمر. ثم المجرى الاستراتيجى الأهـم فى العالم كله وهو قناة السـويس، وتلك الجماهـير هى صاحبة الحق الطبيعى فــى ثمار البحث العلمــى، إن جيوش العلماء والباحثـين والمهنيين فى كل مجالات النـشاط الإنسانى على امتداد الأرض العربية، إنما هم أبناء تـلك الجماهير، ورصيدها الاستراتيجى لبناء مشروعها للنهضة.

ومن ثم.. تكون الدولة العربية الواحدة ضرورة بديهية فيما يتعلق بالمستقبل العربى الذى نتصـورد ونـتمناه. وهذه الدولة لن يقيمها إلا النضال الحقيقى الشـامل للجماهير العربية. نضـال مدرك بأن المســتقبل لا تصنعه إلا إرادة عامدة ومدركــة للثمن الذى يتعين أن يدفع من أجل الحصول على هذا المستقبل. كما أنه نضال ينطلق من حقيقة أن إمكانات التوحد العربى فى كيان سياســى واحد، لهى أكبر من مثيلاتها فى أى حالة من حالات التوحد فى كل التاريخ الذى نعرفه. وأن واقع التجزئة فى الوقت الحاضر، مهما بدا حادا وثقيلا، فإنــه لا يقلــل بأى قدر من أهمية هــذه الإمكانات، ولا ينال من صحتهــا ولا من قناعتنا بحتمية الوحدة العربية.. وهذا هو الأهم.

إننـا نـدرك أنه لا يوجـد أى فارق – ولا يجــب أن يكون – بين الحرية السياسـية والاجتماعية للمواطن العربى من جهة.. وبين سلامة الأرض العربية وتحررها، وجاهزيـتها لإقامة مشروع النهضة العربية المنشود من جهة أخرى. فكلاهما شرط حاكم لتحقق الآخـر، لا يستقيم إلا به، ولا ينوب عنه ولا يلغيه، وإنما يتكامل معـه. ومن هنا تستقر قناعتنا بأن نضالا عـربيا مسـتـقبليا يتعين أن ينطلق من مصر (قاعدة الارتكاز فى المنظومة العربية) ثم يتمدد على اتساع الوطن العربى يستهدف إنجاز المهام الآتية:

(أ) تثويــر الوعى العربى، وتمتين البناء الفكرى والثقافى للجماهير حول ضرورة إقامة الدولة العربية الواحدة باعتبار أن ذلك ليس ضرورة حياة فقط.. وإنما ضرورة تقدم.

(ب) دعم ومســاندة شــرائح الحكم فى النظام السياسى العربى الحالى التى يتوفر لديها استعداد مبدئى للانحياز للعمل القومى ورفده بما لديها من إمكانات فى مواقعها.

(جـ) دعم ومســاندة القوى والمنظمات الجماهيرية القومية العاملة فى الوطن العربى من أجل تمكينها من التمركز فى المواقع التى تســتطيع منها دعم العمل القومى. إن فى مؤسسات السلطة أو فى مؤسسات المجتمع المدنى والتشكيلات النقابية التى تضم قوة جماهيريــة عربية هائلة وبالغة الأهمية والتأثير تبلغ أكثر من عشــرين مليون نقابى. يمثلــون قوة العمل العربيــة التى تزيد على مائة مليون عامــل عربى بخلاف العمال الزراعيين.

(د) التمسك الصريح والمعلن بثوابت المشروع النهضوى العربى للمستقبل وهى:

١ - الحرية والاشتراكية والوحدة باعتبارها الاستراتيجية العليا للمشروع.

٢ - الموقــف المقــاوم للمنظومة الإمبريالية الإســتعمارية الصهيونيه العالمية بكل أشــكالها وتوابــعها.

٣ - الموقف المقاوم دون تردد للعولمة، طالما كانت تســتهدف تحويل العالم إلى تروس تدور وفق المنظومة الإمبراطورية الأمريكية، وإهدار الشــرعية والقانون الدوليين. والســيطرة على - ونــهب - ثروات الدول بالاحتلال المباشر وغير المباشر وتكريس النظم السياسية والاقتصاديــة التابعة والخادمة لنمو وازدهار الحضارة الغربية على حســاب الأنســاق الحضارية والثقافية الأخرى.

٤ - الســيطرة الكاملة للجماهير العربية عبر آليات للحكم والتنظيم على الســلطة والثروة العربية. وعلى العملية الإنتاجية فى المجتمع بكاملها من أجل تحقيق التنمية الشاملة والمســتقلة.. أى تحقيق الديمقراطية. وذلك من خلال آلية تـنظيمية تعبر عـن تحالف قوى الشعب العامل، صاحب المصلحة فى هذه السلطة وتلك الثروة.

٥- العمل على صـون الحـريات الـفردية والأساسية فى المجتمع وعلى رأسها الحق فى التجمــع والتنظيم، وعدم الســماح بمصادرة أى منها تحــت أى مبرر أو حجج. وفى ذات الوقت الذى ندافع فيه عن حق كل تيار سياســى أو قوى اجتماعية فى امتلاك

أدواتهـا التنظيمية المعبرة عنها احتراما لمبـدأ التعددية، فإن الحركة الناصرية تؤمن بأن قواها الاجتماعية التى تجسدها وتدافع عن مصالحها ينبغى لها أن تنتظم فى إطار آلية تنظيمية تعبر عن «تحالف قوى الشـعب العامـل صاحب المصلحة الحقيقية فى السلطة والثروة» والتى تضم بالأسـاس الفلاحين والعمال والمثـقفين الثوريين والجنود والرأسمالية القومية المنتجة فى إطار خطط التحالف للتـنمية الشاملة والمستقلة.

٦ - إن هذه القوى التى يضمها التحالف تمثل الأغلبية السـاحقة من الشعب العربى التى طالما عانت من ويلات الاسـتعمار والقهر والاسـتغلال. وانضـواء هذه القوى فى إطار تنظيمـى واحد لا يعنى حرمان أى تيار سياسـى أو قـوة اجتماعية أخرى من حقها فى تجسـيد الآليات التنظيمية المعـبرة عنها، من أحزاب وجمعيات. فصيغة تحالف قوى الشـعب العامل إنما تسـتمد جدارتها من احتمائها بالحق الأصيل للجماهير فى ممارسـة التعددية السياسـية. ومن اعترافها بأنها ذاتها إنما تعبر عن «تحالف» بين قوى متعددة، وليسـت حزبا طبقيا مفردا بـأى معنى من المعانى. وفيما يخص البنية الاقتصادية.. يصبح اعتماد التخطيط المركزى وملكية الشـعب لأدوات ووسائل الإنتاج الرئيسـية وسـيطرته الكاملة عليها من خلال قطاع عام قوى وقـادر على قيادة خطة التنميـة، بمـا فيها دور للقطاع الخاص يلتزم به فى تنفيـذ الخطة وخدمة أهدافها.. يصبح ذلك شرطا حاكما لحزمة من مرتكزات التقدم.. يأتى فى مقدمتها امتلاك القوى صاحبة المصلحة للـثروة والـسلطة، وتحقيق العدل الاجتماعى بتحقيق عدالة التوزيع، وتحقيـق الديمقراطية بامتلاك القرار وامتـلاك مردوده. ولأن مصالح الجماهير هى فى النهايـة الهـدف الأعلى لخطط التـنميـة، وأن الخطط لن تتحقـق أو تحقق مردودا الا بعمـل تلك الجماهير.. إن ضبـط ثلاثية الأداء: الأهداف والخطة والجماهير، على قواعـد ثلاثية الأهداف: الثروة والسـلطة والجماهير، هو الكفيـل بإنتاج الديمقراطية والتقدم وجعلهما واقعا معاشا، وليس طقوسا احتفالية.. وذلك هو المحور المركزى فى قضية العدل الاجتماعى من وجهة النظر الناصرية.

٧ - اعـتبـار قضية محو الأمية ضمن مربع الاسـتراتيجية العليا للدولة العربية الواحدة.. حيـث لا معنى ولا وجود حقيقى علـى الأرض لأى حديث عن النهضة.. بينما طوق الأمية يطبق على الأعناق.

٨ - إعلاء سلطة المجالس الشعبية المنتخبة فوق سلطة الجهاز التنفيذى سواء على المستويات المركزية، أو على المستويات المحلية.

٩ - الاعتراف بحق العمال والمهنيين فى إنشاء النقابات العمالية والمهنية وكافة الهيئات والتشكيلات التى تمثلهم وتدافع عن حقوقهم ومصالحهم، بما فى ذلك حق العمل وحق الإضراب.

١٠ - إعلاء وتكريس احترام الأغلبية والاحتكام إليها والانصياع لها.. واحترام قيم النقد والنقد الذاتى، وحق الإبداع العلمى والأدبى والفنى والمهنى.

١١ - اعتبار إعادة هيكلة نظم التعليم والتدريب والصحة والإسكان على مستوى الوطن العربى، باتجاه تفعيل وتعظيم قدرتها على خدمة مصالح ومستقبل الجماهير فى هذا الوطن.. اعتبار ذلك مهمة قومية بالغة الضرورة والأهمية، ليس فيما يتعلق بصياغة المستقبل فقط. وإنما لأنها حقوق حياتية أساسية للمواطنين فى وطنهم.. إن هذا التيار القومى الذى يتمدد على الأرض العربية من الماء إلى الماء.. بما يملكه من تراث متنوع فى الحكم والتنظيم والتخطيط. تسنده خلفية كفاحية عظيمة على مدى تاريخه.. وبما يملكه من كادر فكرى وتنظيمى وحركى، لقادر على استحضار هذا التراث وإغنائه بمهارات وخبرات تتجدد يوما بعد يوم، وتثرى جيلا بعد جيل..

إن التيار الناصرى هو حاضن المشروع العربى للنهضة، وهو رهان الأمة إلى المستقبل.. على أرضية الشرط الحاكم الذى يتعين أن يضعه التيار نصب عينيه، وهو التمسك اليقينى بثوابت مشروع النهضة والإصرار عليه، مع الإدراك الكامل للظروف المتغيرة والاستجابة لها والتعامل معها ببصيرة واثقة، وتعظيم الإفادة منها.

إن ذلك فى ظل الظروف الحالية للأمة، ليس ضرورة تفرضها الرؤية المبصرة للمستقبل فقط.. وإنما هو المستقبل ذاته.

❑❑❑

حرب ١٩٥٦م: شهادة إسرائيلية

د. نبيل السيد الطوخى
قسم التاريخ كلية الآداب - جامعة المنيا

كانت حرب ١٩٥٦م نقطة تحول فى تاريخ مصر والوطن العربى والصراع العربى الإسرائيلى. والقيمة الأساسية لهذه الحرب أنها لم تكن مجرد حرب تحمل رقم اثنين فى الصراع العربى الإسرائيلى الذى لا يعلم أحد متى ينتهى، ولا فى أنها تحالف علنى سافر بين دولتين كانتا من أكبر دول العالم هما بريطانيا وفرنسا وبين دولة صغيرة مشكوك فى شرعية وجودها هى إسرائيل. ذلك أن القيمة الأساسية لحرب ١٩٥٦م تكمن فى أنها كانت خطا فاصلا فى تاريخ العالم ومحطة حاسمة فى كفاح شعب مصر. لقد كان الهدف الوحيد الذى اجتمع حوله أطراف العدوان الثلاثى على مصر هو تدميرها والقضاء على نظامها الوطنى الثورى، وقبلت إسرائيل أن تكون ذيلا لبريطانيا وفرنسا على أمل تمكينها من الحصول على مكاسب إقليمية فى سيناء.

وسوف نحاول إلقاء الضوء على حرب ١٩٥٦م من خلال عرض لعدد من الشهادات الإسرائيلية. ويأتى على رأسها شهادة موشى ديان فى كتابه «يوميات معركة سيناء»[1]. وأهمية هذه الشهادة تأتى من أن صاحبها كان يشغل منصب رئيس هيئة الأركان العامة. ومعنى ذلك أنه كان على قمة الهرم فى الجيش الإسرائيلى مما يعطى لشهادته قيمة كبيرة. فحديثه عن حرب ١٩٥٦م أو «حرب سيناء» كما يسمونها فى إسرائيل. حديث العالم ببواطن الأمور. حيث يكشف الكثير من أسرار هذه الحرب. وإذا كانت شهادة موشى ديان تمثل المؤسسة العسكرية فإن شهادة جولدا مائير فى كتابها «حياتى»[2] تمثل المؤسسة السياسية باعتبارها كانت تشغل منصب وزير خارجية إسرائيل. وشاركت بحكم منصبها فى الاتصالات واللقاءات السرية التمهيدية بين إسرائيل وفرنسا على وجه خاص. تلك الاتصالات واللقاءات التى أدت إلى الاتفاق على شن الحرب على مصر.

أما الشـــهادة الثالثة فتخص موشى كرمل والذى كان يشغل منصب وزير المواصلات فى الحكومة الإسرائيلية، والذى عرض شهادته فى مقال بعنوان «هكذا اتخذ القرار»[٣]. وقيمة شهادته أنه كان ضمن وفد إسرائيلى ذهب إلى فرنسا للتفاوض مع الفرنسيين على تزويدهم بالســلاح وأنجز مهمته بشكل ممتاز على حد تعبيره لأن فرنسا تفهمت الموقف الإسرائيلى وأبدت استعدادها التام لتلبية احتياجاتها سواء أكان على صعيد التسليح فقط أم على صعيد الإعداد لعملية عسكرية ضد مصر[٤].

أما الشهادة الرابعة فتخص إسحاق رابين والتى عرض لها فى مذكراته[٥]. وكان يشغل منصب قائد القيادة الشــمالية بالجيش الإسرائيلى وهو يعترف فى شهادته بأن تدخله فى هــذه الحــرب كان محدودا، لكنه يعرض لنــا أهم النتائج التى ترتبــت على هذه الحرب ســواء على الجانب الإســرائيلى أو على الجانب المصرى[٦]. وإذا كان رابين قد أوجز فى عرضه لنتائج حرب ١٩٥٦م فى مذكراته فقد تحدث فى مقال له بعنوان «عبر حرب سيناء ١٩٥٦م»[٧] عن خلاصة الإنجازات التى حققتها تلك الحرب، وهو تحليل على درجة كبيرة من الأهمية كتبه فى عام ١٩٦٦م فى الذكرى العاشــرة لحرب سيناء وقبل حرب ١٩٦٧م. وكان يشغل منصب رئيس الأركان الإسرائيلى آنذاك.

أما الشهادة الأخيرة من هذه الشهادات فتخص «مردخاى بار أون» وهو عقيد احتياط، ورئيــس مكتــب رئيــس الأركان ١٩٥٦م، وذكر شــهادته فى مقال بعنوان «حرب ســيناء شــخصيات وإنجــازات»[٨]، ويركز فى شــهادته على أهداف إســرائيل من دخول حرب ١٩٥٦م وعلى نتائجها من وجهة النظر الإسرائيلية.

وسوف نعرض لهذه الشهادات من خلال العناصر الآتية:

١ـ دوافع إسرائيل لدخول الحرب:

يمكــن القــول إن إســرائيل لم يكتب لها القيــام أو البقاء إلا لأنها قاعدة للاســتعمار، فنظرا لأهمية فلســطين التاريخية والدينية وموقعها الاستراتيجى بين بلدان المشرق والمغرب العربى قرر الاســتعمار البريطانى إقامة إسرائيل فى فلســطين قلب الوطن العربى، كنقطة ارتكاز وانطلاق للتحكم بالمنطقة العربية وثرواتها وإرادتها[٩]. وبدأت عملية الاستيلاء على فلســطين بحلم صهيونى ســاعد على تحقيقه توافق هذا الحلم مع اســتراتيجية الاستعمار فــى غرز إســرائيل كخنجر فى قلب الأمة العربية يعطل تماســكها، ويشــتت جهودها،

ويحرس مصالح الغرب الذى وجد فى منظمة الأمم المتحدة - التى أقيمت بعد الحرب العالمية الثانية محكمة يستصدر منها حكما بإقامة الدولة اليهودية فى فلسطين[١٠].

وإذا كانت إسرائيل على حد وصف جمال عبد الناصر هى «الطفل المدلل للدول العظمى»[١١] فإن موقف الدول العظمى من إسرائيل ليس مجرد مصادفة، ولا هو نابع من العطف على اليهود بعد طول اضطهاد. فالسياسة الدولية لا تحكمها العواطف ولا تسيرها مصادفات، وإنما هى فى التحليل الأخير تعبير عن مصالح محددة.

ومنذ قيام إسرائيل فى مايو ١٩٤٨م على أشلاء الشعب الفلسطينى، تعمدت قيادته السياسية ممثلة فى رئيس وزرائها فى ذلك الوقت - ديفيد بن جوريون - أن تغفل أى ذكر لشكلها الجغرافى أو حدودها السياسية[١٢]، وفيما بعد قال بن جوريون إنه تعمد هذا التجاهل «لثقته أن الجيش الإسرائيلى هو الذى سيخطط هذه الحدود»[١٣]، أى إن حدود إسرائيل تكون حيث يقف جنود إسرائيل، وهى دعوة عدوانية صريحة لغزو أراضى الغير، وظلت إسرائيل تعتبر قيام الدولة فى عام ١٩٤٨م مرحلة على طريق مرسوم نحو غاية كبرى، لذلك بدأت منذ نشأتها فى الإعداد لتنفيذ المراحل التالية من خلال سياسة معادية للعرب وخاصة مصر، باعتبارها أكبر وأقوى الدول العربية وأكثرها فاعلية على مسيرة القومية العربية[١٤].

وما أن استقرت أوضاع إسرائيل نسبيا حتى عملت على تلمس الذرائع لعدوان جديد يتيح لها فرصة التوسع الإقليمى. وفى عام ١٩٥٦م استغلت إسرائيل فرصة الأزمة الناجمة عن تأميم قناة السويس وشاركت بريطانيا وفرنسا فى العدوان على مصر[١٥]. ولقد تحددت أسباب العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦م بأنه نتيجة حتمية لتصادم أهداف ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م التحررية مع أهداف ومصالح الدول الاستعمارية والصهيونيه العالمية وأخذ هذا الصدام عدة اتجاهات متلاقية يصدر كل اتجاه منها من قلب إحدى دول العدوان ويتجه إلى قلب مصر[١٦].

فماذا عن دوافع إسرائيل لدخول الحرب ؟

قبل أن نتكلم عن دوافع إسرائيل لدخول الحرب نطرح سؤالا طرحته أحد الشهادات وهى شهادة «مردخاى بار أون» والسؤال كالتالى:

هل كانت حرب ١٩٥٦م حرب خيار بالنسبة لإسرائيل ؟

وكانت الإجابة «إن من المشكوك فيه أن تنطبق شروط (حرب الخيار) على كل ما يتعلق بأحداث ١٩٥٦م. لكن حرب عام ١٩٤٨م كانت حرب (خيار حقيقية) لأن إسرائيل كان بإمكانها فى ذلك الوقت أن لا تنضم للجوقة الفرنسية والبريطانية فى نضالها ضد تأميم قناة السويس. فتلك الحرب لم تكن بمثابة ضربة وقائية، أو ردا ضروريا على الأخطار الفورية التى تهدد إسرائيل»[١٧].

وبالرغم من ذلك فإن مردخاى يقول «كان الإسرائيليون متفقين تماما فى الرأى بأنه حتى لو كانت إسرائيل تمتلك الخيار الآن فإنها فى المستقبل لن تجد أمامها مفرا سوى أن تتصدى لمصر وتردعها. لذا فقد كان عليها اختيار الوقت المناسب لشن تلك الحرب بحيث تتمكن من تحقيق أهدافها والانتصار»[١٨].

والواقع أن إسرائيل كانت فى انتظار الفرصة المواتية للانقضاض على مصر[ ]، وقد التقت النوايا الإسرائيلية مع النوايا الغربية بشأن إيقاع الهزيمة بجيش مصر وإسقاط نظامها الثورى.

وتجمع كل الشهادات تقريبا على أنه منذ إعلان جمال عبد الناصر عن صفقة الأسلحة التشيكية فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٥٥م[١٩]، والتحفز والتوتر يهز كامل العمود الفقرى الإسرائيلى، وقد أصبح الخوف من الجولة الثانية يأخذ معايير زمنية وإمكانية حقيقية[٢٠] إلى حد اعتقاد بن جوريون[٢١] فى حديثه إلى موشى ديان «أعتقد أنهم سيهاجموننا فى الصيف ويجب علينا الافتراض بأنهم سيقومون بذلك. فالمنطق يقول إنهم سيشنون هجومهم بمجرد تأكدهم من إمكانية النصر»[٢٢].

وتؤكد المصادر الإسرائيلية المعاصرة على أن كميات ونوعيات الأسلحة التى بدأ السوفييت فى إرسالها إلى مصر قد أدت إلى تقويض التوازن التسليحى فى الشرق الأوسط. ويعلق موشى ديان على صفقة الأسلحة التشيكية قائلا «هذه الصفقة فى ضوء ما اعتادت دول الشرق الأوسط أن تعقده من صفقات تبدو أكثر مما هو عادى فضلا عن إضافة هذه الصفقة إلى ما هو موجود فعلا فى حوزة مصر قد سبب زيادة اضطراب ميزان القوة المهتز أصلا فيما بين الدول العربية وإسرائيل»[٢٣].

وحديث ديان عن ميزان القوة يتفق مع تلك البدعة التى خلقتها الدول الاستعمارية وهى مهزلة توازن القوى وأساسها أن لا تعطى الدول العربية مجتمعة من السلاح أكثر مما تعطى

إسرائيل بل تعطى إسرائيل أكثر مما تبيع للدول العربية مجتمعة لكى يضمنوا توازن القوى بين العرب وإسرائيل[٢٤]، وبالتالى فإن ميزان القوى طبقا لمفاهيم الاستعمار يتعادل ويصح طالما امتلكت إسرائيل من الأسلحة والمعدات ما يفوق ما تملكه كافة الدول العربية مجتمعة. والميزان يضطرب ويختل إذا ما كسرت مصر هذا الاحتكار وقامت بتسليح جيشها لا بغرض العدوان، ولا بغرض الحرب، ولكن بغرض الدفاع عن نفسها[٢٥].

وإذا كانت شهادة ديان تؤكد على أن صفقة الأسلحة التشيكية كانت عاملا حاسما فى قلب «ميزان القوى» رأسا على عقب[٢٦] فإن الدراسة الموضوعية للصفقة التى أبرمتها مصر لا تنبئ بأن السوفييت قد عملوا على تجاوز هدف تعزيز النظام المصرى وتمكينه من البقاء خارج الأحلاف وتحقيق التوازن مع إسرائيل، فلم تكن الأسلحة التى تعاقدت عليها مصر - باستثناء القاذفات الخفيفة - تمنحها التفوق الذى يمكنها من تهديد أمن إسرائيل بصورة خطيرة[٢٧].

وبالرغم من ذلك فقد ساد افتراض فى جميع الأوساط الإسرائيلية على أن العرب لن يتنازلوا بأية صورة من الصور عن القيام بمحاولة ثانية لتدمير إسرائيل، مما بعث جوا من الحذر والرعب[٢٨]، وأخذت الأحزاب تقترح (برنامج طوارئ) لمواجهة الكارثة المرتقبة[٢٩]. وعقد الكنيست اجتماعا لمناقشة الموضوع مناقشة شاملة. وقد عبر جميع الخطباء فى كلماتهم عن أن المعنى الحقيقى الكامن خلف صفقة الأسلحة التشيكية لمصر هو الحرب وأن هذه الحرب ستهب فى القريب العاجل[٣٠].

وأدرك بن جوريون أن الأهداف الحقيقية الكامنة خلف قيام عبد الناصر بعقد صفقة الأسلحة التشيكية هو أن هذه الأسلحة ستوجه ضد إسرائيل وحدها، ولذلك فقد قال للسفير الأمريكى فى ١٥/ ١/ ١٩٥٦م «من الواضح أن رصاص السلاح السوفييتى هدفه الصدور الإسرائيلية»[٣١]. ويذكر موشى ديان فى مذكراته أن الحكومة الإسرائيلية نظرت إلى عقد عبد الناصر لصفقة الأسلحة التشيكية على أنه تمهيد لمواجهة حاسمة سيقوم بها عبد الناصر «لمحونا من الوجود أو على الأقل لتحقيق نصر عسكرى يجعلنا خاضعين بلا حول ولا قوة»[٣٢]. ويمكن القول إن صفقة الأسلحة التشيكية كانت من العوامل التى دفعت إسرائيل إلى التفكير جديا فى العدوان على مصر لإجهاض القوة العسكرية المتنامية لمصر.

أما الدافع الثانى وراء العدوان الإسرائيلى على مصر فينحصر فى رغبة إسرائيل فى توجيه ضربة حاسمة للحصار المصرى على خليج العقبة بعد النجاح الذى حققته مصر فى

فرض سيطرتها على مضايق تيران (شرم الشيخ، ورأس نصراني، وجزيرتي تيران وصنافير) الأمر الذى أتاح لها السيطرة على حركة الملاحة البحرية من إسرائيل إلى البحر الأحمر[٣٣].

وقد أورد موشى ديان فى يومياته عن معركة سيناء أن مسألة حرية الملاحة فى البحر الأحمر كانت إحدى عوامل الاشتعال الرئيسية فى النزاع بين مصر وإسرائيل. فمن أجل الوصول من البحر المتوسط إلى البحر الأحمر يجب على السفن الخارجة من ميناء حيفا أن تعبر قناة السويس، وكذلك فإن السفن التى تبحر من إيلات[٣٤] – الميناء الجنوبى لإسرائيل – يجب أن تمر فى مضيق إيلات. وقد كانت سياسة مصر سد هذه المعابر فى وجه السفن الإسرائيلية ومنعها بذلك من الاتصال البحرى المباشر مع شرق إفريقيا وآسيا. ويرى ديان أن منع استعمال هذه الممرات كان يمثل ضررا اقتصاديا خطيرا وحائلا يعطل من نموها[٣٥].

ويذكر ديان أن المصريين قرروا فى سبتمبر ١٩٥٥م «زيادة وتوسيع نظام غلق المضايق فوجهوا بيانا لشركات الملاحة والطيران بأن المرور فى البحر والجو، هو مرور فى أرض ومياه إقليمية مصرية يجب الإبلاغ عنه قبل ٧٢ ساعة. وأما فيما يختص بإسرائيل فقد تضمن هذا البيان عدم السماح لطائراتها وسفنها بالمرور فى المضايق بسبب قيام حالة حرب بين مصر وإسرائيل»[٣٦]. ثم قال «وتوقفت عقب هذا البيان بالإضافة للملاحة، الرحلات الجوية لشركة الطيران الإسرائيلية «العال» على خط تل أبيب – جنوب إفريقيا الذى يمر طريقه فوق المضايق»[٣٧].

وهكذا نجحت مصر فى تشديد الحصار الاقتصادى من هذا الاتجاه على إسرائيل وفق ما تقتضيه حالة الحرب فى أحكام القانون الدولى[٣٨]. ولقد تبرمت إسرائيل بشدة من هذا الحصار الذى حول ميناء إيلات إلى شاطئ بحيرة مغلقة، الخروج منها رهن بموافقة المصريين على حد قول موشى ديان[٣٩]، بل إنه اعتبر هذا الإجراء وقتئذ، بمثابة القشة الأخيرة[٤٠] وبدأت الحكومة الإسرائيلية تفكر جديا فى احتلال مضايق إيلات بقصد ضمان الملاحة الحرة للسفن الإسرائيلية فى البحر الأحمر. وبحثت الحكومة فعلا هذا الموضوع فى نوفمبر ١٩٥٥م. ولكن تقرر أن الوقت غير مناسب لذلك ورؤى أن تعمل إسرائيل فى المكان والزمان اللذين يبدوان مناسبين لها[٤١].

وهكذا رفضت إسرائيل الدخول فى حرب وقائية بسبب ما ستسفر عنه هذه الحرب من دمار وخراب. وخشية أن تتدخل دولة ثالثة فى هذه الحرب كان بن جوريون يعنى

احتماليـــة وقوف بريطانيا إلى جانب العرب بشـــكل عملى) وخوف إســـرائيل من ظهورها بمظهـــر أمـــة عدوانية. وفى هذه الحالة فإن الجميع ســـيمنع عنها الســـلاح على حد قول مردخاى بار أون[٤٢].

وبدأت إســـرائيل فى انتظار الوقت المناسب لشن حرب على مصر بحيث يتلاءم الزمان والمكان مع مخططاتها ووجهت جل جهودها نحو التوصل إلى توازن فى التسليح على حد قول إحدى الشـــهادات[٤٣] والتوازن الذى تقصده إســـرائيل هو التفوق العسكرى الذى يتيح لها الانتصار السريع والسهل لأن إسرائيل لا تتحمل هزيمة عسكرية. وتمكنت إسرائيل من توطيد أواصر علاقاتها مع فرنسا التى وافقت بدورها على تزويد إسرائيل بأسلحة حديثة[٤٤] فهدأت المخاوف الإسرائيلية بعض الشىء[٤٥].

وفى إبريل ١٩٥٦م وصلت إلى إسرائيل الطائرات (الميستين) الفرنسية. ووقعت إسرائيل وفرنســـا اتفاقا ســـريا على الصعيد الاســـتخبارى واتفاقا آخر للتزود بالسلاح أسفر عن بدء وصول شحنات من الدبابات والمدافع المتحركة والذخائر وقطع الغيار إلى إسرائيل[٤٦].

وفى أعقاب قيام الرئيس جمال عبد الناصر بتأميم قناة الســـويس (٢٦ يوليو ١٩٥٦م)، بدأت عمليات جس النبض الفرنســـية البريطانية الأولى لإشـــراك إسرائيل فى حرب ثلاثية ضد مصر. وكى تقنع الدولتان إســـرائيل بالاشتراك تعهدت فرنسا بتزويدها بكميات كبيرة أخرى من الأســـلحة تضمنت عشـــرات الدبابات والمدرعات والطائرات والأجهزة المساعدة الأخرى. وقد أســـفرت تلك الصفقات عن تزايد قوة الجيش الإســـرائيلى خلال أغســـطس وسبتمبر وأكتوبر بشكل لم يسبق له مثيل[٤٧].

ويذكر موشى كرمل فى شهادته أن الفرنسيين أكدوا على ضرورة الإعداد لعملية عسكرية ضد مصر – وذلك خدمة لمصالحهم الناجمة عن المســـاعدات التى تقدمها مصر للجزائريين – على أن تبادر إسرائيل نفسها بالهجوم. وعلى أن يكون ذلك الهجوم حاسما ويؤدى إلى هزيمة مصر وإخضاعها[٤٨].

ووافقت إســـرائيل على دخـــول الحرب ضد مصر بالتواطؤ مع فرنســـا وإنجلترا، وكان بن جوريـــون قد افتتن بفكرة أن إســـرائيل الدولة الحديثة التـــى لم تبلغ من العمر أكثر من ثمانى ســـنوات فى هذا العالم تزاملت مع حليفتين من القوى العظمى: إنجلترا وفرنسا فى عملية السويس وسيناء[٤٩].

والسؤال الذى يطرح نفسه على حد قول إحدى الشهادات هو كيف وافقت إسرائيل على المشاركة فى الحرب فى الوقت الذى كانت حكومتها فى السابق تعارض بشدة كل مبادرة تؤدى إلى نشوب حرب شاملة دون التوصل إلى توازن تسليحى مع مصر بشكل مناسب؟.

وتجيب إحدى الشهادات عن هذا السؤال فتذكر أن غالبية الزعامة السياسية والعسكرية الإسرائيلية كانت على يقين بأن عبد الناصر سيوجه كل جهوده لتصفية الحساب معهم بمجرد تلاشى أصداء قضية قناة السويس، وتغلبه على المشاكل التى خلفتها له، وبمجرد تمكن جيشه من استيعاب السلاح السوفييتى الجديد. ذلك أن تأميم القناة رفع عبد الناصر إلى ذرى المجد وجعل زعامته للعالم العربى بلا منازع. فإذا ما تمكن من التغلب على أزمة (قناة السويس) وخرج منها دون أن يصيبه أى أذى فلا شك أنه سيتمكن من توحيد الأمة العربية خلفه. وحينها ستواتيه الفرصة الذهبية ليضرب ضربته ويهزم إسرائيل هزيمة ساحقة، بالإضافة إلى أن أزمة السويس أوجدت متغيرات جديدة فى منطقة الشرق الأوسط أدت إلى قلب الموازين والتى أملت على الإسرائيليين الامتناع عن شن حرب وقائية فى نهاية ديسمبر ١٩٥٥م – رأسا على عقب وهى كالتالى:

(أ) أدى تأميم قناة السويس إلى نقل بريطانيا سواء أكان ذلك بإرادتها أو رغما عنها إلى الخندق الإسرائيلى على الأقل فيما يتعلق بمصر.

(ب) إن مشاركة إسرائيل للبريطانيين والفرنسيين فى الحرب ضد مصر سيعفيها من تحمل جزء كبير من الخسائر المادية والبشرية التى كان بن جوريون يخشاها فيما إذا شنت إسرائيل وحدها الحرب.

(جـ) إن المشاركة الإسرائيلية ستؤمن قيام الفرنسيين بتزويدها بأسلحة بشكل عاجل وبكميات كبيرة، إضافة إلى شكل التحالف الذى سينشأ والذى سيحول فرنسا خلال العقد التالى إلى أكبر مزود لإسرائيل بالأسلحة(٥٠).

ويدل ذلك على الدور الانتهازى الذى لعبته إسرائيل فى هذه الحرب وهو الدور الذى شبهه موشى ديان فى مذكراته براكب الدراجة الذى يسافر إلى أعلى الجبل مستعينا بعربة تسير أمامه، وعندما يصل إلى هدفه يتركها ويشق طريقه بنفسه(٥١).

وهكذا أوضح لنا ديان أن إسرائيل كانت تعتمد أساسا فى مخططها للعدوان على مصر على وقوع الغزو البحرى الأنجلو – فرنسى، وتحول ثقل الصراع المسلح نحو قناة السويس

وبهذا يخلو لها الميدان فى سيناء فتتصرف مثل راكب الدراجة الذى يصعد الجبل مستعينا بعربة تسير أمامه. ويؤكد ديان على ذلك قائلا «ولولا المغامرة الإنجليزية – الفرنسية لكان هناك شك فى أن إسرائيل يمكن أن تقوم بمعركة سيناء، ولو كانت فعلت ذلك لاختلف وجه المعركة عما حدث سواء من الناحية العسكرية أو من الناحية السياسية»[٥٢].

ويدل ذلك على الدور الانتهازى الذى لعبته إسرائيل فى حرب العدوان الثلاثى على مصر. وها هو موشى ديان يقر بأن إسرائيل لم تكن لتجرؤ على التصدى للحرب بمفردها، وأن العملية الأنجلو فرنسية «موسكتير» كانت هى الحافز والأمان للهجوم الإسرائيلى على سيناء. ولكن ما هى أهداف إسرائيل من دخول الحرب؟.

٢ـ أهداف إسرائيل من دخول الحرب:

قررت إسرائيل شن الحرب ضد مصر وكانت لبن جوريون أهداف استراتيجية من ضرب مصر تتلخص فى: ضرب قواعد الفدائيين فى شبة جزيرة سيناء، وتفريغ شبه جزيرة سيناء من أى احتمال هجوم مصرى وجعلها منطقة منزوعة السلاح، والسيطرة على مضيق تيران المتحكم فى الطريق البحرى لإيلات عبر خليج العقبة، وتأمين مشارف إيلات بالسيطرة على طابا، وطرد مصر من قطاع غزة وعدم السماح بعودتها، وإسقاط نظام ناصر الثورى[٥٣].

ولقد جاء فى خطاب ديفيد بن جوريون رئيس وزراء إسرائيل فى ١٥ أكتوبر ١٩٥٦م أمام الكنيست قبل العدوان بنحو أسبوعين إن مصر هى العدو الرئيسى لإسرائيل»[٥٤]. وفى اجتماع لمجلس الوزراء الإسرائيلى صباح الأحد ٢٨ أكتوبر ١٩٥٦م أى قبل الحرب بيوم واحد أكد ضرورة الحرب ضد مصر. ويمكن أن نوجز الأهداف الاستراتيجية لإسرائيل من المشاركة فى حرب ١٩٥٦م فى الآتى:

تأمين الكيان الصهيونى، وفرض الملاحة الإسرائيلية فى خليج العقبة، وخلق حالة صراع مسلح على مشارف القناة تكون ذريعة لشن الهجوم الرئيسى لحلفاء إسرائيل (بريطانيا وفرنسا) مع جذب أنظار القيادة العامة المصرية بعيدا عن اتجاه الضربة العسكرية الرئيسية ضد مصر، واستدراج معظم القوات المسلحة المصرية نحو سيناء وتوريطها فى قتال استنزافى وقطع طرق إمدادها والمساعدة فى تشتيتها لتقاتل ثلاث قوى فى آن واحد (إسرائيل وفرنسا وبريطانيا) تمهيدا لتدميرها فى أسرع وقت ممكن لحسم الصراع المسلح لصالح إسرائيل ومن ثم تأمين شبة جزيرة سيناء، وأخيرا الحفاظ على التفوق العسكرى لصالح القوات الإسرائيلية من خلال إجهاض صفقة الأسلحة الروسية لمصر عام ١٩٥٥م[٥٥].

وبالرغـم مـن هذه الأهداف الواضحة والصريحة إلا أن بعض الشـهادات الإسـرائيلية تتجاهل الحقائق عن عمد وقصد بغرض تزييف التاريخ ومن هذه الشـهادات شهادة جولدا مائـير التى ذكرت أن الهدف من العدوان الإسـرائيلى كان «منـع تدمير الدولة اليهودية، فالتهديد كان واضحا. ولا أحد فى إسـرائيل نسى حرب الإبادة والتصفية الجماعية فكان علينا أخذ زمام المبادرة. والله يعلم بأنه لم يكن قرارا سهلا لاتخاذه. فبدأنا بالتخطيط سرا لحملة سـيناء التى عرفت فى إسـرائيل بعملية قادش»[٥٦]. وهذا الكلام لا يتفق مع حقائق التاريخ المعروفة. ويمثل مغالطات مقصودة بغرض تشويه حقائق التاريخ.

أما موشيه ديان فيقول فى مذكراته يوم ٢ أكتوبر ١٩٥٦م ما يلى «وفى هذه الليلة أعطى الأمر الإنذارى لمعركة شـاملة. معركة هدفها عزل الجيش المصرى من العريش حتى شـرم الشـيخ. معركة إن نجحت ستضمن حرية الملاحة إلى إيلات وتبعد قواعد الجيش المصرى والإرهاب إلى ما وراء شبة جزيرة سيناء»[٥٧]. وهو هنا يذكر الأهداف كما يراها، لكنه يرى عكس ما نراه والإرهاب الذى يقصده هنا هو قواعد الفدائيين المصريين فى سيناء الذى كان يريد القضاء عليها، لكنها لا تقوم بعمل إرهابى كما يدعى ديان بل إنها كانت تقوم بعمل وطنـى مهـم وهو الدفاع عن الوطـن ضد من يتربصون به ويريـدون احتلاله. وتلك المفاهيم المغلوطـة فى الفكر الإسـرائيلى لا تزال موجودة حتى الآن فى النظـر إلى المقاومة بوصفها إرهاب وهذا أيضا بعيد عن الحقائق التاريخية المعروفة.

ويذكر مردخاى بار أون فى شهادته أن بن جوريون قال فى إحدى جلساته الأسبوعية التى عقدها مع رئيس أركانه ومدير مكتب وزارة الدفاع «إن المكسب الوحيد الذى قد تسفر عنه هذه الحرب – إذا ما أسفرت عن مكسب – هو أن تتمكن من إسقاط جمال عبد الناصر»[٥٨]. وكان الإسـرائيليون يأملون فى أن يؤدى إيقاع هزيمة سـاحقة بمصر إلى تقويض زعامة عبد الناصر وثقته الشخصية بنفسه، ويساعد فى إعادة إحياء قدرة الردع الإسرائيلية[٥٩]. كما كان هدف إسـرائيل السيطرة على شرم الشـيخ لتأمين الملاحة من وإلى إيلات بشكل نهائى، واحتلال المنطقة الممتدة من العريش وحتى شـرم الشـيخ فى محاولة من إسـرائيل لجعل هذه المنطقة بمثابة حزام أمنى يلف صدر النقب، ويشـكل متراسا دفاعيا إضافيا إذا ما فكر المصريون فى المستقبل فى شن حرب مفاجئة[٦٠]. ولكن هل تحققت الأهداف الإسرائيلية؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه من خلال النقطة التالية والمتعلقة بنتائج حرب ١٩٥٦م.

٣ ـ نتائج حرب ١٩٥٦م من وجهة النظر الإسرائيلية:

تتفق كل الشهادات فى أن إسرائيل حققت انتصارا فى حرب ١٩٥٦م، بل ورأت بعض الشهادات أن إسرائيل حققت كل أهدافها. ويرى إسحاق رابين أن حرب ١٩٥٦م حسب نتائجها من أنجح حروب إسرائيل وجيشها الصغير، ولا أهمية البتة للعوامل المساعدة التى توفرت فى تلك الآونة والتى لا يمكن أن تتكرر فى المستقبل، والإنجاز الأول يتمثل فى تعزيز فكرة الردع الإسرائيلية، وغرس القناعة لدى العرب بأن القتال ضد إسرائيل يحمل فى طياته أخطارا جسيمة عليهم. والإنجاز الثانى هو التأكيد على كفاءة إسرائيل العسكرية وزيادة ثقة الجيش الإسرائيلى فى نفسه[٦١].

أما الإنجازات العملية لحرب سيناء فتتمثل فى حرية ملاحة إسرائيلية دائمة، الأمر الذى أدى لتطوير النقب وإيلات، كما أدى إلى فتح الطريق أمام إسرائيل لإقامة علاقات مع دول شرق إفريقيا، كما شكلت جسرا يمكنها أن تعبر عليه إلى الشرق الأقصى ووسط آسيا، فضلا عن الهدوء الذى أخذ يسود قطاع غزة فى الآونة الأخيرة، وتلك الحدود التى أصبحت أهدأ حدود بالنسبة لإسرائيل مما ساعد على تطوير مستوطنات الحدود بشكل كبير. كما كان لحرب سيناء أثر كبير لتعزيز موقف إسرائيل فى الشرق الأوسط، ودفع العديد من الدول على التفكير فى إقامة علاقات معها بسبب قوتها العسكرية والسياسية[٦٢].

أما مردخاى بار أون فيذكر أن جميع الأهداف التى وضعتها إسرائيل نصب عينيها قد تحققت فعلا فى حرب ١٩٥٦م على الجانب المصرى ومنها:

(أ) أن الطريق المائى القادم من وإلى مضائق تيران أصبح مفتوحا فى وجه السفن الذاهبة من وإلى إيلات مما أسفر عن ازدهار الميناء بشكل كبير. كما أصبحت هناك علاقات تجارية متينة مع عدد من دول البحر الجنوبية ودول شرق آسيا. كما أنشئ أنبوب نفط حصلت إسرائيل عن طريقه على كل احتياجاتها النفطية، بل وباعت النفط الذى قامت بتصفيته إلى الدول الأوربية.

(ب) توقفت جميع أعمال الفدائيين، وجميع عمليات التسلل التى ضايقت خلال السنوات السابقة للحرب المستوطنات الجنوبية بشكل نهائى. أما الحدود المصرية فقد هدأت لعشر سنوات.

(ج) كانت السنوات العشر من الهدوء على الحدود المصرية بمثابة عامل حيوى جدا لتطوير وترسيخ إسرائيل، فتضاعف الإنتاج الوطنى وازداد دخل الفرد الإسرائيلى،

وأدى هذا الازدهار الاقتصادى والزيادة فى عدد المهاجرين إلى تعزيز وتقوية القوات العسكرية الإسرائيلية[٦٣] التى تطورت بشكل كبير وضخم ولم يكن هذا التطور ناتجا عن الهدوء الذى ساد الجبهة المصرية طيلة عشر سنوات. بل لقد جاء بشكل أساسى على حد قول مردخاى «على أرضية العلاقة الفرنسية الإسرائيلية التى توطدت بشكل كبير فى أعقاب حرب ١٩٥٦م والتى أدت إلى تقديم فرنسا لإسرائيل مساعدات عسكرية هائلة[٦٤]. ويشير مردخاى إلى تطور العلاقة الأمريكية الإسرائيلية بعد حرب ١٩٥٦م وبداية اعتبار أمريكا لإسرائيل كوسيلة ضرورية وهامة للحد من السيطرة السوفييتية وانتشارها فى منطقة الشرق الأوسط[٦٥]. وبالتالى الاهتمام بتعزيز وتقوية القوة العسكرية الإسرائيلية. وهو هنا يسلط الضوء على قضية خطيرة وهى اهتمام الدول الكبرى بإسرائيل وتزويدها بالسلاح وجعلها باستمرار أقوى من العرب لأنها قاعدة للاستعمار فى المنطقة تحمى مصالحه وتدافع عنه. ولكن هل حققت إسرائيل كل أهدافها فى حرب ١٩٥٦م؟ هذا ما سنوضحه فى النقطة التالية.

٤ـ ما لم تحققه إسرائيل فى حرب ١٩٥٦م:

إن إسرائيل لم تحقق كل أهدافها فى حرب ١٩٥٦م. وكانت شهادة رابين من أكثر الشهادات موضوعية حيث تناول هذه النقطة بكثير من العمق والدراسة حيث قال لكل حرب أهدافها التى يجب أن نقيس مدى نجاحها أو فشلها بمدى ما حققته منها. وقد سبق وأن قال «كلازوفيتش» - منظر عسكرى روسى - إن الحرب هى استمرار للسياسة بطرق أخرى. وبالتالى فإن نتائج الحرب لا تقاس فقط بمدى إنجازاتها العسكرية، بل أيضا بمدى الإنجازات السياسية التى حققتها كما لا يمكننا تقييم نجاح أو فشل الحرب بالإنجازات العسكرية وكسب المعارك. بل بمدى ما حققته تلك الحرب من حلول للمشاكل القائمة بين الجهات المتنازعة.

إن ما نريد قوله إن حرب ١٩٥٦م لم تحل قضية (انعدام السلام) بين إسرائيل وجاراتها العربية، بل إنها لم تؤدى إلى تحسن هذا الوضع. وبرغم أنه ليس بمقدور أى حرب أن تحل مثل هذا الوضع، إلا أننا لا نستطيع تجاهل هذا الأمر. كما أن نظام عبد الناصر لم يتقوض من جراء تلك الحرب رغم الهزة الكبيرة التى نالها. كما أنها لازالت أقوى قوة

عسكرية تهدد أمن إسرائيل من بين الدول العربية. وبرغم أن حرب ١٩٥٦م غيرت الكثير من وجهة النظر المصرية تجاه حل النزاع العربى الإسرائيلى إلا إنها لم تغير من أهدافها الرئيسية بهذا الصدد. كما أن حرب ١٩٥٦م لم تحدث أى أثر أو تغير على الحدود الإسرائيلية كما تم تحديدها فى أعقاب حرب ١٩٤٨م. وبرغم أنه نشأ نوع من الوضع السياسى بين مصر وإسرائيل فى أعقاب الضغوط السياسية التى اضطرت إسرائيل فى أعقابها إلى الانسحاب من سيناء وقطاع غزة(٦٦). وهذه الشهادة تتسم بالموضوعية وهى على النقيض تماما من شهادة جولدا مائير التى تدعى أن إسرائيل حققت نتائج باهرة فى حرب ١٩٥٦م وتقول «إننا ربحنا الحرب ضد مصر» إلا أن فرنسا وبريطانيا قد خسرتاها بسبب رد الفعل العام فى كل منهما الذى اعتبرها اعتداء إمبرياليا على دولة أجنبية. وفشل الهجوم الأنجلو فرنسى تحت الضغطين الأمريكى والسوفييتى اللذان طلبا سحب قواتهما من منطقة قناة السويس. وانسحاب إسرائيل من شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة(٦٧).

والواقع أن إسرائيل لم تربح الحرب ضد مصر كما تدعى جولدا مائير، بينما يذكر رابين فى مذكراته شهادة إنصاف لمصر ولعبد الناصر قائلا «إن عملية سيناء فى عام ١٩٥٦م لم تضر بهيبة مصر وزعيمها عبد الناصر فقد جمع عبد الناصر هيبة سياسية وشخصية ومهد الطريق لتقويض مواقف الغرب فى الشرق الأوسط»(٦٨).

ويذكر رابين فى تعليق له على حرب ١٩٥٦م «إنه كان هناك انتصاران فى سيناء.. انتصار إسرائيلى وانتصار مصرى.. بينما كان هناك مهزومان: بريطانيا وفرنسا.. وإنه فيما يتعلق بمصر فإن ظروف الحملة والأمور التى أحاطت بها قد ثبتت مكانة عبد الناصر فى العالم الثالث وفى العالم العربى كقائد عظيم وزعيم بلا منازع، وأن الأخطاء التى ارتكبت خاصة من جانب البريطانيين والفرنسيين قد رفعت زعامة عبد الناصر إلى مرتبة لم تكن له من قبل»(٦٩).

ومصر لم تهزم فى حرب ١٩٥٦م كما تدعى بعض الشهادات الإسرائيلية، لأننا لو كنا انهزمنا عسكريا فى ١٩٥٦م ما كنا استطعنا أن ننتصر سياسيا على حد قول كمال حسن على فى كتابه «مشاوير العمر»(٧٠) حيث قال «وأفضل دليل مؤسف أسوقه للبرهنة على ذلك ما حدث فى ١٩٦٧م فقد انهزمنا سياسيا فى ١٩٦٧م لأننا أساسا قد انهزمنا عسكريا»(٧١).

وهكذا يمكن القول إن مصر لم تهزم فى حرب ١٩٥٦م، لكن إسرائيل فى نفس الوقت

قد حققت أحد أهدافها السياسـية بفتح مضايق تيران فى مدخل خليج العقبة أمام الملاحة الإسـرائيلية. بعد أن قررت الأمم المتحدة وضع طوارئ دولية فى شـرم الشيخ وعلى حدود مصر الشرقية وعلى حدود القطاع الفلسطينى فى غزة الذى كانت تديره مصر[٧٢].

وكان هذا هو المكسـب الوحيد الذى حققته إسـرائيل من حرب ١٩٥٦م، لكنها فشلت فى تحقيق هدفها الرئيسى وهو القضاء على عبد الناصر.

□□□

الهوامش

(١) موشى ديان. يوميات معركة سيناء. إدارة المطبوعات والنشر للقوات المسلحة ١٩٦٦م.

(٢) انظر. جولدا مائير. حياتى. ترجمة دار الجليل، الطبعة الأولى دار الجبل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية. عمان ١٩٨٩م.

(٣) موشى كرمل. هكذا اتخذ القرار. منشور فى مردخاى بار أون. حرب سيناء ١٩٥٦م تصورات إسرائيلية. ترجمة. بدر العقيلى. دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، الطبعة الأولى. عمان ١٩٨٨م. ص ٨٥ وما بعدها.

(٤) لمزيد من التفاصيل انظر. نفس المصدر. ص ٨٩، ٩٠. ويذكر موشى كرمل الأسباب التى دعت بن جوريون يتطلع إلى فرنسا قائلا «وسرعان ما اتضح لنا إنه يتطلع إلى فرنسا كمورد معقول ومحتمل للأسلحة والتعاون، وذلك لما تعانيه فرنسا من مشاكل جراء حربها فى الجزائر التى تعاونها مصر. مما يوجد قواسم مشتركة بينها وبين إسرائيل على صعيد الخصم، ويوجد الأسس المحتملة لإمكانية التعاون بيننا وبينها فى مواجهة العدو المشترك» انظر نفس المصدر. ص ٨٧.

(٥) إسحاق رابين. مذكرات إسحاق رابين، القسم الأول، سلسلة شخصيات صهيونيه، ١١/١٠. دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، الطبعة الأولى، عمان ١٩٩٣م.

(٦) لمزيد من التفصيل انظر. نفس المصدر، ص ٨٥، ٨٦.

(٧) اسحاق رابين. عبر حرب سيناء ١٩٥٦م. منشور فى مردخاى بار أون. حرب سيناء ١٩٥٦ تصورات إسرائيلية. ترجمة. بدر العقيلى. دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، الطبعة الأولى. عمان ١٩٨٨م. ص ١٩٥ وما بعدها.

(٨) مردخاى بار أون. حرب سيناء شخصيات وإنجازات. منشور فى مردخاى بار أون. حرب سيناء ١٩٥٦م تصورات إسرائيلية. المصدر السابق. ص ٥ وما بعدها.

(٩) محمد السعيد إدريس. أزمة السويس والصراع على مستقبل الشرق الأوسط. بحث منشور فى مجلة السياسة الدولية، العدد ١٦٦ أكتوبر ٢٠٠٦م. ص ٢٥.

(١٠) صلاح منتصر. من عرابى إلى عبد الناصر قراءة جديدة للتاريخ. الطبعة الأولى، دار الشروق. القاهرة ٢٠٠٣م. ص ٤٩، ولمزيد من التفصيل عن دور إسرائيل فى خطط

الاستعمار انظر إسماعيل صبرى عبد الله. الكوكبة والتنمية المستقلة والمواجهة العربية لإسرائيل، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٧م. ص ٢٦٩ وما بعدها.

(١١) نقلا عن جمال شترة. إسرائيل وثورة يوليو ١٩٥٢م – ١٩٥٦م. بحث منشور فى حرب السويس بعد أربعين عاما. تحرير رؤوف عباس حامد. مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة ١٩٩٧م ص ٥٨.

(١٢) طه المجدوب، سنوات الإعداد وأيام النصر يونيو ١٩٦٧م – أكتوبر ١٩٧٣م. مركز الأهرام للترجمة والنشر. مؤسسة الأهرام الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٩م. ص ١٣.

(١٣) نقلا عن صلاح منتصر. المرجع السابق. ص ٥٣.

(١٤) طه المجدوب. المرجع السابق. ص ١٤.

(١٥) لقد كان لدى كل دولة من الدول الثلاث التى اشتركت فى العدوان على مصر العديد من الدوافع الهادفة لضرب مصر والتخلص من عبد الناصر حتى قبل أن يقدم على تأميم القناة. لمزيد من التفصيل انظر محمد صابر عرب. التواطؤ الثلاثى بحث منشور فى حرب السويس بعد أربعين عاما، تحرير رؤوف عباس حامد. مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام القاهرة. ١٩٩٧م ص ١٧٨ وما بعدها.

(١٦) صلاح سالم. سياسة مصر العسكرية إزاء حروب الشرق الأوسط. سلسلة تاريخ المصريين، عدد رقم ١٧٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠م، ص ٩٨، ٩٩.

(١٧) نقلا عن مردخاى بار أون. حرب سيناء شخصيات وإنجازات. ص ١٦.

(١٨) نفس المصدر. ص ١٦، ١٧.

(*) يذكر محمد حسنين هيكل أن إسرائيل مستعدة لضرب مصر فى كل وقت وبدون سبب، لأن مصر هى البلد الذى يمكن أن يقوم ويكون خطرا عليها، وهى البلد الذى يمكن أن يصنع أمن قومى عربى، فعندها إمكانية البشر، والموقع والتاريخ. نقلا عن برنامج مع هيكل. قناة الجزيرة بتاريخ ٢١/ ٢/ ٢٠٠٨م.

(١٩) نظرا لعدم حصول مصر على مطالبها من التسليح من الغرب ولكى تواجه خطر التسلح السرى الذى تقوم به إسرائيل لذا فإن مصر عقدت فى ١٧ سبتمبر ١٩٥٥م صفقة أسلحة مع الاتحاد السوفيتى حيث يتم توريدها عن طريق تشيكوسلوفاكيا، ولقد أعلن

عبد الناصر بنفسه نبأ هذه الصفقة قبل أن يسأله أحد بذلك وكانت هذه الصفقة عبارة عن ٥٣٠ عربة مدرعة، ٢٣٠ دبابة، ٢٠٠ ناقلة جنود، ١٠٠ مدفع ذاتى الحركة، ٥٠٠ قطعة مدفعية أنواع، ٢٠٠ طائرة مقاتلة وقاذفة، مجموعة بحرية تضم مدمرات وكاسحات ألغام وثلاث غواصات. نقلا عن وزارة الدفاع. حرب العدوان الثلاثى على مصر خريف ١٩٥٦م، الجزء الأول، دون تاريخ. ص ٢٥.

(٢٠) مردخاى بار أون. المصدر السابق. ص ٢١.

(٢١) كان يشغل حينئذ منصب وزير الدفاع تحت رئاسة شاريت رئيس الوزراء الإسرائيلى، إلى أن حانت الانتخابات في شهر نوفمبر ١٩٥٥م. فعاد بن جوريون رئيسا للوزارة ووزيرا للدفاع، انظر. موشى ديان. ديان يعترف. إعداد شوقى إبراهيم ومراجعة عزيز عزمى. كتاب التعاون، مركز الدراسات الصحفية مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر، القاهرة ١٩٧٧م ص ١١٢.

(٢٢) مردخاى بار أون. المصدر السابق. ص ٢١، ٢٢. كما ذكرت إحدى الشهادات أن هذه الصفقة – أى صفقة الأسلحة التشيكية – منحت مصر تجهيزا تسليحيا سوفيتيا كبيرا أمكنه تهديد الوجود الإسرائيلى بشكل خطير. انظر موشى كرمل المصدر السابق ص ٨٥.

(٢٣) موشى ديان. يوميات معركة سيناء. ص ٣٠.

(٢٤) عبد الرحمن الرافعى، ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢م. تاريخنا القومى فى سبع سنوات ١٩٥٢م – ١٩٥٩م، مطبعة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٥٩م. ص ١٦٨. وجدير بالذكر أن الرئيس جمال عبد الناصر ذكر فى حديث له مع كيرميت روزفلت – مبعوث الرئيس الأمريكى أيزنهاور – قائلا «وإنكم دائما تتكلمون عن التوازن العسكرى فى منطقة الشرق الأوسط رغم أن صحفكم تذكر أن الجيش الإسرائيلى قادر على القضاء على جميع الجيوش العربية، وأن ما لديه من عتاد وأسلحة يفوق ما لدى الدول العربية مجتمعة.. ونحن بتسليح جيشنا بهذه الصفقة لا نقصد الاعتداء على إسرائيل، وإنما هدفنا هو أن نكون قادرين على الدفاع عن أنفسنا» نقلا عن عبد اللطيف البغدادى، مذكرات عبد اللطيف البغدادى، الجزء الأول، المكتب المصرى الحديث، القاهرة ١٩٩٧م. ص ٢٠٥.

(٢٥) يبدو أن التوازن الذى تفهمته الدول الكبرى المؤيدة لإسرائيل على حد قول جمال عبد الناصر هو «أن تسلح إسرائيل ويمنع السلاح عن مصر وعن العرب» نقلا عن

عبد الرحمن الرافعي. المرجع السابق. ص١٧١. وهذا لا يعني إلا شيئا واحدا إنهم يريدون أن نكون مستضعفين.

(٢٦) موشي ديان. المصدر السابق. ص ٣٢ ويذكر ديان أن مصر كان لديها «عند عقد الصفقة ما يقرب من ٢٠٠ دبابة وكان لدى إسرائيل مثل هذا، والآن أصبحت القوة المدرعة لمصر بمفردها ودون حساب ما تملكه سائر الدول العربية، أكبر أربعة أمثال عما لدى إسرائيل. وحدث مثل هذا أيضا في الجو. فحتى ذلك الوقت كان لدى مصر نحو ٨٠ طائرة نفاثة في مقابل ٥٠ (متيور واوراجان) لدى سلاح الجو الإسرائيلي. ولكن رفعت الصفقة التشيكية عدد طائرات القتال النفاثة التي لدى مصر إلى ٢٠٠ طائرة أي إلى أربعة أضعاف عدد الطائرات الإسرائيلية، وتكرر هذا أيضا في المدفعية، وفي البحر، وفي كتائب سلاح المشاه لم يكن موقف إسرائيل بأفضل، وكان الفرق في «الكم» بل والتفوق في «الكيف» الذي حصلت عليه مصر عاملا حاسما في قلب كفتي «ميزان القوى» رأسا على عقب «انظر نفس المصدر. ص٣٢. ومن الواضح أن ديان كان مبالغا في تقديره لقوة مصر العسكرية إلى حد كبير، قبل الصفقة وبعدها، ولم يكن وحده الذي بالغ في تقدير الصفقة، فقد ذكر المارشال «تمبلر» رئيس هيئة الدفاع عن الإمبراطورية البريطانية «إن صفقة الأسلحة مع مصر كبيرة وتتضمن تسليح ثلاث فرق مدرعة طبقا للمعلومات المتوافرة لدى إدارة المخابرات العسكرية البريطانية» نقلا عن محمد حسنين هيكل. ملفات السويس حرب الثلاثين سنة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، مؤسسة الأهرام، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٩٦م ص ٣٦٨ ويعلق هيكل على ذلك قائلا «كان تمبلر» مبالغا في تقديره إلى حد كبير لأن صفقة الأسلحة مع الاتحاد السوفيتي في ذلك الوقت لم تكن تتجاوز تسليح أكثر من فرقة مدرعة واحدة» انظر نفس المرجع. ص ٣٦٨. كما ذكر ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطاني إلى «سلوين لويد» وزير الدولة للشؤون الخارجية وإلى السير «ويليام سترانج» «أعتقد أن موقفنا من إسرائيل يجب أن يكون أقرب من ذلك، إن إسرائيل أقوى قوة مقاتلة في الشرق الأوسط وقد يجئ الوقت الذي نستعين فيه بها إذا حاولت حكومة مصر أن تهاجمنا» نقلا عن. محمد حسنين هيكل. المرجع السابق. ص ٢٨٩. وهذا الكلام الذي ذكره تشرشل عام ١٩٥٣م. وأكد فيه أن إسرائيل أقوى قوة مقاتلة في الشرق الأوسط يدحض رواية ديان عن الفرق الشاسع لقوة مصر العسكرية قبل وبعد الصفقة، ويؤكد تشرشل في رسالة منه إلى ويليام سترانج بتاريخ

٢٣/٤/١٩٥٣م «إن أمامنا فى الغالب مواجهة مع مصر، وإسرائيل قد تصبح عنصرا مهما فى هذه المواجهة سـواء من الناحية العسـكرية أو السياسية، ولا يحق لنا أن نتخلى عن ورقة بهذه الأهمية» نقلا عن نفس المرجع. ص ٢٩٠. وجدير بالذكر أن هذه الوثيقة منشورة فى نفس المرجع ص ٧٥٠.

ويدل ذلك على أن الدول الكبرى عملت على أن يظل التوازن العسكرى فى صالح إسرائيل على حساب العرب لأن إسرائيل قاعدة للاستعمار تحمى مصالحه وتقدم له خدمات جليلة، لهذا تعاونت بريطانيا وفرنسـا وألمانيا الغربية والولايات المتحدة على تزويد إسـرائيل بكل ما تحتاج إليه فى سـخاء لا يكفى لتفسـيره نفوذ الصهيونيه فى تلك البلاد، وإنما يفسره أساسا إحساس الدول الاستعمارية بأنها تدافع عن قضية تمسها بشـكل مباشر، وبأنها تصون مصالح الاستعمار الغربى أو «العالم الحر» كما يقولون. انظر إسماعيل صبرى عبد الله. المرجع السابق. ص ٢٧٥.

(٢٧) محمـد حافظ إسماعيل. أمن مصر القومى فى عصر التحديات. مركز الأهرام للترجمة والنشـر، مؤسسـة الأهرام، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٧م. ص ٤٩. وجدير بالذكر أن محمد حافظ إسماعيل كان يشـغل وقتئذ مدير مكتب عبد الحكيم عامر وكان على رأس وفد عسـكرى ذهب إلى تشيكوسـلوفاكيا للقيام بمفاوضات وإبـرام اتفاق لتوريد احتياجات الجيش وسلاح الطيران من الأسلحة والمعدات. انظر نفس المصدر. ص ٤٥.

(٢٨) ونتيجـة لموجة الهلع التى أصابت إسـرائيل، هرع الآلاف من الإسـرائيليين الذين اسـتبد بهم القلق والخوف للتبرع بأموالهم وجواهرهم وبأشياء ثمينة أخرى للحكومة الإسـرائيلية، من أجل مساعدتها على شراء السلاح وصورت آلة الدعاية الإسرائيلية «عبد الناصر» على أنه شيطان يهدد وجود إسرائيل، وازدادت كراهية «بن جوريون» له فأخذ يصفه بين الحين والآخر بأنه «نموذج عربى مضلل ومخادع» نقلا عن جمال شقرة. المرجع السابق. ص٦٠.

(٢٩) مردخاى بار أون. المصدر السابق. ص ٢٢.

(٣٠) نفس المصدر ص ٢٢، ٢٣.

(٣١) نفس المصدر. ص ٢٣.

(٣٢) موشى ديان. ديان يعترف. ص ١١٣.

(٣٣) ممدوح أنيس فتحى. كيف يمكن هزيمة إسرائيل ؟ دراسة مقارنة لأسباب الهزيمة وعوامل النصر (١٩٤٨م – ٢٠٠٣م)، الطبعة الأولى، دار الأحمدى للنشر. القاهرة ٢٠٠٤م. ص ٥٨.

(٣٤) جدير بالذكر أن إسرائيل أطلقت على ميناء أم الرشراش اسم «ميناء إيلات» وعلى خليج العقبة اسم خليج إيلات وعلى مضايق تيران اسم «مضايق إيلات».

(٣٥) موشى ديان. يوميات معركة سيناء. ص ٣٧، ٣٨.

(٣٦) نفس المصدر. ص ٣٩.

(٣٧) نفس المصدر.

(٣٨) ممدوح أنيس فتحى. إدارة أزمة العدوان الثلاثى. بحث منشور فى حرب السويس بعد أربعين عاما، تحرير رؤوف عباس، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة ١٩٩٧م. ص ٢١٧.

وجدير بالذكر أن ديان يقول إن غلق المضايق ليس قانونيا ويتعارض مع معاهدة قناة السويس التى وقعت فى القسطنطينية عام ١٩٨٨م. انظر موشى ديان المصدر السابق. ص ٣٨. والجدير بالملاحظة هنا أن معاهدة القسطنطينية (٢٩ أكتوبر سنة ١٨٨٨م) تقر بحق مصر غير المنازع فى المادة ١٠ أن تتخذ من إجراءات الأمن ضد سفن الأعداء ما تراه ضروريا لسلامتها، لمزيد من التفصيل انظر راشد البراوى. مجموعة الوثائق السياسية. الجزء الأول. المركز الدولى لمصر والسودان وقناة السويس، جمعها وقدم لها وعلق عليها راشد البراوى، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٢م ص ٨٤، عبد الرحمن الرافعى. مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال تاريخ مصر القومى من سنة ١٨٨٢م إلى سنة ١٨٩٢م، الطبعة الرابعة، دار المعارف ١٩٨٣م. ص٢٢٨ وما بعدها. محمد عبد الرحمن برج. قناة السويس فى ١٠٠ عام. سلسلة اقرأ عدد رقم ٣٢٢، دار المعارف، أكتوبر ١٩٦٩م ص ٨١. فتحى رزق. قناة السويس، الموقع والتاريخ، القاهرة: ١٩٨٣م ص ٣٦٦ وما بعدها. ويمكن القول إن قيام مصر بتطبيق نظام التفتيش البحرى والجوى على مياها الإقليمية عمل قانونى سليم وحق لانزاع فيه.

(٣٩) موشى ديان. المصدر السابق. ص ٤١.

(٤٠) نفس المصدر. ص ٣٩.

(٤١) نفس المصدر ص ٤١.
(٤٢) مردخاى بار اون. المرجع السابق. ص ٢٦.
(٤٣) نفس المرجع. ص ٢٧.
(٤٤) كانت فرنسا تواجه أزمة حقيقية في الجزائر، وكانت المساعدات المصرية لثوار الجزائر تمثل دعما حقيقيا لاستمرار الثورة التى كانت تستنفذ قدرا هائلا من الإمكانات المادية والبشرية لفرنسا، وكان على فرنسا أن تعمل على انتزاع المبادرة من يد ناصر ووجدت ضالتها في إسرائيل فقررت أن تدعم إسرائيل لصد جمال عبد الناصر. لمزيد من التفاصيل انظر السيد فليفل. أثر دعم مصر للثورة الجزائرية على مشاركة فرنسا في العدوان. بحث منشور في حرب السويس بعد أربعين عاما. تحرير رؤوف عباس. القاهرة ١٩٩٧م. ص ٩٩ وما بعدها.
(٤٥) مردخاى بار أون. المصدر السابق. ص ٢٧.
(٤٦) نفس المصدر. ص ٢٧.
(٤٧) نفسه. ص ٢٨.
(٤٨) موشى كرمل. المصدر السابق. ص ٨٩.
(٤٩) اللجنة المصرية لتضامن الشعوب الإفريقية الأسيوية. وثائق ندوة السويس الدولية معركة السويس ثلاثون عاما وثائق وشهادات تاريخية، الطبعة الأولى. دار الشروق. ١٩٨٩م. ص ١٥٦.
(٥٠) مردخاى بار أون. المصدر السابق. ص ٣٠، ٣١، ومن المعروف أن فرنسا لعبت الدور الأهم فى تمكين إسرائيل من امتلاك السلاح النووى ودعمتها الولايات المتحدة فيما بعد. انظر محمد السيد سليم. دور العوامل الخارجية فى الصراع العربى – الإسرائيلى. مجلة السياسة الدولية، العدد ١٧٢، إبريل ٢٠٠٨م ص ٤٤.
(٥١) موشى ديان. يوميات معركة سيناء. ص ٨٨، ٨٩.
(٥٢) نفس المصدر. ص ٢٩ ويؤكد موشى ديان فى مذكراته أن اشتراك إسرائيل مع فرنسا وإنجلترا فى العدوان على مصر كانت فرصة تاريخية، وكان على إسرائيل أن تفعل أقصى ما فى وسعها للاستفادة منها. انظر موشى ديان. ديان يعترف. ص ١٢١، ١٢٢.
(٥٣) ألفت أحمد الخشاب. الأطماع الصهيونية فى شبه جزيرة سيناء. بحث منشور فى خمسون عاما على العدوان الثلاثى على مصر، إشراف محمد عفيفى. لجنة التاريخ، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٧م. ص ٣٣.

(٥٤) نقلا عن ممدوح أنيس فتحى. كيف يمكن هزيمة إسرائيل؟ ص ٨٨. وجدير بالذكر أن إســرائيل مازالــت تعتبر مصر هى الخطر الحقيقى عليهــا. وتذكر الصحافة الإسرائيلية أن التهديد العسكرى الأكبر على إسرائيل حاليا هو التهديد المصرى «فلــن يكــون ولم يكن هنالك أبدا ســلام مع مصر وأن الجيــش المصرى ليس له عدوا عدا إســرائيل وأن مصر تخطط لحرب إبادة ضد إســرائيل» ويعترف بعض الصحفيين الإسرائيليين بتأصل العداء الصهيونى ضد مصر برغم ما يعرف باتفاقية الســلام الموقعة بينهما». لمزيد من التفصيل انظر المعتز بالله محمد النووى صدمة جديدة فى عيد الغفران. مقال منشور فى مجلة الموقف العربى، عدد رقم ٢٢٨. ٣ أكتوبر ٢٠٠٦م ص ٣٦.

(٥٥) ممدوح أنيس فتحى. المرجع الســابق ص ٨٩. ولمزيد من التفصيل انظر موشى ديان. يوميات معركة سيناء. ص٨٦، ٢٢٢، ٢٢٣.

(٥٦) جولدا مائير. المصدر السابق. ص ١٣٣.

(٥٧) موشى ديان. المصدر السابق ص ٦٢.

(٥٨) مردخاى بار أون. المصدر السابق ص ٣٣.

(٥٩) نفس المصدر. ص ٣٢. ويذكر بن جوريون فى الكتيب الذى نشــره بعد حرب ســيناء تحت عنوان: لماذا قاتلنا؟ ولماذا انســحبنا، وما الذى أنجزناه؟ كتب. إن الهدف الأول لحرب ســيناء كان تعزيز قدرة الردع الإســرائيلية وكسر قوة جمال عبد الناصر. نقلا عن نفس المصدر ص ٣٢.

(٦٠) نفس المصدر. ص ٣٢.

(٦١) لمزيد من التفصيل انظر. إسحاق رابين. عبر حرب سيناء ١٩٥٦م، ص١٩٧ وما بعدها.

(٦٢) نفس المصدر. ص ٢٠١، ٢٠٢.

(٦٣) لمزيد من التفصيل انظر مردخاى بار أون. المصدر السابق ص ٣٤ وما بعدها.

(٦٤) نفس المصدر. ص ٣٨.

(٦٥) نفسه.

(٦٦) إسحاق رابين. المصدر السابق. ص ٢٠٢، ٢٠٣.

(٦٧) جولدا مائير. المصدر السابق. ص ١٣٦.

(٦٨) إسحاق رابين. مذكرات إسحاق رابين، القسم الأول. ص ٨٦.

(٦٩) انظر تعليق لمستر كايل عن ندوة عقدت بإسرائيل عام ١٩٨٦م. منشور فى اللجنة المصرية لتضامن الشعوب الإفريقية الأسيوية. وثائق ندوة السويس الدولية. ص ١٥٥.

(٧٠) نقلا عن محمد الجوادى. مذكرات وزراء الثورة، الجزء الأول. الطبعة الأولى، دار الشروق ١٩٩٥م. ص ٢٠.

(٧١) نفس المرجع. ص ٢٠.

(٧٢) محمد عبد الغنى الجمسى. مذكرات المشير محمد عبد الغنى الجمسى. حرب أكتوبر ١٩٧٣م. مكتبة الأسرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٣م. ص ٢٦.

□□□

ذكـــريات

شعر / خالد الكيلانى

يـا أخـي في مصر جدد ذكريات مــن سنين
قلـب الصفحـات واقرأ صفحـة للخالديـــن
قصـة الصـوت الـذى دوى فهــز الغافليـــن
قصــة البلــد الــذى رد الغــزاة الظالميـــن
قصــة الأحــرار ذى القــوة والعــزم المتيــن

يا أخي في مصر جدد ذكر ما اقترف اليهـود
ذكــر أم تــذرف الدمــع علــى فقـد الوليـد
ذكــر طفـل بعـد قتل الأب أضحى كالشريد
ذكــر عــذراء تهتـك سـترها بيـن الجنــود
ذكــر شـيخ قــدم الشـهداء فـي يـوم مجيـد

يا أخــى فــى مصر لا تنسـى دمـاء زاكيـات
أهـرقتها فــى بــلادك قاذفـات عاديـــات
وحــــروب أشــعلوها فــى ربـوع آمنـــات
وبيـــوت دمـــرتها غـــادرات جــــائرات
ونســـاء فــى دروب صائحـــات نائحـــات

يا أخــى فــى مصـر لا تنسـى لثالـوث لعيـن
وجيــوش ســافلات ســـاقها حقـد دفيـن
ســـاقها شـــوق لقتـــل الأبريـــاء الآمنين
وأتونــــا فـــى ظـــلام فـــإذ إنا ســـاهرون
وإذا هـــم فـــى البرلــس بعـد يـوم غارقـون

يا أخي في مصر جدد ذكر موقفـك المجـيد
ذكـــر شـــعب حطـم الأغـلال والقيد العتيد

ذكر جيل يضرب الأمثال للمجد التليد

ذكر من هبوا وقالوا نحن لسنا بالعبيد

ذكر أحرار تحدوا قوة الغدر العنيد

يا أخى فى مصر لا تنسى مدينة بورسعيد

حينما جاءوا إليها بالبوارج والجنود

فإذا بها كسعير يلتقفهم من بعيد

كلما ألقوا إليها رددت هل من مزيد

وإذا هم كنبات جاءه يوم الحصيد

□□□

تهويمات الوطن

شعر: فكرية غانم

إذا ما الليالى توالت علينا
وخيم بعد الصباح الغسق
سأوقن أن المقدر بيننا
وإن اللقاء وميض برق
لينبت بالروح شعرا وفنا
ويثمر دينا قوى العبق
يعطر خطوا تركناه كنا
فينساب فى العمر سحر الألق

إذا ما الليالى أطلت تحلت
وشاحات نفسى بدر الحياء
فينظم بالعقد عشقا فريدا
تجاوره دونه الانتهاء
خلود التوحد أطيافه
تداعب عند الظمأ الارتواء
لننهل نورا.. غديرا... حبورا
يذوبنا رقة واحتواء

إذا ما الليالى أشفت طوايا
من الوجد شمعاتها تحترق
ستجتاح ألحاننا دوزنات

لكــل صــدود المــدى تـخــترق
نجوب السحاب ... أكف الهوى
محلقــة تحتــوى مــن عشــق
بـتبتيــل شــوق وأنســام عطــر
وذكــرى وأخــرى لنا تستبــق

لئن كان فى النور سحرا حزينــا
فـإنــا فــؤاد لــدى البيــن رق
ســيرحـل عنـا فراغـا شقينـا
دهــــورا بأنــاتـــــه والأرق
نحــن إلـى الشمس حين الـشفق
وحــيــن تــزول حمــاة الأفـــق
إذا مــا الليـــالى توالــت علينـا
وخيــم بعــد الضـيـاء الغســق

إذا مــا الليالــى توالـــت تعالت
صرخــات شعب قليــل الحـيل
أمــام التفنــن فــى الانفــــراد
بدعوى الدمقـرط.. زيـف المطــل
تشق ســواد التداعــى... المساعى
بصرخــة أم... فــداء بطــــل
بـقولـــة «لا» تعتليهـا الطفولـــة
رغــم التعنـت... ينمـــو الأمــل

إذا مــا اللـيالى تـوالــت وهـانت
نفـــوس مكللـــة بالحيـــاة

تصــوغ التوحــد نبــراس عــزم
يواكب في الجمـ بـدء الصلاة
لســوف أجاهــر... الله أكبــر
تغمرنــي قبســات الإلــه
أطــل علــى أمــم كالغثــاء
لكثــرتنــا هــي أمــر جلــل!

إذا مـا الليــالي توالــت علينا
سـنعشق الفجــر بكــر النقــاء
ومن أحرف المجد ســوف تكـف
جحافـل قومـي عـن الانـحناء
فهل عند غوص الحضارات للعمق
يمتــد جــذر إلــى الانتهـــاء؟
أمـن سـاق عـرق الكفـاح المفـدى
سنروى سوى الحق في الإعتلاء؟

□□□

يا مجدنا فى بورسعيد

شعر: محمد عبد الفتاح متولى

أعـدِ الدمـاءَ مـن الجـدودِ إلـى حفيـدى
ومـنَ انتصـاراتٍ .. بذكـرى بُورسـعيد
يــا ليتمــا عمــرى يعــودُ فأبتــدى
مــن نصـرها فأكـونَ فـى ذِكـرِ الخلـودِ
ياليتـمـا رُتبـى.. يعــادُ نُحاسُــها
فأكـونَ جُنـديًّا فِـدا بلــد الصمــودِ

لـو كـان حظـى فـى الـورى كحظوظهـم
كنـت اشـتريتُ هديـة المجـد التليـدِ
وابتعــت عمــرى بـانتصـارك فـرحـةً
ولكِ ابتدعـت قصـائدا غمَرَت نشـيدى
الله أكــبر فــوق كيــدِ المعتــدى
الله أكــبرُ مانـعـا فــوق العـبيـدِ

هــىَ مــا أفــدتَ ومــا أُفِدتَ بغيـرها
يـا شعبَ مصرَ علـى الفِكاكِ مـنَ القيـودِ
وصَـلت حبالـكَ .. يـا أصيلُ متينــةً
مـن بعـد تقطيـعِ العـروبةِ بالحــدودِ
فحلــت حــياةٌ بالمحبــةِ بيننــا
لتعيـشَ دهــرا قــوةُ الشعـبِ العنيـد
شعـرى يفيـضُ كمــا تفيـض مشـاعرى

هيهاتَ كيلى.. مثل مكيالِ الشهيدِ
لكننى ما كنت أجبنُ فى الوغى
أو أن يرى ظهرى العداْ لو من بعيدِ
ما كان غيرُ اللهِ يهزِمُنا بها
لا إنجلترا لا.. لا فرنسا باليهودِ

قد كان خلف رعونة الأحداث من
وثق العهودَ بخسَّةٍ تحت الجليدِ
خلف الجدار تربصوا بأماننا
أما الفريسةُ لم تطأ فخَّ الجريد
أخفَى الأدلةَ راعىَ البقر المُسىءُ
لدينه.. إنِّى لأَتْهِمُ بالمزيدِ

عضى الأناملَ واليدينِ تغيظا
عضى الثرى يا خاسراتُ كما تريدى
فأنا انتصرتُ تحالفا معَ ربِّنا
يلدُ الصِّياحُ جلامدا بين الرعود
أعِ الدما .. يا مجدنا .. ليس الهوى
ومن انتصاراتٍ وذكرٍ للأسودِ

فلعلَّ مفتاحَ الحياةِ إلى المدى
صحوى وأسلحتى وأشعارى وعودى

□□□

Nasser and Black September 1970

Noha Osman Azmy

The Egyptian President Gamal Abdel Nasser considered the Arab affairs as the most crucial and contingent circle to Egypt. He spent years trying to achieve his aim of Arab Unity. Sometimes he was able to get his goal and many times he realized that the inter- Arab fractions were far beyond to be recovered. In spite of this fact, his attempts were never stopped. Black September in 1970 was one of the main events that threatened not only Nasser's objective of Arab Unity, but also the whole Arab entity in a very critical time of its history. While Nasser was stepping towards the reconstruction of his army and calling for Arab resistance after their defeat in 1967 to be ready for the next military confrontation with Israel, the Jordanian-Palestinian relations were deteriorated and the external intervention, including that of Israel, became very much possible, to achieve their targets in the region.

Several historians had approached this topic from different number of perspectives. Most of the historians talked about the Black September and the relations between the Jordanians and the Palestinians, focusing on the reason of the event. Malcolm Kerr and Laurie A. Brand claimed that the Palestinian Resistance was the responsible for the deterioration that led to this conflict(1). Alan Dowty and Abraham Ben-Zvi referred that Jordan's unannounced relation with the United States and Israel was the main reason for the escalation of the events(2).As for the Egyptian role, few numbers of historians focused on it. Anthony Nutting tried to follow Nasser's role and his effort to end this conflicts(3). In spite of these writings, many roles that affected on the event still unclear. The paper will use the US Department of State, to focus on the reasons, for Jordanians and the

Palestinians that led to Black September, the role of the external powers to stir up the fight between the two Arab countries, Egyptian role in Black September 1970, and its relations with both Jordan and the Palestinians, even before the conflict, that strongly affected on its role during the crisis. It will argue that Egypt was the only Arab power that was able to intervene to end this conflict and prevent imperialists and Zionists to intervene in the Arab affairs.

The topic still addresses critical questions. Who did win this civil war? Did Nasser's absence affect the conciliation between the two parties, after the conflict? Did the external powers achieve their goals?

The Jordanian – Palestinian relations were complicated and interlaced, scarcely to be separated throughout its different phases, depending on the strong historical, geographical, social and economic ties that always had been there to gather them.

The political relation between Jordan and Palestine was also different in its component and structure from any other inter-Arab relations. After the Palestine War 1948, more than 700.000 Palestinians were fled from their homes. Some 70.000 went directly to the East Bank of Jordan River, which at the time had an estimated, largely indigenous, Transjordan population of about 440.000.

In 1950, the Jordanian King Abdullah annexed the West Bank that had not been occupied by Israel, to be formally incorporated into his kingdom that was titled "The Hashemite Kingdom of Jordan". While this addition to the kingdom less than 7% of territory, it tripled his population[4]. Since the annexion of the West Bank, the population of the Hashemite Kingdom had been composed of two major communal groups: Transjordan and Palestinians.

The period from 1948 – 1964, was a period of integration between Palestine and Jordan. This period was ended when the first Arab Summit Conference was hold in Cairo, in January 1964. When the heads of the Arab States authorized Ahmed Al Shuqairi, the Representative of Palestine to the

Arab League, to contact the Palestinian people with the aim of establishing an organization of the Palestinian people to liberate their country and determine their own destiny. And in the Second Arab Summit conference, that was held in Alexandria in September 1964, they welcomed the establishment of the Palestinian Liberation Organization (PLO) as a boost to the Palestinian entity and vanguard for the collective Arab struggle to liberate Palestines[5].

These resolutions created the Jordanian worry towards this new born organization as it might compete with the Jordanian monarchy and try to have separate Palestinian entity. In spite of this worry, the Jordanian Government welcomed the convention of the First National Council of the PLO in 1964, to be sure that this entity would be connected to be sure that(this entity would be connected to the Jordanian one.

Many times, the Jordanian king, Hussein, declared that "Jordan is Palestine and Palestine is Jordan". It was his way to assert Jordan's decisive role in the determination of the political fate of the Palestinians to ensure the survival of his Hashemite monarchy[6].

Jordan took some steps to control the new Palestinian entity, like to make the head quarter of the PLO be in Jordan, and its members had to have special Jordanian passports. The duplication in the Palestinian people's representation led to clear dispute between the two parties concerning the PLO's targets and entity.

The Israeli attacks on the Jordanians Sammu' village, on November 13, 1966 was considered a turning point in the Jordan - Palestinian relations. The PLO criticized the Jordanian failure to protect the villagers and asked for military training for the villagers and to distribute arms among them. The tension between Jordan and Palestinians increased rapidly, till it was ended with the Jordanian resolution to close the PLO's offices in Jerusalem[7].

The Jordanian Government considered the PLO's desires of establishing training camps for the Palestinians in Jordan, went beyond the Summit Conference resolutions limits. As a result of this tension in February 1967,

the Jordanian government officially withdrew its approval with the PLO, describing the Palestinian leadership as conspirator and destructive.

The Jordan–Palestinian dispute was apparently frozen by the beginning of June 1967. when the Israeli threats began as a step towards the military confrontation with the Arabs on June 6 that ended with the Israeli occupation to Sinai. Golan Heights. West Bank and Gaza Strip.

After the 1967 war. Israel thought that it realized all its objectives, and its military victory would guarantee the acceptance of the Arab governments on its terms in the post war negotiations. In contrary, the Arab countries that participated in the war began to reconstruct their forces to start a new phase of resistance to remove the traces of the defeat. Within twenty days after the war, on July1. 1967. in Rass Al Ash, the attrition war began to impede the military Israeli existence on the Suez Canal. in form of frequent attacks. causing military and economic troubles to the enemy but would not lead to an exclusive war [8].

President Nasser supported the attrition war. He mentioned on February 18. 1963, that he could assure that Israel would not withdraw from the Arab Lands as a result of the US applying pressure on it, nor would withdraw as a result of the efforts of the United Nations, but it would withdraw when ,we became capable of carrying out military actions to drive it out of the occupied Lands[9].

On April 7. 1968, Nasser ensured that he would carry out operations with the Fedayeen in the occupied lands as he had received information indicated that the Israelis were very disturbed by the Fedayeen, since around fifteen people were being killed every week [10].

The Palestinian guerrillas organized in the early 1950's to harass newly created Israel, seek to become a rallying point for Palestinian irredentism. Their fortunes and following were low until the 1967 Six Days War.

The CIA's reports mentioned that there were eleven Fedayeen organizations. most of them were members of the PLO. and the larger and more heavily financed group was Fatah. It was founded in 1956, headed by a Jerusalem –

born Palestinian called, Yasser Arafat. It claimed to be without political bias and seek friendship of all Arab governments, but in fact supported extreme guerrilla tactics through its Front. There were also ideologically oriented groups that included the Popular Front for the Liberation of Palestine (PFLP), which main concern was to overthrow the conservative Arab regimes as prerequisites for the liberation of Palestine; their hostility to the US and the most Western countries was intense (11).

In 1955 the Palestinian Resistance Movement began to take on a more organized character;, in fact, the Israelis believed that the Egyptian were sponsoring and training them, as in early 1955 when Israel attacked Egyptian military installations outside Gaza in reprisal for a serious of raids from the Gaza Stripe.

By 1965, the Israeli program to divert the waters of the Jordan River had raised tensions in the Arab world and created a climate favorable for the resurgence of the Fedayeen. From June 1967, the Fedayeen activities and Israeli reprisals became more intense (12).

Since the first moment President Gamal Abdel Nasser supported the Palestinian Fedayeen's military operations as a decisive reaction on the Israeli and Western attempts to impede the unified Arab action. Practically, Nasser translated this support by providing the Fedayeen with arms and opening some of the Egyptian military training camps to train the Fedeyeen. He ordered all the Egyptian media to work for supporting the Palestinian Fedayeen's operations. In October 1966, during his visit to Cairo, Yasser Arafat was informed that Egypt would support them on the same way that it supported the military resistance operations in Algeria (13).

President Nasser believed that the proliferation of the Fedayeen organizations fed on the rivalries of the Arab States like Iraq and Syria, which backed one or more organizations in a competition to reap the political profits of association with the political cause.

Nasser tried to unify the Palestinian Resistance Groups in one organization.

He believed that their different oriented ideologies would affect badly. regionally and internationally. on their cause and would weaken its strength to achieve its targets.

These attempts were described by the Americans as continuing efforts to promote the unifications of the Palestinians Resistance movement under a leader who would be amenable to Egyptian disciples. In 1960's Egypt's chosen Ahmed Shuqiari and after 1967. it was closely associated with Yasser Arafat [14].

The new system of Resistance founded a new commando groups that started their operations in the refugees' camps in Jordan and Lebanon. They declared that they would lead wars to liberate their lands. They suggested the establishment of a non-sectarian state where the Jewish population of Israel, the Palestinian Arabs and the refugees would have the equal rights and obligations as citizens of the Unified Palestine. They opposed the United Nations Security Council (UNSC) 242 Resolution that called for division of Palestine.

These Commando operations caused the conflict between the Resistance and the Lebanese and Jordanian regimes that wanted to settle the conflict with Israel on the base of the 242 Resolution. Both regimes were worried that these operations might make Israel withdraw from the peaceful negations and to hold onto the occupied territories of 1967.

On September 4. 1967 soon after Fatah had resumed its operations, King Hussein expressed his opposition to the Fedayeen as their activities would increase Israel repression. which would drive the inhabitants of the occupied areas to flee their home to seek refuge in neighboring Arab States. On February 19, 1968 Fatah stated in reply to another attack by King Hussein pledging that the Resistance would not permit (anymore or any regime) to prevent its operations.

Yasser Arafat tried hardly to have a full authority over these organizations and to confer regularly with King Hussein, but he failed to have control over all of these groups. Each time he reaches an agreement with King Hussein concerning the PLO's activities in Jordan. his arrangements somehow

sabotaged as the extremist groups' activities, like PFLP of George Habbash. spoiled it. These groups believed that the Jordanian regime no less an enemy to the Palestinian cause than the Israeli regime.

The Fedayeen were always suspect in King Hussein. His relations with Israel might lead him to dissolve the resistance to reach settlement with Israel. King Hussein. in turn saw that the Fedayeen's operations might cause disorders and troubles in Amman and other Jordanian towns. And the operations in the West Bank might push Israel to lead revengeful raids that would cause damage to the Jordanian towns. King Hussein was accused by Israel and the United States with sheltering terrorists who were trying to cause damages to Israel [17].

The Syrians had displayed a highly ambivalent attitude in dealing with the Palestinian Resistance. They supported the Palestinian movement in rejecting any compromise settlement with Israel. But with the fear of the enemy's reprisals they declared that they would not allow to use the Syrian lands I these operations. The Syrians support was limited with providing them with weapons and training the Fedayeen in the Jordan and Lebanese lands.

President Nasser was worried that the Syrian and the Iraqi statements might incite the Palestinians to escalate their conflict with their Jordanian and Lebanese hosts. Therefore Nasser used to urge King Hussein to keep patient in handling with the movement. On the other hand. he advised Arafat to have full control over the PLO and its groups. He believed that the PLO should be careful not to try conclusions operations with Israel unless they could get the financial and military support from the Arab States [18].

Nasser preferred to deal with Yasser Arafat for his courage and his determination in dealing with the Palestinian groups and leadership of the movement. But Nasser did not agree with their rejection of any compromise settlement with Israel. Nasser believed that the Resistance could play a useful role in harassing the Israelis and bringing a pressure on them that would force them to take more flexible situation during the negotiations.

He advised Arafat to accept the UNSC 242 resolution to allow the PLO to have operations from Ramallah and Hebron rather than Amman. Nasser used to tell Arafat that as they depended on the foreign supplies. any attempt to liberate Palestine could be stopped by those who controlled the Arabs' arms supplies. He warned Arafat against getting involved with the Syrians an Iraqis Baathists who would only mislead him with false promises[19].

The Battle of al Karamah. on March 21, 1968. was a decisive point in the Fedayeen' strategy. The Israeli forces entered the village as it was said to be guerrilla capital. Yasser Arafat with his 200 – 300 Fedayeen and his light guns and rockets launchers did not stand along against the organized Israelis. Arafat decided to keep his fighters till the Israeli tanks arrived. He managed to leave Al Karamah at night before the Israeli troops crossed the river. Against the Jordanian, King Hussein's orders, the Jordanian forces engaged the battle that managed to contain the Israeli thrust and to inflict considerable losses on the intruders.

Al Karamah was the supreme battle of honor. It boosted the Palestinian morale and gave the PLO additional prestige within the Arab community. The official backing from Egypt and many other Arab governments was increased. that forced Jordan to grant more freedom to the organizations to establish their training camps and carryout their operations into the occupied lands. Initially the Jordanian government became supportive of Fedayeen actions against Israel [20].

David Raab claimed that Jordan was not all the time against the Fedayeen. They were a source of pride to Jordan as the forces that still daring to fight Israel and might regain the West Bank [21] And in case of not achieving this goal. the liquidation of these forces would be the tool to realize settlement with Israel. In reality. King Hussein could not appear as opponent to the Fedayeen' operation that managed to inflict some loses to Israel; otherwise. he would be considered a traitor to the whole Arab Cause. That was the reason for King Hussein's visit to President Nasser in Cairo, on April 6. 1968 to discuss the Israeli threats as result of these Fedayeen'

operations and the Egyptian support to Jordan. During this meeting. The Jordanian Chief of Staff. Gen Khammash. mentioned that these operations gave Israel a good excuse to launch military operations against Jordan. Nasser recommended coordinating with them; especially Fatah had a good people and choosing some dependable officials to contact them. trustful to the Palestinians. Nasser had information that the liaison officers between King Hussein and the Palestinians were suspected of being contact with the American Central Intelligence Agency (22).

On the Palestinian side, after al Karamah, Arafat became a national hero who managed to confront Israel. Masses of young Arab joined his organization. Fatah. Ahmed Al Shuqairi resigned in July 1969. Fatah joined and soon Yasser Arafat was elected as the new Chairman of the PLO.

In Jordan, the Fedayeen constituted a serious problem due to constant Israeli raids on their outposts; the Fedayeen moved eastwards to the Jordanian high lands and pitched their camps in and around major towns. These camps became hotbeds of their activities and stores for their military holds. which exposed the Jordanians' centers to heavy Fedayeen presence. In addition to arming the population the Fedayeen moved in the town and villages bearing arms and wearing own camouflage uniforms. They refused to register vehicles or carry Jordanian license plates (23).

The Jordanian police and army began to lose their authority. As a way out to realize settlement in Jordan, in November 1968, negotiation between King Hussein and the Organizations, a Seven – Point agreement was reached. The agreement forbade the members of these organizations from walking around cities armed, stopping civilian vehicles, competing the Jordanian army for recruits. and to carry Jordanian identity papers, license plates and would be investigated by the Jordanian authorities (24).

The Marxist-Leninist orientation groups like PFLP that was headed by George Habbash and the Popular Democratic Front (PDFLP) that was headed by Nayef Hawatmeh. advocated the overthrow of all moderate and conservative Arab regimes. including Jordanian. which they considered to

be allied with the western imperialism and Israel. They claimed to be the only representative of the Palestinian people to pose a direct challenge to the King Hussein's claim to guardianship over the Palestinians (25).

Between mid of 1968 and the end of 1969, around five hundred violent clashes occurred between the Palestinian guerrillas and Jordanian forces. Acts of violence against civilians frequently took place. The PLO also continued attacking Israel from the Jordanian territories without regard to Jordanian authority. The PFLP believed in the hijacking of American and Israeli liners to imitate the Cuban Revolutionaries' ideology. In spite of Arafat's rejection on this way of resistance, it joined the PLO officially in July 1969. And less than a month after it hijacked a TWA plane and diverted it to land in Damascus. They increased their attacks on El Al company offices in Brussels and Athens and severely damaged. Under pressure from Amman and other Arab Capitals, Arafat announced in June 1970, that the armed attacks on civilian aircrafts were detrimental to the Palestinian cause (26).

The PLO armed struggle caused heavy Israeli reprisals against vital Jordanian economic projects in the Ghore area and Civilian centers. By 1970, in Jordan, Fatah had established itself State within State, with an army, hospitals, social security system and tax collectors. It was unable to have a complete hegemony over the activities of the commando groups, PLFP and PDFLP. Although they were financially weak, they were influential because of the wide spread appeal of their radical ideology (27).

Early 1970, a severe anger spread in the Jordanian army towards the Palestinian Resistance, especially that the number of these military operations increased from 6 operations monthly in spring of 1967 to reach 480 operations in August 1969. In turn, the number of the Israeli murders and injured were also increased from 69 in 1967 to be 473 in 1969 (28). The Jordanian officers were convinced that the Fedayeen activities threatened stability in Jordan, and they were independent of the Jordanian government's control and potentially hostile to the regime of King Hussein, because of his moderation and Pro- Western sympathies.

According to the US Department of Defense reports. the Fedayeen' activities did not pose a serious military threat to Israel. and would not succeed in driving the Israelis from the occupied areas or endanger the existence of Israel itself. Israel claimed to have stopped 90 – 95 percent of the incursions and has exacted from raiding parties a casualty rate in death and captured estimated from 50 percent to 90 percent (29).

In February 1970. King Hussein published a Ten-Point edict. restricting activities of the Palestinian organizations. On February 11. the fighting broke out between Jordanian Security Forces and the Palestinian groups in the streets of Amman. By summer 1970. the violence increased that was described by King Hussein «Amman became a virtual battle field». (30)

On June 9. the Fedayeen opened fire on Jordanian intelligence head quarters in Amman. A cease fire was agreed to the next day and was collapsed the day after. On the same day the US Assistance Military Attaché was assassinated in front of his family.

In an attempt to placate the Palestinians. on June 1970. King Hussein was forced to replace his uncle as a Commander in Chief with the Major General Mashhur Hadith. who was closer to the PLO. He appointed also a new moderate Prime Minister. Abdul Moneim Rifai (31). King Hussein resolutions portrayed his situation in this civil struggle. King was losing his authority in front of commandos that supposed to act against their real enemy. Israel. Hussein gave the impression as he was on his way out; he appeared as powerless on his regime. Hussein was cunning in drawing this portrait. He appeared to the whole world that he did all he can do. scarifying his prestige. to reach settlement with the Palestinians. to found uncontestable excuse to get ride of them on the right time.

In July 1970. Egypt and Jordan accepted the American proposal that called for ceasing the fire in the war of Attrition between Israel and Egypt. known as Rogers Plan that was suggested by William Rogers. the American Secretary of State. The plan also discussed the Israeli withdrawal from territories occupied in 1967. according to the UN Security Council 242 Resolution (32).

The PLO. George Habbash's PFLP and Nayef Hawatmeh's PDFLP opposed the plan. as they believed that the UNSC 242 Resolution contained no specific assurance about homeland for the Palestinians. Violent demonstrations spread all over the streets of Amman and Beirut. It attacked both the American and Egyptian embassies accusing the Egyptian regime with being traitor to the Palestinian cause, cursing Nasser personally accusing him as agent to the Imperialism.

In response to the Egyptian-Jordanian approval to Rogers Plan. the Palestinian groups were divided into Pro or anti Amman and Cairo policy. Total hostility from PFLP and PDFLP. that reached armed struggle with any group that showed sympathy over Cairo. Other groups like Arab Palestine Organization were supportive to the groups with their hostility to Cairo. without mentioning a word to accuse Nasser personally. Al Anssar group was very supportive to Cairo and Jordan. Fatah was in as awkward situation. While it did not want to attack Nasser. it knew that if it did not condemn Nasser's decision, the other groups would outbid and seize the chance to shake the superiority. That was the reason for going along with the other groups. just to save its position among the other groups (33).

In response to these demonstrations, on July 29. President Nasser decided to close two Radio Stations that were operating from Cairo's transmitters until further notice. Yasser Arafat left to meet Nasser in Cairo. to discuss the deteriorating relation between Egypt and the Palestinian. Before reaching Cairo. Arafat stopped by Iraq to convene with the Iraqi President. Hassan Al Bakr. to inquiry his opinion if the PLO asked the Iraqi troops. that were already exist in Jordansince1967 in the Jordan north frontiers. in case the Fedayeen were attacked by the Jordanian army.

The Iraqi president's Baathist policy was against Nasser, so Nasser considered this visit as incorrect beginning for negotiation. Arafat just had shacked hands with Nasser who found it a good chance to comment that Arafat was saving the hugs for Al Bakr only (34).

Nasser refused to open the Radio Stations. confirming that King Hussein did not attack the commando groups because of Cairo's mediation. and his

fear to dismantle the Jordanian army as most of its officers were Palestinians. Nasser sent a message to King Hussein assuring his support to Jordanian in all cases except of liquidating the Palestinian Resistance. He believed that the Fedayeen reckless actions could not be an excuse to liquidate the whole movement. He promised to reach a permanent conciliation agreement with the PLO and all its groups would be committed to it (35). Nasser sent this message on the same time of his talks with Arafat. He wanted let Hussein know that his anger with the Palestinians did not mean that he would allow to get ride of them.

President Nasser's acceptance on the American plan was seen by the Fedayeen as justifying their worst fears and suspicious regarding their intentions of the Arab States. to conclude a definite peace settlement with Israel that would signal the final surrender of Palestinian national rights. and the Arab States were ready to sell them out again. They were also anti pathetic towards Hussein's United Kingdom project (36).

In August 1970. the left organizations figured out that seizing power in Jordan would be the best way to achieve their coal. as the way to Jerusalem would pass by Amman. Both PFLP and PDFLP openly called for the overthrow of the monarchy (37).

The Palestinian worry towards Nasser's situation was not correct. From the beginning Nasser ensured that the Palestinian cause was apart of any possible peaceful solution between Egypt and Israel. On July 22. 1970, on his reply to William Rogers. Nasser insisted on the necessity to approve the Palestinian people rights through the United Nations Resolutions (38).

In his meeting with King Hussein in Ras Al Teen. in Alexandria. on August 21. 1970. Nasser confirmed the right of the Palestinian Resistance to reject the Rogers Plan and to reject the Peaceful solution even if these were approved by all the Arab countries. He again asked Hussein to be patient with the Palestinians. even if they went astray. for both the Jordanians and the Palestinians. He recommended that Hussein to approach the Fedayeen issue through political action and not through police action.

Nasser explained that it did not mean that Hussein to take negative stance towards the opportunistic Palestinian elemis. but he had to embark on a vast political movement (39).

Muhammad Hassanin Haikal. Nasser's Confident and Minister of Information. mentioned that Nasser said that he accepted Rogers Plan because it carried an American flag. It was the first time for the US to step seriously to solve the Middle East problem. He added that they needed enough time of ceasing fire to reorganize and construct their troops. And as fatal factor. he ensured that he needed time to finish constructing the rockets arsenal that would protect the Egyptian troops on the Eastern Bank of the Canal.

Nasser ensured that the expected rate of the success of this plan was half percent. And the rejection would be translated by the whole world as a desire for the war. then Israel would appear as a victim. was threatened from its neighboring states. (40) Thus. the PLO lost its good relations with Nasser and his protection. Reportedly. the plan was a trap conceived to destroy the PLO's relation with Nasser. and the plan itself had never been implanted.

The Jordanian army became increasingly angry and frustrated. Many officers requested the King's permission to crush the Fedayeen and he backed them off. He was accused of being women who was afraid to take action against the country's enemy.

On September 1. King Hussein was close to being shot to death by the commando groups. Twenty minutes later. the Jordanian army began shelling the Fedayeen in Amman. The following morning Amman was tense and down town was completely under Fedayeen control.

On September 3. clashes resumed through a broadcast. King Hussein addressed the PLO asking them to have control over its groups. On September 5. the PLO's Central Committee and the Jordanian Government reached an agreement under which the guerrilla would leave Amman and the Jordanian troops to withdraw from the outskirts of Amman. In spite

of this agreement. on the next day. one round hit the US embassy. In the evening Hussein made radio address to the people as he could no longer remain silent in the face of a painful flow of doubts and accusations. ruin and destruction directed to his people and army (41).

On September 6, the PFLP carried out three airline hijackings taking a Swiss Air and TWA plane to desert airfield and a pan Am airliner to Cairo. At the beginning at least 85 passengers had been released. they kept most male and Israeli passengers as hostages. On September 10. a British Overseas Airways Corporation (BOAC) flight was hijacked to the same desert runway east of Mufraq city. Then the total number of the hostages became 300 (42).

The PFLP announced that its objective was to force Israel to release the prisoner Fedayeen who were held in Israel. They threatened that if there was any foreign military action in Jordan. the three planes and all their occupants would be blown up and an attack on the hotel in Amman where some of the passengers were staying was also possible (43).

The PLO condemned the hijacking but it. as well as the Jordanian regime. could not do anything towards the hijacking. After three days, the hostages were released, except of forty of them and the planes were blown up. This attitude that was described in the American report as Fatah was not only opposed to the PFLP hijackings. it was victimized by them. by being precipitated into civil war with the Jordanian.

At the beginning of the crisis. King Hussein entrusted to his army chief – of – staff, all authority of the armed forces to restore the peace. But later the guerrillas and the security forces were trading shots and fighting was going on in several areas of the city. The American embassy confirmed, in its reports on September10, that the King. till that moment, was unwilling to take the final military confrontation with Fedayeen. (44)

In reality, the choices for Hussein were limited. if he did nothing. the Jordanian army might move to crush the Fedayeen, thus destroying his authority. If he acted, Syria and Iraq that forces still in Jordanian borders

since 1967 war might intervene to support the Fedayeen. So the only possible choice for him was to look for out side intervention to support him to move. which meant for him the United States and Israel.

The American response to the hijackings was cautious. The US plans were designed to extricate the hostages' personnel and to evacuate the American citizens from Jordan. The Unites States' contribution was steadily escalation series of military moves. meant to demonstrate president Richard Nixon's determination to act forcefully if necessary. and to provide a military intervention if requested by King Hussein.

Henry Kissinger. the American National Security Adviser. suggested supporting the Israeli intervention with equipment package. and to take in the US posture to hold the ring against the Russians if the Israeli moved to support Hussein under his request. (45)

Officially. Egypt announced its condemnation to these hijackings, Muhammad H. Heikal. Nasser's confident. told the US Minister in Cairo. Bergus. that he had personally conveyed to Fatah, the main middle-of-the road Palestinian organization, an ultimatum that unless it publicly denounced the hijacking operations of the radical Palestinians, as the United Arab Republic (UAR) had done, the UAR would consider Fatah in the same category as the radical and act accordingly. (46) On September 15, the hijacking crisis was still unsolved. The hijacked aircraft had been blown up, and the fifty four hostages were still being held at unknown locations.

Late on the same day. King Hussein informed Washington that he would move to compel Fedayeen to implement the cease fire agreement and remove their forces from Amman in order to establish law and order, p. 20. He confirmed that he would establish a military government that would take over communications and declare a curfew. He stressed that defending on Fedayeen reactions; he might need to call for the US and Israeli assistance (48).

On September 16. King Hussein appointed a new military government headed by Brigadier General Muhammad Duad, and declared the martial

laws. Next day the Jordanian tanks attacked the headquarters of the Palestinian organizations in Amman; the army attacked also camps in Iribd. Salt. Sweileh and Zarqa.

The armored troops were inefficient in narrow city streets and thus the Jordanian army conducted house to house sweeps for Palestinian fighters and got immersed in heavy urban warfare with the Palestinian fighters. The Jordanian infantry moved towards the Palestinians' shelters to push all the Palestinians out of Amman after weeks of bitter fighting. (49)

The Jordanian revenge did not distinguish between the Palestinian civilians and commandos. As if King Hussein decided to crack down on the military Palestinian presence on the Jordanian soil, and it was his determined and successful onslaught against the defiant Palestinian factions in and around Amman.

Seeking to prevent the imminent collapse of his Hashemite Kingdom and the disruption of the regional balance of power. Hussein panned with the US and worked with Israel to get ride of the Palestinians; ignoring that if he moved earlier to have more authority over them. He might not in need to use force and blood to submit them, but these steps were planned to leave the rope for the Palestinians to hang themselves.

King Hussein's move was with full American support as Henry Kissinger mentioned in his memorandum to the American President Richard Nixon, on September 16, that «King Hussein appointed a new military government early this morning as planned». (50)

King Hussein was in need to this American support. There was the risk of Syrian and Iraqi intervention. There were in Jordan since the 1967 war. King Hussein also considered Egypt as a great potential danger. because of the Soviet presence there in such great numbers. (51) The survival of King Hussein's regime was vital to any hope for a settlement of Arab- Israeli conflict. The defeat of King Hussein. as a close friend to the United States, by the Fedayeen would be considered a victory of the radical regimes with the Soviet weapons as apart of plan began with the Soviet rejection of

Rogers Plan and dispatch a large numbers of Soviet troops to Egypt.

President Nixon wanted to crush the Fedayeen. but the conflict contained with Jordan. Thus. the Americans policy was to restrain the Israelis to intervene militarily. At the same time. an American and Israeli show of force might help to deter the Syrians and Iraqis and Soviets.

On September 17. from Kansas State University. Nixon gave a tough speech in which he denounced the Fedayeen. (52) From the American view. the crisis was seen as a US-Soviet confrontation. In case of outbreak of hostilities between Israel and the Arab States. The Soviet intervention. in order to protect the defeat of the Arab States. could require American intervention on behalf of Israel. Nixon was not sure that the Soviet would not intervene, unless the Syrians would do. They would not intervene on behalf of the Fedayeen as the American received news that Arafat was recently told in private by USSR officials that USSR disapproved the Fedayeen terrorist tactics. (53)

The American were certain that the Soviets would accept limited local setbacks in order to avoid a conflict with the United States over the Middle East. as less important in comparison with China. Eastern Europe, and its global relationship with United States in the west. (54)

On September 18. the Soviet Union warned the outside Powers that intervention could only widen the conflict. It cautioned western powers as well as Iraq and Syria against interfering in the fighting. (55)

Kissinger commented that this Soviet note showed that" Moscow had heard the American's" as it urged prudence on all parties and promised to use the Soviet influence to bring the civil war to an end. (56)

On September 19- 20. the Syrians forces intervened into the northern Jordan to reinforce the PLO. President Nixon was certain that the Soviet was pushing the Syrians and the Syrians were pushing the Palestinians. (57)

On September 21. King Hussein had appealed from Israel and the United States for help to deter the Syrians. Nixon agreed on the principle to an Israeli air and ground strike. The American approval was a warning

that was directed to the Soviets if their Syrian partner did not stop. Throughout the crisis King Hussein and members of the Israel political leadership engaged in direct top level operation discussion which included the Israeli intervention to confront the Syrian attack (58). On September 27. 1970 Kuwait Political Newspaper Alsiyassa printed a document that was received from the PLO that claimed that the Jordanian government asked the US government to press Israel to drop the idea of Palestine State. (59)

The Israeli-Syrian confrontation was a risk for the Super powers to confront in the Middle East. The Russians declared that they had opposed the Syrian intervention into Jordan. and made it clear that they were pressing the Syrians to withdraw. On September 22 Field Marshal Habis-Al Majali the military governor of Jordan announced that the aggressor's forces in the North had retreated.

President Nasser was annoyed with this Arab bloodshed especially that estimates of the number killed in Jordan mount daily. A figure of 10.000 was mentioned by Muhammad H. Haikal the Egyptian Minister of Information. And on September 22. Cairo announced that the most recent information put the death toll in the Jordanian war at 15.000. (60)

Nasser was worried that Israel might use this conflict to be a pretext to renege on its promise of ceasing fire. And if the Syrians intervened to help the Palestinians. Israel would intervene with plea of helping King Hussein. But in reality Israel wanted to accomplish an agreement with Jordan to isolate Egypt and to force it to accept the Israeli terms to reach conciliation.

Whatever the fact concerning the Syrian intervention, as they claimed that who intervened were Palestinians not Syrians the Jordanian claim of the threat of the Syrian intervention from the north was the most acceptable reason for the American and Israeli intervention in the Arab region. (61)

Nasser was shocked that reckless actions of some of the Palestinians could not to be the reason for as overwhelming attack against all the Palestinians.

On September 25. Nasser sent a message to King Hussein with some undeniable facts. not respecting cease fire, non respect for all the promises made to the UAR, put plan to liquidate the Palestinian Resistance... (62)

At the beginning. Nasser thought to travel to Amman to mediate for an immediate cease fire. But he sent an envoy to invite Hussein to Cairo to discuss the deteriorating situation away from the battle field. At the same time he sent Hafez Ismail. the Chief of the General Intelligence, to update him with the news of the American forces movements in the region, especially the Six Fleet. (63)

Under Arafat's request. in his message that he sent to all Arab Heads of Stats. appealing to intervene to end the bloodshed in Jordan (64). The Arab League declared would to hold a summit conference in Tripoli. Libya to discuss the Jordan Crisis. Then it was mentioned that the summit would be convened in Cairo (65). Many Arab Heads of State had flown in. some key leaders chose not to. Neither King Hussein nor Yasser Arafat accepted to share and the PLO reasserted that it would 'fight on to the end, to overthrow the throne and military regime (66). The Syrian president, who was in Cairo at the same time. refused to attend the summit. Instead of a summit. a High-Level Four Men "Peace Mission" headed by the Sudanese president Jaffar Al Nimeiry. was formed and dispatched to Amman. In the mission also, were Bahi Ladgham, the Tunisian Prime Minister. General Muhammad Sadiq. the Egyptian Chief of Staff, who was sent to Amman since the beginning of the crisis and Saad Salim Al Sabah. the Defense Minister of Kuwait. The main aims of that mission were to convince the Jordanian party to cease fire and the two parties to attend and negotiate in the Arab Summit Conference. especially after Arafat's statement that he would never negotiate with the treacherous. the Jordanian Government. (67)

When the summit was postponed. the British Prime Minister Heath sent a letter to President Nasser. asking him to intervene on behalf of the hostages and committed to release the seven European prisoners. He assured that nothing would enhance the Anglo- Egyptian relationship rather than being able to arrange this exchange. In response. Muhammad H. Haikal. called

the British ambassador in Cairo. Richard Beaumont. mentioning that Egypt could secure the release of remaining hostages provided that would assure him that they would free their Fedayeen.

Britain commented on Egypt's offer that Nasser made the offer in response to personal message from the Prime Minister. On September 26. Mahmous Riad. the Egyptian Foreign Minister called Washington to confirm that the remaining hostages had been turned over the Egyptian embassy in Amman. (68)

Nasser had devoted all his effort–in the last political act of his life– to pressure on Jordan to obtain a cease fire that safeguard the integrity of the Fedayeen as a political and military factor. At the same time he sought to maintain open channels to King Hussein and sufficiently conciliatory attitude to presence the post 1967 political alliance between the two countries. and to avoid any grave repercussions of active external intervention from United States and Israel. (69) That attitude of President Nasser was described as "that he died in the act of shielding his old enemy Hussein at the expense of his old clients the Palestinians". (70) This description was not right. on contrary, when the Jordanian regime did not respect the cease fire resolution, Nasser accused the Jordanian Military regime with continuing violation of cease fire arranged by the Arab mediation committee and implementing a plan to destroy the Arab resistance movement once and fro all. He described the event in Jordan as a "horrible massacre contrary to all Arab and human values" (71) Nasser believed that if he followed the anger of the other Arab States and closed his doors in front of Hussein, Hussein would found it a good excuse to continue his plans under complete American and Israeli protection.

Earlier and perhaps more significantly, President Nasser had invoked the possibility of military intervention to stop the war in a private message to Hussein on September 20, which was not made public at the time. "I want you to know honestly that we will not liquidation of the Palestinian Resistance. no one can liquidate it, and instead of fighting the enemy. we

will find ourselves involved in an Arab civil war». It was clear that this letter was just a threat to King Hussein to respect cease fire agreement that was reached between the Jordanian regime and High-Level Four Men mission. It was not difficult for Al Jaffar Al Nimeiry to reach a cease fire agreement between Hussein and Arafat. In spite of King Hussein's orders for his troops to stop fighting the truce began after two days during which the Jordanian army crushed the Palestinian refugees' shelters or till the Jordanian regime achieved its target of crushing removing all the Palestinian from the Jordanian lands. with the approval of King Hussein himself. At Cairo News Conference on September 26. President Jaffar Al Nimeiry had accused Hussein of genocide and blamed him for the continuation of fighting and breaches of several cease fire arrangements concluded by his team.(73)

On September 26, the Cairo Arab Summit Conference or Nine-Nations Summit meeting. had been hold its emergency session to settle the crisis in Jordan. (74)

In response to Qaddafi's rejection to invite or even to contact King Hussein because of his attitude towards the Palestinians. Nasser insisted on a positive action was needed to stop the fighting instead of prolonging the discussion and debates. When the Arab Leaders suggested that Nasser should send Egyptian forces along with other Arab forces to occupy Jordan he replied sent our forces to Yemen where we lost more than 10.000 men and Israel is till occupying our lands. I am not prepared for a single Egyptian soldier to die on Jordanian soil» (75)

At the same time in a press conference the Arab Kings and Presidents' decision was announced that they hold King Hussein responsible for the blooding events that were taking place in Jordan. After this declaration. King Hussein contacted Nasser to inform him that he wished to come to Cairo to explain his position to the Arab Leaders. Qaddafi led the party that refused to invite the King. while President Nasser headed the other group confirmed that the participants failed to reach a positive decision while the numbers of innocent victims continued to increase and the only

solution was to call King Hussein to Cairo to compel him to bring the conflict to an end. (76)

Both Arafat and Hussein flew to Cairo on September 27; meanwhile the last hijacked hostages held by the PFLP had been released unconditionally in Amman. The Palestinian prisoners who were held by western Germany and Switzerland wee freed soon after.

According to Haikal, on September 27, the final stages of the conference opened with a stormy meeting. Hussein and some of his officers were in one corner of the room and Arafat in the other and both were carrying pistols. King Faysel of Saudi Arabia suggested to Nasser to carry out a disarmament operation before that talk began. (77)

Nasser mixed of persuasion and pressure, of sympathy and realism to bring the two men together and produce a new agreement. He was exhausted by long hours of negations and emotional stain. When his friends urged him to rest during the talks, he said, there are men, women and children dying. We are in a race with death,.

While Nasser was discussing the draft of the final agreement that he received by Nimeiryand and Bahi Ladgham, Arafat sent a message that Jordan army was intensifying its attacks on Amman. Nasser called Arafat to discuss the message and to try to persuade him to accept the draft of the agreement. Arafat confirmed that he could not trust those people who were trying to liquidate the Palestinians, but Nasser urged him to control himself and keep in mind the main objective which was to get a cease fire as soon as possible. Nasser warned Arafat that he could end the conference at that moment as it had already achieved much politically. Nasser concluded, a cease fire must remain the objective because it would give Arafat the chance to reappraise his situation and redeploy his forces. (78)

In spite of his sympathy on the Palestinian movement, Nasser well treated King Hussein during the sessions, but in their private meetings, Nasser was tougher with Hussein. Nasser confirmed to Hussein that he could not be neutral while the Jordanian army was continuing their massacre with the

Palestinians. When the Yemeni delegation urged on voting to censure formally on King Hussein. Nasser refused as it would be useless. When they insisted on their request. Nasser reminded them that there was no Yemeni participation in the Arab-Israeli war. and the Kuwait that supported Egypt and Jordan financially and militarily in the war agreed on that there should be no recriminations. (79)

On September 27. the 14-Points of Cairo Peace Agreement was agreed. First. the fighting on all fronts was to be stopped immediately. And secondly. that the Jordanian army and the Resistance fighters were to be withdrawn from all the cities by the sunset of the same day. Thirdly. a committee headed by Bahi Lahgham. would go to Jordan. on September 28. to oversee the implementation of the agreement. (**80**)

Nasser with this agreement had succeeded in stopping the Arab bloodshed in Jordan. Although his influence was diminished to be just in Sudan and Libya with their new revolutionary regimes. but Nasser was the only Arab leader who was able to gather both the Jordanians and Palestinians in a negotiating table. He was also able to gather the Arab States. who were neutral or anti Hussein, and directed the sessions in a way that guaranteed to achieve his goal. Nasser had prevented the Americans and the Israelis from seizing the chance to intervene directly in an Arab issue. as he believed that the escalation of this conflict was with the Jordanian hands but with the CIA and Israeli Intelligence Plans. As he spent his life fighting for the Arab dignity. and against imperialism and Zionist plans. Nasser's last war was to heal the cracks in the Arab Unity. He believed that any Arab fractions would impede the supposed strategy of reconstructing and resisting of the Arab' forces to be ready for the coming Arab-Israeli confrontation.

Through the mediations of the Arab League envoy Bahi Ladgham. Jordan and the PLO signed Amman agreement. on October 13, which confirmed the PLO's respect for Jordan's sovereignty. The following months. the mission faced uncooperative attitude from Jordanian civil authorities as

well as the Jordanian army. The Jordanian regime exploited every incident to extract further concessions from the dwindling PLO forces. By January 1971, Ladgham was threatening to resign if the acts of provocations and military operations by the Jordanians against the Fedayeen were not stopped. (81)

Nasser's absence in the Arab working field left no chance, neither to realize the summit resolutions nor to stop the American and Zionist plans in the region. By December 1970, the guerrillas lost the town of Zarqa and Jeresh. In March, the army took over Iribid and finally in April the Fedayeen had to evacuate Amman itself.

The outcome of the Black September was widely considered a successful result of the American Policy. As, in December 1970 the American President Nixon congratulated King Hussein on the successful outcome to Jordan's grave problems of September. In turn King Hussein thanked Nixon as Jordan could not have gotten through its difficult days without the support and interest of the United States. (82)

King Hussein improved his position somewhat at expense of Fedayeen. The Moderate Fedayeen have been strengthened at expense of extremist elements. The success of the American plans forced the Fedayeen to re-evaluate their position and adjust their expectations to the new reality. The PLO no longer openly opposed the efforts of Egypt or any other Arab regimes to recover through peaceful means the territories occupied in 1967. that's why Washington welcomed the Tunisian offer to play a role of bridging gap with the Fedayeen and seeking encourage Fedayeen moderates to play responsible role in reaching Middle East settle and «we certain wish to keep this mind as we periodically review matter of our contacts with the Fdayeen». (83)

But if the American plans managed to remove the Fedayeen from Jordan, it could not eliminate them. The Palestinian militants were driven to Southern Lebanon, which helped precipitate the Lebanon civil war. Jihaz al Rasd, the unseen other half of the Fatah, and Black September Group

continued their commando operations. They organized the hijacking of the Sabena airliner on May 8. 1972. The murder of the Jordanian Prime Minister Wasfi Al Tal in Cairo. on November 28. 1971. Munich Olympic massacre and the blowing up of the Rotterdam oil refinery on March 15 1971. and many other highest profile attacks were organized by them.

On the whole Arab Level. King Hussein appeared to be thinking in terms of negotiated peace with Israel. The US–Israeli main objective became to demonstrate to the new Egyptian president Anwar Al Sadat that the Soviet military presence in his country was an obstacle to recover Sinai. thus Sadat ejected his Soviet advisers. technicians and airmen which in turn. diminished his effective military striking power. (84)

❑❑❑

Notes

(1) Laurie A. Brand. «Palestinians and Jordanians: A Crisis of Identity». Journal of Palestine Studies. vol 24. no 4. (University of California Press. 1995). P. 48 / Malcolm Kerr. the Arab Cold War. Gamal Abdel Nasir and his Rivals 19583 ,1970-rd. (New York: Oxford University Press, 1971). P. 145.

(2) Alan Dowty. Middle East Crisis. US Decision-Making in 1958. 1970 and 1973. USA. University of California Press. 1984. p.145 / Abraham Ben-Zvi. the Origin of the American Israeli Alliance. the Jordan Factor. (USA: Rout ledge. 2007). p. 180

(3) Anthony Nutting, Nasser. London, Constable and Company LTD. 1970. P. 465.

(4) Laurie A. Brand. «Palestinians and Jordanians: A Crisis of Identity». op.cit. P. 47.

(5) Arab Summit Conferences, Information Research Department. Kuwait. New Agency Kuna. 1983. P 55- 56.

(6) David Pipes and Adam Garfinkle: Is Jordan Palestine, www.danielpipes.org/articles. 10/ 02/ 2006.

(7) Nahda Saleh M. Muqbal. the Issue of Jordan Palestinian Dialogue 1985 – 1986. (Birzeit University, 2002). P 24 – 25.

(8) Haitham Al Kilany. Horwb Filistin Al Arabyah Al Israeliyah (Arab- Israeli Palestine Wars). vol 5, the Palestinian Encyclopedia. (Beirut. 1990). p. 581- 582.

(9) Abdel Magid Farid. Nasser. the Final Years. (Cairo: AUC Press. 1994). P 93.

(10) Ibid, P. 96.

(11) Central Intelligence Agency Documents. classification unknown. September 1972. 7pp. approved for release on September 2. 1999, PP 2 – 6.

(12) National Archive. the US Department of State. Subject: Chronology of the Fedayeen conflict 1955 – 1972. subject numeric files. 1970 – 1973. – Box 2045. POL 13– 10. Bureau of Intelligence and research. RG59.

(13) Fathi Al Deib: Abdel Nasir Wa Tahrir Al Mashreq Al Arabi (Abdel Nasser and the Liberation of the Eastern Arab).(Cario: Markaz al Derasat al Siyasah. 2000). P. 426– 427

(14) National Archive. the US Department of State, subject: Fedayeen: the Relationship with Egypt. subject numeric files, 1970– 1973, Box 2045, POL 13 – 10, Bureau of Intelligence and research, Secret. Intelligence note, November 30. 1970, RG59.

(15) Anthony Nutting. Nasser. op.cit. p. 459 – 60.

(16) Fuad Jabbar, «the Arab Regimes and the Palestinian Revolution 1967– 1971». Journal of Palestine Studies. vol 2. no 2, (University of California Press, 1973). P.9

(17) Anthony Nutting, Nasser. op.cit, p.461– 462.

(18) Ibid, P. 463.

(19) Ibid, p 464.

(20) Musa S. Braizat, the Jordanian–Palestinian Relationship. the Bankruptcy of the Confedral idea. (London: Academic Press, 1988), p. 139.

(21) David Raab. Terror in Black September, the first Eyewitness account of the Famous 1970 Hijackings, (New York: Pal Grave Macmillam, 2007), p. 6

(22) Abdel Magid Farid. Nasser, the Final Years, op.cit, p122.

(23) Joseph Nevo, King Hussein and Evolution of Jordan's Perception of Political Settlement with Israel, 1967 – 1988. (Portland: Sussex Academic Press, 2006) P.40 – 41

(24) Ibid, p. 45.

(25) Fuad Jabbar, «the Arab Regimes and the Palestinian Revolution 1967– 1971», op.cit, P. 10 – 11.

(26) Anthony Nutting. Nasser, op.cit, p. 464.

(27) Michael C. Hudson, Developments and Setbacks in the Palestinian Resistance Movement 1967 – 1971, Journal of Palestine Studies. vol 1. no.3 (University of California Press, 1972), P. 5

(28) Yazied El Saiegh. Al Tagribah al Askariyah al Filistinyah al Moaserah (the Contemporary Palestinian Military Experiment), the Palestinian Encyclopedia. part5, (Beirut, 1990), P. 429.

(29) The US Department of Defense. Presidential Directives. Part II. Response to the National Security Memorandum. subject: Review of the International Situation, January 20. 1969, Volume 1. Middle East, Africa and South Asia.

(30) David Raab, Terror in Black September, op.cit, P. 6.

(31) Ibid, P. 7.

(32) Malcolm Kerr, the Arab Cold War, Gamal Abdel Nasir and his Rivals 19583 ,1970–rd. (New York: Oxford University Press. 1971). P 141

(33) Fathi Al Deib: Abdel Nasir Wa Tahrir Al Mashreq Al Arabi. op.cit, p. 433

(34) Anthony Nutting. Nasser, op.cit, p 467.

(35) Ibid. p. 468.

(36) US Department of State. subject: the Middle East: the Evolution of the Fedayeen Strategy, April 5, 1973. subject Numeric files 1970– 1973. POL 1310– (Arab), Bureau of Intelligence Research, Secret. RG 59.

(37) New York Times, September 1, 1970.

(38) Abdullah Imam. Al Ifteraa ala Thawret Yulyo (Fabricate lies against the July Revolution), (Cairo: Dar Al Khayial. 2003), P. 240

(39) Abdel Magid Farid. Nasser. the Final Years. op.cit. p 203.

(40) An Interview with Smai Sharaf. the President Nasser's Secretary of Information. On December 22, 2002. in his house in Masr Al Jadidah. / Abdullah Imam. Al Ifteraa ala Thawret Yulyo, op.cit, P. 237– 247.

(41) David Raab. Terror in Black September,op.cit, P. 80.

(42) Nixon Presidential Materials. National Security Council Files. Box 330, Hijacking, Memorandum from Henry Kissinger to the American President Richard Nixon, September 9, 1970.

(43) Nixon Presidential Materials, National Security Council Files, Box 330, Hijacking, Top Secret Memorandum from Henry Kissinger to the American President Richard Nixon, September 10. 1970

(44) US Department of State. subject: the Middle East: the Evolution of the Fedayeen Strategy. April 5. 1973. subject Numeric files 1970 – 1973. POL 1310- (Arab). Bureau of Intelligence Research. Secret. RG 59.

(45) Nixon Presidential Materials, National Security Council Files. Box 330. Hijacking. Memorandum from Henry Kissinger to the American President Richard Nixon, September 9, 1970.

(46) Ibid. P. 5.

(47) Nixon Presidential Materials. National Security Council Files. Box 331, Hijacking, Memorandum from Henry Kissinger to the American President Richard Nixon. September 15, 1970.

(48) Ibid. P. 3

(49) Alan Dowty. Middle East Crisis. US Decision-Making in 1958, 1970 and 1973. USA, op.cit. P. 145.

(50) Nixon Presidential Materials. National Security Council Files. Box 331. Hijacking. Memorandum from Henry Kissinger to the American President Richard Nixon, September 16, 1970.

(51) Summary of a meeting between Vice President Spiro Agnew. Jordanian King Hussein, and the US and Jordanian government officials. Issue include: US- Jordanian relations..., Memorandum. white House. Secret, Issue Date, December 10, 1970. Declassified November 14. 2004.

(52) Alan Dowty. Middle East Crisis, US Decision-Making. op.cit. P. 150.

(53) The US Department of State, subject Numeric Files. 1970 – 1973. Box 2044. 972-2-, Confidential, Air gram, A-241, September 5. 1972. From William B. Buffum (the US Embassy in Beirut) to Department of State. Subject: the Fedayeen: Contradiction and Crisis. RG 59.

(54) The US Department of Defense, Presidential Directives, Part II. Response to the National Security Memorandum. subject: Review of the International Situation, January 20. 1969. Volume VI. Middle East. Africa and South Asia.

(55) Times. September 19. 1970.

(56) Alan Dowty. Middle East Crisis. US Decision – Making. op.cit. P 151

(57) Times. September 21. 1970.

(58) Abraham Ben-Zvi. the Origin of the American Israeli Alliance. the Jordan Factor. op.cit, P. 80

(59) The US Department of State. from: the US embassy in Kuwait. Subject: Publication of purported GOJ. Date October 11. 1970. Subject Numeric Files 1970 – 1973. Political and Defense from POL 1310- Arab 470/1/ to 1310- Arab 1070/1/. Box 2043.RG 59

(60) The Times. September 23, 1970.

(61) Anthony Nutting. Nasser, op.cit, p. 471.

(62) Malcolm Kerr, the Arab Cold War, op.cit. P. 150

(63) Anthony Nutting. Nasser. op.cit. p. 471.

(64) Nixon Presidential Materials. National Security Council Files. Box 331. Hijacking. Memorandum from Henry Kissinger to the American President Richard Nixon. September 16. 1970.

(65) The Times. September 18, 1970

(66) David Raab, Terror in Black September ,op.cit, P 195

(67) The Times, September 23, 1970.

(68) David Raab. Terror in Black September. op.cit, P 213- 216.

(69) Fuad Jabbar, «the Arab Regimes and the Palestinian Revolution 1967-1971», op.cit, P. 93.

(70) Malcolm Kerr, the Arab Cold War, op.cit, P 153

(71) The Times, September 28,, 1970.

(72) Al Ahram, December 25. 1970.

(73) The Times, September 28,, 1970

(74) King Faysel of Saudi Arabia. President Nasser. Shaikh Sabaha As Salem of Kuwait, Bahi Ladgham, Premier of Tunisia. Colonel Kaddafi, the Libyan Leader. President Al Nermeiry of Sudan, Mr. Suleiman Franjieh of Lebanon and Mr. Ahmed As Shami of Yemen Republic. The Times. September 28, 1970.

(75) Abdel Magid Farid, Nasser. the Final Years. op.cit, p. 209

(76) Abdel Magid Farid, Nasser. the Final Years. op.cit. p. 210

(77) Robert Stephens. Nasser, a Political Biography. (New York: Simon and Schuster. 1971). P.554
(78) Ibid, P. 555
(79) Anthony Nutting. Nasser, op.cit. p 473
(80) The Times, September 28. 1970. P.6.
(81) The Times, January 12. 1971.
(82) Summary of a meeting between President Richard M. Nixon and Jordan's King Hussein. regarding that country's role in the Jewish-Arab conflict in the Middle East. White House. Secret. issue date. December 8. 1970. Date Declassified, November 14. 2003.
(83) The US Department of State, Telegram. October 15 1970. Subject: USG Relations with Fedayeen. Subject Numeric Files 1970 – 1973, Political and Defense from POL 1310- Arab 470/1/ to 1310- Arab 1070/1/. Box 2043.RG 59
(84) Central Intelligence Agency. Special Report, Subject: Black September. Security classifications not given. Released date not given, November 8. 1972, confidential, issue Date. November 8, 1972.

□□□

الفهرس

رقم الإيداع	٢٠١٣ / ٩٠٢٨
الترقيم الدولى	ISBN 978-977-02-7796- 6

١/ ٢٠١٣ / ٣٠

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع)